سِيرة الأميرة

ذات الهمة وولدها عبد الوهاب



جزء ١ - ١٠

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

i23727548

1 2

3

مكتبة قطر الوطنية
QATAR NATIONAL LIBRARY

عضو في مؤسسة قطر
Member of Qatar Foundation

QATAR NATIONAL LIBRARY
3 9999 00688 962 8

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الأول

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل سير الأولين . عبرة القوم الآخرين . وأحاديث الماضين . اعتبارا للقوم الباقين . الذى فضل دين الإسلام على كل دين لأنه حبل الله المتين . فقال تعالى وهو أصدق القائلين : « هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين » . وقال تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام» . وقال تعالى : «ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

﴿ أما بعد ﴾ فقد ذكرت الرواة لهذه السيرة العجيبة . وما فيها من الأحاديث الغريبة . لما رأينا الجهاد حبل الله المتين . ومنزلة المجاهدين عند الله فى أعلا عليين . فأحببت أن أجمع سيرة تكون نزهة السامعين . لما فيها من الانتفاع لكل المطالعين . وأنا أسأل الله الاعانة على ترتيب هذا الكلام العظيم . انه هو السميع العليم . فأول ما نذكر حديث الحارث وولده جندبة وبعدهما حديث الأمير الصحصاح . زائر قبر النبي زين الملاح . سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ماأظلم الدجا وأضاء الصباح . ونذكر ماجرى له من الحرب والكفاح . ومايظهر منه من الأولاد الملاح . والأفعال القباح . وما يبدو منهم من الأفعال الصحاح . وما نقلته عنهم الرواة الفصاح وماشاهدوا منهم من الحرب والطعن فى المسا والصباح . وما تم لهم من الجهاد فى طاعة رب العباد الملك الفتاح . من الخير والصلاح . وان من روى هذه السيرة العجيبة . وما فيها من الأحاديث المطرفة الغريبة . هو على بن موسى المقاني والمهزب بن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المؤنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى قالوا جميعا والله أعلم بماغاب عن الأبصار وسبق إلى الظنون والأفكار انه لم يكن فى العرب العربا ولا فى السادة النجبا من معد بن عدنان ويعرب وقحطان فى زمن بنى أمية أشد

بأسا ولا أقوى مراسا ولا أعظم اقتدارا ولا أجلد صبرا ولا أسنا جنايا ولا أسما علما ولا أفخر ولا أشد حكما ولا أشرف عند الأنساب ولا أقوى عند الطعان والضراب من بنى كلاب السادات الأنجاب لأن فيهم الكرم الشائع وهم أصحاب الوقائع وليوث المعامع ولهم الجفان والجوابى وتقصدهم العرب من السهول والروابى ومع هذه الصفة الكاملة لم يكن الملك فيهم ولا الامارة إليهم بل كانت لبنى سليم من قبل مروان بن الهيثم لأن بنى أمية وليت فى ذلك الزمان وكانت بنى كلاب تفتخر باطعام الطعام واقتناص الأبطال وإجابة السؤال وبذل الأموال وكانت بنى سليم تفتخر بكثرة أموالها وكون الامارة فيها وقد حكمت على سائر العربان فى جميع البلدان وانهم ملوك العربان وكان المقدم على بنى كلاب رجل يقال له جندبة بن الحارث الكلابى وكان طويل الباع عزيز الاتساع والقراع وكان أميرا متواضعا للفقراء والمساكين وهو الذى مدح نفسه بهذه الأبيات :

ربى عطانى من الرأى أصوبه　　إذا صح المال لمن يطلبه
البخل عار لا يزيد مكسبه　　لأن لى يوم القيامة مرتبة
ان الذى فاخرونى كذبه　　ما الفخر أن يجمع عندى ذهبه
وإنما الفخر لعبد وهبه　　وحق من أنزل فينا كتبه
على نبى صادق انتخبه　　محمد ذاك الشريف المرتبة
ان بنى سليم قوم كذبه　　وما لهم على بنى كلاب منقبه

(قال الراوى) وكان الملك فى بنى سليم لرجل يقال له مروان بن الهيثم وكان له رأى صائب وذكر ثاقب ومكارم ومناقب وقباب ومضارب وخيول وجنائب وكان ملكا عظيما وجوادا كريما رفيع الجناب مشهور عند سائر الأعراب صاحب جاه منيع وجناب رفيع وكان توقيع أمارته على العرب من طرف آل مروان والأمير جندبة ما أخذ امارته إلا بالسيف وكذلك أبيه الحارث والد الأمير جندبة ولجندبة هذا منشأ عجيب يحير عقل الواله اللبيب لكن بعد الصلاة على النبى الحبيب الذى من صلى عليه ما يخيب وكذلك كان أبوه الحارث شجاع من الشجعان وفارس من الفرسان لا يخاف من سطوة الاقبال ولا يخشى الأسود من الدحال وكان ظهوره فى أيام عبد الملك بن مروان وكان مستقره فى أرض اليمن وكان دأبه الهرب لا يأوى مكان ولا يسكن تحت جدران بل يسكن الأودية والقفار والبرارى والأوعار وكان صاحب غارات على أحياء العرب ممن دنى منه ومن قرب وكان له زوجة اسمها الرباب

وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكان الحارث قد أغار على بعض أحياء العرب فمسك أبطالهم ونهب أموالهم ونساءهم فرأى بينهم صبية فأعجبته وكان اسمها الرباب فأخذها خطيفة واختارها لنفسه وقد هام بحبها فتعلق أبوها بها وبكى فقال الحارث للرجل مايبكيك أيها الشيخ فقال له أبكى إلى أخذك ابنتى بالقهر ولولا أخذك لها بالغصب ما بكيت وان كان لك فيها غرض خذها بالحلال أفضل لك على سنة الله ورسوله لكان ذلك أحسن وتغتنم الأجر والثواب والباغى له مصرع فلماسمع الحارث ذلك الكلام أطلق الشيخ وابنته وأهل قبيلته وساق إلى أبيها ألف ناقة وألف دينار ذهب وقال خذ هذا يا عماه مهر ابنتك فأحضر أبوها مشايخ قبيلته من وقته وساعته وزوجه بها فدخل بها الحارث ومضى بها فى البر الأقفر فقضى الأمر المقدر أنها حملت منه فلما تكامل حملها وبان ثقلها فنامت ذات ليلة من الليالى فرأت فى منامها ولذيذ أحلامها كأنها فى صحرة من الصحرات وحولها فسيح البرارى المقفرات وانها تقدمت إلى تل عالى وقدانكشف ذيلها وخرج من تحتها نار متأججة ولها ألوان متوهجة فخرجت إلى الأرض فحرقت جميع ما عليها ما بعد منها وماقرب ثم بعد ذلك استدارت واستنارت فانتبهت فزعانة مرعوبة فقال لها الحارث مالى أراكى منزعجة الخاطر فقالت له من أمر رأيته وهول عاينته وذكرت له المنام من أوله إلى آخره فقال لها فى غداة غد أمضى إلى كاهن من كهنة العرب وآتيك برجل خبير تفسرى عليه المنام وتنظرى ما يأتى به من الكلام (قال الراوى) فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ونصلى على محمد سيد الملاح خرج الحارث من داره يريد كاهنا من الكهان يفسر عليه المنام وإذا بوفد قد أقبل ومعهم شيخ كبير والقوم يشيرون إليه بالتوقير فتقدم الحارث اليهم وسلم عليهم فردوا عليه السلام وتلقوه بالتحية والاكرام لأجل ماعاينوا على أعطافه من الشجاعة والقوة والبراعة وقالوا له هل لك من حاجة فتقضى أو ملمة فتمضى فقال لهم الحارث أيتها السادة لى حاجة إليكم أطلب قضاها وقد خرجت فى طلبها فرأيتكم تشيرون إلى ذلك الشيخ بالتعظيم فعرفت أنه فاهم عظيم حكيم (قال الراوى) فأقبل الحارث اليه وصافحه بالسلام ثم انه قص عليه المنام الذى رأته زوجته وجلس يسمع ما يبديه له من حكمته فقال الشيخ للحارث انى أرى أمرك عجيب وسوف يكون حديثك أمر غريب فان وافق الزجر وصدق الأمر فانى أرى فى الأمم السالفة عن الكتب الذى نقلوها الأمم العارفة أن هذه المرأة تلد مولود له شأن وأى شأن ولم يكن مثله فى هذا الزمان ويخرج من صلبه ولد عظيم أعظم منه وأدين منه وأتقى وأحسن

إلا خوفى على والدته من الموت عند ظهوره إلى دار الدنيا والسلام (قال الراوى) لما سمع الحارث مقال الشيخ فرح واستبشر وقال بعد أن يعيش هو ويبقى فانى وأمه قد رأينا كثير والموت على القنى والفقير ثم ان الحارث أخذ الشيخ وأتى به إلى حلته ودخل به على زوجته وأسمعها خطابه وحكمته وأمرها أن تقص عليه مارأت فأشارت إليه تقول هذه الأبيات :

ألا يا شيخ والبيت الحرام ... وحق منا وزمزم والمقام
رأيت مناما يا هذا عجيب ... فاصغ لقولى وفسر لى منامى
رأيت أنى فى صحرا عظيمة ... وبر فسيح حولى والآكام
وتحتى تل عالى من رمال ... وذيلى قد انكشف والدمع هامى
ومن فرجى خرج للبر نار ... لها لهب وقد زادت ضرام
لها ألوان غالبها سواد ... قد انتشرت فأحرقت الخيام
وأحرقت القبائل والمنازل ... ودارت واستنارت فى الظلام
فانتبهت مرعوبة حزينة ... وهذا ما جرى لى فى المنام

(قال نجد بن هشام) فأجابها الشيخ يفسر لها منامها على عروض شعرها وهو يقول هذه الأبيات :

أخبركى بتعبير المنام ... وما شفتيه فى جنح الظلام
يجى مولود منكى كثير حرب ... له ذكر يدوم على الدوام
ويطلع فارسا بطلا شجاعا ... يثير الحرب فى جمع الأنام
ويربى يتيما بغير أب ... ولا أم ويطلع بحر طامى
ويأتى منه صنديدا مهابا ... لأهل الكفر يضرب بالحسام
وهذا دل عندى فى علومى ... شرحته لكى بتفسير المنام

(قال الراوى) فقال له الحارث يا دهقان من حيث بشرتنا بأن يأتينا هذا المولود السعيد ونسلنا يزيد فما علينا من أنفسنا ان متنا أوعشنا ثم ان الحارث أنعم على الشيخ الدهقان نعمة عظيمة جزيلة وأيضاً زوجته أخلعت عليه خلعة سنيه ويكون فى أوله هذا ما كتبه الحارث بن عامر بن خالد بن صعصعة بن كلاب وهو لاحق بنسبه وكتب الشيخ ماقالت له عليه وطواه وجعله فى قصبة من الفضة وسلمه إلى الرباب وقال لها إذا وضعتى هذا المولود فعلقيه عليه فأحسنت اليه وراح الى حال سبيله (قال الراوى) ولم يلبث الحارث بعد ذلك إلا أيام قلائل ثم مرض مرض الموت فلم يمض عليه إلا شىء يسير حتى مات وقضى

نحبه ولحق بربه وكان للحارث ابنة عم اسمها (حسنا) وكان الحارث يحبها فلما أخذ الرباب عليها النهى عنها بها فلما مات الحارث كانت ابنة حسنا حاملا منه نخافت على نفسها من الأعداء فارتحلت من تلك الحلة إلى حلة غيرها وأقامت بها وكانت العرب على أيام الحارث تخاف من شره وعظيم شجاعته (قال الراوى) وكانت العرب فى ذلك الزمان بين قاتل ومقتول وناكل ومنكول وكانث العرب تعظم الحارث لأجل شجاعته وقوته وبراعته لأنه قهر العربان وأباد الشجعان ودخلت تحت حكمه واطاعته منهم قبائل كثيرة فلما مات اختلفوا من بعده العرب وفرح أكثرهم بموته وقد أرادوا قبائل العربان أن يشنوا الغارات على حيه وأهله وحريمه وعائلته وينهبوا أمواله ويهتكوا عياله فلما نظرت الرباب إلى ذلك الهوان بعد العز وعظيم الشأن وكانت عند موته قد حزنت عليه حزنا طويلا وبكت بكاء شديدا وتذكرت الحارث وطيب تلك الأوقات وشجاعته ورأت أن العرب قداشتوروا على سلبها ونهب أموالها وكل واحد قد طلبها فتذكرت الحارث وبكت عليه بكاء شديد ما عليه من مزيد وأنشدت تقول هذه الأبيات :

لقد طوقتنى نائبات النوائب ... لفقد خليلا كان عزى وصاحبى
بلغت به والله أعلا المراتب ... ونلت به فى الدهر كل المآرب
سلامى على الدنيا الدنية بعده ... لقد أقفرت بيتاً كثير المواهب
أيا حارثا ما كان حل فراقنا ... وعربان حيك استقلوا بجانبى
ومنك أنا حامل وما منهم أحد ... حفظ لك وداً واجب
فيارب ابعث لى صديقاً يودنى ... إلى عند أهلى عاجلا وقرايبى
عليك سلام الله ربى دائما ... ورحمته ياابن الثراة الأطايب
فيارب ارحمه بجاه محمدا ... نبى الهدى من نسل قوم أطايب

(قال الراوى) ثم انها دعت بغلام لها بعد مااختلط الظلام ونامت عيون الأنام وتجلى الملك العلام وكانت عبيدها لما نظرت الى الحارث قد مات أخذ كل واحد منهم جارية من الجوار وطلب القفار خوفا من الفتن والشر فأقبلت على غلامها وكان اسمه سلام وكان قدتربى عندها فى العز والانعام وكانت العبيد كلها هربوا الجوار والنياق والأغنام ومافضل عندها منهم غير هذا العبد سلام وما أقعده عندها إلا المحبة لها وعشقه فيها فقالت له ياسلام عند ما دخل الظلام أفيك شىء من الخير فقال لها وماتريدى من الخير فان الخير كله عندى وفىّ الخير يابنت الكرام فقالت له تأخذنى وتسيرتحت الليل حتى

لايلحقنا شيء من الخيل وتوصلنى الى حلتى وقومى وأهلى أو إلى بعض أحياء العرب نلتجئ إليهم ونسير مختفين ومتنكرين فانى أخشى على روحى من الطلب وأخاف أن أذل بعد العز وأنت تعلم أن مولاك الحارث كيف كان يكره العرب وأنا قد أصبحت فريدة وأخاف أن أغصب على مالا أريد ويشفى فى القريب والبعيد وان الذى قد عزمت عليه من الهرب هو الرأى السديد والله لا خوفى لاعلى مال ولا على رجال ولا خوفى إلا واحد من ملوك العرب يغصبنى على نفسى ويريد منى ماتريد الرجال من النساء وأنا أحلف بالله الواحد القهار والملك الجبار لارجعت أطاوع أحداً من الرجال لامن الأخيار ولامن الأشرار فقال ياستاه الأمر إليك وأنا لك وبين يديك ثم انه ركب وركبت وساروا تحت الليل وتركوا أكثر الأموال فلما خرج بها من الحى عرج عن الطريق وهى لاتعلم وقصد بها قرب حى من أحياء العرب وكان أمير ذاك الحى يقال له دارم فلما قرب بها من الحى عرج عن الطريق وقد حدثته نفسه بوصالها لما رأى حسنها وجمالها وقد وسوس له الشيطان أن يفعل بها القبيح فى تلك الساعة فراودها عن نفسها وطلب منها ما تطلب الرجال من النساء فقالت له ويلك ياعبد يازنيم اترك عنك هذا الفعل الذميم واستعذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم واحفظ التربية والعيش والملح ولاتهتك سترى ولا تضيع بين العرب قدرى وتتركنى عار فقال لها العبد والله لابد لى من ذلك لأننى فى محبتك هالك . فصرخت عليه وقالت له ياويلك ياأخس العبيد أنا مارضيت بالرجال الصناديد نكاحاً فكيف أرضى بالعبيد سفاحاً وإنى قد خشيت على نفسى من هذا الأمر نكاحاً فكيف يكون سفاحاً فقال لها لابد لى منك وقد زين له الشيطان وجه المحال فصاحت عليه وقالت له : تنح عنى فانك لن تنال منى ماتريد ثم إن الرباب أنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات صلوا على سيدنا محمد صاحب المعجزات :

أيا سلام دعنى قد كفانى ... أنا بنت الموائد والجفان
أنا سلام دعنى قد كفانى ... جميع ماقد جرى ياابن الزوانى
عن الفحشاء ربى قد نهانى ... وحق البيت والركن اليمانى
بعين النقص يانذل ترانى ... أما تخشى إلهك أن يرانى
ائن لم تعرض عنى فى أمانى ... لأصرخ طاقتى وقوى جنانى
وأجلب لك من قاصى ودانى ... ولو قطعت بالعضب اليمانى
لما خليت مخلوق يطانى ... فكيف العبد من نسل الزوانى

تخون العيش ياعبد زنيم بلاك الله بنكبات الزمان
تأخر ياردى الأصل عنى واحذر أن تكن منى مدانى
لأنى عارفة بأبى وجدى وعمرى غير بعلى ماوطانى
فلا تركب طريق البغى تضحى قتيلا ثم تبلى بالهوان
فخلى عنك وصلى يازنيم واعرف عفتى وارعى مكانى
فلو استجمعوا الثقلين جمعا وجاءونى بنى عبد المدان
يريدوا الوصل منى لم ينالوا ولوقطعت بالسيوف اليمانى
أنا بين النساء سترت عرضى ونحمى صار أعلا الفرقدان
أنا بين النساء أصون نفسى وسميت المصونة فى زمانى

(قال الراوى) فلما سمع العبد سلام مقالها ومانطقت به من نظامها أجابها على عروض شعرها يقول هذه الأبيات :

دعينى يا رباب فقد كفانى هواك زادنى فيما أعانى
فجسمى ناحل والعقل فانى وطرفك بالصبابة قد سبانى
فلو صحتى بأهل المشرقان وأحموك بنى عبد المدان
بطعن الرمح مع ضرب اليمانى وأبلغ منك قصدى فى أمانى
أقلى عنك شقشقة اللسان وكونى اقبلى نصحى عيانى
وجودى يارباب وواصلينى فان العشق فيك قد ضنانى
ولى عدة سنين وعشقك فى سويد القلب قد كوانى
وما صدقت أن أجتمع بك ويخلى البر لى فى ذا المكان
صفا وقتى وصار الحب عندى ونلت القصد منك فى زمانى
وأنا أقسم وحق الله ربى وبالفرقان والسبع المثانى
لو جاءوا لى الثقلين جمعا يردونى عن الوصل المدانى
فعنك لم أحول ولست أرجع حتى أنظر سوادى منك دانى

(قال الراوى) ثم إنها بكت وقالت له ويلك وبلغ من قدرك أن تخاطبنى بهذا الخطاب ارجع عن هذا واذكر التربية فقال لها العبد لا تطيلى الخطاب والعتاب ثم إنه تقدم عليها ومد يده اليها وأراد الوثبه عليها ودفعها بين ثدييها راحت على ظهرها وأراد أن يركب على صدرها فمن شدة الدفعه وماحقها من الفجعة دفق عليها الدم ولحقها الطلق باذن خالق الخلق فلما رأى العبد منها ذلك تأخر عنها وقال ماهذا الدم

الذى دفق عليكى فقالت له أما علمت أنى حامل من مولاك الحارث ومن شدة مادفعتنى هرق على الدم وانفتح ظهرى فلما سمع سلام منها ذلك الكلام أخذها وجرجرها حتى أتى بها إلى نهر ماء كان هناك وقال لها اغتسلى من ذلك الدم واقطعى فرطه وبعدذلك واصلينى ثم إن العبد أبعد عنها وصار يفكر فى ذلك الأمر وأما الرباب فانها لما جلست بجانب النهر وهى تبكى فقوى الطلق عليها فتمخضت وتوجعت وتمنت الموت من شدة ما عاينت ومن بعد ساعه وضعت ولدا ذكرا كأنه فلقة قمر وله ذكر يذكر فقطعت سرته ولفته فى قطعة من ازارها وقد قمطته بخمارها ثم إنها بعد ذلك علقت عليه القصبة الفضة التى فيها الورقة المكتوبة بخط الشيخ الدهقان بحسبه ونسبه ومن أى العرب قومه وأهله ثم إنها أخذته فى حجرها وألقمته ثديها ففتح عينيه وصارت تنظر اليه ثم قالت له أين عينين أبيك الحارث ينظر اليك ولكن هذا حكم الرب القديم قد كتب وتسطر عليك (قال محمد بن هشام) فهذا ماكان من الرباب وما جرى لها من الأسباب وأما ماكان من العبد سلام المرتاب فانه أقام ينتظر مولاته أن تعود اليه بعد أن تغتسل من ذلك الدم ليقضى منها وطرا فطال عليه الانتظار وهو يقول والله ياسلام لقد بلغت ماكنت تتمناه وقد سمح لك الزمان بوصلها وبالقرب منها ولما أن طال به المطال أتى اليها لينظر ما الذى أشغلها عنه إلا أنه لما أن قرب منها فرأى فى حجرها طفل صغير وهى ترضعه فقال لها ايش هذا الذى ترضعيه وهو فى حجرك فقالت له اعلم ياسلام أن هذا ولد سيدك الحارث الذى كان فى بطنى وضعته فقال لها وقد أيس من وصالها ومن قال لك توضعيه فى هذا الوقت وأنا منتظر وصلك ولم لا صبرتى حتى فرغت حاجتى فقالت له ان هذا الأمر ماهو بخاطرى فقال لها تكذبى بل أنت فعلتى هذا بخاطرك فقالت له وكيف ذلك فقال لها ان هذا الرجل الذى خلفك يقول أنك عصرت بطنك وأنزلتيه بالغصب فقالت له انه يكذب لأن هذه قدرة باهرة وتعجز عنها جميع البشر فقال لها ما يكذب إلا أنت لأنك مافعلت هذا الا حتى لا أقربك ولا أتمتع بك ولا أنال منك غرض وان الرجل ما يكذب وما هو إلا صادق فقالت له وأين الرجل فقال لها ها هو خلفك فالتفتت الرباب لتنظر إلى ذلك الرجل حتى توبخه وقد ظنت أن قوله حق فما تركها العبد سلام تلتفت حتى أنه جذب الحسام وضربها على الهام طير رأسها إلى قدام فوقعت إلى الأرض على جنبها والولد فى حضنها والثدى فى فمه ولما أن قتلت أخذ العبد ما كان معها من المال وتركها مرميه على الرمال وسار فى تلك البرارى والقفار وقد نجا بنفسه وقد

أتى إلى بعض الجبال والأماكن وأقام إلى أن يأتى ذكره فى مكانه إن شاء الله تعالى إذا انتشا ذلك المولود (قال الراوى) فهذا ما كان من العبد والرباب وما جرى لهما وأما ما كان من ذلك المكان الذى ماتت فيه الرباب فهو بقرب وادى ولذلك الوادى أمير يقال له الأمير دارم وأنه كان بالقضاء المقدر والأمر المدبر أن زوجة الامير دارم صاحب تلك الحله كانت حامل فوضعت فى تلك الأيام ولد ومات فدفن فصعب ذلك على الامير دارم وقد حزن عليه وأصبح الأمير دارم فى أشد ما يكون من الاحتراق ولم يجد شيئاً يفرج به كربه فأشاروا عليه أهل الحلة أن يخرج الى البر والفضا وأن يتسلا بالصيد المقنص لينفرج ما بقلبه من الهم والغم والنغص ولما سمع قول بنى عمه خرج يفرج ما به من همه ويكشف عنه غمه فساروا معه جماعة من بنى عمه وبعض عشيرته وسار قليل فنفرت منه اعانة من الوحش كانوا مجتمعين فى ذلك المكان فلما نظروا الى الفرسان تفرقوا فى الوديان فجد الأمير دارم خلف فرقة منهم فى الطلب ولم يزل خلفهم سائر وهم قدامه هاربين حتى ساقه القضا والقدر الى ذلك الغدير فوجد الرباب وهى فى تلك البرية ملقحه مرميه وهى مقتوله وذلك المولود نائم جنبها وهو مثل القمر وهو يرضع من ثديها وكان الحر قد هجر فأرسل الله الى ذلك الغلام طير يسمى الجندب فجعل يظلل على الصغير من ذلك الحر والهجير فلما أن رأى الأمير دارم الى ذلك التفت الى بعض من كان معه من مشايخ الحلة وقال له يا ابن العم أنظر الى هذه الصبيه المقتولة وانظر الى هذا الصغير الذى هو فى جنبها وذلك الطير يظلله وأمه ترضعه وهى مقتولة فوحق ذمة العرب ان لم تكشف لى عن خبر هذه الصبيه وسبب قتلها والا رميت رأسك مثلها فقال له الشيخ وكان وزيره ومدبر أمره ومشيره يا ملك ما يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى هو أنا كنت معها لما قتلت أو كان لى بها معرفه لكن زم لى وأنا أخبرك بما جرى لها على التخمين فقال له الملك أعطيتك الزمام فقل ما أنت قائل من المقال حتى أسمع ما تقول فقال له الوزير حيث أنك قد أعطيتنى الزمام اسمع منى الكلام يا ملك أقول والله أعلم أن هذه بنت ملك من ملوك العرب الثقال فكبرت عنده فطلبها ملك أو أمير ما رضى به أن يزوجها له فكبرت الى أن بلغت هذا العمر فأرميت عينها على أحد من بعض خدمهم فاختلى بها وقد أزال بكارتها فعلقت منه بهذا الغلام فعلموا بها أهلها وقد شاع خبرها فأخذوها وقد أتوا بها الى هذا المكان وقتلوها لما أن وضعته وتركوه بجنبها ومضوا عنها وخلوها ملقحه كما ترى وهذا ما عندى وما دخل فى ذهنى وهو على غالب ظنى والسلام (قال الراوى) فلما

سمع الأمير دارم من وزيره ذلك المقال قال له ياكاب العرب ايش هذا الكلام أيقال فى حق مثل هذه ذلك المقال فوالله لولا أننى أعطيتك الزمام لوشحتك بهذا الحسام يا ويلك لو كانت زنت به ماكانت نائمه ترضعه وهى قتيلة ميته وما كان الله قيض له هذا الطير يظلله لكن يا هذا اسمع منى ما أقول ثم ان الامير دارم أشار الى وزيره يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

جل ربى خالق جميع الصفات منزل الغيث يسق جميع النبات
واحد ماجد تقدس عزا عن سمات الخلائق المحدثات
خلق الخلق باعث الرزق حقاً ويميت الاحيا ومحى الرفات
منزل الحمل فى بطون الاناثى ومصور صبيانها والبنات
يا ترى من رماكى بالقتل عمداً وبسيفه سقاكى الحسرات
ليت شعرى هل بليتى بعار أو رماكى الزمان بالنكبات
أوعضبتى لفاحشة ما رضيتى حتى صرتى قتيلة الفلوات
سيمتك سيمة الملوك وعندى صح أنك من النساء الخيرات
لولا أنك من النساء الحرائر ما رضعتى الغلام بعد المهات
أسأل الله أن يحازيه بفعله ويلقيه أيشم النائبات
وأسأل الله أن يكن فيه خيراً يأخذ الثار من جميع العداة

(قال الراوى) ولما فرغ الأمير دارم من شعره قال له الوزير والله لقد صدقت يا ملك الزمان وما قصرت فيما نطقت به من الكلام الصحيح وأنت يا ملك بالامس أتاك ولد وتوفى الى رحمة الله فخذ هذا الطفل واجعله عوضه لانه ولد غالى ثم ان الوزير أشار يرد على الامير دارم بهذه الابيات يقول

يا مليكا علا على السادات وسمى دارما له سطوات
تفعل الخير فادفن لهذى الصبيه واجعلها فى أوسع الحفرات
كان لك فى الديار طفل صغير فتوفى وأذقك الحسرات
اجعلوا ذا الغلام هذا مكانه يرضعوه نساءك الخيرات
ونسميه جندبه كون انه قد ظللته طيورها الطائرات
ونصلى على النبى محمد خاتم الرسل سيد السادات
وكذا الآل والصحابة جمعاً هم أهل التقى وأهل الصلاة

(قال الراوى) ولما فرغ الوزير صالح من نشيده هذه الأسعار أتوا إلى جانب النهر

ونزلوا ثم أن الأمير دارم أرسل الى الديار بعض الرجال وأمره أن يأتى بغاسله وايزار فصار الرجل وما غاب غير قليل وعاد ومعه الغاسلة والكفن والحنوط وجميع ما يحتاج اليه الميت ولما أن حضرت الغاسلة أرسل الأمير فأتوا بخيمه فنصبوها بجانب النهر وأدخلوا فيها تلك الصبيه المقتوله وتقدمت الغاسلة وكانت قد أتت معها امرأتين ليعينوها على غسل الميته فغسلوها وأحسنوا غسلها ولما فرغوا من الغسل أدرجوها فى الأكفان وكان الأمير دارم أمر بحفر قبر لحفروا لها الرجال قبرا واسعاً ولما انقضى شغلها قام الامير دارم توضأ هو والرجال الذين معه من ذلك النهر وصلوا عليها ولما أن فرغوا من الصلاة قلع الامير دارم أثوابه ونزل إلى القبر بنفسه ولحدها بيده وطلع وقد واراها التراب ولما أن فرغوا منها سارت كمن له سنين وأيام رحمة الله عليها وعلى أموات المسلمين (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر الصبيه وما جرى لها وأما ما كان من أمر الامير دارم فانه لما فرغ من ذلك أخذ المولود وسار به إلى الديار ولما أن وصل الى الحى دخل إلى أبياته فلقيته زوجته الأميرة حسنا وقد سالته عن أمر الغاسلة وما هو السبب فى أخذها وما الذى رأيته فى البر فاعاد عليها القصة من أولها إلى آخرها فقالت له وأين الغلام الذى كان معها وأين الصيد الذى أتيت به من صيد الوحوش فقال لها يا بنت العم اعلمى أنى قد خرجت أن أتصيد لك وحش بر فجئت لك بتحفه وهو من الانس ثم انه مد يده اليها وقد أعطاها الطفل وأعطاها الحرز الذى كان عليه وقال لها خذى هذا الحرز وعلقيه على رأسه فاخذته منه وعلقته على رأس المولود وتوكلت فى أمره على الملك الودود وقال لها زوجها الامير دارم احسب أن هذا ولدك الذى ولدتيه ومات فربيه فلعل أن ينالنا منه الاجر والثواب فعارضتها عجوز وكان اسمها شوم الزمان وقالت لها أعيذك بالرحيم الرحمن كيف انك تربى من لا تعرفى له أصل ولا أم ولا أب فلعله يكون من أولاد العواهر وما زالت معها حتى نفرتها منه ولما حصل لها ذلك صبرت حتى دخل عليها زوجها من داخل الخبا بعد أن انفض من مجلسه مع رجاله فاخبرته وقالت له كيف نربى أولاد العواهر ولا تساعدنا على ذلك أهل المفاخر فقال لها اسمعى منى وربيه ثم أشار اليها يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

أيا ابنة عمى اقصرى ذا التفكرى ... ومن قول شر الناس كونى تحاذرى
فما أم ذا المولود إلا أميرة ... وبنت أمير نسل قوم أكابر
فلو كانت أمه قد أتت به من الزنا ... لما حن الرحمن لها وحش نافرى

وأمه ترضعه وطير يظلله ... وأن جميع هـذا بقدرة قادر
وحر زجد المولود مرمى بجنبه ... ذخيرة ويصلح للملوك الأكابر
فمنى خذى مالا جزيلا وأرضعى ... فما خيب الرحمن من كان صابر
ومن يفعل الخيرات يجزى ثوابها ... بجنات عدن يوم تبلى السرائر

(قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير دارم من نشيد تلك الأبيات قال لها ياأميرة حسنا خذى لك منى فى كل شهر عشر دنانير ذهب ففرحت بهذا المقال وقد أخذته بقبول وربته تربية عالية وقالت له ما نسميه فقال لها جندبه لأنى قد وجدت عندرأسه جندبه فأخذت الولد فى حجرها وألقمته ثديها فشرب حتى روى وألقى الله تعالى محبته فى قلبها وفى قلب الأمير دارم وتربى فى الأحضان وحجور الجوار إلى أن انتشى وترعرع ومشى وما زال به أيام وشهور وسنين إلى أن بقى له من العمر سبع سنين وودوه الكتاب فقرأ وعاد وقد بلغ حده فركب الخيل وخاض الليل وتعلم الفروسية وصار يقاوم سائر الأبطال الذين فى الحلة ويعمل معهم سائر الأعمال ومازال كذلك إلى أن بقى من الفرسان الثقال وقد طلع فارسا لايطاق وعلقما مر المذاق ولا بقى له ثانى فى الحلة وصار آفة من الآفات وبلية من البليات (ياساده) فهذا ما كان من جندبه وتربيته . وأما ماكان من الأمير دارم فانه خرج فى بعض الأيام الى الكسب والمعاش كما جرت عادة العربان ومعه جماعة من الفرسان فوقع فى أرض امرأة يقال لها الشمطا بنت الملك الضحاك وكانت من الشجعان وتعد من الأقران وتخاف منها الأبطال فى حومة الميدان وتحسب حسابها الرجال والفرسان وكان لها مواشى كثيرة ونعم غزيرة ولما أن خرج الأمير دارم من حيه فلم يقع بالأمر المقدر إلا فى الحى الذى للشمطا فساق مالها وهو لايعلم بحالها وكان معه مائة فارس من قومه ولما أن ساق المال انقام عليه النفير وقد أعلموا الشمطا بذاك الأمر الخطير فركبت وسارت اليه ولما أن قربت منه حملت عليه وعلى من معه من الفرسان فقتلت منهم البعض وبعدها قصدته مثل اللبوة الطلوب أو الماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب وحملت عليه فلما رآها الأمير دارم عرفها وعلم أن ما بقى له مناص فالتقاها إلا أنها منعته وجادلته وراوغته وقاتلته القتال الشديد وطعنته بعقب الرمح أقلبته على وجه الأرض ونزلت إليه كتفته بفاضل عمامته وضربت جواده فخرج إلى الفضاء وهربت باقى رجاله من بين يديها وعادوا راجعين إلى الديار وهم ينادون بالويل والطهار وكان للأمير درام عبد فلما أسر مولاه أخذ الحصان وهو شارد فى البر وعاد به إلى الحى وكانوا أهل الحى قد علموا من

من المنهزمين فارتج الحى فلما أقبل العبد وأعلمهم بأسر مولاه الأمير دارم وصح الخبر وكان له عشرة أولاد ذكور أبطال شداد ولهم بصيرة فى الحرب ومواقع الطعن والضرب فقالوا لهم قومهم كيف العمل فى هذه النوبة العظيمة مع هذه النذله اللئيمه وكيف يكون خلاص الأمير دارم من يدها فقالوا أولاده نحن بذلك أخبر وبأخذ ثارنا أبصر وكان جندبه فى تلك الأيام غائب عن الحى فى الجبال وفى المراعى ثم ان أولاده العشرة لبسوا دروعهم وركبوا على خيولهم واعتقلوا برماحهم وخرجوا من حيهم وصاروا إلى الشمطا مبادرين ولحماها قاصدين ولحربها ناوين ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى حماها ولما رأتهم ثارت كأنها اللبوة المصممة وكانت لا تطاق مرة المذاق بعيدة اللحاق فلما عرفت أولاد الأمير دارم لبست لامة حربها وخرجت كأنها اللبوة إذا حامت على شبلها (قال الراوى) ثم أنها جردت الرمح وهى مثل النمر الحردان والأسد الغضبان إلى أن صارت فى وسط الميدان ونادت يا أولاد الأمير دارم ها أنا قد خرجت إليكم فانصفونى فى الميدان ودونكم والضرب والطعان فعند ذلك برز اليها الولد الأكبر وهو مثل الأسد الغضنفر وسار إلى أن قاربها فى الميدان وأنشد يقول هذه الأبيات الحسان صلوا على سيد ولد عدنان :

أيا شمطا دونك والقتال ... ولا تبغى لغيرى فى القتال
أنا الليث الهمام بغير سيف ... أصيد الأسد من وسط الدحال
سأفدى والدى بالرمح قهرا ... وآخذه ولا أعطيك مال
فدونك فارسا بطلا شجاعا ... ولا يخشى الملمات الثقال
ومن لا يرهب الأبطال حقا ... فكيف يخاف ربات الحجال

(قال الراوى) فلما سمعت الشمطا شعره لم تكترث به وردت عليه لا كلام ولا خطاب بل أجابته وهى تقول :

لقد عللت نفسى بالمحال ... وقول الزور يا نذل الرجال
أيرحم والدك حىّ ويسلم ... وقد أوثقته شداً بالحبال
أنا الشمطاء تخاف الأسد منى ... ولا أخشى الملمات الثقال
ولى عزم أخوض به المنايا ... ولا أخشى التكاثر فى المجال
ستلقى اليوم منى كل سوء ... وتعرف قدر ربات الحجال

(قال الراوى) ثم حملت عليه وقومت سنانها اليه وضايقته وخدعته وقالت له رجعتم إلى الغدر والمكر فالله يرزقنى عليكم النصر فلما سمع الغلام كلامها ظن أن بعض

أخوته قد حملا يساعده عليها فالتفت إلى نحوه فاغتنمت الغفلة منه وأدركته وهو فى دهشة ومدت يدها اليه وأخذته أسير وبطرف عمامته ربطته ذليل حقير فلما رأوا أخوته ذلك لم يعطوا تهاون ولا صبر وأرادوا أن يحملوها وإذا بأربعين عبد قد أقبلوا اليها مثل الجان فقالوا لبعضهم ان نحن حملنا عليها حملت علينا العبيد وما ننال منها ان ما نريد ثم أن أخاهم الثانى حمل عليها فلم يدور معها غير دورة واحدة حتى أخذته وإلى أخيه أقرنته وحملت على بقيتهم فأسرتهم واحد بعد واحد وجعلتهم فى الأصفاد (قال الراوى) وأتى الخبر إلى أمهم فصاحت وولولت و بكت وعددت وصاحت فى أهل الحى فلم يجيبها أحد الى قتال الشمطا فداومت البكاء والعويل الى أن أحرمت أهل الحى المنام ولما أن رأت أن لم أحد أنجدها منهم وكان جندبه غائب عن الحى وقد كبر وانتشا وبلغ مبالغ الرجال فأنشدت تقول لما ضاق عليها الحال هذه الأبيات :

دموعى على خدى قبل التمائم ... على أسر أولادى هم أولاد دارم
فلا كانت الشمطا ولا كان حبها ... كما أفجعتنى فى ليوث دراغم
أبيهم سرى من قبلهم نحو حيها ... فصار أسيراً عندها وهو عادم
فصاروا اليه يبتغون خلاصه ... فكادتهموا بالغدر والله عالم
فهل مخبر عنهم وهل من مبشر ... يفرج عنى كل هول ملازمى
أيا ضعف قلبى ياعمى نور ناظرى ... إذا لم أراهم راجعين قوادم
وأنظر أولادى يجوا نحو حيهم ... كذا دارم يأتى كذلك سالم
إذا لم يعودوا راجعين الى الحمى ... فأنا لا يلمنى فى بكايا لائمى

(قال الراوى) فلما فرغت الأميرة (حسنا) من نشيد هذه الأبيات قال وكان الامير جندبه كما قدمنا غائب عن الحى فى المراعى وقد كبر وانتشى وبلغ مبالغ الرجال وإذا به قد أقبل من المرعى وكان يقيم فى الفلا الشهو والشهرين ولا يحضر فى الحى إلا فى بعض الأحيان فلما حضر ورأى أمه الأميره حسنا التى قد ربته على تلك الحالة وسمع منها ذلك الإنشاد والتعديد والبكى فانزعج وسألها عن هذا الحال الذى هى فيه فأخبرته بأمر أبيه واخوته وقعود أهل الحى عن نصرته ولما سمع جندبه من أمه ذلك الخبر قال وذمة العرب لاسار اليها غيرى ولايخلص أبى واخوتى سواى فقالت له اعلم يابنى إن العجوزلايصلى لها بنار ولا يضام لها جار ثم زجرته فلم ينزجر وردته فلم يرتد وأجابها على عروض شعرها يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

وحـق إله دائم الملك دائم ... إله بأسرار الخليقـــة عالم
وفضل النبي المصطفى أشرف الورى ... أخلص أبى منها برمحى وصارمى
وان كنت ما أحمى أبى هو واخوتى ... فما أنا يا أماه من نسل دارم
توكلت فى سيرى على رافع السماء ... سينصرنى ربى وأرجع سالم

(قال الراوى) ولما فرغ جندبه من شعره فعمد الى حصان أشقر عالى مضمر وسيف أبتر ورمح أسمر وخرج وسار الى أن وصـل الى حى الشمطا فرأته ورأت الفروسية تلوح من بين عينيه والشجاعة تشهد له لا عليه فقفزت على حصان مثل السرحان أو الكاسر من العقبان قليل لحم الخدين سالم القوائم مليح الدعائم وخرجت وهى طالبة اليه من وهى تمشى على سهل وصاحت عليه : من أنت أيها الساعى الى حتفه القادم الى منيته إن كنت ضالا أرشدناك أو ضيف أكرمناك فقال لها جندبه لا تحسبينى كمن نزل بديارك وحل به عذابك أنا رجل أحوش أجود جئت أخرب هذا الوادى وقتلك شفى فؤادى فقالت له ويلك أنا أنظر الى صغر سنك وأرحم قرب عهـدك وأنت تخاطبنى بهذا الخطاب ثم حملت عليه وأنشدت تقول هذه الأبيات :

أنا الشمطا دونك والتقينى ... وفى يوم الوغى لاتزدرينى
وارحم صغر سنك فى لقائى ... لأنى لست أرحم من يجينى
فانظر ماجرى لأبوك دارم ... بقى عندى على الغبرا رهينى
كذا أولاده فى الأسر عندى ... وليس لهم من البيدا معين
وانى اليوم جئت اليك عمدا ... وتبقى فى الوغى ملقى طعين
وإلا كمثلهم تبـقى أسيرا ... بطول الدهر مربوط اليدين

(قال الراوى) فلما سمع الأمير جندبه من الشمطا هذا الـكلام صار الضيا فى وجهه ظلام وأجابها على عروض شعرها يقول :

أيا شمطا دونك واعرفيـنى ... وفى يوم الوغى لاتزدرينى
فليس أنا كمن لقيتى ... من الأبطال فى طول السنين
قهرتى الناس ياشمطا بغـدر ... وحصنك فى الفلا حصن حصين
سأترك منك هذا الحصن خالى ... وأملكه بسيفى ذا المتين
وأعتق دارم منك وأعتق ... إلى أولاده كى تعرفيـنى
وأريح خلق الله منك جمعاً ... بعون الله رب العـالمين

(قال الراوى) ثم إنها حملت عليه وصممت بالطعنة اليه فوجدته ثابت غير

مكترث بها وقد صبر لحملها ساعة زمانية إلى أن تعالى النهار وقد حمى الحر وتوقد البر وكان تبع الشمطا أربعين فارس من قومها قد تعودوا قتال الأبطال ونهب الأموال فلما رآها جندبة حمل اليها وهجم عليها وضايقها حتى سد طرائقها وطعنها فى صدرها طلع الرمح يلمع من ظهرها فانقلبت قتيلة وفى الأرض جديلة ولما رأوا قومها إلى ذلك فحملوا على جندبة الأربعين حملة رجل واحد فتلقاهم مثل ماتلتقى الأرض العطشانه أوائل المطر وثبت لهم ثبات الأسود وصاح بهم ياويلكم ماهذا الرأى وماهذه الأعمال أما أنتم رجال أصحاب عقول وانني والله ماقتلت الشمطا إلا على شأنكم لانكم أسود وشجعان وأنتم تخدموا امرأة عجوز لاقدر لها ولا شأن وإنى مافعلت بها هذا الفعال إلا لأجل فعالها بالرجال هذه الفعال ولا تركت لاحد من الأمراء رأس تنشال وان كان قتالكم من أجل المال فوالله لم آخذ منه عقال فلما سمعوا كلامه بعد ما عاينوا فعاله نظر بعضهم إلى بعض وقالوا والله الصواب الذى قاله ثم انهم امتثلوا قوله وقالوا والله العظيم ان هذا الأمير كلامه صحيح والتمسوا عليه وقالوا له افعل ماتريد ونحن لك من جملة العبيد وسار جندبه ينخيهم بهذا المقال وهو ينشد ويقول صلوا على سيدنا محمد الرسول :

ألا يا آل حام اصغوا لقولى — وخلوا عنكمو هذا الفضول
ولا تبغوا قتالى اليوم بغيا — فيغنيكم حسامى مع دبولى
لأنكمو بنى حام بن نوح — وفرسانا على أعلا الخيول
ولا أرضى لكم بالذل يوما — تكوا تخدموا ذات الحجولى
تكونوا تحت حكم عجوز سوء — تربت تحت أذيال البعول
فعار عليكمو أن تخدموها — وأنتم كلكم أسد فحول
فريحت العباد الكل منها — وكان لها معى يوم مهول
فكونوا عصبتى يا آل حام — ترون العز دوما والقبول
وهذا الحصن موهوبا اليكم — فمنوا بالرضى ثم القبول
وكونوا فيه من قبلى وصولوا — بأطراف الدوابل والنصول

(قاو الراوى) ولما سمعوا العبيد من فصاحته ماقال وقد بان لهم شجاعته عند الحرب والقتال وقوة جنانه عند ملاقاة الأبطال فعندذلك وقفوا واشتوروا مع بعضهم البعض ساعة زمانية وبعد ذلك تقدموا اليه وقالوا له فما الذى تريد منا يافارس الخيل

فاحكم علينا حكم الموالى على العبيد فقال لهم اعلموا يابنى عمى أن المال الذى عندكم فى الحصون يكون لكم وأنا أقسمه بينكم بالسوية ولا أريد منكم سوى خلاص أبى وأخوتى والسلام (قال الراوى) فلما أن سمعوا منه ذلك العقال وعاينوا كرمه بين الرجال فترجلوا وقبلوا كلهم الأرض قدامه وقبلوا يديه وأجابوه إلى قصده ومراده وأخذوه وساروا به إلى أن وصلوا إلى حصن الشمطا ودخلوا إلى داخل الحصن وقد أحضروا له جميع ما كان للشمطا من المال فقسمه عليهم ولم يأخذ منه عقال وبعد ذلك قام الأمير جندبة إلى المكان الذى فيه الأمير دارم وخلصه مما هو فيه من الأغلال والقيود وخلص أولاده مما كانوا فيه من النكال وخرج بهم من الحصن وأركبهم على الخيول العوال ورجعوا إلى الأحياء بالمال والنوال والنوق والجمال والخلع النفيسه الغوال وما زالوا حتى التقوا بالأهل والعيال وقد شاع ذلك الخبر عن الأمير جندبة وأنه قد قتل الشمطا ورد دارم وأولاده إلى الأحيا فخرجوا إلى لقاه أهل الحى الأكابر منهم والأصاغر وسلموا عليه وخدموه وأكرموه وطلع اسمه وفشا أمره وذكره فهابته الناس وأعجبته نفسه وتكبر على أبناء جنسه وسار يركب الليل والنهار والخيل ويعلم الصبيان الكر والفر والطعان وارتفع قدره والشأن وقد مال اليه جماعة من أهل الحله وأحبوه وصار يسير ويغير وذكر فى المحافل وعند جميع الأبطال والشجعان فى القبايل لأجل ما بان له من الفعايل (قال الراوى) فهذا ما كان من الأمير جندبة وما بان منه وأما ما كان من أمر الأمير دارم فانه لما رأى من جندبة تلك الفعال ورآه قد شاع ذكره بين القبائل والأبطال لحقته من ذلك الغيرة والحسد وقد حل به الكمد وأصابه ما أمرض منه الجسد وقال والله العظيم إن هذا الولد لا بد ما يزيد أمره ويعلو شأنه وقدره ويقوى سلطانه وخطره وربما أن يملك أرضنا وديارنا وينزع الملك من أيدينا ولا يبقى لنا معه كلام وتبقى كلمته نافذة فينا ومالى إلا أن أطرده من تلك الديار أخير لنا وأقول له أطلب له مكانا فى غير هذه الأحيا ولما قوى عزمه على ذلك الحال أقبل على الأمير جندبة وقال له ياجندبه مالى أراك على هذه الصفة لما خلصتنا من الشمطا كان نفسك قد أعجبتك وعلتك علينا واحنا قد ربيناك وأنت صغير ولنا عليك الفضل والمنة والخير الكثير فقال له جندبة وما الذى رأيت منى من القبائح حتى أنك تقول لى هذا المقال ثم أنه ولى عنه وهو جردان فعند ذلك أتى دارم إلى بيته وأهله وعشيرته وكبراء أهل الحى ولما أن صاروا

عنده أعلمهم بما يريد أن يفعله ثم انه أشار اليهم بما يقول هذه الأبيات بعد الصلاة على سيد السادات .

ألا ياعزوتى وأولاد عمى ... أنا من ذا الفتى قد زاد همى
لقيته فى البرارى يوم صيد ... بيرضع أمه فازداد غمى
عليها وهى فوق الأرض ضرعى ... ومنها الجرح فوق الأرض تدمى
ولا أب له فى الناس يعرف ... فجبتوا الى الحى ملفوف مغمى
لبنت العم وقلت لها ارضعية ... سريعا أرضعته بنت عمى
ولما أن كبر فشمخ علينا ... وكبر النفس للأبصار يعمى
فلم أرضى بهـذا الفعل منه ... فلت له إذا من عظمى همى
ترحل من حمانا واجتنبنا ... فما نحتاج من للحى يحمى
وأنت لقيط ثم ردىء أصل ... ولا أنت ابنى ولا ابن عمى

(قال الراوى) ولما فرغ الأمير دارم من نشيد ذلك الشعر والنظام قال لأولاد عمه وها أنا أحضرتكم لتشيروا على بما يكون فيه الصلاح فعند ذلك أحضروا جندبة وأسمعوه ذلك الكلام فلما سمع ذلك الكلام صار الضياء فى عينه ظلام وأشار مجيبا للامير دارم على عروض شعره يقول :

أيامن للعدا بالسيف يقمى ... كلامك زاد تنكيدى وغمى
أنا كنت أعتقد أنك أبويا ... وبنت عمك الحسناء أمى
فأنطقك الإله بقول صدق ... عرفت انى لقيط فزاد همى
وحق التربية قد صار عندى ... لكم دين لتربيتى واسمى
ومن حين أن بغضتمونى دعونى ... لأترك أرضكم وإلا أكون مغمى
وأرحل فى الفلاة لحى قومى ... لهم بالسيف طول الدهر أحمى
أناس يعرفوا قدرنى ويرعوا ... حقوق الضيف للمعروف يسمى
لعلى أن أرى حسبى ونسبى ... وأعرف من أنا وأبى وأمى

(قال الراوى) ولما أن فرغ الأمير جندبه من شعره طلب من الامير دارم الرحيل والاذن فى المسير من الحى بعد أن شكره على تربيته وإحسانه اليه فقال له ارحل ولكن أريد منك حاجة أن تقضيها لى فقال جندبه وماهى الحاجة فقال نريد أن تدفع لنا هذا الحرز الذى هو على عضدك معلق حتى اننا ننقله ونعود بعد ذلك ندفعه اليك وبعد ذلك ارحل الى حال سبيلك لأننا فى غنى عنك إلا أن أهل الحى أرادوا أن

ينتفعوا بهذا الحرز لأنهم كانوا متبركين به وكانوا يضعوه على المصروع يفيق وعلى الحامل تضع وعلى المريض يشفى لوقته فقال جندبه سمعاً وطاعه ثم ان جندبه أخرج الحرز من على عضده ودفعه اليهم ومضى عنهم إلى أن ينقلوه ويعود يأخذه ولما أخذه الأميردارم منهففتحه وقرأه فوجدفيه حسبه ونسبه وقومهوعربه ولماعرفالأميردارم أنه ابن الحارث الكلابى صاح ياللعرب فاجتمعت عليه الأبطال من قومه وقالوا له : ما بالك أيها الأمير وماهو الأمر الذى جرى لنا فقال لهم يابنى عمى اعلموا أن هذا الغلام الذى رأيته هو ابن الحارث الكلابى ولنا عليه تارمن قديمالزمان وبيننا وبين أبيه خطب جسيم فدونكم وإياه فاقتلوه وبسيوفكم قطعوه ثم انه هم أن يقتله لأجل مالهم عليه من الدماء فخرج الغلام من بينهم وكل واحد منهم يريدقتله فقالت عقلاؤهم لاتفعلوا حتى نستصح الأمر فرجعوا وهم يقولون ربما أن دارم يكذب فى هذا المقال لأنه أخبر منه بالأحوال وأشد منه عند ملاقاة الرجال فمسكوا القوم أيديهم عنه وخرج جندبه من بينهم فلحقه الأمير دارم وهو يصرخ فىالقبائل وينادى فى الأبطال دونكم وإياه فأبوه هوالذى أخرب بيوتنا وشتتنا من أوطاننا وأهلك أبطالنا ونهب أموالنا فلاسقىالله قومه بالمزن ولابرحت دياره مملوءة حزن فتبعته الرجال وتسارعت نحوه الأبطال وخرجت زوجة الأمير دارم وهى متأسفة على فراقه ودارم يصرخ فىالرجال وهو يقول لاتوروه الاكأنكم تسألوه فى الرجوع الىالأوطان حتى تتمكنوا منه فلما أدركه الأمير دارم وأولاده أظهروا التأسف علىفراقه وسألوه الرجوع فتبين لجندبه منهم الغدر لأن بعض الأدباء يقول :

إذا أخفتك أقوالا فى بطوهم — من الغل أنبأتك الوجوه العوابس

(قال الراوى) فالتفت جندبه الى الأمير دارم وقال له اعلم أن لك على حق التربية ولى عليك حق خلاصك من حصن الشمطا فرد عنى وارجع خلينى أقصد ديار الله الواسعة وأماكنه الشاسعه فان قلبي منك قد نفر ولا ينبغى أن يكون لى عندكم مستقر فقال له الأمير دارم كيف أعود عنك وأدعك تخرب مابقى من البلاد وتهلك العابد وتكون مثل أبيك تشن الغارات وتهلك من بقى من السادات ثم ان الأميردارم حمل عليه هووأولاده حملة واحدة فعطف عليهم جندبه وطعن دارم فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره وقتل اثنين من أولاده فى حملته وفرق الباقى بصولتـه (قال الراوى) وإذا بأمهم قد أشرقت عليهم ومعها جماعة من الحى وصاحت بجندبه ياولدى بحق التربية إلا ما عفوت عنهم ولا تكن منهم فلما سمع جندبه كلامها رق لها وعفى عنهم

وتركهم وسار على وجهه الى أن وصل الى قصر الشمطا فلما رأوه السودان الذى لها عرفوه ورأوه وهو مذعور فسألوه عن قصته فأخبرهم بالأمر الذى جرى عليه فتعجبوا من ذلك فقال لهم جندبه : هل لكم أن ترحلوا بنا من هذا الوادى الى واد غيره وأرض أخصب من هذه الأرض وأكثر مرعى ونكون فيها نقطع الطريق ونخون السبيل فقالوا له حباً وكرامة فنحن لك عبيد وسامعين مطيعين ثم أخذوا جميع ما يحتاجون اليه وخرج هو وإياهم تحت جنح الليل الى أن انجلى الغسق وإذا هم وقد وقعوا فى برية موحشة معطشة مدهشة لا نبات فيها يطلع ولا وحش فيها يرتع وحشة المنظر دهشة الخبر تفزع الجن من مسالكها ولا تقرب دكاكها مافيها مجيب لمن صاح وزعق ولا ينال الانسان بها رمق (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين وعلى الله متوكلين وبعض من السودان بغض جندبه لأجل ماسلك بهم تلك الأرض الصعبة وأرادوا قتله من حيث أنه لا يعلم وبعضهم يكن على أغراض بعض ويقولوا لنا أسوة به ان هلك هلكنا معه وان سلم سلمنا فطابت قلوب جماعة منهم فى الظاهر ولم يزالوا سائرين وبعد ساعة وصلوا الى أرض خصبة معشبة ففرحوا القوم بتلك الأرض ونزلوا فيها واستراحوا بقية نهارهم وعولوا على المسير من ذلك المكان فتوقف بعض السودان واختلفوا فى النقض والابرام فقال جندبه فى سره هذه وجوه لا يفرح بها رفيق ولا تنفع فى شدة ولا فى ضيق ولو أن فيهم خير كان للشمطا مولاتهم ثم ان جندبه لاعبهم وضاحكهم وصبر الى أن غلب عليهم النوم فقام اليهم وبدا بالخنجر الى الأول وذبحه من أذنه ولم يزل يدور عليهم واحد بعد واحد الى أن ذبح الجميع ثم انه أخذ من الخيل أجودها وسار تحت االيل ولم يزل سائر الى أن أصبح الصباح ونظر بين يديه الى رياض حسنة زهرة بروائح عطرة وفى وسط الأرض خبا مضروب ورمح مركوز وجواد يرتع فاستحسن جندبه ماراه من تلك الأرض وتعجب من ذلك الخبا المنفرد وقال لاشك إن هذا الرجل عابر سبيل لكنه بقى حابر فى أمره وجعل ذلك المضرب قصده فهو يتفحر فى ذلك واذا قد خرج من ذلك الخبا إنسان تام الطول كأنه فحل من الفحول فتأمله جندبه فرآه على ذلك الطول شاب أجرد أمرد عليه درع من الزرد وهو مضاعف العدد وعلى رأسه بيضة مذهبة لداير مشطبة الظاهر كأنها نجم فى غياهب فلما رآه الجواد محمحم واليه تقدم فمسح ظهره بيده وأقبل عليه وقبله بين عينيه وأقلب السرج عليه وشد الحزام ورق اللجام . هذا وجندبه واقف ينظر اليه فلما شد الحصان وثب من الأرض وثبة السرحان فاستوى على ظهر الحصان من غير أن يضع رجله فى الركاب

ثم انه تقلد بسيفه واعتقل برمحه ثم قصد نحو جندبه وحمل عليه من غير كلام ولا خطاب وقصد معه القتال والضراب فقال جندبه ياغلام ابدأ بالسلام قبل القتال والصدام لأنه من سيم القوم الكرام فلا يرد عليه جواب ولا أبدى خطاب فتعين على جندبه قتاله فحمل عليه وهو ينشد ويقول ونحن نصلى على سيدنا محمد الرسول :

ألا يا فارساً طلب الصدام ورام الحرب من قبل السلام
ملثم ليس ننظر منه وجهاً ولم نسمع له أبدا كلام
كأنك أخرس وأصم أذناً فليس لنا على الأخرس ملام
فرد علىّ شعراً وزن شعرى اذا قد كنت من أهل النظام
وتكمل بالشجاعة والفصاحة لاشك الحما بالسيف حامى
وأعرف من لقيت من البوادى لتعلم قدر أرباب الخصام
أنا أدعى بجندبة الكلابى أصيد الأسد فى وسط الأجام

(قال الراوى) ولما فرغ جندبة من شعره لم يرد عليه ذلك الفارس كلام ولا نظام بل حمل عليه كأنه الأسد الدرغام والليث الهمام فتلقاه الأمير جندبة كما تلقى الارض العطشانة أوائل المطر وتطاعنا حتى ان الرماح تقصفت وتضاربا بالسيوف الى أن تثلمت وبعد ساعة هاجمه جندبة وضايقه وقدسد عليه طرائقه ومديده اليه وقبضه من جلباب درعه وجذبه واقتلعه من سرجه ورمى به الى الارض وأراد أن يضرب عنقه فقال له بكلام رقيق الصفة الصنيعه يا فارس الزمان فلما سمع منه جندبة ذلك الكلام فبان له أن المتكلم أنثى فقال له جندبة أنت رجل أم امرأة فقالت له أنا بنت بكر عذراء ثم انها كشفت عن وجهها بعد ذلك اللثام فبان للأمير جندبة وجه كأنه البدر إذا ظهر من تحت الغمام فكانت كما قال فيها الشاعر حيث قال :

جاءت مبرقعة فقلت لها اسفرى عن وجهك القمر المنير الأبهرى
قالت أخاف العارقلت لهااقصرى بحوادث الأيام لا تتحيرى
رفعت نقاب الحسن عن وجناتها فتساقط البللور فوق الجوهر
ولقد هممت بقبلة فى خدها حتى تصير حضيئتى فى المحشر
ونكون أول عاشقين تخاصما يوم القيامة والخلائق تنظر
ويطول من فوق الصراط وقوفنا حتى أكر فى المليح المنظر

(قال الراوى نجد بن هشام) ولما نظر جندبة الى حسن تلك الصبية وجمالها وظرفها ودلالها حار عقله فيها وزاد عشقاً بها وهام وتولع قلبه بها وأتلفه الغرام فقال لها

ياست الملاح وبدر التمام وذات الوشاح اطلعينى على سرك وأخبرينى بحقيقة أمرك فقالت له يا فارس الزمان وليث العصر والأوان أخبرك بقصتى نثر وكلام أم شعر ونظام فقال لها جندبه يافصيحة اللسان وفريدة العصر ومليحة دهرها أناما أريد أن أسمع منك إلا شعر ونظام فقالت له السمع والطاعه ياشجيع الزمان ثم انها أشارت تخبر الأمير جندبه بجميع ماجرى لها بالشعر وهى تقول بعد الصلاة على سيدنا محمد النبى الرسول :

ألا أيها البطل المحامى ... وياصنديد فى يوم الزحام
تأنى واسمع منى كلامى ... فانى بنت بكر أبا همام
بنت القبقبوس القرم أدعى ... وقدرى قد علا بين الأنام
طلعت لشدتى ألقى الفوارس ... بطعن الرمح مع ضرب الحسام
وذكرى شاع فى العربان جمعاً ... وفى الأحياء ما بين الخيام
وجاءت نحوى الخطاب تسعى ... فلم أرضى وأكثرهم خصامى
وقد أقسمت بالرحمن ربى ... وفضل المصطفى بدر التمام
بأنى قط لم أكتب كتابى ... على مخلوق فى طول الدوام
سوى ان كان صنديداً مهابا ... يكيد الخصم فى يوم الصدام
ويقهرنى إذا ما التقينا ... نهار الحرب فى وهج القتام
أتوا الخطاب جمعاً بارزونى ... وقد جندلتهم بين الأنام
ولم يقدر على فتى رآنى ... على الشجعان كلهم سلامى
أنا قتالة الشجعان أدعى ... من الفرسان فى البيدا أمامى
وخفت أبى يزوجنى جبانا ... ويغصبنى ويلزمنى التزاما
فجئت لهذا المكان مكثت فيه ... وقوضت المضارب والخيام
وحولى عصبة من كل ليث ... نهار الحرب لم يخشى الصدام
ونهجم فى القفار على القوافل ... ونغنم كسبهم فى كل عام
وأنت أسرتنى وعفوت عنى ... وأنت الكفء بلغنى مرامى
فاخطبنى واحظى بى سريعا ... فانى قد رضيتك والسلام

(قال الراوى) فلما سمع الأمير جندبه ذلك الكلام صار كأنه فى منام وقد تعجب غاية العجب من فصاحتها وظرافتها وقوة قلبها وفرح بها فرحا شديدا ثم انها بعد ذلك قالت له ياوجه العرب سر بنا الى حلتنا فقال لها وأين الحلة قالت له هى فى آخر هذا المرج

وان أردت المسير معى فافعل قال فركب جندبه فرسه وسار وهو على حذرمنها لئلا تغدر به واذا هى قد وصلت الى حيها فنظر إلى أرض حسنة وأبيات قد شرعت وأغنام قد سرحت وهى ترعى وخيول تسعى والقوم فى أطيب عيش وأهنأ وأسعد زمان وأصفاه فلما رأوا أهل الحى قتالة الشجعان قدأقبلت قاموا بأجمعهم اليها وسلموا عليها فقالت لهم أ كرموا هذا الضيف الذى قد حل بنا قبل إكرامى فجعل القوم يسلمون على جندبة ويسألوه أن ينزل عن جواده ويدخل المضرب معها ففعل ذلك ونحرت النحور ولم يزل عندها فى أتم سرور ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ورد عليهما ضيوف فأضافتهم وأكرمتهم ثم انها جمعت بينهم وبين جندبة فى مضرب واحد وقدمت لهم الطعام فأكلوا القوم على حسب الكفاية وقدموا المدام فشربوا وطربوا ودخلوا فى الأحاديث الكثيره التى تزيد وتنقص وما فى الاحاديث أحسن من شيء يجرى للانسان فتحدث به ما أمكنه فجاء الحديث على جندبة فأخذ يحكى لهم ماجرى له مع دارم ويقول والله عمرى مارأيت أعجب حديثى لأنى أحسنت اليه وخدمته ومن القتل خلصته فطلب قتلى فرد الله فاسه وكل من بغى رجع البغى عليه ثم جعل كل واحد منهم يتحدث بما جرى له مع الشجعان والاقران وما جرى عليهم من الشدائد وما لاقوا من الاوابد وكانوا عشرة فتحدثوا تسعة بما جرى لهم ولم يبق غير رجل واحد وكان المقدم عليهم وهو عبد أسود فقالوا له وأنت يا أمير مالك لا تحدثنا عما جرى لك فقال والله يا وجوه العرب ما فيكم مثل من جرى له مثل قصتى ولا مثل محنتى فقالوا له مالك ماتحدثنا بها فقال اعلموا أننى كان لى سيد من رؤساء العرب وكان أفرس أهل زمانه تخافه الملوك على شدتها والسباع فى أوديتها فأتاه طارق الحمام ومضى إلى ربه بسلام وبقيت زوجته خائفة خوفا شديدا من الاعداء والاضداد وهى مشغولة القلب أن يهجموا عليها فهربت عبيدها وجوارها ولم يبق فى الحى إلا أنا فازدادت ستى فزعا من خوفها وكانت حامل على ليلتها فادعت بى وقالت ويلك ياسلام أفيك خير حتى ننجوا من هذا المكان قبل أن تدركنا الاشرار فقلت نعم ثم عمدت إلى ناقة فوطيت عليها وشديت عليها هودج وأطلعتها فيه ثم أنى سرت بها فى الليل وكان لها من الجمال مالا يوصف فوسوس الى الشيطان بوصلها فى وادى بقرب حى دارم وقد غاب عنى الصواب واستدت فى وجهى الابواب لما تضارمت بى النار ثم انى كشفت لها عن الاحوال وما أريد منها من الفعال فقالت والله ما أفعل هذه الفعال ولو شربت كؤس الحمام فلم أسمع لها خطاب ولا حفظت لها زمام ثم انى أشهرت سيفى

وضربتها صفحا فألقيتها على وجهها فنادتنى انج بنفسك ياعبد السوء فقد أتانى الطلق باذن خالق ثم صاحت صيحة أدهشتنى ثم وضعت فى تلك الساعه غلام كأنه القمر فى ليلة أربع عشر فعمدت ستى الى الغلام فأرضعته وأقبلت على بالتهديد والوعد والوعيد فخفت منها أن تصل الى ذلك الحى وتعمل على هلاكى فبدأت بها قبل أن تبدوا بى ونهضت اليها وقتلتها وسرت وما أدرى ما فعل الدهر بها وبولدها وهذا حديثى والسلام وحق الواحد المتعال . ثم انى توصلت الى هؤلاء الاقوام وفرقت عليهم ما كان معى من الاموال وصرت المقدم عليهم كما ترى وكان مع ستى قصبة من فضة فيها حرز كتبه الحكيم دمقان ولا أدرى ما كان من بعدى (قال نجد) ولم يكن فى الاتفاق أعجب من لقاء جندبة بعبده سلام هذا وجندبة قد أقبل على ذلك العبد وقال له ما كان اسم سيدك ياغلام فقال سلام كان اسمه الحارث بن عامر الكلابى (قال نجد بن هشام) فلم يمهله جندبة أن يتم كلامه دون أن جذب سيفه وضربه أطاح رأسه عن بدنه فنهضوا أصحابه وقد جردوا سيوفهم على جندبة وأرادوا أن يسقوه كاس الحمام فقامت اليهم قتالة الشجعان ومنعتهم عن ذلك وقالت لهم اذا كان فى غداة غد افعلوا به ما شئتم عندنا ويطلب الطريق ولا يمنعكم عنه مانع (قال الراوى) وكان من أمر العبد سلام أنه لما قتل سيدته أخذ المال الذى كان معها ثم انه سار فالتقى برجال من قطاع الطريق ففرق عليهم تلك الاموال واستخدم به الابطال وأراد أن يصير مثل ما كان عليه سيده الحارث فصار تحت يده رجال كثير من قطاع الطريق وكان وصوله بهذه الشرذمة اليسيرة الى هذه الارض لانه خرج ينظر الى أرض خصبة ينزل فيها فاجتاز بقتالة الشجعان وجرى له ماجرى (قال نجد) ثم أشارت قتالة الشجعان الى الرجال أن يتركوا جندبة الى الصباح ففعلوا ذلك وصاروا يحرسوه من كل مكان وجانب فعندها أخذته قتالة الشجعان ودخلت به الى مضربها وقالت لهم هذا فى ضمانى الى غداة غد أسلمه اليكم فقالوا لها افعلى مابدا لك ثم انهم باتوا تلك الليلة منتظرين الصباح (قال الراوى) ثم ان قتالة الشجعان أقبلت على جندية وقالت له والله انى خائفة عليك من هؤلاء الاقوام أن يقتلوك فقال لها وما الذى تشيرين على به فقالت له أنا أتزوج بك والله مطلع علىّ وعليك وتكفى شر هؤلاء القوم فقال جندبه افعلى مابدا لك ثم انهما تصالحا وتناكحا وأقاموا الى نصف الليل وساروا عن الحى وطلبوا عرض البر والبحر طالبين أرض الحجاز فساروا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرفوا على حى حسن ذات عيون وزهر مكنون فبينما هم سائرين فى وادى من

أودية ذلك الحى بين تلك الاشجار واذا قد لاح لهم جبل كأنه الثلج الأبيض فعمدا اليه ونزلا عليه فأراحوا هناك ساعة من النهار وساروا إلى أن مالت الشمس الى الغروب فأشرفوا على وادى كثير النبات مخضر الجنبات وعلى حافة ذلك الوادى بيوت ومضارب وخيام وفيها عالم عظيم ورماحهم مركوزة وخيولهم مربوطة وبيوتهم عالية وسعادتهم نامية وبسط الديباج مبسوطة والجمال والنوق باركه والاماء يضربون بالمزاهر وقد أمنوا من الاعدا وتصاريف الردا وفى وسط الحى منازل الضيوف وفيهم تضرب الامثال وإلى جودهم تشد الرجال كما قال فيهم الشاعر حيث قال :

نظر إلى حى رحيب مزهر ... فيه لعمرى كل خير مكثر
ببيوتهم خيل تجول كأنها ... أسد الدجال بواديا مستوعر
وعلى البيوت شوارعا قد شرعت ... بيض الصفاح من الحديد الأخضر
مع كل ميال العمامة أشرس ... فى كفه سيف صقيل أبتر
ونساؤهم مثل الظبا وصغارهم ... أشبالهم من كل ليث قصورى
ورجالهم مثل الأسود إذا حموا ... أشبالهم مثل النجوم الزواهر
والحى يرقص آمنا برجالهم ... فرحا بصفو ليس فيه تكدر
خافوا القبائل منهموا فتحاشدوا ... يوم الوغا بالبيض ثم الأسمر
ما منهم إلا سميدع قومه ... وأميرها من تبع أو حميرى

(قال الراوى) فلما نظر جندبه إلى ذلك الحى نزل هو وقتالة الشجعان فى جنب ذلك الوادى وقد زاد حبها فى قلبه وتحدث هو وإياها وقد أعجبه كلامها فقالت له يا أمير جندبه ليش قتلت العبد سلام بغير ذنب وظلمته فقال والله يا أميره إن ذنبه عظيم وما ظلمته وأنه يستحق ذلك ثم أنه أشار اليها يقول وها نحن نصلى على النبى الرسول

وحق إله مالك الملك دائم ... إله بأسرار الخلائق عالم
أنا ما ظلمت العبد لما قتلته ... ولكن ذاك العبد قد كان ظالم
أبى حارثا قد كان فارس عصره ... وقد ذل أبطال الوغا بالصوارم
فمات وأمى حامل بى لحلتى ... إلى والدى والأهل ثم اللوازم
أخذها بليل ثم سار لأهلها ... فأطغاه إبليس اللئيم المخاصم
أراد بها الفحشا أبت أن تطيعه ... وقالت أنا بنت الجياد الأكارم
ولما أتاها الطلق من قبل قتلها ... وقد وضعتنى صرت فى الدم عائم

ولما قتلها العبد خلا بسبيلها ... وراح بأموال لها والغنائم
وقد خانها لما منعته وضربها ... وفى الصبح جاها فارس الخيل دارم
أخذنى وواراها التراب وردنى ... إلى بنت عمه ذى العلا والمكارم
تربيت حتى صرت أشبه والدى ... ركبت متون الخيل بين العوالم
فلما رآنى دارما صرت فارسا ... بما صرت فيه من خصال الأكارم
فسار إلى نحوها معاش ومكسب ... إلى حى شمطا ليجيب الغنائم
فجاءت له الشمطاء تبغى قتاله ... وقد أسرته بالرماح اللهادم
وخلصت الأموال بالسيف عنوة ... وشردت الأبطال والأنف راغم
فسارت لها أولاده لخلاصه ... فاستأسرتهم كلهم بالعزائم
فسرت اليها طالبا لقتالها ... فجاءت إلى نحوى تريد التصادم
فطاولتها فى الحرب حتى قتلتها ... وخلصت دارم من شديد العظائم
وجئت به للحى مع أولاده ... وقامت لنا الأفراح بعد المآتم
ومن بعد هذا قد طردنى من أرضه ... وحاربنى لم يخشى لوم لائم
فجندلته صرعا وقد حان حينه ... وصار عفير الخد للأرض لاثم
وسرت أريد أهلى وقومى وعشيرتى ... لقيتك يا بنت السراة الأكارم
فجاء اليك العبد فى الحى ضافك ... وأحكى حكايته وأنا كنت قاهم
فرحت وقلت اليوم آخذ ثارها ... ومن ساعتى والوقت سليت صارمى
فقتلته بالثار والعبد عبدنا ... وخليته طعام الطيور الحوائم
فلا تنسبى للظلم من رام حقه ... وهذا قليل الخير ندل وظالم

(قال الراوى) ولما فرغ جندبة من شعره قالت له قتالة الشجعان والله يافتى ماقصرت فيما صنعت ولقد أحسنت وأصبت ثم أنها أجابته على عروض شعره تقول هذه الأبيات

يا فارس الهيجاء ما أنت ظالم ... وأنت لأهل البغى بالسيف قاصم
وأنت أخذت الثار من ندل خائن ... وجازيته بالقتل بين العوالم
فلا رحم الرحمن للعبد قبره ... ومازال بالنيران والجمر ضارم
وهذا جزاء من يقلب الخير بالأسى ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم
ولا فرق الله المهيمن بيننا ... وحق عليك الآن قد صار لازم
ومن خان رب العالمين يمينه ... ويرميه ما بين القنا والصوارم

(قال الراوى نجد بن هشام) ولما فرغت قتالة الشجعان من شعرها وتحدثت هى

وجندبة فى حسن ذلك الحى وذلك الوادى فبينماهم فى ذلك الكلام وإذا هم بغبرة قد طلعت وعجاجة قدارتفعت وانكشفت وبان من تحتها عسكرجرار وهو يزيد عن خمسمائة فارس كأنهم الليوث وعليهم الدروع السوابل الذى كأنها عيون الجراد المضاعفين فى العدد ومعهم رجال يزيدون عن ألف رجل فى أيديهم الجحف الثقال والسيوف الحداد فلما نظرهم جندبه ظن أنهم من خيل الحى واذا بهم قد افترقوا على ذلك الحى من أربع جوانبه وقد هزوا فى أيديهم قطع الرماح وجردوا البيض الصفاح وقد كثر فى ذلك الحى الصياح وطلعت أبطاله تريد الكفاح وفى أيديهم البيض والصفاح وقد أشهروا السيوف الصقال والرماح العوال وتبادرت الرجال والنساء والعبيد والجوار وركبت أهل الحى ووقع القتال واشتعلت نيران الطعن والضراب واشتد الكرب وثار الغبار من سنابك الخيل فعاد فى الهوى كقطع الليل وعظم القتال وكثر الزلزال وقل الكلام وتقسطل الغبار ونما ولحق عنان السما وتخضبت اللحا بالدما ونهبت بعض بيوت القوم وجعل القوم يستغيثون بالحى الذى لا يموت (قال الزاوى) وكان ذلك القوم الذين هجموا على ذلك الحى ينادون بالأخذ بالتارات وأهل الحى ينادون يا لعامر ويا لكلاب وقد اشتد بينهم القتال فلما سمع جندبة صياحهم يالكلاب أقبل على قتالة وقال لها اعلمى أن هؤلاء القوم هم بنو عمى ولحمى ودمى وفيهم حسبى ونسبى ولا صبر لى عن معونتهم فقالت له والله انى مساعدتك على ذلك ولا أتركك ترمى روحك فى هذا الجمع الشديد وأنت وحيد فريد ثم ان الأميرة جندبة ركب بعد ذلك هو وقتالة الشجعان على خيولهم الى أن أدركوا القوم وصاحوا يا آل كلاب وحمل الامير جندبه كأنه شعلة نار على الاعداء وأنزل بهم ونادى وقال أنا ناصل ومهلك الرجال ومبيد الابطال وكاشف العار ومدرك التار أنا قاطع الاعمار ومبيد الابطال والهزبر المختار ثم انه طعن فارس أرماه وآخر بالسيف أرداه وثالث فاجاه ورابع أعدمه الحياة ثم انه صاح وأعلن بالصياح يا آل كلاب يا آل كلاب فأجابته زوجته لبيك هانحن بين بديك أنت من على اليمين وأنا من على الشمال فبددوا عند ذلك الابطال وقتلوا الاقران وهلكوا الشجعان وطعنوا فى صدور الرجال وأنزلوا على بنى شيبان الذل والخبال (قال الراوى) وقدنظروا أهل الحى الى فعالهم وهم يردون الابطال ويجرعون كاس الحمام فحملوا على الاعداء وأسقوهم كاسات الردى وقد قويت قلوبهم واشتدت عزيمتهم وهجموا على أعدائهم بعزمات قوية وخلصوا الغنيمة من أيديهم وأخرجوهم من البيوت وشتتوهم فى تلك الجبال والفلوات وقد قتلوا منهم

خلق كثير ولما فرغوا من تلك الأمور المشكلات رجعو الى جندبة وقتالة الشجعان قاصدين ولها شاكرين فلما اجتمعوا بهما سلموا على الأمير جندبة وزادوا له فى الاكرام لأجل ماراوا منه عند الصدام وقالوا له من أنت حياك الله يافارس الخيل فقال لهم جندبه يا وجوه العرب ما هذا وقت سؤال ولا مقال هذا وقت الراحه من الحرب والقتال فعند ذلك أخذوه وردوا به إلى الأحيا والابيات وماأمسى حتىلم يبق أحد من الاعداء بل تشتتوا فى القفار وحل بهم الدمار وقد نهبت بنى كلاب خيلهم وعددهم وأموالهم والاسلاب وما كان معهم من النهاب وباتوا فى حيهم فرحين وبالنصر مسرورين وبجندبة محدقين وهم من شجاعته متعجبين وهم يقبلون الأرض بين يديه ويثنون عليه ولما استقر بهم القرار قالوا له من أنت أيها السيد الذى من الله بك علينا وأسعدنا بشجاعتك فكشف لهم عن حسبه وأظهر لهم نسبه وذكر لهم قصة دارم الذى رباه وما جرى له معه من الأمور والأسباب . ثم أنشأ يقول لهم الأبيات ونحن وأنتم نصلى على سيد السادات :

أنا أسمى بجندبة الكلابى وابن الحارث البطل المهاب
ومات أبى وأنا فى بطن أمى وسارت نحو حلتها
قتلها عبد من نسل الزوانى بليل وهى كانت حاملا بى
ووقت القتل أرمتنى صغيرا ودارم جاها ووراها التراب
ووداني لزوجته أرضعتنى وربونى وربى قد اعتنابى
طلعت فتى وصنديدا مهاباً وكم قاسيت أهوالا صعاب
أخذت التار من عبد لئيم يسمى حازم من نسل الكلاب
وجئت بزوجتى فى البر أسعى إلى الحى الذى فيه انتسابى
أرى الأعداء قد جاؤا صفوفا يريدوا قتلكم والانتهاب
أنا منكم فلمونى اليكم وقد أخبرتكم فى الشعر مابى
وصلى الله ربى كل وقت على من قد أتانا بالصواب

(قال الراوى) ولماسمعوا بنى كلاب منه ذلك الشعر والنظام صاحوا كلهم بالعرب الآن قد اتضح الحق وزهق الباطل وزال الشك والارتباك وعرف من العنوان مافى الكتاب وظهر الصواب وقد رجعت الماء الى مجاريها والمال الى أصحابه والسيف إلى قرابه ثم تقدموا إلى جندبه وتقربوا اليه بكلمات يقدرون عليه وقالت مشايخ الحله والله العظيم أنت أميرنا وابن أميرنا ومابقى لنا أمير سواك ولا مقدم إلا إياك ثم

قدموه عليهم وقضوا ذلك اليوم فى سرور وفرح وغبطة وحبور والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول المشرق بالنور (قال نجد بن هشام) وكانوا هؤلاء القوم خلفاء للحارث أبو جندبة وهم من خواص أصدقاه ولما ان مات تفرقوا مدة من الزمان من خوف العربان وبعد ذلك اجتمعوا وانضموا الى هذه الحلة وجعلوا عليهم أميرا منهم وكان شيخا كبير السن يقال له جابر بن حنظلة العامرى وكان أبغض الناس عنده من يذكر الحارث بالشجاعة والخير وكان أعقل الناس وأشجعها وكانوا قومه اذا ذكروا الحارث بين يديه بالشجاعة يسبهم ويقول ماكان الحارث إلا قاطع طريق وخاين سبيل وكافر . فلما رآهم قد التقوا بجندبه فى ذلك اليوم ورآهم قد اجتمعوا عليه وتركوه ما هان عليه ذلك وقد اغتاظ لذلك غيظا شديدا وبات تلك الليلة فى هم ما عليه من مزيد شديد القلق كثير الحرق ولما أصبح الله تعالى بالصباح اجتمع بهم وسألهم عن حالهم فقالوا له ان الأمر قد اشتهر والحق قد ظهر والباطل خسر ولم يبق غير الحق وهذا جندبة بن الحارث بن عامر الكلابى بن صعصعة وهو الذى كان سبب خلاصنا من الأعداء وهو اليوم أميرنا والحاكم علينا وهو اليوم سيد القوم وامامهم ورئيسهم فقال لهم جابر هو أكثر منى مالا أو أعظم رجالا فقالوا له المال يفنى والرجال تجيبه فقال لهم هل هو أشجع منى قالوا نعم لولاه لكنا هلكنا فقال لهم اذا كان الأمر كذلك وقد جعلتموه مقدما فليخرج لى فإن غلبنى كان مقدما علينا وان قهرته أقمت موضعى فقالوا له قد أشرت بالصواب وبلغ الخبر الى جندبه فقال لقد قال الصواب ونطق بالأمر الذى لايعاب ثم انه أقبل على جابر وجال وصال وأنشد وجعل يقول ونحن وأنتم نصلى على سيدنا محمد الرسول :

أنا البطل الهمام الغضنفر ... جندبة بن الحارث القصور
وحق من أنشا جميع الصور ... لابد ما أفنى العدا بالأسمر
وكل من عاندنى فى معشر ... تركته مجندلا فى كل بر مقفر

(قال الراوى) فلما سمع جابر شعره وفهم نظمه ونثره قال له ياجندبة اصبر على حتى أركب جوادى وأفرغ على لامة جلادى فقال له جندبة افعل مابدا لك (ياساده) فما غاب إلا ساعة وعاد وعليه درع من البولاد المفرق بالذهب وعلى رأسه عمامة خضراء بقصب متقلد برمح مكعب ومن تحته حجرة شهبا تنهب الأرض نهبا كأنها شعلة نار وقد ركب عليها طالب التار والحجرة تدهش النظار إن طلب منها الجرى عرفت وان أشار عليها بالوقوف وقفت وان همزها طارت الى الغيوم وصاحبها يلتقط النجوم

مضمرة الخواصر مليحة الحوافر واسعة الناخر حسنة الباطن والظاهر لها أصل فاخر وغرة مثل الهلال الزاهر صنعة الملك القادر تربية العرب أصحاب المفاخر كأنها قطب الفلك الدائر وراكبها فى أمان من كل عدو ومضادد ومكايد ومعاند (قال الراوى) فلما نظر جندبه الى تلك الحجرة التى تحت جابر ونظر الى انعطافها وذهابها وانحرافها هام بها قلبه واشتغل بها فكره ولبه (قال الراوى) وما كانت إلا ساعة حتى ركبوا بقية القوم وأتت سائر بنى كلاب ووقفوا الاثنين ما بين الصفين واشتهروا بين الفريقين وجالوا وصالوا على ظهور الخيل وجرى بينهم من الحرب مالا يوصف ومن القتال والطعان وحمل كل واحد منهما على صاحبه وتماشقا السيفين وتطاعنا بالرمحين وبعد ساعة وقفا للراحة فأشار جابر الى جندبه يقول صلوا على سيدنا محمد الرسول :

خذ ما أتاك وكن لحربى خابر ... واثبت لحملات ابن حنظل جابر
فأنا أمير القوم حامى حيهم ... يوم المعامع بالحسام الباتر
واليوم أنت أتيت ضيفا حينا ... ترجو العلا من غير حرب ثائر
تزعم بأن أباك كان أميرنا ... ما كان إلا ندل قوم فاجر
قاطع طريق على القوافل كلها ... من سائر الاحيا لئيم غادر
وعلى الحرام ربى وربى أهله ... والله أهلكه هلاك القادر
وكذاك أنت طلعت ندلا مثله ... أتريد أن تعلا على أبنا عامر
اثبت والقانى وكن مستيقظا ... من قبل أن تبقى طعم طير طائر
وإلا فاترك عنك هذا كله ... واذهن إلىّ ولا تكون مناظرى
ما أنت مثلى فى الشجاعة والعنا ... بل أنت مسكينا يتيما قاصر
رباك دارم خنته وقتلته ... وأبوك مثلك كان خائن فاجر

(قال الراوى) ولما سمع الأمير جندبة من جابر شعره وذلك الكلام صار الضيا فى عينيه ظلام ثم انه قد أجابه على عروض شعره يقول صلوا على سيدنا محمد الرسول :

قد عبت عيبا واضحا يا جابر ... بكلام منه شق سر ضمائرى
فأنا الذى ربيت مسكينا وقد ... أغنانى الله الكريم القادر
ولدارم خلصته من لبوة ... أسرته مع أولاده والعشائر
خلصتهم من أسرها وقتلتها ... وحويت أموالا لها وذخائر
وقتلت دارم حين رام لقتلتى ... وعفوت عن أولاده وعساكر

وأخذت ثارى وانثنيت لعزوتى ... خلصتهم من وغد مثلك غائر
ونصرتهم لما رأيتك راجعا ... للحى منهزما لبيتك عابر
وأنا أمير القوم وابن أميرهم ... والحق فى يوم المعامع ناصرى
ثم الصلاة على النبي وآله ... خير الورى طه الشريف الطاهر

(قال الراوى) ولما فرغ الامير جندبة من شعره حمل على جابر حملة الحنق وصاح عليه وزعق وجرد سيفه من غمده وضرب به جندبة ضربة سمعها كل من كان حاضر فبطلها جندبة بحسن صناعته ثم انه حمل عليه وأقبل اليه وضربه بالسيف على عاتقه أطلع السيف يلمع من بين علائقه فانجدل جابر ورحل إلى المقابر (قال الراوى) ثم ان جندبة قال يا بنى كلاب دونكم ونهب الاموال والاسلاب فهو هبة منى اليكم وهذه الحجرة فانى ما أعطيها لاحد منكم فقالوا والله يا أمير ما تصلح إلا لك فلو فتشت جميع الأقاليم لم ترلها مثل ولم تلق لها شبيه لأنها فريدة العصر والأوان فقال جندبه والله يا وجوه العرب إنى من ساعة ما رأيتها قسى قلبي عليه وما كان فى نيتى قتله وما طلبت إلا أسره وأخذها منه وأطلقه ولكن هو طلب قتلى وبغى على فقابله الله على بغيه وأن هذه المهره من وقت ما وقع عليها ناظرى اشتعل بها قلبي وخاطرى فقالوا له بعض كبراء المشايخ والله يا أمير ما تصلح إلا لك لأنها يتيمة الدهر فشكره جندبه وأثنى عليه (يا ساده) وأن أصحاب جابر لما رأوا المهره تحت جندبه حملوا عليه وأرادوا خلاصها منه فحملت عليهم بنو كلاب وتصادمت الرجال والأبطال وجرت الدما وعمل السيف الغرضاب ولم يزالوا فى طعن وضرب يقد ويهد حتى انهزمت رجال جابر وأقبلوا بجندبه إلى الحى فقدموا اليه الخيول العربيات والمضارب والعماريات وانقادت اليه الركايب ودارت به الكتايب وأخرجوا لزوجته الحلل الفاخره والنعم الظاهره وصار جندبه زعيم القوم ورئيسها وأميرها وأراد أن يرحل عنهم ويستخلف واحد منهم مكانه فما مكنوه من ذلك وأقام هو وزوجته فى ألذ عيش وأهنأه وأطيب زمان وأصفاه وانطاعت له البلاد واجتمعت على محبته قلوب العباد وصار يشن الغارات ويلازم الغزوات ومهما حصل له يقسمه عليهم ويستخدم به الأبطال إلى أن اجتمع عليه كثير من الشجعان (يا ساده) وكان جندبه قد تعلق قلبه بالمهره وكان اسمها مزنه وكان فى كل يوم يسير اليها ويود أنه بنفسه يفديها من كل سوء ويركب كل يوم إلى ظاهر البيوت وحوله جماعة من الشجعان ويطلب الصيد والقنص وهم حوله كأنهم النجوم الزواهر أو الأسود الكواسر فلما كان فى بعض الأيام خرج على جارى عادته إلى الصيد والقنص وزوجته قتالة الشجعان إلى

جانبه وإذا قد لاحت لهم غزالة فى صدر البر فأخذوا خلفها الطراد وقد داروا حوله الشجعان والأبطال ولم يزالوا خلفها فى البر وقد هلكوا من شدة الهجير والحر فعادوا عنها خائبين وطلبوا ديارهم راجعين وإذا قد لاح لهم لمعان سيوف وازدحام صفوف وضجيج نسوان وأطفال وقعقعة لجم وهمهمة أبطال وصلصلة أقيال فتبينوا المأسورين وإذا هم من بنى كلاب فتقدم اليهم جندبه ومن معه من العربان وبذلوا فيهم السيوف والرماح وشتتوهم فى تلك البرارى والقيعان وخلصوا ما كان معهم من الأصحاب والسبايا والأموال (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك مجيء هذه الخيول إلى حى بنى كلاب أمر عجيب وذلك أن جابر لما قتله جندبه وأخذ موضعه كان له أخ يسمى كاسر فسمع بقتل أخيه فطلب يأخذ بثاره ويقعد موضعه فجمع كبار قومه وأعلمهم بما جرى من الأمر والأسباب وكيف قتل جندبه أخيه فقالوا له نحن لك وبين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ومهما أمرتنا به فعلناه ثم انه استخدم الرجال وبلغ الخبر الى العرب الذى كان سلام مقدمهم فاجتمعوا الكل على كلمة واحدة ولم يزل يجتمع عليهم فرسان حتى صاروا فى ستة آلاف فارس واتفق رأيهم على أن يهجموا إلى حى بنى كلاب ويقتلوا جندبه ويجعلوا كاسر مكانه (قال الراوى) فساروا الكل طالبين جندبه فاتفق لهم أنهم صادفوا حمل الخليفه فى طريقهم فأخذوه بعد أن قتلوا بعض رجاله وأسروا البعض إلا أن الله تعالى قابلهم على فعالهم وأخذهم بذنوبهم اللهم لا تؤاخذنا بذنوبنا ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا لأنهم وصلوا إلى حى بنى كلاب وجندبه وأصحابه فى الصيد والقنص كما ذكرنا فقتلوا ونهبوا وسفكوا الدماء والتقاهم جندبه وأصحابه وهم راجعين من الصيد والقنص هو وفرسانه كما ذكرنا وقاتلهم القتال الشديد واستخلص حمل الخليفه وما معهم من الأموال والرجال ورجع جندبه إلى الحى والأبطال والفرسان من حوله وهو مؤيد منصور والنساء والاطفال يدعون له بطول البقاء ومرادهم لو جعلوه بين جفونهم إلى أن وصلوا الحى ثم جددوا الأفراح والسرور وقد زالت عنهم الاحزان والغبون ثم أن جندبه أحضر الرجال الذين كان قد أسرهم كاسر فرأى زيهم غريب فسألهم عن حالهم وعن أنسابهم فقالوا أيها الامير والسيد الخطير نحن من أصحاب عبد الملك بن مروان وكنا قد خرجنا إلى البلاد وأخذنا معنا الخراج وعدنا طالبين دمشق فوجدنا هؤلاء فى الطريق فأخذوا منا الاموال وقتلوا منا جماعة من الرجال وأخذونا أسارى والصناديق التى أخذوها كانت معنا وهى فيها ستين ألف مثقال ذهب سوى

الجواهر والتحف واليواقيت (قال الراوى) فلما سمع الامير جندبه ذلك الكلام فتح الصناديق وأخرج منها الاموال وأراد أن يفرقها على الرجال فأشارت عليه المشايخ وقالوا له يا أمير أنت تعرف أننا نحبك وما نشير عليك إلا بالحق والخير والرأى عندنا أن تأخذ هذه الاموال وتسير بها إلى دمشق وتشهد لك هؤلاء الرجال أنك الذى قد خلصتها من الاعداء بعد أن أخذوها وملكوها فاذا سمع الخليفه ذلك يقلع الاماره من بنى سليم ويجعلها فى بنى كلاب ولاسيما وأنت الجحجاح والبطل الوقاح (قال الراوى) فلما سمع جندبه ذلك من وجوه عشيرته قال لهم والله لقد أشرتم بالصواب والامر الذى لا يعاب ثم أنه أخذ الصناديق والاموال وأخذ معه الرجال وسار هو وزوجته قتالة الشجعان فى صحبته ومعهم من الفرسان جماعة إلى أن وصلوا الى دمشق فاستأذنوا عليهم ودخلوا على عبدالملك بن مروان وزوجته معه بصحبته وكان الخبر قد وصل إلى الخليفه بأخذ الاموال فقلق لذلك قلقاً عظيما إلى أن وصل اليه الخبر أن الامير جندبه بن الحارث قد خلصها فجلس يرتقب الاخبار ويتطلع الى الآثار إلى أن قدم جندبة عليه ووصل اليه بالأموال ففرح بذاك فرحاً شديدا وسأل جندبه عن حاله وبما جرى له فأخبره بالحال وسلم اليه الأموال وبقى منتظر الإحسان من الخلع والنوال (قال محمد بن هشام رحمة الله عليه) وكان لعبد الملك بن مروان ولد يقال له هشام وكان يميل الى الصور الحسنة من النساء الملاح فنظر الى زوجة جندبة التى هى قتالة الشجعان فاشتغل قلبه بها وطار عقله ولبه وعظم به الهوى وأحاط به الجوى فدخل عليه أبوه عبدالملك بن مروان فى بعض الأيام فرآه مصفر اللون مضطرب الكون فقال له ياولدى ما الذى دهاك وبشره رماك فقال ياأبى لقد هام قلبي بامرأة هذا البدوى ولم أطق الصبر عنها ساعة واحدة إذا لم أصل اليها مت كمدا لأنها سلبت روحى فقال له أبوه والله ياولدى إن هذا عقل فاسد لأن هذا رجل غريب وقد عمل معنا خير وجميل وخلص مالنا ورجالنا وبعد ذلك نكسر حرمته ونأخذ زوجته فقال له هشام يأخذ هو الأموال الذى جاء بها ويعطينى زوجته وان كان مايفعل ذلك وإلا أخذتها منه غصبا فصاح عليه أبوه واغتاظ من كلامه وخرج من عنده مغضبا (قال الراوى) وهشام قد عظمت بلواه وتزايد جواه حيث يأخذ أبوه بيده ويوصله إلى مناه فأقبل على جماعة من أصحابه وأخذ منهم مائة فارس وأرضاهم بالمال وخلع عليهم الخلع الغوال وقال لهم إنى أريد منكم إذا خرج هذا جندبه وطلب الرجوع الى بلاده تتبعونه وتكمنون له فى الطريق وتحيلون بينه وبين زوجته وتأخذوها منه وتقطعوه بالسيوف فأجابوه الى ذلك وقالوا

له هذا الشيء والأمر فى أى وقت طلبته فعلناه ولكن أرسل اليها من خلف زوجها فان أجابت كان بها وإلا فنحن نفعل ذلك وقت ماتريد فقال لهم هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب (قال الراوى) ثم انه ادعى بداية التى ربته وأعاد عليها ماهو فيه من العشق والغرام ثم أعطاها تحف عظيمة وأموال جسيمة وقال لها اذهبى لزوجة هذا البدوى الذى جلب لنا الأموال وقولى لها ان ابن أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان يطلبك لنفسه وهو أحب اليك من هذا البدوى الذى لا له قدر ولاقيمة ولا له شغل إلا قتل الرجال ونهب الأموال (قال الراوى) فسارت الدايه اليها ومعها تلك التحف والأموال ثم أعلمتها بجلية الحال وذكرت لها ما قاله ابن الملك من ذلك المقال فلما سمعت قتالة الشجعان ذاك المقال اغتاظت غيظا شديداً وقد تغير لونها وقالت لها ياعجوز النحس إن علم زوجى بهذا الأمر فهو يهلك هشام لأنه لاينظر فى العواقب فقالت لها الدايه والله ان ابن أمير المؤمنين خير لك ممن يمشى على وجه الأرض فقالت والله لا كان ذلك أبداً ولو سقيت كاس الردى (ياساده) فبينماهم فى الكلام واذا بجندبه دخل عليهم فأعلمته زوجته بالمقال وقد أطلعته على جلية الحال فقام عرق الغضب بين عينيه ثم ضربها بعامود حديد خلط عظمها فى بعضه البعض وأمر بعض غلمانه أن يرموها الى ظاهر البلد فرموها ورجعوا (قال الراوى) وان هشام استبطأها وقد أيس منها فاجتمع ببعض غلمانه وندمائه وقد أطلعهم على ماجرى له من إرسال الدايه وقال ما أظن إلا انها قتلت فاتفق رأيهم على انهم يأخذوها بغير اختيارها اذا عاد جندبه طالب دياره (قال نجد) وكان جندبه أقام بعد ذاك خمسة أيام والاقامة تنبه فى كل يوم ولم يجرى له حديث فى الاماره فقال لمن معه لقد خسرنا فى هذه التجارة ولوكنا أخذنا الأموال وقعدنا فى ديارنا كان خيرا لنا ثم أقام ذلك اليوم ومن الغد دخل على الخليفة وأخذ منه الاذن فى أمر الرحيل فأذن له بذلك وأعطاه شيء كثير من المال والخلع الحسان وخلع على كل من معه من الرجال وأمرهم بالمسير بعد أن شكرهم وأكرمهم الاكرام الكثير وبعد ذلك خرج جندبه وأصحابه وساروا من دمشق طالبين أرض بنوكلاب إلا انه (ياساده) ماسار من دمشق إلاقدر ميل أوفرسخ طويل ولم يشعروا إلا وقدخرج عليهم كمين وهو قدرخمسمائة فارس وهشام فى مقدمتهم وقد حمل على جندبه برجاله ولما رأى جندبه الى تلك الخيل حمل عليهم حملة الأسد فقتل منهم ثلاثين فارسا وبعد ذلك تكاثروا عليه وحجبوا بينه وبين قتالة الشجعان وكان قد قصدها أكثر من ذلك وتكاثروا عليها وأخذوها وهى فى الهودج وجندبه

مشغول عنهم بالقتال وهو لايعلم بذلك الحال ولما ملكوها الأبطال ساروا بها نحو الشام والقتال عمال ولما علموا باقى الفرسان أن أصحابهم قد ملكوا الهودج وساروا به ردوا على أعقابهم راجعين فرجع جندبة عنهم ولما هدئ من القتال وراق باله افتقد جندبه أبطاله فما رأى فقد منهم إلا خمسة أبطال وسأل عن زوجته فلم يجد لها آثار وقالوا لاعلم لنا بها فحار فى أمره وذهب عقله ولبه وصار يفتش عليها فى القتلى فقال له بعض الجرحى : على من تفتش ياأمير وما تطلب من التدوير فقال له أطلب زوجتى فقال له نحن ماجئنا إلا فى طلبها وقد أخذها ابن أمير المؤمنين وطلب بها دمشق الشام ثم انه حكى له على الأمر والأحوال فلما سمع منه ذلك المقال سحب الحسام وأراد أن يقطع الطريق على القوافل والسفار من جميع الجهات والأقطار ويرجع فى طلب زوجته ويهجم على دار الخلافة ويخلصها من دمشق الشام ويقتل ابن الملك فمنعوه من ذلك أكابر القوم وقالوا له ماهذا صواب واعلم ياأمير أن يد الخلافة لاتطاولها يد ولا تعاند ولكن نحن نعطيك غيرها من بنى عمنا وتكون أخير منها لأن البنات كتير فقال لهم لابد أن أفعل أمراً مع الخليفة وولده ولوكان فى غير هذه الأيام ثم ان جندبة سار وقد استوحش لزوجته وصار يبكى عليها الليل والنهار ولما زاد به الغرام أنشد يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

أسير وفى قلبى من الوجد لوعة	ودمعى جرى من مقلتى فوق وجنتى
على زوجة كانت على عزيزة	وما مثلها ألقى مدى الدهر زوجة
قتالة الشجعان كانت شجيعة	وافتردت بين النسا بالشجاعة
وكانت من الحسن البديع بجانب	تفوق ملاح العصر من حسن طلعة
تألفها قلبى وروحى وخاطرى	وحبتنى أيضا كمثل محبتى
وقد وافقتنى فى الأمور جميعها	وفى ملتقى الأبطال كانت كهمتى
أيا سفرة كانت على مشومة	أشاروا بها أعيان أهل مشيرتى
كسبت من المال الجزيل غنيمة	ومن بعدها يسبون أيضا لزوجتى
وسرت بها للشام طالب رغبة	وكانت حمولا كلها للخليفة
فلو كنت ماردتيها كنت سالما	من العيب أيضا ثم تسلم زوجتى
فعلنا جميلا عاملونا بضده	وخانوا عهود الله أهل الأمانة
هشاماً فعل فعلا قبيحاً وخاننى	بلاه إله العالمين بنكبة
ورمت بأن أعصى وآخذ تارها	وأنهب مالا سائراً للخليفة

نهانى بنى عمى وأهل مودتى　　ولست لها أنسى ليوم القيامة
أيا ندمى من سفرتى عدت خائبا　　وكانت علىّ سفرة بئس سفرة
وصلى إله العرش ربى دائما　　على المصطفى المبعوث للخلق رحمة

(قال الراوى) ولما فرغ من شعره توجهوا اليه قومه وبنو عمه وقالوا له لو كان غريمك دون هذا الغريم كنا فديناك ومن حربه كفيناك لكن يد الخلافة لا تطاولها يد ولم يزالوا سائرين إلى نصف الطريق فوجد الامير جندبه جماعة معهم مال كثير محمول إلى الخليفة عبد الملك بن مروان وقد أتى اليه من بعض الجهات فتعرض لهم جندبه فمانعوه القوم الذين مع المال فقتلهم وأخذ المال منهم وسار ولم يزل سائر الى أن وصل الى حى بنى كلاب وهو مهموم مغموم من أجل زوجته قتالة الشجعان فجاءوا اليه أهل الحى ليسلموا عليه فرأوه محزون لاتنشف له دمعة ولا تبرد له لوعة فأقبل عليه رجل من أهل الحى وكان شيخ كبيرمن أمراء الحى وكان اسمه الأمير عامر وقال له ياولدى لاتتأسف على ما مضى ولا تبكى على مافات فان الدهر كثير الآفات واعلم أن لى بنت اسمها (حسنا) وهى أبهى من البدر ليلة كماله وأسنى وأزهى ذات جمال وبهاء وقد واعتدال وقد خطبوها منى أمراء العرب فأبيت أن أزوجها لأحد منهم وهى هبة منى إليك فقبلها منه الأمير جندبة عند ذلك ودفع اليه مهرها شيئا كثيرا من المال والملبوس والنزق والجمال والخيل وغير ذلك فجهزها له فى خمسة أيام ودخل عليها فى اليوم السادس فرآها درة ماثقبت ومطية لسواه ماركبت فأزال بكارتها وتملا بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فجاءت على خاطره ومزاجه وسلا بها عن قتالة الشجعان (قال نجد) فهذا ما كان من جندبه . وأما ما كان من أمر هشام بن الخليفة فانه لما أخذ قتالة الشجعان أقام معها مقدار شهرين وهو يراودها عن نفسها وهى تمانعه وتأبى ذلك وكلما تقرب اليها نفرت منه وكلما تبسم فى وجهها عبست وقطبت وأخذت تسبه وتشتمه وتنهره ولا تدنو منه ولاتقربه فاغتاظ منها غيظا عظيما ولما طال عليه الأمر وخاف من انحطاط قدره بين البشر إذا شاع عنه ذلك الخبر اغتاظ منها وقتلها ولفها فى ثيابها وأخرجها فى دهليز القصر وأمر الجوار أن يدفنوها فى الليل (قال نجد) فهذا ما كان من قتالة الشجعان وما جرى لها . وأما ما كان من الأمير جندبه فانه فى كل يوم ما زال يزداد قوة وكرم وقد زادت همته وقد أطاعته جميع العربان وأتت الى خدمته من كل مكان واستخدم الشجعان وعظم شأنه وسلطانه وقوى سلطانه وزاد وقاره وصار مقدماً على بنى كلاب والحاكم على سائر الأبطال (قال

الراوى) وكان مروان بن الهيتم له الامارة على بنى سليم وكان ملك عظيم وجواد كريم له نظر صايب وكان مع ذلك الملك هذا لم يكن صاحب شجاعة بين قومه وكان جندبة أفرس منه فى حومة الميدان ومقارعة الأبطال (قال الراوى نجد بن هشام) وكان حديث مزنة أمر عجيب وحديث مطرب غريب نحب نذكره على الترتيب بعد الصلاة على سيدنا محمد الحبيب الشفيع الذى من صلى عليه لايخيب وذلك أن مزنة هذه كانت تسوى من المال عشر بدر ولم يكن فى ذلك الزمان فى خيول العربان أجود منها ولا أسرع ولا عاين أحد شكلها وكان الريح من جريانها والرعد من صهيلها والصباح من غرتها فهى يجوز الوصف والسواد الحالك من عينيها والشمس تشرق من بياض نواصيها كأنها القضاء المنزل أو الريح المرسل سليمة من العيوب محبوبة للقلوب فهى كما قال فيها عامر بن يعقوب حيث يقول :

كان وميض البرق من وثباتها ... إذا لجحت فى لجةالبيض والسمر
فراكبها فى العز والعز راكب ... يحول الأقران بالهندية والسمر
حوت مثل جرىالريح حتى كأنها ... كريح النبى سليمان بلا نكر
لقد فضلت فى الخيل حقا كمثلها ... على ألف شهر فضلت ليلة القدر

(قال نجد بن هشام) وكان الأمير جندبة قد شغف بحبها شغفا شديد وكان كثير الحرص عليها وقد أقام الحرس خوفا من السلالين وفزعا من العبارين والطراق وقد شاعت بحديثها الركبان والسفار وتحدثوا بها القوافل والرفاق ووصفوا فى وصفهاجميع الخلائق وكان جندبة أوحد أهل زمانه وفريد عصره وأوانه وكانت حجرته فريدة فى الخيل فما بقى فى العرب شاعر إلا وصفها فى شعره ونظمه ولا صاحب إلا وذكرها (قال نجد بن هشام) ووصل خبرها إلى بنى طى وأميرها وملكها والحاكم عليها وكان اسمه الغطريف ابن مالك الطائى فهام قلبه بها وطار نومه من أجلها شوقا اليها وحسرة عليها وبقى من حبه حيران ولهان لا يدرى كيف يصنع قال فبذل من أجلها المال الجزيل الذى ليس بقليل من الابل والخيل والغنم والعبيدوالدنانير والنعم الكثيرة لكل سارق وشاطر حاذق ومابقى سلال وخاطر فى طلبها طمعا فى الأموال والانعام فلم يظفر أحد منهم الا بالتعب والعنا (قال نجد) ولما ضاقت على ملك بنى طى حيلته وازدادت بلته بعدبذل الاموال بذلفيها نصب مملكته ونعمته فهلك كثيرمن الناس بسببها وبعدذلك انقطع عنطلبها طمع الطامع فلما أعياه ذلكالأمر بذلابنةسلماوكانت فريدة عصرها وجوهرة دهرها وقد حمل الى ابيها الأموال من جميع الملوك وهو يأبى أن

يزوجها فلما هام قلبه بمزنة هانت عليه ابنته سلما وقال بذات الكريمة فى الكريمه ثم نادى يامعاشر الأصحاب والخلان من كان فى ابنتى راغب وفى كريمتى طالب فقدجعلت مزنة فرس جندبة ابن الحارث صداقها وأضيف إلى ابنتى خمسمائة ثوب من الديباج مختلفة الألوان بعشرة أحمال من التحف الغوال مع المضارب والخيام والخيل والجنايب المسومات وأنا أقسم بمن بسط الأرض ورفع السماء لا كنت بما وعدت كاذب ولا أخاف عتب عاتب وأكون كما قيل فى الأمثال وللناس فيما يعشقون مذاهب (قال الراوى) فلما سمعت العرب مقاله طمعت فى أمواله وثارت رجاله وهممت أبطاله وزمجرت أقياله (قال نجد) وكان فى بنى طى رجل يقال له جفال ويلقب بالمحتال وكان شنيع الخلقة وكان لايطمع فى سلما بالوصال ولا يعد لها من الاشكال فلما بذل الغطريف ما بذل أيقن جفال ببلوغ الآمال فنهض جفال على عجل وقال ماتصلح سلما إلا لى ثم ركب ناقته وودع أهله وعشيرته وصار يقطع الفيافى والقفار وهو ينشد ويقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

خليلى إنى ذاهب غير ذاهب وفى قلبى نار من فراق الحبايب
وانى مشغوف بسلمى متيما وملقى على فرش الضنا والنحائب
وإنى ذو عقل ومال ومورد وصبر اذا اشتدت على المصائب
وماابنةالغطريف عندى رخيصة سأبذل نفسى دونها فى الكتائب

(قال الراوى) وبلغ سلما أن جفال جد فى طلب مزنة طمعا فى طلبها ففزعت وقالت لا بلغ الله آماله فى مزنة ويزيد همه وغمه ولا بلغ الله أبى آمال لأنه يريد أن يعطينى لهذا الشيطان الفاجر المحتال الذى انسلخ فى صورة انسان بشوارب مريعة وريحة كريهه وأنف أعوج وفك أفلح لقدكنت لغيره أحوج وأنا أقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين لان وصل جفال بالحجرة لأقتلن روحى قبل أن أدخل عليه ثم انها بكت وتحسرت وجعلت تقول ونحن نصلى على سيدنا محمد الحبيب الذى من صلى عليه ما يخيب:

أرى الغطريف مال عن الصواب ويطمع فى خيول بنى كلاب
ومن عظم المصائب والبلايا تزف حمامة نحو الغراب
لئن تم الذى قد قال يوما فنوحوا حسرة وابكوا شبابى

(قال الراوى) وسرا جفال حتى وصلوا إلى ديار بنى كلاب فوجد أربعين خشبه عليها أربعين سلال وهم مصلوبين فسأل بعض العبيد عن ذلك الحال فقال له ما فى هؤلاء

أحد إلا وهو سلال وقد جاء فى طلب مزنة فوقع فى هذه المحنه فلما سمع جفال من العبد ذلك المقال علم أن الطلب إلى مزنه بعيد والوصول اليها صعب شديد ثم انه قال من لم يخاطر بالأرواح ما ينال من سلما الوصال ولو راحت روحى لأن سلما وأنا أخاطر مثل الحور العين (قال الراوى) وكان جفال طويل الشيبه مليح الهيبه فلبس مسح أسود وكشف رأسه وكان له شعر طويل مثل أذناب الخيل ووجه أسود مثل سواد الليل ثم إنه قوس ظهره وأرخى ذقنه وأسبل شعره على أكتافه ونفش لحيته وأرخاها على صدره ودخل الحى وهو ينشد ويقول ونحن نصلى على سيدنا محمد الحبيب الرسول

أين العشائر والبقائل	أين أصحاب المحافل
أين السلاطين الكبار	هلكوا فما تبعتهم المنازل
ملكوا وما ملك المنازل	وتغيرت تلك الهواكل
شربوا الحمام وأعدموا	تلك المشارب والمآكل
يا غافلين عن الفنا	ليس الفنا عنكم بغافل
فاستيقظوا من قبل يوم	تكون فيه النوازل
لم ينج من نار الجحيم	سوى فتى لله عامل

(قال نجد) وكان له صوت جهير فأهاج الاخوان وأبكى الرجال والنسوان والشيوخ والشبان ولم يبق أحد إلا ومضى نحوه وترامى عليه وقبل رجله ويداه ثم انهم قدموا له الزاد فامتنع من أكل الطعام وعدل نحو الفلاه ونظروا إلى طول شعره وخشونة بدنه وكبر آذانه فقالوا هذا من أوتاد الأرض المستوحشين مع الوحوش السائحين فى طاعة رب العالمين وكلما عف عنهم وهرب منهم ازدادوا فيه رغبه وقصده جندبة ولما سمع صوته الشجى وقد سمعه وهو يقول هذا الكلام ويرد عليهم بزخاريف الأخبار فبكى عند ذلك الأمير جندبه من وعظه وحسن لفظه فجعل يتبرك به ويسأله الدعاء فلما رأت بنى كلاب ذلك سألوا الامير جندبه أن يسأله لعله يبات فى خيامهم ويأكل من طعامهم فسعى جندبة اليه راجعاً وهو راجلا ونادى وهو يحسن ظنه فيه متوسلا به وقال له أيها العبد الصالح الساعى فى المصالح أقسمت عليك بمن نزع من قلبك حب الدنيا وألهمك بذكر الله وأشغلك بالعبادة والتقوى إلا أن تبيت فى هذه الليلة عندنا وتأكل طعامنا لتعود بركتك علينا ولعل الله أن يكفينا شر أنفسنا وسيآت أعمالنا ويلهمنا التردد لآخرتنا لقد بلغ كلامك فى عقلى وودت أن أترك حب الدنيا من

قلبي وأبكي على ما مضى من ذنبي فقال جفال لقد أقسمت على بقسم عظيم سوف أبيت في خيامكم إلا على شرط أن لا آكل إلا مما تنبت الأرض في رؤوس الجبال وبطون الأودية والتلال خوفا من مناقشة الحساب وشده العذاب فقال جندبة يا سيدى نحن بحكمك ولك الخير والكرامة والله يجمع بيننا وبينك يوم القيامه وقد انتشبت مخاليب الاحتيال وأقبل على الأمير جندبة يعظه ويخوفه وهو يبكي وينتحب ثم أقبل عليه وقال له أيها الشيخ أنا أسهر الليل من خوفي على حجرتي لقد طمعت فيها ملوك العربان وقصدتها السلاطين من كل مكان فادع الله تعالى أن يحفظ هذه الحجرة فما حفظه الله فهو المحفوظ وبعين عنايته ملحوظ فقال جفال وأين أنت من اسم الله الأعظم الذى لا يحتاج معه إلى أقفال لكن أريدك أن ترنى هذه الحجرة فانى أضع عليها يدى المباركة وأدعو بالاسم الأعظم فى أذنها وأسأل الله تعالى فى حفظها فيبقى بينها وبين من يريد أخذها سد بولاد ما يحتاج معه إلى قيود ولا أقفال ففرح جندبه بمقاله وحمله إلى خيمته وجفال قد أضمر الغدر بمن أحسن فيه ظنه وهو يطلب منه غفله يسرق منه مزنه وجعل يرتقب الليل وهو قائم على قدميه ولم يزل على ذلك الحال ثلاثة أيام لم يذق فيها منام ولا طعام ولا يمل من القيام والقعود فقال جندبه والله لمثل هذا فليعمل العاملون لقد ضاع زمانى فى محبة مزنه وحفظها فلو أعطيت نفسى من أمورها كان أصلح لى ولها وكانت الليلة الرابعه جعل جفال يبكى فى صلاته ويظهر الخشوع فى دعواته قال فسأله الأمير جندبه عن أحواله مما رأى من توجعه وبلباله فقال له جفال أكتم أمرى أيها الأمير لأنى رأيت البشير النذير فى المنام وهو يقول لى فى ليلة غد تفارق الدنيا وتصل إلى عند المولى وقد بكيت لهذا التأخير إلى ليلة غد إلا أن من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاه وأسعده فى قبره وما أشقاه (قال الراوى) فلما سمع الأمير جندبة هذا المقال بكى بكاء شديدا وتعلق به وقال له أيها السيد ادعو لى ولحجرتى مزنه من كل طارق وسارق (قال نجد) فجعل جفال يدعو له إلى نصف الليل فغلب على الأمير جندبه النوم فقام إلى محل منامه وكان قريب من محل جفال وانضجع ونام فى محله وكان مفتاح قيد مزنه فى دكة لباسه لا يأمن عليه أحدا من رجاله وأناسه والقضا المدبر عليه يضحك ولم يعلم بما دار الفلك به فانه قد انطلا عليه مقال جفال وقد كثر عنده الخشوع والآلام فنام وعلا غطيطه فوثب جفال مثل الأسد الريبال وقام إلى الشمعة فطفاها ثم انه أدخل يده تحت أذيال جندبة وحل المفتاح من دكة لباسه وقد احتوى عليه وخرج من باب المضرب فوجد مزنه فى قيدها تلعب وغرتها

تلوح مثل كوكب الصباح وعندها عشرة عبيد نيام والسيوف إلى أجنابهم وقد أمنوا من جهة سيدهم واشتغاله بالعابد الزاهد الذى قدأحسن الظن فيه وقربه إليه وإنجفال قدفتح الأقفال وعزم أن يعلو على ظهر مزنه فحدثته نفسه بأمور شتى لم تكن فى الحساب (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أنه فزع من العبيد أن ينتبهوا ويقع به الصياح وهو بين المضارب وتلك الخيام فربط مزنه فى أطناب الخيام وأخرج خنجرا يمانى من عمل تبع بن جعفر كأنه القضاء المنزل الذى لا مرد له ولا مدفع كيف ما مال قطع قد سقى بأنواع الموت وسن على مسن اطلاق الفوت فذبح العشرة أسرع من طرفة عين وأراد أن يركب مزنه فوقف وقال قد قتلت الجثة بقى رأسها وإذا كان جندبه فى الاحيا طيب فلا بد له من طلبي ولا آمن من عطبي ثم دخل المضرب وقد خلت الرحمة من قلبه ومخافة الله عز وجل من سره ولبه ثم انه جلس على رأسه وأراد أن يوضع الخنجر على نحره وهم أن يذبحه كما فعل بالعبيد إذ سمع معه فى الخيمة كلام وقائل يقول له اصبر ولا تعجل ففى طلبك أتيت والحمد لله الذى جمعنى وإياك فى هذا البيت (قال نجد) وكان السبب فى ذلك عجوزه تسمى غالبه ابنة عطارد وكان الأمير جندبه يناديها يا أماه وكانت طاعنة فى السن وهى صوامه قوامه وكانت لا تدخل على ولدها إلا فى كل سنة مرة واحدة وبقية السنة فى محرابها راكعة ساجدة ولربها شاكرة (يا سادة) فلما سمعت أن عند الأمير جندبه عابد زاهد وان له ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب وانه يصبر على ذلك ثلاثين يوما فقالت فى نفسها هذا من الابدال ثم انها نادت لبعض امائها وقالت لها خذى بيدى إلى الخيمة الذى فيها ولدى فقد انفرد بهذا العابد عن نسائه وأولاده وأصحابه وهذا هو الرأى السديد والأمر الرشيد أخذ الله بيد ولدى إلى ما يحب ويريد قال فوصلت بها الاماء إلى المضرب لان العبيد على بابها ولكن اقلعى بعض أطناب المضرب لأنى أريد أن لا ينظرونى العبيد فنعين إيزار المضرب أنا وإياكى عسى هذا العبد الصالح أن يدعو لولدى بالتوبة النصوح وأن يرزقنى المسامحة يوم القيامة إذا اشتدت الفضيحة فقالت الأمه انى أرى الخيمة مظلمة وما هى عادة هذا العابد فى عبادته حتى انه يخفى عن أعين الناس فلما دخلت الخيمة أحست بالزاهد فى حركته فظنت أنه فى عبادته فقالت أيها العبد الصالح المطيع لربه السميع العليم ادعو لمن طال عمرها وكثر ذنبها وطال أملها وقصر عملها أن يغفر الله لها وادعو لولدى هذا النائم فانه بحق قائم وللطاعة ملازم وهو يقرى الضيفان ويكسى العريان ويعطى الفقير ويجير المستجير ويحسن الظن بكل مطيع للملك القدير ويفك

الأسير ويجود بالكثير فعند ذلك قال جفال وكيف لأدعو له وهذه الصفات صفاته فسوف أدعو لكى ولولدك بطول العمر والبقاء اذهبي بارك الله فيكى فلم تقدر تخالفه لعظم هيبته فانصرفت وهى فرحانة بدعوته (قال الراوى نجد بن هشام) هذا وجفال قد عزم على ذبح جندبه وإذا به قد سمع وقع حوافر مزنه على باب الخيمة نخاف من فوات مراده نخرج على باب المضرب ليعلم الخبر فلم يجد لمزنه خبر (قال نجد) وكان السبب فى ذلك أنه كان بأرض الشام رجل أمير يقال له صالح بن معن وكان فارسا لا يطاق علقم مر المذاق وهو صبح الوجه كريم اليد طيب الأخلاق كثير الرجال والأموال سريع إجابة السؤال وكان يحكم من القرتين إلى الرستيين إلى حماه وكان يغزى إلى بلاد الروم محبة فى الجهاد وطاعة لرب العباد وكان مشغوفا بحب الخيل لأن العز مقرونا بنواصى الخيل وكانت تجلب اليه من سائر البلاد وهو يبالغ فى أثمانها ولو بلغت أوزانها رغبة فى الجهاد على ظهورها واتصل اليه أخبار مزنه حجرة الأمير جندبه فطاش عقله بوصفها وقال لو باعنى إياها بوزنها ذهبا لوزنت ذلك فقال له المخبران صاحبها مقدم على عدد كثير من الأبطال والاقران وله أموال تسد الفضاء والفيعان ولا سبيل له إلى البيع فيها لأنه بنفسه وماله يفديها وقد صلب بسببها أربعين سلال واقتنص على ظهرها الأبطال وهى روحه الذى بين جنبيه وما يحلف إلا بها فلما سمع الامير صالح بذكرها ضاقت عليه الدنيا بما رحبت وتمنى أن الرجل لم يخبره بها فوثب اليه عبد يقال فاتك وكان مثل اسمه يحاكى الليل فى سواده وإذا جرى يسبق الخيل فقال له أيها الامير إذا عز المطلوب ابذل المحبوب وإذا بذلت ما أريد جئتك لما له تريد فقال له ويحك اطلب ماشئت فانى أعطيك ماهويت فقال له اعطينى ابنتك سعدى فانى أهيم بها وجدا وعندى منها مرض لايهدا وكانت سعدى ذات حسن وجمال وبهاء وكمال أعذب من الزلال ومن فرط الامير صالح بمحبته إلى مزنه حجرة الامير جندبة حلف يمين غير كاذب أنه اذا أتاه بالحجرة حباه بابنتـه وأضاف اليها شيء كثير من نعمته فسار فاتك يطلب تلك البلاد وقد منع من جفنيه لذيذ الرقاد وأزعج البر بالانشاد وقد هيجه الغرام فأشار وجعل يقول :

لقد هام الفؤاد بحب سعدى ... فـكيف أقر من قلقى وأهـدا
ولى شوق إلى سعدى قديمـا ... وقلبى قد علا شوقا ووجدا
إذا هب النسيم على فؤادى ... وأذكرها وجدت النـار بردا
إذا أمسى المسا فأقول انى ... أرى الأيام تجمعنى بسـعدى

وأحظى بالذى أرجوه حقا　　وأبلغ مقصدى وأنال رشدا
وأبذل اجتهادى فى هواها　　وآخـــذ مزنه وأنال قصدا
وأزداد المفاخر والمعالى　　إذا الرحمن أسعدنى بسعدى
وأسأل ذا الجلال وذا العطايا　　يسهل ما أريد مزيد رفدا
وأقضى ما حييت الدهر شكرا　　لخلاق الورى وأدوم عبدا
وأظفر بالمنى من ابن معن　　إذا ما أنجز المأمول وعدا
وان أصلب ولم أبلغ مرادى　　فذاك يهون فى حبى لسعدى

(قال نجد بن هشام) وجد العبد فاتك فى سيره ليله ونهاره حتى دخل إلى حى بنى كلاب وهو فى زى طنجير من طناجير العرب وكحل عينيه وحلق ذقنه ولبس ثوب من ثياب النسا عريض الاكمام وكان أسمر اللون مليح الكون دقيق الخصر كأنه من بعض الأناث لافرق بينه وبين النساء وعرف موضع الأمير جندبة نهارا وكرر نظره فى مزنه مرارا فلما انسدل الليل بالاعتكار وملا بسواده الاقطار وصبر فاتك الى أن نام كل يقظان وهجعت الرجال والنسوان وخمدت النيران قصد الى المضرب لينال من مزنه ما يريد وكان وصوله فى الوقت الذى ذبح جفال فيه العبيد ودخل ليذبح جندبه فوجد فاتك الأمر قد تهيأ فعند ذلك دخل الى المضرب واستوى على ظهر مزنة (قال الراوى) وسار فاتك وجد فى سيره كما ذكرنا وخرج جفال فوجد الحجرة قد عدمت كما وصفنا فعلم أنه قد عدم التوفيق وقصده زحل فى الطريق فقال ان هربت طلبت وان قعدت طلبت ومالى إلى أقتل جندبه ليشتغل به أهل الحى عنى من الطلب وآخذ أنا فى العرب ولعلى أقتفى أثر مزنه ولو بلغت الى الارض السابعة السفلى ولما عزم على قتله فانتبه الأمير جندبه من رقدته فوجد الشمعة مطفيه فأحس قلبه بالبلية وافتقد المفتاح فى وسطه فلم يجده فصاح صيحة عظيمة ونادى بالعبيد فلم يجبه أحد فوثب وثبة الاسد وقصد إلى المضرب وطلب فاتك فلم يجده فعلم أن الحيله قد تمت عليه والبليه قد وصلت اليه فنادى بالعابد فلم يجبه أحد فنادى بغلمانه فلم يجبه أحد فأحس قلبه بالبلا فقال لاحول ولاقوة إلا بالله ولما صاح جندبه وسمعه جفال فطلب الى نفسه النجاة وركب على بعض جنائب جندبه وخرج هاربا وسار فى الفلاة (قال الراوى) وأما جندبه فانه لما نظر الى عبيده مقتولين ضاقت عليه الأرض بما رحبت وطلب موضع مزنة فما رأى لها خبر ولا وقع لها على أثر فتحير الأمير جندبه من هذا الامر وصاح وحثا التراب على رأسه ونادى يا آل كلاب فثار والرجال من كل مكان وأجابوه من كل جانب وهم على

الخيول والجنائب وهم مثل السلاهب فأعلمهم بما يجرى على مزنه فما فيهم أحد الا وصعب عليه ما جرى على الامير جندبه وتفرقوا فى جميع الطرق وفى سائر المسالك وأما جندبه فانه أخذ جماعه منهم وسار على غير طريق إلى أن انتصف النهار ولم وجد أحد وتم الى الظهر وأما جفال لما خرج من الخيام وهو مسلوب الفؤاد حيث أنه لم بلغ مراد ومن تمام القضا فانه سار على طريق العدو لأنه على ذلك علم أن بعض سلالين الشام أخذها وكان جفال قد تبع آثار مزنة فسار فى طلبها وطمع فى أخذها لانه كان شجاع وبطلا مناع فسار ذلك اليوم الى ان انتهى إلى أرض مزهرة الجنبات مخضرة الربوات فنزل هنالك جفال وهو لم ينظر إلى أحد يسأله عن ذلك الحال وفى ذلك الوقت وصل فاتك وقد أمن على نفسه وعلى مزنة من المهالك واطمأن على مزنة من كل آفه ومحنة وأطلقها فى تلك الأرض ترعى فلما نظر جفال الى ذلك ركب على جواده وصاح على فاتك وقال له ياولد الزنا وتربية الخنا هيهات أن تفترس السباع وتأكل الضباع خل عن خيول الأعراب وانج سالم من العذاب فان مزنة مهر سلما فابعد عنها رغما فقال له فاتك وقد ثار وعيناه مثل النار كذبت يانذل العرب هيهات ان هى الا مهر من هى أحسن واسما من معشوقتك سلما (قال الراوى) ثم انهما حملا على بعضهما بعض واعتركا ساعة زمانية على وجه الارض وسبق فاتك بضربة بخنجره فى صدر جفال وكان الفال موكل بالمنطق لان جفال كذب على النبى صلى الله عليه وسلم فرد الله تعالى قوله على نفسه صحيح وأخذ فاتك مزنة والجواد بعد قتل جفال وسار يقطع البرارى والقفار وهو ينشد الاشعار الا أنه لما فرغ من نظامه والاشعار الا وغبار قد ثار حتى سد الاقطار وضربه الهوى فتقطع وبان ماكان خافيا وتأمله الناظر تأملا شافيا واذا برجال اليه قاصدين وهم طلبه واردين والامير جندبه فى أوائلهم وهو يصيح ياجامع الشتات يامحيى الاموات أعنى على الامور والمشكلات (قال الراوى) فلما سمعت مزنه صهيل الخيل من ورائها ضربت الأرض بحوافرها وجذبت عنانها من يد فاتك فألقته على وجه الارض وأوسعت فى البريه.

فلما رأى جندبه إلى ذلك علم أن الخيل ماتلحق لها غبار فأشار على قومه ألا يتبعها منهم أحد وكانت به ألوف لانه رباها وأكرمها وكان فى أكثر الاوقات يستدعيها فتأتى بسرعة فلما سمعت صوته صهلت ومالت اليه كما يميل الطفل الى ثدى أمه وجاءت اليه كأنها السهم المرسل أو القضاء المنزل ووقفت بين يديه وجعلت تمرغ وجهها على قدميه وهو يقبل غرتها ويمسح بيده على ناصيتها وقد أخذوا فاتك أسير وقد رأى

جندبة الى الزاهد وهو فى دمه عفير فسأل الامير جندبه عن ذلك الفقير فأخبره فاتك بما كان وأطلعه على ذلك الأمر والشأن فقال له جندبة أما أنت فقد وهبتك نفسك لان الله سبحانه وتعالى جعلك لنجاتى من هذا الغدار ولك على أن أجمع بينك وبين محبوبتك سعدى والا أوهبتك بأمة أحسن منها وقد جعلت أجرتك على قتلى عدوى اطلاقك ورجع جندبه فرس وبعض مال وسار يقطع البرارى والقفار (قال الراوى) وأما مقدم بنى طى الغطريف فانه وصل اليه الخبر بقتل جفال واشتد به الوبال وعلم أنه ما ينال من مزنه منال فجمع قرمه وسائر عشيرته وشاورهم فى أمره وقصته فقال له رجل شيخ كبير الشيبه كامل الهيبه أيها الامير من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ومن عدل عن طريق الهدى لاشك أنه يقع فى الردى وعندى أمر رشيد أشير به عليك وهو إن قبلته نلت ما تريد وهو رأى سديد فقال له الغطريف قل ما تشاء فما خاب من استشار لاسيما أهل العقول والأبصار فقال الشيخ أيها الأمير أنت بذلت سلمى لمن يأتيك بمزنه فربما وصل اليها بعض العبيد فيكون ذلك العار الشديد وعندى من الرأى أن أسير إلى بنى كلاب وأصف لهم حسن سلمى وما نالت من الحسن والجمال واذا قال لى أميرهم ماتريد من المهر وما يكون الصداق أقول ما نريد المهر إلا مزنه و يكون مركوب بمركوب لأن النجاح مقرون بالنكاح فقال الغطريف أيها الشيخ لقد قلت الصواب ولكن كيف يكون العمل اذا ما هو رضى ولا أجاب ايش يكون أكثر من هذا العار والذل والشنار ما طرد الليل النهار فقال الشيخ فليس علينا عار (قال الراوى) ولما سمع الغطريف كلامه ضم اليه خمسين عبدا وألبسهم الثياب المذبجه والعمائم الحرير وقدم ومعه خمسين حصان عليهم إجلال الديباج المنسوجة بالذهب الوهاج وقال له خذ هذه الخيل فى صحبتك حتى يعلم جندبة أن مزنه ما هى كثير وتصغر فى عينه وبعد ذلك أخبره عنى وصف له حسبى ونسبى وصف له ابنتى سلمى وما قد أعطيت من الحسن والجمال والعقل والكمال وما معها من الأموال (قال الراوى) وسار الشيخ وكان اسمه عوف ولم يزل سائر حتى وصل إلى حى بنى كلاب فلما رأوه ومعه تلك الخيول الموسومة والعبيد عليها ركاب فرحوا به المشايخ والجباب وقالوا له من أين أقبلت أيها الشيخ المليح صاحب اللسان الفصيح فقال من عند من ذكرهم فاخر الموصوفين عند سائر الأمم بالوفا والكرم فنحن من عند حاتم عصره وعنترة دهره البطل المماحك والليث الناسك الكثير الممالك الغطريف بن مالك قاصد الى أميركم وأرجوا الاعانة من كبيركم وصغيركم فى أمر يكون فيه سروركم فقالوا له أهلا وسهلا ومرحبا بالقادم الى

الديار الناطق بأطيب الأخبار ها أبيات الامير جندبه بين يديك ونحن الجميع لك لا عليك لأن أمرك الى الصلاح أقبن الله سعدك بالنجاح ثم ساروا به الى جندبه وأعلموه بحاله ومامعه من الخيل والعبيد والغلمان فقال ياويلكم احفظوا منه مزنه لا يكون سلال وقد أتى بالخداع والمحال فقالوا له والله لقد تنغص عليك عيشك فى النهار والليل إذ جعلت جميع الناس يسرقون الخيل (قال الراوى) ثم أن الأمير جندبه أمرهم بالطعام فأحضروه وأكل الشيخ ومن معه حتى شبعوا وقام الشيخ عوف قائما على قدميه وقال الحمد لله المحمود المستحق الحمد غامر العباد بالفضل والجود شرف العبيد إذ بعث اليهم محمداً صلى الله عليه وسلم النبي المنتخب ورفعه الى المكان المقرب وفاز بما طلب وأخبر بما شاهد من القدرة والعجب فصدقه أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكذبه أبو لهب وفرض الصلاة والسلام والصيام على كل مسلم إلى الله تقرب وجعل النجاح سبباً إلى كل أرب وأبلغ إلى نيل الارب فجعل الله العدو حبيباً والبعيد قريباً ولا تصلح الكريمه إلا الكريم والمليحه الا الهمام وكان من فضل الله وقدره أن الملك العادل والبطل المناضل والسيد الفاضل ومجيب السائل الذى للشجاعة على وجهه علائم ودلائل الغطريف بن مالك الطائى قد خطبك يا جندبة لابنته ورآك كفؤا لكريمته وزوجاً لعزيزته التى هى ظبية القناص ودرة الغواص التى قال فيها الشاعر هذه الأبيات

منعمة الأطراف بارق ثغرها ... يكاد ثناه يخطف القلب والطرفا
مهفهفة الأطراف يقعد خصرها ... وينحل يخشى من تهفهفه القصفا
وأجفانها فيها سيوف قواطع ... كسيف أبيها يسقى الحاسد الحتفا

(قال الراوى) فتعجبت العرب من مقاله وقالوا له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك فقد أفصحت فى مقالك فأبشر ببلوغ آمالك فقال عوف وكيف لا أكون فصيح اللسان وقد خطبت الثريا وأصبح ميت المزار حيا وكويت قلوب الحاسدين كيا ولكن أريد ان أقول شيئا فقالوا له قل ما شئت واذكر ما هويت فقال ما أذكر خطابى حتى أسمع جوابى من الأمير جندبه فقال له حندبه قل ما تريد واذكره على رؤوس الأشهاد وبين الحديث المفيد فى مثل الغطريف يرغب الراغب وتحمل اليه الأموال والجنائب وأنشد هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

ألا أيها المولى الكريم المخاطب ... أجب عن بنى طى بما أنت طالب
لأن بنى طى كرام أعزة ... لهم شرف فى شرقها والمغارب
وكلهم فى جودهم مثل حاتم ... وأهلا وسهلا بالكريم المخاطب

فكن واصفا للمهر يا صاح اننى سأفعله اذا كان أفضل واجب

(قال الراوى) فلما سمع عوف ذلك فرح واستبشر وقال يا مولاى يريد مركوب بمركوب وقد حيا الله حسن يوسف بن يعقوب وجعله لك موهوب فجعل بالصداق فليس فى ذلك نفاق وسوف تذكرنى اذا رأيت وجهها الزائد الاشواق والاشراق فقال له جندبه قل وأوجز فقال نريد مزنة الكريمة مهر الدره اليتيمة لان الغطريف قد سمع خبرها وقد هام بها لبه واشتغل بها قلبه وقد بذل ابنته لبلوغ أمنيته ثم ان الشيخ أنشد هذه الابيات

أجب يا كريم الاصل يابن الاطايب ويا سيد السادات عند التناسب
فكم عندنا فى طى أمثال مزنة خيول عراب للسراة الاعارب
فوالله ما فى الخافقين كمزنة ولا مثل سلمى صادق غير كاذب
لان سلمى مهرة عربية وما هى الا البدر بين الكواكب
فهذى لها وجه يزين على الدجا وهذى لها جرى نجرى السحائب

(قال الراوى) فلما سمع جندبة كلام الشيخ انقلبت عيناه فى أم رأسه حتى خاف من سطوته جميع جلاسه وقال والله لوطلب الغطريف جميع ما أملكه لهان على إلامزنة التى أكربها على الأعداء لا كان ذلك أبدا ولا يركبها سواى وأنا فى الدنيا والعين لاتعار البكاء والسيف لايدفع للأعداء وما طلب الغطريف إلا قتلى ولا يجمع شمله بشملى ولولا قدومك الينا وواجب حقك علينا لعاد عليك وبال قولك ومابه تكلمت وندمت على إبلاغ ما حملت ومن أجل شهوة النكاح والجماع أدفع ما أعددته ليوم الفراع فارجع الآن خائبا مما أملت ثم أنشد يقول :

حلفت بمن حث السلوص إلى منى يريد بها البيت العتيق المحرما
ومن طاف حول البيت سبعا ومن رمى جمارا ومن لبى وطاف وأحرما
ولو أن لى ما تحت دائرة السما وقد ملئت مالا جزيلا وأنعما
وكل فتاة يسلب العقل حسنها تفوق الظبا جيدا وعنقاً ومبسما
وقالوا تعوضنا بمزنة والتى تكر عليها فى الهياج وتغنما
لما سمحت نفسى بحافر مزنة لأنى بها ألقى جيوشا عرمرما
وقد طمع الغطريف فيها جهالة وقد خاب من يبغى الصعود الى السما

(قال الراوى) فلما سمع الشيخ من الأمير جندبة ذلك الشعر والنظم مكث ساعة زمانية وعلم أن الغيظ غير طبعه ولما سكن مابه رجع الشيخ الى خطابه فقال : رب

مال جلب لصاحبه وبال ورب فرس لعب برأس راكبه من الأبطال فقال أقول ولى الأمان فقال له قل فقال له اعلم يامولاى أن الغطريف عازم على المسير اليكم فى سائر بنى على ولا يدع من بنى كلاب أحد فلا كانت مزنة ولا استكانت وما أشار على الغطريف بهذه الخطبة إلا أنا وقد نصحتك وحق سيد العرب والعجم محمد صلى الله عليه وسلم واذا اتصلتم كانت سلمى لك ومزنه فان أبيت فعلى نفسك تعديت وربما سارت الرجال اليك والأبطال ومانحكم إلا انكم غالبين ولكن يقتل منكم ومنهم من دنا أجله ومن لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب ثم أنشد يقول هده الأبيات :

ياذا المناقب والمناصب　　أنت المقدم فى الكتائب
أنت الذى تعلوه على　　أعلى المراتب والمناصب
حقن الدماء فضيلة　　ما بين مغلوب وغالب
ولربما رجع الخلاف　　إلى المعاطب والمصائب
فاسمع الى القول الذى　　قد صار من بعض العجائب

(قال الراوى) فعندها صاح فيه جندبه اسكت لا أم لك فمن يكونوا هؤلاء الأوغاد فبنى كلاب غايه المطلوب وبنى طى أذل وأحقر وقد همّ أن يقتله بعد أن وشجه بالسوط ثم صاح فيه وانصرف الشيخ من عنده خائب وقد استدت عليه جميع المذاهب وسار بما معه من الأموال إلى أن وصل إلى بنى طى فالتقاه الغطريف وسلم عليه وقال لقد أطلت الغيبة والمقام وأطلقت فى قلبى نار الغرام فقال الشيخ والله يا مولاى لقد صدقت ولما وصلت إلى حى بنى كلاب فأجابوا القوم وقالوا لو طلب الغطريف أموالنا ونياقنا قدمناها بين يديه وكذلك قال جندبة إلا مزنه فانه مايعلو ظهرها إنسان إلى أن تخرج الروح من الأبدان وترمل النسوان فلما سمع الغطريف هذا الكلام صار الضيا فى عينه ظلام وصرخ حتى كادت مرارته أن تنفطر وقال يا شيخ الضلاله ما قلت لك من الأول ما يجيب فأكثرت الخطاب ومالك عندى جواب إلا هذا السيف القرضاب ثم ضربه أطاح رأسه عن بدنه وأنشد يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

بغير الصواب علينا أشار　　مشيرا كسانا من الذل عارا
وما نجح القول فيما أشارا　　فعاد المقال عليه دمارا

(قال الراوى) ثم انه صاح فى بنى طى بأخذ الأهبة إلى ثلاثة أيام وقال لا بد لى أن أجعل بنى كلاب طعاما للذئاب فقام اليه عبد يسمى ميمون ويلقب بالهايج وكان فصيح اللسان شجاع فى الميدان وكان سلال خيل غادر وشيطان وكان مشغوف بمحبة النسوان فقال له يا مولاى قد سمعت أنك قد بذلت ابنتك لمن يأتيك بمزنه فقال له لو كنت أنت يا ميمون ولك معها من الجمال والعبيد ما تريد فقال له يا مولاى تحلف لى بخالق الليل والنهار فقال الغطريف وحق من أعشب البقاع إن أنت أتيتنى بمزنه فلك ابنتى سلمى ومعها شىء من المال والعبيد وأرفعك على سائر الأبطال الصناديد (قال الراوى) فلما سمع ميمون كلامه عزم على المسير إلى حى بنى كلاب ثم صاح الغطريف بابنته سلمى فخرجت مثل غصن البان أو غزال عطشان وهى فى قميص شعر أسود وهى فى بياض وغنج ودلال ذات جسم ناعم رابية المعاصم لحظها أمضى من الصوارم يسبى عقلها أو لفظها عقل اللبيب الحازم فقال لها الغطريف يا بنيه قد زوجتك بمن يأتينى بمزنه فقالت ياأبتاه ماللبنات اعتراض الأبوان ولو زوجتنى بأقل العبيد كنت له أمه فقال لها بارك الله فيكى (قال الراوى) فقال ميمون يا مولاى أريد منك ثياب وفرس سابقة فلعلى أقدر على مثل هذا الذى طلبته منى فلما سمع الغطريف من العبد ذلك الكلام أمر له بجواد سابق وعمامة مطرزة بالذهب وكسوة كاملة وحلة من أحسن ملابسه فأخذ العبد الجميع وخرج فى الليل بعد أن ودع أهله ولبسهما وسار فى الليل والنهار يقطع البرارى والقفار والسهول والاوعار وهو فرحان فجاش الشعر فى خاطره فباح بما فى ضمائره فأنشد وجعل يقول هذه الأبيات ونحن نصلى على سيدنا محمد سيد السادات :

ابرز لى الوجد فى المرقب ... عرائس غيد على الملعب
سبين فؤادى بألحاظهن ... وأى فواد بهم ما سبى
وأى شجاع غلوب إذا ... برزن له الغيد لم يغلب
سأقصد أرض بنى عامر ... ومدحى فيهم من المكذب
سأقصدهم فى زى مسترقب ... وأخفى مراوغة الثعلب
وأنقض من وسط أفق السما ... على مزنة الخيل كالكوكب
فاما يقال بأنى أموت ... وإما أفوز ولم أنكب
وأترك جندبة باكيا ... وليس بباك على الجندب
سمعت لسلمى وقد أقبلت ... علىّ بمنطقها الأعذب

وقالت رضيتك بعلا إذا　　أتيت بمزنه ترضى أبى
هنـاك ستبلغ ما تشتهى　　وتعلم أنك قد فزت بى
وها أنا سائر فى عزمة　　أجد المسـير إلى مطلبى
لأملك مزنة على عزة　　ولو كان لى فيها المعطب

(قال الراوى) وما زال ميمون يجد السير وهو طالب حى بنى كلاب وهو ينظم ويرتب فى مدحهم القصائد والأشعار من فكرته ويرتب قوافيها ويصححها على نفسه ويجليها (ياساده) ولما وصل الى الحلة كان بالاتفاق ركب ذلك اليوم الامير جندبة فى أهل قبيلته ووجوه عشيرته (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن جندبة بعد مسير الشيخ من عنده أقبل على بنى كلاب وقال لهم يابنى عمى اعلموا أن الشيخ سار الى بنى طى يحميهم بالـكلام وسوف يسوق الينا الرجال ومزنة ماهى لأميركم ولست بأخير منكم وأنا كأحدكم وأنا أعلم أن القوم يطلبوها وأنا لو بقيت على ظهرها وحدى ما أسلمها الى أن أشرب كاس الحمام وإذا رأيت الموت أطلقت لها العنان وخليت الديار والأوطان فماذا أنتم فاعلون فقالوا كلهم عن لسان واحد : أيها الامير لقد أفسدت فينا الاعتقاد وحق رافع السبع الشداد ولو مالت علينا الجبال ما ترى أحدا يصل الى عبد من عبيدنا فكيف أنت أيها المولى المجيد ولو أن الغطريف فى عدد ثمود وعاد لابد من ضربه بالسيوف الحداد ونحن ما نقيم فى الديار حتى يأتى هوالينا ولـكننا نسير اليه لأن العرب لاتغزى فى ديارهم ثم ان جندبة ركب فى ذلك اليوم الذى قد ذكرنا وركبوا معه أهل قبيلته وظلوا سائرين إذ لاح لهم فارس من بعيد وعليه ثوب معلم بالذهب ولما أن قرب منهم فصهلت مزنة من تحت جندبة وجعلت تضرب الأرض بحوافرها فقالوا بنى كلاب لابد أن تـكون هذه طليعة جيش بنى طى وهم مقبلين إلينا فقال لهم جندبة والله يابنى على ما هذا طليعة وماهو إلا سلال خيل فسوف يبان لـكم الحال فبينما هم فى ذلك الـكلام وإذا بميمون قد أقبل ولما أن رآهم ورأى ذلك الجحفل ميل اليهم وقدم الى أن قرب منهم ونادى وقال حياكم الله بالتحيات وخصكم بالسلام وقضى لدولتكم بالدوام ولغيركم بالذل والارغام وأسبل عليكم سحائب الانعام لأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق بقدرته واصطفاهم من سائر بريته أقوام للخير أهلا فى سائر البنا والآكام فهم للخيرات مفاتيح وللمكرمات مصابيح وللـكرامات أهلا وللضيفان سهلا كما قال القائل :

وللمكارم أقوام لها خلقوا　　فهم بها أبد الايام فى شغل

لطافة الوجه تعلوهم وأنفسهم محسورة من دواعي المزن والبخل
يعطون من غير أن يسألهمو أحد ويحتمون ببيض الهند والأسل

(قال) لاسيما بنى كلاب أسود الغاب وفرسان الطعن والضراب والكاشفين الكروب إذا خيم الضباب ثم انه أنشد يقول :

بنو كلاب الذى شاعت مناقبهم رعى الذمام وترك اللوم فى الذكر
لاسيما الفارس المقدام جندبة حامى الحما وهو مقرى الضيف من مضر
يعطى ويبذل لايخشى العفاف كما أعطى الغمام عطاء وابل المطر
أتيتكم من بلادى نحو حلتكم لعل يذهب بكم دائى ويحتقر

(قال الراوى) ولما فرغ ميمون من شعره وهذيانه شكروه بنو كلاب وأثنوا عليه فقال لهم ميمون أنتم والله شجرة الكرام وأسيافكم لأعدائكم حصاد لأنكم أنتم السادات الأمجاد والابطال الانجاد وحكام هذه البلاد أهل الزرع والحصاد معصمة الفخار وقد قيل فى الامثال :

إن أردتم حوائجاً من أناس فتهيوا الى الوجوه الصباح

ثم انه قال لاسيما الاسد الضرغام والبطل المقدام الامير الصياح جندبة بدر التمام إذا لاح الذى أفاض من انعامه على الخاص والعام وقد عملت اليه شعر ونظام ولابد أن أبديه له بين الأنام وأذكره بين هؤلاء الاقوام وأحسن فيه وأختصر فى الكلام لعل أن يصلنى من سابغ فضله وأعيش بنبله ووصله فهو الرجل الفاضل والبطل الباسل والفارس الحلاحل الذى ليس مثل قبيلته فى القبائل ذو القول الفاصل والعمل الكامل والفضل الشامل والريح الوابل ثم انه أشار اليه يقول هذه الابيات بعد الصلاة والسلام على سيد السادات :

دع العذل يا عاذلى فالقلب غير قابلى من لى بأن يسمح لى
بقبلة من قاتلى ولى بهذا مانع يمنع عذل العاذل
إن الهوى سبيله خلاف عقل العاقل عيونها قواتل
أمضى من العواسل أجفانها قد كحلت عمداً بسحر بابلى
ياصاح قلبى راحل مع الحبيب الراحل فان قلبى معهمو
من جملة المحافل ياصاح قلبى قد ضنى من ذكر ربع ما خلى
وسر إلى قبيلة من أشرف القبائل بنو كلاب انهم
أوائل الجحافل ومجدهم مفضل بالسادة الأوائل

جدوا الى جندبة فهو الهمام الباسل السيد القرم الفتى
أهل السبيل الكامل ذخير حان فى الورى أيضا وخير فاعل
حلت على أعدائه بوائق النوازل ونخ إلى أبوابه
فهو الهمام الباسل فهو مناخ دونه تزدحم القوافل
يا أيها المولى الكمى فأنت خير كافل لازلت كهفا فى الورى
لقاصد وسائل وأنت أكرم من سرى وخير كل نازل
وصل يارب على خير الأنام الكامل

(قال الراوى) ولما فرغ العبد ميمون من هذه الأبيات طربت لها الأبطال والسادات وما بقى أحد من بنى كلاب إلا وأثنى عليه إلا الامير جندبة فانه قال للعبد غض عنى بصرك ياولد الزنا وتربية هذا الخنا لمثلى يقال المقال أتظن أنى أنخدع لهذيانك أو يجوز على أذنى شقشقة لسانك ثم ان الامير جندبة بعد ذلك الكلام صاح على العبيد وقال لهم خذوه وعن جواده رجلوه فتبادرت اليه العبيد من كل جانب وانقضوا عليه مثل السلاهب وفى عاجل الحال أخذوه وعن جواده رجلوه وقد أوجعوه بالضرب فزاد به عند ذلك البلاء والكرب فلما أن رأت بنو كلاب الى مافعل الامير ماهذا صواب منك واعلم أن بهذه الفعال تلومنا وتذمنا عليه سائر الأعراب ولابد أن يشيع خبرنا الشنيع فى الآفاق مع السفار والطراق وتمتنع عنا سائر الشعراء والقصاد فلما أن سمع ميمون منهم ذاك الكلام أسبل الدموع وقال لهم ياطول تأسفى ياسادات العرب وأهل الفضل والأدب فى طرل الزمان هل سمعتم من أحد أن مادحاً أتى الى سادات مثلكم ومدحهم بمثل هذا المقال لأجل طلب العطاء من الأمراء الكرام فعاملوه مثل هذه المعاملة هذا وأنتم سادات العربان الجياد الموصوفين بالكرم والارفاد وحل المشكلات الشداد ولكن اسمعوا ما قالوه أهل الارشاد وأنشد يقول هذه الأبيات :

المرء يعرف فى الأنام بفعله ومحاضر الحر الكريم كأصله
لا تستعيب فتستعاب وربما من قال شيئا قيل فيه بمثله
واستجنب الفحشا ولا تنطق بها مادمت فى جد الكلام وهزله
واعلم بأنك ميت ومحاسب تسأل عن الفعل القبيح ونقله
فى الهند مكتوب على أعلا صخرة من يفعل الاحسان يجزى بمثله
علت البزاة على اليدين تكرما وغدا الهزبر مسلسل من جهله
والبحر تعلو فوقه جيف الفلا والدر أسفل مختلط مع رمله

أرأيت عصفورا يزاحم باشقاً   فى وكره إلا بقلة عقله

(قال الراوى) ولما فرغ من شعره قال لهم بالله عليكم ياقوم عجلوا بقتلى واعلموا ان ورائى أولاد صغار فاقتلونى فوراً لأن ذلك يزيد انتهاك أهلى من قلة من يأتيهم بالقوت ودعوا أولادى وبناتى يبقوا من بعدى أيتام فهو أهون من هذا الارتباك فياليت شعرى ماذنبى عندكم غير مدحكم فيا ليت السباع أكلونى ولا يقال بنى كلاب قتلونى ثم انه بكا وأنشد يقول هذه الأبيات :

ليت المنازل تدرى أو تساعدنى   فكيف وهى بلا سمع ولا أذن
ان الليالى تطوينى على مضض   بغير ما ارتضى منها وتنشرنى
ماأشبه الدهر بالقوم الذىسلفوا   تشابهت أنفس الأقوام بالزمن
معالم الخير فيما بينهم درست   وسنة الجود فيهم أقبح السنن
ان جاءهم مادحا يوما يرد رفدا   قالوا تحذر من هذا فيحدرنى
أتيت امدح خير الناس جندبة   أرجوا نولا من الاحزان ينقذنى
قد التقانى على فعلى بشوم لقا   وقد أمر لى بضرب منه أوجعنى
بنى كلاب فهم خير الأنام وما   فى جودهم مثلى فى سائر المدن
ولم يجد من سؤالى عندما ذكروا   إلا بأننى سـلالا فيقتلنى
هـذا يدل على اكثار جورهم   من الرجال وهم فى أكثر العون
من قال عنهم صناديدا فما صدقوا   ان الصنايد لاتخشى من الوهن

(قال الراوى) ولما فرغ ميمون من شعره بكى وأن واشتكى ومازال يبكى إلى أن أبكى العيون وقد أظهر للقوم الشجون ولم يبق أحد من ينى كلاب إلا وبكى وبعد ذلك أقبلوا على جندبه بالعتاب والملام وقالوا والله ياأمير مانسمع العرب عنا بأقبح من هذا الخبر ولاأشنع منه وما فيهم إلا من لام جندبة وقالوا له والله أيها الامير ايش الذى ألجأك الى هذا الحساب الذميم حتى تجعل الشعراء كلهم سلالين فقد قيل فى الأمثال ان المحبة محنة وقد قال الشاعر :

ان الهوى لهو الهوان بعينه   فاذا عشقت فلا تكن متحامل

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم حبك للشىء يعمى ويصم واعلم أن الصواب أيها الأمير ان تطلق هذا الرجل من الاعتقال وتدعه يمضى الى حال سبيله من غير إحسان ولا توثقه وعن أولاده لا تعوقه ولا تتعرض له فى مسيره لأنه داير على قوته فلما سمع جندبة من قومه ذلك الكلام قال لهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه

قال الحرب خدعه ووالله لقد عمل معكم كلام هذا العبد ولد الزنا على أن الحزم سوء الظن وان كان ولابد من هذه الفعال فأنا ما أقتله بل أننى أدعه عندى فى الاعتقال وأسير إلى بنى طى من يكشف لى عن هذا الحال ويبصر ما يكون من الخبر لأن لى فى بنى طى أصحاب لا يخفون عنى شىء فان كان الذى خطر ببالى صحيح ضربت رقبته وجازيته على فعلته وان كان غير علمت أن الذى خطر على بالى محال فعند ذلك أخلع عليه وأبذل له من المال شيئا كثيرا ولا يلومنى منكم أحد ان أخذت حذرى على مالى ونفسى لأن ما يأخذ هذه الحجرة إلا الذى يقتلنى واعلموا أن هذا كله حذرا على مالى وروحى ثم ان الأمير جندبة رجع الى الحى وأمر عبيده أن يقيدوه ويحتذروا عليه ففعلوا ذلك به ثم ان الأمير جندبة انفذ بعد ذلك من عبيده جماعة الى بنى طى وأقام على بعض الغدران الى أن غربت الشمس وارتحل الى الحى ولما أن دخل على حيه أقبل على العبد ميمون وقال له والله ان قلبى حدثنى عنك بالغدر وأنا أريد أن أقيدك مع مزنة التى هى سبب هذه الفعلة وقد جئت فى طلبها حتى تعظم عليك المصيبة والمحنة ثم ان الأمير جندبه أمر بقيدين فأحضروا له ماطلب ولماحضرت القيود جعل القيد الوحد فى يد مزنة والقيد الثانى فى رجل ميمون وأوصله بقيد مزنه وقد وكل به العبيد ومضى جندبة الى فراشه ونام فى مضربه ونامت الناس هم فى الخيام (قال نجد) فهذا ماكان من الأمير جندبه البطل الهمام وأما ماكان من العبد ميمون السلال نسل الحرام فانه أقبل على العبيد الموكلين به وجعل يحادثهم لما أن أظلم الظلام وصار ينشد لهم الاشعار ويحكى لهم ماجرى للملوك القدماء الماضيين الكبار ويروى عنهم الأخبار وعن غيرهم من المسلمين والكفار وماجرى للمتقدمين من العجائب وأهوال ومازال يسامرهم بمثل هذا الهذيان والمحال فأنسوا اليه العبيد وقد حنوا وشفقوا عليه لأن الجنس يحن الى الجنس وقالوا والله ماهذا الاشاعر حاز جميع الفضائل من الجواهر وأن أميرنا جندبه ما هو الا خسيف العقل جاهل فى سائر العمايل ثم ان العبيد بعد ذلك حط عليهم النعاس فناموا وقد غرقوا فى نومهم وقد علا غطيطهم وكان ميمون لم ينم وهو فى قهر وافتكار ولما رآى الى تلك العبيد ناموا قال فى نفسه هذا والله وقت انتهاز الفرصة والخلاص من هذه الغصه فان ما بقى من عمرى الا بمقدار ما يصل الخبر إلى جندبه بأنى سلال لهو يصلبنى على رؤس الجبال وينزل بى الخبال وقد قيل فى بعض الأمثال السائرة من لم يخاطر بنفيس لم يحظى بنفيس قال ثم انه عافر فى القيد ليفتح الأقفال فعسر عليه ذلك وكان معه خنجرا أمضى من القضاء والقدر وهو مجزم به من تحت

الثياب وانهم مافتشوه لما أن قبضوه وكانوا قد أنساهم الله ذلك فعالج القيد الذى فى رجليه ورجل مزنة فما قدر على فتحه فاحتار فى أمره وقد عيل صبره فقال فى نفسه ان قطع الرجل لم يضر ويعيش بعدها الانسان الا قطع العنق يموت منه الإنسان ثم انه قال مايكون لى خلاص إلا ان قطعت رجلى أو يد مزنه ولكن ان قطعت يد مزنة لا يبقى يفيد بها أبدا وخسارة والله قطع يدها لأنها فرس جيدة ولكن اقطع أنت رجلك ثم انه كبس بعد ذلك على قدمه بذلك الخنجر فوصل الوجع الى قلبه فصبر نفسه على الوجع القليل ولا يصبر على ضرب الرقبة فيصبح قتيل ثم انه قطع رجله وقال وجع الرجل ولا الموت لأن قطع الرجل ساعة وأما العنق فلا يبقى لصاحبه بعد رأسه سلامه (قال الراوى) ثم انه عزل قدمه عن مكانه ولما خلصه غشى عليه ساعة وأفاق وصحى على نفسه ثم انه قفز على ظهر مزنه وقد رآى كوكب الصبح قد طلع وأراد أن يعلوا مزنه فاسترخى وما قدر على الركوب فأيس من نفسه وقد استسلم للقضاء والقدر وقد تراخا ولا بقى له نهمة أن يمسك بها نفسه ولما أن رأى روحه على تلك الحالة تأسف على روحه وقال فى نفسه تذوق وجع قطع الرجل وتخلى بعد ذلك جندبه يتفكه فيك ويقتلك لكن قوم وشد عزمك لان الرجال الصناديد ماافتخرت الا بالصبر على سائر الاهوال ثم انه شد حيله وقطع قطعة من عمامته ولفها على رحله وقام على حيله وتطوح على ظهرها وقال متى ما نفذت بها من الحى فزت بنفسك وتكون قد نلت المنى والارب وبلغت ما تتمناه ويموت جندبة غبينه من شدة الغيظ ودعه يموت من الغضب وأكون أنا قد أخذت محبوبتى وبلغت الارب ثم ان ميمون لما أن علا على ظهر مزنه أخذها وخرج من الحى ولما صار برا الحى صاح عليها فطارت به بين السماء والأرض وصارت فى البيدا كأنها القضاء المنقض من الهوى أو النجم إذا نزل من السماء (قال نجد ابن هشام) فهذا ما كان من ميمون وأما ما كان من جندبة فانه لما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أتى إلى المضرب الذى فيه مزنه والعبد لينظرهما ويزول برؤية مزنه همه وغمه ولما صار فى المضرب فلم يجد العبد ولا وجد مزنه فصاح بالكلاب ياالكلاب فجاءته الخيل مثل السلاهب من كل ناحية وجانب وهم يقولون له لبيك ولما أن صاروا عنده قالوا له ما الخبر فقال لهم انظروا إلى هذا العبد الشاعر الذى لمتونى من أجله كيف قطع رجله وخلص روحه من القيد وأخذ مزنه وراح بها من هذا الحى فقالوا له بنى كلاب والله ما كان رأيك إلا صواب وقولك إنه سلال ثم ان القوم تفرقوا فى جوانب البر لما أن خرجوا من الحى فكانوا كما قيل فى الأمثال « وأين الثريا

من يد المتناول » وأما جندبة فانه سار فى تلك البرارى والقفار وهو يسير تارة يمين وتارة يسار فلم يجد أحداً يسأله عن خبر مزنه فرجع وهو مذهول وقد ذهب عقله وهو مع ذلك ينشد هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

لم أعدم الحزم ولكننى ... دهيت فى المأمن من ممنى
وما سمعت القول من قائل ... بل ضلنى والله من لامنى
ولما صغيت إلى قولهم ... أعمانى فى الظاهر والباطن

(قال الراوى) ولما رجع جندبه هو وقومه إلى الحى وما فيهم من ظفر بطايل فأقام وهو كسير الحسرات دائم الزفرات وهو نادم على ما فات وقد طلب الأمير عوف بن عامر الكلابى ليعاتبه فى أمر ميمون ويعرفه قوله لأنه كان من جملة من لامه فما وجده (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك وهو أنه لما سمع الأمير عوف الصياح وأخبروه بما فعل العبد فندم على ما صنع لأنه كان قد لام جندبه فيما قد فعله مع العبد ميمون كما أنه قال له هذا نحن لابد لنا أن نرد الضال فبالله عليك لا تفعل هذه الفعال التى لا يفعلها إلا أهل البخل الأندال فى حق الشعراء وأصحاب المقال الذى يأتوا للرفد والسؤال من الفاقه وضيق الحال والقلق والوبال وسوف يظهر هذا عليك بين العرب وتكسب من الذل أذل مكسب ولما جرى ما جرى قال عوف صدق النبى صلى الله عليه وسلم أن الحرب خداع وقال أيضاً إذا كان القدر وطباع فالثقه بكل أحد عجز وكان تحته جواد من جياد الخيل برىء من العيوب معود صاحبه أن يقتنص عليه الغزلان وهو يوثب وثبات النمر الجردان فى الصحصحان كأنه من شدة الانطلاق والانطوى ثعبان وهو فى المراوغه مقلبان يضيق عند خطواته الميدان وتطوى له الأرض وقت الجريان إلا أن الأمير عامر عمد الى ذلك المهر وكان يسمى الغمام وهو من الخيل الكرام وكان يقارب مزنة فى الجريان فركبه عوف ابن عامر وسار وقد حلف أنه ما يرجع إلا باخبار مزنه ولو أنه يقع كل يوم فى ألف محنة ثم أنه سار وتبع أثر مزنه وكان ميمون لما أخذ مزنة وسار بها ما هو ثابت على ظهرها إلا غصباً لأنه ما هو فى راحة من وجع رجله المقطوعه وهو يعالج سكرات الموت منها وهو فى محنه ولولا أنه كان من أشجع فرسان بنى طى ما كان ثبت على ظهرها لأنها مثل النمر فى قفزاتها ومثل الثعلب فى همزاتها ولم يزل كذلك وهو يكد طول الليل إلى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح (يا ساده) وكان الأمير عوف لما ركب مهره وخرج من حيه ما زال يقص أثر مزنة وهو تابع لها وهو يجد على جواده وكان عوف خيال من بين أقرانه فقارب مزنه وبقى بينه وبينها شىء يسير لأن العبد ما كان يعوقه إلا قطع رجله فنظر عند

الصباح الى خلفه فوجد فارس خلفه يكد السير وهو لاحقه وطالب أثره وتابع معه خطره ولما أن نظر ميمون الى ذلك الفارس المقبل من خلفه فقال فى نفسه ما دام هذا الفارس خلفى ما أبالى به ان كان صاحب أو عدو محارب ما آمن منه من النوائب ثم ان ميمون عطف راجعاً الى وراه ونظر الى الأمير عوف وما زال الى أن أدركه وحاذاه فأنكر أمره ووقف ليراه ويعرف من يكون ولما أن صار قريباً منه عرفه أنه هو الذى كان يحاجج عنه الأمير جندبه وهو الأمير عوف بن عامر صاحب أشرف مرتبه عند الأمير جندبه ولما أن عرفه ميمون أرما نفسه من على ظهر مزنة الى الأرض وبكى وقال والله يا مولاى أنت حمية الدار والضيوف أيها الأمير الخطار قد أحميتنى من الأمير جندبة لما أراد أن يضرب رقبتى بالحسام البتار وعلم أننى ما رجعت الى الدار إلا من أجلك لما علمت أن الأمير جندبة يلومك فأردت أن لا يلحقك عتب ولا لوم من جهتى ولولاك ما رجعت بعد أن ملكت مزته واعلم أنى مافعلت هذه الفعال الا حتى لا يرجع الامير جندبة على الشعراء بالملام ويكثر فى حقهم الكلام ويوقعهم فى الخبال ويجعل كل قاصد سارق محتال وأنت الآن قد قربت على الطريق والآن ما أسلمك مزنة حتى أنك تحلف لى أن تأخذ لى حق رجلى ودواها من الأمير جندبة وان كان ما تفعل ذلك أخذتها وطلبت أهلى وتكون هى عوضا عن رجلى ولا يرجع الأمير جندبة يراها وأبلغ نفسى مناها ثم انه قفز وركب على ظهورها وهو يبكى وينتحب وقد أشار يقول هذه الأبيات

ألا يا ابن عامر فعلت الجميلا ... ولولاك ما كنت إلا قتيلا
أتيت إلى أرضكم مادحا ... وأملت منكم عطاء جزيلا
وقمت إلى جندبة منشداً ... وكان لأبناء جنسى كفيلا
وأسمعت قولى قوما كرام ... فقال أتيت تسل الخيولا
وأسلمنى لعبيـــد شداد ... فقاسيت منهم عذابا وبيلا
وأوثقنى بقيود ثقال ... وأحرق قلبي يشد النكولا
فحكمت من قدمى مدية ... لقيت لذاك عذابا مهولا
وأجريت منهم دماء كثير ... من الخوف أن أضحى قتيلا
وعالجت كربى حتى هديت ... ورمت بنفسى أنجو عذولا
وسافرت أطلب أرضى سريع ... وتحتى مزنة تجرى عجولا
فذكرت نفسى فعل الكرام ... وذكرت أنك فعلت الجميلا

رجعت لعرضك كى أبره وتعلم أنى قطعت الرحيلا
وإنى لجندبه خائفا إذا عدت يحدث قالا وقيلا
إذا ما رآنى طلب قتلتى ولا يستمع مقال الفضيلا
يحل به مثل ما حل بى ويؤخذ بالظلم أخذاً وبيلا
وعدت اليك لأنى امرىء أخاف العزيز يروه ذليلا
ليعلم جندبة أنى كريم ولست لبشر أجازى جميلا

(قال نجدان بن هشام الراوى) لهذا الكلام بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام ولما أن سمع الأمير عامر ابن عوف شعر ذلك العبد وما تكلم به من النظام بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقد رق له قلبه لما أن مدحه بتلك الأبيات واستحسن هذا الكلام من عبد وهو معدود من جملة العبيد ثم انه نزل اليه نزل اليه واستقبله أحسن الاستقبال وقال له والله يا شاعر ما جندبه الذى ذكرته إلا رجل بدوى وهو من الفحول الأبطال ولكن انزل وأبشر ببلوغ الآمال والعطا والنوال ولابد أن أدفع لك أنا شيء يغنيك إلى أبد الأبد وينفعك إلى ولد الولد ثم ان الأمير عامر بن عوف هم أن يركب فى ساعة الحال على ظهر الفرس مزنة ويطلب ناحية الحله وتلك الجبال (قال الراوى) لهذا المقام فعند ذلك غافله العبد ابن اللئام الأندال وضربه بخنجر كان معه وقد أعده لتلك الأشغال وينفعه لمثل تلك الفعال التى هى ليست فعال أولاد حلال فارما فى عاجل الحال مصارينه وقد تركه مرمى على الرمال فى تلك الجبال وخلاه مطرودا فى تلك الأرض القفر الخوال ثم ان ذلك العبد ابن اللئام الأندال الذى يستحق القتل على كل حال ركب على ظهر الفرس مزنة وسار يقطع الفيافى والقفار والسهول والاوعار وهو يقطع الأميال والمناهل وما زال ساير وماشى وقد فات كل قبيلة وحى وجد فى مسيره طالب ديار بنى طى والعبد الملعون ابن الملعون ميمون عليه الخزى ممن يقول للشيء كن فيكون لأن الله تعالى يجازى العبد على ما يفعل من الأعمال لأن العلما تقول الجزاء من جنس العمل وأن الله تعالى لابد أن يخلص لكل منهم حقه ولا يهمل هذا وقد ملك مزنه وقد نال النصر والظفر والمنا بعد شرب كاس الحمام وهو كأنه قد ملك الدنيا بحذافيرها (قال نجد ابن هشام) الراوى لهذا الكلام بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد بدر التمام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الكرام ما أنار النهار وأظلم الظلام رضى الله تعالى عن بقية المهاجرين والأنصار والتابعين الاخيار ثم ان ميمون ابن ألف ملعون أنشد يقول

ليس ينجو من القضا المجيب | لا قرين ولا رفيق قريب
بيدى قد قطعت رجلى اختيارا | غير أنى ما فاتنى المطلوب
وملكت الذى بها شغف الغطريف | ومن دونها تلك الجنوب
وقتلت الأمير عامر بحيلة | أى وللحرب خدعة ووثوب
وأخذت الغمام والرمح والسيف | وقد أضحى على الارض وهو سلوب
وقطعت البلاد شرقا وغربا | وسهولا لبغيـة المحبـوب
أنا أسرى وموضع القطع يسرى | والمنايا لهـا بوجهى طلوب
نزفت بالنجيـع من شدة السير | فلا مأكلا لها ولا مشروت

(قال الراوى) ثم لم يزل ساير حتى وصل إلى بنى طى واقتحم الأبيات ودخل إلى وسط الحى وعلموا بوصوله فخرجوا إلى لقاه كل من فى الحـلة وركب الغطريف فى رجاله وكان يوم دخوله يوم مشهود عجيب ضربت فيه الاماء بالدفوف والمزاهر وانتشر الفرح فى القبائل والعشاير وكان وصوله من أرض بنى كلاب فى أربعة أيام وكانت المساقة بينهم سبعة أيام إلا أنه لمـا وصل طلب شيئا من الطعام لأنه كان قد تخـلا عن روحه من قلة الأكل ونزول الدم لأنه ما كان له قوت إلا من حشايش الأرض فقدموا له الطعام والشراب ووقف الغطريف فى خدمته وكان قد قبل بين عينى مزنه وجعل فى عنقها قلادة من الجوهر وجعل على ظهرها جل من الابريسم فقال ميمون يا مولاى هذا الجواد الذى كان تحتى يقارب مزنه فى الجرى خذه اليك فان عشت كويت به الأعداء وان مت فأنت به أولى ثم انه بكى وعلم أنه من الموتى فأنشد وجعل يقول :

كل وجود يفضى إلى العدم | وها أنا صابر على الألم
إذا بلغت المراد هان على | قلبى هلاكى ولوعة السقم
ان بنى طى الـكرام هموا | أولى العفو بالسماح والـكرم
وان وعد الغطريف أطعمنى | فى وصل ذات العفاف والنعم
بمزنة جبتها على عجـــل | قهرا وكان الوفاء من شيمى
لـكننى مشرف على تلفى | كمن تمنى الضيا لمـا رآه عمى

(قال الراوى) فقال له الغطريف يا ميمون وحق من لا تراه العيون ولا يلحقه ريب المنون لا كانت سلما إلا زوجتك وما هى من دون البرايا إلا قرينتك وانى قد قبضت صداقها مزنه فأنت لهـا بعلا وهى لك أهلا ثم ان الغطريف نادى بالجارية

فأقبلت اليه ووجهها يتلألأ نورا وهى فائقة فى الجمال بادية الكمال تربية الدلال ثقيلة الأطراف لينة الأعطاف حسنة الأوصاف فقال له الغطريف ياميمون هذه زوجتك خـذها إليك فقالت الجارية يا أبت أما تستحى من العار أن تزوجنى بالعبيد وتدع الأبطال الصناديد فقال لها الغطريف يا بنية أما قولك بأنه عبد فانه من أولاد آدم والمرأة لاتكون لزوفها إلا طايعه فكونى له سامعه ولاتجاوبينى فى الكلام أفلق رأسك بهذا الحسام ثم صاح ياميمون خذ زوجتك فان الكريم صاحب الشرع قد أقمع أنف الغيرة قمع فعند ذلك دخلت على ميمون فوضع رأسه على حجرها بعد ما قبلها وهو فى غمرات الموت وكلما عانقها أنشد يقول :

لقد لقينا الأهوال حيناً لحينا ‏ ‏ ‏ ‏ وتعبنا لغـيرنا وشـقينا
التقينا وما شـفينا غليـلا ‏ ‏ ‏ ‏ وافترقنا كأننا ما التقينا

(قال نجد بن هشام) ثم شهق شهقة خرجت روحه فيها وأما سلمى فانها فرحت بذلك فرحا شديدا وعلم الغطريف بموته لحزن عليه لأجل إقدامه على الأهوال وصبره على لقاء الرجال وكان الغطريف لما أتاه ميمون بمزنة والغمام بقى متحيراً فيمن يجعله سايسا لهما فأشار عليه ميمون قبل أن يموت أن يجعل عليهما أخوه المسمى بزيتون وآخر يقال له زند الفيل ففعل ذلك فلما مات ميمون طمع زيتون فى أخذ سلمى فأقبل على مولاه الملك الغطريف وقال له أيها الملك إن أخى ميمون قد قطعت رجله وقضى نحبه فى أخذ « مزنه » وقد توفى الى رحمة الله تعالى وسلمى زوجته وأنا أولى بزوجة أخى (قال) فلم يرد عليه جواب فتركه أيام وأعاد عليه القول فقال له ياولد الزنا إن رجعت إلى مثل هذا الكلام سقيتك كؤوس الحمام فغضب زيتون من كلامه وأقبل على زند الفيل وقال له ياأخى ان الغطريف قد غدر وأنا أريد أن آخذ مزنه والغمام وأمضى وأسير الى بنى كلاب وأردهما الى جندبة وأعيش أنا وأنت عنده فى أحسن حال وأنعم بال فقال له زند الفيل افعل ماتريد (ياساده) فصبر الى الليل وساروا وهم على ظهور الخيل وأصبح الغطريف أن يركب الى الصيد والقنص فلم يجد الخيل فقال ربما يكونوا فى بعض المراعى فانفذ الخيل الى المراعى فغابوا وعادوا بغير طايل فبكى الغطريف من شدة القهر وتفرقت الخيل فى البرارى وعادوا بلا فائدة . وأما زيتون وزند الفيل فانهما ساروا حتى وصلوا قريبا من حى بنى كلاب فقال زيتون فى نفسه إذا وصلت اليهم وهذا العبد معى على هذه الصفة يقولون انه مثلى وشكلى فقال لزند الفيل اركب خلفى كأنك غلامى لأنك صاحب ميمون وأنا أخوه فقال زند

الفيل لاتكون أحمق أنا عبد ميمون وصاحبه فى كل وقت وأنت مثل الهوى فغضب زيتون وأضمر له الشر وصبر عليه إلى أن نزلا على الغدير وقفزعليه بخنجره وطلباه ثم ضربه ضربة مكينة فقتله فمن حلاوة الروح وثب الآخر اليه ثم ضربه فى فؤاده صرعه فماتوا من ساعتهما الاثنين فطلبت (مزنة) المراعى التى لبنى كلاب وتبعها الغمام (ياساده ياكرام) فهذا ماجرى لهؤلاء وأما جندبة فانه لما ان فقد مزنة تنغص عليه عيشه ورأى الأمير عامر بن عوف قتيل فبكى عليه وعاد الى الحى وحزن على مزنة وعلى عامر وأقام ذلك أيام وهو يستنجد بقبائل بنى كلاب وبنى عامر (قال الراوى) فبينما الأمير جندبة نائم فى منامه ولذيذ أحلامه إذ رأى رجلا مليح الصفة كثيرالمعرفة راكب على فرس أحمر وبيده رمح أسمرمتقلد بسيف من جوهر فسلم على جندبة فهابه وأراد أن يسأله عن حاله فقال له الفارس : ياجندبه كف عما أنت فيه من هذا الحزن على مزنه ايش فان الله يردها عليك فقال له من أنت فقال أنا أبوك الذى خلفتك فى بطن أمك وقد خلفت لك أخ آخروهو يعيش عيشة الذل والارغام كما تعيش الصعاليك والأيتام فبكى جندبة ثم قال وأين أطلبه يا أبتاه قال إن الله يسوقه إليك عن قريب من غيرتعب فاركب غدا الى أياه لعلك تصل به نسبك وتقر به عينك وتقيم ملكك وتغنيه بعد فقره فأصبح جندبه خائف من هذا المنام وقال هذه أضغاث أحلام ثم انه ركب فى جماعة من بنى عمه وخرج من الحى إلى البريه وإذا هو بمطية فى عرض البر فرآها فاذا وراءها فارس ضعيف على فرس ضعيف عليه أثواب رثة وبيده رمح معصب عليه بالعصب وهو سائر على مهل فأمر جندبه بعض بنى عمه من بنى كلاب أن يأتيه بالفارس فلم تكن إلا ساعة حتى أتاه به فلما أوقفه قدامه قال له جندبه ماشأنك أيها الفارس الوحيد فى هذه القفار والبيد فقال له أيها الأمير المهاب والقرم الوثاب أنا قاصد بنى كلاب السادات الأنجاب طالب أميرها وحاكمها ومشيرها الأمير جندبه بن الحارث لأنه أخى فى النسب فقال له جندبه وقد صح عنده المنام وفرح فكيف ذلك ياغلام فقال له اعلم أيها الأمير إن أمى من بنى النضر وكان الحارث قد أخذها من قديم الزمان وتزوجها كما أراد الملك العلام وأقامت عنده إلى أن طرقه طارق الحمام وعلمت بموته قبائل العربان فتحركت عندهم الاحقاد القديمة والاضغان فعولوا على غزو عشيرته بعد موته فسمعت والدتى ذلك الخبر فخافت من السبي والضرر فهربت الى بعض أحياء العرب وولدتنى وتربيت إلى أن تولى عنى الفطام فأقمت أرعى الجمال وأنا مستور الحال وهى لاتعرفنى نسبي ولا من

هو أبى إلى أن دعاها داعى الحمام فقالت لى ياولدى أنا اليوم أموت وأنت اليوم لك ملك كبير وسيد خطير وهو أخوك وولد أبوك فقلت لها ومن هو أخى وما معنى ذلك الكلام فقصت علىّ قصتها على التمام . ثم إنه أعلم جندبه الحرز الذى كتبه الكاهن فى ذلك الزمان والاشارة المماثلة إلى سائر الألوان وانى لما سمعت ذلك أقمت إلى أن ماتت ودفنتها وكانت هذه الجارية التى معى هى ابنة خالى وهى ذات حسن وجمال وبهاء وكمال فلما ماتت أمى مات بعدها أبوها وخلف هذه الناقة والفرس فلما مات أخذناهم وأتينا إلى هذه الديار وهذه أمورنا والأخبار (قال) فلما سمع الأمير جندبه هذا الكلام صح عنده المنام ونادى بالكلاب صح المنام وماخاب ثم انه قص على القوم قصته وصدق أخيه فى مقالته وترجل اليه وضمه الى صدره وسلم عليه وفرح به وقال لعبيده اذهبوا به الى أبياتى واضربوا له المضارب الخاصة التى هى لأهل الاختصاص ثم سلم اليه النوق والجمال والخيل والأموال والطرايف الغوال فبينما هو فى بعض الأيام واذا هو بالصياح عالى والصراخ نامى فركب بعض الجنايب وسأل عن الخبر فقيل له ان أخاك عطاف قد قصد البر يتصيد فرآى مزنة والغمام وهما فى الخيرات والانعام بلا سايق يسوق ولا عايق يعوق فعندها خرج جندبه الى ظاهر الحى فرأى مزنه وهى قد أقبلت الى الأرض والبر بالصهيل وهى تضرب الأرض برجليها فلما رأت جندبة أقبلت اليه اقبال الوالد على ولده وجعلت تحمحم عليه وتمرغ وجهها على قدمنيه فصار يبكى من شدة فرحتها بها ثم سجد شكرا لله تعالى ودفع لأخيه الأموال ثم رجع هو وإياها إلى الحى وأقام فى أطيب عيش فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملك الغطريف فانه لما فقد مزنه والغمام لزم الاحزان وحرم على نفسه المنام فأقبل عليه فى بعض الأيام شيخ أعمش أعور أفلج أفطس أزرق العينين أغبر كأنه من عفاريت بنى منقر فقال له أيها الملك أنا آتيك بمزنة والغمام فما الذى تعطينى من الأنعام فقال وحق ذو الجلال والاكرام لو طلبت روحى دفعتها اليك أو مملكتى تركتها لديك فقال ياملك أريد ما أراد ميمون فقال وحق من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ان سلمى لك ان أتيتنى بالذى أريد ثم عاهده على ذلك وكان الرجل اسمه جمرة الحداد وكان كما ذكرنا قبيح المنظر قد أخذ من الاسد وثبته ومن الثعلب زوغته ومن الغزال خفته كما قال فيه من علت همته هذه الابيات صلوا على سيد السادات:

يالقومى من شيخ سوء لئيم أشقر اللون اسود القلب كفرا

كافرا بالاله مازال نحس | سيء الاعتقاد سرا وجهرا
حاز مكرا وحيلة وخداعا | كامل الوصف فى المناحس طرا
ساحرا ماكرا خبيثا لئيما | فاجرا قد حوى من النحس مكرا
فهو كالصل من بنات الافاعى | كلما طال عمره زاد شرا

(قال الراوى) ولما بلغ سلما أن أباها قد زوجها بجمرة الحداد بكت وتأوهت وتحسرت ونادت يارب العباد أطلب منك الخلاص من هؤلاء الأوغاد ويلك ياغطريف لا بلغك الله أمل ولا أنجح لك عمل لقد نزلت عن حد المروءة ونسيت النخوة العربية وأبخثت الدرة اليتيمة المضية ثم انها أنشدت وجعلت تقول هذه الابيات بعد الصلاة على سيد السادات :

يا شوم بختى فى الورى وتحيرى | وسواد قسمى بينهم وتعترى
بالامس كنت لعبد سوء زوجة | واليوم صرت لشيخ سوء أعور
ياليت شعرى ما الذى أذنبته | حتى أصير زوجة للمفترى
لا نلت ياغطريف ما ترجوه من | دنياك كلا بل ويوم المحشر
كم ذا تحط بقدر بنتك فى الورى | وتركتها بين النسا تتفطر
والله لولا اختشى من وقفتى | يوم القيامة بين أهل المحشر
لقتلت روحى بل أرحت لخاطرى | من كل هم زايد وتفكر
يارب بالهادى البشير محمد | خير الانام مخصص بالكوثر
اقطع رجا الغطريف من خيركما | قد عاد مغرورا بكل الاعصر
وانزل لمزنة حسرة فى قلبه | حتى يموت بدائها للمحشر

(قال نجد بن هشام) فقالت لها أمها يابنيه لعل الله تعالى أن يسقى جمرة كاس المنية كما فعل بميمون والصبر عاقبته محمودة والله يجزى الصابرين ثم انها لم تزل تراضيها الى أن سكن مابها فهذا ماكان من سلمى وأمها (وأما ماكان) من جمرة الحداد فانه خرج من حى بنى طى مثل الثعلب الامعط والثعبان الارقط وولده خلفه مثل شعلة نار إلى أن وصلوا إلى حى بنى كلاب فاحنا جمر ظهره وقوس ركبتيه ثم عوج فكه ومعط عينيه وعصب رأسه وأخمد أنفاسه وأظهر أنه ابن ألف سنة وجعل ولده يقوده الى الأبيات حتى صار بين أطناب الخيام ونظر الى البيوت والاطناب وكان ولده أنحس منه بطبقات فصار الشيخ يقول المنجم الحاسب الحكيم الكاتب ينظر العايب ويخبر بكل شيء ذاهب ويكتب للمتبوعه والمتبوع ويقيم المصروع ولم يزل حتى وصل إلى

أبيات جندبه فنظر إلى تلك المضارب والقباب والحراس فقال له ولده أرميتنا فى أضيق الأقفاص وما بقى لنا من الحى خلاص فقال له أقصر يا جبان ثم قال ياصاحب الجدى لك البشارة فقام اليه رجل شيخ يقال له زراره وقال أنا صاحب الجدى وله من حين ضاع ثلاثة أيام فقال جمره هات الحلاوه فقال أخبرنى من قبل أن أعطيك فقال هات قبل فقال الشيخ أنت سارق الجدى فلا أفكك الابه ثم قبض عليه فقال جمره وقد قدح الفكره انا أقول عن الجدى الذى فى السماء فعندها دارت به الصبيان وتضاحكت عليه العبيد والنسوان والشيخ يقول يا لص يا مهان هات الجدى وإلا أنزلت بك الهوان (يا سادة) فساقوهم العبيد الى جندبه وهم فى قتال وغلبه ونظر جندبه الى الغاغه فقال ما الخبر فأتوا اليه بالشيخ وولده وأعلموه بما هو فيه فقال له جندبه ما أنت أيها الشيخ فقال يا مولاى منجم أتكلم على النجوم ولكن ما أدرى بقضاء الحى القيوم لأنى كما ترى مكفوف البصر لا أفرق بين الأشكال والصور ولا ميز بين البهائم وبين بنى آدم الكرام الا بالنطق والكلام وأنا مالى صنعه الا أرقى البقر فى مذاودها والخيل فى مقاودها والابل فى مرعاها والغنم فى مراحلها والمضارب والبيوت لا يدخلها سارق ولا ناهب فقال له جندبه أرقى هذه المضارب وأنا أدفع لك ما أنت له طالب فقال له ما أرقى الا بشىء لان النبى صلى الله عليه وسلم يقول لا رقوة الا برشوه فأعطاه جندبه دينار فانطلق مثل البلبل والهزار وصار يرقى ويقول بسم الاله الواحد مفجر الجلامد وكل صلد جامد ذو العز والمحامد مسخر الرياح ومسفر الصباح ومحيى الأرواح وخالق الأشباح جل الاله فاقتدر اذا عصا عبده ستر سبحانه من خالق سبحانه من رازق وللنوى هو فالق وأنزل الماء والمطر بعث لنا خير الورى شرف به أم القرى وفى الذى لنا سرى رأى الاله بالنظر أعيذ خيلك يا أمير جندبه من كل هم مستطير من الكبير والصغير وكل أنثى وذكر وكل قاصد بشر أعيذهم بالخالق من كل لص سارق وكل نحس مارق يريدكم منه بشر رقيتكم ياحضرين وأهل ذا الحى أجمعين القائمين والقاعدين من كل سوء وضرر بالمصطفى سيد مضر (قال نجد ابن هشام) فتعجبوا أهل الحى من رقوته وتباشروا برؤيته وقال له الامير جندبه ما قصرت يا حكيم الزمان فى هذه الرقوة ولكن أريد أن ترقى لى مزنة فرسى التى فى قلب كل أحد منها محنة فقال أنا أرقيها لك يا أمير واحرم أن يصل اليها صغير أو كبير فأرنى اياها حتى أضع يدى المباركة عليها واحرم النجم أن

يصل اليها فأخذه جندبه اليه ولم يزل يناشده الأشعار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار فقال له امشى معى ياحكيم الزمان الى الحجره والحصان حتى نحجب عنهم الانس والجان (قال الراوى) فسار جمره وولده شراره وجنديه معهم والعبيد بين أيديهم حتى وصلوا إلى الحجرة والحصان فلما أن وصل اليها جمره ووضع يده على مزنه فمن دهشته رمق اليها بالنظر فلمحه جندبه فاقشعر جلده وتحير وقال له أيها المنجم القمهار إنى أراك تنظر فى الليل وتعمى فى النهار فعلم جمره أن جندبه فهم عنه لما فتح عينه فقال والله ياأمير إنى لا أنظر لافى ليل ولا فى نهار ولا بقى جلد ولا اصطبار (ياساده) وكان فى الحلة رجل طبيب عالم بجميع الامور وفى الطب لبيب فطلب جندبه اليه فلما حضر بين يديه قال له جندبه انظر الى هذا الحكيم هل هو أعمى أو بصير فان كان أعمى غمرته بالخير والنعماء وإن كان بصير عذبته العذاب النكير فتقدم الطبيب الى الشيخ جمره وهو فى فكرة وحيرة وقال له عند ما قرب منه بالله يا أخى لا تفضحنى ولا تتسبب فى شنق وتكون سببا لقطع رزقى فقد وعدنى الأمير بناقة وجمل وفرس وثياب ودنانير وشيئا من الحنطة والشعير وأنا أقسمه بينى وبينك نصفين وتربح الثواب من الذى مرج البحرين قال فضحك الطبيب وقال هذا أعمى لا يبصر أرضا ولا سما فرجع جندبه على نفسه بالملامه وأظهر لجمرة الكرامه وقال كلما تريده يأتوك به الغلمان فقال له أريد النار والحصى اللبان لأطلقه حول الحجرة والحصان فجاءوا له بكل ما طلب فأطلق حول الحجرة والحصان البخور وجعل يقول أعيذ هذه الحجرة والحصان بالواحد المنان من مانع السرج واللجام ومن السرعة فى حومة الميدان ومن الحكمة فى الخصيان ومن الطعن والطعان ومن العيا فى القتال عند التقاء الفرسان وبما أعاذ به السرحان فرس النبى صلى الله عليه وسلم ومن الدغل والوغل والمغل وانحراق الكفل ومن الطحال والخناق والسعال وأوجاع المفاصل والاحليل وبلول الدم ونهش العظم وعقر الظهر والالتحام ومن جميع الآلام ومن أكل الريش والمضر من الحشيش بسم الله عليكم وعلى من يركبكم عند مص اللجام وتفريط الحزام وأعيذك أيتها الحجرة والحصان بالبقرة وآل عمران والكهف وسبحان والنور والفرقان وأعيذكم من العلق والعرق بقل أعوذ برب الفلق وأعيذكم من الصدا والصديد والسيف والحديد والرمح المديد والسادات والعبيد من العرب والعجم والقريب والبعيد عقدت عنكم الحمة وأنفاسها والحمرة وأجناسها بألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (قال الراوى) فاخلع عليه جندبه خلعة سنية وعلى ولده كذلك وقال له مااسمك قال جمره ومااسم ولدك فقال شراره قال فتشوش

جندبه ونفر من هذه الاسماء وقال والله انها أسامى شنيعه ثم أمر الغلمان أن يفرشوا لهم الطرح والوسايد وقال لهم اخدموه بالطعام والموائد فقال جمره أريد أيها الأمير أن أطلق لها البخور إذا طلع نجم المشترى وأزهر عطارد ويكون كل أحد راقد فأمر العبيد أن يفكوا منها القيود والرباط حتى نمشيها على دخان البخور ليتم لك الفرح والسرور قال فأجابه جندبه إلى مقاله وقد أيقن ببلوغ آماله ثم انه أخذ القيود وأوصى العبيد ودخل إلى أبياته وقد أمن من آفاته وأقبل جمره يشاغل العبيد إلى أن وجد فرصة من الاناء الذى يشربوا منها العبيد الماء فوضع فيه مرقد كان معه فما شرب أحد منه إلا رقد فعند ذلك طلب هو وولده العبيد بالخناجر وعجلوا بهم إلى المقابر وطلع كل أحد إلى فرس وسارا يقطعان البرارى والقفار إلى أن طلع عليهما النهار والتفت جمره الى وراء فما رأى أحد ولا وجد أثر ففرح وأنشد وجعل يقول هذه الأبيات :

ألا يا نفس جدى فى المسير ... تفوزى بالمنى عند الحضور
عسى أن تسلمى تحظى بسلمى ... وأحظى بالمنى يوم السرور
خدعت بنى كلاب بالتعامى ... ومكر بالرقى ثم البخور
وما كنت ابتغى بالمكر إلا ... لأقطع رأس جندبة الأمير
فوكل بى عبيدا يحرسونى ... بقلب منه أضحى مستطير
فذبحت العبيد بحسن مكرى ... ومكنت الخناجر فى النحور
وأخذت لمزنة رغما ومعها ... حصان سابق طرق الطيور
وجندبة المقدم فى كلاب ... سيبكيهم بأدمعه الغزير
فان أسلم فقد نلت الأمانى ... بسلمى بنت ربات الخدور
وإن أعطب سلام الله منى ... على سلمى إلى يوم النشور

(قال نجد بن هشام) وجد فى المسير هو وولده ذلك النهار إلى أن أقبل الليل بالاعتكار وهم أن ينزل وإذا بحس الخيل قد أقبلت من بعيد وقعقعة الحديد فأراد أن يهرب واذا بالقوم قد أحاطوا به من كل مكان ولذعوهم بالرماح وأقلبوهم وفى أقل من لمح البصر ارموهما إلى الأرض وكتفوهما قال وكان السبب فى ذلك أمر عجيب لأن جمره لم يراهم من بنى كلاب غرماه وقد تعجب مما دهاه وذلك أن هؤلاء القوم من قبيلة يقال لهم بنى أسد والحاكم عليهم أمير من العرب يقال له الليث بن فوز وكان له حجره وحصان لم يكن لأحد مثلهما فى ذلك الزمان وكانت الحجره يقال لها البرق لم يوجد مثلها فى الغرب ولا فى الشرق وكان يفتخر بها على كل غنى وصعلوك وحسده عليها سائر الملوك

وكانت العرب تقول والله ماهذه الحجره مثال إلا مزنه حجرة بنى كلاب فيقول صاحبها والله ماالحجرتى مثال ولاولدت مثلها عربيه من الخيل الغوال وكان بحبها تعبان وطول ليله سهران وكانت قد قصدتها العيارين وطلبت أبياته المحتالين وبذلت فيها الأموال للسلالين وكان أحرص عليها من جندبه وقد نصب الأخشاب والصوارى وكل من أنكر عليه صلبه وأنزل به مصابه وعطبه ولا يخاف لومة لائم وقد شاع ذلك عنه فى سائر الجهات والمعالم فتوقفت عنها الطلاب ولم يبلغ أحدا من أخذها ارب وكان بالقرب منه قبيلة يقال لها بنى مخزوم ولهم أمير يقال له رفاع بن حسان فبلغه خبر الحجرة والحصان فأحبهما على السماع وحلا له المسموع بعد الامتناع وبذل الأموال والتحف للسلالين وغيرهم من العيارين ولما أن أعياه الأمر قال انمن أتانى بهما زوجته ابنتى الحسنا ذات الحسن والجمال وكانت قدخطبوها منه أمراء العرب وأهل المفاخر وذوى الرتب ولم ينعم بها لأحد فى ذلك الزمان فبذلها لمن يأتيه بالحجره والحصان وحلف على ذلك بالإيمان فلما سمعت العيارين ذلك الضمان أتوا اليه من كل مكان وبذلوا نفوسهم للمعاطب طمعا فى نيل المآرب وكان من جملتهم رجل يقال له شواش بن عامر وكان خبيث ماكر فقال يا مولاى أنا آتيك بالحجره والحصان وتوفى لى بالضمان فقال أى وحق خالق الإنسان ومن تعالى عن المكان والزمان ولم ينتهى إلى حد معرفته إنسان وأغنيك إلى ولد الولد وأزوجك ابنتى الحسنا دون كل أحد ان وفيت بالضمان ثم انه دفع له شيئا من المال وقال له اقضى حاجتى وانفق ولا تخف من الاقلال فطلع من عنده كأنه العقاب وأخذ معه سلال آخر وكان مثل الشهاب وقد دفع له شطر المال وتقمش بالقماش الفاخر ودخل على الليث فى صفة شاعر فلما كان عند الصباح واجتمعت أمراء العرب المخدومه عند الليث على جارى عادتهم قام العيار شواش بن عامر على قدميه وأنشد يقول هذه الأبيات :

أيها الليث أنت للعربان	سيد والجميع كالغلمان
وجميع الأنام جمعا ينادوا	ويقولوا لمن به الحرمان
اقصد الليث ابن فوز ترى ما	أنت تطلبه حاضرا للعينان
فاق كل الورى وزاد عليهم	لا فلان تقول أو ذا فلان
وهو بحر العطا لمن يرتجيه	وسواه أدنى من الخلجان
فاق أهل العطا بالفضل طرا	وبما قدحوى من الإحسان
ملك الناس بالمكارم والجود	جميعا فهم له غلمان
عبدك الشاعر الذى جاك يرجو	منك نيل المنا ونيل الأمانى

أنت كنز العطا فلا زلت ترقا لمحـــل مادونه كيوان
فايق فى عز نعمة وسرور ما اعترا قلب عاشق خفقان

(قال الراوى) فقال الليث أحسنت أيها الشاعر الفصيح اللسان أنت أوحد هذا الزمان ثم خلع عليه خلعة سنية وأمر له بالاكرام وقعد يسامره إلى نصف الليل فقام الليث الى فراشه لينام ومشى شواش الى عند العبيد وجعل ينشد لهم الأشعار ويورد الأخبار ويحدثهم بأنواع الهذيان والفشار الى أن نامت العيون وهجعت الكلام ونام كل من فى الحى من الشيوخ والشباب فقام شواش هو ورفيقه وهو كأنه النمر الحردان وأتيا الى عند الحجرة والحصان وحلوهم من القيود وخرجوا بهم من الحى وركب كل واحد منهما جواد وساروا من ذلك الأماكن والبلاد واتسعا فى البر والوهاد وكان فى طريقهما وادى يقال له وادى السباع فأرادوا أن يكمنوا فيه خوفا من الطلب وإذا قد خرج عليهم أسدا درع فقتل الفارسين وكسر الجوادين فهذا ما كان من السلالين (وأما ما كان) من الليث فانه خرج من مضربه عند الصباح يتفقد الخيل فلم يراها ووجد العبيد مذبوحين فعلم أنه مادهى الا من الشاعر المهين فصاح فى الخيل فركبوا وطلعو بمثل السيل وساروا ذلك النهار أجمع الى الليل فوقعوا بجمرة وولده كما ذكرنا فنزلوا عليهما بالصفاح الى أن أثخنوهما بالجراح ثم أخذوهم وأتوا بهما الى الحى وقدموهم الى مقدمهم الليث فنظر الليث الى الغرما فلم يجدهم غرماه والحجرة والحصان ماهم خيله فتعجب من ذلك ولكن أعجبته الحجرة وصارت حجرته عنده لاتساوى نعل مزنة عند ذلك أقبل على جمرة وقال له من أى العرب أنت وإلى أين أنت سائر فقال له جمرة يامولاى أنا رجل شاعر أمدح أصحاب العلا والمفاخر وهذا ولدى ومن عليه معتمدى وقد قدمنا على الأمير جندبة أمير بنى كلاب ومدحناه بشيء من الأشعار فأعطانا الخلع والمال وهذه الخيل القليلة المثال فوقعتم أنتم بنا وفعلتم بنا هذه الفعال ولابد أن تشيع عنكم هذه الأخبار والأعمال الردية بين قبائل العربان وفى محافل الرجال فقال رجل من مشايخ العرب كذبت يا قبيح المنظر هذه خيل ماتعطى لشاعر وهى رخيصة بالنفوس والخواطر والله ما أنت إلا سلال وماكر ومحتال ثم قال أيها الأمير قد أخلف الله عليك عوضا عن خيلك بهذه الحجرة والحصان فلا تبتلى نفسك بالحرمان فعندها قبضوا على جمرة وولده شرار وسلموهم للعبيد وأقاموا عليهم التوكيل الشديد فأقام جمرة الى نصف الليل وأراد أن ينام فمنع المنام مما هو فيه من القيود والأغلال فبينما هو فى حيرة وخيال وإذا به قد سمع عبد يتأوه ويتحسر فى جنح الظلام وهو مع ذلك ينشد ويقول هذه الأبيات :

لقد كان يسى القاب فى كل ليلة ثمانون بل تسعون نفسا وأرجح
يهيم بهذا بل ويشق غيره ويسلى هوى من نوره حين يصبح
وكان فؤادى خاليا قبل حبكم وكان بكل الخلق يلهو ويمزح
فلما دعا قلبى هواكى أجابه ولست أراه عن ودادك يبرح
رميت بهجر منك ان كنت مازحا وان كنت فى الدنيا بغيرك أفرح
وان كان شىء فى البلاد بأسرها إذا غبت عن عينى عبيدك أفلح
فان شئت واصلنى وان شئت لا تصل فلست أرى قلبى لغيرك يجنح

(قال الراوى) إلا أن جمرة لما سمع ذلك الكلام من العبد علم أنه عاشق ومستهام فأقبل عليه وقد علم أنه يحب بعض الاماء وقال له انى أراك تشكى الصد والهوى ولك عندى الدوا فلو كنت تقدر على خلاصى لكنت أوصلتك الى ماتريد فقال العبد اكتب لى كتاب وأنا أخلصك من تلك الأوصاب ولكن أخاف عليك أن تخرج الرجال خلفك والخيل إلا أن يكتب الله لك السلامة منهم ومن هذا الوادى المسبع فأنت تصل الا بنى طى لأن ماعليك خطر الا مما ذكرت لك فقال له هات الدواة والورقة وخلص لى الحجرة والحصان ودع الأرض تنفر على رجالا وفرسان وأسود وغيلان فقال سمعا وطاعة ثم انه أتاه بما طلب فكتب له جمرة كتاب الهذيان ورق له بفشار اللسان وكان العبد قد خلص له الحجرة والحصان فدفع له ذلك وركب الحجرة وولده الحصان وطلب البر والكثبان ولم يزالوا على ذلك الشأن حتى وصلا الى الوادى المسبع فلحق ولده شرارة البول فقال لأبوه يا أبتاه امسك لى الحصان حتى أنزل للبول فقال جمرة ضيق الله عليك الأرض يا ابن القحبة أنت ضاقت عليك الدنيا ما تبول الا هنا فقال والله ما بقيت أقدر أخطى من ذلك المكان ثم نزل من ذلك المكان ثم نزل من على ظهر الحصان إلا أنه ما وصل إلى الأرض إلا وسبع قد خطفه من بين الشجر وكبس عليه فانذعر ومات لوقته وأكله السبع فلما رآه أبوه تأوه عليه وتحسر وأطلق عنان الحجرة والحصان فى يده وسار الى أن أصبح الله بالصباح فأشرف على حى بنى طى فاقتحم الابيات وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

ياعاذلى كف فقد زاد غرامى والكمد لم يبق لى صبر على
حث الركاب ولا جلد وكان صبرى معى واليوم صبرى قد نفد
وحب سلمى قد بثث عظمى وأوهى للجسد وصرت أنا من حبها
مثل الخلال لدى الوقد وما كفى حتى الضنا والهم عندى والنكد

حتى تخطفت العدا جسمى وزادوه الكمد لهفى على ولدى الذى
قد كان نارا تتقد مازال فى اهراقه دم العدا حتى جمد
يادهر يكفاك الذى تفعله من حر النكد أرميتنى عند العدا!
أحرقت قلبي والكبد أبعدت سلمى بالجفا عنى وهجران وصد
فالله يجمع بيننا بقل هو الله أحد

(قال الراوى) ودخل الى حى بنى طى بمزنة والغمام فهذا ماجرى لجمرة من الامور (وأما ماكان) من الليث بن فوز فانه عند الصباح فقد الحجرة هى والحصان فصاح فى بنى عمه فأقبلت اليه وقد أقبلت الدنيا وسألوه عن حاله فأخبرهم بهروب الغريم وأمرهم بالمسير خلفهم فعند ذلك اقتفوا آثار الخيل وإذا هى طالبة وادى السباع فساروا قليل وإذا بجثة شرارة مرمية ورأسه مثل الأكره فعرفوه لكن ما وجدوا لأبيه خبر فساروا الى داخل الوادى واذاهم بالحجرة والحصان مقتولين وكذلك السلالين الى جانب الخيل مطروحين فبكا الأمير الليث لأجل محبتهم وقال الحمد لله الذى أكلهم السبع ولم يحظى بهم أحد غيرى ثم انهم رجعوا الى الديار وما فى قلبه غير الوجد والافتكار (فهذا ماكان) من أمر الليث بن فوز (وأماماكان) من جمرة فانه دخل المضارب وقد وقع الصياح من كل جانب وتلقته الاماء بالدفوف والمزاهر ودخلوا به الى الغطريف بن مالك فخرج الى لقاه ونظر الى الحجرة فكاد أن يطير من الفرح والاستبشار وجمرة لايطيق يتحرك من ألم الجراح فقام الغطريف الى مزنة وجعل يقبلها وجعل فى عنقها قلائد الجوهر وعلى ظهرها حبل من الحرير الابريسم الاحمر وركبها ودخل بها الى الحى وأعاد بالاطباء وأمرهم أن يداووا جمرة الى أن يعود الى الصحة ويبرأ ويدخل على سلمى من غير رأيا ولا أمرا فواضبوه أياما وهو لايزداد الى بلاء وسقاو لما أن خاف أن يشرب كاس الحمام قبل بلوغ الآمال فأقبل الغطريف وقال له أيها الأمير أين الذى وعدتنى به من وعدك الظريف فعندها أحضر الحجرة والحصان وقال له اركب ما شئت منهما أيها الدهقان ثم صاح لسلمى فخرجت اليه وهى كأنها غزال عطشان فقال لها ادخلى الى زوجك فقالت له يا أبتاه وكيف تفعل بى ذلك بالأمس أعطيتنى لعبد قليل المقدار واليوم لشيخ أعور مثل عفاريت القفار فقال دعى عنك هذا المقال فان كان وجهه قبيح ففعله مليح وماجمال الرجال إلا الصبر وركوب الأهوال والمرأة لاترى زوجها إلا فى عينها مليح ثم صاح يا لخنا إن عدتى تردى على أمر أو كلام لأعلون رأسك بهذا الحسام ثم قال خذها إليك ياجمرة فقد قمع الشرع أنف الغيرة

قال فدخلت اليه وهى باكية العين تدعو على أبيها ولما صارت عنده أراد أن ينهض اليها فلم يطق أن يتحرك من ألم الجراح هذا وسلمى تدعو فى سرها وتتضرع الى عالم الخفيات أن ينقذها من جمرة ولايترك فى قلبها حسرة وأما جمرة فانه لماأراد النهوض اليها سقط مغشيا عليه وأيقن بالممات فأشار يرثى روحه قبل موته وهو يقول : أنا ما أخاف الموت بل أخاف الفوت ثم انه بكى وأنّ واشتكى وأنشد يقول هذه الأبيات

الله يعلم والدنيا منغصة   والعيش منقلب والدهر ذو ملل
لأنت عندى واسأل ظنونك بى   أحلى من الأمن عند الخائف الوجل
والله لولاك ياسلمى لما سمحت   روحى لروحى بخوض السهل والجبل
ولاسعيت برجلى نحو من طلبوا   قتلى بحد الظبا والطعن بالأسل
فان تجودى بوصل منك لى برضا   أولا فانى عنك الآن مرتحل
إما بموت سريع لابراح له   عنى وإما بصد منك يا أملى
فكيف والجسم منى بالرماح غدا   مهبرا اننى فيك دنا أجلى

(قال نجد بن هشام) ثم شهق شهقة فارقت روحه الجسد ومات فعندها حمدت سلمى ربها تبارك وتعالى وخرجت من الخبا فقال لها أبوها مالك ياسلمى فقالت له مات بعلى فضحك من قولها وقال لها أنت غير مباركة على الأزواج فقالت له يا أبتاه أنت قد خيبت مقصدى فما ضيع الله حسبى ولانسبى (ياساده) فهذا ماجرى لهؤلاء . وأما ما كان من أمر الأمير جندبة فانه لما أصبح الله بالصباح افتقد مزنة والغمام فلم يجدهم فى الخيام فصاح يالكلاب يالكلاب الخيل يا أرباب الخيل فعندها ركبت العرب على صهوات الخيل وساروا النهار والليل وهم ينادوا أيها السيد وحق آبائك الطاهرين وأياديك الطاهرة وإنعامك المتواترة لو أن مزنة فى يد عاد الأكبر أخذناها أو فى الجبال الصم نزعناها ثم إن القوم ركبوا الخيل وساروا فى الوادى وتفرقوا فى كل مكان وجندبة قد أرسل النجابة فى طلب مزنة فغابوا وكانوا القوم منتظرين حضور النجابه حتى يعودوا بالجواب فعادوا النجابه بعد أيام قلائل بأصدق البراهين والدلائل وأخبروا أن الحجرة والحصان عند الغطريف فى غاية الانعام والاكرام فعندها رحل جندبة بمن جمعه من القبائل ولم يترك طفل صغير ولا شيخ كبير وسار الى بنى طى وهو فى نار لايطفأ لها شرار (ياساده) وكان لبنى طى فى بنى كلاب عيون وجواسيس تأتيهم بالأخبار حينا بعد حين فلما نظروا ماتم من جندبة ومسيره فسبقوا الى الملك الغطريف وأخبروه بما كان من جندبة وبنى كلاب وانهم سائرين اليكم وقادمين عليكم

فنادى الغطريف فى بنى طى وأمرهم بالمسير وهو يقول إن أرذل الرجال من تدوس الأعداء دياره وتقاتله فى أمصاره فتحررت الرجال وسارت نحو بنى كلاب وهم كأنهم أسود الغاب وكان الملتقى على وادى يسمى وادى الجندب فلما وقعت العين على العين تصايحت أبطال الطائفتين واصطدمت العسكرين وحان الحين وزعق على رؤوسهم غراب البين وعملت الصوارم فى الفريقين وتصادمت الفتيان ونفذت فى الصدور العيدان واستوفى الضرب والطعان وانقضت عليهم عقبان القضاء والقدر وسحبت سحائب النجيع كالمطر وصارت الأعمار الطوال فى قصر وقاتل جندبه ومن معه وصبر وتغيرت الألوان وفسدت الصور وظهر الغطريف على ظهر مزنة وعليه درع أصفر لاتنفذ فيه الابر وفى يده صارم أبتر وهو معتقل برمح أسمر من عمل سمهر فصال على جندبه وهدر وصاح وزمجر فلما رآه جندبه على حجرته لم يجد مصطبر دون أن قفز اليه واشتهر وناداه ياويلك يامن فجر وغدر أنت ما أخذت مزنة بقتال ولانزال بل بحيلة محتال فدونك الآن والحرب ومقام الطعن والضرب ثم انه ساواه فى مجاله وطلب حربه وقتاله وأنشد وجعل يقول هذه الأبيات :

تعديت ياغطريف عمدا على مالى ... فما أنت إلا من سلالة أندال
فكن نازلا عن ظهر مزنة عاجلا ... بضربة بتار لذى الحرب قتال
سآخذها قهراً ولست بنايل ... بحيلة محتال ولست بسلال
وان كانت الأخرى وحانت عوائقى ... وعاجلنى كأس المنون وآجالى
فما أنا بين الناس أول سيد ... أصيب بأموال تغير أحوال

(قال الراوى) فلما سمع الغطريف كلامه وما أبداه من نثره ونظامه تقدم اليه وناداه يالكاع أنت تعايرنى بالخداع وهو من أبواب الحرب والقراع ثم أجابه على شعره وهو يقول هذه الأبيات

أجندبة ارجع حقيرا باذلال ... ولاتطمع النفس الخبيثة فى حال
تعايرنى أنى ملكت لمزنة ... بحيلة محتال وسلة سلال
وما الحرب إلا خدعة وشجاعة ... لكل بخيل فى الزمان على مال
ومن دونها حرب يشيب لهوله ... من الخوف أبطال وترعد أقيال

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه وفتحا فى الأرض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وتسابقا فى حومة الميدان والمجال وأخذا فى الحرب والقتال وتعجبت فى قتالهما الفرسان والأبطال ولم يزالا فى طابق الجولان مقدار ساعة من الزمان وبعد ذلك اختلفت بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة الأمير

جندبه من فرط محبته لمزنه وكان الغطريف فارسا قد لقى كل مصيبة ومحنة فلما رأى السنان وصل اليه مال عنه بمعرفته إلى أن جازه السنان وكسر حدته ثم طعنه مجاوبا لطعنته فوقعت فى فخذه شكته إلى جانب الحصان وأحس الجواد بالطعنة فوقع بجندبه الى الأرض فأوهنه ولما رأت بنى كلاب إلى سيدها ملقى على التراب والملك الغطريف رجع اليهم كأنه العقاب وهو يطعن طعنات كأنها نار الالتهاب ولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وتبعوهم بنى طى كى يضربوا منهم الرقاب وينزلوا بهم الدمار فصاح فيهم الملك الغطريف ونادى : يابنى عمى القوم مابيننا وبينهم دما فلا تنهبوا لهم مال ولا تقتلوا لهم أبطال ولا رجال فرجعوا بنى طى إلى ديارهم عند سماع الملك الغطريف وقد علاهم الفرح والاستبشار وبتلك الفعلة انقطع عن بنى كلاب الطمع والطلب فقال بعضهم لبعض : يابنى الأعمام إن القوم قد جاءهم شغل وإلا ما كانوا انقطعوا عنكم ونحن كيف نرجع الى الديار ونترك جندبه مرمى فى تلك الوهاد والقفار فرجعوا القوم إلى الميدان فوجدوا الارض كشقيقة الارجوان وافتقدوا القتلى فوجدوا الأكثر من بنى كلاب فتأسفوا على هذا المصاب فجعلوا يقولون هذا فلان وهذا فلان وعلموا أن ذلك باذن الملك الوهاب ورأوا الأمير جندبه بين القتلى مطروح إلا أنه فيه الروح فحملوه وعادوا الى الديار وقد نزل بهم الذل والوبال فلما وصلوا المضارب وقد حلت بهم المصائب ونزلوا وقد ندبت النوادب على من قتل لهم من الحبايب ثم انهم قطبوا جراحات الأمير جندبه لكن بطلت رجله ولا بقى يمشى إلا على عصاه وقدطمعوا قومه فيه وقل فى أعينهم وتضعضع حاله ونفرت منه رجاله وعلم أن أمره قد صار غير نافذ فادعى بأخيه الأمير عطاف وكان كريم الأوصاف كامل الخصال كثير المال والرجال ثابت فى المجال يوم الحرب والقتال فقال له يا أخى اعلم أن خير القول أصدقه والأمارة لها شروط ومن جملتها المال والرجال والنشاط وأنا قد فقدت هذا كله ولا بقى يلذ لى مركوب بعد مزنة وقد رمانى الزمان بعدها بالحرمان والمحنة وأن الأهل والعشيرة لهم على حق لا أضيعه وقد رأيت من الصواب أن تكون أنت الأمير علينا والمشار اليه فينا ثم ادعى بأهل القبيلة وأخبرهم بذلك فأجابوه الأبطال واستصوبوا ذلك المقال وخاطبوا عطاف بالأمارة جميع الرجال فأعطى وأوهب وفرق الخيول والجمال والفضة والذهب وفرحت به الرجال والنساء وجميع العبيد والمولدات والاماء ومن ذلك اليوم انفرد الأمير جندبه فى بيت منفرد عن الناس ولبس الخشن من اللباس وتواترت عليه الأمراض والأعلال وتغيرت عليه الاحوال وجفاه كل صديق وانقطع عن زيارته كل رفيق فجلس فى بعض الأيام

وتفكر فى أحواله وتفريق رجاله فأنشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

تولت نعمتى ومضى زمانى ... وها أنا قد بقيت كما ترانى
فيوم العز كنت أعز قومى ... وأسبقهم إلى نيل الامانى
ومذ فارقت مزنة عاد عزمى ... إلى ذل يجدد بالهوان
عدمت ركوبها فعدمت صبرى ... وبان تجلدى ووهى جنانى
ترى قبل الممات أرى قبابى ... رفيعات العوامد والمبانى
ويرزقنى الإله فتى كريما ... يصول على الفوارس بالطعان
ويأخذ من عدانا التار قهرا ... بضرب السيف مع طعن السنان
ويأخذ مزنة من تحت خصمى ... ويقهر من يعاند فى الزمان
أنا المغبون فى هزلى وجدى ... فيا مولاى جد لى بالأمانى

(قال الراوى) إلا ان جندبة لما فرغ من شعره صلى ركعتين لله تعالى ونام فرأى فى منامه قائلا يقول يا جندبة أبشر فان الله تعالى يعوضك عن رجلك الجنة ولا بد أن ترزق ولدا يخلفك من بعدك ويملك البلاد وتطيعه العباد فاشكر الله على هذا الحال فلا تضيق صدرك على إذهاب المال (قال) فانتبه وهو متعجب من ذلك المنام ولم يزل ينتظر تلك الاحوال مدة من الزمان وبعد ذلك طرقه الحمام فأصاب بنى كلاب عليه أعظم مصاب وبكى عليه الرضيع منهم والفطيم والمشايخ والشباب ثم أدرجوه فى الاكفان وواروه التراب ومضى عليه الزمان حتى كأنه ما كان وبعد موته بأيام قلائل ظهرت زوجته حامل وما كان لها من يقوم بها بعد الملك والمال إلا الإذلال والتخضع والسؤال فقالت فى نفسها والله لا بد لى أن أقصد الأمير عطاف وأطلب بذلك الرأفة من خفى الالطاف ثم انها سارت الى عطاف فوجدته جالس بين السادات الصناديد والموالى والعبيد فتركته ودخلت الى زوجته ولما قدمت عليها بكت بين يديها وقالت لها أيتها السيدة لا جعل الله لك الى ذى فقر حاجة ولا زلتم تحكمون بالعدل وجنبتم اللجاجة وقد رأت عيناك وسمعت أذناك ما كنا فيه من الحلة والمال والعز الى أن تقلبت الأيام والليالى وقد أتيت اليكم قاصدة بعد العز ذليلة وبعد الكثرة قليلة وإذا ماتت الرجال ذلت النساء وكفى ان قلب كل أحد علينا قد قسى ثم أنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات

كفاك بأن الدهر يبدى العجائب ... وما مفنى الأعمار عنا بغائب
وما هذه الأيام إلا مراحل ... مواردها ممزوجة بالمصائب
وإلا فأين الأكرمين الذين مضوا ... لهم منصب من فوق كل المناصب
وكانوا إذا ساروا لكل ملمة ... احاطت بهم مستعظمات الكتائب

(قال الراوى) فلما سمعت زوجة عطاف منها تلك الاوصاف مالت اليها بالانعطاف وقالت

لها أيتها الأميرة نحن لكم نعم الذخيرة أما والله ما كنت فقيرة ونحن أغنياء وذمة العرب أنا ماتركت افتقادك إلا خوفا من انكسار قلبك لئلا يخطر ببالك اننا جعلناك موضع الصدقة وبعد فكل فضل وصل إلينا فمن بعض فضلكم فأقيمى عندنا ولك مالنا وعليك ماعلينا ثم خلعت عليه شيئا من ثيابها وحكمتها فى النعم وأفردت لها مكانا فى وسط بيتها وأقامت زوجة جندبة عندزوجة عطاف آكلة شاربة مدة ذلك الاسبوع ومامعها شيء ممنوع وكان قد وصل الأمير عطاف من مجلس الحكم فأعادت زوجته عليه قصة زوجة أخيه جندبة فدمعت عيناه وقال إن أردت أن تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك ثم قال لها أكرمى مثواها وكانت زوجة عطاف حامل وكذلك زوجة جندبة حامل باذن من سير الحامل فكانوا الاثنين كفرسى رهان فلما كملت لهما لأيام واعتراهما الطلق كان ذلك فى يوم واحد بقدرة الإله الخالق الماجد وكل واحد منهم فى جانب وعندهما القوابل وكان أول من سهل الله عليها كانت امرأة الأمير جندبة فوضعت ولدا ذكراً كأنه البدرإذا بدر ووضعت زوجةعطاف بنتاً كأنها قمراً طالعاً فسموها « ليلى » وسموا ابن جندبة «الصحصاح» لأن وجهه كان كالمصباح ونشيا الاثنين مثل النجمتين والشموس والقمرين وتموا عدة الأشهروتربوا فى الدلال عدد السنين والأعوام إلى أن بلغ الصحصاح من العمر خمسة عشر سنة فكان الصحصاح أحسن الصبيان وكانت ليلى أحسن البنات وهى كما قال فيها ابن الثريا هذه الأبيات :

مما يشا خلقت حتى اذا كملت ... فى رونق الحسن لاطولا ولاقصر
ربى لها الشحم حتى سدا كعبها ... فهى كالغصن لا سمن ولا ضمر
فانها خلقت من ماء لؤلؤة ... فى كل ناحية من وجهها قمر

(قال الراوى) وكانت تفوق النسوان والبنات الملاح بعيون سود تمرض القلوب الصحاح مليحة الحدق طريلة العنق كما قال فيها الشاعر :

كان سلاف الخمر يشبه ريقها ... وعنقودهامن شعرها الجعديقطف

(قال الراوى) ياساده وقد نالت من الجمال أمانيها وقضيب البان يخجل تثنيها فسبحان مصورها وخالقها وباريها وكل الملاحةقد جمعت فيها بوجه مثل القمر الوضاح لو بدت فى الليل المظلم لصار صباح كأنها تتبسم عن ثغر منظوم قد سرقت قدها من قضيب واستوهبت ردفها من كثيب وهى من أحسن البشر من عرب ومن حضر خصرها نحيل ووجهها قمر تورث القلوب عذابا وتسق من رضابها جلبابا (قال الراوى) وكان الصحصاح بوجه صبيح وقد مليح ولسان فصيح تبان النجابة من

عينيه والشجاعة من كفيه كامل الصفات ظريف الحركات كأنه القمر اذا أبدر أو الصباح إذا أسفر يسبى بحسنه عقول ذوى الألباب (قال الراوى) وخرجت ليلا فى بعض الأيام مع أترابها للغدير تتفرج على الزهر المنير وحولها جميع جوارها والبها والحسن قد حازها وكان من الاتفاق أن الصحصاح خرج يتفرج على الربيع والأرض قد اكتسبت حلتها الخضرا وقد فاحت روايح أزهارها وهى أزكى من عطر عطارها كما قال فيها

محاجرها بيض وأحداقها صفر وأجسامها خضر وأنفاسها عطر

(قال الراوى) هذا والشقائق كالزنوج وقد حاربت فسالت دماها وهى تلمع باحمرارها والاقحوان فى وسطها والسوسبان كأنه أذناب الطواويس فى بسطها والأرض قد فرشت بأنواع الملابس فجعل الصحصاح يتفرج على الغدير وينظر إلى ليلى وهى كأنها القمر المنير فهاج جنانه ونطق لسانه لأنها رشقته بسهم من كنانة جفونها فجرحت قلبه بغنج عيونها فباح بما فى فؤاده من الغرام وهتك ستر الحيا والاحتشام وقال بلسان النظام هذه الأبيات العظام :

زعمتى بأن القلب منك سليم وقد ضل عندى للغرام غريم
إذا برزت عند الضحى نفحاته يهب عليه فى هواك نسيم
فبالله ياليلى على تعطفى بوصل فانى فى هواك سقيم
ورقى على من ظل فيك معذب فان عذاب العاشقين أليم

(قال الراوى) فسمعت ليلى شعر الصحصاح فخجلت ومن أترابها استحت وعظم ذلك عليها فقالت ياصحصاح تفضحنى فى كلامك وشعرك ونظامك فقال لها الصحصاح يامولاتى مالك كنيت ولا باسمك عنيت فلما سمعت كلامه شق ذلك عليها وعادت الى منزلها وحدثت أمها فقالت لها يابنيه لعله أعنى إلى غيرك وهل هو الا يتيم أباك (قال الراوى) وشاع الحديث من أمة لها الى بعض بنات عمها فسمع الحديث أبوها عطاف ففزع على عرض ابنته فدعى اليه زوجته وأطلعها على الحال وقال لها يا ابنة العم هذا الصحصاح قد بلغ مبالغ الرجال وكذلك ابنتك ليلى قد بلغت مبالغ النساء وقد ألفها وألفته من حين كانوا صغار والتفريق بينهما هو عين الصواب والا صرنا معيرة عند سائر الأعراب فلما سمعت زوجته ذلك استصوبته وأنفدت فى الوقت خلف الصحصاح فلما حضر بين يديها سلم عليها فردت اليه السلام وقالت له ياولدى اعلم أنك قد بلغت مبالغ الرجال وما يخفى عليك الحال ونريد منك أنك لاترجع تلم بنا ما هو كرها فيك ولكن خوفا من كلام الناس فى حقنا ويشهد الله على بعد هذا

الأرض كأنه قد ألجم بلجام وخرج من عندها ودموعه تتحادر من على وجناته ويتشرق بكاس عبراته وقد أضرمت نيران زفراته فلما أبعد عن الخبا أنشأ وجعل يقول :

تأوهت من نار الغرام وحق لى إذا صحت من الصبابة أو وآها
حلفت بمن حث القلوص الى منى ومن طاف حول البيت انى أهواها

(قال الراوى) فلم يزل كذلك الى أن دخل على أمه وأشكا اليها جميع ماجرى له وما قالت له زوجة عمه وكيف منع من الدخول على ابنة عمه فقالت له ياولدى هذه الفول ما أنت إلا ولدنا ولكن ياولدى نخاف من معيرة العرب وما منعتك من الدخول على ابنة عمك ليلى إلا لأجل شعرك الذى قلته لها عند الغدير ومهما أردت ياولدى من الحويج عرفنا حتى نقضيها لك على ماتحب وترضى وما لنا شىء نخفيه عنك إلا ليلى وأنت وإياها بريان من الخنا والرياء ولكن ياولدى قد قالت الحكماء من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب فلما سمع الصحصاح من امرأة عمه ذلك أطرق إلى جمرة جناها لسانك ولولا ماذكرت من لفظك وشعرك لكنا نكون فى نعمهم إلى الممات وأنت قد أشفيت بنا قلوب الحساد وأشمت بنا الأضداد فأنت فقير يتيم لم لاتنظر الى من رباك بالعظمة والتوقير ياولدى ومن يكن فى بيت يأ كل من صدقته ويستر عورته كيف يمد عينه إلى حريمهم فاترك نارك وعشقك وتحيل لك فى قميص تلبسه واهتم فى القيام فى قوتى وقوتك فما لى ولك إلا الطحن بالرحى ولا نبذل وجهنا للأعداء ولو كنا فى غير حى بنى كلاب كنا قصدنا من الناس وأ كلنا ويلك ياولدى ألم تعلم انك اذا ذكرتها فى شعرك صار لها حديث عند أهل الحى وينكس بختها وتتمنع خطابها وما جزاؤهم منا ياولدى وقد ربوك يتيما وكفلوك فطيما وفعلت معهم أنت فعلا عظيما لأنه فعل تندم عليه وسوف ترى عواقبه (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح عتب أمه وعندها ذرفت الدمعة من عينيه وتحادرت على خديه وقال لها إليك عنى فقل من الكلام . ثم أنشأ وجعل يقول :

خليلى إنى عاشق ذو صبابة بليلى وانى قد أبوح وأعلنا
فمن شاء منكم أن يلم لايهمنى ملامكم لى يكثر الشوق والضنا

(قال الراوى) فلما سمعت أمه كلامه زاد كربها وحزنها كيف ذكر ليلى فى شعره وجردت عليه ونهرته وتطلب بذلك تكسره عما هو فيه خوفا عليه من نوائب الزمان قال فعند ذلك رفع رأسه إليها وقال ياأماه أما قولك ينكس بختها وتقل خطابها فأنا أولى بها وهل هى إلا ابنة عمى ولاعيب فى أصلى وإن كان الفقر قد ازدرانى فان الذى سلب منا الغنى فيما سلف قادر أن يجود علينا بالخلف فقالت اسكت ياولدى

ثكلتك أمك وعدموك قومك والله إن وصل كلامك الى الأمير عطاف ليكون ذلك سببا لقطع مهجتك وبعدك عن وطنك ويلك ياولدى أنت الليلة نبات بلا عشاء إن لم ينفذوا لنا بيت عمك شيء نأ كله فمن يكون هذا حاله فعنده شغل شاغل عن غيره فكيف حال من يسعى الى الصعود الى السماء ليتناول الكواكب ولا يكون ذلك أبدا ولاينا له طالب من أهل المشارق ولا من أهل المغارب فلما سمع الصحصاح من أمه هذا الكلام زادت حسرته وجرت دمعته وزادت مصيبته ولم يدر ماتكن حيلته وزاد به الغرام واشتد به الهيام ونطق بالشعر لسانه لما كثرت أحزانه وأنشد يقول

أقلى من اللوم الذى لايفارق ... فقلبى إلى من تيمته موافق
ولا تطلبى منى التصبر ذرة ... فصبرى وحق الله منى طالق
وشوق فؤادى مثل جمر على الفضا ... وكيف يطيق الصبر من هو شائق
إذا ما دعى اللوم مثلى أجبتهم ... وهاأنا فى ذا القول والله صادق
وقد منعونى أن أراها تعمداً ... وما أنا والرحمن يا أم فاسق
لأنى مربى فى العفاف وشيمتى ... خلائق صدق دونهن الخلائق
يقولون لاتجتاز بالمضرب الذى ... تمر به ليلى كأنى سارق
ولوكنت فى أقصى البلاد فاننى ... إليها وحق الله ماعشت عاشق
وإن عظامى حين تسمع ذكرها ... مفاصل طير قد حواهن باشق
ألا فليقل فى الحى من شاء اننى ... لوجهك ياليلى بلاشك شائق

(قال الراوى) فقال الصحصاح لأمه يا أماه هل بقى عندك شيء من مضارب أبى حتى نعتزل به عن هذه المضارب فقالت بلى انه خلف تقادم السنين بيتاً وهو وديعته عند الأمير مازن بن فهر الكلابى فقال لها ائتينى به حتى أضربه فى آخر البيوت مع الفقراء والمساكين وصارت أمه تتردد إلى بيت عمه وتأخذ من زوجة عمه عطاف ماتحتاج اليه من الطعام والشراب . وأما الصحصاح فانه من السهاد هجر المنام (قال الراوى) ثم زاد به الغرام فخرج وهم أن يطلب بيت عمه ليطفى من نيران ليلى قلبه فعاد على نفسه بالعتاب وقال ما هذا صواب وربما ينظرنى بعض الركبان وأنا داخل الخبا فيسعى بى إلى عطاف ويكون ذلك سبب التلاف فرجع الى بيت أمه وهو شاكى ومما يقاسى من الغرام باكى فلم يرى أمه فى الخبا وكانت قد مضت إلى بيت عمه عطاف (قال الراوى) وفى ذلك اليوم خلت أمه بليلى وقالت لها ياأماه كيف حال ابن العم فقالت يابنتى فى أسوأ حال وأعظم وبال ساكب العبرات طول ليله يراعى النجوم السائرات ثم أعادت على ليلى جميع ماجرى لها من ولدها الصحصاح وماقال من الأشعار

فبكت ليلى وقالت والله يا أماه ما هجروه أهلي بغضاً فيه ولكن من كلام الناس والأعداء وأن يصير حديثنا بين الملأ وانني عندى له من الألف وشدة المحبة وعهد الصبا وكثرة المودة والصحبة أضعاف ماعنده ولولا عثرات لسانه لما كان منع من عواطف أبى عطاف وإحسانه فقولى له يخفى ماعنده والصبر أجمل فلعل من قضى بالفراق يمن علينا بالتلاق ثم أعطتها شيء من النفقة وقالت لها يا عمتاه طيبى قلبه وأنشديه عنى بعد تقبيل وجهه ويداه هذه الأبيات :

أياصحصاح عندى من الغرام ... كأضعاف الذى قد حل عندك
ولكنى كتمت عليك وجدى ... فهلا كنت أنت كتمت وجدك
وقد وصل الكلام إلى أبينا ... وقد صبرت حالى لأجل فقدك
وقد قسم الهوى بالعذل فينا ... فلا تحسب بأنك أنت وحدك

(قال الراوى) ففرحت أم الصحصاح بذلك ودعت لها وعرفت صفاء ودها لولدها وشكرتها وقلبها اقدملى بالأفراح وخرجت طالبة لولدها الصحصاح فوصلت وهو قد دخل إلى الخبا فأعادت عليه ماجرى لها مع ليلى وأنشدته الأبيات فزاد الصحصاح طمعاً وغرام ولم يعرف بعد ذلك منام وقال يا أماه أنا من اليوم قتيل هواها وأسير عيناها ولا أسمع فيها لوم لائم وإن نامت فأنا غير نائم وإن صرمت حبلى فانى غير صارم ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الأبيات

خلى ملامى لست أهوى اللائما ... قد بحت بالحب ولست كاتما
ما زلت بالود لها مواصلا ... ولم تزل لى هاجراً مصارما
لو لم يكن على قتالى قادر ... ما سل من ألحاظه صوارما
أبيت سقما فى هواها وهى لا ... تبيت إلا يشفاء سالما
وأدمعى إن منعونى لا أرى ... ليلى لعمرى تخجل الغمائما
لو كان عطاف عنا عاطف ... لكان عم عادل لا ظالما
وإننى أهوى هواها كلما ... عشت فلا زلت لها مسالما
هى جنتى ونعمتى ومنيتى ... إنى لها عبد وحبى دائماً

(قال الراوى) ومضت الأيام والليالى وهو على جمر المقالى حتى بلغ من العمر ثمانية عشر سنه وكمل فيها الخصال الحسنه فخلى فى بعض الأيام بنفسه وقال مالى أرى جسدى يذوب ذوب الرصاص فلم لا أسرع إلى الخلاص من ضيق الأنفاس قال متى أكون فى موضع لا أقدر فيه على ليلى ولا أنظر إليها وأنا فما فياعيب إلا فقرى ومالى إلا أخرج عن

أرض بنى كلاب وأتغرب فان مقامى عندهم عذاب فان غيابى وحضورى سواء ومالى الا أهج فى البرارى والقفار ثم افتكر وقال سبحان الله أنا مالى فرس أركبه ولا مال أوهبه ولا قميص فاخر أصحبه فوالله لا أشرد روحى عن أوطانها فاما أن تفوز بأمالها واما أن تخلص من هوانها واما أن تهلك دون مرادها ثم انه جاش الشعر فى خاطره فأنشأ يقول

دع مهجتى تزداد فى خفقانها ليس التذلل فى الهوى من شانها
واعذر فان حشاشتى مشغولة لا شك أن الدمع من عنوانها
لو أن من عبرات عينى قطرة فى الأرض عاد الماء فى طوفانها
لكن أداريها بحسن تصبرى وتبرد الأحشاء من نيرانها
من رام من لحظ العيون تعرضا بسيوفها لم ينج من عدوانها
لله ليلى انها حورية نزلت الينا من رضا رضوانها
سأسوح أرض الله غير مقصر فعسى أنال الرزق من ريحانها
وأعود مسرور الفؤاد مسلماً وأقاتل الأبطال فى ميدانها
ولسوف أستاق الغنائم عامداً وأصول مقتدراً على أقرانها
فالموت فى البلد البعيد ألذ لى مما تصير النفس رهن هوانها

(قال الراوى) وخرج الصحصاح وقد غلب عليه الهوى وتملك بمهجته الجوى وهو ماشيا حافيا وعليه قميص خام قصير الأكمام وهو صفة الأيتام وعلى رأسه لاطيه لها عشرة أعوام ومعه قرص شعير وعليه ذلة الفقر والتعتير (قال الراوى) وطلبته أمه عند العشاء فلم تجده فظنت أنه مضى الى بيت عمه كما كان على جارى عادته فلما فقدته تجدد عليها أحزانها وضاقت عليها الأرض وأخذت فى البكاء والنحيب ونادت وواحشتاه لليتيم الغريب أين أنت ياولدى يابقية الكرام يامؤنسى بين الأنام ياولدى هاجت على أحزانى ما كفانى يا ولدى ما عندى من المصاب والله ما أريد بعدك لا طعام ولا شراب (قال الراوى) ثم جعلت تبكى وتنوح فعلموا بها أهل الحى فأتوا اليها وبكوا لبكائها وحزنت قلوبهم على الصحصاح ويتمه وغربته وبعده عن أحبته فقالوا أين عينين جندبة يرى ولده فى هذا الحال فطال ما أنزل الضيفان وأنزع الجفان فزال ملكه وانقرض كأنه ما كان ووصل الخبر الى بيت عطاف فبكت زوجته وأيضاً عطاف وبعث خلفه جماعة من قبيلته فعادوا ولم يقعوا له على خبر ولا علموا له أثر فشق على بنى كلاب فقده وصارت أمه ما تأوى الحى الا عند قبر أبيه فهذا ما

كان من هؤلاء (وأما ماكان) من أمر الصحصاح فانه لما خرج من عند أمه لم يدرى الى أى مكان يسلك فجعل يسير الليل والنهار مدة ثلاثة أيام وقد فنى زاده وخفق فؤاده وطار رقاده وأرمته المقادير كما يشاء الملك القدير وفى اليوم الرابع أشرف على أرض متسعة الفلوات مليحة الجنبات وفيها غدير ماء يتلاطم بالأمواج كأنه البحر العجاج والأرض قدشربت كاسات الغيوم لصفو العهود على أصوات أغانى الرعود وقد اخضرت الطلال والوهود والسماء متكاثفة الغيوم صنعة الحى القيوم الذى لا يموت كما قال فيها الشاعر

الغيم والبرق فى الحافات يلتهب ... كأنه مطرف أعلامه ذهب
والعطر يلثم ثم الاقحوان إذا ... تبسمت عنه فى حافاتها غضب
والعاشق المدنف المسكين حين رأى ... تلك المعاهد زاد الشوق والطرب

(قال الراوى) لهذا الكلام والغزلان فى ذلك المرج تمرح والطيور على الأغصان تشرح والأزهار منعكفة والوحوش تسرح والبلابل تصدح والبان أول ما قد تفتح (ياساده) وقدضرب لها الصيف خيامه ومدسرادقاته وأركز أعلامه وجاء بعزل الشتاء البليد وتسلم الصيف كتاب التقليد فبدت جنوده وسراياه ولاطف بتحفه وهداياه وقد خلع عليها الصيف عقوده ونثر عليها زمان الشتاء ملابسه وبروده وكتب فى مقام الشقائق عقوده فلما نظر الصحصاح إلى تلك الأرض تذكر قبيلته وديار أحبته فأنشأ يقول هذه الأبيات

خرجت وفى أملى أنى أعود ... فيا ليت شعرى متى أرجع

(قال الراوى) ثم نزل على ذلك الغدير وزهره النضير وشرب منه حتى اكتفى وأخرج ما كان قد بقى معه من الزاد وأكل وهو مقروح الفؤاد وتوضأ من ذلك الماء وصلى فلما فرغ من صلاته قال يا نفس أى وجه بقى لكى إلى الرجوع مع هذا الفقر والفاقه والجوع والله لا رجعت خائبا ولا بد ما أقصد باب الكريم طالبا ثم رفع يده إلى السماء وقال يا من علم آدم الأسماء يا حامل المنقطعين يا خالق السموات والأرضين أسألك بحق أنبيائك المرسلين وملائكتك المقربين وعبادك الصالحين ومن خاطبته بطه ويس ومن أرسلته بالآيات والبراهين سهل علىّ كل صعب شديد وبلغنى يا إلهى كلما أريد وارزقنى مالا حلالا أعود به إلى أهلى واجمع بهم شملى يا قريب غير بعيد يا منّ قال وقوله الحق وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان (قال الراوى) وإلى دعاء العرب المنتهى ولأجل ذلك قال سيد الأنام ومصباح الظلام علموهم القرآن وتعلموا منهم الدعاء ثم انه نهض وصلى المغرب وقعد يرتجى من الله عزوجل ما طلب إلى أن أقبل الليل وقام صلى العشاء ونام فلما أصبح الصباح توضأ وصلى الصبح وأكل ما بقى معه وأنشأ وجعل يقول هذه الأبيات

يا هاجرى ادلالا هجرتنى اهـلالا
م عـذولى أفتى إذ كان قتلى حلالا

(قال الراوى) ثم انه انبطح على وجهه كعادة العرب وجعل ينـكش الأرض بأصبعه وهو مفـكر وإذ بوقع حوافر فرس على بعد فالتفت وإذا هو بفارس يكد وهو طالبه وهو على جواد كالجبـل وقد اعتنق عنق جواده وأرخى عنانه فاستوى الصحصاح جالس ولم تـكن إلا لحظة حتى وصل إليه فارس وهو على آخر نفس فسلم بصوت خفى فرد عليه السلام فنظر اليه الصحصاح كأنه قطعة أرجوان وفى جسده جراحات كأفواه القرب وهو يلتهب بنيران الـكرب فقال للصحصاح يا وجه العرب اطرحنى على الأرض طرحا خفيفا واتخذنى ما عشته خلا ورفيقا وشد لى جراحاتى لعل الله أن يبدو صلاحى واسقنى شربة من المـاء فأنا أعلم أن شرب الماء ما يصلح للمجروح لأنه مسرع لخروج الروح واعلم يا وجه العرب أنى ان سـلمت جازيتك وان أنا مت فأنت بذلك مسعود ففعل الصحصاح ما أمر به وكان تحته حصان يحير فيه الوصف ويسبق الطرف وقد قطع به المسالك كأنه الليل الحالك وإذا سار يسبق الطير الطائر وله قوام كأنها أعمدة حديد وبياض غرته كأنه البدر المنير (قال الراوى) فلمـا نظر الصحصاح إلى ذلك الحصان حار فيه وقال ما أظن يوجد مثل هـذا الحصان فى سائر العربان ثم أقبل على ذلك الانسان وقد وجد فى نفسه راحة فقال له حدثنى من فعل بك هذه الفعال فقال له الرجل يا ولدى الصددق أوفا من المحال اعلم أننى رجل سلال مكار محتال طول دهرى أسـل الخيل وأخوض فى ظلام الليل ولو كان الحصان بين الأجفان أو انطوت عليـه مطاوى الأكفان أو ضمت عليه أحشاء الانسان لسليته أسرع من البرق اليمـان ولا أفزع من كيد الشيطان وأنا آفة العربان ومحنة كل حجرة وحصان وأنا يقال لى المقتنص بن وثاب وكنت سمعت بهذا الحصان الذى تراه تحتى واسمه الشاهق ويلقب باللاحق وهو من خيل بنى مره وصاحبه يقال له مسعود بن وبره وهو يدل بهـذا الحصان على جميع العربان وهو عنده عزيز منصان فخرجت من قبيلتى وهم بنى نمير أهل الجود والخير طمعا فى هذا الحصان وقلت هـذا ثمنه أربعمائة ناقة سود الحدق حمراء الوبر وخمس عبيد وخمس اماء ما لهن نظير فسرت إلى القوم فأقمت عنـدهم يوم بعد يوم إلى أن وجدت خلوه إلى سله فقدته بفاضل زمامه وأخرجت من مخلاتى سوط وضربته به فطار بى كأنه شاهين أو عقاب فلمـا أحسوا بى ركبوا الخيل من كل جانب وتبادروا مثل السـلاهب وفى أيديهم السيوف القواضب وسبقنى بعضهم إلى الوادى لعلهم

إن مالى عبور إلا من عليه وثاروا من بين يدى خمسين رجال وزقونى بالحراب وأثخنونى بالجراح وأنا على ظهره وهو يوثب بى وثبات الفهد إلى أن خرجت من بينهم وهو كأنه النجم الطارق أو السهم الخارق فلم يلحقوا منى الا الغبار وأخذنى وطار ولى اليوم ثلاثة أيام والدم يسيل من بدنى وقد ذهب منى القوى وهانت على الدنيا ولكل أجل كتاب وقد أحسنت لى وأشفقت على وأراك بهذا الحال عارى الجسد ظاهر الكمد وعليك شواهد أهل النعم فمن تكون ياوجه العرب فقال له الصحصاح أنا من بنى عامر وأبى جندبه بن الحارث الكلابى سيد بنى كلاب وأبى مات وأمى حامل بى وجازت علينا نوائب الزمان وقصدتنا الحوادث من كل مكان وأعاد عليه جميع ماهو فيه وكيف خرج من عند أمه هاجا على وجهه وهو فى أمره حائر فرق له السلال وقال له ياولدى انك لذو حسب ونسب وأبوك سيد من سادات العرب ومع هذا ياولدى ان قدرت تحملنى على ظهر جوادى وتوصلنى الى قومى وتكون راكب ورائى تحفظنى فما بقى لى قوة ألزم روحى على ظهره فان أنا سلمت فهو بيننا بالسوية وان أتتنى فى الطريق المنية فخذ أنت الجواد وامض فوالله لقد صح عندى أنك أحق به منى فقال له الصحصاح قد رضيت بذلك وتعاهدوا على ذلك ثم أقاموا على الغدير الى وقت المساء فنهض الصحصاح وتوضأ وصلى العشاء والتفت الى السلال فوجده يعالج سكرات الموت فتقدم اليه ورفع رأسه على ركبته وقال له مالى أراك على هذا الحال فلم ينطق بأكثر من قول لا إله الا الله محمد رسول الله وقضى نحبه ولحق بربه فلم يبرح الصحصاح حتى طلع الفجر فصلى الصبح ونهض اليه وغسله على جانب الغدير ولم يزل حتى واراه التراب بعد جهد جهيد وركب جواده وأخذ عدة جلاده وهم بالمسير فحانت منه التفاتة فنظر الى مخلاة معلقة فى السير الذى فى السرج فتطلع فيها وإذا فيها آلة السل مثل مفاتيح ومبارد وأقفال وخيوط طوال ومما يشاكل ذلك كله فألقاه من يده فى الغدير ثم انه سار حتى وصل حى بنى كلاب وهو فرحان فتلقوه أهل الحى وفرحوا بسلامته غاية الفرح وفرح هو بهم أيضا وانشرح قال ونظر عطاف الى الجواد فكاد أن يطير من الفرح ثم سأله عن قصته وماجرى له فأخبره بحديثه من أوله الى آخره فتعجب عطاف من قوة سعادته وعلو همته وقال له والله ياولدى لقد ضاقت علىّ الأرض لغيبتك فالحمد لله على سلامتك فخدمه الصحصاح وقاد اليه الجواد فقال له عطاف وحق من مرج البحرين وأنار القمرين لقد سمعت بهذا الجواد وخبره ولو كان صاحبه يبيعه لشريته منه بألف ناقة والآن فقد جاءنى من غير

تعب وماضاعت والله تربيتنا فى ابن جندبة ثم قال له ما أتركك راحل بعد ماصرت راكب ثم أمر له بجواد لون الغراب ينقض كأنه شهاب وأعطاه سيف محلا قاطع ودرع مليح مانع ومائة رأس من الغنم وعشرة من الإبل فقبل الصحصاح عند ذلك الأرض ودعا له وعاد الى أمه وقد فرح بفعل عمه وفرحت عند ذلك أمه بعودته فنهضت وقبلت طلعته وبين عينيه وبلت شوقها منه (قال الراوى) وسمعت ليلى بقدوم الصحصاح ففرحت غاية الفرح وزال عن قلبها الهم والغم والترح فهذا ماجرى ههنا (وأما الصحصاح) فانه لما جنّ عليه الليل وأرادت العيون أن تنام زعزعته زعازع الهوى وألهبته نيران الجوى وطلب الصبر فلم يجد اليه سبيل وسالت عبرته على وجنته فى الليل الطويل ومن عظم ما ناله أنشأ وجعل يقول :

إلى من أشتكى من حب ليلى ... إذا ما خاننى الصبر الجميلا
وقد أضحى الغرام يذيب قلبى ... وجسمى قد تملكه النحولا
تملكنى الهوى طفلا صغيرا ... يذول القلب منه ولا يزولا
هم يرجوه لى بالسهد حتى ... تفتته المفاصل والعقولا
طلبت خلاصه وحرصت فيه ... وليس اليه ياهذا سبيلا

(قال الراوى) وضاقت الدنيا عليه وحس ان روحه زاهقه من بين جنبيه فدعا بأمة تسمى سعدى كان يعرفها انها تدخل الى ليلى فقص قصته اليها ووصف لها ما يلاقى فقال لها أريد منك يا أختاه أن تروحى لها وتعرفيها بحالى وتلقى وهل عندها مثل ماعندى وصفى لها ما أنا عليه من كثرة القلق والذى ألاقى من الأحزان والحرق فمضت الأمه وقد عرفت صورة حاله وشاهدت عظيم بلباله وتمت سائرة حتى دخلت على ليلى ووصفت لها ما يقاسى الصحصاح من ألم الهوى وتباريح الجوى وزادت عليه شيء كثير من شقشقة اللسان (قال الراوى) فلما سمعت ليلى بذلك زادت بها الاحزان وأظهرت ماكانت تخفيه من الأشجان فصبرت حتى نام كل يقظان واشتملت بمرط أسود وخرجت ولم يعلم بها أحد حتى أتت إلى خيمة الصحصاح وقد هانت عليها روحها لما تعرف من حسن وده ومحبته فدخلت عليه وهو مما يلاقى من الهيمان بين النائم واليقظان فانحت اليه وقبلت بين عينيه ففتح عينيه ونظرها فكاد كبده من شدة الفرح أن ينفطر وغشى عليه ساعة زمانيه ثم أفاق وقد كادت روحه أن تبلغ التراق ثم أنشأ يقول :

أتانى زائرا للبيت يبدى ... لى الهجر الطويل بلا تعدى
ولما أن رأيت اليه كادت ... تذوب حشاشتى من عظم وجدى

(قال الراوى) ياساده وجعلوا يتشاكون من عظم المحبة ويبكون ثم شكت اليه

كثرة الاحتياط بها وشكى هو كثرة الشوق والاحتراق إلى أن بدا الصباح وخافت (ليلى) من الافتضاح واستأذنت الصحصاح فى الرواح فخرجت وهى مخفية الى أن وصلت الى خيامها ولم يجرى بينهما فاحشة ولاخيانة سوى الشكوى الى بعضهم البعض (قال الراوى) وان الصحصاح لما خرجت (ليلى) من عنده وقع فى الهم والغم فأنشأ يقول

كل الليالى وجدتها طوال | إلا ليالى وصلها قصر

ياليلة كان من تقصرها | يعبر فيها العشاء بالسحر

(قال الراوى) ولم يزل الصحصاح على ماهو عليه الى الصباح وعمه عطاف قد زاد عليه من الصحصاح الألم وكان السبب فى ذلك أنه علم أن ابنته ليلى مضت الى الصحصاح فلم يصبر على الافتضاح فجرد حسامه ودخل اليها وأراد أن يبطش بها فمنعته أمها من ذلك وقبحت عليه فعاله وقالت له : والله ياابن العم لئن قتلتها لتصيرن حديثا فى ألسنة العرب ماقام قائم وقعد ولكن اصبر لعل الله سبحانه وتعالى يسهل للصحصاح من يقتله وتبلغ فيه ماتؤمله لأن الشجعان قاصرين الأعمار قال فعلم أن قولها صحيح فرجع عما كان قدعزم عليه والموت يلوح بين عينيه . هذا ماجرى ههنا وأما الصحصاح فانه أقبل على أمه وقد أطمع نفسه فى ابنة عمه وقال يا أماه قد عولت أن أشن الغارة على القبائل وأقطع الطرقات على القوافل وأجمع لى مال أبلغ به الآمال وأخطب بعد ذلك ابنة عمى ليلى من أبيها (قال) فلما سمعت أمه كلامه قالت ياولدى أنت منصاب أموال العرب هى سابية لك حتى انك تنهبها أماتعلم أن لها من يحميها ويذب عنها (قال الراوى) وكان ذلك الكلام شفقة منها عليه ومخافة من محنة تتم عليه فلم يلتفت الى كلامها بل أنفذ تلك الأمة الى ليلى يعلمها بأنه سائر فى تلك الأيام ويسألها الدعاء ويسألها أن تودعه ولو بالسلام (قال) فمضت الأمة وأعلمتها بماقاله من الكلام فقالت لها : عودى اليه وقولى له يكون فى انتظارى الليلة فانى أدبر حيلة من حيل النساء ومايحس بى إلا وأنا عنده فى الخباء لأن الحى كله وشاة ورقبان فعادت الأمة اليه وقصت القصة عليه فلما سمع بذلك قعد يرصدلها النجوم وقدلعبت بعقله أمواج الهموم وتوسد بأخدوده ذراعيه والنوم قدغلب عليه فبينما هوكذلك واذا هو بليلى قدأقبلت عليه فلماأحس بها نهض قائما على قدميه فقالت له ياصحصاح لوكنت صادقا فى الغرام لما ألفت عيناك المنام فلما سمع كلامها بقى خجلان من توبيخها وقال والله ياحبيبة القلب ماأنام إلا لعلى أرى طيفك فى المنام ثم انهما تشاكيا الى الصباح ومضت الى منزلها من بعد ما ودعته . وأما الصحصاح فانه لما طلع عليه الصباح ركب جواده وخرج يطلب الصيد والقنص

وبقى طول النهار يتسلى من ليلى بمناشدة الأشعار إلى أن غابت الشمس وولى النهار فأقبل وجواده موقور من الوحش والغزلان والأرانب ثم دخل إلى الخبا وقال لأمه اضرمى النار واصنعى لنا شيئا من الطعام ففعلت ذلك وأكل هو وأمه حتى اكتفوا وقعد يفكر فى (ليلى) وحسنها وجمالها إلى أن جن عليه الليل فلم يطق الصبر فشكى إلى أمه نار الفراق وقال لها اذهبى إلى (ليلى) واشرحى لها حالى وما أنا فيه من الاشتياق فان كان لها قدرة على لقائى فتزورنى قبل تغير حالى فقالت ياولدى هاأناسائرة إليها وقادمة عليها ثم انها خرجت من عنده وسارت حتى قدمت إلى (ليلى) وأخبرتها بحاله فرقت وبكت من شفقتها عليه وقالت لها سيرى اليه واقرى سلامى عليه وهاأنافى الأثرفخرجت أم الصحصاح وهى خائفة على ولدها من عمه عطاف وخرجت ليلى وراءها فوصلت فى عقبها ودخلت على الصحاح فرأته نائم فأيقظته من منامه وقالت له هذه صفة من يكون هائم فقال لها والله يابنت العم مانمت إلا طمعاً فى الخيال فتقدمت اليه وقبلته بين عينيه فضمها وضمته أيضا إليها فأنشأ وجعل يقول :

أبات قرير العين أرعى خيالكم فتصبح كفى من لقاكم صفرا
وتلقا كم نفسى إذا كنت نائما فياليت ذاك النوم دام لنا شهرا

(قال الراوى) ثم انهم قطعوا الليل بالشكوى وكثرة الاشتياق والجوى حتى طلعت غرة الصباح فعولت (ليلى) على الرواح فبكى الصحصاح عندذلك وناح . وأنشأ يقول

أتى زائراً من صدعه مثل صده وقد لاح در الثغر من نار ورده
فعانقته من فرط وجهى صبابة وبت وخدى واضع فوق خده
إلى أن أتى الصبح المفرق بيننا كجسم حسام سل من جفن غمده

(قال الراوى) وخرجت (ليلى) وهى مخفية من أحد الرقباء حتى وصلت إلى المضرب فحست بها بعض الإماء فأعلمت أبوها عطاف فاحمرت أحداقه وكاد من الغيظ أن يقطع أزياقه وجذب السيف وهم أن يقتل ابنته فوقفت أمها فى وجهه وقالت له يابن العم ما حالك فأعاد عليها ما قالت له الأمه فقالت يا ابن العم لعله يكون أحداً غيرها وقبل ذا وبعده ما دام الصحصاح قد ركب لابد له أن يقتل فعلم صحة قولها وأغمد سيفه وخرج (قال الراوى) وأن الصحصاح بقى مدة خمسة أيام ما رأى أثر فتزايدت به الأشواق واحترق بنار الفراق ولم يطق الصبر إلا بالتلاق فأرسل خلف الأمة التى تمضى فجاءت اليه فأنفذها الى (ليلى) تعلمها بما هو فيه من شدة الغرام وأمرها أن تسير اليها من كل بد فى هذه الليلة لأمر قد عرض له

ولا يطلع عليه سواها فمضت الأمة وأخبرت ليلى بما قاله الصحصاح فقالت لها ارجعى اليه وقولى له ينتظرنى إذا انتصف الليل فخرجت الأمة وجاءت إليه وعرفته بما قالت ليلى ففرح وقعد لها فى الانتظار حتى انتصف الليل وإذا بها قد أقبلت فقام اليها واستقبلها من باب الخبا ولثم كل واحد منهما صاحبه ثم حدثته بما جرى لها مع أبيها وكيف جرد عليها السيف وأراد قتلها فتعجب الصحصاح من قوة قلبها وقال لها ياليلى قد عولت على أخذ الأموال من إحياء العرب وآتى بالنوق والجمال وأخطبك من أبوك بين الملأ من النساء والرجال قال فبكت وقالت يا ابن العم لا تلق نفسك إلى التهلكة فربما تلحقك آفات المحبة وأبقى بعدك حزينة ولكن اصبر إلى أن يفرج الله عزّ وجل فالأيام دول والمثل يقول (من صبر قدر ومن عجل ندم) فقال لها يا ابنة العم والله لابد من خوض المعامع والدخول فى المهالك فاما هلاك وإما ملاك فاسأل لمن أبلانا بالفراق يمنّ علينا بالتلاق ثم بات فى ألذ ما يكون من العتاب والشكوى إلى آخر الليل ثم قامت وودعته وهى تبكى وكذلك الصحصاح ثم انه بعدها ودع أمه وخرج وركب جواده واعتد بعدته فزجرته أمه فلم يسمع وخرج وهو ينشد ويقول

نحن بنى عامر ذوى الهمم ... والمجد ثم الفخار والذمم
قوم إذا الهياج لاح لهم ... قام لهم عزم على القدم
تنام عين الفقير بينهم ... ولا يرى قط صورة العدم
إن جميع المجد أدركهم ... على ماركبوا من مواتن الهمم
من أجل ليلى أكون منفرداً ... كى أنثنى بالخيول والنعم
وانى أرتجى معونة ... من خالق الخلق مالك الأمم
يعجل رزقى بالصداق ولا ... يردنى فى صفات منهزم

(قال الراوى) ولم يزل سائر الليل والنهار وهو يأكل من صيد الغزلان ويشرب من ماء الغدران ستة أيام وفى اليوم السابع أشرف على مرج أفيح وعيون ماء تسرح ومضارب فى الأرض والبطاح وسيوف ورماح فلما نظر إلى ذلك المال والجمال طار فرحا ومال مرحا وحمل بهمة قوية وعزمة كلابية وقد حمله هوى ليلى على كل بليه فاقتطع من ذلك المال نحو ثلاثة آلاف ناقة وجمال فنظرت العبيد إلى فعاله فثارت إلى قتاله بالعدد والرماح والسيوف وفى أوائل العبيد عبد مثل الفيل فحمل على الصحصاح وقال له ياوجه العرب أما تعرف هذه الأموال لمن حتى تغار عليها وحدك والله ما أنت إلا عادم عقلك ولا شك أنك أنت سمعت أن أبطال الحى قد نهضوا لشن الغارة على بنى فزاره فلأجل ذلك غرك الطمع ياويحك أوفى من ألف عبد كجنح الظلام وأمير الحى فى خيمته ولم يمض عشيرته وها الحى قريبا منا فعود على عقبك فأنا المسمى بالبطاح المعروف بقابض الأرواح

﴿ تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

﴿ أكبر تاريخ للعرب ﴾

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الثانى

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فلم يجبه الصحصاح بكلام بل ضربه طير رأسه على التراب وجال فى العبيد فأوثقهم جراح وصاح فى الباقين : سوقوا الجمال يابنى الزوانى هنالك ساقت العبيد النياق والجمال وخافوا من هول ضربته للبطاح ثم ساقوا ساعة وإذا بالغبار من خلفهم قد ثار وانكشف عن عشرين فارس كأنهم الليوث العوابس وفى أوائلهم فارس كأنه أسد عابس فلما دنا من الصحصاح ناداه ياابن الخنا مثلك يغار على مثلنا والله ماظننتك إلا جمع كبير وما دمت أنت وحدك فانج بنفسك من قبل أن تسكن رمسك فقال له الصحصاح دونك والمال فان من دونه أدرع وسيف كل مامال قطع فدونك والقتال إن كان فيك ماترد عن نفسك ومالك فلما سمع الفارس كلام الصحصاح نظر الى وجهه كأنه يلوح من تحت اللثام كأنه بدر التمام علم أنه فارس همام والشجاعة تلوح منه كعنتر وفى العفاف كحيدر (قال الراوى) ومن غرائب هذه السيرة أن هذا الفارس المقدم على هذه العشرين فارس الغطريف بن مالك الطائى قاتل جندبة أبو الصحصاح ومن تحته مزنة فرس أبيه وكان الحى خالى من بنى طى لأنهم شنوا الغارة على طائفة بنى فزارة ولم يتخلف فى الحى سوى الغطريف لأمر عرض له أعاقه عن المسير مع قومه فلما نظر وجه الصحصاح يلوح من تحت اللثام (ياساده) وقد ذكرنا حسن الصحصاح فيما تقدم من الحديث فشبهه الغطريف بجارية كان يهواها وكانت من قبيلة بنى عدى وهى من قبيلة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكان اسمها زينب وكانت ذات حسن وجمال وكانت قد أعطاها الله تعالى من القوة والاقتدار على الرجال مثل ما أعطاها من الحسن والجمال وكانت العرب تخافها وتخشاها وكانت قد جعلت مهرها لمن يملكها فى ميدان الحرب وكان الغطريف من جملة خطابها فلما

بلغه مبادرتها أنف على نفسه أن يقاتل جارية فقال له بعض خواصه أيها الأمير انك كامل الصفات فى الحسن والجمال والشجاعة ولو قاتلتها وقهرتها وكانت فى المثل أقوى منك كانت ترى حسنك فتغلب حتى تماسكها لأن للنساء غرض فى الرجال وما يخفى عليك ذلك فأبى الغطريف أن يقاتل جارية وأقام على ذلك الحال إلى أن جرى له مع الصحصاح ماجرى ونظره ذلك اليوم فظن أنها الجارية زينب فنادى وبكى يازينب أسفرى اللثام ودعى الضرب بالحسام فقد علمت أنك قد جئت تورينى طرفا من شجاعتك ونوعا من براعتك فأنت على الرحب والسعة والأمن والدعة فلما سمع الصحصاح كلامه نادى : ويلك يا كلب العرب تترك الطعن والضراب وتعدل الى حديث زينب والرباب وأنت اليوم تندبك الأهل والأصحاب (قال الراوى) فلما سمع الغطريف كلامه علم أنه فارس غلاب وأن ظنـه قد خاب فصاح فى بعض فرسانه وقال له ابرز الى هذا الجاهل وأتينى برأسه عاجل قال وكان اسم ذلك الفارس همام وهو بطل لايرام وقد ألف الصـدام فى معـترك الزحام فتقدم همام إلى (الصحصاح) وهو ينشد ويقول

أيها الفارس الذى قـد بدا لى   اليوم مدل بطعنـة بالسنان
تباً لك اليوم مغرورا وذا عجب   تريد أن تأخذ أموالا وغلمان
فارجع سليما ولا تبق بمعركة   تضحى قتيلا ولا يرحمك إنسان

فأجابه الصحصاح على عروض شعره يقول :

يا أيها الفارس الميشوم غرته   حتفا للقياك كاس الموت صرعان
أين الخلاص من الأقفاص قدعلقت   فيـك المنون مخاليب بعقبان
مادام انك رمت اليوم تقتلنى   اذهب ولا تبق فى ذا اليوم ندمان
ألست تندم ولا تنفعك نادمة   تبق صريعا طعام الوحش سرحان
إنى أؤمل أن أحظى بمـالـكمو   ويفرح القلب من هم وأحزان

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنـه ويضاربه فجالا طويلا واعتركا مليا وعلا عليهما الغبار وغابا عن الأبصار فسبقه الصحصاح بالضربة من قدام فسقط رأسه كما يسقط القطر من الغمام وصاح : لا مفر من الكفاح ثم نادى : هل من مبارز هل من مناجز فلابد من أخذ الأموال والعبيد وأفنيكم قريبا وبعيد لأنى ما أرجع خائب من بعد ماقطعت السباسب ثم أنشأ يقول هذه الأبيات :

تحمل قلبي فوق مالا يطيقه | من الحب ياهذا وانى رفيقه
وفى القلب منى زفرة وصبابة | فياليت شعرى كيف كان يطيقه
وانى لأهواهم وأهوى لقاءهم | فدونكم منى حساما بريقه
أقد به رأس العدو وإننى | لكى اليوم ياليلى عبيد عتيقه
سأطعن فيهم جائلا ومهمهما | وأستاق أموال الغطريف ونوقه

(قال الراوى) فلما نظر الغطريف الى قتاله وحسن نزاله قال لرجاله ويحكم يابنى عمى هذا صبي وجهله بحمله على فعاله فليبرز اليه آخر منكم قال فبرز فارس فقتلة وثانى فجندله وثالث فرجله ورابع فنكسه عن فرسه وخامس فقتله وما أمهله فلما نظر اليه بقية الفرسان وقد قتل أصحابهم حملوا عليه حملة واحدة فهنالك حمل وقد اشتد به القلق وزاد به الحنق وما كانت الا ساعة حتى التقط أرواحهم بالسنان ولم يبق حول الغطريف منهم انسان هنالك قال ياصبي وهبتك نفسك ودم أصحابى وخذ من المال ماشئت وانج بنفسك سالم من قبل أن تحل بك العظائم فقال له الصحصاح لاعدمت هذه الهمة فالزم نفسك إلزام ان كان لك فى نفسك حاجة ولا تطمع فى رد الغنيمة فهذا شيء لاتراه الا إن عدمت الحياة (قال الراوى) فاشتد غضب الغطريف وقال له ويلك لو عرفتنى مانطقت بهذا الكلام ولا كان لك جنان تقوم فى هذا المقام لأنى أنا الغطريف المحامى بلا تكليف سيد بنى طى الذى كويت قلوب العرب كى وسقت غنائم العرب من برها وبحرها وقد ضجت بنى كلاب من مقاتلى وسائر العرب من مناصلى قال فصاح الصحصاح وقال وأبردها على قلبي وكبدى فالحمد لله الذى وقعت فى يدى حتى آخذ تارى بيدى وتار والدى فقال الغطريف ويحك من تكون فقال أنا الصحصاح بن جندبة الكلابى واليوم تندبك النوادب فى السهول وفى الروابى فبالله عليك ياغطريف هذه الفرس الذى تحتك هى مزنة التى كانت سبب يتمى والمحنة فقال له الغطريف نعم هى مزنة ولها عندى اليوم عشرين سنة ماتغيرت صفاتها الحسنة فقال له الصحصاح ياسيد بنى طى ما أطال الله عمرها إلا ليردها على أهلها ثم انه حمل عليه وهو ينشد ويقول هذه الأبيات:

اليوم يوم فيه أكشف كربتى | أولا لجرعنى حرارة كربتى
والله ياغطريف لست بتارك | تارات جندبة الكريم النسبة
أتريد منى رجعة عن تاره | متوانيا كلا ورب الكعبة
فاحمل علىّ محاربا ومضاربا | من قبل أن أقضى عليك بحملتى
لاذقت طعم الموت ان لم تلتنى | كفؤا وآخذ مامضى من مزنة

هيهات مالك فى الحيا من حيلة　　لابد أن أسطو عليك بسطوتى

(قال الراوى) فلما سمع الغطريف شعره ناداه ويلك امضى الى حال سبيلك فانى قد رثيت لصغر سنك ثم إن الصحصاح نادى بالتارات جندبة وحمل عليه فعندها حمل الغطريف وتصادما الاثنين كانهما جبلين واختلفا بينهما ضربتان فكان السابق بالضربة الغطريف فزاغ عنها الصحصاح وحمل عليه وطعنه فى صدره أطلع الرمح من ظهره فوقع الى الأرض عن سرجه فعند ذلك قفز الصحصاح من على ظهر حصانه صار على ظهر مزنه وجمع الخيل والاسلاب وصاح فى العبيد وقال لهم سوقوا المال وإلا وحق من أرسى الجبال وتفرد فى ملكه ضربت رقابكم فى عاجل الحال (قال الراوى) ياسادة ثم ان الصحصاح نزل الى الغطريف وقطع رأسه وحطها فى مخلاته وعاد إلى ظهر مزنه ثم انه قال لقد نال القلب ما اشتهى وأوهب الله مزنة وكنت أنا وإياها كما قال الله تعالى وكانوا أحق بها وأهلها ثم إنه سار وصاح بالعبيد وأمرهم بالمسير وحثهم على ذلك وسار طالب بنى كلاب هذا ومزنة كلما شمت رائحة البلاد صهلت بصوتها الرخيم فيحن لصهيلها الصحصاح فأشار ينشد ويقول هذه الأبيات

ليت جندبة كان يعلم بيا　　اننى بالتار أدركت صبيا
واستلبت المال من أعدائه　　وتركت العزم فى القاع جثيا
ويرى الغطريف لما جاولته　　فى مقام النقع ملقى رميا
وخضبت الرمح منه أحمرا　　بعدما قد كان رمحا سمهريا
واحتويت الخيل مع أسلابهم　　وتركت الكل جزر المشرقيا
وقتلت الغطريف لما قال لى　　أنت لا تعرف فى الهيجاء شيا
قال ياصحصاح والغطريف قد　　جئت تبغى الحرب لى دهرا مشيا
قلت يابشرى قد نلت المنا　　حل لى قتلك ياهذا الكميا
ثم جاولت وقد ناولتــه　　كاس حتف ثم ناديت هنيا
بلغوا عنى الأعراب جندبة　　انه قد عاد وهو اليوم حيا
صهلت مزنة لما انشقت　　لثنيـات الرياح المحيا
ذكرت إلفا ودهرا قد مضى　　ثم غنت طربا صوتا شجيا

(قال نجد) وما زال الصحصاح ساير الى أن وصل الى حى بنى عامر وهو كأنه القمر الزاهر او الليث الكاسر وقد رفع رأس الغطريف على رمحه وسلمه الى بعض العبيد ولما أن قرب من الديار وتارت الرجال وقد رأت مزنة الى الخبا والمراعى التى ربيت فيها

أزعجت الحى من صهيلها فانزعجوا وقد فرحوا الناس بالصحصاح فرحا شديدا وعظم فى أعينهم ورجع ونزل فى بيت أمه وأركن رمحه على بابه ورأس الغطريف عليه وأحدقت به الرجال وأهل الحى فوهب وأعطى وعقر وأطعم وفرق الخيل والجمال وأحبته الرجال وفرسانهم ومالت اليه الأبطال وأصحاب الشجاعة وصاروا الشباب ينزلون عند مضربه واشترى بيتا عالى بخمسين ناقة وصاروا القوم يجلسون فيه للخلوات وبلغ الخبر لعطاف فركب وسار الى عند الصحصاح فقام اليه الصحصاح وأكرمه وقدم له من الهدايا شىء لا يحصى مما قد وصل اليه وقبل الأرض بين يديه وقدم له الخيل والنوق والجمال فتعجب من ذلك عطاف وقد نظر الى الشباب القيام الذين هم على باب مضربه فشق عليه ذلك ورجع الى نحو أبياته وهو متعجب وخلا بخواص القوم وقال لهم والله ما أنا لا أبيح بسرى اليكم وأظهر لكم مكتوم أمرى اعلموا ياجماعة أن الصحصاح يكون سبب لقطع آثار بنى كلاب لأنه قتل الغطريف وجماعته من بنى طى تجمع خلقها ورجالها وأبطالها ويسيرون الينا ويسفك الدماء بيننا وبينهم ويكون سببا لاقلاعنا وأيضا أنه انضاف اليه من أوباش الحله وسوادها وكل من لاحت له الفائدة والساعة تقوى شوكته ولا آمنه على الحله لأن المملكة كانت لأبيه والرجال والشباب إذا رأوه عاصيا اتفقوا معه وهو لاشك قاتلى بلا محاله فقالوا له أيها الأمير انه أحقر من هذا وهو دون مافى نفسك ولولا عرفوا الناس أنه تربيتك وغرس نعمتك ما أقبل عليه أحد وها نحن بين يديك ان شئت قتلته قتلناه وان شئت بعده بعدناه (قال نجد) فلما أن سمع منهم هذا الكلام قال لهم انى أريد فلانا وفلان أدعوهم إلى ثم انه جمع القبيلة وأبطال العشيرة وقال لهم كما قال لخاصيته فقالوا له أيها الأمير وذمة العرب مافينا إلا من بات قلقا وجلا لأجله لأننا نعلم أن بنى طى تعادينا ويكون عداوتهم شؤما علينا ومع ذلك فانه قد ذاق طعم نهب الأموال من السادات وأخذ أسلاب الرجال من القادات وأتى بالحصان من السلال وقتله احتيال وملك الحصان من تميم وهم يطلبونا فان نحن قتلناه رضيت العرب عنا وتبرد قلوب العرب إذا علموا أنه هلك ونقول لمن قصدنا نحن لما أن رأيناه قد أثار الحرب بيننا وبين العربان قتلناه لأجلكم ثم انهم تحالفوا على ذلك وانهم على قتل الصحصاح موافقين (ياسادة) فبلغ الخبر الى ليلى فقامت عليها القيامة وبكت سرا وقد أرسلت اليه بعض الاماء أعلمته بذلك وهنته بالسلامة وبأخذ تار أبيه من عدوه وتقول له يابن العم لاخلى جسد من حسد واحترز على نفسك فانى لا آمن عليك من الاحتال من أبى عطاف واعلم أنه قد وقع فى نفس أبى أنك قاتله لتأخذ مكان أبيك فاحترز على نفسك ولابد أن أجتمع بك وأحذرك ثم انها

قالت للأمه عرفيه ما عندى من الشوق وعظم الحرق وأخاف على نفسى التلاف كما قال الشاعر حيث يقول

ومن ظن أنه يلاقى الحروب وما يصاب فقد ظن عجزاً وقوله معاب

قال فسارت عند ذلك الجارية ودخلت عليه وأعلمته بالخبر فشكر ليلى على ذلك وقال للامه عرفيها ما عندى من الشوق فسارت الأمه من عنده ودخلت على بنت عطاف عمه وأعلمتها بما قال لها الصحصاح (قال نجد) فهذا ما كان منها وأما ما كان من عطاف فانه مازال يحث عليه العربان إلى أن كان فى بعض الأيام أرسلت ليلى إلى الصحاح وأعلمته بذلك فأرسل يقول لها أما أبوكى عطاف فان كان عنده إنصاف فما أرى منه إلا بديع الألطاف وإن كان ما عنده ذلك فهو كلام الأعداء والحساد الذين هم يوقعوا الفساد بين الناس والله يجعلنى لهم بالمرصاد والكفاية من الله تعالى وليس الرزق يعادنى فاما الأرزاق فانه يسوقها الملك الخلاق فارجعى اليها وقبلى يديها فرجعت الأمه إلى ليلى ثم أعلمتها بما قال الصحصاح فالتهبت بالنار من فوق الشوق وعضت على أناملها على ما كان منها من الأول (قال الراوى) فهذا ما كان من ليلى وأما ما كان من الصحصاح فانه ما بقى له شغل إلا اغتنام السرور وشرب الخمور على رياض المنثور والأرض قد فرحت وظهر فيها النور كما قال فيها أبو منصور حيث يقول

أنظر الى الأرض قد وافاك خضرتها من الزمرد جل الله منشيها
كذلك الخوخ والتفاح معتنقاً والتين عانقه الرمان من فيه
أما ترى الماء فى الأركان منسكب كأنه حية تسعى لما فيه
وغرس الكرم ما أحلى تواتراه عنقود أسود قد جل باريه
أما ترى اللوز يحكى راحة صرفت من الجبين تجلى فى معانيه
والزهر والنهر والأغصان ترقص فى حيطانه طرباً يا حسن بانيه
أما ترى زهرة الزمان قد عقدت والآس والورد ما أحسن معانيه
ونرجس فاح والمنثور منتشر على الغدير خزام فى حواشيه
والدوح قد جاوبت أطياره فرحا مثل الهزار وشحرور شقا فيه
وناح قمرى والفاخت تجاوبه من فوق روض جرى كل الماء فيه
كذا اللبان مع جوز وفاكهة قد نار نورها لحلا نواحه
فقم وغنى فى زهرة طرباً ملا الملاح وكاس الخمر أجليه

(قال الراوى) هذا ما كان من الصحصاح وأما عمه عطاف فانه ترك عليه العيون

حتى طلع من الحله فلما أن كان فى بعض الأيام خرج الصحصاح إلى الصيد والقنص وهو راكب على مزنة فمر بها على قبر أبيه جندبه فصهلت فرمى نفسه على القبر وأشار ينشد ويقول هذه الأبيات

إن الفراق كسانا بعدكم حرقا — وأصبح الشمل بعد الوصل مفترقا
إن كان ما نظرت عيناى نحوكموا — فقد جرى دمعها كالبحر مندفقاً
وعشت فى بيت عمى وأسأله — عطفاً على وأخلى الحزن والحرقا
وقد شغفت ببنت العم من صغرى — عشقاً سليما ولاهو عشق من فسقا
وكنت أملت أنى لا أفارقها — طول الزمان فما كنا كما اتفقنا
وقال عمى لا يتلم بساحتنا — قد شاع ذكرك حتى جاوز الأفقا
لولا حقوق لنا لكنت منتقما — من أجل ذكرك ليلى مظهرا الحنقا
وأرسلت بنت عمى لى رسالتها — على لسان التى قلبى بها وثقا
يا ابن العم قد هيجت لى حزنا — اذ صرت مثل غراب البين إذ زعقا
فقمت من عندها والقلب منزعج — وعبرتى قد جرت من مقلتى غرقا
وأيقنت مهجتى أنى أموت جوى — لولا خيالك ليلى فى الدجى طرقا
أتيت أشكو اليها ما أكابده — وقد تخايلت أنى بت معتنقا
حتى اذا ما أتانى الصبح فارقنى — ذاك الخيال وقد أودعنى الأرقا
وكان فى قصتى للناس معتبرا — لما جاءنى وقد جاز وانطلقا
وسرت أبغى بعد الوصال الى — نيل المنا ليعود الشمل متفقا
وسقت أموال غطريف وعدت بما — حويته وإذا الغطريف لى لحقا
جندلته وجميع الصحب فى عجل — وقد شفيت من الغيظ والحنقا
والآن جئت نحو القبر أخبره — مابى وان كان لا يدرى بمن نطقا
كذلك قد شوقتنى مزنة وعلا — صهيلها قلت الموت لى عتقا
لقد وقفت هنا اذ مزنة وقفت — ولو قدرت اذ ودعتها الحرقا
أرعى لها مثل ما ترعى وداد أبى — وألصق الخد فوق الخد ملتصقا

(قال الراوى) ولما أن فرغ الصحصاح من شعره قام على حيله وعاد الى ظهر مزنه وقد أوسع فى البر يطلب مواضع الوحش ومكانه ويخرجه من مواطنه ولم يزل يزعجه من منازله الى أن صاد عشر غزلان فيهم واحده كحيلات العيون وسودات الجفون فلما أن رآها زادت عليه الجنون وأن أنين المحزون فأرسل الدمع شجون فأشار

ينشد ويقول هذه الأبيات

تشتت شمل الوصل واتصل الصد ... فيا أسفى طال الأسى مع الوجد
الى الله أشكو ان قلبي موثق ... بعشقك يا ليلى تهل صفا الورد
وحق سواد الشعر مع لحظاتها ... وصبح جبين بالضياء له وجدى
فنكهتها عند التنفس عنبر ... وريقها والله أحلى من الشهد
وقد وقعت فى ظبية كحل طرفها ... كطرف لها والصب يقتله الصد
سأطلقها من أجل ليلى لأنها ... حوت بعض مافيها من الحسن والقد

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح بعد ذلك الشعر أطلق الغزال ولما أن سارت من الوثاق سارت تمشي وتتلفت خلفها فقال الصحصاح والله لقد صدقتى وما من المروءة طلاقها وحبس رفاقها ثم انه أطلق الغزلان فبينما هو على مثل ذلك اذ سمع حس حوافر الخيل على قاع الصحصحان (ياسادة) وكان السبب فى ذلك أن عطاف لما أن خرج الصحصاح من الحى أعلموه به وقالوا له انه خرج الى الصيد والقنص فطلب عبد يقال له رفاعة وقد ضم له عشر فوارس من الأبطال المعدودين للغارات وقتل السادات وكان حلفهم على قتل الصحصاح وقد ضمن لهم المال فحلفوا له فقال لهم اذهبوا اليه وأظهروا له زى بنى طى وأنتم معصبين ملثمين فقالوا له سمعاً وطاعه فنحن الى قتله أشهى من الصغير الى ثدى أمه ولما أن كان فى هذه الأوقات وخرج الصحصاح أرسل خلفهم وأرسلهم مع العبد فساروا فى زى بنى طى وما زالوا سائرين الى أن أشرفوا على الصحصاح وسمع حس حوافر خيلهم انتبه مما كان فيه فلما أن رأوه نادوا يا لطى فلما أن سمع نداهم قال لبيكم اليوم ألحقكم بالغطريف ثم أنشأوجعل يقول هذه الأبيات

لست أخشى من الحتوف ... وموقف الضرب بالسيوف
لألحق الجميع بالغطريف ... عند ازدحام الصفوف

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح حمل عليهم وفرحت الخيل باطلاق أعنتها وقد لعبت الصوارم القاطعة والرماح الخارقه ولاح لهم الموت بأركانه الواسعه وحمل الصحاح فى أوائلهم وقد علا الصياح وعاد النهار كالليل فعند ذلك طعن الأول فى صدره طلع السنان يلمع من ظهره أكثر من ذراع والثانى والثالث عاد عمرهم إلى الانقطاع والرابع طعنه ساردمه كأنه كوز الفقاع (قال الراوى) ولم يزل يكر عليهم إلى أن قتل الجميع وتركهم بين جديل وضليع فلما أن فرغ منهم

رأى الصحصاح إلى واحد منهم وقد كشف عن لثامه وإذا هو من بنى عمه فندم حيث لا ينفعه الندم وقامت عليه القيامة ونظر إلى وجوه الجميع فاذا هم أبطال العشيره ففاضت عبرته وقويت حسرته وعلم أن ماحملهم على ذلك إلا الحسد وقد بان له قول ليلى وعلم أن ذلك من عمه عطاف وما أتوا إليه إلا أرادوا به التلاف فنجى الصيد ووقع الصياد فقال الصحصاح صدق أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه حيث قال لله در الحسد ما أعدله بصاحبه بدأ بصاحبه فقتله ثم ان الصحصاح تركهم ملقحين مكانهم ولم يلتفت إلى سلبهم وسار ودخل الحى من طريق غير ذلك الطريق (قال الراوى) هـذا ولمـا أن دخل إلى الحى أعلموا عطاف أنه رجع سالم ولم ترجع السريه التى أرسلها فقال عطاف لعلهم ما عرفوا مكانه وقد خالفوه فى الطريق وهـذا من عدم التوفيق (قال الراوى) وهو الأصمعى أنه قد وقع لأبى جهل لعنه الله لما أن بعث الوليد بن المغيرة إلى الكعبة ليقتل النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرجع الوليد بن المغيره فقال أبو جهل ان الذى بعثناه لم يرجع والذى أردنا قتله رجع ثم انهم مضوا إلى الكعبة فوجدوا الوليد مقطع اليدين والرجلين فقالوا له يا وليد ما الذى جرالك فقال لهم اعلموا أننى لمـا أقبلت عليه سحبت السيف وهجمت عليه وأردت أن أضربه فرد علىّ السيف وقطع يدى ورجلى فقالوا له يا وليد السيف كان معك والا معه فقال ما كان إلا معى ولـكن ما قتانى غيركم لأنـكم بعثتمونى إلى رجـل ينظر من خلفه كما ينظر أمامه والسبب أننا جئنا اليه وهو يعبد ربه فدخلنا عليه وهجمنا عليه فلم يلتفت الينا ولاقام من مكانه ولما أن أشرفت عليه قال يايمين الوليد ويايساره اسقطا فقطعت فمن حنق غدوت اليه أن أرفصه فقال ياأقدام الوليد الحق يديه فسقطا وهذا ماجرالى والـكل كنتم أنتم سببه (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وان عطاف صبر إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركب وطلب أبيات الصحصاح وأخذ وسار على سبيل الاصطباح على الغدران فما زالوا سائرين من مكان الى مكان الى أن أشرفوا على المـكان الذى فيه القتلى فوجدوا القوم صرعى كأنهم شربوا على العطش ماء الظمأ فلما أن رآهم عطاف خرق ثيابه وعظم مصابه ثم انه قال ما فعل بهؤلاء هذه الفعال الا بنى طى لأجل تار الغطريف فقال له الصحصاح قد يكون ذلك أيها السيد وأنت ما تقعد عن أخذ تارهم ولا بد لى أن أجعل أذمة العرب كلها بيدك فقال له عطاف وهو قليل الانصاف نحن ما نريدك أن تقيم عنـدنا فاخرج عنا والا قصدتنا الأعداء والعربان وسرنا معهم مقيمين فى الأحزان ولولا أنى ربيتك ما كان لك عندى جوابا إلا الحسام

فأطرق الصحصاح ولم يجبه وكاد فؤاده أن يحترق باللهب وعاد إلى الحله منكسر القلب
وهو تارة يضمر شرا وتارة يضمر خيرا وقد أقام على ذلك الحال (قال الراوى)
ياساده هذا وقد حملت بنى كلاب القتلى وقد شاع الحديث وندبت النوادب من كل
جانب وعاد الفرح ترح وقد ازدادت الناس فى الصحصاح بعد الشكر ذما وقالوا
مانزلت بنو طى علينا إلا حتى يفنونا فبعث الصحصاح إلى ليلى وقد أعلمها بجميع
ماقد جرى فقبحت فعل أبيها وعزمت على الاجتماع به فبعثت تقول له لاتخرج من
الحلة حتى أجتمع بك وأقول لك ماتفعل فأقام ينتظرها ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع
أنفذت اليه تقول اعلم أن أبى حرج عليا وقد وكل بى ثلاث جوار يحفظونى ليلا
ونهارا وقد تكلمت أمى فى ذلك ففزع عليها بالسيف وأراد قتلها فاحفظ نفسك منه
واعلم أنه فى نيته قتلك وقد علم أنك الذى قتلت رجاله (ياساده) فلما أن سمع الصحصاح
ذلك الكلام وانها حجبت عنه ضاقت عليه الأرض بما رحبت وقد خرج على وجهه
يريد الصيد وأما عطاف فانه سار وأخذ معه خمس عبيد وكانوا حماة الحمى كل واحد
منهم يريد لرأسه رجال وماصحب عطاف تلك العبيد من دون العرب إلا حتى يظهر حسده
الشنيع وفعله الوضيع وقد عزم على قتل الصحصاح ووقفوا لشره وقد سبقوه إلى
بين يديه وكان الصحصاح قد خرج وهو شاك فى السلاح لأنه احترز على نفسه من العائبين
والخائنين وقد سار عطاف فى الخمس عبيد وهو شاك فى السلاح وجدوا فى المسير حتى
علم أن الصحصاح قد سار بين يديه بفرسخين فعطف راجعا وقد علم أنه لرأس الصحصاح
قاطعا فهو كذلك وإذا بغبار قد ثار وملأ الأقطار ثم بعد ساعه انكشف الغبار عن
خمسين فارس بالرماح الطوال والسيوف الصقال وفى أوائلهم فارس عليه قميص أحمر
وعلى رأسه مطوق أخضر وهو راكب على جواد أصفر ووجهه كأنه القمر فوقت
عطاف وظن أن القوم من أصحاب الغطريف فنادى على العبيد وقال لهم اعلموا أن
السعيد من اكتفى بغيره وهؤلاء بنى طى قد خرجوا يتوقعون على خروج الصحصاح
وأنا أسلم عليهم وأعرفهم مكانى وأعلمهم أنى أنكرت على الصحصاح وما خرجت
الا لقتله وأقول لهم انى واصل الى هذا من أجله وهو واصل الى هنا وأتركهم يسقوه
كؤس الحمام والفنا ونظفر نحن بالمنا وإذا فرط فينا الفرط وسألونا عنه حلفنا لهم أننا
ما قتلناه ونكون صادقين فقالوا له هذا هو الصواب ولقد كان الصّحصاح مايسلم نفسه
حتى يقتل منا واحد واثنين ثم ان عطاف بعد ذلك قصد الخيل وسار نحوهم وسلم عليهم
فردوا عليه السلام وقد تقدم اليه مقدم القوم وقال له من تكون يا وجه العرب

فقال أنا عطاف أمير بنى كلاب فصاح المتكلم وافرحتاه هذا يا قوم قاتل أبى وقاطع حسبي ونسبي هذا عطاف بن الحارث (قال الراوى) وكان هذا الغلام من بنى كنده واسمه حريث بن الحجاج وكان عطاف قد قتل أباه وكان قد ربى يتيم فلما أن كبر طلع بطل من الأبطال وقد هوى جارية يقال لها الغيداء وكانت ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكان ذلك الغلام هائما بهواها فخطبها من أبيها فقال له يا ولدى ما أنت إلا كثير المال ولكن ما أزوجك ابنتى إلا حتى تأخذ تارك من قاتل أبيك وتستوفى دمه فكيف أن أزوجك ابنتى والحمامة على قبر أبيك عطشانة لا تهجع إلا ان قتلت قاتل أبيك فحينئذ أزوجك ابنتى وهذه منيتى (قال الراوى) فلما أن سمع حريث هذا الكلام قال له ياعم ومن هو قاتل أبى فقال له عطاف قتله فى بعض الغزوات ودارت عليه الآفات فلما سمع حريث كلامه انقلبت عيناه فى أم رأسه حرصا على زواج الغيداء ولأجل القول الذى سمعه منه وقد أقسم بمن مرج البحرين أنه لا يشرب خمرا ولا يبرم أمرا حتى انه يقتل قاتل أبيه وما فى بنى كنده إلا من قال نحن لك وبين يديك فجزاهم خيرا وأوسعهم شكرا وقد اختار منهم خمسين فارس وقصد بهم حى بنى عامر وقال نكمن لعطاف حتى يخرج وان لم يخرج كبسنا الحى ولو أن بنى كلاب عدد التراب ثم انه سار من حلته إلى أن أتى إلى المكان الذى كان كامن فيه عطاف لأجل قتل الصحصاح فلاقاه وقد صبحه أيشم صباح كما ذكرنا وما أحس بنفسه حتى أحدقت به الرماح وقتلوا عبيده وأرادوا قتله فأشار عليه بعضهم وقال لا تقتلوه إلا فى حى بنى كنده فرأوا ذلك صواب ثم انهم ساروا وقد شدوا عطاف على جواده عرض وشدوه من رقبته إلى رجليه وقد نزل الذل عليه وسار يبكى على نفسه والغلام يقول له لو كنت خفت من القتل ما قتلت أبى وقد رود فى الأثر «كما تكونوا يول عليكم» وقد قال القائل كما تدين تدان واعلم أنه قد انقلبت عليك نوائب الزمان بالذل والحرمان وسار يضربه بالسيف صفحا على رأسه حتى قطع المفاوز ووصل إلى الحى هذا ولما أن وصل الغلام إلى حيه دخل إلى أبياته وربط عطاف على مضربه ووكل به عشرون عبدا ثم انه أرسل الى جميع خلفاه من القبائل يعلمهم بالحضور وشرب الخمور وقتل عطاف فى البيداء وتزويج الغيداء فجاءوه من كل مكان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الصحصاح فانه أقام ذلك اليوم لما يتصيد ويرجع إلى الحى فلما رجع دخل بيته فأعلمت زوجة عمه أن زوجها ما رجع وان الصحصاح قد رجع فعلمت أنه ذاق التلاف وقالت هكذا جرت النوبة الأولى وانها لم تقدر

تظهر ذلك فدخلت على بنتها وقالت لها يا بنيتى اعلمى أن الصحصاح قتل أبوك فقالت لها يا أماه هذا هو ظنك أو جاءك من أعلمك فقالت لها ان أبوك لم يرجع ومعه خمس عبيد لقتل الصحصاح والصواب أن تمضى اليه وتقسمين عليه بحياتك فانه يحدثك بالحال فعندها سارت ليلى وأتت إلى عند الصحصاح ودخلت عليه (قال الراوى) فلما أن رآها الصحصاح وثب اليها قائما على قدميه وتلقاها وسلم عليها فرآها باكية العين فقال الصحصاح ما بالك يا ابنة العم فعندها أشارت اليه تقول هذه الأبيات :

بكت أسفا وقد ردوا المطايا ... وقدمت الهوادج والقباب

فقلت لهم إلى أين التراحل ... فقالوا إلى الفسيح من المصاب

(قال الراوى) ثم ان ليلى قالت يا ابن العم ماصنعت بأبى فقال لها وماحاله يا حبيبة القلب فحدثته بالحديث من أوله إلى آخره وانه طلع ما رجع وقد انقطعت أخباره وخفيت عنا آثاره فبحياتى عليك يا ابن العم هل معك منه علم فلماسمع الصحصاح منها ذلك الكلام حلف وأقام الايمان والاسلام والهوى والغرام انه لم رآه ولا يعلم هو أين ولكن لابد ما أقتفى آثاره فى تلك الساعة لأجلك فقالت له لا تمضى فى الغياهب لأنى أخاف عليك من المصائب فاصبر الى الصباح وودعته ورجعت الى أمها وأعلمتها بما قال الصحصاح وانه عند الصباح يركب على مزنه ويقتفى أثره ثم يطلب خبره (قال الراوى) فهذا ما كان من ليلى وأما ما كان من الصحصاح فانه ركب عند الصباح وسار واذا هو فارس من بنى كلاب قد التقاه وكان ذلك الفارس قد ضل له بعير وأعطى خبره انه فى حى بنى كنده وكان صعلوك لا يملك سواه فسار الى حى بنى كنده فرأى عطاف مشدود عند القوم وانهم ينتظرون قدوم أصحابه فرجع الفارس فالتقاه الصحصاح راجع فأخبره بماجرى لعمه فرجع الصحصاح ونادى التار التار يا بنى كلاب فأجابوه من كل مكان فأخبرهم بماسمع عن عمه عطاف فقالوا له أيها الأمير نسير اليهم بالرماح والقواضب ونطرح عليهم المصائب فقال لهم الصحصاح هذا هو الصواب ولكن سيروا بنا من وقتنا على بركة الله تعالى فساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا وما زالوا سائرين إلى أن أشرفوا على وادى الجعفل فقال لهم الصحصاح انزلوا ها هنا فانكم فى ألف فارس وبنى كنده أقل ما يكون عدتهم عشرة آلاف فارس والصواب أنكم تكمنوا هنا إلى أن أدخل الحى فأكشف لكم الخبر ثم أعود وأشور عليكم بما فيه الصواب فاستصوبوا رأيه ثم ان الصحصاح ركب على مزنه وسار الى أن دخل الحى وقد تلثم كأنه من العرب القادمين ودخل إلى المضارب

ونزل عن مزنة وربطها فى بعض الأطناب واذا هو بأمة سودة وقد خرجت اليه وهى تقول أهلا وسهلا ومرحباً بهذا الضيف النازل والسيد المواضل ثم انها فرشت له بساط وقالت له اجلس على الرحب والسعة فجلس وقد أقبل عليه رجل مهاب مليح الأثواب فأتى اليه وحياه بالسلام وكلمه بلطف الكلام ودخل الى المضرب وخرج ومعه جفنة وعليها من الطعام الثريد مايشتهيه الجائع والسمن فى أجنابها يموج فوضعها بين يديه وقال له تعاطى الزاد ياوجه العرب فامتنع الصحصاح من الأكل لأنه فى نيته القتال والعناد فلم يأكل لهم زاد فقال له الرجل أبيت العيش فما بالك لاتأكل من طعامى فقال له الصحصاح أنا ماتركت الزاد إلا لنذر علىّ لأنى لا آكل اللحم حتى أرى حاجتى تقضى فقال له وماهى فقال إن عطاف قتل أبى وقد نذرت لا آكل اللحم حتى أرى عطاف قتيل فقال له الشيخ اعلم ياهذا ان الله تعالى قد قبل نذرك وجعل على اللحم فطرك ومابقى من حياته إلا قدوم العربان ويضرب بالصباح فأول من يكون يضربه أنت فدعا له الصحاح وشكره وقال يامولاى فى أى بيت هو فقال له اعلم أنه فى ذلك البيت فنظر الصحصاح إلى ذلك البيت وإذا على بابه عشرة من الخيل الملبسه والناس الى البيت يدخلون والى رأس عطاف يلطمون ويقولون له أنت الذى قتلت الأمير حجاج ابن عامر ذو الفضل والبر الوافر سوف نرى قتلك وانه قد أيقن بالموت ونزول الفوت (قال الراوى) هذا وأن الصحصاح قام من عند الشيخ وأتى الى ذلك البيت وأشرف على عمه وهو مربوط فعاد الى مكانه وجلس وأكل الثريد واللحم كما يأكل العقاب الكاسر وقد رفع الباقى معه فى مزود لوقت الحاجة اليه وقد أقام عند الشيخ بقية ذلك النهار ولما أن أتى الليل وثب الصحصاح وسار من مكانه الى البيت الذى فيه عطاف وأتى من ورائه فوثب عليه كلب من كلاب البيوت فرمى له اللحم فأتوا اليه الكلاب وقد اشتغلوا عنه بذلك ثم ان الصحصاح شق البيت من ظهره ودخل منه وسار الى عند عطاف وقد وضع يده على رأسه فقال له بصوت ضعيف من أنت فقال أنا الذى خرجت أنت من قبيلتك حتى تقتله فما الذى فعلت معك حتى تقتلنى وتستحل إراقة دمى من غير جناية فحلف له انه لم يكن هذا صحيح وانى مشتاق إليك والى وجهك المليح فعندها فك الصحصاح قيده وقال له قم واتبعنى فقال له والله ماأقدر أمشى خطوة واحدة فقال له إن كان ذلك فالعبيد نيام فأنا آخذلك فرس من هذه الخيول القيام وأركبك عليه وأنا أركب فرسى ونسير ونطلب البر فقال له عطاف افعل مابدالك بارك الله فيك (ياساده) فعندها خرج الصحصاح وأتى لعمه بجواد وكان من جياد الخيل وأركبه إياه وركب

الصحصاح على ظهر مزنة ثم سارا الاثنين وقد خرجا من المضارب كأنهما البرق الخاطف فانتبهت العبيد على صوت الركض وصياح الفرسين فثارت الرجال من كل جانب ودخلت خلفهم تحت الغياهب وزعقت الرجال من كل مكان وكان الصحصاح قد قرب من وادى الجحفل الذى فيه بنى كلاب فعندها تصايحت الرجال وسالت الدماء وانقطعت الآجال وجرت الدماء مثل شقائق الارجوان مما سال من أدمية الفرسان وعمل الصارم وحكم وقام بينهما الحرب على ساق وقدم هذا وقد جال الصحصاح ولعبت السيوف بالأرواح وهو تارة يضرب بالصفاح وتارة يطعن بالرماح وسار يكر على الأبطال وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

أعطاف انظر موقفى فى الوقائع   فعند كريم الأصل ليس بضائع
سأضرم نارالحرب بألطف نخوة   واترك من عداك دهن البلاقع
فكن جامعاً شملى بليلى تكرما   فانك ياعماه اكرم جامع

(قال الراوى) ومازالوا يضربوا بنى كندة بالسيوف ويسقوهم شراب الحتوف حتى ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وتبعوهم بنى كلاب الى المضارب والقباب إكراماً للصحصاح وعادوا طالبين أرض بنى كلاب هذا والصحصاح يقول لعطاف ياعم هل بقى فى قلبك على سخط فقال له ولا ذمة العرب بل ذهب الغيظ وبينى وبينك قرابة ونسب ولاعدت من اليوم أظهرلك غدرا ولاأخفى عنك أمرا ولاأقصدلك مكرا فطاب قلب الصحصاح وقد ساروا مجدين هذا وعطاف لايصدق أنه من السالمين وقدوصلوا الى الحى وسبقهم البشير يبشر بقدومهم فخرجوا النساء بالدفوف وخرجت ليلى بين النساء والبنات فسارت كأنها البدر بين الكواكب فى ظلام الليل الساكب وعليها قميص أحمر مرقوم بالذهب وقد شمرت عن الساقين والساعدين وفى يدها حقوق المسك والزعفران وهى فى أوائل النساء فقابلها الصحصاح وفرحت الأرواح وهبت نسمات الأفراح فجعلت ليلى تخلق صدر مزنة هذا والصحصاح يزداد بذلك حسرة وغرام وقد سكر من غير راح فكان يوم عظيم الأفراح وقد نحر الصحصاح وعقر وأولم وليس للعرب حديث إلا الثناء على الصحصاح وقد شهدوا له بأنه أفرس العرب فى ذلك الزمان هذا وقد دخل عطاف على زوجته وخلى بها وقال لها ياابنة العم اعلمى أن الذى أردته انقلب على وما أعلم مايكون على فقالت له ياابن العم انى قد سمعت من أهل الحى حديث الصحصاح بالأوصاف الملاح وانه بطل جحجاح لايمل من الكفاح (قال الراوى) فلما أن سمع عطاف من زوجته ذلك الكلام قال لها والله ما على وصفه من جناح وليس

الخبر كالعيان والذى وصفه ما نصفه لأنه أرجح الرجاح وعلى الحقيقة ماعرفه ولا أعطاه حقه على الايضاح فقالت له فكيف قلبك فى محبته على الارجاح فقال لها والله انى كلما أردت أن أحبه ازداد قلبي عليه بغضه وقل منه النجاح والله انه خلصنى من الاعدا ولا يستوى قلبي وقلبه أبدا وكيف قلبي يحبه وقد مالت اليه الأبطال وبقيت أنا مسلوب الآمال وهو لم يخش الرجال وسوف يأخذ موضعى ويطمع فى الامارة لأنه ابن الأمير جندبة والثانى أنه شجيع ومن ذا الذى يختار ملكه ينتقل الى غيره فقالت له زوجته وعلى ماذا عولت فقال لها أدبر قتله وما أزال به حتى ألحقه برمسه فقالت له زوجته اعلم أن الغدر قبيح بالأجانب فكيف بالأقارب وماهذا منك مليح ولقد قابلت فعله المليح بفعلك القبيح فلا تجعل قتله على يديك والصواب أن تزوجه ليلى وتجعله عبد بين يديك واعلم أنه ان فعلت معه ذلك يكون عبد فى خدمتك ويحامى عن عيلتك واعلم أن الله سبحانه وتعالى من كرمه يجازيك على نيتك وقد ورد فى الخبر عن سيد البشر وهو حديث صحيح عن صاحب المعجزات أنه قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى وقد قال بعضهم :

كم من عدو وغادر   أوتر السهم اليه
فوّق السهم ليرميهم به   رده الله عليه

فقال لها عطاف وقد غضب منها أقسم بالله أعز الأقسام لو عرفت أن هذا تقوليه على سبيل الاشفاق عليه علوت رأسك بهذا الحسام الفصال ولكن صدق القائل حيث قال :

ألا إنما الدنيا تغر بأهلها   فكن بها من كل أنثى على حذر
إن أنت عاملت النساء على الصفا   فهن يعاملن الرجال على الكدر

(قال الراوى) فلما أن سمعت منه هذا الكلام علمت أنه لا يلين للملام فتركته من ذلك الكلام وقد وثبت اليه وقبلت رأسه ورجليه وقالت له والله أنا ماقلت لك هذا الكلام إلا حتى أعلم مافى نفسك فلا أذاقنى الله فقدك وسوف أفتح لك بابا فى قتله فضحك من كلامها وقال لها عجلى فقد ضاقت بى الحيل فعندها أنشد يقول هذه الأبيات :

حل المصاب وحل الويل والحرب   وخاب فى كل ما أملته الأمل
القتل أيسر لى مما بليت به   فليت إذ أسرونى كندة قتلوا
من قبل أن يأخذ الصحصاح   سرير ملكى والدنيا لها دول

ياهذه ساعديني وقد عجزت وقد ... ضاقت على سبيل السهل والجبل

(قال الراوى) فلما سمعت قوله قالت له طب نفسا وقر عينا فسوف أدبر على إتلاف مهجته فقال لها بم قالت بعبدنا الطنجير وكان هذا العبد قد ربى ليلى والصحصاح يميل اليه لكونه أنه رباها على كتفه وأكثر الليالى يبات تحت رجليها فقالت له وهو يسير اليه ويقتله فى مضربه وإذا أصبح الصباح ورأوه مقتول تقول إن بنى طى قد قتلوه ويكون قتله على يد غيرك وتبرأ ساحتك واعلم أن الرأى السديد أنفذ من الرمح الشديد فقال لها عطاف هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب (قال الراوى) ثم إن عطاف أنفذ خلف العبد الطنجير وكان اسمه البصاص فخلى به عطاف وحدثه بماجرى فقال والله يعز علىّ قتل الصحصاح ولكن إذا ضمنت غدوا نجعل لك قتله قهراً لكن إن كان ولا بد من ذلك فإنى أريد خنجر قد سقى بماء الأجل ليكون لقتله معجل فقال له عطاف وقد فرح بذلك لله درك ثم إنه أحضر له خنجر صنعة الهندو سقاية السند هذا وقد ضمن له عطاف كل شىء أراد وقال له لك على المال وخمسون ناقه وبيت من الخاص وجارية تخدمك وأعتق رقبتك وقد حلف على ذلك وصار عند ذلك العبد الطنجير والله تعالى يدبر المقادير (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الصحصاح فانه أقام وقد براه الانتظار ووقع به الاصفرار من لوعة عمه عطاف ولم يعلم أن الأمر معه بالخلاف وقد نصب له حبل التلاف وقد نظر إلى تلك الليلة وقد أزهرت نجومها وسهر الصحصاح وقد هاجه حب ليلى فأنشد يقول :

منعت الرقاد وقاسيت ليلا ... كما ليل قيس على حب ليلى

ومن هجران ليلى ترى أدمعى ... على صحن خدى يسيلون سيلا

ومن ذا يلمنى على حب ليلى ... وقد هدمنى قواء وحيلا

ولم أنس عطاف وهو أسير ... خذوه الأعادى حقيرا ذليلا

وأحربت جهراً وباعدتهم ... وفى الوقت أرديت رجالا وخيلا

ومانعتهم عن سبى الحريم ... وما قط تهتك نساء أصيلا

بنى كندة قد رأوا همتى ... وهم يعرفونى عند جمع القبيلا

وعطاف وعدنى بليلى جهارا ... ولا وافى بوعده وقد مال ميلا

فيارب صلى على المصطفى ... غدوا وأبكارا ووقتا أصيلا

(قال الراوى) ولما أن فرغ الصحصاح من هذه الأبيات دخل عليه العبد وهو

يقول حل لك الوصال ومضت أيام الانفصال وقد حويت بهذا الفعال الثناء الحسن من الأيام والليالى وحصلت لك على وجه الحلال (قال الراوى) فعرفه الصحصاح وفرح به وقال له كيف حال ليلى فقال إنها فى تجهيز شغلها وتنجيز أمرها فقام اليه الصحصاح وخلع عليه وقد أوعده بجزيل المال والعطاء فقال له الصحصاح بشرك الله بالخير فقال له البصاص أنا الليلة أنام عندك وأحدثك بما قد سمعت من الكلام ودخل المضرب وصار يحدثه بزخاريف الكذب حتى نام وسل خنجره وهم أن يصعد على صدره ليذبحه وإذا بصيحة قد أخذته من وراه وقد أحس بانسان قبض على عنقه فالتفت وإذا بثلاثة نفر إحداهما أم الصحصاح والاثنين من أصحابه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن أم الصحصاح مضت إلى ليلى لتسأل عليهم فعزمت عليها أم ليلى وجعلت تشاغلها حتى يتم لها الأمر وليلى على مقالى الجمر وكانت ليلى سمعت الحديث من بعض الاماء ولم تزل إلى أن وجدت لها غفله من أمها ثم قالت لها يا عمتاه الحق ولدك من قبل أن لا تلحقيه وحدثتها بالأمر الذى قد جرى فخرجت أم الصحصاح وهى لا تعقل على ولدها الى أن رأت اثنين من أصدقاء ولدها فقالت لهما الحقانى وقد سارت بهما وما زالت سائرة وهم خلفها الى أن وصلوا الى المضرب ورأوا العبد قد هم وركب على صدره وأراد أن يذبحه فقبضوا عليه فقالت لهما والدته أخرجوا هذا العبد ولد الزنا الى الفلا فأخرجاه وهو من جملة الموتى وقد فتشاه فوجدوا الخنجر معه فضربه أحدهما بالسيف أطاح رأسه عن بدنه فانتبه الصحصاح من نومه فما انتبه الا من حسن الكلام فسألهم عن ذلك فأعلموه بالحال فشكر فضلهم وقد أنفذ الى بنت عمه ليلى وشكر فعلها وقال لها والله لولاك ما كنا الا كافأنا أباك والا لأجل خاطرك اذ أراد أن يضربنى بالسيف ما أدفعه عنى اكراما لك هذا ولما أن مضى الرسول الى ليلى أنشد وجعل يقول هذه الأبيات

لو أن قلبى يرق لى ويرحم ... ماكنت من حر الهوى أتألم
ومن العجائب أن قلبى مولع ... من ناظريك وفى فؤادى أسهم
داريت أهلك فى هواك وهم عدا ... ولأجل عين ألف عين تكرم

(قال الراوى) وكان الصحصاح كل ثلاثة أيام يخرج الى الغدير الممتلىء من ماء النضير وهو غدير يسموه البحيرة لأجل كثرة مياه وكل المروج تنقلب اليه وعنده أجمة فرسخ فى فرسخ فينصب عنده حبائل صيده وقد علم عطاف بذلك فقال لزوجته قتل العبد برأيك ومشورتك وترك كلامها وقام ولبس درع قصير الأكمام

لا يعمل فيه الحسام ولا تنفذ فيه السهام ولبس على رأسه بيضه عادية كانها فضه مجليه وتعمم عليها بعمامه خز كوفيه وركب حصان منسوب كانه الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وسار وقال انى لا أقدر عليه فربما ظفر بى ولكن أكمن له من داخل الأجمة فلما يأتى وينصب حبائل صيده فأحمل عليه وأطعنه من وراء ظهره على غفلة منه فى ظهره أخرج الرمح من صدره فقالت له زوجته انه خصم لا تقدر أن تواجهه والرأى عندنا أن تصالحه ولا تكافحه وتنتظر ما يأتى فى العرضيات لأن الشجاعة لا يحه عليه والشجعان عمرهم قصير وقد قال بعضهم هذه الأبيات

المرء ليس له علم بخبرته ... وليس ينجو من الأشيا بخيرته
وقد ورد فى حديث المصطفى خبرا ... حديث صدق صحيح فى روايته
معناه من سر سراً فى سرائره ... لابد يلبس رداء من سريرته

(قال الراوى) فلما أن سمع عطاف من زوجته ذلك الكلام قال لها وحق خفى الألطاف ان بحث بهذا الكلام جرعتك كئوس الحمام هذا جرى وأما ما كان من الصحصاح فانه كان فى كل ليلة يتجرع كاس الهوى فى المسا والاصباح الى أن كان فى بعض الأيام خرج إلى الصيد والقنص وسار إلى الأرض الذى يقال لها الجرعا وكان بينها وبين الخيام فرسخ وكانت كثيرة الوحش والظبا فقصدها الصحصاح ليتصيد فيها وكانت قد رأته إحدى الإماء عند خروجه فأتت إلى عند عطاف وأعلمته بذلك فركب جواده وسار طالب تلك الأرض التى قصدها الصحصاح على الغدير وهو لا يدرى ما خبى له فى الغيب وصاحب الغيب يدبر الغيب كيف يشاء وكان على صدر عطاف من الزرد وقلبه أقوى من الجلمد وفى كفه حسام مهند فبينما هو سائر إذ رأى الصحصاح فى ذلك المكان فجاء له من وراء ظهره وحمل عليه وسار إلى أن قرب عليه وإذا بأسد قد خرج عليه ثم انه وثب عليه على غرة منه فاختطفه من تحته وصاح إلى أن أقلب الربا والبطاح فسمعه الصحصاح فقام اليه ونظره وقد عاين الأسد وقد لطم بفريسته الأرض فقام قائما على قدميه وسحب سيفه وقد تقدم اليه وهجم بقوة قاب عليه فلما رآه الأسد صاح صيحة ارتجت منها الأرض والبطاح وأرخى فريسته وقفز على الصحصاح فلقيه بوجه كأنه المصباح وقد ضربه بقوته بين عينيه وقد كان الأسد ألقى نفسه ليفعل به مثل ما فعل بغيره فمن قوة البطل وحدة سيفه وقوة حيل الأسد فجاء السيف بين عينيه خرج من بين فخذيه فوقع شطرين فدنا الصحصاح من الأسد وقد

أخذ قلبه ودنا من الفارس الذى كان تحته فرآه غائب الرشد مردى فى الأرض من كثرة ما مرغه الأسد ولولا ما كان عليه من الزرد كان قد انعطب فكشف البيضة عن رأسه وشال البرقع الزرد عن وجهه ليعرفه وإذا به عطاف فعلم أنه ماأتى إلاليقتله على غفلة منه فلقاه الله عاقبته وبغيه فحمله وأخرجه من الأجمه وقلعه ذلك الدرع الذى عليه وطرحه على جانب الغدير ورش الماء على وجهه وغسل يديه ورجليه وهب نسيم الهوى عليه ففتح عينيه ونظر الى الصحصاح جالس بين يديه وقد شطر الأسد نصفين فلما أن وقعت عين عطاف عليه استقبح فعله ورجع على نفسه عند ذلك بالملامه ثم انه قام وقد استوى جالسا وأقبل على الصحصاح معطفا وبذنبه معترفا وقال له ياابن أخى قد بان الخفا وزال الغيظ والجفا ولكن اعذرنى فانى خرجت من الحى بحرقتى فلقانى الله شؤم طريقتى ومن اليوم قدأخلصت لله نيتى وقدنصرك الله على من يعاديك ورفع عنك كيد من أراد أن يضرك ويوصل كيده اليك ثم انه أشار اليه وهو يقول هذه الأبيات :

الجهل آفة كل عبد جاهل ... والله يجزى كل عبد عامل
فليفعل الانسان خيرا عاجلا ... فالخير مرتبطا بفعل الفاعل
إن الحسود من كان بهمومه ... وغمومه وهلاكه عن عاجل
من كان رب العرش حافظه فلا ... يخشى عليه رزية من فاعل
وأنا ظلمتك فى الفعال تعديا ... وكنت ياصحصاح لى بالكافل
ولقد حنقت عليك حنقة حامل ... حتى تخيل لى بأنك قاتلى
وطلبت قتلك غافلا متعمدا ... تجرى وأن الله ليس بغافل
وكذلك الصياح لاقى حتفه ... وغدا رهين صحاصحا وجنادل
ودفعت عنى كيده من بعد ما ... أيقنت أن سيفى يقتل القاتل
وأنا المصر على جفاك سفاهة ... حتى بلين ببطش ليث باسل
لو لم تكن بالقرب منى حاصلا ... أصبحت مأكولا وأضحى آكل
لله درك لقد واصلته ضربة ... ظهرت لنا ظهرا بهول هائل

(قال الراوى) ولماأن فرغ عطاف من شعره قال الصحصاح وحق من أسكن فى الأجسام الأرواح وأوجد فى الصدور الانشراح وفتح أبواب الرزق بغير مفتاح المعروف بالكرم والسماح اننى قد سرجت لك ضوءا من المصباح وعدت من الفساد إلى الصلاح وهاأنا معتذر اليك من الأمور القباح ثم انه أرمى نفسه عليه وسار يقبل

يديه ورجليه فقام الصحصاح إليه وعانقه وقبله بين عينيه وقال له ياعم هل أنا إلا عبد نعمتك ويتيم بيتك ولا أعلم غير الله وأنت وإن كانت نفسك تحدثك بشيء فهذا سيفي وأنت في حل من دمي وقل لهم إن بني طي قتلوه فأنا ماأريد أشغل سرك ولا أشوش خاطرك وذهنك لكن ياعماه سألتك أن تجمع شملي بليلى فأنا والله أحبها محبة عظيمة فالتجم عطاف بلجام ثم انه قال له ياولدي انى أريد أن أنام قليلا فاني أرى نفسي متوعك وأقول اني ماأنا سالم في تلك الساعه ثم انه وضع درعه تحت رأسه ونام وسار الصحصاح يكبس يديه ورجليه فأخذته سنة من الكرى فنام الصحصاح إلى جانب عمه فرأى طيف ليلى في المنام فانذعر وقام من نومه وسار يبكي وينشد ويقول هذه الأبيات :

أتى طيف ليلى نهارا جهارا ... فعانقني ساعة ثم سارا
وقال لي تنام وتشكى الهوى ... فقلت نعم إن قبلت اعتذارا
وانى رقدت أروم الخيال ... يزور ولاشك منه المزارا
لقد سار فينا دليل الهوى ... ويزعم أني رقدت اختيارا
أيا لائمي في الهوى من سبي ... فؤادي هواها ونحن صغارا
وما زال ينمو الهوى في الحشا ... إلى أن لهينا وصرنا كبارا
وها أنا في حبها موثق ... وقلبي قد تاه فيها وحارا
فسبحان من قد كساها الجمال ... بوجه أضاء حسنا ونارا
ونفسي فدا من نشت بالعفاف ... بين البنات الحسان العذارى
تصيد الرجال بأجفانها ... وتقتلهم لعبا واغترارا
وتبسم عن واضح لامع ... لنا نخوة في الهوى واقتدارا
مقمصة بقميص الحيا ... وما دنس العيب منها إزارا
فؤادي عندك مستأثرا ... ألا يابنت عمي ففكي الاسارى
منعني خيالك أن لايزور ... وخيل إليّ فهمت انتظارا
ولولا هواك لما قد بقيت ... ذليلا وقد كنت سبعا أزارا
تبيتين ليلى في راحة ... وعبدك لايستقر له قرارا
وقد شاع ذكرى لأن الهوى ... غدا بعد ما كان سراً جهارا
أبوك الذي قد فاق الورى ... علواً ومجداً وحاز افتخارا
وفي فضله قد نشينا صغار ... فما ضره لو جمعنا كبارا

(قال الراوي) وكان عطاف قد أفاق من نومه فسمع من الصحصاح ذلك الشعر

والنظام فتعجب من فصاحته وبراعته وقال وحق النبي المنتخب سيد العرب والعجم لابد أن أجمعكم وأفرح بكم ويسلم شملكم والآن لا نحتاج إلى صيد الغزلان بعد صياد سباع الصحصحان وما يكون إلا مايشاء الواحد المنان الذى لايشغله شان عن شان وما أقدر أصف ما أوليتنى من الاحسان وأنا أقسم بمن جعل السماء إيوان والأرض ميدان لا فرقت بينكما على ممر الزمان ولا جعلت لك (ليلى) إلا أمه وهى من عندى وهبه واعلم ياولدى أن البغى سريع مصرعه والظلم يقتل أهله ويذرى صاحبه والآن فقد زال ما عندى من الحسد وما كنت أخفيه من الكمد وقد بدل الله تعالى الغضب بالرضا وقد عفى عما مضى (قال الراوى) ثم ان عطاف من شدة الفرح بكى ورجع على نفسه بالملامه وقال إن عدت أضمرت لك عداوة أو قبيح فما هو والله منى مليح ولكن ياصحصاح سر بنا الى الخيام وإذا وصلنا جهزنا أمورك بالتمام وأنت أخبر بهذا الكلام (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح من عمه هذا الكلام وما أبداه من الملام استحى وأطرق إلى الأرض برأسه من كثرة هواه والغرام لأن الذى حصل له كان يتمناه فقال له والله يامولاى ما أنا إلا عبدك وغرس نعمتك ومن بعض خدامك ولكن ان شاء الله تعالى أعمل ما يبيض وجهى ووجهك عند الصباح (قال الراوى) ياساده هذا وقد وقعت محبة الصحصاح فى قلب عمه عطاف بعد البغضة وعاد وهو فى قلبه أحلى من الماء الزلال على كبد الظمآن وساروا الى أن أتوا الخيام وقد دخل كل منهم أبياته وقد اجتمع الصحصاح على أمه وأخبرها بما تم له مع عمه وقال لها : ياأماه جميع ما كسبته من بنى طى فقد وهبته وما بقى معى غير اليسير وما يصلح أن يكون مهر لبنت عمى وأنا قد عولت أن أسير وأقصد الملك الكبير ويرزقنى من ماله الكثير انه على مايشاء قدير فان عشت رجعت إلى (ليلى) بالمال الكثير وإن أتاك خبرى بأنى جديل عفير فنوحى وأبكى فى المحاضر علىّ فى البادى والحاضر على الذى مات غريب وبسيوف المحبة نهيب وكل ذلك فى هوى الحبيب ثم أشار لها يقول لها هذه الأبيات :

يا أماه لطف الاله برجعى قريب	إنى أتيتكمو يتيما مريب
واذا أموت بغربة	إن السعيد هو الغريب
ما كل من رام الأمور	له بمطلبها نصيب
كم عادل عن منصب	يرجو الإياب فلم يجيب

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح ودع والدته وأخذ عبد له يسمى نجاح وطلب البر والبطاح وتوكل على الملك الفتاح هذا وقد مضت أمه الى ليلى وأعلمتها بالخبر فجرى دمعها مثل المطر وقالت لها لقد عرض نفسه مقام الخطر فياليتنى كنت له الفدا من أسباب الردا ثم إنها تأوهت وأنشدت وجعلت تقول :

كادت تذوب يوم فرقتكم كبدى منى ومهجتى فزع
لم يبق لى مذ غبتموا أبدا ياسادتى فى قربكم طمع
ولقد جرعت فراقكم زمنا لو كان يغنى الخوف والفزع
يعتادنى فى باطنى حرق أواه ممن وصالهم منعوا

(قال الراوى) ثم انها بكت بكاء شديدا وصعب عليها غيابه ياساده (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وماجرى لها وأما ما كان من الصحصاح فانه لما أن خرج من الخيام هتك ستر الاحتشام وسار ينشد ويقول :

دام الفراق ونالنى الكرب بفراق ليلى أنه صعب
وإذا التفت إلى مضاربها فالنفس إلى خيامها تصبو

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح سار وقال لعبده نجاح خذ على الطريق اليمنى فو الله ما أدرى أى طريق أسلك وفى الطريق الأولى لما خرجت من الديار الى الربا والقفار فوقعت فى حى بنى طى فأخذت مزنة وقتلت الملك الغطريف وفى هذه المرة أريد أن أقطع المفاوز لأقتل أصحاب المراكز حتى آتى بصداق ليلى وان كانت الأخرى فلا ملام على الدنيا ثم أنشأ يقول :

أجوب الفيافى فدفد بعد فدفد وأطلب رزقى بالحسام المهند
ألا يا نجاح سربى منعما فان لم تجد مالا فسر بى منجد
وإلا فكن لى معذبا ومشاهدا لنجمع مالا من لجين وعسجد
ونأخذ أموال الملوك تعديا عليهم ونغشى مشهدا بعد مشهد
لحى الله شخصا لا يريد لرأسه إذا خاض فى الهيجاء ألف مهند

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح ماسار غير قليل حتى سمع جلبية عظيمة وقعقعه فى الجو فرفع رأسه ونظر الى ذلك وإذا بهما بطائران وهما فى الجو يسيران فقال ويلك يانجاح ما هؤلاء الطائران فقال له يامولاى هؤلاء بازان صايعان فضرب الصحصاح بالمقرعة على قربوص سرجه فلما أن سمع الطائران تلك النقرة نزلا اليه قليلا قليلا فلما أن قارباه لف الصحصاح على يديه منديل وصاح بهما فنزلا على يديه وهمايظنان

أنه صاحبهما فلما أن استقرا على يديه نظر اليهما وإذا هما بازان أشهبان ورأى عليهما زمرد ولهم مخالب مثل الأسد الأول أشهب والثانى مثل الكوكب تحتهما أبرشان كأنهما قمران وكأن عيونهما عقيقان أو مرجان ولهم شاقيان ابريسم ملون وخلاخل من الذهب حلق فيهما درتان تضىء مثل نجمتان (قال الراوى) فلما أن عاين الصحصاح ذلك صاح يا نجاح انظر الى حسنهما فقال له نجاح يامولاى ما أبركه من صباح فقال له الصحصاح اعلم يانجاح ان هذا دليل السعادة والنجاح ولا بد أن أظفر بالصباح ثم أنشد وجعل يقول :

عجبت وقد رأيت طيور باز   تدور الأفق فى طلب انتهاز
يريد انتهاب الطير عمدا   فسارا صيد كفى عن مجاز
كذا الصحصاح أضحى نحو ليلى   أسير الانقياد بالاحتراز

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح قال للعبد يانجاح لابد أن يكونا هذان لبعض الملوك وقد أطلقهما للصيد فلما أن صعدا للغبوق ومرقا فى الجو كل المروق تاها عن الطريق للطروق وهاتان الدرتان التى مثل بيض الحمام أقسم بالله أنهما يساويان ستة آلاف دينار ولو أن دفعتهما لعمى عطاف لهانا عنده لأن العرب لا تعرف فى الصداق إلا الجمال والنياق ولكن امضى بهما الى عند والدتى وأخبرها يانجاح بسفرتى أنها مباركة وقل لها أن تحتفظ عليهما كل الاحتفاظ حتى أعود (قال الراوى) فسار العبد بهما الى عند أم الصحصاح ومازال سائر الى أن وصل اليها وأتى مضارب مولاه فرأى ستة تبكى ولها دموع سفاح فقالت له ما وراءك يانجاح فقال لها اعلمى أن ورائى الخير والفلاح وولدك بالسلامة آمن من الندامة وقد أتاه الفلاح وأرسلنى اليك بهذان البازان ويوصيك بحفظهما وهذان الدرتان ثم انه قص عليهما ماجرى فى أخذهما ففرحت وقالت يا نجاح اذهب الى مولاك وقل له ان الباز مفاز واعلم أن الدرتان علامة در الأرزاق من الملك الخلاق ويعود ان شاء الله تعالى باصناف الصداق وأنا قد أودعته لمن لاتخيب لديه الودايع وهو للشمل بعد الشتات جامع ثم انها أنشدت تقول :

لو سار قلبى بالفراق سجيم   أبد وشوقى للقاء قديم
يا واحدى إن الفراق بلية   لم يبق سر بعده مكتوم
أنت البقية من جميع عشيرتى   سر فى واعة واحد قيوم
عندى اشتياق ليس تبرد ناره   فكأنه بين الضلوع مقيم
جرت الدموع بمقلتى مسفوحة   فاتخذت من مقلتى مشموم

قد كان جندبة لنا عذوة ... فى الحرب تقعد تارة وتقوم
حتى انقضى ومضى وسرنا بعده ... فى الذل وهو معين معدوم
والآن يا صحصاح قد عاد الذى ... قد كان فى الأيام وهو قديم
يا غائبين متى يكون رجوعكم ... نحوى ويصبح شملنا منظوم
أرجو اللقا منكم ولكن لم أكن ... فيما قضى الرحمن ليس ألوم
أيضا وكم طلبت لقاكم مهجتى ... فاذا تبسم سالما محروم
ولقد بعثت لكم زفيرى شاهداً ... لا تنكروه فانه معلوم
ومتى أكون من التذكر سالياً ... هيهات عزمى بالسلو يهيم
للام أشواق تزيد ومحنة ... لا تنقضى وغرامها محتوم
الله جارك يا بنى وقادراً ... يعطيك ما ترجوه وهو كريم

(قال الراوى) ثم إنها أخذت البازين من العبد نجاح وعاد يطلب مولاه فوصل اليه وساروا طالبين رزق رب العالمين فبلغ خبر سفره عمه عطاف فصعب عليه وكبر لديه ومن شدة ما جرى له غشى عليه ولما أن أفاق قال لا حول وقوة إلا بالله العلى العظيم ثم انه سار متفكرا فى أمره إلى أن سمع خبر البازان فسار إلى بيت أم الصحصاح ونظر إليهما وإلى الدرتين فقال والله لقد كان فى هؤلاء كفاية وأما ما كان من الصحصاح فانه ما زال سائر وهو يقطع الربا والقفار والبطاح ليالى وأيام وهو لايلتقى فى البرية لا راكب ولاراجل فقال عند ذلك الصحصاح ما أظن ما بقى فى البر ساكن ولاسالك ولامدبر ولاملاحق فقال له نجاح ياmولاى اعلم أن الله تعالى له خزائن فى الأرض وقد أعطاك مافيه من الكفايه فارجع بنا الى الاحيا فقد قيل فى الأمثال السائرات إن للتأخير آفات وان السعادات لها أوقات وساعات فقال الصحصاح يا نجاح كف عنى هذا الملام فانى متوكل على رب الأرباب الذى أنزل الماء من الغمام الذى هو حى لاينام فاما مالك وإما هالك ثم أنه أشار ينشد ويقول

دع اللوم ويلك يا ابن الزنا ... فلابد من سيرى فى الفلاة
ولابد من خوض بحر العجاج ... وأخذ الجمال وصيد الحماة
ونهب الأموال وقتل الرجال ... وطعن الصدور وقتل الكماة
فاما أفوز بمال جزيل ... فافرح صديقى وا كمد عداتى
وأرضى لليلى بحمل الصداق ... وتعلو بذاك على الغانيات
واما يقال اليتيم الغريب ... قتيل الأسنة مع المرهفات

إذا لم يكن للفتى صولة لدفع المصائب والمعضلات
فما هو إلا رهين الخطوب وتحسبه فى حساب البنات

(قال الراوى) وسار الصحصاح يقطع الراوبى والبطاح إلى أن وصل الى وادى يقال له المرقب وهو وادى مشعب الجنابات كثير الغدران كأنه بعض رياض الجنان فتحير الصحصاح من حسن ذلك الوادى وانشراح ذلك المكان فهم أن ينزل وإذا هو بصياح عالى وصراخ نامى وسيوف مجذبه بأيدى رجال مثل السلاهب وقد قبضوا على شاب ظاهر الجمال معتدل القد أسيل الخد عليه آثار الجد عليل من غير سقم وقائل يقول اقتلوه وآخر يقول اصلبوه وقد ظهرت جارية مليحة القوام حلوة الابتسام كأنها بدر التمام ولها وجه أقمر وجبين أزهر وخد أحمر وطرف أحور بثوب عظيم الشان وفى يدها سيف أبتر وهى تقول وحق الركن والحجر لئن لم تطلقوا ابن عمى لأحطن هذا السيف فى بطنى أخرجة من ظهرى ولا ينال منى أحد منال (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك الصياح قال لعبده نجاح امضى واكشف لى عن الخبر فمضى العبد يطلب القوم وكان السبب فى ذلك حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك أن هذا الوادى كان من قديم الزمان لقوم يقال لهم بنى ريان فانقرضوا على ممر الزمان وكان قد بقى منهم أميرين أخوين أحدهما يقال له عامر والآخر زاهر وكان زاهر الأكبر وكان أكرم أهل زمانه يقرى الضيفان ويؤمن الفزعان وكان أخوه عامر شيطان مريد وجبار عنيد يأكل الحرام وينهب أموال حجاج بيت الله الحرام وكانت العرب يعفون عنه اكراما لأخيه زاهر وكان زاهر قد رزق ولد جميل الصوره يسمى غانم ورزق عامر بنت فسماها لبنا وتربيا حتى بلغا سبع سنين وهما روحان فى جسد واحد وكان زاهر مرض مرضا شديدا أشرف على الموت فادعا بأخيه عامر عند موته وقال له يا أخى قد جاءنى الأجل المحتوم ونعيم الدنيا لا يدوم وأنت تعلم أننى ماخفت إلا عاقبة هذا الولد وقد تركت أربعة آلاف ناقة حمراً وعشرة آلاف رأس من الغنم ومائة أمه والكل محمول اليك فخذ ألف ناقة صداق ابنتك لبنا وزوجها لولدى غانم وهما يعيشوا فى الباقى الى آخر الزمان فانه مال جزيل (قال الراوى) المرتب لهذا الكلام هذا وعامر يسمع ويقول نعم بسم الله فلما مات زاهر وضع يده عامر أخيه على جميع ما خلفه زاهر من تلك الجمال وسار يخادع ولده بالمحال ويوعده بزواج ابنته بالخداع مدة من الأعوام الى أن كبر وتفرس وسار يركب الخيل ويطاعن الفرسان الكبار فطلب من عمه ابنته لبنا فأجابه بالكذب وأراد أن يدبر له الهلاك وقال له ياولدى حتى تغنم لنا غنيمة من أجل

أن تعمل وليمة كبيرة لسائر العربان وكل ذلك خبث منه ولعنة وضلال فقال له غانم ياعم ماأتعبك فى شىء من ذلك وعلى كل ما طلبت ثم انه أراد التخفيف عن قلب عمه ولم يعلم أنه متكبر وضامر له الغدر والعناد ويريد يزوج بنته لبعض الملوك الكبار فركب غانم وطلع من الحى وأخذ معه بعض العبيد وسار فى البرارى والقفار وتوكل على العزيز الغفار وسار الى أن أرمته المقادير الى حى بنو حرب بن همام فرأى الأرض مخصبة والرعيان ترعى وخيل وجمال ونياق وشىء كثير من الأنعام ولم يكن فى المرعى أحدا من الفرسان غير الرعيان لأنها فى الأمان بفرسانها الأعيان فقوم السنان وأحمى الحصان واستاق منها خمسماية ناقة وجمل وترك رعاتها هاربين وتركهم ما بين قتيل وهزيم فالهزايم من الرعاة قصدوا الحى وأقاموا الصياح فيها فركبت الفرسان ولحقته الخيل من كل مكان فهجم على الخيل لما أن قاربته فقتل كماتها وجندل سراتها وأخذ الأسلاب ووصل الوادى بتلك الخيل والنياق وأراد أن يوصلهم ويعود فى طلب باقى الصداق ويجمعه من الآفاق لأنه أراد أن يكون صداقها من عرق جبينه غيرالذى دفعه أباه من جميع المال وكان قد غاب سبعة وعشرون يوما فسار إلى أن وصل الى القوم فوجد قد حدث من بعدالأمورأمور وسمع حس الطبل والزمور ونظردوران كؤوس الخمور والصياح بالفرح والسرور وكان السبب فى ذلك أن عمه عامر لما غاب ابن أخيه غانم وصفا له الوقت من وصف ماجرى بينهم من العظايم فسار الى ملك حضرموت فى عشرين فارس من قومه وأبطال عشيرته وهو فى أحسن زى فحمل اليه ملك حضرموت ألف ناقة سود الحدق ومائة جمل وأردفه ألف بطل بعد أن زوج عامر ابنته (لبنا) لملك حضرموت وأعطاه الملك هدايا وتحف وكل شىء مستظرف فتلقاه عامر بالشكر والفرح والثناء وعامر يقول لأصحابه هذا يكون لنا عمدة وندخره ليكون لنا على أعدائنا نجدة وأى نجدة فقال له أكابر قومه هذا هو الصواب والأمر الذى لايعاب افعل ما تريد من رأيك السديد إلا رجل من قومه يقال له شاكر وكان من أصحاب الأمير زاهر وهو عبد صالح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال له أيها الأمير الغدر قبيح بالأجانب فكيف بالأقارب وكيف ترضى أن يكوى هذا الغدرفيك وقد زوجتها من مدة إحدى عشر سنة لولد أخيك وأخذت المهر قدامنا من ماله ولم ترضى تزوجها له وقد زوجتها لهذا الكلب اللعين فأين أنت من مالك يوم الدين وهذا رجل برىء من دين الاسلام ويأكل الحرام وما رآه أحد يصلى صلاة ويزكى زكاة أما تعلم أن الله لك بالمرصاد وانه يجمع الخلق على صعيد واحد يوم المعاد (قال) فلما سمعت أذناه هذا

الكلام قامت عليه القيامة وأمر بصفع الرجل على أم رأسه ونتف لحيته وشده وحلف بالله انه لايطعم طعام ولا يسقوه شراب حتى يموت بالكمد ولايرحمه أحد (قال) ووصل السفاك اليهم وقدم عليهم وكان الأمير عامر لما خاطبه شاكر بهذا الخطاب وجرى بينهم ماسمعتموه من الأسباب فبعث عبدا أسودا أتى على لسان بعض أصدقاه بكتاب يذكر فيه أن غانم ابن زاهر على بعض الغنم قد غار وتبعوه فتركوه قتيل على على الرمال فحزنت عليه النساء والرجال وكان قصده أن تخالفه ابنته فيقتلها ويدع الصداق ويبقى معيرة فى الآفاق فلما سمعت (لبنا) الخبر لطمت على وجهها وخرقت أثوابها وعظم مصابها وأقامت أيام لاتأكل ولا تشرب حتى دخلوا النسوان عليها وجعلوا يسلوها وهى لاتسمع فدخل عليها أبوها وهو مجرد سيفه فى يده وعول على قتلها فسألته أمها فيها وكذلك النسوان فخرج وتركها فألبسوها الأحمر والأصفر وأخذ فى أمرها سبعة أيام بعد ماالتقوا السفاك وأنزلوه وأكرموه وبجلوه وأقام عندهم وهو منتظر زفافها عليه ويرحل بها الى قبيلته فبينما هم كذلك إذ وصل غانم ومعه تلك الأموال والغنايم فهوعندباب الوادى إذ لقوه ثلاثة رعيان كانوا لأبيه قديما وصاروا لعمه فلما رأوه قالوا له : لاإله إلا الله محمد رسول الله أليس قدجاء الخبر بقتل مولانا غانم ثم جاءوا اليه وسلموا عليه وأعلموه بالحال فقال هذا كله من عمل عمى فخذوا معكم هذه النياق ولكم فيها عشرة واحفظوها إلى أن أعود اليكم ولكن متى يكون الزفاف فقالوا ليلة غد فقال غانم أنا أدخل الليلة الحى وأتوصل الى ابنة عمى وأخبرها فان كانت معى مقيمة على الوداد فأنا أدبر تدبير آخر يجعل الله فيه الخير والرشاد وما أتخلى عنها بل أرمى روحى على الهلاك وأسقى هذا كؤوس الارتباك فقالوا له الرعاة أما بنت عمك وأخبارها فقد جرى لها من فقدك ما جرى على غيرها من العباد ولما علمت بهلاكك امتنعت عن الشراب والزاد واكتفت بالحزن والسهاد حتى دخل أبوها عليها والسيف مجذوب فى يده ومانعوه بعض أقاربها وأمها قال فلما سمع غانم بتلك القصة ازدادت به الغصة وأخذ الرعاة معه وصبر الى الليل ونزل عن جواده وخلع ولبس ثياب الراعى ودخل الى الحى فى زى صعاليك الصغار من أولاد العرب ولم يزل يمشى حتى دخل من بين أطناب الخيمة فوجد (لبنا) وهى مخضبة جالسة على فراش جديد إلا انها باكية العين حزينة القلب وقد ظهر عليها آثار الوله والغرام والنساء نايمين حولها خوفا عليها من سطوة أبيها فنظر اليها غانم ورأى وجهها فى ضوء الشمع وهو أنور من نورها ويرى دمعها قد بلّ ثيابها وهى تذكر وتترنم بهذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

يالائمى كف الملام فلست أسمع قول لائم لى مقلتـين ودمعها
أبدا على الأحباب ساجم هيهات أن أجد السلو وقد مضى المحبوب غانم
ماكنت أحسب أن تنوح عليه نائحـة الحمائم ياعالم السـر الخفى
ومن الى المظلوم راحم ماذا أقول ولم تزل يارب تدفع للمظالم
فبحق طـه المصطفى وبمن محا كل المحارم

(قال الراوى) ثم بكت فلم يجد غانم الصبر دون أن ناداها ابشرى ياابنة العم فقد جاءك الفرح فلما سمعت كلامه وثبت واعتنقا طويلا وأخبرها بما جرى له الى حـين رجوعه فقالت له مالك طاقة بأبى ولا بهذا الملعون السفاك والأصوب أنك تأخذنى فى هذه الليلة ونهرب ونقصد الى بعض أحياء العرب فقال لها غانم ولم ذلك وقد أتيت ببعض مهرك فقالت لاتطيل الخطاب فلو أتيت بأموال الأرض والذخاير فما أرضيت عامر لأنه ملعون غادر ولا سيما وقد التصق بهذا الـكافر الغادر ولم تزل به حتى سارت معه الى الموضع الذى ترك فيه فرسه ورفعها على السرج وتقلد بسيفه وقال للراعى الذى كان فى صحبته كن معنا فاذا جاءنا طالب تكن منى مقارب الى أن نمضى إلى بعض الملوك وأصحاب المواكب فبينما هم كذلك وإذا بالعياط والصياح عليه من كل جانب وجاءت اليه رجال مثل السلاهب وفى أيديهم الرماح والقواضب وفى أوائلهم السفاك زوج لبنا وهو سابق القوم ومسك رأس الوادى وبقى عامر أبوها ورجاله من وراء غانم قال ونظرت لبنا إلى ماحل بهما من البلا فنزلت من على الجواد وقالت يا ابن العم اركب أنت وانج بنفسك وطيب نفسك فان سلمت أنت فما عليك بأس من طرفى ولا يملـكنى ويحظى بى أحد سواك وأنا من الأسواء فداك ولا أسلم فى ذلك إلا أن أقتل نفسى فهم كذلك وقد أدركتهم الخيل والفرسان وغانم سار على ظهر الجواد ونادى برفيع صوته ياويلـكم أنا غانم وقدجئت بأموالى والغنايم وعمى قدغدر بى ونسى حق أبى أما كان لأبى عليـكم حق واجب فـكيف تسلمون ولده الى هذا الفاجر الكاذب فناداه ياغانم كان لأبيك علينا حقوق ولـكن مافينا من يقدر على الصدع بالحجر كما فعل عمك ونحن لا نـكون لك ولا عليك ثم رجعوا الى وراءهم ووصل أصحاب السفاك بكل سيف فتاك وحملوا على غانم وحمل غانم عليهم وقد أيقن بالهلاك وصال فيهم وجال وقتل سبعة من الرجال الموصوفين فى الحرب والقتال وأصبح الله بالصباح فوقعت العين على العين وجاء عامر وهو ينادى يا ابن الزنا وتربية الخنا أردت تأخذ ابنتى وتهيم فى القفار وتخلينى ألبس العار فقال غانم انما العار على من فعل هذه الفعال وتعدى وجار

فصاح عامر على الرجال وقال للسفاك بين الفرسان ألا أيها الأمير اقتله ولا تسمع هذيانه فقال له ائتنى برأس غانم فما كان الا طرفة عين حتى تحدر اليه وأوقع نفسه عليه فضربه غانم على عاتقه أخرج السيف من علائقه قال فخرج اليه أخو القتيل وكان اسمه عسعس فقتله قال ولم يزل غانم يقتل كل من برز اليه فى الميدان حتى قتل سبعة من الفرسان فعند ذلك صاح السفاك بصوت كأنه الرعد القاصف فخرج الجواد من تحته كأنه البرق الخاطف وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

إلى كم أقل هـذا الغلام يقاتل ... كل ليث يوم الكريهة باسل
وأرى العار أن أقاتل شخصا ... واحدا بعدما أبدت القبائل
أنا اسمى بقـاتل وبسفاك ... وضيغم الحـرب والجـائل

قال فلما سمع غانم ذلك الـكلام حمل عليه وهو ينشد هذا النظام :

من يؤدى إلى الحبيب رسائلى ... ويخبر بالأشواق بدر المنازل
خل عنى إن كنت فى الحرب مثلى ... وتحمل مثل الذى أنا حامل
وإذا ماسئلت بالله عنى ... فاجعل الشوق فى جواب المسائل
قل للبنا أنى مقيم على العهـد ... دون أنى أصبحت عنها أقاتل

(قال الراوى) وكان عمه لما سمع هذه الأبيات حمل عليه وكان العبد نجاح جاء يكشف الخبر كما ذكرنا فلما رأى تلك الواقعة وسمع الشعر من الاثنين ورأى السفاك وعم غانم وقد حملا عليه فرجع الى الصحصاح وذكر له كل هذه الحكاية (قال الراوى) فحمل الصحصاح وابتدر الى الميدان حتى حك السنان بالسنان وكان غانم قد عجز عن قتالهم وأشرف على الهلاك فما صبر السفاج حتى حمل على الصحصاح فتلقاه وتقاتلو قتال يحير العقول فضربه الصحصاح على هامه أبراه كما يبرى الكاتب القلم وصاح على القوم وهمهم ثم هجم على عامر أبو لبنا وضربه على رأسه فشقه وأخمدت أنفاسه فوقع يخور فى دماه فعندها نادى الصحصاح هل فيكم من يأخذ بتار عامر الغدار وهل ترضون بغانم يكون أميركم بهذه الديار فصاحوا جميع العرب لا رحم الله عامر لقد كفانا الله شره وشر هذا الغادر قال وفرحوا بقتله فرحا شديد ما عليه من مزيد قال ثم إن الصحصاح سلم غانم الأموال وألبسه حلة الامارة وأوقف فى خدمته الرجال وأقبل اليه أهل حلته من الرجال والشباب أحبابه وأصحابه ورجع الحق الى أربابه وشكر غانم الصحصاح على فعاله وأراد أن يقبل يديه ونعاله فمنعه الصحصاح وأقام عندهم ثلاثة أيام حتى استراح واندملت جراح غانم

ودخل بابنة عمه لبنا ونال من بعد المشقة السرور والهناء فتفكر غانم ما مضى وتباشر باقبال الرضا فقام واقفاً على الأقدام وزاد به الفرح والابتسام وانكب على أقدام الصحصاح يقبلها وقال له يامولاى إن هذه الصنيعة التى صنعتها لا تقاس بالصنايع والجميل عند الكريم ليس بضايع وقد حوت يدى فى هذه الساعة ستة آلاف ناقة ومثلها جمال وأنا أسألك أن تقبل منى ثلاثة آلاف والذى يبقى من فضلك وكان الأمير غانم قد أطلع شاكر ابن سليم فأخلع عليه وأن الصحصاح لما سمع كلام غانم فقال هيهات أن آخذ على فعل الجميل رشوة فقال غانم وقد عجب من الصحصاح فمن تكون ياوجه العرب فقال أنا الصحصاح ابن جندبه بن الحارث الكلابى فلما سمع ذلك قال بخ بخ أنت والله صاحب النسب العميم والفخر الصميم فبحق زمزم والحطيم الا ماقبلت منى ماذكرت لك وإن كان قليل فخذ الستة آلاف ناقة وأنا بعدها طليق سيفك وأمين خوفك ثم أنشد يمدحه ويقول صلوا على الرسول

ياسيد الاكرام أنت نصرتنى	وكفى فأنت مؤيد مسعود
بلغت بك الهمم الشريفة رتبة	فيها من الأيد الطوال مسود
قاتلت أبطال الزنا وظفرتهم	بتأيد والرأى منك سديد
يامن شجاعته تعاظم أمرها	ضارت بسطوتك الملوك عبيد
قسما لقد ملكت يداك قيادنا	بمكارم والعالمين شهود
خلصتنى وصنعت حتى لم يكن	عندى على حسن الجميل مزيد

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح مدحه استحى منه وقال والله أجازيتنا وأفضلت علينا (قال) ثم ودع القوم وسار كأنه لم فعل شىء فقال له العبد نجاح والله يامولاى لقد أخطأت على روحك يعطيك غانم ثلاثة آلاف ناقة تعف عنها وأكثر ما كنت تحمل لليلى ألف ناقة فى صداقها والألفين تكون لغناك على طول الزمان أترى لو سافرت الساعة مشرق الأرض ومغربها ماحصل لك مثل هذه المرة فى العطية فقال الصحصاح ياابن الزانية تأمرنى أن نأخذ على فعل الجميل أجره لا كان ذلك أبدا ثم سار يقطع البيد والقفار ثلاثة أيام هذا والعبد نجاح قد أيس من الفلاح وفى رابع يوم أشرفوا على أرض فسيحة واذا فى شرقها عجاج قد ملأ الوهاد والفجاج وغبار قد حجب الشمس عن الأبصار وقتام كانه حالك الظلام وصراخ نسوان بأصوات شجان وبكاء غلمان قد أذلهم بعد العز رين الزمان وركض فرسان قد امتلأت بهم الصحصحان وهوادج وعماريات ورماح ورايات وأعلام مذهبات وقواضب بالفضة من بنات وخيول صافنات ومحامل عليها من الديباج اسطوانات وجوار ملاح عليهم عصايب الذهب المثمنات من لؤلؤ وياقوت وبلخش وفير وزج

ومرجان وزمردكبار وعقبان وخدم عليهم العمايم الحرير والتيجان المحكمات وهم بالمناطق الكبار الثقال وعلى رؤس العماريات لوايح الذهب الكبار الهائلات وصفايح الاحمال من الذهب الرصافيات وملك تعجزعنه الألسنة فى الصفات ورجال بجرحين وهم مشدودين على الخيل العربيات وعبيد وجوار يندبن على أخذ السادات قال وفى أوائل الجمال هودج كبير عالى وعماريه عاليه عليه شبكة منظومة من اللؤلؤ لها قدر وقيمة تساوى الآفاق من مصر للشام للعراق وحواليها جوانب عليها جلال الديباج الملون الأحمر والأصفر وعليها قطع مكوكبه وتماثيل بالرقم مذهبه وشخوص من الذهب الثقال وفوارس بالرماح الطوال والسيوف الصقال . هذا وقد أحدقت بهم عن اليمين والشمال كأنهم السباع الضوارى وقد أحدقوا بهذا الهودج الأول وثمانين جارية مابين تركية وروميه وحبشية عليهم ملابس ملاح كأنهن الرياض حول الغياض وقد كشفن عن الشعور وهتكن الستور وفى ذلك الهودج امرأة من النساء الأحرار مسورة بأساور الفخار والبهاء مقنعة بقناع الجلال والديانة والحياء من أوصافها وتلوح جلالة القدر والظرف من أطرافها وهى تناوى بصوت رخيم ينبئ عن قدرها العظيم وتنادى للجوار : ويلكن اصبرن على القضاء وتلقياه بالقبول والرضا وارجعن إلى الله تعالى فى أموركن فان الذى قصدنا بيته لقادر أن يقيم لنا ناصر غير قاصر يخلصنا من هذه القوم اللئام الذين قطعوا الطريق على حجاج بيت الله الحرام (قال الراوى) فلما رأى الصحصاح إلى مصارع الأشباح وهذه الحريم فى بكا ونواح أخذته الحمية فصاح فى عبده نجاح وقال والله هؤلاء حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهؤلاء اللئام قطعوا عليهم الطريق وعوقوهم تعويق وأظنهم قتلوا كماتهم وأبادوا حماتهم ولقدسلوت حب ليلى باصطناع المعروف وإغاثة الملهوف ولابد أن ألقى روحى على هذه الكتيبة وأكشف ان شاء الله هذه المصيبة فقال له عبده نجاح يامولاى لاتفعل واعلم أن ما قصد لأخذ هذه الأموال وحماها إلا رجال وأبطال وصناديد أقيال ولابد أنهم تسعون فارس مابين مدرع ولابس ولا يخفى أن يكون واحد منهم مثلك والباقى لايصبروا على فعلك وقدكان فى هذه القافلةماينوف عن ستمائة فارس أو دون ذلك فتركوهم هؤلاء مابين مأسور وهالك ومطروح تحت السنابك والصواب يامولاى لاتعرض نفسك على هذه المهالك ولا تعارك فلما سمع الصحصاح من عبده ذلك الكلام نظر إليه وقال ياابن اللئام مايقعد عن نصرة الحريم إلا كل لئيم ثم صاح من أم رأسه : ياأندال البادية والطائفة الباغية العادية أقسم بمن جعل

البيت الحرام حمى للناس وأمناً من الباس وأوضح منهجه وأفرض حجه لئن لم تخلوا عن الحريم وما معهم من المال لأجعلن رقابكم بلا علاصم وأجسامكم بلاجماجم وجراحكم ماينفعها مراهم وقد نصحتكم نصح الليث الحازم ثم أنشد يقول :

ألا يا رجال السوء كفوا عن الطعن ... وكفوا عن الأموال والحمل والظعن

أحجاج بيت الله تبغون مغنما ... وذلك فعل الشين يقضى إلى المحن

دعوهم وإلا والمظلل من منى ... وحجاج بيت الله فى سائر المدن

جعلتكم فى القاع طعماً لاسده ... كذا الطير من نسر ويوم مع السن

وأجرى من دم الشجيع سواقيا ... كما سال ماء السيل من عارض المزن

(قال الراوى) ثم صاح بمهرته فخرجت مثل الريح الهبوب وأوسع فى المجال هذا وقد صاحت عليه الرجال وقالوا لبعضهم خذوه على رؤوس الأسنة الطوال فحمل عليه عشرة من أراذلهم لامن أبطالهم فما لاصقهم حتى فرقهم ولم يعلم أحدا من الحاضرين إلا قد علم عليهم برأس السنان وانتقل عن المجال وهجم عليهم وضرب فيهم وإذا بهم تساقطوا من ظهور الخيل على الرمال (قال الراوى) فقال رجل من القوم لاتزدروا بالعرب واعلموا أن هذا الفارس ماحدثته نفسه إلى لقاكم إلا وهوكفؤا لكم ولايخشاكم فاحملوا عليه فما هذا وقت التأنى عن هذا البطل النحرير ومعكم أموال الملوك وصعاليك الحجاز كثير فتكثر عليكم العرب ويصير هذا المال منتهب ولاتنولوا أرب (قال الراوى) فحمل على الصحصاح منهم أربعين فارس كأنهم الليوث العوابس فصاح ياأندال العرب ستعلمون من يكون المفتون ويذوق كاس المنون وطال بينهم الحرب والطعن والضرب وضاقت الصدور وعظمت الأمور وفاضت الدماء من أنابيب النحور فلله در الصحصاح فكم سلب منهم الأرواح وحامت عليهم العقبان ووقعت الرؤوس عن الأبدان وعمل فيهم الصحصاح مثل ماتعمل النار فى أحطاب السنديان هذا وعبده نجاح يقول ياكريم يافتاح يامن لايشغله شان عن شان ياحنان يامنان هذا عبدك الصحصاح وابن عبدك قدا تنخى وأخذته الحية الى هذه النسوان فانصره على أعدائك وما النصر إلا من عندك (قال) وكان عبد الصحصاح خلف ظهره لايفارقه وملاصقه فى كره وفره (قال الراوى) وقد طلع الغبار على الأقطار وقد رفعن الجوار الحسان أيديهن وأبصارهن الى الملك الرحمن وهن ينادون الأمان الأمان ياواحد ياماجد ياقادر على نصرة هذا الواحد الذى ماله سواك مساعد يامن تنزه عن الوالد والولد هذا وقدعلت الصرخات والزعقات وزادت

الرنات إلا أن العيون لاتنظرهم لأن الغبار قد علا على الرؤوس فى الآفاق وزاغت الأحداق ولاسمعوا سوى رنين السيوف الصقال وركد حوافر الخيل مثل الرعد فى المجال فبينما هم كذلك وإذا هم بجواد خالى من راكبه ظهر من تحت الغبار وثانى وثالث ورابع وخامس وسادس وسابع وثامن وتاسع وعاشر ولم يزالوا كذلك حتى خرج جواد صاحب العشرين فتطاولت اليه الأعناق ورمقته الأحداق وإذا بصاحبه قد مال ونصفه عن اليمين ونصفه على الشمال وانكشف الغبار عن الباغين وهم على تلك الأرض مطروحين (قال) وخرج الصحصاح وهو يمسح سيفه على معرفة مزنة وقد نزل على الأربعين فارس البلية والمحنة (قال) فلما نظروا الى الصحصاح علموا أنه فارس البطاح وعظم فى أعينهم فرفعوا اليه أصواتهم بالدعاء وقالوا يا فارس الإسلام وحامى زوّار البيت الحرام ويامانع عن الحريم كل لئيم وقاك الله نار الجحيم وأعاذك الله من الشيطان الرجيم فتبسم الصحصاح ونادى لعبده نجاح ويحك حل عقال هؤلاء المربوطين فتبادر نجاح وحل الأسارى هذا والستين قد بقى منهم عشرة حيارى من فعال الصحصاح وما منهم إلا من هم بالخروج اليه فى أول مرة فلما نظروا الى فعاله اعترفوا بكماله وخافوا من قتاله وهم بعيد ينظروا إلى خياله ويقولوا ما فينا إلا من هو له كفؤا ومنه أرجح ولكن قتله عند العرب أقرب أقبح فليبرز اليه واحد منا ويقول ياوجه العرب هذا المال يكون بيننا وبينك بالسوية واترك عنك هذه الحمية ولو كنا قلنا له فى بداية الحال ما كان تعرض لنا فى قتال قال وكان الصحصاح لما قتل الرجال أمر برفع العماريات التى وقعت فى الحال ورد النسوان الى المحامل ومال الى الهودج الكبير الموشح بالحرير والأطلس وكان لما رفع سجافه ظهرت جارية يقصر عن وصفها الصفات ويعجز عن نعتها النعات ورائحة الطيب تخرج من ذلك الهودج وتعبق تلك الفلوات فلما رأته قالت ياغلام لقد أوشدت فعلا وأكرمت أصلا ولقد أرضيت رباً كان بفعلهم غضبان وأوليتنا جميع الاحسان وصنتنا عن الوصول الى اللئام وحميت حجاج بيت الله الحرام فابشر بالملك العميم والمال الجسيم والكرامة الدائمة والحقوق اللازمة والعموم بالخير المتواترة وحسن الجزاء فى الدنيا والآخرة ثم انها جعلت تقول :

لقد أنقذتنا من قوم سوء ... لئام مارقين عن الشريعه
لأنك فارس الثقلين حقا ... وذو مجد ومرتبة رفيعه
حليف صنايع الاحسان طبعا ... ونحن كما ترى أهل الصنيعه

دفعت الشر عنا والرزايا وقد كنا بأحوال شنيعه
سيحمد ما فعلت بغير شك ويعقبها مجازاة الصنيعه

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك بكى بكاء شديدا وقال والله ما فعلت هذا السبب لكرامة فضة ولا ذهب بل رغبة فى ثواب الله وخلاصكم نعم المكسب ثم انه أنشا وجعل يقول :

حاش لله ياابنة السادة الكرما وأهل الاعظام والاجلال
قسما بالذى أمات وأحيا وتعالى عن قول كل محال
اننى ما بذلت نفسى لكسب عامدا لا ولا لأجل المال
بل أصون الحريم فى طاعة الله وحفظ الحجاج بين الجبال
وخلاص المقيدين من الأسر وقتل اللئام شر الرجال
قد سمعت الضجيج من كل فج وصراخ النسوان فى الجو عال
عذت لله نخوة عربية ثم بادرت حربهم بحد النصال
جاءنى منهم مقدمة الشر ورجالا عشرا لقصد القتال
فالتقطت الأرواح منهم سريعا لقط طير الفلا حبوب الرمال
ودنا الأربعين منى حربا فتلقيتهم بسمر العوال
لو يكونوا عدد ثلاثة آلاف من جيوش الاقيال والضلال
لم أكن فازعاً ولا أرهب الموت ولم أخش من قتال الرجال
ولك العهد والزمام من الله ولسنا نروم أخذ عقال
إننى سيد ونسل كرام لست أرجو على الجزا أخذ مال

(قال الراوى) فما فرغ من شعره إلا وعبد أسود قادم عليه ووصل اليه وحياه بتحية الملوك وخاطبه مخاطبة الشجعان وقال له انى رسول اليك أقص ماحملته عليك وما على الرسول عتب فيما يقول أفتأذن لى يامولاى أن أقول ولى الأمان فقال الصحصاح قل وأنت آمن فقال أنا رسول من عند هؤلاء الأمراء الذين هم قدامك وهم فرسان العرب وأبطال الحجاز والمقدمين على جميع الذين نصرك الله عليهم وأوصلك اليهم وما تأخر هؤلاء العشرة إلا وكل واحد يريد لرأسه ألف فارس وقد أعجبهم طعانك وصولتك على أقرانك غيرانهم رحموا شبابك وهم يقولون قدوهبناك دم القتلى وخيولهم وأسلابهم ثم يسألوك عن هذه الغنيمة بشىء له قدر وقيمة وأكبر الغنائم سلامة نفسك وعودتك سالم الى محلك ولا تلق بيدك الى التهلكة وتوقع شبابك فى الهلكة ولو لم يكن فيهم إلا الغضبان والغيداق الذى يضرب بهم الأمثال فى سائر الآفاق وشوم الزمان والهجام

الذى لاينكر شجاعته أحد من الأنام ولو أراد كل واحد منهم أن يفتح البلاد ويقتل العباد لفعل وهم قد أنذروك وحذروك فارحم شبابك وإلا كأنك بكاس المنية قد أصابك وما تأخروا عنك إلا انهم يروا فى براز مثلك العار وماجئتك إلا وقد تراضوا أن تكون الحادى عشر منهم فى القسمة وتذهب الى أهلك بالشكر والنعمة وتربح المعرفة بهذه الأبطال وتحسب من جملة الأقيال وإن خالفت تخلفت وإن رضيت سلمت والرأى بعد ذلك إليك (قال الراوى) فلماسمع الصحصاح ذلك ضحك حتى استلقى على قربوص سرجه ونادى ياويلك إن كنت ماتعرفنى أنا أعرفك بنفسى أنا الصحصاح بن جندبة بن الحارث الكلابى قاتل الغطريف بن مالك فارس بنى طى وقاهر بنى كنده وخلصت عطاف من كل شدة أنا قاتل الأسد على الغدير أنا قاتل السفاك اللعين ارجع اليهم وقل لهم انى ما أقاسم على وفد الله ولا آخذ حجاج بيت الله فان طلبوا البراز يبارزونى وان شاءوا الحملة يحملوا علىّ بأجمعهم ويظهرون شدتهم فعندى الكثير والقليل سواء إذا جالت الخيل فى البيداء وأما قولهم يعطونى من الغنيمة فهى بيدى وقد صارت لى غير أنى تركتها لله عز وجل (ياساده) فرجع العبد الى أصحابه وأعاد عليهم ما سمع فلما سمعوا ذلك انحدروا من التل كأنهم العقبان إذا انقضت على الغزلان وسبق اليه الغضبان كأنه شيطان على حصان كأنه ثعبان يطير من تحته طيران كأنه البرق الزائد اللمعان له من الريح يدان ومن الظبا رجلان ومن الفجر غرته وتحجيلته ومن العزم صهيله ومن الليل لونه ومن النهار كونه يدهش من يراه فهو كما قال فيه الشاعر :

تطبع صم الحصى حوافره　　طبع الخواتيم لين الطين
ينقض جريا من تحت راكبه　　كالباز فى الجو والشواهين
ريح سليمان منه قد عجبت　　وقصرت عنه فى الميادين

(قال الراوى) وعلى الغضبان صدر من زرد كثيرة العدد كأنها عيون الجرد فهى حصن من الموت ودرع من الفوت ضيقة العيون كما قال فيها الشاعر :

وكل من يلبسها　　فى بطن حصن مانع
فهى له واقيه　　من كل سيف قاطع

(قال الراوى) وفى يده سيف يمانى من سيوف معد بن عدنان ورمح طويل ونادى اليه دونك ياصحصاح الضرب والطعان واثبت فى الحرب للفرسان وأنشد يقول :

دونك ياصحصاح والطعانا　　فما ترى من أسمرى أمانا
فخذمنى فى حومة الميدانا　　ليعرف الشجاع والجبانا

كفاك أنى لم أزل غضباناً　　أجندل الأبطال والأقرانا

(قال الراوى) فعند ذلك صاح الصحصاح على مزنة وكانت إذا طلبت نالت وإذا طلبت فاتت ثم حمل على الغضبان وأنشد يقول

إذا كنت غضباناً فانى راضى　　ولى حسام فى الرقاب ماضى

قد ضربت من يد ليث فى الوغا　　كان خياض منه فى الخياضى

(قال الراوى) ثم تطاعنا طعناً أحر من الجمر وأمر من الصبر واختلف بينهما طعنتين كان السابق بالأولى الصحصاح فوقعت فى صدر الغضبان خرج من ظهره ذلك السنان فعند ذلك تصارخت الرجال وزمجرت الأبطال ونادوا يا ويلك إيش هذا الفعال والله ما نحن الاجهال استيقظوا وإلا أفنا كم هذا الغلام فقد أباد الرجال والأبطال وأراد أن يأخذ هذه الأموال فاحملوا عليه ثم قطعوا منه الأوصال فان العار قتلكم واحد بعد واحد فلما رأوا ذلك صواب أرادوا أن يحملوا عليه وإذا بفارس يقال له الصهال قد برز على جواد ديال يسبق ريح الجنوب والشمال وبين عينيه غرة كالهلال وفى يده صارم منصال للأبطال قتال فلما تقارب اليه فى الوصول أنشد وجعل يقول

لقد جاءك الصهال يا صحصاح　　فدونك الضراب فى الكفاح

اليوم تبقى فى ثرى الكفاح　　معفر فى الترب غير صاحى

كم فارس ممارس وقاح　　تركته شلوى على البطاح

بضرب هندى من الصفاح　　أو طعن خطى من الرماح

انى أنا الصهال ذو السلاح　　تفزع منى سائر النواحى

(قال الراوى) فأجابه الصحصاح وأنشد هذه الأبيات الملاح يقول

ستعلم يا صهال أنى صميدع　　أبيد الأعادى بالحسام المهند

وأضرب رقاب العادين بصارم　　وأطعن فيهم كل قرم ومعتد

ولو كانوا ألفاً يبرزون قتلتهم　　وحق النبى الهاشمى محمد

وإنى أنا الصحصاح والحرب سيمتى　　ولى الشرف الأسنى على كل سيد

بضرب صفاح أو بطعنة أسمر　　من القتل مناع إلى كل معتد

(قال الراوى) وحمل كل واحد منهما على صاحبه وطلع عليهم الغبار حتى خفيا عن أعين النظار ولم يمهله الصحصاح دون أن زعق عليه وضربه بالسيف على عاتقه أخرج السيف يلمع من بين علائمه فلما رأته صاحبة الهودج نادته لا شلت يداك وخاب فيك

رجا أعداك وأنشدت من الهودج تقول

احمى الحريم فان خير ... الناس من يحمى الحريما
فقلوب نيران العدا ... بحروبها صارت حميما
أنفاسها مما بدا ... قد عاد باردها سموما
لولاك أضحى يومنا ... من ظلمهم يوما ذميما
لولاك يا صحصاح كنا ... فى الهموم وفى الغموما
اثبت ثبت على الصراط ... ولا لقيت الدهر شيما

(قال الراوى) وما فرغت من شعرها حتى حمل عليه من الثمانية واحد يقال له أبو النوائب وهو كأنه بعض السلاهب ومعه صارم مجرد الى يوم النوائب يقطع الظهر والترائب ولا يكثر فيه كثرة المضارب ونادى يا كلب بنى كلاب اليوم أوريك المعاطب أنا الفارس المعروف ليوم المصائب ثم حمل عليه وأنشد يقول

امهل فقد جاءك أبو النوائب ... بصارم من أفتك القواضب
انى أقول قولا غير كاذب ... اليوم منى تبلغ المعاطب

(قال الراوى) ثم تقاربا وتباعدا وتعاركا وتشابكا واختلفا فى الطعان والضرب فأقبل الصحصاح على أبو النوائب وقال له ياويلك مالى أراك تباعدت بعدما تواصلت ثم أنشد يقول :

اثبت لطعنى يا أبا النوائب ... إن كنت ما تخشى من المصائب
أنا الهمام البطل المواثب ... قد سرت فى الشرق والمغارب
إنى لخصمى طاعن وضارب ... وأقتل الأبطال بالقواضب
لا ذقت برد الماء فى المشارب ... إذ لم أدعكم سرعة الكتائب

(قال الراوى) فلما سمع شعر الصحصاح فصاح فى وجهه وانحدر اليه وأقبل عليه وتطاعنا بالرماح وتضاربا بالصفاح واختلف بينهم طعنتين كان السابق بالأولى الصحصاح فوقعت فى فاه خرج سنان الرمح من قفاه فوقع صريع فحمل عليه رجل يقال له الخطاف وهو على جواد مليح سريع الالتفات والانعطاف وبيده حسام لأرواح العدى خطاف ثم أنشد يقول :

وافاك يا صحصاح ليث وافى ... بصارم فى حده التلاف
أنا الهمام القسورى المكافى ... رمحى لأرقاب العدا خطاف
كل الورى قد علموا أوصافى ... أنى أنا أعرف بالخطاف

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح شعره أجابه يقول :

وافاك ليث فى الحروب جافى ... وجاءك الموت مع التلاف
إنى أنا الصحصاح ليث وافى ... أسقيكم كاسا من التلاف
فاثبت لحربى ناظر التعطافى ... حتى يصير النقع غير صافى

(قال الراوى) ثم دنا كلا منهما إلى صاحبه وتلاقيا وتطاعنا واختلف بينهما ضربتين قاطعتين كان السابق بالأولى الصحصاح ضربه على هامه أرماه أمامه وذاق حمامة فخرج من بعده ترهب وهو كأنه سلهب والنار من عينيه تتلهب وهو راكب على جواد أشهب مقلد بصارم مشطب وهو يقول :

أتاك ياصحصاح ليث أغلب ... غشمشم يوم الهياج مغضب
على الليوث فى القفار يوثب ... اليهم بسانه والمخلب
أنا الهمام القسورى ترهب ... أخطف أوواح العدا وأنهب

(قال الراوى) فأجابه الصحصاح على عروض شعره يقول :

وافاك ياترهب ليث غالب ... بعوده فى الحرب ليث يغلب
رأسك بالصارم فهو يضرب ... ويلك دع عنك الحريم واذهب
فليس اسعى خلفكم فى الطلب ... وكاس حتف الموت حقا تشرب

(قال الراوى) ثم جالا واستطالا واختلف بينهما طعنتين كان السابق بالطعنة الصحصاح فأخذها ترهب فى الطارقة فمرت خائبة فاغتاظ الصحصاح من ذلك هذا وترهب قد أخذ فى الحملة وصوب اليه بطعنة فى الجملة فزاغ عنها واعتدل ثم أدخل الصحصاح يده فى جلابيب درعه أخذه من بحر سرجه وقاده ذليل حقير فأخذه نجاح ودار كتافة فلما نظروا الى ذلك فقال لهم رجل انى أشير عليكم وتقبلوا منى فقالوا نعم فقال خلوا هذا الرجل واذهبوا وان قدرتم على الهرب فاهربوا وإلا تصير مثل للأبعد والأقرب ويسقيكم هذا الفارس كاس العطب فلما سمعوا كلامه لم يطيعوه وعظمت الأموال وتلك الغنيمة فى أعينهم فبعد عنهم ذلك الرجل وطلب البر الأقفر وقال من نجا بعمره من هذا فما يخسر ثم أنشد يقول :

يانفس سيرى واتركى الضرابا ... واتركى ذا الحرب والحرابا
وان نجوت كان ذا صوابا ... لأن ذا الصحصاح ليث الغابا

(قال الراوى) فتحدر اليه فارس يقال له الحجاف وكان سمع شعر الرجل فقال ياصحصاح لحى الله من يسمع من رجال أبدال أو يفزع من ملاقاة الرجال الأبطال ثم

قال ويلك أنا الأمير حجاف اليوم أذيقك التلاف ثم أنشد وجعل يقول

مهلا رويدا جاءك الحجافا ... صميدع غضنفر عطافا
أرواح عداه لها قطافا ... صارمه فى حده التلافا

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ما قاله حمل عليه وأنشد وهو بين يديه :

مهلا قد عاجلك التلافا ... من كف ليث كم له ائتلافا
يرجو بهذا الفوز والاسعافا ... من ربه لايختشى التلافا

(قال الراوى) فلما سمع الحجاف شعر الصحصاح علم أنه بطل جحجاح فطلب أن يرجع الى أصحابه فخاف أن يعايروه برجوعه فشجع قلبه وتقدم الى الميدان فصاح عليه الصحصاح وضربه أطاح الرأس عن البدن وحل به الهلاك والمحن (قال الراوى) وخرج بعده الغيداق فلحقه بالرفاق وخرج اليه مخادع الحرب واشتد بينهما الطعن والضرب فرأى من الصحصاح ضرب مثل النار فى الالتهاب فصاح عليه ياصحصاح ما أنت إلا ساحر عظيم ومن عظم سحرك ضربت فرسك قطعت رجلها وهى تمشى على ثلاث قوائم فاما أن يكون هذا من شدة سحرك والآثام أو ببركة حجاج البيت الحرام (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح كلامه ظن أن قوله حق ومن محبته فى فرسه مزنه وخوفه عليها طل الى الأرض ينظر اليها فهنالك جاءه مخادع وضربه أسرع من البرق فوقعت الضربه على البيضة فقدتها نصفين ووقع الصحصاح الى الأرض قال فظن مقاتله مخادع أنه قتيل وصار على الغبرا جديل فلم يمهله الصحصاح دون أن قام وضربه على قوائم فرسه فوقع منها اثنين ووقع مخادع الى الأرض فالتقاه الصحصاح بصاومه وضربه فقسمه نصفين وكانوا النساء والبنات لما وقع الصحصاح زاد بهم البكا والحزن والصياح فلم يشعروا إلا وهو راكب على مزنه ولا أصابه ضربة ولاطعنة فارتفعت الأصوات بالتهليل والتكبير والصلاة على النذير ولم يبق غير مقدم تلك الفرسان وكان يقال له شوم الزمان وهو فارس من الشجعان فخرج اليه وهو راكب على جواد سابق عربى لا حق طلوب هبوب كالماء إذا اندفق من ضيق الأنبوب كما قال فيه الشاعر بأحسن أسلوب

وأدهم اذ هبت به الريح ساعة ... فما لحقت من حافريه غبارا
يمر جلاميد الصخور بوطئه ... ويقدمن حرؤس المفاوز نارا

(قال الراوى) ثم ان ذلك الفارس تقدم وصاح وأتى الى عند الصحصاح وقال ويلك ان الذى قتلتهم خدمى وأنا الذى قتلت الأتراك وأسرت الكماة وقد رأيت

الخروج اليك عار يقولوا خرج شوم الزمان وسيد الأقران الى بعض مجاهيل العرب وأنا قد وهبتك دمك فاذهب حيث شئت فانى أشتهى أن يكون قد نشى فى البر فارس ذو شجاعة ويكون قتله على يدى شناعة وإنى رأيت أن تكون لى ملازما نأخذ الحجاج فى كل عام فهو أحب اليك من ضرب الحسام ثم إن شوم الزمان أنشد يقول

أنا مردى الفرسان شوم الزمان ومبيد الأبطال والأقران
وعصيت الرحمن دهرا طويلا مع على بأن ذا طغيان
لو رأيت الشيطان فى موقف الحرب لا زالت شجاعه الشجعان
ارض ياذا وخذ من الكسب ماشئت وإلا غبت فى ثرى الصحصان
يأكل الطير منك والوحش اذ كنت قتيلا فى معرك الجولان
ليس لى بغية سوى أخذ مال من حرام وهتك ذا النسوان

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح شعره والنظام فناداه يا ابن اللئام وحق من خلق الأنام وغسق الظلام لأبيدك فى هذا الميدان وأوريك عاقبة ظلمك لهذه النسوان يا قرنان يا ابن القرنان ثم أجابه الصحصاح يقول هذه الأبيات

لعن الله شوم هذا الزمان ورماه بالذل والخذلان
وحق من دحا الأرضين من ماء وما له من شان
قسما لو رأيت ما تلتقيه موت ألف من بعدها ألفان
لم تكن واصلا إلى أهل وفد حتى أنى أموت فى الميدان
وأخليك نائم على فدفد الأرض ومن رؤسكم فارقت الأبدان

(قال الراوى) ثم حمل كل منهما على صاحبه وتطاعنوا بالرماح وتضاربوا بالصفاح حتى كلت منهما السواعد وهاج شوم الزمان مثل الجمال وله صوت أدوت منه الجبال فصاح به الصحصاح يا بقية الأندال اليوم أسقيك كاس الوبال ثم هجم عليه وضربه بالسيف على عاتقه خرج يلمع من علائقه وعجل الله به الى سقر وخرج الصحصاح من تحت الغبار ووجهه مثل القمر قال وأمر الصحصاح عبده نجاح بأخذ أسلاب الستين فارس الذى ردها خاسره وتركهم صرعى إلى يوم الآخرة وخيولهم فى الفلاة نافرة وهى على فقد أصحابها حائرة وقد عضدت لجاماتها وعلقت حزاماتها هذا والأمير الصحصاح راكب على ظهر مزنة وقد نهب الأرواح وأيده الله بالنصر والفلاح فأنشد يقول هذه الأبيات :

نجوت وخيل الموت تطلبنى كدا ... على أننى أصبحت بين الورى فردا
أتونى بعشر عجل الله حتفهم ... على قعر نار حر قط ما يهدا
وساروا الى الأربعين جهالة ... فأوريتهم قتلى ولم أعدم الجهدا
ومن بعدهم قدجاءنى العبد ناصح ... ولم أك يوم الروع أستفصح العبدا
فقال ترى شوم الزمان وصحبه ... قيام يرون العار وقد يهدم المجد
وغيداق والصهال يتلوه ترهب ... وحجاف أيضا والخزامى قدشدا
فكن آخذاً بعض الغنيمة راجياً ... لنفسك أولا واتخذ فى الفلا مجداً
فقلت لهم دون الغنيمة حائل ... بعيد عبار النقع فيكم إذا جدا
هناك أتانى فارس بعد فارس ... فألبستهم ثوب المذلة مسودا
وأوردتهم حوض المنية حيث لا ... يذقون إلا الموت من صارمى وردا
فخادعنى منهم خبيث مخادع ... فعاودته فوق الثرى عافر الخدا
ومال بجنب الأرض حتى كأنه ... ثنية طود زاده دهره هدا
ولم يبق إلا فارس القوم وحده ... يقال له شوم الزمان قد اتعدا
فقومت حد السيف فى أم رأسه ... ومكنت منه الصارم الابتر الحدا
وعدت كليث الغاب يحمى فريسه ... بقهر وعن أشباله يمنع الأسدا
أذقت بنى مخزوم طعم صارمى ... من الموت لا يحلو لمن زجه شهدا

(قال الراوى) ورجع الصحصاح طالب الهودج الأول وكانت صاحبة الهودج قد رفعت ديل السجاف وهى تنظر إلى قتاله وتتعجب من فعاله وتسأل الله تعالى أن ينصره على أعداه وأن يبلغه ما تمناه قال وكان الصحصاح عطش وبقى يلوز ولا يقدر أن يسأل صاحبة الهودج على ذلك فعرفت منه ذلك فناولته طاسه من ذهب فيها ماء وعسل ولبن هو أبرد من الثلج فشرب منه الصحصاح فسكن ما به التعب والشقا واستراح ثم أخرجت قدحاً من الزمرد الأخضر فيه مسك وكافور وعنبر ممزوج بماء الورد والزعفران الأصفر ثم خلقت الصحصاح هى وجوارها بعد ما نزلت من الهودج وكذلك فعلت بمرنة ثم قالت له يا سيد العرب وكاشف البأس والكرب وحامى الحريم ووافى الذمم أبشر بالنعم فقد وفر الله لك القسم وسوف تتحدث بحديثك الأمم ثم أشارت تمدحه بهذه الأبيات

لعمرت لقد أرضيت ربك بالذى ... فعلت وأرضيت النبى محمدا
وخلصتنا من ذله الأسر بعدما ... بدا شملنا فى الصحصحان مبددا

جزاك إله العرش خيرا مؤبدا ... ودمت لنا ما دام طيرا مغردا
فأنت الذى عودت بالخير عادة ... لكل امرىء من دهره ما تعودا
تفردت أن لا تهتك الدهر حرمة ... فما زلت منصورا كريماً مؤيدا
وسوف تنل يا فارس القوم اننا ... نجازيك طول الدهر مادمت سرمدا
وأنت من الاحسان تلق مغانماً ... وفخرا ومجدا لا يزول وسؤددا
فعلت جميلا يعجز الخلق وصفه ... وذكرك يبقى فى الزمان مخلدا

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح شعرها أطرق إلى الأرض ولم يتكلم فصاح عليه عبده نجاح يا مولاى ما هذا الوقوف وعليك صداق عظيم وفى هذه الغنيمة المال الجسيم فخذها وانصرف إلى أهلك واجمع بمن تحبه شملك فقال له الصحصاح اسكت يا ابن الزنا وتربية الخنا ويلك نحن نستقبح هذه الفعال لغيرنا فكيف نرضاها لأنفسنا أتأمرنى أن أبدل الفرح بالترح والمعروف بالمنكر والجنة بسقر يا ويلك هؤلاء القوم كانوا أدركتهم الأعدا ووقفوا فى موقف الهوان والردا فلما خلصتهم فرحوا فرحا شديدا بخلاصهم من العدا أهل الفتن وبعد ذلك تريد أوقع بهم الغم والحزن وأبدل الصلاح بالفساد فلا كان ذلك أبدا ولو سقيت كؤوس الردا واعلم يا نجاح أن الكريم الفتاح حى باق رازق قادر على كل شىء فدع عنك الهوى والغى فقال له نجاح وقد عرف الصواب فالى متى يا سيد هذا الغياب وأنت وراءك الأعداء والأصحاب فان كنت تفعل هكذا فارجع إلى أهلك فلا من غانم استفدت ولا من هؤلاء أخذت فمن أين يحصل الصداق بعد هذا الحرمان فبالله يا مولاى لا تتعب سرنا وتشتتنا عن الأوطان فكفانا ما لقينا وما من فعل الجميل أولينا فعندها أنشد الصحصاح مجاوباً بهذا النظام إلى عبده نجاح كما كانت عادة العرب الكرام صلوا على مصباح الظلام محمد المبعوث هادياً للأنام

دع عنك لومى وارع صاحب الوادى ... مع الحجيج فليس العذل بالهادى
وخلص القوم من أيدى العدا كرما ... بحد سيف صقيل قاتل العادى
واحفظ لوفد أهيل الله حيث هم ... بلا معين سوى الرحمن بالوادى
فقد أشرت بشىء لست أفعله ... إن كنت تبغى صلاحى فهو إفسادى
فلا تلمنى على شىء فعلت له ... فقد تقدم قول الرائح الغادى
بيتاً شريفا وكل الخلق تقصده ... أيضا ويحدو به فى سيره الحادى
الخير يبقى وإن طال الزمان به ... والشر يبدو لفاعله على الزادى

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح أطلق المأمورين كما قدمنا وقال لهم اركبوا الخيل التى أخذتها من الأعداء فهى لكم وأنتم أولى بها منى فى هذه الطريق الصعبة المسالك ولو غضب عبدى نجاح وصار هالك ثم ودع صاحبة الهودج وأراد أنه يرجع فصاحت عليه وأخذها الضجيج والبكاء وكذلك جوارها والتفتت اليه كأنها الكوكب الوضاح غير أن الأعين تذرف بالدموع الساح وعليها الهيبة والوقار وتشهد النفوس بشرفها والافتخار فتعلقت بركاب الصحصاح وقالت له يا سيد العرب وكاشف الكرب وكريم إذا جاد وحامى الديار من العدو إذا لها طلب فلماذا ما تكون معنا وتنظر كرامتنا لتشملك عنايتنا فاصبر حتى أقول لك من أنا وتبلغ آمال المنى فقال لها الصحصاح بعد ما وقف اليها هيهات أيها المصونه لا كان ذلك أبدا ولا نأخذ على اصطناع المعروف جزاء ثم أنشد يقول :

فلست أريد فضلا يا كرام ... على فعل الجميل من الأنام
ولكنى أصيد الوغد عنفا ... وأقطع للأعادى بالحسام
ولا أحمى الحرائر لأجل مال ... ولكنى أبيح لهم زمام

(قال الراوى) فلما فرغ الصحصاح من شعره ألوى عنان مزنه ليمضى فقالت صاحبة الهودج وقد أخذها القلق لا تفعل أيها الأمير فقد سبق على لسانك أنك ذممت لنا ونحن أضعف خلق الله ههنا ومعنا هذه الأموال والأثقال وكل إنسان من الفرسان أتانا ونظرنا فيطمع فينا ونكون نهبا لعرب الحجاز ولا يتفق لنا فى كل يوم مثلك وقد قيل :

* وليس فى كل وقت ينجح الطلب *

فأوصلنا إلى أمننا وإلا نحن هالكين لا محاله وان كنت لا تعرفنى أنا أعرفك حسبي ونسبي ومن هو يكن أبى أنا مروه بنت أمير المؤمنين وإمام المسلمين ومن طاعته فرض على المؤمنين العارفين عبد الملك بن مروان فسير معنا وأوصلنا إلى أرض نسرين وسلخت وإلا نحن فى قبضة الهوى والهلاك وما لنا من الأسر فكاك وسوف أيها البطل الشجاع تحمد عاقبة أمرك فى جميع البقاع وان الثناء يبقى لك وان لم ترغب فى المال ارغب الثناء من الرجال أما تعلم أن الخبر السوء يطير وسوف يبلغ ذلك الى أبى وتسير الجيوش فى طلبي فتملأ الفلا وتسد المستوى فاغتنم صداقة من يشرفك على أهل عصرك ويكون سببا لرفع قدرك قال وبكت مروه وأهملت الدموع من فؤاد موجوع وأنشدت :

فعلت الخير يا نسل الكرام ... به فضلت عن جميع الأنام
وجندلت الذين بغوا علينا ... وخلصلت الكرام من اللئام
أنا بنت الخليفة كن مجيرى ... وبالغ فى مناصحة الامام
ليحمد ما صنعت وسوف تلقى ... نجاح الأمر مع نيل المرام
فتمم ما فعلت وسير معانا ... لتوصلنا إلى أرض الشآم
وإلا نحن فى أسرى الأعادى ... بلا شك ونضرب بالحسام
أجرنا يا أمير ولا تدعنا ... غنيمة للعدا كسب الحرام

(قال الراوى) وجعلت مروه تتعلق به فنظر إلى حرمتها وجريان دموعها على وجنتها فرق قلبه عليها وثبت عنده إجلالها لأنه لايعرف من هى ولا من أبوها لأنه خرج من أرضه وهو صبى وهو ما يعرف خاص ولا عام وكسب الثنا وأبى القنا ولا يعرف مأموم ولا إمام فأجابها إلى ذلك هذا ونجاح انفطرت مرارته وزادت لوعته فقال فى نفسه لا كنت شيئا تفلح (قال الراوى) وكان من أعجب الأمور أن السيده مروه بنت عبد الملك بن مروان كانت خرجت إلى الحجاز فى تلك السنة وهى فى هذا التجميل وخرج معها عالم عظيم من أرض الشام وخرج من جملتهم شاعرا يقال له عمرو بن أبى ربيعة المخزومى وكانت مروه قد سمعت به فى دمشق أنه يتعرض بشعره لذكر النساء الغانيات ويصف محاسنهم فى الأبيات وما علمت أنه معها فى الحاج حتى جاوزت نصف الطريق فما أمكنها الرجوع وإلا كانت قد رجعت وندمت على ماصنعت وصارت تخفى نفسها فى هودجها بحيث أن النساء لا يقدرن على رؤيتها وكان هذا كله مخافة لاينظرها ذلك الشاعر لأنها كانت من أهل الحسن الفائق والجمال اللائق موصوفة بالتقى والصلاح وشرف النسب والعفه والصيانه ولم تزل مروه كذلك إلى أن قضت الحج والعمره وتصدقت بالأموال على الفقراء والمساكين وأكست الأرامل والمنقطعين وعولت على الإقامة بمكة إلى أن يصل الحج ويرحل إلى الشام ويرحل الشاعر معه إلى بلاده وأرحل مع عبيدى وغلمانى وأكون وحدى منفرده بنفسى ومامعى من الخدم والجوار وكانت تقول ذلك المقال لعلمها أن أحدا لايقبل عليها لهيبة وقارها وقالت ان تعسر على الرجوع أقمت إلى العام القابل وكان هذا كله مخافة على عرضها من ذلك الشاعر أن يذكرها على ألسنة الناس قال وسار أمير الحج وهو يظن أنها معه فى الوفد وهى قد أقامت بعده ثلاثة أيام ورحلت وقد عاينت العربان مامعها من الحمل والأموال هذا وقد درى بها عبد الله بن الزبير حاكم مكه فأخرج معها ناس فى خدمتها وقد ظهرت تلك النعم والتحف

والجواهر والذهب والعرب من عادتها الطمع فخرج من مكة قوم يقال لهم بنى مخزيه وساروا إلى أهلهم وقالوا يا بنى عمنا قد جاءكم الغنى وزال عنكم العنا هذه مروه ابنة عبد الملك بن مروان وقد أخذت من نوائب الدهر الأمان وتحسب أنها بين المدن والبلدان ومعها من الأموال والجوار الحسان ما يقصر عن وصفه اللسان فدونكم يا بنى العم والغنيمة التى لا يمنعكم عنها مانع ولا يدفعكم دافع (قال الراوى) فنهض الغضبان وشوم الزمان ومن قدمنا ذكرهم من الفرسان وكان عدتهم مائتين فارس أبطال عوابس وخرج معهم شيخ عارف وهو قاضى العرب وكان يقال له صفوان بن دام إلا أن الله تعالى أعمى بصيرته لأنه علم أنها بنت أمير المؤمنين فخرج معهم الى نهبها وحمله على ذلك الطمع فى حب الدنيا والميل اليها فحمل نفسه على هذه البلية وقد قال عليه الصلاة والسلام « حب الدنيا رأس كل خطيئة » وكانوا أكمنوا عليها فى مائتين فارس فى أرض مخزيه وما كان لمروه طريق إلا من هناك (قال الراوى) فلما وصلت الى ذلك المكان ثارت عليها الرجال بالسيوف الصقال والرماح الطوال وحملت عليهم الرجال واشتد القتال وداقعوا عنها غلمانها إلى أن قتل أكثرهم وكذلك الذى أرسلهم الزبير من عسكر مكة فلما قهروهم بنى مخزيه وقتلوا كل من مانع ودافع وأخذوا الأموال والحريم وربطوهم على الجمال والبغال وأنزلوا بهم الذل والخبال وأخذوا مروة وما معها فى الأسر والاعتقال فعندذلك صاحت عليهم الست مروة وقالت لهم أذلكم الله من عرب لئام أما تخافون من الحق سبحانه وتعالى أما علمتم أنى بنت الملك عبد الملك بن مروان وانه يطلبكم من كل جهة ومكان أما تراعون زوار البيت الحرام أما فيكم من له قلب رحيم يغير على الحريم ثم أنشدت مروة تقول :

أذلكم رب العباد ياويلكم ... من عرب فليس فيكم مسلما
يرثى إلى ما حل بى ... لا تحقروا ذمة من أضحى شريف النسب
إن كنتم من بعدها ... ماتعرفوا فعل أبى ما فيكم ذو حسب
يجعلنا فى الحسب ... ونحن نجزيه بما يحمده من طلب
وسوف نعطيه الذى ... يختاره من ذهب

(قال الراوى) فلما سمع القاضى صفوان كلامها وكان نائم فاستفاق وأقبل على شوم الزمان وقال له أيها الأمير من لايحسب العواقب ماالدهر له بصاحب ومن لايصون الحريم ماهو رجل كريم والصواب اننا نرجع عن قبيح الذنوب والخطر الجسيم فقد قدمنا على أمر عظيم مع هذه النسوة واننا نأخذ من هذه السيدة المال الجزيل ونفوز

من أباها مروان بالجميل ونوصلها الى أمانها ونردها إلى مكانها ونقصد بها الى الشام ونأخذ منها الزمام بالعفو عما كان منا من الاجرام ونعلمها اننا ماعرفناها (قال الراوى) فلما سمع كلامه غضب شوم الزمان وقال له دع عنك هذا الهذيان ياصفوان ولا تأمرنا بالحرمان (قال) فراجعه صفوان وذكر اليه ما يكون من أمر الملك مروان فلم يسمع كلامه ثم سل عليه شوم الزمان حسامه فصاح صفوان على رجاله وصاح الآخر على أبطاله وعمل بينهم سيف البغى ونزل بهم ماسطر فى الكتاب فحمل شوم الزمان على صفوان وطعنه بالرمح فى صدره أخرج سنانه من وسط ظهره وأوقع السيف فى أصحابه فما سلم منهم أحد وقتل من أصحاب شوم الزمان أربعين وبقى ستين واحتوى على الغنيمة وساروا فى حساب قسم الغنيمة ولقيهم الصحصاح وخلص مروه كما ذكرنا وأجابها إلى ذلك وقال ياسيدة العرب وكريمة النسب أنا أسير معك إلى حيث تأمنين فدعوا له وفرحوا وهللوا وكبروا وأقاموا بقية يومهم حتى استراحوا وقرت أرواح المأسورين الذين كانوا مشدودين وهم ثلاثون فارس وكان السبب فى ذلك أنهم لما انهزموا من الوقعة الأولى التى جرت بين صفوان وشوم الزمان فوقعوا فى أرض معطشة وأيقنوا فيها بالهلاك فلما رأوه استغاثوا وخافوا أن يقتلهم شوم الزمان فشدهم كتاف وساروا إلى وادى يقال له وردان فعند ذلك لقيهم الصحصاح وجرى لهم ماجرى وسار بهم طالب أرض الشام ونرجع الى الحديث (قال الراوى) وكان الخليفة منتظر الى قدوم الحاج ويظن أن مروة تأتى معه وهو لايعلم ماجرت به المقادير من القضاء والتدبير وكان وصول النجابه من مكه من عند عبد الله بن الزبير قبل أن يصل الصحصاح فقامت دمشق على ساق وقدم وخاف عبدالملك على ابنته مروه لأنها كانت أعز الناس عليه وأحبهم لديه لعقلها وعلمها فأحضر أولاده وكانوا عشرة وأخبرهم بالخبر فعظم عليهم وكبر لديهم وكثر بكاهم والنحيب وقال له ولده الأكبر وكان اسمه مسلمة وهو صاحب الرأى الأوفر ياأمير المؤمنين إن من الصواب أن تكتب كتاب الى ملك العرب مروان بن الهيثم السلمى الذى أوليته رقاب العباد شرقا وغربا وتأمره بخلاص ابنتك وحفظها وتكتب فى الكتاب العجل العجل قبل فوات الأجل وتقول له أريد منك العرب الذين فعلوا هذه الفعال وتخلص مروه من الاعتقال وتقتل بنى مخزيه وتوقع بهم كل أذيه ولا تترك على وجه الأرض منهم أحد لا أنثى ولا ذكر حتى يصيروا عبرة لمن اعتبر وان استجاروا عليك ببعض العرب ولا تقدر عليهم فأعلمنى حتى أمدك بمراكب وكتائب أولهم عندك فى الحجاز وآخرهم عندى وان قصرت بعد هذا

الكتاب تركت ديارك خراب ولا أترك من بنى سليم أحد من الأعراب وكتب مسلمة هذا كله فى الكتاب وقرأه بعد ذلك على أبيه وأنفذه مع نجاب وشاع خبره فى دمشق وورد على الناس مورد عظيم وبكا كل قوم على أهلهم وندبت النوادب على كل مسافر وغائب (قال الراوى) ووصل النجاب الى مروان بن الهيثم ملك العرب فلما قرأ الكتاب قامت عليه القيامه وكان سمع بسبي مروه الا أنه ما حق ذلك إلا حتى وصل ذلك الكتاب اليه فلما صح عنده ذلك صاح فى بنى سليم بالرحيل وساروا فى ستين ألف فارس ونزل على بنى مخزية ووضع السيف فيهم ولا أبقى على شيخ لكبر سنه ولا على غلام لعدم ذهنه وسبى البنات والجوار وهتك النساء والأحرار وعمت المصيبة على جميع خلفاهم من جميع الأودية والشعاب وأوقعوا بهم هذه الستين ألف فارس وأتباعهم شوم العذاب كما قيل فى الأمثال

وحرب جره سفهاء قوم ... فحل بغير جانيه العذاب

(قال الراوى) ولما بقيت الدنيا منهم بلاقع فسار مروان بن الهيثم إلى مكة فخرج عليه عبد الله بن الزبير وبجله وعظمه وكتب إلى دمشق بما فعل وأن الذى أخذ مروه فلا شك أنه هرب ومن معه الى أرض التطيف وهيهات أن تؤديهم العرب وأنالهم فى الطلب (يا سادة) ياكرام فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الصحصاح فانه سار مع مروه يخدمها ويغفرها ومن خوفها لا يتركها فقالت له يا سيد العرب أريدك لا تزال قدام محملى حتى يكمل احسانك وأمانتك على فقال لها سمعا وطاعة والله لا كنت إلا قائدا بزمام البعير لأنى اليك عبد وغفير فلا خوف عليك ولا فزع فقالت له جزاك الله عنا أحسن الجزاء ولا سلب الله نعمة أحد الا وجعلك سببا فى ردها وبلغك الله المطالب ونولك المآرب من الحبايب فعندها أنشد الصحصاح يقول

بلانى ما تقول العاذلانى ... بلانى ما أكابده بلانى ... ونيران المحبة مضرمات
بقلبي مذ سبانى من سبانى ... أيا ليلى بقلبي منك وجدا ... وقلبي لا يغيره لسانى
ألفتك فى الصبا والحب باد ... وقلبي يهوى مخضوب البنان ... وجار علىّ عطاف لأنى
رآنى فى حروبى غير دانى ... أرد نوائب الأعداء عنه ... وأسعده على ريب الزمان
فأزوجنى بها كرما وجودا ... وأعوزنى الصداق لشوم ثانى ... فسرت أروم فى الدنيا معاشا
بضرب السيف أو طعن السنان ... وجئت الواد والأبطال فيه ... وعامر جائل فى الصحصحان
وغانم فى جماعته أسيرا ... ولبنا قد أشارت بالبنان ... وتطلب من جماعتها شفيعا

وقد جنحوا الى ذل الهوان　　فكنت مجيرها قولا وفعلا　　وأرديت الكماة بلا توانى
قتلت لعامرى بمضى حسامى　　تجندل من على ظهر الحصان　　وأزوجت الغلام بلبنا لما
رعت حق الأقارب عن عيانى　　وأعرض ماله قسمين جردا　　وقالت لقد بلغت لى الأمانى
فخذ ذا القسم تجعله لليلى　　صداقا يا فريدا فى الزمان　　فلم أقبل على المعروف أجرا
ولم أسمع ملامة من لحانى　　وسرت أروم فى البيدا معاشا　　أغار على عبد المدان
وعند الواردات بدا معاشا　　قباب عاليات للمعانى　　عليها الخز والديباج يعلو
عليه أهلة كالعسجدان　　وتكليل الجواهر فى شباك　　من الابريسم الحسن المعانى
وزينة هودج فى صحن محمل　　وتاح صيانة حاز الأمانى　　وقد داروا بها قوما لئاما
من الأوباش أولاد الزوانى　　فلم أبرح الى أن مال سيفى　　وعمهم بأنواع الهوانى
وأملت الرجوع الى مرادى　　وكنت من الثنا اصفر البنانى　　فقالت من لها شرف ومجد
رويدك أننا فى ذا المكان　　وانك مطلق من قيد خطب　　عظيم فى المفاوز قد دهانى
سيجزيك الاله بذاك أجرا　　وتعطى القصد من ملك الزمان　　فقلت وقولها عندى صحيح
حوى اللذات مع كل المعانى　　رضيت بأنى لك عبد رق　　فلست اخاف من قاص ودانى
الى أرض الشام أسير قصدا　　ولو أبعدت عن وطنى زمانى　　فسيرى فى السرور ولا تخافى
فانك فى أمان من أمانى　　أما والله ما أبغى جزاء　　سوى غفران ربى قد كفانى

(قال الراوى) وسار الصحصاح وزمام الناقة بيده وهو على مزنه كأنه غصن بان أو قضيب خيزران فوالله لقد سار أيام وهو مانظر الى نحو الهودج مرة واحدة لكرامة نفسه وشرافة فعله وكثرة مروءته فلله دره ومع ذلك لسان الأميرة مروة لايفتر عن التسبيح والتقديس والدعاء الى الصحصاح (قال الراوى) ووصلت كتب مروان بن الهيثم إلى مدينة دمشق وما فعل فى بنى مخزيه وما أوقع بهم من البليه . هذا وأن مروه لم يطلع لها خبر ولاوقف لها على أثر (قال الراوى) فلما سمع ذلك عبد الملك صعب عليه وكبر لديه وامتنع عن الطعام والشراب وقال لأولاده لقد ذلت أختكم بعد عزها وانفردت عن الأهل وأضحت غريبة مأسورة تخضع للاعداء وتطلب الاجارة من الغرباء وهى صوامة قوامه ولا يقر لنا قرار بعدهاحتى نكشف العار جردوا العساكر وأعرضوا الدساكر وكاتبوا الى العرب والعشائر وكل النواحى والجوانب لتقدم الينا فكل ساعة علينا بسنه لفقد السيدة مروه فيالها من مصيبة ما أعظمها ونوبة ماأصعبها (قال) وما ورد على أحد مثل ما ورد على أخوها مسلمه لأنها كانت طريدته فى العمر

وهى أعز الناس عنده فعزم على المسير وحده بنفسه فى طلبها وقال لابد لى منها ولو وصلوا بها إلى السند الأقصى ثم أخذ فى التجهيز إلى السفر وكتب الكتب الى جميع البدو والحضر هذا جرى. وأما الصحصاح فانه لم يزل سائر بمروة حتى بقى بينه وبين الشام ستة أيام وبانت له بلادالشام فأقبل على السيدة مروة وأخذ إذن فى الانصراف فقالت لا والله لا يكون ذلك ياوجه العرب لأنك أكلت طعامنا ولا يجوز لك الانصراف إلا باذننا وكيف نتركك تمضى ولا تدخل معنا إلى أميرالمؤمنين وتتعرف بخليفة المسلمين فما تستغنى عنه يوما من الدهر وربما قدمك على أهل الزمان من العربان وأعطاك الأمارة فى كل مكان ويتحفك بتحف الملوك ويعطيك مايصلح لبنى السادات من ذوى الرتب والهدايا جائزة عند العرب والعجم ولا ينكرها أحد من الأمم وقد قال عليه السلام «تهادوا تحابوا» وقال بعضهم :

للهدايا من القلوب مكان وحقوقها يحبها الانسان

ويصيرلك أيها البطل الهمام معرفة باخوتى فاترك اللجاج فانك الىذلك محتاج وماخرجت عن غيرتك وحفظت مروءتك وخاطرت بمهجتك إلا فى طالع مسعود وسوف انك تسود بما يكمد الحسود ويكون دخولك الى دمشق فى يوم مشهود وتتعلم أيضا آداب الحاضرة وعلومها الفاخرة وانى أريد الجزاء الجزيل والعمرالطويل وقد قال بعضهم :

تعلم يافتى فالعلم تاج ويحسن الألفاظ عند التكلم
فلا خير فيمن عاش ليس بعالم ولو نال أبواب السماء بسلم
وقرب أمير المؤمنين غنيمة وترجع ياصحصاح منه بمغنم
وإن شئت أعطاك الأمارة كلها على سائر الأعراب عربا وأعجم
وتبقى غنياً مالك الأرض كلها ولاتشتكى فقراً ولاحال معدم

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح من مروة ذلك الكلام علم أنه هوالصواب ويشيع له بذاك الذكر بين العرب والأنجاب فقال لها نعم أيها الست المصونة هاأنا أسير معك إلى أبيك وأنا من الأسواء أفديك ثم ان الأميرة مروة أقبلت عليه وقالت ياصحصاح لابد أرسل الى عند أبى بشير بما أنعم الله علينا من السلامة به فان الاخبارقد وصلت اليه بهذه الكائنة ولابد ماسيرالنجابين الى سائرالآفاق تطلب أهل الشقاوة والنفاق وأنا أعلم أنه لايبقى على أحد منهم ويأخذهم بالسيف البتار وهو لايعلم أن الله عجل اليهم البوار وأخذهم ولا ترك منهم ديار والثانى تخرج اخوتى الى لقائى ويمشون فى خدمتك لأنك صنت حريمهم وأنا أعلم أن دمشق تزين لأجل دخولنا ويكون عندأهلها يوم عيد

ولايطيلون الناس النظر إلا اليك وينثرون النثار عليك من الفضة والذهب وتصل الى أهلك بكل خير ويصل اليك من المال والانعام شيء كثير فقد كتب قلم السعادة فى بلوغ الارادة فقال الصحصاح افعلى مابدا لك فانى لا أخالف لك أمرا (قال الراوى) وأن الاميرة مروة التى هى بنت الملك أرسلت الى دمشق البشير بغير كتاب لأنهم شاهدوا الحال رالوقائع وما زالوا يقطعون المراحل والمنازل حتى وصلوا الى دمشق ودخلوا من الباب فلما رأوهم الناس عرفوهم فارتفعت الاصوات وعلت الضجات وغلقت الاسواق وأقبلت الناس يهرعون من سائر الآفاق وخرجت المخدرات وبدت المحصنات وكان يومهم مشهود ووصلوا المبشرين إلى دار أمير المؤمنين وقد خرجوا أولاده على ضجة الناس فلما رأوهم صاحوا فرحا بهم وأخذوهم ودخلوا بهم على عبدالملك بن مروان فقبلوا الارض بين يديه وأعادوا القصة من أولها الى آخرها عليه وهو يبكى فرحاً بهم وقد حار مما سمع واستعظم من الصحصاح مافعل وأقبل على أولاده وقد غلب الشوق على فؤاده وقال والله ماجرى قط فى السير المتقدمة مثل هذه أبدا ولقد صنع معنا هذا الرجل شيئا لانقدر على مكافأته ولا مجازاته لأنه رعى حريمنا وسترهم ورفع العار وأزال الشنار ووالله لقد غلبنى الشوق فى حب السيده مروة والى صاحب هذه المروة الذى جاد بما لايجود أحد بمثله من الصعاليك ولا الملوك فى حق من هى ليست له بقرابة وفى هذا الأوان صار الملك ملكه وعفى عنه ولكنه قد غرس غرساً فى أرض زكية طيبة التراب وسوف يحمد عاقبة زرعه إذا شاهد حصاده فاخرجوا إلى لقاء أختكم التى قد شربت كأس المذاق من المذلة والفراق وهذا كله فى طاعة الله ورسوله وما وصل الناس الى جنات العلا إلا بالصبر على البلا فتأهبوا الآن الى ما أمرتكم به فعندها خرجوا جميع أولاد الخليفة العشرة والناس من حولهم بالنثار وأمروا أن تزين البلد والخلق معهم بالعدد والخدام معهم أطباق الفضة والذهب وفيها مباخر العود والند ونوافح المسك الأذفر ونظر الامير مسلمة إلى كثرة الخلق فصعد الى فوق رابية ونظر يميناً وشمالا فرأى أربعين ألف خيال وأربعين ألف راكبين على النجب وما فيهم إلا من لبس أفخر ماعنده (قال الراوى) فبينما الصحصاح سائر واذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار فقال الدليل أرى غبار قد ثار من بين أيدينا وأنا أقول إنه غبار وحش لأن البلد بعيدة منا فقال الصحصاح ياشيخ لوكان غبار وحش كان متفرق وماهو إلا غبار الخيل فقالت الأميرة مروة صدقت يافارس العرب وهو كما ذكرت ولا شك أنه عسكر قد وصل مع اخوتى وأهلى وعشيرتى

وقد خرجوا الى خدمتـك لمـا وصلتهم أخبارك ومكرمتك فابشر بالسعد الظاهر والشرف الباهر والعطاء الوافر كما قال بعضهم :

زرعت جميلا عند نخلات حاجر فأثمر فى أهل العلا والمفاخر
وكان حصاد الزرع فوزاً ورفعة ونيل الأمانى عند قوم أكابر
وما ضاع فعل مثل ما قال قائل خبير بنظم الشعر بين العشائر
ومن يفعل المعروف مع غير أهله يجازى كما جوزى مجير أم عامر

(قال الراوى) فقال الصحصاح : يامولاتى الحمد لله بالسلامه على لم الشمل بالأهل والوطن والنجاة من المحن ومع ذلك انه معها يخاطبها واذا قد انكشف الغبار والضباب وظهرت الأعلام والرايات ودقت الكؤوسات ونعرت البوقات وارتفعت الضجات ونظر الصحصاح إلى شىء مارأى قط مثله ولاعاين شكله فطاش عقله وشكر الله تعالى الذى وفقه لمـا فعل وأعانه على هذا الفعل والعمل والأميرة مروة قالت للصحصاح قف حتى أقول لك فقال سمعا وطاعة ونادت بخدامها وحشمها فلما حضروا أمرتهم أن يضربوا لها سرادق فضربوا لها سرادق من الحرير وبقت فى العماريه على حالها . هذا ومسلمة قد أمر الناس بالمسير على مهل وتقدم هو واخوته على خيول سوابق وهم بمراكب الذهب فلما قربوا من العماريه صاحوا الغلمان قدامهم فقالت مروة تقدم ياصحصاح وخذ بزمام البعير ففعل ذلك وكان مسلمة نظر الى العماريه والصحصاح بين يديها فقال والله هذه عمارية أختى ولا شك أن الذى بيده زمام البعير هو الصحصاح ثم بكى مسلمة فرحا بالاجتماع وظهر الشوق وانحدر مع الاخوة العشرة وكانوا كما قال بعضهم :

وأبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

(قال الراوى) وتقدم مسلمة واخوته وترجلوا بالقرب من العماريه وأناخوا البعير وحملوا الحمل الى باب السرادق فدخلت الأميرة مروة وقالت ادخل ياصحصاح فدخل مع اخوتها هنالك خرجت الأميرة على الصحصاح وقبلت يديه وقالت لاخوتها يا إخوتى قبل أن تسلموا على سلموا على من صان حريمكم وثبت هذه التيجان على رؤوسكم بعد ما كانت أشرفت على الهتيكه والفضايح فالحمد لله على إنعامه فلا تعترضوا عليكم فيما حكم فله الحمد على كل حال لأنه جواد كريم فعال متعال (قال الراوى) فأقبـل مسلمة هو واخوته على الصحصاح وسلموا عليه وجعلوا يقبلوا يديه وهو يشكرهم ويثنى عليهم ويقول : الحمد لله الذى وفقنى لهذه الخدمة وأن الأميرة مروة صارت تحكى لإخوتها على مافعل الصحصاح معهم

فزادقدره عندهم وأخذوا له فى الدعاء والثناء وقالوا له ياشريف النسب ويا فارس العرب ويا ذخيرة للمهمات ومجيب المضطرين نحن عاجزين عن مكافأتك هذا والصحصاح يدعو لهم بفصاحة لسان وقوة جنان وهم قد شغفوا به وأما مسلمة فانه صار مستغرقا فى هواه وحسن بهجته وقد صار ساهى فى وجهه بحيث أن لا تطرف عينه طرفة عين ولا يفتر لسانه عن وصفه (قال الراوى) ووصلت العساكر على طول النهار والمدد ماينقطع والبوقات تضرب والكاسات تدق والناس راحلين فرحين و مستبشرين والصحصاح يحادث أولاد الخليفة وهم يحادثوه ويسألوه عن بداية أمره وسفره فحدثهم الصحصاح بحديث جندبة والغطريف وماجرى له من الأمر اللطيف وحديث غانم ابن زاهر وقصته مع عامر وحديث الغضبان وشوم الزمان وماجرى له مع الفرسان وكيف طلب الرده والوداع وكيف سألته الإقامة خوفا من عرب الحجاز وإنه ماهو ماشى إلا على سبيل الاشفاق ورغبة فى ثواب الملك الخلاق هذا وقد تطاولت اليه الأعناق وصار على القدم ألف قدم وبقى فى ظاهر دمشق ستمائه ألف من الخواص والعوام والنساء والرجال والكل يشيرون الى الصحصاح بالإجلال والاكرام كما يشار إلى الهلال (قال الراوى) ولما وصلوا الى باب المملكة حتى ضربت البوقات وارتفعت الضجات وخرج عبد الملك بن مروان وكان من حين سمع بسبى مروه ماركب إلا فى تلك الساعة وقال والله ماخرجت إلا للقاء الصحصاح وقبض مسلمة على عضده وأشار الى ركاب الخليفة وكبس على يده فعلم مايراد به فقبل الصحصاح قدم الخليفة فى الركاب فطاطا عبد الملك وقبل رأسه وأشار الى مسلمه أن يقدم له فرسه فقدمت له مزنه ولزم مسلمه له الركاب وعضده حتى ركب وجعله إلى جانبه الأيمن وأحدقت به المواكب من كل جانب والخليفة يحادثه ويباسطه فى الكلام وقد صار الصحصاح ملازم الامام بعدما كان قائد الزمام وقد جالت المواكب بينه وبين مروه وجلوه على الناس أحسن جلوه إلى أن وصل الى دار الخلافه وترجلت العساكر وسار الخليفه وأولاده الى الدهليز الأول وإذا هو بالذهب ولما وصل الى الدهليز الثانى وإذا هو بكل عجب وفى الثالث البلخش وفى الرابع الزمرد وفى الخامس الياقوت وفى السادس الجوهر وفى السابع المسك والعنبر هذا وقد بسط الدهالبز وأراد الصحصاح أن ينزل فمنع من ذلك وقيل له أمير المؤمنين قد فضلك على أولاده تسير فى المكان الذى ينزل فيه بنفسه هذا وقد سبق الخليفه وقعد على سدته وأمر فنصب بين يديه كرسى لطيف من العود

القمارى مرصع بالدر والجوهر وعليه مدفرة محشيه بريش النعام ومن فوقه مفصلة باللآلىء الكبار وهو يأخذ بالأبصار فأجلس الصحصاح عليه فغاص وغطس الى وركه ونهض الخليفة وناداه بالتحيه وبقيت أولاد الخليفة وقوف فى خدمته وهو فى غاية الاعظام وهو يسأله عن حاله وحلته وعن قومه وعن قبيلته والصحصاح مجلل بالعرق من الحيا وغلب عليه الفرح حتى بكا ورجع الى طبع العرب فجال فكره بالشعر فأنشد يقول :

ماء النظيم به فؤادى مدنف ... وبرامة نزل الحبيب المدنف
إن كنت فى الشام فها أنا ناظرى ... نحو الحجاز مخيما لايطرف
ليلى بليلى طال حتى أنه ... فى كل جارحة فؤادى يرجف
وألفتها طفلا وقد فارقتها ... فدامعى فرحا وقلبى مدنف
كيف السلو عن التى ماقابلت ... شمس الضحى إلا بدت هى تكسف
إن شط معناها فبين جوانبى ... قلب يلين الى الخيام ويعطف
اليوم قد حل الركاب ببلدة ... هى جنة المأوى بها أتشرف
ونزلت بالقصر الشريف وفوقه ... تاج منيع والبناء المشرف
بك ياأمير المؤمنين ابسط يدى ... طولى فلان له الزمان الأعجف
يامن له أمران كلا منهما ... فيما يشاء من الأنام تصرف
والناس بين مؤمل نال الغنا ... من راحتيه وبين من يتوكف
من عبدك الصحصاح حتى أنه ... يحظى بتلك المكرمات ويتحف
العبد عبدك والصيانة كلها ... من بيت مجدك تستفاد وتعرف
رفقا بعبد نعم ما حسنته ... وكنى خطابك إذ به أتشرف
لاكانت الدنيا لغيرك عمدة ... واغتال شأنك للزمان الأعجف

(قال الراوى) فلما سمع الخليفة شعره وفصاحته وقد نسب بيته وعظم فى عينه وقال إذا أراد الله بعبد خيرا وسعادة وأطلق لسانه بما يسر به القلوب ثم قال ياصحصاح قد عمت صنائعك الصنائع ولابد ما يبقى حديثك أعجوبة الزمان الشائع ثم أمر باحضار الطعام ونزل عبد الملك عن سريره وساوى الصحصاح فى القعدة وجميع أولاد الخليفة فى الجملة واقفين فى الخدمة وكان الخليفة تارة يضع اللحم بين يديه وتارة يناوله وتارة يلقمه بيده وهذه منزله ما نالها أحد ورفع الطعام وغسل الامام يديه وأشار الى الصحصاح أن يغسل يديه وهو قاعد مطرحه وهو ينظر اليه بعين رحمه ولم يقدر يكشف ستر قلبه ليظهر خافيه ثم قال الخليفة

سبحان الله العظيم ما أحسن هذا الشاب فى أدبه وتربيته وفصاحته ومروءته التى نال بها ما كان ممنوع وارتفع على كل مرفوع فهو كما قال الشاعر حيث يقول هذه الأبيات:

وإذا السعادة لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل ... واقطع بها الجوزاء فهى عنان

(قال الراوى) ثم ان الخليفه أقبل على ولده مسلمة وقال له يامسلمة هذا السيد ضيفك فأكرم مثواه الى حين نرجع وراه فانه ضيف كريم وإذا غاب بقلبى مقيم ففرح مسلمة بنزوله عنده وكيف اختصه أبوه من دون اخوته به وحده فأخذه مسلمة وسار به الى داره وكل خواص الخليفة قدامه بالقسى المذهبة والدرق الملوكية والملابس اللائقة والمناطق المشرقة إلى أن أتوا إلى دار كان قد بناهالفرجته وجعلها لنزهته كان جن سليمان قد تولوا بناها والذى كان عنده شيء من صناعته أبداها فهى نزهة للعيون وراحة للقلب المحزون وعلى عتبتها مكتوب هذه الأبيات:

يانعمة الله حلى فى منازلنا ... وجاورينا فدتك النفس من جار
واستقبلينا بأيام مباركة ... فالسعد يخدمنا فى هذه الدار
وان أتى جار سوء جاء يحسدنا ... الله يحرسنا من ذلك الجار

(قال الراوى) وان الصحصاح لم يلمح بنظره الى هذا المكان ولا إلى سقف ذلك القصر بل يشتهى أن يكون فى قاع الفلاة أشهى اليه من ذلك المكان وجلس مسلمة عنده وقعد ساعة وقال له والله ما أشتهى أن أفارقك إلا لأنى لابد ماأدخل على أختى مروة لأن أبى وأخوتى عندها ولابد لها ماتصف اليهم ما أبديت اليها وما وصل من انعامك عليها وكونى عندها حاضر أحب اليك من كونى عندك ولكنى أوصيك بما يعود نفعه عليك وسروره اليك وإياك ثم إياك من مخالفتى فيما أقوله اليك فيفوتك المأمول واطلب معانى الأمور فتفوز بالحبور والسرور فقد قيل فى الأمثال من كان دون فبالدون يرضى وهذه الصنيعة الذى صنعتها معنا غالية المقدار فاقبل ما أشير به عليك فقال الصحصاح يامولاى وهل يجوز للعبد أن يخالف مولاه فيما يأمره به وينهاه فقال له مسلمة اعلم ياصحصاح أن أمير المؤمنين قد رفع قدرك وسواك على المائدة بنفسه ولا شك أنه عند الصباح يدعوك ويقول لك تمن علىّ فاياك أن تطلب هين فتهون وترجع مغبون فان التجار أصحاب الأقدار يطلبون حتى يكسبون فى الدرهم دينار وأنت عاملت أعظم الناس قدراً

وأبذلت المهجة وارتفعت أعلى الدرجة ونزهت نفسك فعال الأندال وسمحت بما ملكته من المال فقل لى ما الذى تتمنا على امام الزمان حتى أنظر ان كان كما خطر ببالى فان كان ذلك وأزيد فأنت سعيد وان كان بخلاف ذلك فانى أرشدك الى سؤالك فقال الصحصاح يامولاى إذا فتح باب التمنى فإنى ما أتمنى إلا مهر ليلى لاغير ثم أنشد يقول هذه الأبيات :

تريد الليالى أن أسالمها غبنا ... لئن طردت بالبعد عن مقلتى الوسنا
ومن لم يكن يهوى العزيمة ماضيا ... ولا يطلب الأعلى فقد فاته الأدنى
وصبر الفتى فى موضع الصبر عزة ... على أنه ذل إذا ما به استغنى
إذا قيل ياصحصاح كن متمنيا ... تمنيت ليلى إنها عينى التمنى
وأرجو من الرحمن تسهيل أمرها ... كما ألف الرحمن غانم مع لبنا
وقد كنت أرجو الكسب من كل غارة ... وأفنى العدا ضربا وأشبعهم طعنا
الى أن أتانى الله جل جلاله ... بعيش نفيس ثم يستحسن الحسنا
إمام يراه الله جل جلاله ... نوال أمير المؤمنين الذى استغنا
أتى ابن أمير المؤمنين يقول لى ... تمنى وإياك أن تطلب الأدنى
أهيم بليلى كلما طار طائر ... ويطربنى صوت الحمام إذا غنا
ويسلمنى دهرى بمسلمة الذى ... عرفت به من فرط إحسانه فنا
به قد بلغت القصد مع كل مطلب ... ونلت سرورا حيث لا أعرف الحسنا

(قال الراوى) وإن مسلمة لما سمع شعره تبسم عجبا وازداد له حبا وقال له لا تفعل ياصحصاح ولكن إذا قال لك أمير المؤمنين تمنى على فقل له أريد موضع ملك العرب مروان بن الهيثم سيد بنى سليم وأكون أميرا على سائر العرب فقال الصحصاح يامولاى ومن يكره هذا غير أن من طلب الصعود إلى السما لا يقدر أن ينصب سلما ومن يريد أن يطاع فيسأل ما يستطاع فقال مسلمة ان أنعم عليك أمير المؤمنين بذلك كان أشهى من ضحك الضاحك فاطلب ما أشير به عليك فقال له يامولاى ومهر ليلى أين يكون فضحك مسلمة حتى استلقا على قفاه وقال له سوف يصل اليك مهر ليلى ومثله أضعافا مضاعفة ثم ان مسلمة خرج من عنده وماعاد عند الصحصاح سوى عبده نجاح (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عبد الملك بن مروان فانه دخل على ابنته مروه فوجدها تبكى ودموعها مثل المطر لحلاوة النجاة من الخطر فلما أبصرته وثبت اليه وقبلت صدره ويديه فقال لها يابنية قد كنت أعرف منك السداد والرشاد فكيف

تخلفتى عن الحاج فقالت يا ابى كان عمر بن أبى ربيعة المخزومى فى الحاج فخشيت أن يرانى ويذكرنى فى شعره والثانى كنت وجدت من هذا المحمل ألم عظيم من هذا الجمل من طول الطريق ومنعنى المنام فأردت أن أجاور وأعود فى العام القابل فكان الشوق بينى وبينك حائل فندمت على تأخيرى وانحل عقد تقصيرى وسكن ما كنت أجده من الآلام والهموم وكنت قلت فى نفسى ان ما أحد يجسر علينا بقدوم فسرت سير المطمئنين تحت ستائر الأمان ولم يكن فى الحساب قطع العناب فخرجت علينا أهل البغى والعدوان فقتلت العبيد والغلمان وصرت بعد العز فى الهوان وأشرفت على الهلاك حتى سترنى الله تعالى بستره الجميل ونصرنى بالقليل على الكثير وأغاثنا بالصحصاح وكان لنا أمان من الافتضاح ولولاه لوقعت فى أعظم البلا وصرت حديثا بين الملا والله تعالى ينصر من يشاء ثم انها بكت وتنهدت وتأوهت وأنشدت تقول هذه الأبيات

قسما وحقك يا إمام الأمة   إنى رميت من العداة بنكبة
عظم المصاب على حتى أننى   أيقنت بالخذلان عند مصيبتى
قد طفت بالبيت الحرام ولم يكن   فى الظن ما فعلوا بنى مخزية
ولو رأت عيناك حالى معهم   وذلتى بين الأنام وكربة
حتى أتى الصحصاح فرج ما بنا   وأزال عنى البأس حتى الشدة
لما سمعنى قد نطقت باسمه   لبى لمن ناداه بأعظم نخوة
فسطا عليهم بالسنان ولم يزل   بالسيف يعلوهم بصدق عزيمة
ترك الجميع ملقحين كأنهم   شرفوا على ظمأ كؤوس مدامة
ويلومه العبد الزنيم بفعله   ويقول خذهم فهو خير غنيمة
فيقول لا والواقفون على منى   لا كان هذا الفعل طول المدة
فرجت عنهم كربة ويكون لى   أسبابها إيقاعهم فى الكربة
لا والذى حج الحجيج لبيته   والطائفين تعبداً بالكعبة
لا كان ذلك أننى ذو عفة   وأمانة عن أخذهم وصيانة
وأراد يرجع فالتمست بذيله   وصرخت تتركنا بهذى القفرة
فاليوم غيرك لم أرد لى ناصراً   إلا الاله وأنت خير الصحبة
قد غاب عنى الأقربون جميعهم   ثم أخوتى وجماعتى وعشيرتى
فأجابنى خاضع وطامع طائعا   فاجعله فى الدنيا قسم النعمة

فسأكتبن حديثه من بعده حتى يكون طراز هذه الدولة
وأعطيه ما يهوى وبلغه المنا الله يسكنه بأعلى الجنة

(قال الراوى) وكانت تقول ذلك وأبوها يبكى من السماع فكيف لو شاهد هذا الحال فقال لها يا مروه وكان ذلك فى الكتاب مسطورا ولا أظن هذه إلا بسعاده هذا الغلام فوالله لأفعل مع هذا فعلا تتحدث به الخواص والعوام وبعد هذا فله الفضل والانعام فهذا جرى من هؤلاء وأما ما كان من الصحصاح فانه بات وهو يقول لعبده نجاح الحمد لله الذى قلع من قلبى ما أشرت به علي يا نجاح وكان فى خلافك الصلاح فقال له نجاح يا مولاى إذا قلت أنى قلت هذا المقال فلابد أن يصلبونى على باب دمشق لا محال ولا قيل ولا مقال فضحك الصحصاح وقال هيهات بل كل ذنب عندهم مغفور ولقد أسعدنا بهم الملك الغفور وما أنا حتى يخرج إلىّ هذا السلطان العظيم إلى لقانا ويجلس على المائدة باقترابى ولقد أخبرنى مسلمه أن هذا إنعام منه ولما كان عند الصباح جاءت الخدام إلى الصحصاح وأمروه بالركوب وقد ركب فى خدمته موكب عظيم لم يكن يناله أحد من العرب وقد ركب فى خدمته سائر أكابر الدولة وكذلك أولاد الخليفة بصحبته ولما أقبلت أولاد الخليفة ترجلت عند الدهليز الخامس وقد مشوا قدام الصحصاح إلى الدهليز السابع وعضدوه أولاد الخليفه فى النزول ورفعت الستور وقد دخل الصحصاح الى أمير المؤمنين وقد نصب له كرسى بين يديه ثم قبل الأرض وسلم بسلام العرب عليه فرد عليه الخليفة وحياه بأحسن تحية وأجلسوه فى ذلك المحل المحتشم وخواص الدولة على قدر منازلهم منهم من هو واقف ومنهم من هو جالس قال وجعل الخليفة يتحدث مع الصحصاح ويسأله عن حسبه ونسبه والناس يتعجبون من ذلك غير أنهم قد عرفوا أنه فعل فعل الجميل وقد حضر الطعام والصحصاح ينظر الى النظام وسار الصحصاح يجالس عبدالملك بن مروان فى المنام ولما اكتفوا من الطعام وغسلوا أياديهم فعندها أقبل عليه الخليفه وقال له يا صحصاح اعلم أن الله تعالى خلق الخلق بقدرته وجعل منهم أقواما للمكرمات مصابيح وللصالحات مفاتيح وللملهوفين مغاث وأنت منهم يا صحصاح يا فارس البطاح ولكن تمن علىّ ويعطيك الملك الفتاح فأراد الصحصاح يتكلم بما أعلمه به مسلمه فاستحى منه ومن الحاضرين وخشى سوء العاقبة ثم استعظم أمارة العرب ثم قال فى نفسه بالأمس كنت يتيما واليوم أصير ملكا عظيما ثم انمسك عن الجواب ورشح عليه العرق حتى بل الثياب لأنه سؤال عظيم المطلب فاطرق إلى الأرض خجلا وما أجاب بجواب

ولا أبدا منه خطاب فعلم الخليفة أنه قد نشرت عليه هيبة الملك والخطاب وقد صعب ذلك من تلك الأسباب فرجع الخليفة عبد الملك بن مروان إلى مؤانسة الصحصاح وقال له ياصحصاح أطلق لسانك وتكلم ولا تخشى من الافتضاح واطلب ماتريد فلك ماتطلب لو يكون فيه ذهاب الأرواح فأطرق الصحصاح رأسه الى الأرض خجلا من الخليفة وقد اعتقل لسانه وعرق جبينه وسمحت بارسال الدموع عيونه وجرى ماء الحياء فى وجناته وكره فى تلك الساعة حياته لأنه من عرب الفلاة ولم يكن جلس مع أمراء ولا ولاة فكيف وهو مع أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين (قال) ولما اعتقل لسان الصحصاح فلاحظه مسلمة بخطابه وقال له يا أمير المؤمنين أعذر الصحصاح فانه رجل عذره واضح وهو من العرب لكن رجل فالح وأنت ملك مسامح وهذا رجل حاز العز والعلا والوقار والتأييد ومن هيبة هذا المجلس يشيب الطفل الوليد ويذل فيه كل بطل صنديد لأنه محفوظ بعناية الملك المجيد غير أن الصحصاح جعلنى وكيلا وقد ضمنت أن أكون له كفيلا وقد طلبت كما أشرت أن يتمنى. وانه يريد يامولاى أن يكون مكان مروان بن الهيثم ملك العرب وأن تكون العربان كلها تحت طاعته تركب لركوبه وتنزل لنزوله وتطيعه فى جميع أموره ولاأحد منهم يخالفه وأنت ناصر له بالسمع والطاعة وتطيعه الخلائق من سائر البلدان وتأتى اليه بالأموال وان عزم أمير المؤمنين على عزل والى بلاد الروم يكون الصحصاح مقدما على سائر ملوك العرب. ويكونوا تحت طاعته ويكون له ثلثمائة ألف عنان من الأبطال والشجعان ومن خواص الفرسان لأنه يصلح للقاء أهل الكفر والضلال والطغيان وليس واحد أحق منه بهذا المكان وليس أحد أشجع منه فى هذا الزمان لمبارزة الأقران والمضاربة فى الأعداء بالسنان وليس هو جبان ولاهو من أهل العصيان وان رأى أمير المؤمنين أعلى وله الحسب الأسنى ونحن والحاضرين فى هذا المعنى تنتظر الى ماللصحصاح على الملك قد تمنى (قال نجد بن هشام) فنظر الخليفة إلى ولده وتبسم ثم قال لا عدمت هذا الترجمان ولا ابنة نوائب الزمان وانى قد أبحت للصحصاح أن يكون ملكا على جميع العرب ومن يدق فى الأرض طنب وأن يأتوه جميع الملوك ويدبر ماينعم به على الغنى والصعلوك ثم قال الخليفة يامسلمة ماذا تتمنى للصحصاح فقال مسلمة أدام الله تعالى بقاء مولانا الخليفة لازال بالغ مراده والآمال دايم السعود والاقبال ومابقى إلاأخذ التواقيع والأوراق حتى تطيعه الفرسان والعربان من سائر الأجناس وتكون أبوابه بالوفود مزدحمة ثم أشار مسلمة إلى الصحصاح فقام وخدم الخليفة وباس يديه.

وخرج طالب داره وخرجوا أرباب الدولة بين يديه والعوام صفوف يتفرجون عليه وقد أخده الدعاء من الخاص والعام وقد نزلت محبته فى قلوب الناس وأن الصحصاح أقبل على مسلمه فى الطريق وقال له يا مولاى اعلم أن الله تعالى قد من على بموالاتك وأيدنى بمعرفتك ولولا أن الله تعالى جعلنى من المسعودين لما جعلك لى من المساعدين ولـكن قد بقى يا مولاى صداق ليلى فضحك مسلمة وقال له يا صحصاح ما خرجت من عند الخليفة إلا وقد أغنيتك وسوف ترى العجب مما يصل اليك وما أنعم الله به عليك ثم ان مسلمه ودعه ومضى إلى داره وكذلك جميع الناس والصحصاح دخل إلى حجرته واستراح ساعة من الزمان فلما كان وسط النهار ركب مسلمه وأتى اليه ودخل عليه وسلم وجلس عنده يتحدث هو وإياه ولما استقر بهم الحال قال له يا صحصاح اعلم أنى كنت قد أوصيتك وقد جئت عند ذلك وسعيت فى إصلاح حالك وليس الخيول من عاداتك ولـكننى تكلمت بما فيه الصلاح وأننى قد أوصيتك بما يكون لك فيه الشرف الأكبر والحظ الأوفر والسعادة الدنيوية فقال له الصحصاح يا مولاى الاحسان يطلق اللسان ويفرج هم الانسان وقد أنعم أمير المؤمنين بانعام يعجز عنه الخاص والعام فقل لى على ما تريد وتشاء الآن يا ابن الكرام فقال له اعلم أن الخليفة فى غداة غد يقول لك تمن علىّ فقل له تمنيت عليك أن يكون كتاب عزل مروان ابن الهيثم بخط يدك وكذلك يكون منشور بولايتى لأن فى ذلك يكون لى الشرف الأكبر والعز الأفخر وقطع الخائنين والمخالفين وإنعام أمير المؤمنين فقال له الصحصاح سمعا وطاعه يا مولاى وخرج من عنده ولما أن كان من الغد عند الصباح لما أن أضاء بنوره ولاح صلوا يا حاضرين على زين الملاح ركب الصحصاح فى أشرف موكب ومسلمه معه وساروا إلى أن وصلوا إلى دار أمير المؤمنين فنزل مسلمه فى الدهليز الخامس وقد صار الصحصاح إلى أن نزل فى الدهليز السابع وأشرف على الموضع وقد نصب له سرير من الذهب الأحمر وعليه فرش من الديباج المدثر وقد عضدوه الخدام إلى أن جلس بعد أن قبل الأرض وخدم وعلى أمير المؤمنين سلم فأقبل عليه الخليفه وخاطبه بخطاب الملك وقد قال له أهلا وسهلا بملك العرب وسيد أهل الترب فلما سمع الصحصاح ذلك الـكلام قام من مكانه وقبل الأرض ودعا له وقال اطلب من الانعام أن يكون كتاب عزل مروان بن الهيثم وكتاب ولاية العرب بخط يدك يا مولانا فقال حبا وكرامه وقد قدمت بعد ذلك الموائد على حسب العادة فأكلوا الى أن اكتفوا من ذلك الطعام وغسلوا الأيادى ثم ان الخليفة خلا بنفسه وقد كتب كتاب ثمانون سطر وهو مكتوب ولاية

الصحصاح على مروان بن الهيثم وكتب كتاب ثانى بعزل مروان بن الهيثم ولما فرغ من كتابتهم لف الكتب فى ثوب من الأطلس وقد أنفذهما مع ولده سليمان وقد أمره أن يوصلهم الى أخيه مسلمه فأخذهم منه وأتى بهما الى الصحصاح ودخل عليه وقد جلس عنده ثم باسطه باللعب والمزاح والانشراح فقام له الصحصاح وقبل الأرض وخدم وأخذ الكتب منه وباسها ووضعها على رأسه وملس بها على عينيه ومن الغد ركب وسار الى خدمة أمير المؤمنين ولما أن أقبل على عبد الملك بن مروان سلم وخدم وجلس فى المكان الذى قد أعد له فقال له الخليفه تمن على اذا كان لك حاجة تقضى على ما تحب وترضى فقام الصحصاح عند ذلك وقبل الأرض وخدم ودعا له وقال الله تعالى يديم بقاء أمير المؤمنين ان العبد يسأل قرب العودة الى أهله ليشاهدوا الناس ما أنعم به أمير المؤمنين والعبد يسأل من فضلك واحسانك فقال الخليفه حبا وكرامه ثم انه أقبل الامام على ولده مسلمه وقال له تول انجاز شغله فقال له سمعا وطاعه وقد مضى على هذا الحديث ثمانون يوما وهو فى أرغد عيش ونعمه الا أنه عنده أمر عظيم من طول الاقامة فدخل عليه مسلمه فوجده يتنفس الصعداء (قال الراوى) فلما سمعه مسلمه رق له قلبه ثم انه دخل عليه وقال له أبشر يا صحصاح بقرب الاجتماع وكثرة الانتفاع ونيل المرام فقال له الصحصاح يا مولاى لولا أنى أجد من وجد ليلى الاشتياق والقلق والهيام لما كنت اخترت فراقك وكنت أكون أخدمك الى المهات ولكن أرجو من الله بلوغ المسرات بوصولى ليلى وأعود الى الخدمة فتبسم من كلامه وقال له اعلم يا صحصاح أن أمير المؤمنين كان قد أنجز شغلك فما رجعت عاودته فى شىء من ذلك واذا كنت على مثل هذا الحال فما بقى غير السفر ثم رجع مسلمه الى عند أبيه وأخبره بما فى قلب الصحصاح من كثرة الأشواق فقال أبوه لا تلومه يا ولدى واعلم أن المحبة تذوب الأجساد (قال الراوى) وان الخليفه أمر مسلمه بكل ما يحتاج اليه الصحصاح وقال له لا تمن بذلك عليه بل له المنة علينا فى قبولها وليس ذلك بمقابلة جميله ثم أنه أمر صاحب بيت المال بالكسوة وما يتعلق بالسلاح والسيوف والرماح والنشاب والحراب والزرد والجواشن والدرق المكوكبه والبيض العادية والبغال والزرزوريه والخيول الملاح العربية والخيام والسرادقات الكبار والصغار ونياق ومهار مصريات وجوار حبشيات ونوبيات وقبطيات ونصرانيات وجرجيات وخدام وغلمان وخدم من الصقالبة ومن الديلم ومن العرب ومن العجم ورايات وصناجق وأعلام بقضبان ذهب عاليات وطبول وزمور وكؤسات وخيول محجلات وقضبان من الفضة

محزمات عليها صورة فهود وبازات وقد كتب التواقيع له بذلك الحال الى سائر الخزائن بتسليم كل مايحتاج اليه وما بقى عليك تعب إلا تسليم كل مايحتاج اليه فعندها خرج الأمير مسلمة من عند أمير المؤمنين وهو ذاكر ولانعام أبيه شاكر ثم إنه أتى الى صاحب بيت المال وسأله عن ذلك فقال له يامولاى اعلم انه قد تقدم مرسوم أمير المؤمنين بمائة ألف دينار فارسية وثلاثين ألف إسلامية وثلاثين ألف دينار مصرية بصناديقها وبغالها وخزائنها وغلمانها ففرح مسلمة بتلك العطايا وقد ادعى مسلمة بصاحب بيت الكسوة وسأله بما أمر به أمير المؤمنين فقال له انه قد أمر بثلاثين ألف ثوب من قباطى مصر وألف ثوب من الأطلس وعشرة آلاف ثوب برسم العرب ثم انه بعد ذلك دعا بالفراش وسأله عما أمر به أمير المؤمنين فقال له أمر بعشرة من السرادقات الديباج مدثرة وسرادق كبير يقال له نصف الدنيا وهو من الأطلس الأحمر وهو مفصل بتفاصيل الياقوت الأزرق والأصفر ومن غرايب الجوهر وأربعين خيمة من سائر الألوان ممايصلح لملوك الزمان وفى كل خيمة هلالان من الذهب والفضة ففرح مسلمة بذلك وقد قال والله إن هذا العطاء عطاء من لايعرف بخل ثم ان مسلمة قد أمر أن تنصب الخيام والوطاقات والسرادقات بين الأشجار والجدران الكبار والأزهار والأثمار فنصب كل شيء فى مكانه على ترتيب الملوك الكبار وقد مضى على ذلك عشرة أيام فدخل مسلمة على الصحصاح وكان قد ضاق صدره ولما أن دخل عليه طلب منه انجاز أمره بما وعد به أمير المؤمنين فقال له أنجز الله وعدك ياملك العرب وقرب مسيرك ولكن تخرج من دمشق ولاتكشف أحوالها وتتفرج على غرايبها فقال له عند ذلك الصحصاح يامولاى هل أنا عندذلك إلاضيفك ونزيلك ومهما شئت فهو مرادى وعليك بعد الله اعتمادى فعندها ركب مسلمة والصحصاح وقد أخذه وسار به وطاف به ظاهر البلد وكان زمن الربيع والأرض أبدت زهرها البديع فكان كما قال الشاعر حيث قال :

إن فصل الربيع فصل عجيب تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيث ماذهبنا ودار حيث درنا وفضة فى فضاء

(قال الراوى) وقد كانت الأزهار على الأرض نابتات والظل على النبات آية من الآيات (قال) وما زالوا سائرين بين تلك الأزهار إلى أن بانت لهم خيام منصوبة على جانب الغدران فلما أن رأى الصحصاح إلى تلك الخيام وقرب منهم فرأى خيام وغلمان وعبيد قيام والخيل على مقاودها وسرادق كبير يخطف بالبصر والرايات

تلعب بها الرياح فتحير من ذلك الصحصاح وقد حن الى المضارب وقد تذكر الحبايب فقال لمسلمة يامولاى إن هذه الخيام والمضارب التى هى فى هذا المكان فقال مسلمة سر بنا اليها حتى اننا نشرف عليها فساروا عند ذلك ولما أن قربوا منها وصاروا عند الخيام فرأى شيئا مارآه طول عمره فتعجب وتحير وقال والله لو تجهز كسرى أنوشروان لما كان له مثل هذه الخيام ولا مثل هذه السرادقات وتلك المضارب المنصوبات هنا وقد تحير مما أبصر ولما أن وصلوا إلى السرادق الكبير خرجوا أهل الخيام وقبلوا الأرض بين يدى الملك الصحصاح وقد عضدوه وأدخلوه السرادق هو ومسلمة وكان مفروش بسائر البسط الجرهمى والرومى وفيه المقاعد المختلفات وديباج منسوج بالذهب الوهاج وفى صدر ذلك السرادق الذى قد لاح سرير من الصندل مصفح بالذهب الأحمر وهو مرصع بأنواع الجوهر يصعد اليه بسلم أربع درجات عراض من الذهب كلها والفضة فقال الصحصاح لسلمة يامولاى وهذا السرادق والخيام لمن يكونوا للخليفة أم لغيره فقال له مسلمة : اعلم أن هذا كله لملك العرب فقال له وأين ملك العرب فقال مسلمة هو أنت ملك العرب وأشجع أهل الرتب لكن اصعد ياملك العرب على السرير فصعد الصحصاح وجلس فى وسط ذلك الدست المحتشم ومسلمة بين يديه وتلك الخلق قيام مثل الخدم ولما استقر به الجلوس قام مسلمة على قدميه وقال الحمد لله غامر العباد بالنعم على غزائر القسم الذى من شاء قدم ومن شاء أخر لا اعتراض عليه فيما قضى وحكم وقد جرى بذلك القلم من القدم وقد أرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى سائر الأمم والكفر محلوك بالظلم وليل الشرك قد أظلم بدجاه بعد أن كان محكم وأظهره على الدنيا كلها إرغاماً لمن جحد وكفر وظلم فأنار به الوجود وابتسم ولم يزل صلى الله عليه وسلم قائما على قدم وقد أمر بعبادة الله الملك الصمد ونهى عن الصنم وما زال حتى استنار الاسلام وابتسم واشتد به ركن الاسلام واحتكم وخر جدار الجحود وانهدم ببركات سيد الأمم صلى الله تعالى عليه وسلم : أما بعد ياملك العرب إن امام المسلمين وهو امام الأمة وسيد الخلفاء والأئمة ووارث الكتاب والحكمة قد رأى بقدومك وتقديمك على العرب فيه مصلحة الأمة وقد جعلك من خواص دولته وقد قلدك بسيف نصرته وتوجك بتاج عنايته وانه أمرك بالاشفاق على رعيته فلو ضاعت شاة من أرض اليمامة لسئلت عنها يوم القيامة وقد مدك الله بأموال وجعلك بمنزلة الموال كل ذلك لتكشف ظلامة المظلومين وتنتقم من الظالمين وتحتفظ لحجاج بيت الله الحرام وقد جعلك ترس قبر محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

وحامى حرم الله تعالى وأنه ما عزل مروان ابن الهيثم إلا بذنب قد اجترم لأنه لم يفتقد حجاج بيت الله الحرام بالرأفة والصلاح ولا يستحق أن يكون على العرب مقدم واشتغل عن طاعه الملك الفتاح ولم ينظر إلى حجاج بيت الله الحرام وكان هذا مقدر لك فى علم الله ياصحصاح وقد خصك الله بالملك الجزيل وجميع ما تراه فهولك وملكك وقد أنعم به أمير المؤمنين عليك وإن أردت الزيادة أجابك إلى ما تريد وعلى الله ثم عليك اتكالى ثم جلس على السرير الذهب الى آخر النهار وإذا بعشرة خدم قد أقبلوا وسلموا وقالوا ان السيدة المعظمه مروه بنت أمير المؤمنين قد بعثت إلى ملك العرب وهى تقول قد طال شوقنا اليك فتصدق علينا بمحبتك الينا قبل دخولك على أمير المؤمنين لأن لنا بك حاجة فقبل الأرض الصحصاح وقال سمعا وطاعة لله ثم للسيدة مروه ثم نهض مسلمة ومعه الصحصاح وهما فى أشرف موكب وأحسن جليه إلى أن وصلوا الى دار مروه فنظر الى دار مليحة البناء معتدلة للرياح من اليمين والشمال بأسر موضع مصنوعة فنظر الصحصاح الى الايوان الكبير واذا عليه شبكة من اللؤلؤ والكبار الرطب فى شريط من الذهب الأحمر والقصب والزمرد الاخضر وفى مدور الايوان سدره من العاج مصفحة بالذهب الوهاج وعليها فرش من الديباج محشو بالابريسم ومروه عليها حلة بيضاء مطرزه بالذهب الاحمر وبين يديها مصحف مكرم وهى تقرأ القرآن العظيم فلما نظرت الى الصحصاح قامت قائمة على قدميها وقالت مرحبا بملك العرب وشريف النسب هناك الله بما أعطاك وعرفك بركة كل ولاية ولاك وحرسك وتولاك ونحن عاتبين عليك لأجل انقطاعك عنا لكن عذرك عندى واضح لاجل قيامك بخدمة أمير المؤمنين وأنا أرجو أن يكون قد أعطاك مناك وبلغك هواك فأخبرنى بما صنع فى حقك من الواجب وما وصل اليك من العطا والمواهب فقبل الصحصاح الارض وخدم وقال لقد عجزت عن شكر ما وصل الى وما أولانى من الاحسان فلا زال دائم السلطان مالك رقاب ملوك الزمان وقضى لدولته بالدوام ولاعدائه بالانضرام فما بقى للعبد سؤال الا وقد وصل اليه ولا مراد الا وقد أنعم به عليه ثم أنشد يقول

هو الشكر دائم والثنا منه ناشر وامام معظم وهو للدين ناصر

(قال الراوى) وعندها قالت يا ملك العرب هذه شجرة احسانك وغرس صنيعتك وعاقبة ما تركته مع قدرتك ومخالفتك لعبدك نجاح وهكذا من زرع الخير يحصد السلامه ومن زرع الشر يحصد الندامة وجميع ما أعطاك ما هو شيء والفضل ما يكون الا

المتقدم والثانى من الأول متعلم فقبل الصحصاح الأرض ثانيا وانبسط بالدعاء والثناء (ياسادة) وأقبلت مروه على أخيها وقالت له ماالذى وصل اليه من أبى فأعاد عليها جميع ما وصل اليه ففرحت بذلك وقالت له انه والله فى مقابلة فعله قليل لاجل فعل الجميل وقالت لمسلمة وما الذى فعلت أنت وأخوتك معه فقال على وعليهم مائة ألف دينار فشكرته على ذلك المقال وقالت للصحصاح ياملك العرب لك عندى وديعة انظر إلى ذلك الايوان وخذ مافيه بأمان فنظر الصحصاح وإذا بجميع ما كان معها فى الطريق من ذهب وفضة وعماريات وزلابات غوال وجواهر وأوانى وجميع ما كان معها حتى أنه ماعدم منه مايساوى حبه عند ذلك تبسم الصحصاح وقال يامولاتى وهذه وديعة فقالت نعم يا ملك العرب هذه حسناتك وغنيمة إحسانك الذى بذلت فيه مهجتك وسمحت به من بعد قدرتك فانى يوم وصولى معك كتبت الجميع وافردته لخدمتك وسوف أفعل ما يزيد على أضعاف ذلك واعتذر لك لأجل صنيعتك وكذلك جميع ما كان معى من الغلمان والخدم وكلما أملكه من دينار ودرهم وجملتهم أربعمائة عبد وأمه وكذلك أمرت بكل ما كان معهم من الخيل والبغال والنوق والجمال فهو لك فلما نظر الصحصاح إلى ذلك قبل الأرض وانطلق لسانه داعيا فقالت له والله إننا مقصرون فى حقك ومعتذرون اليك وقد أضفنا الى ذلك هدايات وتحف وسوف تراها اذا فتحتها فى حلتك وهى من سائر الظرايف والملابس وهيهات أن نقوم بواجب حقك أو نقدر على جوار فعلك (قال الراوى) فعندها نهض الصحصاح قايما وقبل الأرض أمام السيدة مروه وخرج من عندها وقد أقبلت عليه الدنيا بجموعها وأباحته خزاين مصنوعها وهو يظن أنه فى منام من كثرة مارأى من الانعام وسار مسلمة بين يديه الى الخيام ووصلت العبيد والغلمان بشىء بعد شىء الى أن حضر الجميع فى يوم وليله وقد كان فيه كفاية ثم أقبل مسلمة وقال له مابقى غير وداع أمير المؤمنين واطلبنى منه كما أعلمتك فقال يا مولاى وهل وصلت الى نعمة إلا وأنت سببها ثم انه ركب هو وأرباب دولته وساروا إلى أن وصل أمير المؤمنين فقبل الأرض ولم يجلس كما جرت به العادة بل قال السلام على أمير المؤمنين أدام الله ظله فى الخافقين وعدله ورفع فى الدنيا والآخرة قدره فقال عبد الملك بن مروان ما الذى يمنعك من الجلوس فقال يامولاى قد جاءك العبد مودعا وأسير الى الحى ليرى عمى عطاف ما أنعم به على أمير المؤمنين أبقاه الله فى عز وتمكين مادامت الأيام والسنين فان الله تعالى

إذا أنعم على عبد بنعمة يحب أن يظهرها عليه والعبد يشتهى أن بنى عمى ينظرون إلى ما وصل إلىّ من إحسان أمير المؤمنين حرسه الله بالدوام فقال عبد الملك بن مروان ياملك العرب إن كنت جئت مودعا فنار الشوق فى قلوبنا تودع ولولا ماذكرت من الشوق الى ابنة عمك ووطنك لما أذنا لك فى الرحيل فلا تكن بزيارتك علينا بخيلا فاسأل حوائجك فانها عندنا مقضية قال فبكا الصحاح وقبل الأرض شكرا ثم أنشد يقول :

فهم النجوم إذا النجوم تناصلت بضيائها وتمتعت بهلالها
وهم الغيوث إذا الغيوم تجمعت وتفرغت وسقى الثرى بلبالها
إن الخلافة لم تزل سلسالها دام السرور لهم على إجلالها
وهم الربيع إذا الصحارى أجدبت وتفرغت واستمسكت بحبالها

(قال الراوى) ثم قال يا أمير المؤمنين لقد حزت الأنعام وأعطيتنى مالم يخطر مثله فى الأوهام وقد بقى للعبد حاجة واحدة وهى تمام المجد وبلوغ الارب فقال أمير المؤمنين وما حاجتك ياملك العرب وسيد أهل الرتب فقال يا أمير المؤمنين ان العبد ربى يتيم فى أرض ماء النظيم يلبس الخام ويعيش مثل الأيتام وقد وصل إلى من أمير المؤمنين ما وصل من الأنعام ولا خبرة لى بتمهيد الإمارة ولاسيما الحجاز يختلف والعرب لا يفكرون فى العواقب ويتحدثون على المناصب والعدل هو الاطلاق للرجال وابن الهيثم ينقاد له مائة ألف عنان وربما يحمله العدل على على العصيان ولا يفكر فى العاقبة إذا عصى وقد كان المملوك يشتهى أن ينعم على أمير المؤمنين بالأمير مسلمة يدخل معى إلى الحجاز ويمهد لى البلاد وتطيعنى العباد فاذا اشتد أزرى واستتم أمرى وجاءت العرب الى خدمتى وتحت طاعتى فيرجع الأمير مسلمة مؤيدا منصورا وأكون بهيبته منصورا (قال الراوى) فلما سمع الملك كلامه أطرق برأسه إلى الأرض ساعة وقال ياملك العرب اليك ما طلبت لأنك قد حليت عندنا موضع الروح ثم أقبل الخليفة على مسلمة وقال له ان الحاجة داعيه اليك فى رأيك السعيد وفعلك الحميد والصواب أن تسير مع أخيك الصحصاح لتنقاد اليه رقاب العرب والعجم والترك والديلم فتأهب للمسير وخذ معك جيش كبير والتق الناس بالرعب والهيبة وشيد لأخيك الصحصاح قواعد المرتبة فقال الأمير مسلمة سمعا وطاعة ثم قال أمير المؤمين ان الله تعالى قد أسعد هذا الغلام وخصه بالادب والاحتشام فسير معه ياولدى على عجل وتوكل على الواحد الأحد الفرد الصمد

(قال الراوى) فلما أن سمع الأمير مسلمة من أبيه ذلك الكلام قال سمعاً وطاعة ولابد لى من الرواح معه وأعود مسرعاً الى الامام فقال له عبد الملك بن مروان يابنى إذا اجتمعت بمروان بن الهيثم أوعده عنا بالجميل ولا ترجع حتى يطأ بساط الصحصاح مثل خادم ويقف فى جملة الأمارة على الأقدام ويبوس الأرض لاثماً وكل من قبل الأرض أقبل عليه بالإحسان وكل من أساء أبليه بالهوان وأما بنى مخزية الذين تعدوا على حجاج بيت الله الحرام وفاتوا شريعة الاسلام فلا ترفع عنهم الحسام ونادى فى الخاص والعام أن من أتى برأس مخزومى فله مائة دينار ثم أصلب من وقعت به منهم على رؤوس الجبال حتى يكون فيه عبره لجميع الأنام ولا تطيل الغيبة فلا صبر لى على فراقك ارحلوا بارك الله فيكم ثم دمعت عيناه فقبل الأرض وبعده الصحصاح وخرج يده فى يد مسلمة فقال الصحصاح لمسلمة يامولاى لقد لاح لى اليوم فى وجه أمير المؤمنين شيئا ما أظن أن أحداً وقف عليه وذلك أن الخليفة من طلاقة وجهه النور يلمع من جبهته وكان ذلك اليوم صدره ضيق غير منشرح فقال له الأمير مسلمة وا عجباه منك يا وجه العرب فما أنقدك يامالك العرب فسبحان من أسعدك اعلم ياوجه العرب إن أمير المؤمنين قد أصيب بمصيبتين عظيمتين وقد منعاه عن تناول الطعام ولذة المدام حتى طار نومه ونحل جسمه فأزال الله عنه أحدهما بحسامك القاطع وعزمك المانع وأما الهم الآخر فهو الى الآن عليه مقيم وهو لايعن على من يخاطبه وقيل فى المعنى « وللناس فيما يعشقون مذاهب » فقال الصحصاح بالله يامولاى وماهو ذلك فقال له مسلمة اعلم يامالك العرب أن مروان ابن الهيثم كان قد أهدى الى أمير المؤمنين فيما تقدم هدية سنية ومن جملتها باذان أشهبان وكان عليهما من الزمرد حلتان بليغتان ومن الياقوت الأحمر مكللتان وكانا يصطادان فى الشتاء والصيف وكان أمير المؤمنين إذا خرج إلى الصيد يطلقهما فيطيران ويرفرفان على رأسه ويقفان إذا وقف ويطيران اذا انصرف وكانا يصيدان أكبر الطيور بخلاف الباذات ولا يحتاج الى من يرسلهما حتى ان أمير المؤمنين كان يقول لقد أعطيت بعض صفات سليمان عليه السلام وكل ذلك من شغفه بهما (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح من الأمير مسلمة ذلك الكلام قال الله أكبر أذكر فيها علامة قال له مسلمة يامالك العرب اعلم أن أحدهما أشهب كأنه كوكب ينقض انقضاض القضاء ويلوح بجنبيه فى الفضاء كأنه من طيور سليمان المرفرفة على رأسه فى الايوان والآخر يشابهه فى الجمال ويزيد عليه فى حسن الفعال وفى أرجلهما جلجلان مرصعان

ودرتان مدورتان قيمتهما ملك الشام وكان أمير المؤمنـين قد أشهرهما على نفسه بالدرتين وكان يقول إن الله قد أعطانا بعض كرامات سيدنا سليمان ابن داود عليهما السلام بالطير الذى يرفرف على رأسه مما ألقى الله محبة هذين الطيرين فى قلبه (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح كلام الأمير مسلمة قال لقد فتح الله لى باب النجاح ووفقنى للصلاح وما كان هذين البازين إلا رسولين من عند أمير المؤمنين حتى وصلا إلى إنعامه واحسانه وانهما يامولاى عندى وتحت يدى ولقد كانا بشيران السعادة ومع هذا فانى متعجب منهما لأنهما كانا فى الشام فما الذى جاء بهما الى الحجاز فقال له مسلمة وقد كاد أن يغشى عليه من الفرح سبحان من جعلك رحمة لقلب امير المؤمنين وسوف يكون حديثك عبرة للآخرين فقال له الصحصاح يامولاى فما السبب فى ذلك وكيف كان أمرهما هنالك قال له مسلمة اعلم ياأخى أن السبب فى ذلك أن أمير المؤمنين خرج ذات يوم من بعض الأيام إلى الصيد والقنص وقد أطلق البازات فأطلقهما فصعدا فى الجو إلى أن وقفا فوق رأسه وجعلا يصطادان ويرميان قدامه وقد غلب السرور عليه حتى أتى الضرر بعد الصفا وأتى من القدر ماليس يخفى كما قال القائل :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليال فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

(قال الراوى) ثم قال ياأخى فبينما البازان كذلك واذا بطائران قد نزلا من الجو عليهما وقد طلبوهما فهربا منهما ومازالا يطردانهما الى أن خفيا عن أعين الناظرين ولم يعودا وقد مرقا كل المروق وخفيا فى الغبوق فهذا كان سبب ذلك فقال الصحصاح يا أمير مسلمة البازان وجميع ماوصفته عندى وتحت يدى فقال الأمير مسلمة هذا الذى تقوله فى اليقظة أم فى المنام فتبسم الصحصاح وقال أيها الأمير ابعث من عندك البشير الى أمير المؤمنين بذلك ففرح مسلمة وقال لا يكون بشير إلا أنا ثم انه رجع الى أمير المؤمنين ودخل عليه فرآه وقد رجع سريعا فتغير وقال له ما وراءك يامسلمة هل حدث أمر أو أتى من أرض الحجاز خبر فقال مسلمة البشارة لك ياأمير المؤمنين فقال بماذا تبشر لازلت بشير الخير فقال يامولاى أبشرك بما يسر به قلبك قال قل وأوجز فقال ياأمير المؤمنين أبشرك بما يسر به قلبك اعلم أن الله تعالى قد رد عليك البازان كما رد يوسف على يعقوب فاشكر الله على ما أولاك من السرور وإزالة الكروب (قال الراوى) فلما سمع الخليفة من الأمير مسلمة ذلك الكلام وثب قائما على الأقدام وقال يامسلمة عند أى الملوك هما ومن جاء بخبرهما ؟ فقال له يا أمير المؤمنين اعلم أنهما

عند الذى قد كشف عنا العار وضرب بنى مخزيه بالصارم البتار وكان لمروة نعم المستجار فقال له الخليفة هذه صفات ملك العرب الصحصاح فقال نعم يا أمير المؤمنين فتعجب الخليفة وقال هذا رجل قد أيده الله بالسعادة وقد صار للدولة ناصر ولأعدائها قاهر قال له الخليفة وأين هم البازان فقال مسلمة ياأميرالمؤمنين هما فى قبضته والآن مودعين فى حلته عند والدته ثم انه أعاد عليه حديثهما من أوله الى آخره نخر الخليفة ساجداً شكرا لله تعالى وقال يامسلمة ما رأيت بدوى أسعد من هذا والله انه ملك الأرض فى طولها والعرض وقلنا اننا نجازيه على فعاله رجع غمرنا بفضله وإحسانه بأفعاله والآن فقد تكرر علينا إحسانه وزاد فخره بما ذكره من بيانه فالحمد لله الذى منّ علينا بالصحصاح فهو عنوان السعادة والفلاح ثم قال يامسلمة اذهبا بارك الله فيكما ولا تتوانى عن إرسال البازين ولو مع غيرك فقال له السمع والطاعة ثم ودعه ورجع على عقبه إلى أن وصل إلى الصحصاح وقد تلألأ وجهه بالأفراح فلما رآه الصحصاح قام له إجلالا وقال له يامولاى ما الذى فعلت بعودتك الى أمير المؤمنين فقال له إنى بشرته بما أنعم الله به عليه من نعمه وما آتاه من السرور على يديك وسوف ترى ما تقر به عينيك . هذا وقد شاع الخبر فى دمشق بأن الأمير مسلمة سائر مع الصحصاح ملك العرب الى الحجاز نخرج لخروجه خلق كثير وخرجت معهم العساكر الذين كان قد جهزهم الخليفة فعند ذلك نظر الصحصاح إلى ماقد أعطاه الله عزّ وجل فشكره على نعمه وكان جملة المتجردين مع الأمير مسلمة خمسة عشر ألف عنان تذهل العيان هذا وقد نشرت الرايات ونعرت البوقات وسار الخليفة معهم بنفسه للوداع يوم كامل وبعد ذلك ودعه مسلمة والصحصاح فضمهما الى صدره وقال لهما اعلما أن مالى عندكم وصية إلا اهلاك بنى مخزيه فقالوا سمعاً وطاعة وكان قد خرج معهم بقية أولاد الخليفة وساروا معهم إلى أرض العناك فأقسموا عليهم أن يرجعوا من هناك فرجعوا وودعوهم وساروا مسافرين وعلى رؤوسهم الأعلام وتموا يقطعون البر والآكام فعند ذلك تفكر الصحصاح فى خروجه من قومه وهو وحيد فريد فقير ورجوعه اليهم وهو من فضل الله ملك كبير فترجل وقبل التراب لله الملك الوهاب وقال يامن أنعم على وأنا فى ظلمة الأحشاء وفعلت بى ماتشاء فلك الحمد بعدد خلقك ولك الشكر على سعة رزقك أدخلتنى الشام فقير ورددتنى الى أهلى ملكا وسلطانا مجيدا ومهدت أمرى تمهيدا وجعلت لى خدماً وعبيدا وقد عجزت يا ربى عن شكرى لنعمتك

ولطف عنايتك ثم انه ركب وسار فى ذلك العسكر وهو طالب أرض الحجاز وديار بنى كلاب هذا وقد شاعت الأخبار فى سائر الأقطار بما قد وصل إلى الصحصاح من الملك الذى يقصر عن مثله قيصر وملوك بنى الأصفر بعد يتمه وفقره وذله وقهره لطف به الرب الكريم وأعطاه ملكا عظيما كما قال الشاعر الفهيم حيث يقول

لك الحمد والمجد والكبرياء   وأنت الاله الذى لا تزول
فاسعدتنى يا إله الورى   فحزت الجيوش وقدت الخيول

(قال الراوى) هذا وقد بلغ الخبر إلى بنى سليم وإلى مقدمها الأمير مروان ابن الهيثم فعظم عليه وكبر لديه فجمع وجوه قومه وأكابر عشيرته وقال لهم يا بنى عمى لقد أتانى الخبر أن هذا الغلام المسمى بالصحصاح بن جندبة الكلابى قد ولاه الخليفه مكانى وقد عزلنى عن مملكة العرب وقد أعطاها لمن ليس هو أهلها ونحن أحق بها وأولى وإنى أخاف أن يخرج الملك من أيدينا وأن الصبر على هذا ليس بصواب لأن الله عز وجل لما أن قال إنى جاعل فى الأرض خليفة علموا الملائكه أنهم قد عزلوا وأنه يستخلف بنى آدم فقالوا من غيرة العزل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية هذا من الملائكة جرى وهم لا يأكلون ولا يشربون وقد صعب عليهم العزل عنها وإخراجهم منها فكيف ونحن نسطو بهذه الولاية وأخذ الأموال وتخدمنا الرجال وتنقاد الى طاعتنا الأبطال وتهابنا العرب والعجم وتطيع الملك سائر الأمم وبعد هذا فما أنا الا واحد منكم ولا ترفعنى نفسى عليكم فان تأخرتم تأخرت وان عزمتم عزمت ثم أنه أشار اليهم بهذه الأبيات يقول

أبنى سليم يا وجوه قبيلتى   فلقد علمتم فى الكلام نصيحتى
العزل مر والهوان مذلة   أفتصبرون على طعام مذلة
قد قلد الصحصاح أمر رقابكم   وستصبحون له عبيد الخدمة
قد كنت فيكم حاكما متوليا   مشفق عليكم فى الرخا والشدة
والآن قد أضحى الخليفة كارها   لكموا ولى فتأملوا فى قصتى

(قال الراوى) فلما سمعوا كلامه وفهموا نظامه نادوا كلهم عن كلمة واحدة وقالوا أيها الملك منك الأمر ومنا السمع والطاعه ومنك الاجتهاد فى الأفعال ومنا المساعدة والقتال ومن هو عبد الملك بن مروان عند العرب الذى قد اتخذوا المفاوز سكننا والجبال وطنا ونحن لا نطيع أحدا من البشر لا من العرب ولا من الحضر وأما بنى كلاب ما هم عندنا الا مثل الكلاب ولا فرق بينهم وبين الدواب وما أعطى الخليفة

للصحصاح مملكة العرب الا من طريق التمنى فاذا كان قد أرمانا بشهاب من العزل والهوان فما ندخل تحت طاعته ونحن فى بلادنا نقاتل عن حريمنا وأولادنا ولنا السيوف الصقال والرماح الطوال والرجال والابطال والعدد والاموال ونحن لا نصبر على الذل والهوان وما لنا ملك غيرك ولا مقدما سواك فطب نفسا وقر عينا واعلم أن من دون ذلك ضرب يقد وطعن يهد ثم قام منهم رجل يقال له القعقاع بن عمار وقال لا وحق من رفع السماء وعلم آدم الاسماء ما مكناهم من هذه البلاد ولا يلقوا منا الا سيوف حداد ورماح مداد وسواعد شداد ورجال أجلاد عند الحرب والطراد ثم أنه أشار يقول

هون عليك الامر يا ابن الهيثم   فجميع ما فعلوه ليس بمعظم
فلسوف نطعن بالأسنة فيهموا   ونجول فيهم بالرماح اللهدم
وبنوا كلاب كالكلاب وغيرهم   ليثا نجا فيهم نهار المصدم
ان كنت تختار الامارة دائما   فاجعل لنا قبل الامارة سلم
واعزم على الصحصاح قبل وصوله   وامزج له كاس بسم الارقم
واعزم على حرب الجميع فانه   ذل وعار واصل لو تعلم
واجهد على ضرب الرقاب بصارم   ماض يقضقض كل قرم ضيغم

(قال الراوى) فلما سمع مروان بن الهيثم كلام سادات عشيرته فرح فرحا شديدا وجزاهم خيرا وأقام ينتظر قدوم الاخبار وهو فى هموم وافتكار قال فهذا ما كان من ديار بنى كلاب وحلة بنى عامر والامير عطاف وابنته ليلى فانهم كان حدث عندهم حادث عظيم لابد أن نذكره على الترتيب بعد الصلاة على سيدنا محمد الحبيب صاحب البرده والقضيب وذلك أن الصحصاح لما سار من عندهم وطالت غيبته وبعدت سفرته وانقطعت أخباره وظنوا انه قد مات وشرب شراب الفوات فى بعض الغارات فبكوا عليه وتأسفوا على انقطاع خبره وبكى عطاف وأهل الحلة وأما ليلى فانها كادت أن تهلك نفسها حزنا عليه وصامت عن الطعام وتركت الشراب وهجرت المنام وبكت المحبين على شبابه وكيف صدعه الزمان وأخذه من بيت أهله وأحبابه والاوطان هذا وقد وصل خبره الى أمه فأيقنت أنه صح هلاكه فحزنت عليه حزنا شديدا وصارت مثل الحبه على المقلا وهى تندب عليه الليل والنهار بلا هد ولا قرار وقد تذكرت أخبار المتقدمين وعجائب الأولين ومنعت الناس عن الرقاد من كثرة النواح والحداد وصارت تقول يا ولدى ما عهدت منك هذا الجفا يا طول حزنى عليك يا ولدى (قال

الراوى) فأتوا أهل الحى اليها وقالوا لها اعلمى أن هذا البكاء يؤدى إلى الهلاك وسوء الارتباك ارفقى على مهجتك فتقول لهم وهل أريد بعد الصحصاح حياة أو قرار ثم انها شكت وبكت وقالت هذه الأبيات

أقصروا اللوم فالملام حرام ... فالفؤاد أذابه الاسقام
وجفونى مسهدات من الحزن ... فما يستقر فيها مئام
ظل قلبى على فراق حبيبى ... مضرم بالجوى ونار الغرام
كنت طفلا وعاقلا وصغيرا ... ثم خضت الوغا وأنت غلام
سوف أبكى على فراقك دوما ... ما تغشى الدجى وأرخى الظلام
كنت يا ولدى بجنبى مقيما ... سوف أبكى مثل نوح حمام
سوف أبكى عليك يا نورعينى ... كنت عزى فكيف عزى يضام
يا حبيبى من للغريبة فى الأهل ... اذا ترجف بها الآلام
أترى أنت سالما تجىء لعندى ... أرتجى ترجع عودة الأيام

(قال الراوى) الا أنها لما طال عليها البكا والنواح فى المسا والصباح ونهوها أهل الحى عن ذلك فضربت لها بيت فى أطراف البيوت وخرجت من بينهم وصارت تبكى ليلا ونهارا وإذا كان وقت الليل لا تنام وإذا أتى النهار تمضى إلى قبر أبيه جندبه وتناديه يا سيدى هل التقت روحك بروح الصحصاح لأنى قد كرهت الحياة فمتى يكون الوفاه ثم تبكى وتزيد فى البكا والانتحاب ولما زاد بها العنا أنشدت وجعلت تقول

سأنوح ما دام الزمان عليكما ... والقلب مشتاق يطير اليكما
وكيف اكف الدمع من فيض مقلتى ... وكان اعتمادى فى الأمور عليكما

قال الراوى) وأما ليلى فانها ما رقدت بعده ليلة ونحلت من كثرة البكا إلى أن خفيت عن عيون الناظرين وصارت كانها الخلال وإذا زاد بها الغرام فتأتى إلى أم الصحصاح فيبكيان ويندبان كما جرت عادة النسوان هذا وقد انكسرت شوكة بنى كلاب وانهدم طودها البديع وطمع فيها من كان خائف وشاع فى سائر القبائل والحلل بأن الصحصاح قد أصبح هالك وقد قتل لأن غيبته كانت ثمانية عشرشهرا لم يسمع له فيها خير (قال الراوى) فبينما بنى كلاب فى حللها وهى مطمئنة واذا بغبار قد ثار حتى سد الأقطار وعاد النهار كانه الليل فى الاعتكار وبعد ساعة ظهرت من تحته نواصى الخيل كانها قطع الليل فصاحوا عند ذلك جميع أهل الحلة الخيل يا أرباب الخيل فأقبلت

من كل جانب وهاج الحى بساكنيه وارتج بقاطنيه وركبت الرجال على خيولها وتجردت بنصولها وجرت عوامل الرماح وتذكروا فى ذلك الوقت وقفات الصحصاح وتمنوا لو كان حاضرا كان يسد عنهم هذا الباب ولو أن يفدوه بأرواحهم وتندموا عليه وساروا طالبين الى تلك الخيول الغائرة وقلوبهم من الحرب غير نافره وهم لايعلمون من هم من العربان (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك ان فارس يقال له حريث بن الحجاج الذى قدمنا ذكره كان فى قلبه النار مما فعل الصحصاح عندما خلص عمه بالحيله وكيف كسر بنى كندة كلهم بالشجاعة والقوة والبراعة وقد فتك فى الرجال وقتل الأبطال وعاد بعبده سالم من الأنكاد فبقى حريث من ذلك حيران ولم يزل على ذلك الحال مدة أيام وليال الى أن غاب الصحصاح وشاعت الأخبار بفقده وأن بنى كلاب قد لازمت عليه البكا فجمع حريث قومه وأهل قبيلته وقال لهم أنتم تعلمون ماصنعت معى بنى كلاب لانى قد تربيت يتيما ولما ان كبرت وصرت فى طبقه الشجعان سرت الى عطاف وأخذته وأردت قتله لأجل ما آخذ منه بثارى فأتى الينا الصحصاح خلفه الى حلتنا وقاتل فى أبطالنا وفرساننا وأباد ساداتنا وتركنا حديثا بين قبائل العرب فماذا أنتم قائلون فقالوا له بعض فرسان عشيرته والله لقد أجبت فى المقال وأصبت فى الفعال ومالنا الا نرحل إلى قبيلته وننهب حلته فى غيبته ونقتل عشيرته ونأخذ ثارنا ونمحى عنا عارنا فقالوا له المشايخ وأرباب المشوره يا أمير حريث ماهذا صواب لان فرسان بنى كلاب أبطال فى الحرب والجلاد وقد نشأ فيها هذا الفارس الذى قد ساد وفاق أبطال العرب من ذوى المفاخر والرتب وأنه اليوم فى طبقة ابن شداد عنتر وعقبة بن شهاب اليربوعى وعمرو بن معدى كرب الزبيدى ولانأمن منه أن يرجع يلتقط أبطالنا ويعود علينا ذلك وبال ومن لم ينظر فى العواقب فماله فى الدهر صاحب فقال لهم الأمير حريث اصبر ولعل الله أن يحدث من بعد ذلك أمرا من الأمور (قال الراوى) ثم انه صبر على مضض منه لاجل أنه ماوصل إلى بلوغ الغرض هذا وقد مضى بعد ذلك أيام وشهور وهو ينتظر حوادث الأيام والدهور والقضا والقدر الى أن جرى ماجرى وغاب الصحصاح عن حلته وطالت غيبته وفقدوه أهله وعشيرته وقد سمع بعض شعراء العرب بندب النوادب فى حلل بنى كلاب فأشاع ذلك فى قبيلته وشاع فى القبائل تلاف مهجته فوصل الخبر إلى بنى كندة ففرح حريث بذلك وقال ما أبركه من صباح بهلاك الصحصاح والآن ان حى

بنى عامر بقى بعده مباح فى الغدو أوالرواح وتنهب الأموال والسلاح وبنوا وعزموا على الرواح حتى يأخذوا تارهم ويسلبوا منهم الأرواح ثم نادى فى بنى كندة وقال يا آل كندة النار التار فلم يبق أحد إلا وتار وساروا فى محفل عظيم بعساكر قد ملأ القفار وما زالوا يجدوا السير وكلما عبروا على حله أو قبيلة ينذروها والكل قد تسربلوا بالحديد وتبرقعوا بالزرد النضيد وحريث ينشد ويقول

جدوا بنا يامعشر الأصحاب   نهب أحياء بنى كلاب
ونغنم الأموال مع القباب   ونقتل الشيوخ والشباب

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى حى بنى كلاب ولما أن ظهر الغبار وبان لأعين النظار خرجوا اليهم الكبار والصغار هنالك فى ذلك الوقت عرف عطاف قدر الصحصاح فبكى عليه وناح ولما نظر بنى كندة وقد ساقت النوق والجمال تقدم اليهم ونادى يابنى الأندال والله لقد خابت منكم الآمال وحامت عليكم طيور الآجال ثم انه حمل عليهم فى عاجل الحال وحملت معه الأبطال وجروا فى أيديهم البيض الصقال وشرعوا السمر العوال وحامت عليهم النسور تروم أخذ مقل الرجال هنالك جرى الدم وسال وثبتت الرجال الكرام وفرت اللئام وتقابلت الرجال بالرجال وعمل السيف بالقتال وتقطعت ونفرت نفوسهم من القتال ومالت إلى الهزيمة والهرب وخابت منهم الآمال هنالك بكا وناح وتذكر أيام الصحصاح فأنشد وجعل يقول :

أيا ابن أخى قل الصبر والجلد   لبعدك قد أودى بنا الهم والكدر
لقد كنت ياصحصاح للضد قاهر   فاظلم ضوء الفجر بل أفل البدر
أيا ابن أخى قد كنت نور سمائنا   وليس يسقى الدهر من لا له نهر
فتاة من العلياء أكربها الردا   وليس لها من بعد ما كسرت جبر
غريب ثوى فى الأرض عناوذكره   مقيم مدى الأيام ما بقى الدهر
لفقدك ياصحصاح حل بنا الردى   فلا قلب إلا حشو أحشائه جمر
ألا فالعيش نغضا من بعد موته   فقيد لنا من قد حوى ذلك القبر
وكانوا جميع الناس يخشون بأسه   وكان لهم من خوف سطوته ذعر
فلو عاينت عيناك ما قد أصابنا   كانا أناس قد نكبنا إلى الحشر

(قال الراوى) ثم انه بعد شعره حمل على حريث وحمل حريث عليه

وتطاعنا فى الميدان ساعة من الزمان وطعن حريث إلى عطاف بعقب الرمح فى صدره فوقع عن مركبه على ظهره وكان عرفه فما أرادقتله إلى فى أحياء قومه ليعلموا الناس أنه قاتله حتى لا ينسبوا قتله إلىغيره هذا وقد نظرت بنى كلاب

الى أميرها وهو ملق على الأرض والفلا قد امتلأت من القتلى
فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وقد عمل فيهم الصارم
البتار وقتلت حماتهم وخربت أباتهم وقد سبيت
نساءهم وأخذت أموالهم وساءت أحوالهم
فلطمت النساء على الخدود وكانوا
نساء بنى كلاب كأنهن
الشموس والبدور

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الثالث

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى) هذا وليلى قد خرجت من خدرها وكشفت البرقع عن وجهها ونشرت شعرها ولطمت على صدرها ونادت بلسان حزنها وكتبت بأقلام عبرتها على صحن وجنتيها وأشارت تنشد وتقول :

الحزن مشترك والهم مطلوب ... والوجد مطلبه عندى لموجود
وفى فؤادى من النيران حرجوى ... لها يجنى على فيه تعديد
ويلاه حل بنا الويل الطويل وقد ... ذلت بنى عامر الأسد الصناديد
يافارس الحرب ياصحصاح يا أملى ... عز المصاب وأيام الهنا سود
جدوا الرحيل بنا يانسل جندبة ... ونحن فى السبى قد ضاقت بنا البيد
ويلاه لو نظرت عيناك حلتنا ... أموالنا نهبت والمال والجيد
لو كنت يافارس الفرسان منجدلا ... على البسيطة أو بالأرض ملحود
يافارس الخيل قد أصحبت خاسرة ... مع الأعادى وصبرى عاد مفقود
قد كنت ركنا لنا فى كل نائبة ... ويلاه ويلاه عاد الركن مهدود
وما عهدتك قبل الآن تتركنا ... نهبا لأيدى العدا إذ أنت موجود
ما بال عطاف فى أسر العدو ولم ... تحام عنه وباب الصبر مسدود
ترى تعود الليالى مثلما سلفت ... يوما ويرجع دهرى وهو محمود

(قال الراوى) وكان من العجب أن ليلى كانت تنشد هذه الأبيات والسيف يعمل فى السادات فالتفت حريث إلى ليلى فنظرها ودى تلتفت لفتات الغزلان وتميل كأنها الغصن الميال لأن الملاحة تزين أهلها وعلم الجمال فوق خديها والسحر حسن جفنيها وهى كما قال فيها بعض واصفيها حيث يقول :

كان سلاف الخمر من صافى ريقها وعنقودها من شعرها الجعد يقطف

(قال الراوى) لهذا الكلام ولما أن نظرها حريث نظره أعقبته ألف حسرة فقال لها ياذات الجمال على من هذا الندب والأعوال أخبريني ياحمامة الوادى على من تندبي وتنادى فقالت له ياكلب العرب وأخس من ضرب فى البيدا وتد وطنب لقد فعلتم فعل ماسبقكم اليه أحد من الرجال وقد نهبتم الأموال وقتلتم الرجال فما الذى ترجون من ربات الحجال وهل يحكم الشرع بالتهجم على الحريم وهل يرضى أحد بهذا الفعل الذميم ويلك يالئيم غير كريم لقد ركبتم أمر عظيم وعلاكم عار جسيم وشنار ذميم وكيف يجوز لك أن تكلم من لا هو لك حريم ولكن أندب على رجل كريم وجواد عظيم كان يحمى الحريم وبالله لوكان حاضرا مقيم لقصرت يداك أن تفعل هذا الفعال إذا غابت السباع لعبت الكلاب الجياع ولو كان حاضرا رغم هذه المعاطس وجعلكم مابين قتيل وناكس ولم يقدر ينافسه منكم منافس ثم انها بكت وأنشدت تقول هذه الأبيات :

يعز على الصحصاح ماقد جراليا وماقد دهانى من عظيم المصابيا
لقد كنت ياصحصاح تحمى حمائنا فلو نظرت عيناك ماقد دهانيا
ولو كنت هذا اليوم حاضر ماجرا تكر على الأعدا بحد المواضيا
ولكنه قد غاب عنا فلم يرى وأصبحت من بعده قليل المحاميا
فلو كان هذا اليوم حاضر جمعكم لكان لكم أفنى بحد المواضيا
ولو كان معنا حاضرا للقائكم وأنتم بعد الرمل لم يكن وانيا
وكان لكم كفؤا ولو كان عدكم كعد الحصى والرمل أو كالجراديا
وخلاكم فى الأرض صرعى كأنكم حصيدا هشيما فى الأراضى الخواليا
ووشحكم بالسيف ضربا ممكنا وأفناكمو حقا بحد اليمانيا
فلو أننى أشكو الذى بى لفقده الى الجبل الراسى لكان رثى ليا
ولو صحت ياصحصاح كان مسارعا وكان أتانى مسرعا ومناديا
ولو صحت له فى الحال كان أتى لنا وكان زخيره فى اللقاء للاعاديا
وقد كنت أرجو أن أكون فدا له فأصبح من طول البعاد فدا ليا
وقالوا أناس سوف تسلو حبه فقلت لهم لاكان قلبى ساليا
سلام على الدنيا سلام مودع فلا خير فى الدنيا اذا كان فانيا

(قال الراوى) ثم انها بكت وناحت وعددت وصاحت هذا وحريث

قد بهت من حسنها وجمالها فسأل عنها فقيل له هذه ليلى بنت عطاف سيد بنى كلاب وهى تندب على ابن عمها الصحصاح فارس الحرب والكفاح لأنه عنها غائب وقد أتاها خبره انه قتل فى البر والسباسب وهى تندب وتبكى عليه كما ترى وقد أصبحت نايحة فلما أن سمع حريث ذلك عنها زاد لها وجدا وعشقا وغراما وهياما وقصد لها وغطى رأسها بعمامته وقد زال عنه غمه وهمه وقد تحركت حركات عكوسه وغمه ونادى لقومه يا آل كندة فأجاوه بالتلبية وقالوا لبيك يا فارس الاعراب ماذا تريد من الأسباب فقال لهم ياويلكم يابنى عمى ارفعوا السيف عن بنى كلاب فقد أعطيتهم الأمان فرفعوا السيف عنهم من بعد ما كانوا أشرفوا على القلعان وقد نادى المنادى بالأمان فرجعت بنى كلاب وقد تعجبت من تلك الأحوال وعادوا إلى الأحيا من بعد ما كانوا تعلقوا بالجبال والتلال خوفا من الوبال ومنهم من كان مخفى مع ربات الحجال من داخل الأبيات خوفا من النكال (قال الراوى) ثم إن حريث أمر باحضار الأسارى وكانوا ألف وثمانمائة رجل وكان فى جملتهم عطاف قاتل أبيه وقد أيقن أنه ما يبقيه ولا يقبل من أحد شفاعة فيه فلما حضروا الجميع إلى بين يديه قال حريث اعلموا يابنى عمى والكلام لبنى كلاب انكم يابنى كلاب قد أسلفتم لنا أمثالها وقد قتلتم من بنى كندة أبطالها وأخذتم أموالها وهذا عطاف قد قتل أبى وقد ربيت أنا يتيما منذ كنت صبيا وكان عيشى من بعده أيشم عيش الى أن كبرت وتقدمت على قومى وكنت أنتظر مثل هذا اليوم وأنا أقسم بمن لا تراه العيون ولا تكيفه الظنون العالم بما كان قبل أن يكون ما كان لى نية أن أبقى منكم صغيرا ولا كبيراً ولا أرى منكم أحد إلا وأتركه على الأرض عفير والآن فقد غير الله ما فى القلوب وها أنا قد عفوت عنكم ومننت عليكم بنفوسكم وأموالكم بحيث لا يعدم لكم منها عقال وذلك بشرط يكون لى عليكم وإلا فعلت كما قيل فى المثل الخير بالخير والبادى أكرم والشر بالشر والبادى أظلم وأحكم عليكم ما على أبى عطاف قد تحكم لأن من أخذ تاره ما ظلم وأننى نظرت عندكم جارية ذات وجه مليح وقد رجيح ولا شك أنها ذات نسب صحيح وأريد أن تزوجونى بها مكرمة وقد خلصتم من هذه النوبة المعظمة لأنها ذات جبين صبيح ومنطق فصيح يدل ذلك على عقل رجيح (قال الراوى) فلما سمعت بنو كلاب من حريث ذلك الكلام أيقنوا بالفرح وزوال الهم والترح هذا وقد أقبل حريث على عطاف وقال له أيها الأمير إن من

زرع حصد من جنس زرعه وأنت قتلت أبى وأنت سبب ما حل بى من اليتم وقد كنت عزمت على قتلك وأقتل من قومك مثل ما قتلت من قومى والساعة فى يومى قد رأيت تلك الجارية التى قد زانها جمالها فصار قلبى ممتلكا لها لأجل دلالها فأردت أن أحكمها فى ملكى وأسلم اليها نعمتى وأسكنها فى مهجتى وأخيرها على جميع الأهل والأقربا وهى صاحبة هذا الخبا وأشار بيده إلى بيت عطاف وقال لقد آلمنى بكاها وأشغل قلبى أنينها وشكواها فمن هى ياسيد بنى كلاب قال هى ابنتى (ليلى) الكريمة الجليلة وهى لك أيها الأمير أمه وأنا من جملة الخدمه فافعل بنا ما أنت أهله (قال الراوى) فلما سمع الامير حريث من عطاف ذلك الكلام فرح وعلم أنه قد بلغ المرام فوثب هو بنفسه وفك كتاف عطاف وقد أمر بحل الباقين من الوثاق ورد الجمال والنياق . هذا وقد نصبت عند ذلك البيوت من بعد ماوقعت وعلت القباب وفرحت واستبشرت بنى كلاب وقالوا هذا هو الصواب وأنت ياسيد بنى كنده الفائدة والعمده ثم عقروا النوق والفصلان وقدموا لهم الطعام وسكبت الخمور ودام الفرح والسرور هذا وأن عطاف قد زوج ابنته لحريث سيد بنى كنده وقد حمله على ذلك أشياء عده (إحداها) أنه كان قد أيقن بالهلاك (والثانى) ما جرى على قومه من الهلاك والإرتباك (والثالث) أنه قد أيس من الصحصاح وأيقن انه قد راح مع من راح (والرابع) أن حريث صاحب حسب ونسب وفضة وذهب وقد بذل الصداق لأجل هواه وتمنى أن يخرج من دنياه إذا لم يبلغ مناه (قال الراوى) هذا وقد سمعت (ليلى) ذلك الكلام فصعب عليها وكبر لديها . هذا وقد ضربت الدفوف والمزاهر فى أبيات بنى كلاب فسألت (ليلى) عن ذلك فقيل لها ان أبيك قد أزوجك بالأمير حريث فقالت لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم انها بكت وزادت بها الندامه فمزقت ثيابها وزاد بكاها وانتحابها وأنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات :

أصحصاح دام اللوم والويل والعتب ... ونار غرامى فى الجوارح لا تخبى
وقد كنت أرجو أن أراك مسلما ... فقد قطعت منك الرسائل والكتب
أغارت علينا خيل كندة بغتة ... وقد عملت فينا العوامل والقضب
وقد زوجونى يا ابن العم مسبية ... وإن لم يرجعوا عنى فانى لهم حرب
وحقك لا أملت فى الدهر سلوة ... وانى بطول الدهر للغير لا أصبو
حلفت بمن حث القلوص إلى منى ... وطاف ولبى ثم سار بذى النجب
بأنى ما أنساك ما هبت الصبا ... ولا طاب لى عيش ولا قر لى قلب

(قال الراوى) هذا وقد اشتغلت بالبكاء حتى أشرفت على الفناء فسمع أبوما بكاها فأتى وبكى بين يديها وقال لهـا قد علمت ياابنتى أنى كنت مشرف على التلاف وكذلك قومك وعشيرتك وما خاصنا الله تعالى إلا بسببك ولقدكنت مثل مريم ابنة عمران التى شرف الله بها قومها ونجاهم من الشدائد لأجلها وقد طلبت هؤلاء الأقوام منا النار ولولاك لم كان سلم منا ديار ولا نافخ نار وقد كنت فى الجملة سببى إلا أن الله تعالى قد منّ علينا وعليك لمـا نظرك الأمير حريث فأحبك وأطلق الناس من أجلك وانه والله أمير مشهور وبطل مذكور والصحصاح قد قتـل أو وقع فى الأسر فهلك ومثل هذا الزوج مايصلح إلا لك فقالت ليلى : ياأبى أما اتفاق الأزواج فـكثير ولـكن ما كلهم يدفعون غريم واما أقول إن العرب ساروا يخلصوا أنفسهم بالبنات العذارى وأنا حزنى على حامية بنى كلاب مقيم وقلبى من رعايتـه جحيم وقد فوضت أمرى الى السميع العليم ولو لم كنا طالبناه بالصداق لمـا كان تشتت فى الآفاق وهو وحيد فريد ابن عشرون سنة ولاشك أنه ازدحمت عليه الألوف وقطعوه بالسيوف ولو كان حياً لـكان عنى محامى ولا كنت أنت رأيت نفسك فى قيود المذلة والحرمان (قال الراوى) فلما سمع عطاف من ابنته ذلك الـكلام قال لها والله اننى متندم على الصحصاح كيف فرطنا فيه وماعرفنا قدر مساعيه وما علمت هذه النوبه حتى مضى وفات فيه الأمر وانقضى والآن لو امتنعت عن مراد هذا الرجل لمـا أبقى منا باقية فالحمد لله الذى جعلك مباركة على أهلك وسبب رجوعهم إلى الأوطان بعد ما كان قد حلّ بهم الهوان وقد زوجتك به وقضى الذى كان فاصبرى على حكم الإله الذى دبر الزمان ويعلم ماهو كائن فى الأكوان فلما سمعت (ليلى) ذلك بكت وتحسرت وأنشدت تقول :

حلّ المصاب صبرت أم لم أصبر … فلأ بكين على الـكريم العنصر
ولأ بكين على الذى قد كان لى … حصنا يبيد الفارس المتكبر
أبكى على الصحصاح دهرى دائما … أسفاً على المليح الوجه الأزهر
أبكى عليه بدمعـة مسفوحة … طول المدامع كالسحاب الأمطر
بالأمس كان منـا هاربا … ورجاله فى ذلة وتحير
فأعادهم قهراً على أعقابهم … وسطا عليهم مثل سطوة قسور
لم يحتفـل يوما ولم يك فازعا … إن قابلوه بالعـديد الأكثر
حتى إذا قد صار بين بيوتهم … رحم الحريم فعال طيب العنصر

قد كان ذاكر وفر وعصبة   في جود حاتم أم شجاعة عنتر
صبرا لحكم الله فيه انني   إن لم أمت ذا كرة لم أعذر
لو كنت أملك قوتي لم يحوني   من بعده بعلا بلى لم أقدر
والله قادر أن يفرج كربتي   من قبل ذلك فهو خير مقدر
وليعلم الصحصاح اني لم أحل   عن عهده حتى اللقا في المحشر

(قال الراوي) فخرج أبوها من عندها وقد علم ان عتابها يزيد غمها وهمها وبعد ثلاثة أيام أتى اليه حريث ونزل على أبياته وقال له أيها الأمير قد عولت على المسير إلى دياري لأني لم أقدر أزف ليلى ههنا وأريد أن تصلح أمرها في يومنا هذا وأرحل بها في غداة غد الى أهلي وأزفها عند والدتي لأن مالها ولد سواي فقال عطاف سمعاً وطاعة ثم انه أمر باصلاح أمرها وأخرج جهازها فكان شيئا عظيما . هذا وقد ألبسوا ليلى من الثياب الفاخره ما تعجز عنه الا كاسره . كل ذلك وهي تبكي وتندب على الصحصاح فقال حريث لعطاف أيها الأمير أريدك بعد سبعة أيام أن تقدم عليّ في سادات قومك لتشهد كرامتي في حلتي وأحمل اليك ما يحمل لمثلك لتعلم العرب انى قد حملت لابنتك صداق وافر ومهر غالي وأموال غامره فقال عطاف حباً وكرامه وأنا عبدك وهي أمتك والفضل شيمتك ثم انهم خرجوا من الحي وليلى تصيح وقد صارت تبكي فلما أن كان من الغد عند الصباح رحل حريث وليلى معه ونظرت أم الصحصاح إلى رحيل ليلى مع حريث فحنت وأنت وقد حثت التراب على رأسها وصرخت من وراء هودج ليلى . هذا وقد صارت تبكي وليلى تجيبها من داخل الهودج وتصيح من قلب قريح وفؤاد جريح فصاحت العبيد على أم الصحصاح وقالوا لها أين تمضي ياستاه فرجعت وهي باكية حزينة على ولدها ومن شدة ما أصابها من الوجد صاحت وبسرها باحت وأنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات :

بالرغم ياصحصاح مني أن أرى   ليلى تزف على حريث الأرذل
يا واحدي مالي أراك مقصرا   لم تحمها عند ازدحام القسطل
لو عاينت عيناك ليلى أصبحت   مثل السبية فوق ظهر المحمل
ودموعها تجري عليك تأسفاً   وتفيض من حزن بدمع مهمل
لدفعت عنها كل كلب طامع   فينا ولم ترهب رجال المحفل
ياواحدي إن الحياة ذميمة   من بعد فقد الغائبين يحق لي
والقتل لي فرج يكون وراحة   والويل لي أبداً إذا لم أقتل

ويلاه وا ذلاه بعدك اننى ثكلى وأبكى بالدموع المهطل
إن المنازل بعد فقدك أصبحت قفرا فلا أهلا بربع المنزل
إن كنت تجفو الناس حقا كلهم فارحم بنى لعبرتى وتململى
والله لارحم الغرايب فى الوغى غير الكريم الماجد المتفضل
والله لادفع العظائم فى الورى غير الكريم الفاضل المتطول
فلأبكين يابنى دائما على الذى قد كان يحمى منزلى
إن لم تجبنى يابنى عاجلا قد عاد حزنى كالزمان الأول
سعياً لقبرك أين كان وليتنى شاهدته من قبل يوم ترحلى
سعياً لقبر ضم أعضاك دائما قد كنت تزهو كالقمر فى الجدول
ياليتنى عاينت قبرك فى الفلا أو قد رأيتك قبل أن تتجندلى
ياليت تربته لعينى دائما كحلا ووا حزنى إذا لم أكحل
أين الحمية للحريم فاننى قد كنت ذات حمية لو عشت لى
صبراً على حكم الإله فانه متحكما فى عبده المتوسل

(قال الراوى) فكان حريث فى ذلك الوقت واقف يسمع شعر أم الصحصاح فصعب عليه وسأل عنها فقيل هذه أم الصحصاح وقد صح عندها هلاكه وصعب عليها أيضا زفاف زوجته على غيره فقال والله انها معذورة ثم انه سار وقد نال المراد ومسرة الفؤاد وقطع البلاد حتى نزل فى طريقه بشعب الوادى الذى فيه غانم ابن زاهر الذى كان الصحصاح قد اصطنعه ومن القتل خلصه وقتل عمه وملكه الأحياء وزوجه بلبنا وكان قد طالت عليه غيبة الصحصاح فحمل الهدايا وصار طالب حى بنى كلاب مرار ويسأل عنه فيقولوا له ماسمعنا له خبر ولا وقعنا له على أثر فبقى عليه حزين القلب جارى الدمعة ولبس عليه ملابس السواد وتظاهر بالحداد وبعث عبيده إلى سائر البلاد فما سمع له خبر وزادت به الهموم والافتكار وبقى متطلع الى أخباره يبكى عليه فى ليله ونهاره (قال الراوى) وكان الأمير غانم ابن خالة حريث وبعضهم ينزل على بعض وأن حريث لما نزل بالوادى وعلم غانم بقدومه ركب اليه واستقبله ونحر له وعقر ونظر الى بنى كنده وعليهم أثر الحرب والكفاح ومعهم عبيد وإماء وهودج مجلل بالديباج والذهب الوهاج وعلى رأسه هلال من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر والإماء من حوله يضربن على الدفوف والمزاهر فلم ير على نفسه أن يسأل حريث عن ذلك فدخل بيته وأرسل بعض الإماء تسأل عن الخبر فمضت الأمة وعادت وهى

باكية تتحسر فقال لها ويلك ما الخبر فقالت يامولاى هم من أحب الناس اليك وأحظاهم لديك فقال لها أحب الناس إلىّ وأكثرهم إحسانا علىّ الصحصاح ابن جندبة الكلابى فقالت أحسن الله لك فيه العزاء وصبرك على البلاء فقال لها ويلك فض الله فاك ومن أين علمت بذلك فقالت يامولاى هذه زوجته (ليلى) ابنة عطاف مزفوفة على حريث فقال ويلك ارجعى وأتينى بواحدة من جوارها فقالت سمعاً وطاعة ثم رجعت وما لبثت إلا قليل وعادت ومعها أمة من بعض جوار عطاف فلما نظرها غانم طارت الدمعة من عينه وقال لها ويلك أنت أمة عطاف الكلابى فقالت نعم يامولاى فقال وهذه العروس (ليلى) فقالت أجل فقال لها اخبرينى بأخبار الصحصاح هل وصل اليكم نعيه بأنه قتيل حتى آخذ بثاره ولا أريد الحياة بعده فقالت له لا وذمة العرب بل انقطعت عنا أخباره فما نعلم من خبره شيء فلو كان حياً ماصبر عن (ليلى) وقد مضت الشهور والأعوام والأيام ولذلك صح هلاكه عند الخاص والعام ثم أعادت على الأمير غانم كيف كان الزواج وشن الغاره وقتل الرجال وما تم من الأمور والاجوال فقال غانم أقسمت بمن حج وسعى وطاف ودعا وبكى متخشعاً أن هذا الزواج حرام لايرضى به أحد من الانام ولا يجوز فى حكم شريعة الاسلام وربما يكون الصحصاح قد سد فى وجهه باب الفلاح وأبعد الى بلاد الشام أو الى أرض مصر أو بلاد الغرب أو يكون أسيراً أو مريضا أو نعمة جاءته من حيث لايحتسب وقد اشتغل بها ليعود كما يحب وهل يجوز أن يكون لامرأة زوجان والله مايرضى بهذا إنسان والله لقد كان القتل والوبال لعطاف أحسن من هذه الفعال ثم انه وثب من وقته وساعته الى مضرب حريث فلما رآه وهو مقبل انتصب له قائما واعتنقه ملازما لأجل قرابته منه ونسبته اليه فقال غانم بعد أن اطمأن به الجلوس : أيها الأمير انك لم تزل موفقا فى جميع أمورك وفى كل أعوامك وشهورك إلا فى هذه النوبة فان العرب قد جرت عاداتها أن يغار بعضها على بعض وتستوفى من التارات استوفاء القرض ولا جرت العادة للتعرض للعربيات وأخذهن مسبيات هذا لايجوز لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر وهذا عار لايجوز على طول الدهر فقال حريث ياابن الخالة أنا ما أخذت عربية مسبية وأنا أخبرك بالقضية ثم أعاد عليه الحديث الذى كانت الأمة حدثته عنه فقال غانم أيها الامير انتبه من غفلتك ان الصحصاح ماوصل عنه أحد بخبر ولا علموا أهل الحى ان كان هو ميت أم حى وأنت تدرى ان خلوت بليلى تكون حرام عليك وان رزقت منها بولد كان عار عليك ولا ترضى بنسبه

اليك وان كان الصحصاح حيا فهو قاتلك لا محالة وقد نصحتك يابن الخالة والرأى عندى أن ترد ليلى إلى خدرها وتستعرف الأخبار بقيه هذا العام بكماله فان صح موته فأنت تتزوج بها حلالا من بعد ما تجدد العقد مع أبيها وتزداد هيبة وجمالا وإن رجع الصحصاح إلى أهله سالما فهو أحق بزوجته وأنت برىء من غائلته (قال الراوى) فلما سمع حريث ذلك الكلام ضحك حتى استلقى على قفاه ثم قال أنا رامق وفى حسنها عاشق أكثر من الصحصاح والهوى يرمى الانسان على السماح وأما قولك تأمن سطوته فهذا شىء أنا ما أخاف من عائلته لأن الأرض مملوءة رجالا مثل الصحصاح أفنيتهم كلهم بالبيض الصفاح لأنى ما أفكر فى سفك الدماء ولا مكر النساء قال فلما سمع غانم كلامه قال له يا ابن الخالة اعلم أن خير القول أصدقه وإن الصحصاح صنع معى جميلا لا أنهض به ولا شك إلا أنه قد وصل اليك ولا خفى عليك وله على حقوق واجبة وماسبق منى اليه مكرمه وبينى وبينك من القرابة مما لا يعقبها ندامه فى الدنيا ويوم القيامة وأريد أن تهب لى ليلى وتردها إلى أهلها وان كنت راغبا فيها فاصبر واقتصر وعد الى الله وترجى فانك تحمد عاقبة ذلك وتصل إلى مرادك وان كان الصحصاح قتل وقد قال بعضهم حيث قال بعد الصلاة على النبي المفضال

انصف عدوك ولا تظلم أخاك إذا ... عاملته إن تكن تدعى بمقدام
وكن بعيدا وللفحشاء مجتنبا ... فرب سهم أصاب الخائن الرامى
إياك إياك من بغى ومظلمة ... فسوف يأتى الردا من بعد أيام
إن المنايا معدات بأنفسها ... ولو أمدت بأزمان وأعوام

(قال الراوى) فلما سمع حريث بذلك قال له يا ابن الخالة إن أردت أن تطاع اطلب ما يستطاع وليلى الكلابية مثل لبنا العامرية وقد أصبحت أنا فى هواها مثل قيس ابن الملوح من بلواها والوصال إليها أصلح ومن وصل اليها فقد أفلح فاعرض عن هذا النصح ولا تنصح ثم أنشأ يقول :

لليلى منها ماقد أصابت فؤاديا ... فلا تك يا ابن الخالة اليوم عاديا
ولو أصبح الصحصاح فى الحى ناطق ... لما كنت ذا خوف ولم أك وانيا
فان له عندى سنان كأنه ... لسان حسام مرهف الحد ناديا
ولست أبالى بالخلائق كلها ... إذا كان قلبى عاشق الغيد هاويا

(قال) ولا سيما وأنا قد هويت الوجه المليح والقد الرجيح واللسان الفصيح وأنا فارس العرب وسيد أهل الرتب وقد قيل فى الأمثال :

إذا كان العصفور عاشق يخيل له بأنه يصطاد الباشق

(قال الراوى) ولاسيما وأنا حريث المعروف عند العرب بالقوة والشجاعه وبعدها يا ابن الخاله ها أنا الساعه أدخل بها على رغم أنف الصحصاح وليس على فى ذلك جناح (قال الراوى) فلما سمع الأمير غانم ماهو عليه عازم غضب وقال يا ابن الخاله خير القول أصدقه وعلى للصحصاح حق لا أضيعه وأنا والله ما أمكنك من الوصول لما ذكرت ولو تلفت نفسى وكل أبناء جنسى (قال الراوى) فلما سمع حريث كلام غانم ناداه يا ابن الخنا أبلغ من قدرك انك تبالغنى بهذا الكلام ثم أنه امتطى الصارم وعزم على حرب غانم فوثب غانم وكان أسبق إلى امتشاق الصاوم وارتفع الضجيج وتارت بنى كنده وهجمت على غانم وقبضوا على الصوارم وركبوا الخيل وعاد النهار كالليل وجرت الدماء من الفريقين مثل السيل ونادت نسوان الحى بالويل ومالوا بنى كنده عليهم ميل وقاتل غانم وفتك بالأبطال ولعب بمهج الرجال ونهب أرواح الاقيال. وهو ينشد ويقول

لعينيك ياصحصاح أبذل مهجتى وأهلى ومالى ما حييت وقوميا
ولولاك ياصحصاح ما كنت ساعة ولا عشت ذومال وأصبحت ثاويا
فياليت نفسى قد فدتك من الردا ومن شرفى أنى أموت موافيا
سأحمل عنها نخوة وحميـــة لعينيك ياصحصاح طول حياتنا

(قال الراوى) ثم أن غانم بعد فروغ شعرة نادى ياحريث ما لنا فى هلاك القبيلتين. من حاجة أبرز إلىّ وأبرز اليك فان قتلتك فقد رفعت العار وان قتلتنى فهوجهدى قد بذلته فى رضا صاحبى (ياساده ياكرام) فلما سمع حريث ذلك برز على جواد أشقر عالى من الخيل مضمر مليح المخبر كأنه المنبر يفتت بحوافرة الحجر وعليه درع مانع لايعمل فيه السيوف القواطع وفى يده قناة خطيه متقلد بصفيحة هنديه وأخذته النخوة. والحمية وهو ينشد

اليوم أقبض روح غانم والخيـــل تعثر بالجماجم
إذ كانــ لايرعى القرابة ولا السراة من الاكارم
أضحى يخوفنى من الصحـــــصاح وهو بذاك عالم
إنى أنا البطـل الذى شـــهدت له جمع العوالم
أيطمــع غانم أننى أصغى إلى عـذل اللوائم
يا ويح غانم أنـــه طارت له طير الأياشم

(قال الراوى) فلما سمع غانم شعره خرج على جواد لايعيا فى البيدا ولا يبعد عليه فسيح المدا وهو متقلد بسيف أبتر وبيده رمح أسمر وحمل على حريث وهو ينشد ويقول

حريث ستندم فى كل حال ... إذا بان منى صدق المقال
فما أنا من فعلكم راضيا ... بهتك الحريم وسبي العيال
يا ابن اللئام فدونك البراز ... لمن لا يهاب قتال الرجال
ويحكم ما بيننا عاجلا ... عوالى الرماح وبيض النصال
لأجل ابن جندبة أظهر نخوتى ... وأفديه فى الدهر بروحى ومالى
ومن بعده لا أحب الحياة ... فياليت انى صريع النبال

(قال الراوى) ثم حمل بعضهما على بعض وارتفع عليهما غبار الأرض وفتحا فيها ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وأخذ فى الكر والفر والهزل والجد واختلف بينهما طعنتان كان السابق بالطعنة حريث فلما وصل السنان إلى صدر غانم بطل الطعنة وطعنه فى صدر جواده قلبه وتقنطر من فوقه فانقض غانم عليه فأخذه أسير فأوما حريث الى بنى كنده فحملوا عليه وغدروا به وقصدوا غانم بالصوارم وحملوا على أهل الوادى طمعا فى خلاص حريث وخلصوه وعملت الصوارم فى الجماجم واشتدت العظائم فطارت طيور الاشائم وتكاثرت بنى كنده على أصحاب غانم فأخذوهم أسارى وملكوهم حيارى وأخذ غانم قهراً واحتوى حريث على مافى الوادى من الاموال والرجال وأن بنى كنده كانوا أكثر من أصحاب غانم وقد قال القائل

كن جريئاً إذا رأيت جباناً ... وجبانا إذا رأيت جريئاً
لاتقاتل بواحد أهل بيت ... فضعيفان يغلبان قوياً

(قال الراوى) وأمرهم حريث بأخذ الأموال والرجال وتركوا الحريم والعيال على الأرض البيضاء وأخذ غانم أسير وقاده ذليل حقير وحلف لابد من قتله فى المكان الذى أراد أن يقتل فيه عطاف ويسقيه كاس التلاف وسار نحو قبيلته طالب إلى أهله وعشيرته ولم يعلم بما قد قضى الله عليه فى علم عيبه ولم يزل سائر الى وقت العصر فنزل على ماء يعرف بالعذيب وهو على خمسة أميال من بنى كلاب وثمان فراسخ إلى حى بنى كنده (قال الراوى) هذا ماجرى لهؤلاء وأما ما كان من حديث الصحصاح فانه لما رحل من دمشق كما ذكرنا فسار يجد المسير إلى أن قطع خمسة عشر يوما وفى اليوم السادس عشر أقبل على الأمير مسلمة وقال له يامولاى إعلم أن نار الشوق قد اشتعلت بقلبي والمحبة قد زادت ومارحلت الأوهاج جنانى وعظمت أشواقى وأشجانى وأضرمت

نيرانى ثم أشار وجعل يقول :

إذا جن ليلى حن قلبي لذكراها وقلبي على جمر الغضا يتقلب
وحقكموا ماالدار دار ولا الكرا أريد ولا العيش الذى عادطيب
أحن إلى قومى وأهلي ومعشرى وإنى من المشتاق ألف مقرب

(قال الراوى) ثم قال لمسلمة قد عولت أن أمضى أناوعبدى نجاح وأتنسم الأخبار وأسأل بنى كلاب لأن قلبي قلق وطرفى أرق وأخاف أن يكون قد حدث شىء لم هو فى الحساب فقال مسلمه يا ملك العرب معلوم أننى ما أريد إلا ماتريد ولكن قال الله عز وجل لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الأمر وقدبقى بينك وبين قومك قدرماسرت من دمشق أوأقل من ذلك ولا آمن عليك من غوائل الدهر والعرضيات ويبقى فى قلوبنا حسرات ويعتب على الخليفة لأجل ذلك والصواب نسير حتى نقرب من الديار ونشارق الآثار وأنت عندنا بالاختيار على أننى ما أشتهى رواحك إلى أرضك إلا على التجمل والتعظيم ليكون ذلك أعظم لك فى العز والهيبة كما خرج سيدنا محمد المصطفى وأبى بكر من مكة مهاجرا فما رجع اليها إلا مؤيدا منصورا وكذلك سيدناموسى خرج من مصر صبيا ورجع اليها نبيا وأنت قدأنعم الله عليك بهذا الملك والولاية فدع العجلة فعلم الصحصاح أن فى رأيه الصلاح فقال لاعدمتك مشير ثم أنه صبر مع قوة شوقه وكربه وحرقه حتى بقى بينه وبين قومه ثمانية أيام فزاد به الغرام وهجر الطعام فأقبل على مسلمه وقد تغيرت أحواله وزاد بلباله فأنشأ وجعل يقول :

أيا مولاى قد قل اصطبارى وفى قلبي لذاك لهيب نار
وقد زاد الغرام بلا هدو ومالى بعد بعدهم قرار
وقدهجر الرقاد جفون عينى ويقلقنى سهودى وافتكارى
وقد قال الذى قد كان قبلى له شوق الى قرب المزار
وابرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره قال اقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين أن الحادث قد حدث فى قومى ولا بد من المسير فى هذا اليوم وأريدأدخل الى الحى ليلا وأسأل عن أخبار ليلى وأبصر البازين للذين عندأمى ان كانوا سالمين فهم غرض أمير المؤمنين وأعرف صديق من عدوى وأسأل والدتى على ماجرى من بعدى فان أنت عوقتنى خفت من التلف على نفسى لأن الروح مكموده والأشواق موجوده والآفات محدوده والأنفاس معدوده فلاترد المشتاق عن هواه ولاتلومه على غرامه ووجده فمن يده الماء

إلى زنده هو أخبر من حرارة الماء من برده (قال الراوى) فلما سمع مسلمة كلام الصحصاح ورآه قد أظهر الهوى وأباح خشى ان رده لا يكون الرد محمود ويفوّته الغرض المقصود فقال له اعلم اننى مامنعتك إلا من الاشفاق عليك والساعة افعل ماتريد وكون حميد وأنا ساير خلفك أجد الرحيل وما تفوتنى إلا بالقليل والله تعالى راعيك وناصرك على من يعاديك وروحى لك الفدا فودعه وقبله بين عينيه وسار ومعه عبده نجاح وساروا مجدين ولا استراحوا ذلك اليوم والليلة فقطعوا مسيرة ثلاثة أيام حتى أشرفوا على ماء العديب فى الوقت الذى نزلت فيه بنى كنده هذا الاتفاق حلو المذاق فنظر الصحصاح الى ذلك العسكر فرآه كأنه البحر اذا زجر والهودج يلوح كأنه قبة ذهب أحمر وثياب الديباج على الأرض تسحب بهلال فضة كأنه كوكب فحن الصحصاح وصبا الى رملة عالج وهو يقول بعد الصلاة على سيدنا محمد الرسول :

أقول وقد سارت حداة الهوادج ... وقد عرجوا ليلا على رمل عالج

لأن تركوا أحبابنا فى ديارنا ... فقد أخذوا أرواحنا فى الهوادج

ثم قال يانجاح هذه الخيل وهذه العدة تدل على أن هذا العسكر من بنى كنده لأن العرب لها علائم تعرف بها فتقرب بنا لنسأل عن حالهم ونعلم من أى العرب هم فقال له نجاح يامولاى ان بنى كنده فى قلوبهم النار منك وقد صنعت فيهم الصنيع الذى لايخفى وهم فى هذا الجمع الكثير وان أنكروك وقد عرفوك تكون قد فرطت فى نفسك فقال لابد لى من ذلك وبالله المستعان وعليه التكلان ثم انه اختلط بالقوم وقصد مضرب عالى بعيد عن المضارب فأتى اليه ونزل عليه وهو يقول شعر :

كفائك ذلا أن تبيت بشبعة ... وحولك أكباد تحن الى الأكل

(قال الراوى) فلما سمع صاحب البيت الكلام علم أنه غريب يريد الطعام فقال لعبده انظر من نزل بنا فخرج العبد ورجع وقال يامولاى فارسين غرباء طمعا فى الضيافة قد نزلا فقال على الرحب والسعة ثم أمره فاصطنع جفنة من اللحم والثريد وخرج بها اليهما فلما وضعها بين أيديهما قال له الصحصاح : اجلس ياعبد الخير وكل معنا حتى يطيب عيشكم على قلوبنا وكان قصده بجلوس العبد حتى يخبره بالأخبار فجلس العبد وجعل يأكل هو ونجاح ويقول للصحصاح ما بالك لاتأكل ياوجه العرب فقال له انى على كفاية ولى سبب يمنعنى عن أكل الطعام ولكن هذا رفيقى جيعان فكل معه وتنوب عنى بارك الله فيك فأكلا العبدين . هذا وللصحصاح يستخبره بالحديث والعبد يخبره عن الحال وأعاد عليه غارة القوم على بنى كلاب وكيف قد تزوج

حريث بليلى بنت عطاف فكادت روح الصحصاح أن تخرج من بين جنبيه وهان الملك عليه ثم انه ثبت نفسه وقال وأين ليلى قال يامولاى هاهى فى هذا الهودج الوهاج الذى فى وسط المضارب والخيام لأن حريث ما دخل بها لأنه يريد أن يدخل بها فى وطنه وعند أمه يعمل زفافها والأمير عطاف سوف يصل الينا فى أيام قلائل (قال) وهو يكلمه وما يصدق أن يقوم من عنده حتى يدبر فيما يعمل (قال الراوى) فلما همّ بالقيام سمع من المضارب أنين يخرج من كبد حزين وهو ينشد ويقول :

آلمتنى القيود بعد جراحى ... حيث أصبحت أنصح الصحصاح
اقتلونى فاننى لست أرضى ... منكم بجمعكم للسفاح
إن (ليلى) على حريث حرام ... إن هذا من الأمور القباح
ياعين جودى وساعدينى بدمع ... أبداً فوق وجنتى سفاح
قسما بالذى أمات وأحيا ... وأقام الجبال فوق البطاح
وبأهلى أفديه ثم مالى ... وبروحى أقيه فى الأرواح
لست أنسى فعاله بى لما ... كنت مستأسرا بغير جناح
خيانى بنصرة وكفانى ... كل شىء وقد كان منه صلاح
أنا لولاه ما تزوجت (لبنا) ... وهو بعد الزواج رأس نجاحى
سوف أبكى عليه ماهل قطر ... ومن السحب فوق وجه البطاح
إن قتلى بالسيف أهون مما ... قيل قد زفت زوجة الصحصاح

(قال الراوى) فلماسمع ذلك تفكروبقى من عجيب هذه القصة متحير فقال للعبد ويحك يامبارك من هو هذا المنادى ومن هوالصحصاح الذى يذكره فى شعره هذا البادى فقال يامولاى هو الصحصاح ابن عم ليلى وكان عمه عطاف قد قطع عليه مهر ثقيل فقال له ومن هو عمه فقال يامولاى عطاف بن رافع سيد بنى كلاب وأن الصحصاح مضى ليأتى بالمهر فأعاقه العنا وقتله العدا وأما هذا الذى يندبه ابن خالة حريث واسمه غانم بن زاهر وقد وقع ماوقع بينهم من أجل ليلى لأنه قال لحريث ما يجوز لك هذا النكاح ولا تأمن غائلة الصحصاح وأشار عليه بردها فلم يقبل منه ثم أعاد عليه كيف غدر بغانم وبقومه وأراد قتله وكيف سألوه وجوه القبيلة فيهم فأطلقهم من القتل بعد ماسلب أموالهم وقد صارت بها الرعاة بين أيدينا وأما غانم فانه حلف لا يقتله إلا فى دياره حيث عارضه فى ليلى ثم أخذ العبد الجفنة ودخل الى الخبا فأقبل الصحصاح على عبده نجاح وفى قلبه ألم وجراح وقال والله العظيم إن روحى

تحدثنى أن أرميها فى هذا العسكر وأشفى قلبي بسيفى الأبتر ولكنى أخاف أن يلومنى مسلمه على ذلك فقال له العبد يا مولاى ليس هذا سداد وربما أنك لا تظفر بمراد وتخاطر بمهجتك وليس هذا صواب وانظر فى غير هذا فقال له يا نجاح لو سرنا فى هذه الأيام لكان فاتنا حريث ودخل بليلى وما كنت أعيش بعدها أبداً وذلك من خوف العار وما يدرى أحداً ما بقلبى من النار ولكن هم الليلة مقيمين وعند الصباح يرحلون وأنا أسير بقية ليلتى إلى الفجر وأكون عند مسلمه وأرجع به إلى طريق الجبل الأصلم وأقطع عليهم الطريق والله ولى التوفيق فلو أن معى مائة فارس التقيت الخمس آلاف وخلصت ليلى ولا أخاف ولكن سير أنت معهم بحيث أن لا يخفى عليك شيئاً من أمرهم وان دخلوا على طريق غير الجبل فاتركهم واقصد الجبل وقيم هناك حتى ألحق بك ولا تقرب هودج ليلى ولا تعرفها بنفسك حتى أعود اليك إن شاء الله تعالى (قال الراوى) ثم ركب مزنة وسار يقطع البر الأقفر والمهمه الأغبر وهو يود لو كان له أجنحة وطار فقطع البطاح حتى أصبح الصباح فعندها أنشأ يقول

اقرح الأجفان دمعا سبحا ... وغراما قد بعدكم طفحا
فاطرحانى بين كثبان الحما ... واتركونى عندها مطرحا
ودعانى أذرف الدمع بها ... إننى دمعى جرى منطفحا
فبعينى نظرة لا تنطفى ... وكأنى طائر قد ذبحا
أقلقتنى عند ترحالهم ... زفرات زندها قد قدحا
يا حمامات اللوا نوحوا معى ... إن طرفى بالبكا قد سمحا
طال ما كنت بهم مغتبقا ... ذا سر ورداثم مصطبحا
دهمتنا نائبات أفسدت ... بالنوى ما كان منا صلحا
فعرفنا كل حزن قاتل ... وكانا ما عرفنا فرحا
ليت ليلى علمت أن الذى ... غاب عنها عاد يشكو الترحا
عاد من عند إمام عادل ... كل من حامه قد ربحا
كتب الاحسان والمعروف فى ... جبهته والدهر لى قد نجحا
أصبح الوقت به مبتسما ... بعد ما كان لنا قد كلحا
سترى ليلى جيوش قد حوت ... تجنب الخيل وتحوى الملحا
وترى كندة من نقمة ... حيث لا أترك منهم شبحا
وجزى الله بخير غانم ... أنه من أجلنا قد جرحا

بذل المجهود من غير عنا فغدا الفضل به مفتضحا
لعن الله حريث فلقد أقبح للشرع بفعل قبحا

(قال الراوى) ووصل الى العسكر من بعد الجد والجهد والتعب والكدر وهو طائر الفؤاد مسلوب الرقاد فلما شاهدوه اجتمعت الناس فى خدمته واعتنقه مسلمة وسأله عن حاله وسرعة عودته فانفرد به عن الرجال وحكى له جميع الأحوال وقال مسلمة وهذا أيضا من تمام الأحوال بالسعادة وبلوغ الآمال ونيل الارادة وقد أوقع الله فى قلبك القلق حتى لحقت مايجب أن يلحق ولو كان هذا الملعون قد سبق لأضرم فى قلبك الحرق والحمد لله الذى جعل سعادتك فى بداية ولم يجعلها فى نهاية والآن ماتريد أن تصنع فقال يامولاى نسير على الطريق الأخرى نحو بنى كنده ونسبقهم على الكحيل فلابد لهم من تلك الطريق ونضع فيهم السيف الرقيق ولولا خوفى من عتبك لكنت أرميت روحى فيهم وأشفيت غليلى منهم فقال مسلمة أيها الأمير أنت اليوم ملك العرب وهم اليك يلتجئون وبك يستغيث المتطلبون ولاينبغى لك أن ترمى نفسك فى المهالك وتخاطر بمهجتك فى أضيق المسالك وأنت تصل الى مطلوبك وتنال من أعداك مأمولك وان كان هؤلاء القوم الذين قدموا على هذا الأمر اعترفوا بذنوبهم واعتذروا خوفا من عتبهم فبالاحسان نعاملهم لأن العفو بالملوك أجمل والتجاوز بالقادرين أفضل فقال الصحصاح ما أشرت إلا بالصواب ولكن فى القلب نار الالتهاب وأخاف الفوات ومقصودى الجد فى قطع الفلوات ثم ترجل عن ظهر مزنة وركب جنيب من بعض جنايبه وعرج على تلك الطريق وسار الى موضع ماذكرنا ودموعه تتحادر على وجنأته وهو يتنفس من نيران زفراته وقد اشتدت حرقته وفاضت عبرته وهو طايش العقل ذاهب اللب تارة يأخذ يسار وتارة يأخذ يمين وتارة يأخذ غرباً فأنكر مسلمة حاله وعذره وقدم بين يديه دليل وقال له ياملك العرب ارفق بنفسك فلا بأس عليك ان شاء الله تعالى ولاشك انك تصل إلى مطلوبك فقال يامولاى هذا يكون سبب السعادة ولكن المحب مولع بسوء الظن وأخاف أن يسبقنى الى حلته من وقته وساعته ويموت عبدك الصحصاح من غيرته وتزيد بلوته ثم أنشأ وجعل يقول بعد الصلاة على سيدنا محمد الرسول :

غرامى بليلى كل حين مجدد وفى كبدى نار الأسى تتوقد
وانى إذا ما الليل أرخى ستوره أقوم من شوقى الشديد وأقعد

أحنّ إليكم كلما حن شائق   إلى الورد ظمآن الفؤاد مشرد
ولى كبد حرا يعذبها الهوى   ولى جسد يبلى ولا يتجدد

(قال الراوى) ثم أعاد عليه حديث غانم من أوله الى آخره فتعجب مسلمة من ذلك وقال يحق له والله أن يبذل نفسه فى هواك ولا يصل أحد لمجازاتك بذلك لأن الفضل للمتقدم والثانى من الأول يتعلم والله تعالى جعل فيك الخير طبعاً وأنت غيرت العالم جودا ومنعا وأن حديث هذا الرجل قد أزعجنى وأقلقنى إذا كان هذا فعاله لأجلك وأخذته الغيرة بسببك فهو لنا بعد اليوم صديق ثم ساروا مجدين إلى أن أشرفوا آخر النهار على الجبل فنزلوا على الماء فلم يروا للقوم عليه أثر ولا لاح لهم خبر فعلم الصحصاح أنه قد سبقهم ففرح بذلك فرحا عظيما وشكر الله وأثنى عليه بما هو أهله وعلم أنه قدوصل الى سؤله وبلغ مأموله قال فأمر الناس بالنزول فنصبت الناس الخيام وعلت القباب وركزت الأعلام وامتلأت بهم الأرض فى طولها والعرض لأنهم زهاء عن خمسة عشرة ألف فارس ومثلهم أتباع وغلمان وخدم والكل فى خدمة الصحصاح وتحت يده فلما استقر بهم المكان حتى طلع عليهم غبار بنى كنده وسمعوا صهيل الخيل فقال مسلمة هؤلاء بنى كنده فأظهروا لهم التجمل فنادى المنادى فى الناس بأخذ الأهبة وإظهار الزينة ففعلوا ذلك وركب اثنى عشر ألف بجحف وفى أيديهم السيوف وموكب ثانى اثنى عشر ألف من الشباب والكهول رهم على سوابق الخيول رجال أبطال من أرض الشام كأنهم الأسود ما بين رامح وناشب وليس فيهم إلا كل محارب وقد حنكتهم التجارب لا يولون الأدبار ولا يهابون الأشرار قد حازوا شرف الفخار قال ورفعت الأعلام والرايات والبنود والباشات وامتلأت الجنبات من نعير البوقات وبربرت البرابره من الروم والعجم والديلم وصاروا يصرخوا من سائر اللغات فظنت بنى كنده بأن القيامة قامت وحشرت ملوك الدنيا فى ذلك الصعيد فوقفوا متحيرين وهم لا يجسرون أن ينزلوا عن الخيول ولم يكن فيهم أحد من الشجعان ولا من الأقران ثم إن مسلمة أمر أربعين خادماً أن يأخذ كل واحد منهم فى يده علم منسوج بالذهب ومكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال لهم إذا وصلتم الى بنى كنده فقولوا لهم أن الأمير مسلمة ابن أمير المؤمنين وولى عهده فى العالمين يأمركم بالترجل والسعى الى خدمة ملك العرب المفترض طاعته على كل من ضرب فى البيدا طنب لم يتخلف منكم ديار ولا نافخ نارا ويحل بكم البوار (قال الراوى) فقصدتهم الخدم وعليهم تلك النعم وساروا نحو بنى كنده فلما رأت بنى كنده الى ذلك كادت قلوبهم أن تذوب لأنهم رأوا عشرة آلاف فارس

ومثلهم معهم وبعد قليل وإذا بالخدم قدأحدقت بهم وقد صاحوا : الأرض ياويلكم ترجلوا الى خدمة ملك العرب وسيد من بعد منها ومن اقترب وهاهو فى السرادق الكبير الأحمر المرصع قبابه بالدر والجوهر وعنده ولد أمير المؤمنين وإمام المسلمين وولى عهده فى العالمين ثم صاحت الغلمان من صوت واحد فعند ذلك ترجلت بنى كنده بأجمعهم وأرموا أنفسهم عن الخيل ونزلوا النزول الذى مابعده إلا الويل ونادوا : السمع والطاعة لله ولملك العرب أدام الله تعالى دولته ببقاء مولانا أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وساروا الكل خاضعين وفى أوائلهم حريث وقد طار عقله خوفا وجزعاً هنالك خرجت من الخيام ثلاثة آلاف نفس وترجلت الركاب وهم اثنى عشر ألف فارس وكانت بنى كندة خمسة آلاف فصار مع كل واحد منهم ثلاثة أبطال وأوثقوهم بالحبال وقد أيقنوا بالذل والوبال فعندها أقبل حريث عليهم أى على قومه وقال لهم يابنى عمى ماهذا للعسكر والأمر المنحوس لقد تعبنا من هلاك النفوس وهذا شيء حير العقول . هذا ومسلمه قد أمر الخدم فرجعوا الى هودج (ليلى) وقبلوا الأرض بين يديها وساقوا البعير سوقا رفيقاً وهم ينادون : ياملكة العرب سعد سعدك وعلا مجدك . هذا وليلى قد ذهب عقلها حارت من ذلك العسكر فى أمرها ولما نظرت إلى الخدم قد ساقوا البعير ظنت أنه ملك العرب مروان بن الهيثم يكون قد بلغه حسنها وجمالها وقد أتى ومراده يأخذها من بنى كنده وأخذها وأنقذها من تلك الشدة ففرحت بذلك فرحا شديدا وقالت ليلى : ❋ وما ظالم إلا سيبلى بظالم ❋

وزادت بها الحسرة وتفكرت وهى تقول ياصحصاح مالى أرى وجهك فى الوجوه الملاح أترى أنت بين الأحياء يرجوك أو بين الأموات يندبوك ثم انها بكت وأنشدت تقول :

دلايل أحزانى عليك شهود ... وأنت غريب فى البلاد بعيد
وعيشك ياصحصاح ما القلب طيب ... وصبرى شديد حيث أنت تريد
رزتنا الرزايا بعد فقدك دائما ... كأنا جوار بينهم وعبيد
وفى كل يوم نكبة ومذلة ... فياليت شعرى ما القضاء يريد
بنو كدة جاءوا إلينا غوازيا ... وفيهم حريث ظالم وعنيد
أباد سراة الحى حتى أزالهم ... ومنهم أسارى والقيود حديد
وأصبح عطاف أسير مكبل ... أراد ليقتله وذاك شديد
هناك هتك الستر منى حقيقة ... وقد نال منا شامت وحسود
وان حريثا قد أتانا محاصرا ... وصبح قومى جندل بصعيد

فاطلق لقومى وتجرد لخطبتى ... وكل الى قصد النجاة يريد
فزوجنى عطاف بالرغم كارها ... وفى كبدى من أجل ذاك وقود
فلما نزلنا وادى الشعب لم يكن ... لغانم عنا غفلة ورقود
فقال بالجاه الامام فهمهمت ... عليه أسود بل ونحن أسود
وأصبح للصحصاح فى الارض ناصحاً ... وجندلهم إن الكريم يجيد
ودافع حتى لم تتم له قوى ... وما أنصفوه واللئام تكيد
وكرت عليه الخيل من كل جانب ... وقد شد منهم كرة وجنود
وقد جرحوه بالسيف والقنا ... وكبل وكتف بل وفيه قيود
يعز على قلبى مصاب أحبتى ... لهم نخوة عند الصديق وجود
وقد أخذت أموالهم ورحالهم ... وغانم من جور الغريم طريد
فوالله يا صحصاح لا زال قادرا ... بشجوك لى والفؤاد حريد
تمنيت ياصحصاح لو كنت طائرا ... أطير وأبصر حالكم وأعود
أقلب طرفى فى الديار فلم أرى ... وجوه لأحبابى الذين أريد
ترى ترجع الأيام تجمع بيننا ... وترجع أيام مضت وتعود
سلام عليكم لاسلام مودع ... ولكن سلام ما يزال جديد

(قال الراوى) ثم بكت بكاء شديدا ماعليه من مزيد وكان الصحصاح قد بعث عبده نجاح ليسكن روعها ويهدىء قلبها فلما رآها ناداها ياسيدة العرب ذهب البكاء والحزن والشقاء والمحن ولا عتب ولا لوم على الزمن (قال) فنظرت ليلى الى المتكلم واذا هو نجاح (قال) فصاحت ويحق لها الصياح قال لها أنا نجاح وقد جاء الفلاح فقالت يانجاح قل لى ماوراءك فقال لها يامولاتى ماهذا وقت الكلام أمضى الى سرادق الصحصاح الذى نجمه بالسعادة قد لاح والحزن عنه قد راح ثم انه مشى قدامها الى أن وصلوا الى سرادق الصحصاح فلما وصلت الى تلك المضرب الذى فيه الصحصاح أناخوا الجمل وتقدمت الخدم وأنزلوها من الهودج فلما صارت على الأرض والعبيد بين يديها رفعوا ألسنتهم بالدعاء لها وهى جائزة وتظن أنها فى منام وأضغاث أحلام وساروا الخدم بين يديها الى صدر السرادق واذا بخيمة منصوبة منسوجة كلها بالذهب الأحمر قد فتح بابها ورفع حجابها ودخلت الى سدرة ما تصلح إلا للخلفاء تقصر عن وصفها ألسنة الواصفون (قال الراوى) فلما استقر بها الجلوس وهى طائشة الرأس ماتظن إلا انها قد حملت الى مروان بن الهيثم لعلمها أن الصحصاح لايقدر على

مثل هذا أبدا وحزنها شديد وغرامها يزيد (قال الراوى) فهذا ما كان منها وأما ما كان من حديث حريث وأصحابه فانهم لما دارت بهم العسكر وأخذوا السيوف من رقابهم فأيقنوا بالوبال ووصلوا إلى باب السرادق الذى فيه مسلمة فوقفوا ثلاثة ساعات فبينما حريث كذلك وإذا بعبد من العبيد أتى إلى حريث وقال يامولاى قد أخذت ليلى وقد دخلت إلى السرادق فقال حريث دعنا من ليلى وغيرها فقد لحقنا ذلا وويلا وماندرى ما نحن فيه وما هؤلاء إلا طائفة من الجن وقد تصوروا لنا على صورة الآدميين وقد لعبوا بعقولنا ولا يقدر أحد على مثل هذا ولا بد ما ينكشف الحال والخبر ولقد كانت علينا أشأم الغارات وهيهات أن نرجع إلى بلادنا فبينما هو فى الحديث وإذا بعبد قد دخل عليه وقال يامولاى قد أخذوا الأمير غانم وفكوا قيوده ورموا عدة حديده وقد ركب جوادا وأخذ جميع ماله وجميع مالنا وما كانت إلا ساعة وقد أتى غانم وعليه خلعة من الذهب الأحمر مرصعة بالدر واليواقيت والجوهر وبين يديه جماعة من خواص السلطان فلما سمع الأمير حريث ذلك الكلام كادت روحه أن تخرج من بين جنبيه وتطاير الشرر من عينيه وعظم عليه (قال الراوى) وكان الأمير مسلمه والصحصاح لما دخلت ليلى فى السرادق أرسلوا نجاح وجميع الخدم إلى غانم فأطلقوه من الوثاق وأكرموه غاية الإكرام ودخل على مسلمة والصحصاح فاحترموه غاية الاحترام فقبل الأرض غانم بين أيديهما فقال له مسلمة ارفع رأسك أيها الفتى ولم فعل معك حريث هذه الفعال قال يا مولاى أنا ما فعلت معه شىء بل أشرت عليه بالصواب فأوقعنى فى هذا العذاب بعد ما سفه علىّ فى الجواب فقال له مسلمه وما الذى حملك على ذلك وألقيت نفسك إلى المهالك قال غانم يا مولاى حب غلام روحى له الفدا الذى فعل معى شى تقصر عنه ألسنة المتكلمين ولا يهتدى اليه نعت الناعتين ثم ان غانم بكى وأنشد :

العار أن تبدى العيون دموعا	ما لم يكن فوق الخدود نجيعا
أترى أرى الصحصاح يرجع سالما	أو ان يكن تحت التراب ضجيعا
كذبوا العدا لو كان ذاك تحققا	لتزعزت صم الجبال وقوعا
لو كان ذاك لمن يرى شمس الضحى	مذ غاب ما أبدت علىّ طلوعا
رجع الزمان يلذ لى أفعاله	وغدا الحمام بنوحه مشجوعا
أدعوك يا صحصاح دعوة مخاص	ما جاك لو كان الدعاء سميعا
من للمكارم والمناقب والندا	ان لو عدمت فما لهذا رجوعا

علما بأن الدهر فى تفريقه ما نال بالحر الكريم ولوعا
قد كنت لا أخشى عليك من الردا اذ أنت حصنا لا تزال منيعا
زغت عن الرامى بذلك لم تزل سم لأرواح العداة مريعا
ومالى أقول ولا تجيب وطال ما ناديت من بعد وكنت سميعا
يا ليت يا صحصاح كنت لك الفدا ويكون شملك دائما مجموعا

(قال الراوى) فلما سمع الأمير مسلمه شعره قال والله لقد صدقت وما سمع أحد من مرثية فيه أعظم من شعرك هذا والصحصاح قد تعجب وقال يالله العجب والله لقد سررت بما قلت أكثر من الملك الذى أنا فيه فعندها نادى مسلمه ياغانم أنت نعم الصديق والصاحب على التحقيق ابشر فان الصحصاح هو ملك العرب وسيد أهل الرتب وبيده مقاليد سائر العربان وقد أصبح مروان بن الهيثم له من جملة الغلمان وكل ذلك من انعام خليفة الزمان عبد الملك بن مروان وقد أرسلنى فى خدمته الى هذا المكان حتى يستقيم ملكه فلما سمع غانم ذلك الكلام قبل الأرض شكرا لله تعالى فقال له الأمير مسلمه ارفع رأسك فقد وجب اكرامك علينا ان رأيت الصحصاح تعرفه فقال نعم وكيف لا أعرفه وقد غمرنى بالجود والاحسان وخلصنى من نوائب الزمان فقال مسلمه هو هذا فعندها تأمله غانم فعرفه ورآه فى ذلك الموكب فعادوطأطأ رأسه وصار يقبل الأرض بين يديه فدعاه الصحصاح الى بين يديه وقال له جزاك الله خيرا على مروءتك ونخوتك يا أمير غانم فانك والله نعم الصديق ثم ضمه الى صدره وصار يقبله وأجلسه الى جانبه وقدموا شيئا من الطعام فأكلوا ثم ان ملك العرب الصحصاح وهب غانم كثير من المال وخلع عليه خلعة سنية وقال له ارجع أنت وقومك وخذوا أموالكم وخذ معك أموال بنى كنده مجازاة لما فعلوا معك هذا الفعل الذميم واذا اطمأنت بك الديار وقر بك القرار فسوف أقدمك على عرب الحجاز فقبل غانم الأرض وخرج بالخلعه وأركبه الخليفة مسلمه ببعض مراكبه الخاص وأخذ الأموال والانعام التى أخذت منه وكذلك قد أخذ جميع أموال بنى كندة معه وجعل ينشد ويقول :

سعدت بحمد الله فى السر والجهر وراح حريث الندل بالذل والقهر
أخذت لمالى بعد أن كان قد مضى ومال كندة الطغاة ذوى الفخر
طغوا وبغوا جهرا علىّ بجمعهم وكنت بعون الله سعيا الى النصر
أيا ملك العربان لا زلت قادرا أيا ملك التوفيق فى النهى والامر
ولازال من والاك بالسعد دائما وأنت سعيد الجد والمجد والشكر

(قال الراوى) وسمع بعض عبيد حريث غانم وهو يمدح ملك العربان ويذم حريث فأخبره بذلك فسكت على مضض منه صبرا وتجلدا وقال له ويلك عندنا شغل شاغل عن هذا الخبر ونحن فى قبضة ملك الموت مع كل واحد منا ثلاث رجال ولنا ثلاث ساعات ونحن واقفين ما أمرنا بالدخول على ملك العرب ولا على ابن أمير المؤمنين فهم فى الكلام وإذا بالخدم قد خرجوا وفى أيديهم السيوف المجذوبة واللتوت المذهبة والدروق المكوكبه فقبضوا على كل واحد من أكابر قومه خمسون رجلا عتقا فالتفت حريث لأصحابه وقال والله ما هـذه علامة خير ولا شك أن الخليفة قد أرسل ولده ينتقم من بنى كنده (قال الراوى) فلمادخلوا السرادق قبلوا الأرض مرارا وقبل الأرض حريث وقال هاعبدك بين يديك قال مسلمه ياحريث أتعرف من هذا الجالس إلى جانبى فقال لاوالله ياسيدى قال مسلمة هذا ملك العربان بن نذار بن معد بن عدنان هذا سيف أمير المؤمنين هذا ناصر الإسلام والمسلمين هذا ولى عهد أمير المؤمنين من المشرقين إلى المغربين هذا الصحصاح بن جندبه بن الحرث الكلابى سيد بنى عامر صاحب الجد الغامر وسوف يصل مروان بن الهيثم الى خدمته صاغر وقال حريث يا مولانا كلنا عبيده والله تعالى يكفينا شره فقال مسـلمة يا حريث من أين طريقك فأيقن حريث بالبلاء وقال يا مولانا ان كان الكذب حجة فالصدق أنجح وأنجا ثم ان حريث أعاد على الأمير مسلمه أول الحديث إلى آخره فقال له مسلمه فهل تعرضت لليلى ابنة عم الصحصاح فقال لا وحق فالق الأصباح ما نظرت لها وجها إلا وقت الواقعة فقال له مسلمه هذا سبب حقن دمك ودم بنى كندة وإلا ما كنا تركنا على وجه الأرض كنديا فقال واحد منهم الحمـد لله الذى لم يتعرض لها حريث ولقد كان غانم على الصواب لأنه حذرنا من ضرب الرقاب هـذا ومسلمه قد أقبل على حريث وقال له لولا أن العفو أحب إلينا وإلا ما خرجت من هذا المقام وقد كنت قد قطعتك بهذا الحسام ثم قال للخدام اخرجوهم وخلوهم عنـد أصحابهم وقوف وشدوا التوكيد عليهم حتى يرى ملك العرب برأيه فيهم فأخرجوهم الغلمان فلمـا وصلوا إلى أصحابهم سألوهم عن الحال فأخبروهم بما قد وصل إلى الصحصاح من الملك الذى لا يحصى وقد سلمنا من القتل ومسـلمه قد ترك التوكيد علينا حتى يرى الصحصاح رأيه فينا وينفذ فينا أمره ونهيه فقال رجل منهم يقال له المزاح ياحريث مارأينا عروسا أشأم من هذه العروس والله لقـد عمت بركتها على بنى كنده والساعة يدخل عليها الصحصاح ويسألهـا عن حالها وما جرى لها فتخبره بما قتلنا من الرجال والأبطاله وأخذها رغما عنها فيخرج

عند ذلك الصحصاح وقد وجد لذة النكاح وترى بعد ذلك ضعفا ما رأينا قط مثله وما أسعدنا إن كان صنع بالكفوف والا ضربا بالسيوف (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من مسلمه فانه بعد خروج حريث وبنى كندة من عنده أقبل على الصحصاح وقال ما تقول فى هؤلاء القوم يا ملك العرب فقال الصحصاح وما أقول ما أريد إلا ضرب رقابهم فضحك الأمير مسلمه وقال يا ملك العرب ليس هذا بصواب والعفو عند المقدرة أجمل بالقادر وإذا كان حريث قد أساء فكن أنت محسن وأنت تعلم أن عمك عطاف قتل أبيه وأنه طلب أخذ تاره وقدر عليه وعفا عنه ولا يجوز لمثلك ملك أن يقتل من يكون فى حيه ويتبع الأخلاق الردية بل يشفق على الرعيه واعلم أن حريث وأصحابه من جمله الرعيه فاشكر الله على هذه العطيه (قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك من كلام مسلمه كان كأنه نائم واستيقظ وقال لقد أنعم الله على بك يا مولاى والحمد لله الذى جعلك لكل خير سبب والآن قد رجعت عما كان قد خطر بقلبى من سفك دمائهم ولا أطيق أن يبقى من بنى كندة أحد مقيم فدعهم يذهبوا فقال له مسلمه والله مقامهم هنا بغير اختيارهم ثم نهض مسلمه إلى باب السرادق وادعى بجاويش العسكر وقال له اذهب إلى بنى كنده ونادى بصوت يسمعه القريب والبعيد الا أن ملك العرب قد أنعم عليكم بنفوسكم يا بنى كنده فاذهبوا من وقتكم ولا يصبح منكم أحد فى العسكر الا ويلحقه الهلاك والبوار فخرج الجاويش ونادى بذلك النداء وقال أدعو للملك فرفعوا بنى كنده أصواتهم بالدعاء وكانوا قبل ذلك يحسبوا حساب الآفات بخلاف ما كان فى نفوسهم (قال الراوى) ولما قال الجاويش لا يبقى منكم أحد أبدا قالوا نعم فقال المزاح ومن هو القرنان الذى يصبح عليه الصباح ههنا وقد طاب له العنا حتى يقيم الى الصباح ثم أطلقوهم فما صدقوا بذلك فساروا فى ظلام الليل وهم لا يتكلمون الا فى سبب اطلاقهم الذى ما ما كان لهم فى حساب ولا خطر لهم بخاطر ويتحدثون أيضا فيما وصل الى الصحصاح من النعمة والكرامة الكريمة هذا والمزاح قد تقدم فى أوائلهم وأنشد أبياتا يمزح بها فمنها

وانى أنا المزاح أول هارب   فلا تغضبوا فالهزل والمزح من طبعى

قال الراوى فضحكت العرب من شعره وأخذ حريث الغضب وصاح عليهم وقال له يا كلب العرب أنت أكلت بعقلك حلاوة وتشفى فؤادك من السادات بالمزاح ومن جراك على سادات العرب بقله الأدب والله لاسقيك كاسات العطب ثم انه

سل سيفه وطلب المزاح فجالت الرجال بينهم وقالوا لحريث يا أمير أما تعلم أن الشيخ مزاح طبعه المزاح فسكت حريث على مضض منه (قال الراوى) هذا ماكان من هؤلاء وأما ماكان من الصحصاح فانه لما علم أنه ما بقى أحد من كندة مقيم وذهبوا عن آخرهم ولم يبق منهم أحد أبدا فأزعجه الشوق وأقلقه الافتكار حتى أنه لم يبق يطيق الاصطبار فأنشد وجعل يقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

قد طال ليلى وزاد الشوق والقلق والطرف من أجلكم وقفا الأرق
لا تعذلوا منتهى مالم يجد جلدا وما بقى منه غير الروح والرمق
حملتم القلب شوقا فوق طاقته ورمت أحمله صبرا فلم أطق

(قال الراوى) ونظر مسلمة الى الصحصاح وهو شديد الارتياح غير أن الحياء يمنعه عن النهوض الى بنت عمه ليلى فقال مسلمه ياملك العرب أرى منك العجب لأنك تريد المحبة والقوام ولم تسارع إلى القيام مع قرب المزار من المحبوب والخدور الى المطلوب قال فنهض الصحصاح وقبل يد مسلمة وقصد السرادق وقد خرجت الخدم والحشم بين يديه قال هذا وليلى تنشد وتقول هذه الأبيات:

وحقكمو مالى على فقدكم صبر ولا طاب لى عيش ولا يصف لى سر
إذا ما تأملت الديار ولم أجد لكم خبر فيها فينقصم الظهر
أقبل أرضا كنتموا قد مشيتمو عليها وفى قلبى لفرقتكم جمر
واذكر أياما مضت ولياليا لكم كان فيها العز والنهى والأمر
أحبة قلبى لو يعود رجوعكم بشىء شريناه ولو طلبوا العمر
تيقنت دفع الروح ان عشت بعدكم وإن فؤادى ناره تفنى الصخر
يقولون هذا الدهر فرق بيننا فما كانت الدنيا ولا كان ذا الهجر
وحرمت ماقد كان من عهد قربكم وقد حرت فى أمرى وقد مسنى الضر
ترى يرجع الصحصاح يارب سالما وأخبره عما بدا لى والصبر
ولو علم الصحصاح ماقد أصابنى لضاقت عليه الأرض جمعا مع البحر
ولست أريد المال والملك بعده فمنّ بموتى قبل أن يطلع الفجر

(قال الراوى) فبينما هى على ذلك الحال وإذا هى بالصحصاح قد عبر من باب السرادق وليلى ترتعد وتقول ويلاه من الفضيحه ترى مروان ابن الهيثم ما يغار إلا على الحريم ولا يستقبح ارتكاب هذا الذنب العظيم فيأخذنى سفاح فلا والله لو كان الصحصاح حاضرا لم يكن علىّ قادر هذا والصحصاح قد رفع باب الخيمه الذى فى

صدر السرادق الأكبر ورفعت ليلى رأسها وأبصرت الداخل عليها وإذا هو نجم الصباح والكوكب الوضاح وكعبه السماح والبطل الحجحاح وملك العرب الصحصاح وهو يقول ياليلى قد وصلت بزعمك سالما غانما وسيكون سرورك واردا (قال الراوى) فلماسمعت كلمته وتحققته صرخت صرخةعاليه وقد غابت عن الوجود ووقعت على الأرض على وجهها كما يقع الانسان فى السجود فجلس الصحصاح عند رأسها وتحير وبكى وليلى قد غابت فى غشوتها إلى الصباح وعرفوا الخدم ذلك فذهبوا إلى مسلمه وأخبروه بما وقع قال لا حول ولا قوة إلى بالله العلى العظيم ليتها عاشت ولو ثلاثة أيام حتى يقضى كل واحد منهما من صاحبه وطر وبقى كل ساعة يبعث بعض الخدام ويكشف الخبر والحال وهى كما هى على حالها الى الصباح ودامت فى غشوتها الى طلوع الشمس ثم إنها أفاقت وجعل الصحصاح يناديها يا ابنة العم ذهب الهم والغم إنى أنا الصحصاح بن جندبة قال فعند ذلك جلست وهى عادمة العقل تنظر اليه وتشك حتى تحققت وتيقنت أنه الصحصاح فبكت وأنشدت وجعلت تقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

لم أذق بعدكم لذيذ المنام ... وغرامى بعد الفراق غرامى
إذ برانى شوقا وقل رقادى ... واعترانى بعدكم كثير سقامى
وقضيت الأيام بعداً وقربا ... عدت أبكى بفيض دمع سجام
كنت أرجو رجوعكم لى سريعا ... وتعود الشهور والأعوام
ثم أدعوا بأن يردكم الله ... إلى الاجتماع والالتئام
فأتانى الله بالفرج قريبا ... جل ربى المهيمن العلام
وبدا لى وجهك يا صحصاح ... وهو كالبدر فى دياجى الظلام
ومضى مالقيت من زمن السو ... ء لما رأيت بدر التمام
غير انى أقول مثل الذى قال ... وقد قيل فى سالف الأعوام
ما أظن الزمان يأتى بهذا ... غير أنى رأيته فى المنام

قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ماقالت ليلى بكى من قولها وأنشد يقول

سأحمد ربا ليس يحمد غيره ... إلها عظيما لا يزال موافيا
أشكره منى فالشكر واجب ... ومازال رب العرش بالشكر جازيا
له الثناء الجميل دوما سرمدا ... ما تعاقبت الأيام بالليا ليا
قد من علينا بالجمع بعدما ... قطعنا شهورا فى دوار خواليا

وصرنا ملوكا بعد فقر وذلة ... وقد حزت ملكا لم يكن حسابيا
وفزت بليلى وهى عندى عزيزه ... وصار عدوى لى مدى الدهر صاليا
وقد جمع الرحمن شملى بشملها ... وفزت بذاك الحسن والقلب آويا
تمثلت بيتاً كنت قد ما حفظته ... عجيبا وقد حاز المعانى كما هيا
وقد يجمع الله الشتيتان بعدما ... يظنان كل الظن ألا تلاقيا

(قال الراوى) ولما فرغ من إنشاد الشعر جعل يصف اليها حاله وما قد جرى له ويسألها عن أبيها عطاف وعن أمه وأهل قبيلته فأعادت عليه حديثهم وأطلعته على جلية الحال وكيف زوجها أبيها إلى حريث بعد أن أسره وقد أشرف على التلاف هو وقومه (قال الراوى) وما زال الصحصاح يتحدث مع ليلى إلى أن أصبح الله بالصباح ثم أن الصحصاح خرج إلى باب السرادق فصلى الصبح فتعجب الأمير مسلمه من كمال عفته مع شدة محبته فعظم الصحصاح فى عين مسلمه (قال نجد) ثم ان الصحصاح قصد إلى مسلمه فقام مسلمه وهناه ببلوغ الأمل وجمع الشمل بعد الهمل ثم أمر الأمير مسلمه فدقت الكاسات ونعرت البوقات فركب وركب الصحصاح وقد أحدقت به المواكب والكتايب وأمر أن يقدم البعير والهودج فألبسه الحال والرصافيات التى لهودج الملكه مروه بنت عبدالملك بن مروان وركبت ليلى وقد أحدقت بها الجوار فلما نظرت ليلى إلى ذلك قالت اللهم لك الحمد من قبل ومن بعد (قال الراوى) فساروا الناس على مهل لأنهم قد تعبوا من المسير الأول فساروا مقدار أربعة فراسخ وإذا بغبار قد تار حتى سد الأقطار فقال مسلمه لما رأى الغبار وقد تحير ايش هذا الغبار فقال الصحصاح لا شك أن حريث قد استنجد ببعض العرب ولو عرفنا كنا سقيناه كاس العطب فقال مسلمه ما أظن أحدا يتقدم إلى هذا العمل لأجل ثلاث وجوه الأول أن معنا خمسة عشرة ألف فارس ويتبعها مثل ذلك والثانى لهيبة أمير المؤمنين والثالث قد سمعوا أنى كنت معك وجئت وإياك وقد عرفوا أن الشجاعة معك فقال الصحصاح هذا لا يصح إلا لأرباب العقول وأما عرب الحجاز لا يفكرون فى عاقبة الأمور بل يرمون أنفسهم فى كل نائبة ولا يعرفون من هو أمير المؤمنين وهـــذا من قلة عقولهم وأما قولك لكثرة شجاعتى فالأرض ولاده وربما يكون فى قبائل العرب من هو أشد منى بأس وسوف ترى إن لم يكونوا أعدا (قال الراوى) فقال مسلمه وربما يكون مروان بن الهيثم حين سمع بعزله وولايتك جاء لخدمتك ليكون فى صحبتك وذلك طاعة لأمير المؤمنين يريد بذلك حسن الظن فى حقه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك

أن الأمير جفال سيد بنى مخزيه والمقدم على ملوكها وكبرائها لما جرى حديث مروه لم يكن حاضر فى حلته بل كان غائب وكان لغيبته سبب نحب أن نذكره وذلك أن بنى مخزيه كانت عشرة حلل وفى كل حلة منهم أمير وكانوا الجميع كلهم تحت يد جفال وكان فارس لا يطاق وعلقما مر المذاق وكان صديقا للملك فاتك ابن معدى ملك اليمن فخطب جفال بنت فاتك فأجابه إلى ذلك وحمل جفال الأموال والنوق والجمال وما تعجز عن وصفه الناس وسار فى خمسة آلاف فارس إلى أن وصل إلى أرض اليمن ووصل خبره إلى فاتك فاستقبله وأكرمه غاية الاكرام وأقام عنده شهرا كاملا ثم زف ابنته عليه وأقام بها عنده سبعة أيام وطلب من فاتك الرجوع إلى دياره فشق ذلك على فاتك فحلف قسما بالله لا مكنتك من الرحيل إلى سنة كاملة أنت ومن معك فلم يجد سبيلا إلى الخلاف لفاتك لأن فاتك كان فى الكرم فاتك وكان اليمن كله تحت يده إلى أطراف البحار والجبال فأقام جفال ومن معه فى أطيب عيش وإنعام وأطيب مقام وفى كل يوم يتجدد عليه الخير والانعام وفى أعقاب السنة وصلت اليه الأخبار بما جرى لبنى مخزيه من القتل والسبى وما صنع بهم مروان بن الهيثم فقامت على جفال القيامة وبكا على قومه فقال له فاتك اصبر أيها الأمير فإن الأشياء بقضاء الله وقدرته فقال الأمير جفال لا صبر لى على ذلك الأمر المنكر ولا بد لى أن أرمى روحى على بنى سليم وأقتل مروان بن الهيثم فهو الذى فعل هذه الفعال وبعد أخذ قومى وأغزو على بلاد الشام وأحرم مروان أن ينام وأجمع العرب وأعطيهم الفضة والذهب ولهم الأموال ولى سفك الدما وان لم أفعل ذلك ما يرتفع العار عن بنى مخزيه فقال له فاتك اصبر وتمهل فان العجلة ترث الزلل وأما أنك تجمع العرب فلا حاجة إلى ذلك لأن تحت يدى مائة ألف عنان ولى عبد يقال له عملاق لو عاين عنتر بن شداد جعله له غلام وأنا أقدم عليهم عملاق وأمرهم بالمسير تحت طاعتك وتأخذ التار ممن قصد حلتك وان عزمت على المسير إلى بلاد الشام فأنا أمدك برجال يكون أولهم فى الشام وآخرهم فى بلاد اليمن وأصبر جفال وهو فى قلبه النار وبعث يكشف الأخبار واجتمعت بنى مخزيه من سائر الأقطار وساروا طالبين اليمن إلى أميرهم جفال فلما وصلوا اليه وقع البكا والنحيب على من قتل منهم وأخبروا جفال بجلية الحال وحديث مروة ابنة عبد الملك بن مروان فعظم عليه ودخل على فاتك وقال له أعطنى الاذن بالذهاب إلى حلتى فعندها علم فاتك ما فى نفسه فأذن لجنده أن يتفرقوا فى سائر بلاد اليمن ويستخرجون له الأبطال المعدين للقتال فلم يكن إلا القليل حتى حضر قدامه

أربعين ألف مدرع وقدم عليهم عبد له يقال له عملاق وكان كأنه من أولاد الجبابرة وهو أطعن أهل زمانه بالرمح وأضربهم بالسيف وكان جبار عنيد وشيطان مريد وهو جسور على قتل الشجعان وكان يقول إن مافى الدنيا من يلقانى فى حومة الميدان. وهو الذى مدح نفسه بهذه الأبيات حيث يقول :

لست أبالى بكثرة العدد   ومأكلى من مراعى الأسد
لوأن للأرض قبضة عرفت   علقتها من أصلها بيدى

(قال الراوى) وسار عملاق وجفال من أرض اليمن وقد أرادوا نهب أموال ملك العرب مروان ابن الهيثم وتبعهم خلق كثير من الطماعين مثل عددهم أضعاف ونظر جفال الى ذلك فأقسم أن لابد له من المسير الى دمشق (قال الراوى) وجد فى سيره ليلا ونهاراً طالب بنى سليم فوقعت طريقهم على بنى كنده فلقيهم حريث فى جيشه وهو منهزم فلم يشعر إلا وقد أحاطت به الكتائب من كل جانب فقال مزاح ما رأيت سفرة أيشم من هذه السفرة ولا عروس أيشم من هذه العروس وهذه النوبة مافيها إلا هلاك النفوس ثم أقبل مزاح على حريث وقال له : العزوبيه قتلتك حتى أوقعتنا فى هذه البليه فقال له حريث ويلك خلينا من هذا المزاح فى هذا الوقت فهم فى الكلام وإذا بالرجال قد أحدقت بهم من كل مكان ثم قالوا لهم من أين أنتم ومن أى العرب تكونوا والى أين أنتم طالبين فقال حريث وقد راعه ذلك العسكر العظيم ماهذا إلا يوم عبوس ثم تقدم الى أميرهم فعرفه وعرف جفال أمير بنى مخزيه فرمى نفسه بين يديه وقال يعز علينا ماجرى أيها الأمير على قومك وما كان هذا إلا لغيبتك فالحمد لله الذى نظرت الى طلعتك ولو كنت حاضرا كنت أول من بادر الى معاونتك وأنا خادمك حريث فقال له أبوك كان لى صديقا فقل لى عندك خبر من ملك العرب مروان ابن الهيثم فان فى قلبى منه النار وأريد أن آخذ منه التار (قال) فلما سمع حريث منه ذلك قال له ياملك ومروان بن الهيثم عظم عليه الهم وظهر لنا من هو أعظم منه همة وهو الصحصاح ابن جندبة الكلابى ومعه من الأموال ماقد سد الفضاء ومعه مسلمة بن عبد الملك بن مروان وهو الذى أباح دماء بنى مخزيه وعزل مروان ابن الهيثم وقدم الصحصاح وبئس ما قدم فأدركه قبل أن يصل الى بنى كلاب ويملك الأمارة على العرب وتأتيه الطلاب فقال جفال وا برداه على كبدى مما أصنع به أيها الأمير وأى وقت أجتمع وإياه وأريك ماأصنع به فقال له حريث يقبل عليك نصف الليل بما معه من الأموال والتحف فلما سمع جفال ذلك الكلام قال هلموا واقصدوا بنا نحو الغريم فقال حريث

أطلبهم قبل أن يصلوا إلى حلة بنى كلاب فقال الشيخ مزاح نعم يا قرنان لأجل لا تفوتك العروس وتظن أن الصحصاح قنع بالأموال وإنما من نصف الليل تمتع الصحصاح بالعروس ومن تلك الساعه قد أخرب السرايات وملك الحصون ولا تظن أن العروس قاعد ملك وأنه دخل عليها ومن موضعه ما برح غير أنه اصطبح بالعروس وإن كان الشوق غره وقد برح فارجع معهم فانك تربح قال جفال لحريث ايش معنى هذا الكلام قال له هذا شيخ أحمق ثم أعاد القصة من أولها إلى آخرها عليه وما فى الاعادة إفادة إلا الصلاة على النبي (يا ساده) فقال له جفال أبشر يا حريث فانها مردودة اليك أى ليلى وكلما وصل اليها من الصحصاح فهو لك (قال الراوى) فقبل حريث الأرض وبكى وتعلق بركاب جفال فأعطاه يده على ذلك وكان عملاق قد سمع بكاه فناداه بصوت مثل دوى الرعد القاصف يا هذا خل عنك البكا فانى أرد ليلى اليك هنالك تقدم حريث وقبل قدم العملاق فى الركاب وقد طار عقله من الفرح وقال ما للصحصاح إلا هذا البطل الجحجاح (قال الراوى) وتقدمت الأبطال وحريث يظن أنه قد بلغ المراد وأما الشيخ مزاح فانه قد أقبل على حريث وقال له اعلم يا مولاى أنى شيخ كبير وما بقالى جلد على القتال وقد عولت أن أمضى إلى الحى وأطيب قلوب الناس لأنك قد أبطأت عن الحلة ولا يعلمون ما كان منك وأنا رايح أعلمهم بصحة السلامة وسوف تعود اليك الغنيمه فقال له حريث لا وذمة العرب لاخليتك ترجع حتى تنظر ما أصنع بالصحصاح ومسلمه ولو كان عبد الملك بن مروان حاضر فيهم لحل به الذل والهوان قال فلم يقدر مزاح على مخالفة حريث (قال الراوى) ثم شالوا وساروا إلى وقت العصر فلما كان وقت العصر أشرفوا على عسكر الأمير مسلمه بن عبد الملك ابن مروان كما ذكرنا هنالك صاح حريث وصاحت بنى مخزية بالتارات الغضبان وشوم الزمان فعند ذلك ارتجت الأرض فى طولها والعرض وجرت السيوف الصقال ومدت الرماح الطوال وأوترت القسى واعتدلت السهام واقترب الحمام وصاح الفريقان ودنت الشجعان من الشجعان وأخذت العسكران الأهبة فى الميدان وأبصر مسلمه ذلك العسكر وهم خمسة وأربعين ألف مدرع ولابس وقد أحدقوا بهم كما يدور السواد فى بياض الحدق قال مسلمه يا ملك العرب ما أظن أن هؤلاء القوم يعرفونا فقال الصحصاح أنا أقول انهم من بنى مخزية وقد كان ملكهم تزوج فى بلاد اليمن وأنه وصل اليه ما جرى على قومه وأظن أن فاتك ملك اليمن قد أنجده بهذا العسكر وأيضا الأمير جفال موصوف عند الشجعان وقد كان عبدى نجاح يقول

يامولاى مالك شبيه إلا جفال أمير بنى مخزيه وأنا أشتهى أن التقى أنا وإياه فقال مسلمة اعلم ياصحصاح أنه لايحل لنا أن نقتل من يقول لا إله إلا الله إلا بعد الانذار فقال الصحصاح الأمر لله ولك ولكن ما عندى غير الحملة عليهم وأيضا الأذية لهم ثم ان مسلمة أرسل اليهم رجل من أهل الشام يقال له الصامت مجاهد وكان مؤدبا بالزمان يصلح للرسائل والانذار والاعلام بين القبائل وقال له اذهب الى هؤلاء وقل لهم ان هذا ولى عهد أمير المؤمنين وولده إمام المسلمين يسأل عنكم وأين أنتم ذاهبين ومن أين جئتم والى أين تريدون أخبرونا وأوجزونا فان معى قوم من عسكر أمير المؤمنين لايخافون من كثرة الأمم كما لايخاف الذئب من الغنم وما هو إلا ملك عظيم ولربما يرميكم بجمرة من ناره وقطرة من بحاره فتصبحوا اعامدين وفى قاع الصحصاح خاسرين ولا ينزعجون عند كثرة المواقع فبادروا اليه بالطاعة أحب اليكم من الهلاك بالسيوف القواطع . وقد قال بعضهم : * وتضرب أرقاب الرجال المطامع * وان أنتم بيتم فدونكم والقتال ودنو الآجال قال فمضى الرسول وأعاد ماسمعه عليهم وكان المخاطب له جفال فصاح عليه بعد أن سمع الكلام وقال له لولا انك رسول لقطعت رأسك بهذا السيف ارجع الى مسلمة وقل له ان كان أبوك حلف أنه مايترك من بنى مخزيه أحد فأنا أقسم بذمة العرب وشهر رجب والرب الذى اذا طلب كل عباد غلب لاتركت من بنى أمية أحد ومن بعده صاح عليه حريث وقال له ياويلكم أنتم ظننتم أنكم تخرجوا الى أرض الحجاز سالمين لا ورب العالمين (قال الراوى) ورجع الرسول إلى الأمير مسلمة وأخبره فغضب وأمر بضرب الكاسات ونعر البوقات فصاح عملاق وجفال واشتد القتال بالسيف الفصال طول النهار وما فصل إلا الظلام . هذا وقد طمعت العرب فى الأموال وكان الصحصاح قد قاتل قتال يقصر عن وصفه اللسان . فلما نظر مسلمة إلى ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال ياملك العرب اعلم أن هذا عسكر كبير ونحن فى أرض الحجاز وسوف يأتى الينا كل قاطع طريق فيحتاج تبعت عبدك نجاح الى حى بنى كلاب يأتى بهم الينا يكون ذلك أصوب فقال الصحصاح أيها الأمير سوف ترى فى غداة غد مايسرك إن شاء الله تعالى ولا تحتاج إلى بنى كلاب ولا الى غيرهم (قال الراوى) ولما أصبح الصباح واصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف ولمعت السيوف وهمت الرجال أن تحمل واذا بفارس ظهر بين الصفين ولعب بالرمح بين الفريقين وكان عليه درع مضايق العدد كأنه عيون الجرد لا يعمل فيه السيف المهند معتقل برمح وعليه سنان كأنه كوكب أو نار ذات لهب ثم انه نادى

بصوت يسمعه القريب والبعيد من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا الصحصاح ابن جندبة الكلابى ملك العرب ومن حوى الرتب وقاتل أبطال بنى مخزيه فما لجفال تار إلا عندى فان قتلنى فقد خاصتم من القتل ويظفر بما طلب من التار وكشف العار وان أنا قتلته فقد ألحقته ببنى مخزيه ومع ذلك ان لم ينزل لى جفال فأنا أحمل عايكم أنا ومن معى حملة واحدة وقد أصبحت الدنيا منكم خامدة وبعد ذلك أنشد يقول :

فوحق من بعث النبي محمدا — بالحق والقول الصحيح الأفصح
انى لاخلى الارض حتى لا أرى — منهم لئيم من رجال الاوضحى
أبناء مخزية الكلاب ومنهم — خانوا الصديق من السلال الاوضح

(قال الراوى) لذلك الكلام هنالك برز جفال وقد زال عنه السعد وأتاه الوبال وهو على جواد عالى من الخيل الجياد أدهم أسود بغرة كالدرهم مليح الخطره وعليه درع مانع ومتقلد بسيف قاطع وصال وجال وطلب القتال والنزال (قال الراوى) فحمل عليه الصحصاح فكانا كأنهما أسدين زائرين أو كبشين متناطحين أو بحرين متلاطمين وتطاعنا بالرمحين حتى شهدت لهم بالشجاعة الفريقين ولم يزالا فى قتال ونزال حتى حارت عقول أولى الالباب من الشيوخ والشباب (قال الراوى) فاختلفت بينهما ضربتان قاطعتان صائبتان كان السابق بالطعنة جفال فوثب الصحصاح فصار على وجه الارض وضيع الطعنه بالعرض ثم وثب الى حصانه عجلا وأوسع فى مجاله وعاد مصمما وطعن جفال فى صدره أطلع الرمح يلمع من ظهره هنالك زعقت الابطال وهمهمت الاقيال وجرى الدم وسال ولما نظرت بنى مخزيه الى أميرهم وقد وقع على وجه الصحصاح أطلقت الاعنه وقومت الاسنه وحملت فعندها أشار مسلمه الى عسكره فحملت وتواثبوا الشجعان وجرى الدم وسال وساءت الاحوال وصارت الجماجم للخيل نعال وتولت السيوف على الاعناق الطوال وعملت مالم تعمله الصواعق وذهب المزاح وظهرت الحقايق ولم يبق الا صاحب قلب خافق وأظلمت المغارب والمشارق وعجل كل من كان بشجاعته واثق فيالها من ساعة قطعت فيها الايدى وأوصالها وحملت فى الآلاف وصالها (قال الراوى) فلما الليل أقبل والظلام انسدل افترق الجيشان وتحارس الفريقان وعاد كل منهم الى مكانه وقد قتل منهم خلق كثير لا يعلم عددهم الا الله تعالى اللطيف الخبير فلما أن أصبح الله تعالى بالصباح وأضاء بنوره ولاح وذكرت قامة سيدنا محمد زين الملاح فنادوا الناس من بعد صلاة الفجر الى ركوب

الخيل ثم اصطفت الصفوف والمواكب وهمت الكتائب أن تحمل على الكتائب وإذا بفارس قد طلع من العسكر كبير كأنه البعير والزبد على أشداقه يطير ومن عيناه يقدح الشرر وفى يده صاعقة للأسماء ماحقة وهو على جواد عالى من الخيل الجياد منسبل الذيل غليظ القوائم كأنه الدعائم مصادم الخيل الصدائم كأنه الرعد القاصف أو الريح العاصف والعسكرين قد ذهلوا من عظيم شكله وانهم ما رأوا مثله ثم انه قال يا معاشر العربان من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى ما بى خفى أنا العملاق أنا الذى للرجال محاق أنا المسمى فاتك وسيد الأبطال فى المعارك وقاتل الفرسان وقائد العساكر من اليمن على نية الغزو الى بلاد الشام وأقلع دولة بنى أمية من مرتبة الاحترام حتى لا يبقى فى الأرض الا فاتك ومن لا يطيعه أصبح هالك ثم نادى أين الصحصاح فقد أعجبنى البارحه طعناته بالرمح فليخرج إلىّ بمائة من الأبطال لأنه ما هو من رجالى أن يبرز لى وحده فلما نزل وهم بالنزول اليه فتعلق به مسلمه وقبض عليه وقال من هذا العبد ولد الزنا وتربية الخنا أن يبرز مثلك اليه وقد قيل فى المثل الحرب سجال يوم لك ويوم عليك ومن ظن أنه يصيب ولا يصاب فقد ظن عجز ثم نادى مسلمه فى عساكر الشام واحد يخرج لهذا العبد ولد الزنا هنالك خرج اليه فارس فى الحديد غاطس كبير الهامه عظيم القامه ثم انه حمل عليه فلم يطل بينهم المطال حتى صاح به عملاق ثم انه قاربه وضربه بالسيف على هامته طلع يلمع من نصف قامته فخرج اليه أخو المقتول فقتله والثالث فجندله والرابع ما أمهله هنالك وقفت الناس عن قتاله خوفا ورعبا وان حريث نادى برفيع صوته ما بال الصحصاح لم ينزل إلى هذا الفارس الجحجاح حتى يتركه مرمى على البطاح (قال الراوى) يا ساده يا كرام فما فرغ حريث من كلامه حتى خرج اليه الصحصاح من غير اذن مسلمه وهو راكب على فرس أبوه مزنه وهو ينشد ويقول هذه الأبيات :

دونك يا عملاق والقتال ودونك الطعن فى المجال
فالأسد ما تستعظم الجمال وإنمـا تستعظم الأبطال

(قال الراوى) وان عملاق صاح فى حصانه فخرج من تحته كالبرق الخاطف أو الريح العاصف وصاح بصوت كالحمار إذا نهق وصرخ وزعق وعلى الصحصاح انطبق فقال له الصحصاح ويلك النهيق للحمير فدونك القرب والثبات فقد طاب الممات ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه فكانا كأنهما بحرين التطما أو جبلين

اصطدما وعلا الغبار عليهما وغاب عن الأبصار وعليت صرخات عملاق وهى تسمع من تحت العجاج وقد تطاولت اليهما الأعناق وانفتحت اليهما الأحداق هذا ومسلمه قد وقع فيه القلق خوفا على الصحصاح وقال والله ما هو صواب أن نتخلى عن ملك العرب وهو فى مقام الخطر مع هذا الجبار وقالوا له جميع العساكر يا مولانا ملك العرب بأرواحنا نفديه فان أمرتنا بالجملة حملنا كلنا وإلى عنده وصلنا قبل أن يقع فيه أمر من الأمور فهو بالحمله وإذا بغبار قد انكشف وخرج من تحته جواده وصاحبه قدوقع وهو كأنه نخلة انحدرت من الجبال فلم يبق أحد من العسكر إلا وقد انحدر خوفا على صاحبه من تلك الفعال فتبينوا الناس المقتول وإذا هو عملاق على الأرض مجزول وإذا بالصحصاح وقد خرج على مزنه وهو مبتسم وسيفه يقطر الدم وهو ينشد ويقول هذه الأبيات

ما زلت فى يوم الهياج مقدما ... وعلى أبناء القتال مصمماً
شهدت لى الأبطال فى يوم الوغا ... أنى مقدمها إذا جرى الدما
ألحقت عملاق بجفال كما ... نادى حريث لم أكن مقدما
لو أنهم عدد النجوم تركتهم ... فى القاع طمعاً للسباع وأعظما

(قال الراوى) فلما نظر مسلمه إلى عملاق جديل فرح فرحا شديداً وأمر بالحملة فحملوا فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من المزاح فانه أتى إلى حريث وقال له يا قرنان ويلك قد صارت ليلى أرملة إن كنت تريد أن تخطبها فقم اليها وإن العرب لما قتل عملاق وعامر بن الملقب بجفال بقيت مثل الغنم بلا راعى فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وانهزم حريث مع بنى كنده والمزاح يقول لحريث أمهل يا قرنان فلا زلت تطمع فى ليلى حتى تهلكنا وتهلك هذا العسكر الذى ألفتك وصارت العسكر تنهب بنى كنده وقالوا ماهان علينا فى المجىء ههنا والمزاح يقول يا قرنان هذا أيضا من بقية الذى لليلى علينا وميا لنا ألا نمضى إلى مروان بن الهيثم ونخدمه على خراب بيته لعل ليلة تحصل لك فضحك حريث من الغم الذى هو فيه وهو ماشى عريان هو وأصحابه كذلك وهم من حوله مشاة ومزاح فى أوائلهم وهو يضحك ويتمسخر على حريث وينشد ويقول

أقسمت بالمهيمن الرحمن ... أن الزواج أفسد الانسان
بلية الرجال فى النسوان ... ولكننا فى قبضة الخذلان
ما بين مصروع إلى عريان ... من أجل ليلى أخذوا حصانى

وعدت فى ثوب من الهوان　　لا يبتلى المؤمن يا إخوانى
فى موضعين فاعرفوا بيانى　　فأدرجن عهدها يرانى
فاننى نسـل بنى الزوانى　　يكفينى الصك الذى لهانى
فلست أنساه إلى الأكفان　　شيخ لئيم داهى الجنان
أمشى على رجلى فى القيعانى　　جدوابنا الآن بلا توانى
واقصروا من طلب الغزلان　　فليس الريح كالخسران
وكل يوم نحن فى خسران　　إن عدتموه يوما إلى الطعان
وعدت معكم فاعرفوا أذانى　　رضيت من ربى بما عطانى
من زوجتى سلما ومن إخوانى　　ولست كالصحصاح فى زمانى

(قال الراوى) فلما سمعت بنى كندة كلامه ضحكوا حتى انقلبوا مما سمعوا من كلامه وأما حريث فانه أضمر إذا وصل إلى الحجاز يضرب رقبته هذا ما جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من ملك العرب الصحصاح فانه لما نصره الله على عملاق وجفال وانهزمت العربان إلى كل مكان وغنموا الناس أموالهم وجميع ما كان معهم وعظم الصحصاح فى عين مسلمه فقال له حقيقاً ملكت العرب بسيفك وشجاعتك فقال الصحصاح هذا كله ببركتك وموالاتك لى فى الابتداء والانتهاء فلا عدمتك من صديق ولا عدمت همتك العالية وأقاموا العساكر بقية يومهم للراحة وأصبحوا راحلين وما لهم حديث إلا فى الصحصاح وكيف قتل جفال والعملاق وكيف نصره الله وساروا طالبين أرض بنى كلاب فهذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من حديث أم الصحصاح فانها كانت كثيرة البكاء دائمة الاشتكا وقد أيست من الحياة وكان ذلك اليوم عطاف راحل إلى بنى كندة لأجل العرس لحريث فلما سمعت بذلك ازداد همها وكثر غمها وعظم بكاها ونداها وصارت تقول يا بنى هذا عطاف سائر الى زفاف ليلى وأمك تبكى وتتقلا ثم أنشأت وحنت وبكت وجعلت تقول

الخيـل تسرح للرحيل وتلجم　　والنار فى كبـدى لذلك تضرم
يا واحدى عظم المصاب وخاننى　　جلدى ودمعى قد جرى مثل الدم
أتراك يا ولدى فديتك سالما　　أم أنت فى دار المهالك مخيم
أو أنت من بين الورى مجندلا　　بين الربايا واحدى أو مغرم
لم يبق لى صبر وقد شاع الذى　　قد كنت من قبل المصيبة أكتم

جهدى أنوح عليك ما طال المدى وأدق صدرى للفراق وألطم
يا غائبا جوا الفؤاد مغيبا قل لى بحقك هل تعود وتقدم
أحمامة الوادى بحقك خبرى ولدى بحالى انه لايعلم
ان كان يفهم مايقول الطير فى وكره فنوحي بقصتى وترنمى
صم الصخور لانت لوجدى والأسى لمصيبتى وأنت لى لم ترحم
أغراب كم تأتى الربوع مناديا بفراقهم وبجمعهم لا تعلم
أترى يعود الدهر يجمع بيننا ونلذ فى دار السرور وننعم
أتراك ياصحصاح تقدم سالما فيسر منا ثا كلا ومتيم

(قال الراوى) فوالله لقد كان هذا البيت الأخير من أعجب الحديث لأنها ما فرغت من هذا البيت إلا وقد صاح صايح: الخيل الخيل يابنى كلاب قدأقبلت عليكم عساكر سدت الفضا وملأت المستوى ولم نعلم ماهى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن مسلمة أقبل على الصحصاح وقال له ياملك العرب الصواب عندى أن تسبقنا الخيل والفراشين يضربون المضارب والسرادقات فقال له الصحصاح الأمر أمرك ياملك الزمان فأمر النجابة والخيانة وأربعمائة حصان بمراكب الذهب والفضة وعليها الأعلام المذهبة حتى تذهل منها بنى كلاب فاذا نزلوا وقربوا منهم يضربون الغلمان فى وجوه خيولهم فيكون ذلك أعظم هيبة فى قلوبهم ويرون خلاف ما كانوا يعهدون منك فان الملك يحتاج الى سياسة فقال الصحصاح لاعدمتك من مشير (قال الراوى) فبينما بنى كلاب على غفلة منهم إذ وصلوا الخدم والفراشين والحجاب فنصبوا الخيام والقباب ونصبوا بينهم السرادق الأحمر المرصع بالجوهر فعاينت العرب ذلك فانذهلت عقولها فقال عطاف ويلكم أنتم منا فى مكم هذه خيام الجنان الموصوفة فى القرآن وهذه الغلمان لاشك أنهم الولدان ياويلكم اسألوا عن من نزل بهذا المكان فتبادرت الشيوخ منهم وقالوا حيا الله الأمراء والسادات الكرام فصاحت الغلمان عليهم ياويلكم ما أعمى قلوبكم أما وصلت اليكم الأخبار والأقطار بأن هذا ملك العرب العربا شرقا وغربا المقدم على الأمم من العرب والعجم هذا الصحصاح بن جندبة بن الحارث الكلابى أشجع الشجعان وعقدة سلاطين الزمان فلما سمعوا بنى كلاب ذلك تحيروا ورجعوا الى عطاف وأخبروه بما سمعوه فقال لهم ياويلكم لعل الاسم يكون قد وافق اسمه اسم الصحصاح بن جندبة فلو كان حياً ما طمع فينا أحد فوا أسفاه على الصحصاح وا لهفاه عليه فوالله لا تزول عنى صورته لا فى المساء ولا فى الصباح

والناس فى الأسماء مشتركين ثم رجعوا اليهم وقالوا لهم كيف نزل ملك العرب فى هذه الحلة وكيف قصدها من دون الحلل نحن كنا أولى بالمشى الى خدمته فأجابتهم الخدم : ياويلكم ألم نقل لكم انه الصحصاح بن جندبة الكلابى وقد أتى ابن الخليفة أمير المؤمنين فى خدمته ليحضر عرس ابنة عمه ليلى فلما سمعوا ذلك رجعوا وهم مستبشرين وقالوا لقد عاد الملك فى بنى كلاب دون غيرهم من الأعراب وكثر رزق الصحصاح بعد فقره (قال الراوى) فلما أخبروا عطاف بذلك ترجل وقبل الأرض شكرا لله تعالى إلا انه قد تغير وقال لقومه كيف يكون حالة الصحصاح اذا سألنا عن زوجته وابنة عمه ليلى وكيف نرد جوابه اذا سألنا نقول له اننا زوجناها ومن الحى أخرجناها ولكن عذرنا واضح لأنه قد انقطعت أخباره عنا وعدمت آثاره منا ونزل بنا القتل والبلا الذى لم ينزل على أحد وقد يكفر الانسان من خوف السيف ثم بادر عطاف بنفسه الى الخدم والحجاب وسألهم عن خبر الصحصاح فأخبروه عن جميع ما سألهم وما وصل اليه من الملك والنعمة فقال الحمد لله على نعمه وإحسانه وجوده وامتنانه ولكن ما نقول للصحصاح فى ابنة عمه ليلى وانها ما قد تزوجت إلا قهرا وزوجتها وأنا تحت السيف ورحلت من هذه الحلة الى حلة أخرى وهى باكية العين فقالوا الخدم أليس تقول فى ابنة عمه ليلى قال نعم فقالوا له انه قد لقيها فى طريقه وخلصها وأخذها من حريث وأعادوا عليه القصة من أولها الى آخرها فوقع مغشيا عليه ثم أفاق وقد انشرح صدره وصار يتعجب من هذا الحديث العجب الذى يجب أن يكتب بماء الذهب وأيضا حدثوه بما قتل وما أسر وما فعل وكيف قتل جفال وعملاق وكيف كسر فى ساعة واحدة خمسة وسبعين ألف فارس وقوم حريث وبنى كنده وبنى مخزيه وعساكر اليمن وأوباش العربان ففرح فرحا شديدا ماعليه من مزيد ورجع إلى بيته وأخبر زوجته برجوع ابنتها وجميع ما كان معها من الهدايا والتحف فحمدت الله تعالى على ذاك وقالت ما بقى الآن إلا عتب الصحصاح علينا ولكن العذر واضح (قال الراوى) ووصلت العساكر والرايات والأعلام ودقت الكاسات وزعقت البوقات وماجت الدنيا بأهلها وسهلها ووعرها وخرجت نسوان بنى كلاب والأطفال والبنات وكلهم عطاف وبنى كلاب أن يبرزوا الى اللقاء فتمنعهم الخدم وتضرب رؤوس خيولهم فقال عطاف لقومه إن كان النادم الصحصاح فما نلقى منه خيرا لأنه غضبان علينا وربما يوصل الأذية الينا ولكن الحمد لله على لم الشمل ولو فعل بنا ما فعل (قال الراوى) ولم يزالوا كذلك إلى أن وصل الموكب الكبير الذى

فيه الصحصاح ومسلمة وهم فى ذلك الملك العظيم فصاحت الخدم ببنى كلاب وعطاف ترجلوا عن الخيل فقد وصل ملك العرب واسعوا اليه مشاة فسمعوا وترجلوا فلما رآهم الأمير مسلمة قال ياملك العرب . هذا عمك عطاف قد أقبل فى قومه ولابد أن يقبل الأرض بين يديك حتى تقع الهيبة فى قلوب العرب فان الملك يحتاج الى السياسة لأن فيهم من ربيت أنت وإياه وفيهم من رافقته وهو يراك بعين النقص فاذا فعلت بهم هكذا صرت كأنهم لم يروك إلا فى هذه الحالة لأجل الهيبة التى تقع لك فى قلوبهم والثانى يعلموا أنك عاتب عليهم بما فعلوا ولو لم يتفق هذا الاتفاق لك ووافق طريق ابنة عمك فى طريقك ولقيتها وإلا كان حسرتها تدوم فى قلبك فقال الصحصاح يامولاى لاعدمت هذا الاتفاق والهمة ثم وصل عطاف وبنى كلاب فصاحت فيهم الحجاب الأرض فوقعوا الكل على وجوههم يقبلون الأرض والصحصاح معرض عنهم غير أنه قال (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ) وقد وقفوا بعد تقبيل الأرض فصاحت فيهم الخدم ارجعوا يابنى كلاب إلى بيوتكم لايحضر أحد منكم إلا باذن ملك العرب وإلا تعطبوا غاية العطب (قال الراوى) فرجعوا الناس وقد ملئوا خوفا ورعباً . هذا جرى هنا وقد وصلت العماريات والقباب والرصافيات التى فيها ليلى وضربت لها الخيمة التى كانت لمروة وهى بأهلة الذهب والبساط الأحمر وفرش الابريسم المصور وسأل عطاف عن تلك الخيمة فقالوا الخدم هذه للملكة ليلى بنت عطاف فقال سبحان الذى أعطاها هذه النعمة ولكن أقول أرسل زوجتى إلى ليلى فى نسوان الحى تقول لها يابنتى لقد علمت كيف كان السبب فى ذلك الأمر الذى جرى علينا وأن أمها وصلت مع النسوان إلى سرادقات ليلى فقالوا لها الخدم اصبرى حتى نأخذ لكم الإذن من مولاتنا ثم دخلوا الخدم وأخذوا الاذن وخرجوا وهم ينادون قد أذنت لكم الملكة بدخولكم (قال الراوى) فدخلوا على ليلى وهم فى تلك الخدم والنعمة وعليها بدلة من الجوهر واليواقيت وقد أشرق السرادق من نورها فذهلت النسوان مما وصل اليها من الخيرات والنعم والغبطة والسرور وجمعها بابن عمها (قال الراوى) فبكت ليلى وقالت الحمد لله الذى تفضل وأجاد وساق لنا هذه النعمة على رغم العدا والحساد وملكنا البلاد والعباد ثم انها أنشأت وجعلت تقول :

أنسيتموا وضعى إلى الأعداء … وتذللى وتململى وبكائى
وتقلقلى وتلهفى بدنوهم … وتحرقى وتشرقى بالماء
وأبى يسلمنى إلى أعدائه … تبأ له من سائر الآباء

دفع البنات بلا نكاح صادق ولسيما هذا الى الأعداء
ضرب الرقاب على الأكابرهين من دفع محصنة الى الأعداء

(قال الراوى لذلك الكلام) فلما سمعت أمها منها ذلك الكلام قالت لها يا ابنتى قد علمت ما حل بنا وما وصل الينا ولولاك ما سلم أبوك فاجعلى شكر ما وصل اليك إلى اصلاح ما وصل الينا واصلاح أبوك مع ملك العرب فقالت والله يا أمى مالى قدرة على مخاطبته لأجل الهيبة التى له فى قلبى وما هو كما أعهده ووالله اننى أشتهى إصلاح نوبة أبى معه وإن كان أخذ على خاطره منكم فلا يبقى منكم ديار ولانافخ نار فقالت لها أمها ياليلى إن لم يكن ذلك على يديك وإلا من يصل اليه أو يكلمه أويخاطبه فقالت لهم ليلى عليكم بأمه ادخلوا عليها فانكم إذا دخلتم عليها قضيت حاجتكم على يديها وحق الوالدة لاينسى وهى عنده أجل وأسنى (قال الراوى) وأن أم ليلى خرجت ومن معها من نسوان الحى وهى تتعثر فى أذيالها حتى وصلت الى عند بعلها عطاف وأخبرته بذلك وبما جرى فازداد به المحاق وقال أنا أسيرالى أم الصحصاح وأسألها العفو والاصلاح ثم انه سار الى موضعها فلم يجدها (ياسادة يا كرام) وكان سبب غيبتها أنها لما سمعت برواح عطاف إلى ليلى لأجل زفافها على (حريث) فتجددت أحزانها وهاجت نيرانها فخرجت على وجهها الى قبر جندبة وبعد خروجها وصلت طلائع عسكر الصحصاح وقد انقلبت بهم الأرض والبطاح وهى لاتعلم ما فى الدنيا ولا تظن إلا أن عطاف يريد الرحيل الى بنى كنده (قال الراوى) فهى كذلك فى تعديدها واذا بعطاف قد وصل اليها ودخل عليها وسمعها وهى تقول هذه الأبيات :

عز االمصاب فما المصاب قليل فعليك أبكى دوماً دماً مهطول
فما طال ما تجرى دموعى أعينا ويذوب جسمى رقة ونحول
ياغصن بان قد دوت حركاته يانجم زاهر قد عراه أفول
لوكان هذا الموت شيء يفتدى وله حسام للقا مسلول
ا فدتك ياصحصاح أبناء الورى ومضى الحمام وسيفه مفلول
ـكن قضى الرحمن ليس يرده بطل بحد المشرفى ويصول
لـكن لنا فيه أسوة بمحمد وهو الذى للعالمين رسول

قال الراوى) رحمه الله تعالى فقال عطاف سبحان من جاد بالألطاف وأعطاك فوق هذه الأوصاف أبشرى ياوالده بالولد بقدرة الفرد الصمد فقد قدم الصحصاح

ومن خوله جنائب النجاح وهو اليوم ملك العرب والسودان وملك الأموال والأرواح وقد أخذ ابنة عمه من الطريق وزال غنه الهم والتعويق وقارنه السعد والتوفيق وقد قدمت عليك وشكوت حالى اليك أن تكونى سبب الاصلاح بيننا وبين الصحصاح . ثم حدثها بحديثه وما جرى له مع غانم فلما سمعت كلامه اتسع صدرها وانشرح وكادت روحها تزهق من الفرح ثم قالت ايها السيد مثلك من يحتاج الى شفاعة مثلى ونحن تربية بيتك وتحت أمرك وانك لو لم تكن مقهور وفى يد حريث مأسور ما كنت فعلت هذه الأمور فهل يامولاى صح عندك هذا الخبر وان ولدى الصحصاح قد ظهر فقال نعم قد ظهر وهذه الخيمة خيمته وهذه الجيوش جيوشه وهذه العساكر عساكره ونجاح مقدمه وصحبته الأمير مسلمة ابن أمير المؤمنين فلما سمعت أم الصحصاح ذلك غشى عليها ساعة زمانية ثم أفاقت وعقلها مذهول فأنشأت وجعلت تقول :

إذا كان صدقا ما تقول البشائر ... فهل هو اعلاما أم الظن زاجر
تبشر بالصحصاح ياصاح معلنا ... بأن له دون الأنام مآثر
وقدعاد من ارض الحجاز بجحفل ... هو البحر لادونه للبحر زاخر
وقدحاز ملكا يعجز الوصف شرحه ... وخيل جمال دونه ثم عسكر
وقدحل وادى الشعب فى خير طالع ... وصادف ليلى فهو للكسر جابر
وخلصها من آل كندة بعدما ... أغاروا عليها غائر ومغادر

(قال الراوى) فتعجب عطاف من نظمها ونثرها وشرح لها القصة التى جرت للصحصاح فى طريقه ثم قالت ياعطاف بالله هذا منام أم يقظة بأن ولدى وصل الى هذا المقام فأخذ بيدها وسار الى سرادق ليلى وعاينت ذلك الملك العظيم فلما نظرتها ليلى قامت لها إجلالا وقبلت رأسها ويدها وقالت يهنيكى قدوم ولدك بالسلامة فقالت أين هو ولدى الصحصاح قالت هو فى السرادق الأكبر الذى فيه العساكر وحوله الأمم ولكن حتى يأتى إلى ههنا وتكونى لأبى عطاف شافعه وقد بلغ المنى فقالت لا والله ياليلى مابقى لى صبر ولا جلد ولا قرار وقد دنت الديار من الديار ثم خرجت طالبة سرادق الصحصاح وهو جالس على سرير من الذهب والأمير مسلمة إلى جانبه وهما كأنهما قمرين طالعين والناس قيام وهم صفوف صفوف وبأيديهم الأعمدة والسيوف فأخرقت أم الصحصاح للمواكب والكتائب إلى أن دنت من السرادق كأنها يعقوب زمانها حين رأى سيدنا يوسف ولده عليهما

السلام فى أرض مصر وجعلت تصتصبح الوجوه والاحداق وتطلب مايسكن الألم الذى بقلبها من الفراق وحلاوة التلاق حتى وقعت عينها عليه أى على ولدها الصحصاح ومسلمة بجانبه فصرخت ولم تطق الصبر فصاحوا عليها الخدام ارجعى فلم ترجع بل تقدمت الى قدام ودموعها سجام وهى تبكى وتنشد وتقول :

يا عازلى كف العزل   كفى بقلبى ماحمل
لم أطق الصبر على   مابى ولو كان جبل
دعنى فان الوجد إن   زاد على مابى قتل
والدمع من فرح السرور   من فوق خدى قد هطل
أملت ذى اليوم وقد   واليوم قد صح الأمل

(قال الراوى) ثم صارت تدفع للناس فى صدورهم وهى تتقدم فوقعت عين الصحصاح عليها وكذلك مسلمة التفت إلى الصحصاح لينالة فوجد دموعه قد انحل نظامها وجرت سحائب سجامها فقال له مسلمه ما الذى أبكاك ياملك العرب لا أبكى الله لك عينا فقال يامولاى هذه والدتى وأنا أعلم ماجرى عليها من فقدى ومن بعدى وأريد أحلى ناموس الملك وأنهض اليها فقال له مسلمة اصبر تنال المراد وأشار إلى الخدم أن يوسعوا لها فتواثبت اليها وقبلوا ايديها وصعدوا بها إلى أن وصلت إلى الصحصاح فوثب مسلمة قائما والصحصاح معه والعجوزة تنادى وتعلن بالصياح وتقول أنت الصحاح فيقول لها نعم أنا الصحصاح وقد فتح الله لى باب النجاح والفلاح قال فلما تحققته انكبت عليه واعتنقته فلما صار بعضهما عالق ببعض واقعا اثنينهما على وجه الارض وهما يبكيان وكذلك الأمير مسلمه بقت دموعه منسجمة وما بقى أحدا من الذين هناك إلى وبكا على حرقتهما من كثرة مارأوا من وجدهما وتلهفهما فلما أفاقت من غشوتها أنشدت تقول هذه الأبيات :

لاحت بشائر فرحتى وفلاحى   لما نظرت لغرة الصحصاح
وجعلت ألثمه وقد جعل البكا   من شدة الفرح الشديد يباح
ورأيت مسلمة الأمير وإنه   لمصالح الأحوال فى إصلاح
نجل الخليفة وابن مروان الذى   أنوار غرته كضوء صباح
يعطيك ربى ماترجوه من المنا   بدوام عز دائما وفلاح

(قال الراوى) فلما سمع الأمير مسلمة نظامها شكرها على حسن كلامها وقال لها أبشرى ياوالده بهذا الملك العظيم وقد قدم ولدك خير مقدم ثم ان الصحصاح بعد ذلك أمرها بالدخول إلى الخيمه التى فى صد السرادق لتستتر عن أعين الخلائق فعند ذلك أخذها الصحصاح بيده ومضى بها الى الخيمة ودخل معها فسمعه مسلمة وهو

يقول لها يا أماه ما وصل إلىّ هذا الملك والجاه الذى أعطانى إياه ربى إلى كله ببركة دعاك لى والحمدلله على لقاك قال فلما سمع مسلمة مقاله علم أن طاعة الوالدين تقضى إلى قرة العين (ياساده) ثم إن الصحصاح سأل أمه عن البازين وعن حالهم وعما فعل الله بهم فقالت له يابنى على وصف السلامة وبالله أقسم لما ملكت بنى كندة الحلة وأنزلوا بكل من فيها الذلة ماكان لى همة غيرهم عن عين كل أحد أخفيتهما وإنى رأيتهما وهى قد وقع ريشهما وبقوا لحم أحمر ثم عاد طلع لهما ريش أحسن من الأول وأكثر وأطول وهما عندى الآن فى أحسن حال قال فلما سمع كلامها قبل الأرض شكرا لله تعالى ثم انه خرج من عندها إلى عند الأمير مسلمة فقام له قائما هو ومن معه ثم إن الصحصاح قال لعبده نجاح اركب وأتنى بالبازان بسرعة فقال سمعا وطاعة وخرج نجاح فى خمسه من المماليك والنقباء والأمراء يمشون فى خدمته إلى أن وصل الأبيات وأخذ البازان منها وأتى بها إلى الصحصاح فسلمهما إلى ابن الخليفة فلما رآهما هلل وكبر لله تعالى ورآهما قد تغير ريشهما وطلع لهما ريش آخر أحسن من الأول والدرتان ماتغير عليهما شىء وهما فى غاية الحسن (قال الراوى) ففرح مسلمة بذلك حتى كاد عقلة أن يذهب وقال سبحان الله الذى جعلك فرجا لأمير المؤمنين قال ولما أتى الليل جلس مسلمة والصحصاح على مائدة الطعام وقد مدت لهم الخدم موائد الاحسان وأطعمة تشفى الأبدان وأقبل مسلمة على أم الصحصاح وقال لها ياملكة العرب تقدمى معنى على الطعـام وكلى لما يشفى الكبد ويبرى الخفقان فقالت ما آكل حتى تقضو حاجتى فقال لها مسلمة حاجتك مقضيه وحق رب البرية فما حاجتك فقالت ياصحصاح غا الذى منعك أن تدع عمك يسلم عليك فقد قبلت الدخول وتولك عندنا مسموع فانه معذور إن كان لأجل ليلى لا يلومه إلا كل طلوم لأن حريث أسره رأسر قومه وأشرفوا على الهلاك وسوء الارتباك فقـال لها مسلمة أيتها الملكه إنه لدينا مكين أمين ولكن له أسوة بملوك العرب إذا وصلت الينا نفضله عليهم (قال الراوى) فقدموا موائد الطعام صنوان وغير صنوان لا نعرفه ولاشىء لانقدر نصفه وهى تأكل وتبلع ولا تكاد أن تشبع وكانت المائده عليها أربعون زبديه من الفضة والذهب والبلخش والعقيق وان أم الصحصاح أكلت واكتفت وقبلت شفاعة عطاف وفرحت وانصرفت (قال الراوى) ثم أن الأميـر مسلمة أحضر الكتبة وأمرهم أن يكتبوا مراسيم إلى سائر الأقطار وأول ماكتب إلى مروان بن الهيثم كتاب يقول فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) وبه نستعين ولا عدوان إلا على

الظالمين هذا كتاب من عبد الله مسلمه عمدة الدين وولى عهد أمير المؤمنين عبدالله بن مروان خليفة العصر والزمان الى مروان بن الهيثم أدام الله تمكينه وجعل السعد والتوفيق قرينه ان ملك العرب وسيد المناصب والرتب الذى اختصه أمير المؤمنين وأصبح لديه مقرباً ولجميع العرب حاكما لا يخرج عن حكمه أحدا فيكون ذلك لخراب دياره سبباً إلى حد البحرين والشام والعراق وأرض الحجاز أجمع ولكل من ضرب فى البيدا وتداو فى البلقع وكل ذلك لما عرف من كفايته وحسن سيرته ولجميل درايته وكريم عنصره وطيب خلقه وأوصاه أن يلبس ويلبس وفى كتاب أمير المؤمنين مايغنى عن شرح الولاية فساعة وقوفك على هذا الكتاب الموصوف لا يكون جوابك الا الركوب والعودة الى الطاعه ووطىء البساط وقد أنذر من حذر وأعذر من أنذر وقد كتبنا الى سائر الملوك بالحضور ولكن تكون أنت أول قادم فان الاكرام للسابق والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردا وأطاع الملك الأعلى ثم طوى الكتاب أوعطاه الى النجاب وأرسل سائر الكتب الى سائر الناس على قدر مراتبهم وساروا بهم النجابة الى سائر المحلات (قال الراوى) وان النجاب الأول وصل الى مروان بن الهيثم فاستقبله حسن استقبال وأمر أن يفردوا له بيت ونقل اليه جميع ما يحتاج من طعام وشراب وفراش (يا سادة ياكرام) وان مروان أخذ الكتاب وجمع جميع بنى عمه وقبيلته وسائر من يلوذ به ووجوه عشيرته وقال لهم اسمعوا ما فى هذا الكتاب وددوا علىّ الجواب فلما قرأ عليهم الكتاب قالوا له أيها الملك المطاع والقرم المناع منك الأمر ومنك الطاعة وما منا الا من يقاتل حتى يقتل وأنت تعلم أن الملك ما كان من قديم الزمان الا فى بنى سليم الكاشفين الضر والضيم وبعد فقد جاء الخليفة فى هذا الأمر بشىء لم يكن فى الفكر ولا تطيعه وتعصيه فى الأمر والفعل وان غدر بنا فنحن نحاربه فقام له من بينهم رجل يقال له صفوان بن دغفل وقال يا ملك العرب اعلم أن مثلك يقول لنا هذا القول المنكر وأنت تعلم أن العذل هو الموت الأحمر ثم أنشد وجعل يقول هذه الآبيات

أمروان ان العذل من الأمردان	قديماً فالبس ثوب خذل وعصيان
ونادى بنا حتى نثور كأننا	شباع الفيافى بين خيل وفرسان
ونطعن بالعسال كل مقدم	ونضرب بالقرضاب كل فتى عان
ونأخذ بالثار الذى آل ملكنا	اليه ونسعى مع عبس وذبيان
وتملك للأقطار شرقا ومغرباً	وتحيرهم ما بين عجم وعربان

أليس لنا الفخر القديم على الورى ‏ ‏ ‏ ‏ ومالك يا مروان فى الخلق من ثان

(قال الراوى) لهذا الكلام لجزاهم مروان خيرا وأوسعهم شكرا وكان له فارس من أبطال عشيرته وهو بطلا لا يقاس به أحد من الناس طول عمره يكبس الأحيا وحده ولا يأكل الا من صيد كفه أو بقائم سيفه وكان يلقى ألف فارس فى الميدان وكانت العرب تسميه آفة الدنيا وشيطان الانس فعندها أحضره مروان ابن الهيثم وأعلمه بما جرى وكان فغضب غضباً شديداً وقال أيها الملك كيف تذل لبنى كلاب ونحن أسود الغاب وان كنت على وجل من هؤلاء القوم فدعنى أسير وحدى من القوم وأكبس حلل بنى كلاب فقال له مروان الصواب ان تفكر فى العواقب وقد قيل فى المثل من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وقد قيل من لم يطمع فى العواقب فما له بطامع وقد وصفوا الناس بشجاعة هذا الصحصاح الذى عجزت عن لقائه الابطال فى الكفاح وبالامس قتل فرسان بنى مخزية وتركهم طعاما لوحش البرية وقصة غانم وعمه عامر وقتل السفاك ابن عامر والعملاق والامير جفال وملوك اليمن وتلك الابطال وفى صغر سنه خرب ديار بنى طى وبنى كندة وقتل الغطريف بن مالك وحده واليوم قد انضافت اليه الملوك والعساكر والامير مسلمه ولد الامام وقد سا فى خدمته اجلالا له واكراما واعظاما وما الدوم على الاهوال بغير كشف الاحوال الا فعل الجهال والصواب أننا نجمع بنى سليم عن بكرة أبيهم ونبعث الى حللها ونسير اليهم فى ستين ألف عنان من الابطال والاقران بالعدد الكاملة والسيوف القاطعه الفاصلة والرماح الواصلة ونرحل بجمعنا حتى لا يبقى بيننا وبين بنى كلاب الا مقدار عشرة فراسخ وتتفرق منا ثلاثين ألف فارس ونكمن لهم فى ثلاث مواضع ونسير نحن لهم نحن فى ثلاثين ألف ونقف على باطن ما جرى فان لم يكن لنا بهم طاقة أعطيناهم عنان الطاعه ولا نؤذى الجماعه ولا شك أنهم قد كتبوا الى سائر ملوك العرب وننظر من يجىء منهم ومن يتأخر والعاقل يتحقق النظر وقد قيل لا نظر الا بعد عيان وان كان الامر بخلاف ما قيل لنا وعسكره مزوق ومن جميع البلاد ملفق هنالك نطبق عليهم ونبعث الى الكمناء تخرج عليهم من سائر الجهات فلا نترك منهم أحد من عساكر الشام ولا من بنى كلاب اللئام ونتركهم رهاين الفلا وأحدوثة فى الملا فتكون لنا الهيبة فى قلوب العربان والقبائل والفرسان ولا يقدر أحد يخرج عن الطاعة الى قيام الساعه فقال آفة الدنيا وشيطان الإنس وجماعة من بنى سليم . هذا هو الصواب ولقد أتيت بفصل الخطاب (قال) فعند ذلك جمع مروان من يعتمد عليه وهم ثلاثون ألف فارس وضم اليهم

شيطان الانس وجماعة من بنى سليم فأخذوهم وسار فى مقدمتهم وهو ينشد ويقول :

إذا لم أروى من دما العدا نفسى ... فما أنا شيطان الدنيا ولا آفة الانس
ولا بطل الدنيا ولا أسد الثرى ... ولا حامل سيفى ولا قابل ترسى
إذا لم أخلى كل ليث مشوش ... ينوح على ربع ويبكى على أنس
ولا كنت معروفا إذا الخيل حمحت ... تروم دم الأكباد بالسيف والترس
فلابد للصحصاح من يوم معرك ... وأتركه ملقى على الأرض فى الرمس
يقولون لى الصحصاح أضحى أميرهم ... وكيف أرى هذا وما هو من جنسى

(قال الراوى) ثم انه سار بالثلاثين ألف إلى أن قربوا من أرض بنى كلاب فاكمن بهم هناك . وأما مرون بن الهيثم فانه لما مضى شيطان الانس أحضر النجاب وأخلع عليه وشرفه وقال سر وخبر بأننا واصلين طائعين ولأمر أميرالمؤمنين سامعين وأمر أمير المؤمنين طاعه ولا نتأخر فى هذه الساعه فخرج النجاب فرحان بذلك وأخذ الامير مروان فى أهبة الرواح على ما وصفنا فى أول الكلام هو وابن عمه صفوان. (ياساده) وكان الصحصاح بالأكل والشرب مشغول والفرح مع ابنة عمه ست البدور فى طول ليله الديجور والنهار كله مع مسلمة يكون والدنيا قد انبسطت له ودانت له الأيام وصفت وما خابت فبينما هو كذلك إذ دخل عليه عبده نجاح وذكر أنه قد جاء جاسوس إلىّ وقال لى واعلمنى بجميع الحال الذى بينهم من أوله الى آخره وقد أفرق شيطان الانس فى جماعة وهم ثلاثين ألف عنان وقد أكمن بهم وقد ضمن قتلك يامولاى ومروان فى نفسه الغدر والشر فلما سمع الصحصاح ذلك من عبده نجاح دخل على الأمير مسلمة وقال له يامولاى لى اليك حاجة ومالى بد منها وما أغيب غير ليلة واحدة وأريد من صداقتك أن تقيم فى سرورك ولذاتك ولا تعلم أحداً بى أين مضيت فقال له مسلمة ولم ذلك ياأخى والله اننى ما آمن عليك فى أمر من الأمور إلا أن أكون معك بنفسى أفديك فقبل الأرض الصحصاح وقال ماهذا أمر تخشى علىّ منه إن شاء الله تعالى لأننى سائر فى سبب وسوف تعلم ذلك ثم انه صبر الى أول الليل وخرج من ظاهر البيوت وركب هو ونجاح جوادين سابقين وساروا يقطعان الأرض الى تلك المواضع الذى نزل فيها شيطان الانس هناك فلما خرجوا وساروا قال نجاح لمولاه اعلم يامولاى على ماذا عولت أن تفعل أتطمع أن تلقى نفسك فى هذا الجيش قال لا ولكن فى قلبى من هذا الشيطان حسرة عظيمة وقد سمعت عنه أنه لايأكل إلا من صيده وأكثر رميه السباع ولابد له من الخروج فى هذه الليلة

يطلب سبع يقتنصه لأن السباع تدنو فى الليل على ضجة العسكر ولابدلى من ملاقاته فقال له نجاح يامولاى المخاطرة مذمومه وإن كانت عاقبتها سليمة محمودة فلما سمع الصحصاح ذلك قال اقصر يانجاح ثم تباعدت العسكر مقدار سهم وقعدوا إلى أن طلع الفجر واستيقظا وإذا هم بفارس قد ظهر وقدامه عبد وهما يتحادثان ان لم أقتل الصحصاح ومسلمه وأسلم الملك إلى مروان بن الهيثم وإلا ما أنا شيطان الانس وجعل يقول هذه الابياب :

أنا آفة الدنيـا وشيطانها الانسى ... وأكل لحوم الأسدطابت بهنفسى
عرفت بصيدالأسد ودحـلاتها ... وتشهد لى مقانب العرب والفرس
ولا لى من المأكول إلا لحومها ... ولا أنا بالوانى ولا أنا بالنـكس
وما كانذا الصحصاح مابينقومه ... يتيما فقيرا جاحد الذكر والحس
يقولونلى الصحصاحأضحى أميركم ... وكيفأرىهذا وماهو منجنسى
ولا بد ما أسقيه كاس حمـامه ... ولو أنه فى الحرب عنترة العبسى
ولا بد ما أفنى برمحى وصارمى ... لمسلمة الجانى إلى ذلك الجنسى
ولا بد من كر وفر وحمـلة ... أصول علىالأبطال بالسيفوالترس

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك علم أنه مطلوبه فقال لنجاح اتبعه حتى يبعد عن العسكر فلم يزل نجاح يتبعه الى أن نزل إلىوادى الذئب هنالكخرج الصحصاح وقال اقلع ثيابك يا وجه العرب وسلم حصانك واللبب فضحك شيطان الانس ثم حمل عليه فتطاعنا حتى شهد كل واحد منهما لصاحبه بالفروسية وعرق موضع مضاربه وكان القمر فى وسط السما وقد سار الليل والنهار بالسوى فصار الملعون يشخر كأنه الجمل الهايش وصرخ على الصحصاح صرخة عظيمة نفر منها نجاح أربع قصبات وهو متأخر وكذلك عبـده الآخر ولم يبق إلا هو والصحصاح ودخـل فى الحرب والـكفاح فيالها من ساعة ما كان أيشمها وذلك أن شيطان الانس هز الرمح فى يده وضرب به الصحصاح فى صدره فالتقاها بالترس وبطلها وما كان مطاوله الصحصاح إلا أراد أنه يأسره وما أراد قتله ثم انه أتعبه وحيره وطعنه بعقب الرح فى صدره ألقاه على ظهره ونزل أوثقه كتاف وكذلك فعل عبده نجاح بعبد شيطان الانس ورجعوا بهما فى باقىليلتهما مجدان فى سيرهما حتى وصلا إلى المضارب والخيام ودخل الصحصاح على مسلمة فنهض له قائما وقال له ياملك أين كانت الغيبة فقال الصصاح أنا كنت قد سمعت بحديث شيطان الانس وانه شيطان لا يطاق وعلقما مر المـذاق

فقال له مسلمة وما الذى فعلت فى ليلتك هذه (قال الراوى) فأعاد عليه ماجرى وانه أتى به أسير وقاده ذليل حقير فعظم الصحصاح فى عين مسلمه وقال له لله درك ونفسك الشريفة وهمتك المنيفة غير أن الملوك لا تفرط فى نفوسها فقال الصحصاح يامولاى لكل منية سبب ولابد مايصل مروان بن الهيثم فى يومنا هذا ويدخل علينا فينظر الى شيطان الانس وهو مقيد بين الكلاب ومرمى بين الأطناب وهو على طريقه حتى تتصرف عصبته وينشف ريقه ويكون مقرون مع كلب فى سلسة واحدة ليكون ذاك وبال عليه فقال مسلمة لله درك ياصحصاح والله ان الثلاثين ألف الذين فى الكمين إذا فقدوا المقدم عليهم بقوا مثل الغنم بلا راعى وان مروان بن الهيثم إذا رأى هذا الشيطان يخشى أن يفعل به مثله ثم فعلوا بشيطان الانس ماذكرناه وجعلوه بين أطناب الخيام وهو لا يعلم أحدا من عسكر الشام وشدوا فى رقبته كلب مثل الأسد الضرغام فصار الكلب ينهشه بأظافره ويهمز عليه وكلما تحرك نهشه وهو يعاين البلا ولا يعرف الفارس الذى أسره (قال الراوى) ولما كان وقت الصباح طلعت غبرة بنى سليم وارتجت الأرض فقال الصحصاح لمسلمة يامولاى ما الذى نصنع نركب للقائهم قال لا والله ولا نرفع لهم راس إلى أن ينزل مروان ابن الهيثم ويمشى الينا اجلالا ولايخرج أحد حتى يكون هذا كسر هامته وهوانا به فقال الصحصاح هذا هو الصواب فلا زلت موفقا لكل خير ولقد أسعدنى الله بعنايتك (قال الراوى) وأشرفت بنى سليم على الخيام فلم ينظروا أحدا خرج اليهم فعظم ذلك على مروان وقال هذا يدل على قوتهم لأن هذا الرجل جبار مافى عينه من أحد شىء ثم نزلت بنى سليم وجلست تنظر الى بنى كلاب وخيامها وهى تلمع أهلة الذهب فيها ونظروا ملك لايحصى عدده إلى الله فقالوا هذا هو الملك العظيم وهكذا تكون الملوك ياكرام وان مروان ينتظر إن أحد يخرج اليه فلم يقدم اليه أحد ولم يزل على حاله حتى قرب الظهر ودقت الطبول للنوبة وزعقت البوقات وارتجت الأرض ذات الطول والعرض ولما كان وقت العصر ركب من العسكر عشرة آلاف فارس مجحفة كأنهم سكبوا من حديد بمراكب من ذهب ومعهم القنطاريات وفتحوا الأرض ميدانا ولعبوا حتى حيروا الشجعان ساعة ورجعوا ثم أتت بعدهم خمسة آلاف أخرى وبأيديهم السيوف المحدده والقنطاريات المحدمة واللتوت المذهبه ولعبوا ساعه وعادوا فلما نظروا نبى سليم الى ذلك قالوا لا ملك إلا لله رب العالمين وان هؤلاء يساوون كل من فى الحجاز واليمن ولا سيما أصحاب اللتوت المذهبة والرماح المشطبة ولا يلتقى هؤلاء إلا من دنا أجله (قال

الراوى) ولما أقبل الليل ادعى مسلمة ببعض الحجاب وأضاف اليه مائة خادم بأقبية الديباج المنسوجة بالذهب الوهاج والمناطق المرصعة بالجواهر المثمنة وخمسمائة بالثياب الزيبقى المذهب العراقى وبين أيديهم الشمع المكوفرفى أثوار الذهب والفضة فلما وصلوا الى خيام بنى سليم فظنوا أنه الصحصاح قد ركب الى مروان ابن الهيثم ففرحوا بذلك مع ما كانوا فيه من ضيق الصدر وعزموا على الخروج إلى لقاه حتى علم أنه بعض الحجاب الذين للصحصاح فعاد الى خيمته وقد عظم عليه أمره ورزيته وقعد إلى أن وصل الحاجب ودخل هليه فنهض له مروان إعظاما له فلما استقر بالحاجب المقام قال له أيها الأمير ان ملك العرب قد أخبروه بوصولك وقد شكرك على مساعدتك اليه والى خدمته وقد أذن لك بالدخول عليه عند الصباح والسعى إلى خدمته وخدمة الأمير مسلمة فقام مروان قائما وأومأ الى الأرض لاثما وخرج الحاجب من عنده وعاد الى الصحصاح وأخبره بما جرى (قال الراوى) ولما كان عند الصباح ركب مروان بن الهيثم فى وجوه قومه وأبطال عشيرته ووصل الى الخيام فتلقته الخدام وفى أيديهم الدبابيس الذهب والفضة وقالوا ترجل يامولانا هذا حرم السلطان فترجل مروان وقد راعه ذلك واستعظمه وجعل يمشى بين الخيام وقد أقبل على ابن عمه صفوان وقال له ما كان لنا فى المجىء صواب وأريد أرسل الى شيطان الانس فى يومنا هذا وآمره أن يهجم عليهم فى هذه الليلة ونحن نطبق عليهم من الجانب الآخر فاما السلامة أو الندامة فقال صفوان يامروان خلى عنك الهذيان هذا شيطان ولا يقاومه إنسان فقال مروان أما سمعت قول شيطان الانس وقد ضمن لنا قتل الصحصاح فهو معه فى الكلام وقد تواسطوا الخيام وإذا هم بشخص ملقى على التراب وهو مقرون مع الكلاب وعنده خمسة من العبيد فى أيديهم مقامع من الحديد فنظر مروان الى ذلك الانسان واذا به شيطان القرنان فقال له صفوان ويلك أما أنت آفة الدنيا فقال أجل فقال ما الذى أوقعك ههنا أوجز وأخبرنا بصحة الخبر فقال لا تسأل واسعوا فى خلاصى من هذا البلاء الذى أنا فيه فقد غل شمالى ويمينى الى حلقى وهذا قرينى ولولا هذه العبيد الموكلين بى وإلا كان افترسنى فضحك مروان وصفوان وقالوا ياويلك ماهذا الكلام والله ما كأنه إلا فى منام أليس كان معك ثلاثين ألف عنان فقال نعم ولكن خرجت مع العسكر على نية الصيد كما جرت به عادتى فلم أشعر إلا بفارس قد انقض على كأنه القضاء لذا نزل من السماء وما أدرى من أين أتى فأخذنى أسرع من البرق الخاطف ورأيت منه مالم أرمن غيره وجعلنى ههنا وقدوقعت

فى هذا العناء فقال صفوان لمروان كأنك قد أردت أن تلقى القوم بهذا الرجل فاقبل منى وسلم اليهم تسلم وإلا يربطونا مع الكلاب فضحك مروان وانكسرت نفسه وهان عليه أن يخرج الأمر من يده ووصل إلى السرادق وشاهده الملك العظيم فقال سبحان المعطى الكريم (قال الراوى) ووقف ينتظر الاذن واذا بالضجيج قد علا والكلام قد ارتفع الى السماء فنظر مروان وإذا بفارس قد أقبل على جواد ما يستطيع التحرك مما عليه من الحلى والحلل والجواهر وعلى كفله شبكة من اللؤلؤ فى سلك من الذهب وعلى رأس الحصان برقع من اللؤلؤ منظوم فى شريط من الذهب مرقوم وبين يديه أربعمائة مملوك فى أوساطهم مناطق الذهب الأحمر المرصع بالدر والجوهر والغاشية قد حملت على رأس خادم أبيض كأنه القمر والجاويشية تزعق والخزنداريه بأيديهم الدبابيس هنالك تبادرت خدام الصحصاح واستقبلوهم وقبلوا الأرض بين يديه وضجوا بالدعاء له ولأبيه أمير المؤمنين فعلم مروان أنه مسلمة فسعى اليه هو ومن معه وقبلوا الأرض بين يديه فوقف مسلمة وسلم عليه وبدأه بالكلام وساروا الكل فى ركابه الى باب سرادق الصحصاح ومروان يظن أن مسلمة يدخل ويدخل معه بغير إذن فلما وصل مسلمة الى باب السرادق ووقف ساعتين وهو واقف ومروان بن الهيثم واقف راجل فى ركابه وكذلك الأمراء والحجاب ومسلمة طلب الاذن فى الدخول على الصحصاح وإذا بخادم قد خرج وقبل الأرض بين يديه وقال لمسلمة يامولاى ما لأحد وصول إلى ملك العرب غير أنه قد عرف حق سعيكم والخدمه (قال الراوى) فرجع مسلمة ممتثلا ورجع معه مروان وقد انقطع طمعه واشتد خوفه ونزعه (قال الراوى) فلما نظر مروان ذلك نهض فى عاجل الحال كتب كتاب وأنفذه إلى بنى سليم يعلمهم بما عاين وأن الأمر عظيم والخطب جسيم وأن شيطان الانس أسير فلما كان اليوم الثانى وصل مسلمة فقالوا الحجاب الآن اصبر حتى نأخذ لك الاذن فلما سمع مروان هذا الكلام ضاقت عليه الأرض بما رحبت فعند ذلك أذن لهم ملك العرب بالدخول وكانت قدمت ملوك العرب من بعيد وقريب فلما دخلوا رأوا ملك عظيم فصاحت الشاويشيه : الأرض الأرض وأول من قبل الأرض الأمير مسلمة فباسوا الأرض كلهم ثم ان مسلمة أخذ المراسيم وصعد بهم الى السرير فعند ذلك تكلم الأمير مسلمة وقال الحمد لله الذى جعل لأمير المؤمنين الفضل على سائر الأمراء وهم الولاة الذين انتخبهم واصطفاهم وأحبهم وجعلهم أعوانه الذين يستعين بهم وقت

الحاجة اذا كثرت أعداه ثم جعل أمير العرب العربا بعدا وقربا سيد سلاطين الخافقين وحامى حوزة الحرمين وترس قبر سيد الكونين الذى كان كقاب قوسين أو أدنى من الصحصاح بن جندبة بن الحارث بن صعصعة الكلابى الميمون الطلعة والكهف الرابع والليث المانع والسيف والدرع الذى يلقى عنه الأذى لجميع الأعداء وهو الحقيق بأن يكون به أمير المؤمنين ممسكا وعليه معتمدا وبعد ذلك فانه عزل مروان بن الهيثم لابذلة سبقت منه ولا بقلة جاه ولا بقلة عبيد بل ان أمير المؤمنين رأى أن إقامة عباد الدنيا فى الملك العظيم والسيد الكريم الذى يقمع به شياطين الانس المتمردين ويضرب بسيفه رقاب الكفرة الملاعين وبعد فهذا كتاب أمير المؤمنين وهذه كرامة لم يصل اليها أحد من الملوك والسلاطين (قال الراوى) ثم انه بعد ذلك الكتاب قرأ كتاب العزل وكتاب الولاية على كل من فى ذلك المقام فلما سمعت الملوك ذلك قبلت الارض واستعملت الأدب وقالوا جميعهم سمعا وطاعة لله ولأمير المؤمنين ولملك العرب قال وأول من قال هذا الكلام الأمير مروان بن الهيثم وكذلك الملوك لما نظروا فعاله تبعوه وفعلوا مثل فعاله (قال) فعند ذلك أقبل مسلمة على الصحصاح لما نظر لاجابة القوم وقال ياملك العرب لهذا اليوم جعلت الأموال والخلع ففهم الصحصاح مراد الأمير مسلمة فأمر باحضار الخلع والأموال وخلع على مروان خلعة سنية ملوكى وأعطاه الأموال والتحف وخلع على جميع الملوك كل إنسان على قدر مرتبته وأعطاهم الاموال وأمرهم بالجلوس فدعوا له وشكروه وأثنوا عليه الثناء الجميل وأعطى الخيول الخاص بسروج ومراكب من ذهب وعطاف كان من جملة من حضر فى هذا المكان مع الملوك ولم نظر ابن أخيه إلا فى هذا اليوم فبقى حائر مما عاين وصار يقبل الأرض وينظر الى الملك الصحصاح وهو لم يلتفت اليه فعندها تقدم اليه وقبل الأرض بين يديه وقال له ياابن أخى أين حرمتى من القرابة وان لها زمام عند العرب الكرام وان كان لى ذنب أستوجب عليه القتل فهاأنا بين يديك واقف على قدم الندم وان كان من أجل (ليلى) وما تدبر فالأمر يجب أن يذكر فعند ذلك صاح فيه الأمير مسلمة وقال له : لاتستصغر ياوجه العرب الذنب الذى فعلته ولا تحتقر ما قدمته وما أسلفته بل اعترف بالخطأ إلى أن تحصل لك العناية من ملك العرب وأن الكرم سيمته ولا ترجع من بعد اليوم تقول ياابن أخى فيحل بك العطب بل قول ياملك العرب وقد كان اللعين أبا لهب عما للنبى المنتخب ولم تنفعه القرابة ولا النسب لما كان له مخالفا ولم يكن بحقه صلى الله عليه وسلم

عارفا وبعد ذلك ما بقى ينفعك إلا الوقوف على باب هذا المحترم فى جملة العبيد والخدم فعند ذلك بكى عطاف وقبل الأرض فقال له الأمير مسلمة بالله عليك اسأل من ملوك العرب هل يعفى عن جريمتى ويجاوز عن خطيئتى فزاد عطاف فى بكاه وأسبل الدموع وكان البكاء له أعظم شافع فعند ذلك قام الأمير مسلمة قائما على الاقدام وقبل الأرض بين يدى الملك الصحصاح وقال ياملك العرب مثله هفا ومثلك عفا وأنا جئتك متشفعا فيه وأرجوك ياملك أن لاتردنى فيما أتيت فنظر الصحصاح إلى عين مسلمة فأشار اليه أن يقبل فيه الشفاعة فقال يامسلمة قبلناه من أجلك وعفونا عنه ولو كان فينا عاب فنظر الأمير مسلمة الى عطاف وجذبه اليه وقال له قبل أقدام ملك العرب ويديه فتقدم عطاف وفعل ما أمره به وهو يبكى فقربه الملك اليه وخلع عليه خلعة سنية وأعطاه أوفى عطيه وخلع على بنى كلاب وقد ارتفع له الدعاء من سائر الأعراب وفرحت به جميع الملوك وانصرفوا شاكرين ولكرمه ذاكرين وفيه راغبين ولما كان فى ثانى الأيام عمل لهم وليمة عظيمة عقر فيها مائة ناقة وألف رأس من الغنم فأكلوا الناس من ذلك الطعام وأنعم عليهم غاية الانعام وأكثر لهم من الاكرام ثم انه أقبل على مسلمة وقال له أريدك يامولاى أن لاترحل حتى أدخل على بنت عمى ليلى فقال له ومن ذا الذى يمنعك عن ذلك افعل ما بدا لك . ولما كان فى اليوم الثالث أحضر جميع الملوك والمقدمين على العربان وخطب ليلى من عمه عطاف بحضرتهم وعقد له عقد النكاح ثم عمل وليمة أخرى لمسرته على ليلى وعقر ونحر وأعطى ووهب وفرق الفضة والذهب وعمل الأفراح والمسرات ودخل على ليلى ولما كان عند الصبح حضرت الملوك وأكلوا الطعام وهنأوه بما أعطاه الله سبحانه وتعالى فشكرهم على فعالهم ووهب لهم وخلع عليهم خلع الأفراح فدعوا له وشكروه وفرحوا بولايته وهنأوه وطلبوا منه الاذن فى الانصراف فنبه عليهم وقال لهم كل من قتل واحد من بنى مخزيه كان له عندى أجزل عطيه ولاتبقوا منهم أحدا فى البريه فأجابوه بالسمع والطاعه وأذن لهم فى الانصراف فقبلوا الأرض بين يديه وخرجوا وهم يثنوا عليه ويدعون له وما منهم إلا من فرح بولايته ومسرور بشجاعته وقد أطلق شيطان الانس وعبده وخلع عليه وأعطاه إنعام زايد وقال له لاتزعل فما أسرك رجل دون وما أسرك إلا أنا وعبدى أسر عبدك وانى سمعت شعرك ونظمك وكنت لك فى الانتظار ولما خرجت وأنت تقول الأشعار سرت خلفك وحصل ماحصل والآن انى قد عفوت عنك وأمره بالمسير بعد ما أحسن اليه فدعا له وأثنى عليه وقبل الأرض

بين يديه وخرج من عنده وترحل مع قومه وهو يذكر لهم ما لقى من شجاعته وقوته وبراعته ويقول والله ما يكون علينا سلطان إلا من كان مثل هذا فى الشجاعة والاكرام . وأما غيره لاشيء وما بقى للعربان حديث فى ديارهم إلا كرمه وشجاعته لما علموا مافعل بعربان اليمن وفرسانها وفرسان بنى مخزيه وجفال وعملاق وشيطان الانس وانه كسر خمسة وخمسون ألف فى ساعة واحدة خصوصا لما عاينوا من هيبته وسلطانه ومملكته وتواضع ابن أمير المؤمنين بين يديه ووقوفه على بابه ولا يدخل عليه إلا بعد الإذن وتقبيله الارض ووقوفه لايجلس إلا من بعد الاذن ولايتكلم حتى يسأل (قال الراوى) وكان كل ذلك بتدبير الامير مسلمة لكثرة محبته الى الملك الصحصاح حتى يلقى الهيبة فى قلوبهم وبعد انصراف القبائل بسبعة أيام طلب الأمير مسلمة الاذن فى الانصراف فقال له الصحصاح ياأميراعلم أنك إن خرجت من عندى خرجت روحى معك ولا أقدر على مفارقتك ولا ساعة واحدة فهم فى الكلام واذا بنجاب عليهم قد دخل واليهم قد وصل ووقع على الارض مقبل ثم رفع رأسه وتقدم واذا به معه كتابان أحدهم للملك الصحصاح والآخر للملك مسلمة وكان مايخص ملك العرب بالتهنئة على الملك وعلى مسرته بابنة عمه ليلى ويذكر له ماعنده من الشوق اليه على الدوام ويطلب منه الزيادة فى كل عام ولا يتأخر عن ذلك على مر الليالى والأيام ويدعو له بالسرور ويأمره بالعدل فى الاحكام فعندها قام الصحصاح قائما على الأقدام ودعا للخليفة وأثنى على الامام ولولده أن يبقيه الملك العلام . وأما الكتاب الثانى الى ولده الاميرمسلمه وهو يحثه على القدوماليه ويكونمعه البازان (قال الراوى) فاغتم الملك الصحصاح على فراقه للأمير مسلمة وصار يبكى وينتحب واهتم الامير مسلمة فى أمر الرحيل وعزم على السفر من غير تطويل وقد قدموا الجمال وشالوا الأحمال وعزموا على الارتحال والملك الصحصاح لايقر له قرار ويقول ليتنى لم أعرفك ولا رأيتك وكنت من قبل فراقك بكيتك فشكره الامير مسلمة وقال له والله ياأخى لولا خوفى على قلب أمير المؤمنين ما كنت أفارقك بطول العمر ولكن بهذا حكم الله ولابد من الفراق من بعد الاجتماع وبكوا الاثنين بكاء شديدا ما عليه من مزيد وكانت وقعت لهم محبة ربانية ثم ان الملك الصحصاح أشار الى الامير مسلمه يودعه بهذه الأبيات :

ياهل ترى أوقات المسرات ترجع ... ويرجع شملى بالأحبة يجمع
ولعل أن يروى الفؤاد من الظما ... ويشتفى ذاك القلب الموجع

ويتواجد الوقت الذى يمنى به — كانت بروضات المسرات ترتع
وتبيت فى نيل الوصال ولم يكن — واش وأشكو للحبيب وأسمع
وأضم غصن قوامه وبلابلى — تشجو على غصن الغرام تسجع
واذا تعود الروح بعد مماتها — وتعود فى روض الجنان وترتع
وأقول لى قمر اذا نظرت الى — أوصافه شمس الضحى لاتطلع
غصن ولكن فى فؤادى نبته — ظبى ولكن فى الحشاشة يرتع
فالعين شوقا للحبيب قريحة — ومحاجرى قد أحرقتها الأدمع
ومن العجائب أدمعى مع عظمها — لم تطف نارا قد حوتها الأضلع
ليس العجيب تقطع الأحشاء بل — عجب اذا الاحشاء لا تتقطع
ولقد صبرت على الأمور بعدها — لم يبق لى بعد التصبر مدفع
أمسيت لا أهلا ولا سهلا ولا — خلا صديقاً أرجو أن يتوقع
كم لى عدا فى خفض منزلتى سعوا — وابن الخليفة دام لقدرى يرفع
ملك اذا قامت مواهب كفه — لم يخلو منها فى الآفاق موضع
حتى الملوك يمدها من رفده — ولمجده العالى تلين وتخضع
وله الأصول الزاكيات لأنه — منه المكارم للورى تتوقع
هو كعبة الآمال فى يوم الندا — ولبابه تسعى القلوب وتسرع
وقفوا على عرفات من معروفه — ولهم اليه فى الطريق تضرع
واذا بدا للناظرين جماله — فرت لهيبته البدور الطلع
واذا سطا يوم الوغى بحسامه — فالروح من أجسادها تتودع
هيهات أن تنجو العدا من صارم — مثل القضاء إذا أتى لايرفع
واذا حطب للسيف قام مكبراً — فالخيل تسجد والفوارس تركع
فالقوم ترعد والدما مثل المطر — والسيف يبرق فى العجاج ويلمع
فالترك قد تركوا الديار بلاقعا — والكرد من كاساته تتجرع
والعرب تحمى فى حماه لانه — يلقى العدا فردا ولا يتقعقع
فهو الذى صان الحمى وحما اللقا — وبه احتمى أهل الممالك أجمع
فى كفه بحر وفى ألفاظه — درر ولكن فى العطاء يرصع
مولاى مثلك فى القبائل لايرى — ضاق الفرات وبحر جودك أوسع

(قال الراوى) ياساده ياكرام صلوا على بدر التمام ومصباح الظلام ورسول الله

العليم العلام ابن زمزم والمقام والمشاعر العظام من كان يصلى ليلا والناس نيـــام حتى تورمت منه الأقدام عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم السلام ولما أن الصحصاح تم هذا النظام قام الأمير مسلمه قائماً على الأقدام وضمه إلى صدره وعانقه وقبل ما بين عينيه وقال لا فض الله فاك ولا كان من يشناك يا ملك العرب ولقد كملت فيك الفصاحة والشجاعة والبراعة والملاحه ويجب عليك أن تقبل هذه الشفاعه وتأذن لى بالمسير لأننى والله ما أنا راحل عنك باختيارى بل خوفا على قلب أمير المؤمنين فبكا الصحصاح وقال له يا مولاى افعل ما بدا لك وأمر الأمير مسلمه أن تكتب هذه القصيدة وكان يكتب جميع الوقائع وما حصل للصحصاح فى الطريق والاقامة حتى يعرض الجميع على أمير المؤمنين وكان قصده بذلك أن يورى أمير المؤمنين شجاعته وفصاحته وحسن سيرته ورحل الأمير طالب بلاد الشام وسار معه ملك العرب يودعه مسافة ثلاثة أيام وأقسم عليه الأمير مسلمه بالرجوع ونزلوا الاثنين عن الخيول وتعانقوا وشكوا الفراق وعاد أرباب منهم إلى طريقه وهو يود أن لا يفارق صاحبه ورفيقه وسار الأمير مسلمه مدة أيام حتى قرب من دمشق الشام وأرسل المبشر يبشر والده فخرج اليه ومعه كل الدولة وإخوته وأهل البلد وزينت دمشق الشام لقدومه وفرحت به كل الناس ولما وقعت عينه على والده نزل عن ظهر الجواد وقد أراد الخليفه أن يترجل اليه فسعى له وأقسم عليه وقبل فى الركاب رجليه والآخر قبل رأسه وما بين عينيه وأمره بالركوب فركب وسار بين يديه وساروا إلى المدينة وهو يسأله عن الصحصاح وما وصل اليه فأعاد القصة من أولها إلى آخرها عليه (قال الراوى) وأخبره بما فعل مع بنى كندة وبنى مخزيه وشيطان الانس والخليفه يتعجب من ذلك كله ويقول ما تحت السماء مثل هذا الغلام فالله تعالى يحفظه ويجعله معيناً للاسلام ولما وصل إلى حديث البازان ازداد سرورا وقال له وأين هم يا ولدى قال هم حاضرين يا أمير المؤمنين فقال إنى أريدهم فى هذه الساعه قبل دخولى إلى البلد فأحضرهما بين يديه فلما رآهما عرفهما وقال الحمد لله الذى أنعم وأتم وتفضل بالنعم وفرح بما سمع من حديث ملك العرب فهذا ما كان منهما (وأما ما كان) من ملك العرب فانه أقام فى ملكه ودانت له القبائل وجاءته العشاير وكانت كل الأمراء والسلاطين يأتون إلى خدمته ولا يخرجون عن طاعته وقد ملك قلوب الرجال بمروءته وعاش عمه عطاف فى خيره ونعمته هو وأهل قبيلته وأمنت الطرقات فى بر الحجاز ولم يقطع السبيل لكثرة الجواز وشاع خبره فى سائر البلاد وقدمت الصعاليك من كل الجهات وهو يغمرهم بالعطاء والاحسان وقد خرج

يوما إلى مصيد والقنص ومعه من خواص دولته وبنى عمه وأهل عشيرته مقـدار عشرون فارس أبطال أقيال ودخلوا إلى البرية وطاب لهم الصيد لكثرة الوحش فبينما هم كذلك واذا بفارس قد ظهر من جهة بلاد الشام ولما رآه الصحصاح بادر اليه وقال له ويحك من أين أقبلت فلما رآه النجاب عرفه فقبـل الأرض بين يديه وقال له يا مولاى أنا من عند أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان وقد أتيت اليك بهذا الكتاب فانظره واعمل بما فيه ودعنى أعود لأنى من أمرى على عجل فأخذ منه الكتاب وقبله وفضه وقراه وإذا فى أوله (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم أن أمير المؤمنين ذكر فيه ما عنده من الشوق ويقول حين وقوفك على هذا الكتاب لا يكون لك جواب إلا وضع رجلك فى الركاب ولا تترك فى أرض الحجاز من يركب جواد إلا ويأتى صحبتك لامر لابد من وقوفك عليه عند حضورك والسلام فلما قرأ الكتاب قبل الأرض وقال سمعاً وطاعه لله ولأمير المؤمنين ثم رجع الى حلته ودخل على أهل قبيلته وكتب الى سائر الجهات من وقته وساعته فقدمت عليه المواكب والسادات والاقيال والأقران من سائر البلدان واجتمعت اليه الجحافل حتى سار فى مائة وعشرين ألف فارس من كل بطل مداعس وهم بالدروع الداوودية والبيض العادية والرماح الخطيه والخيول العربيه والسيوف الهندية وملك العرب قد دخل على ابنة عمه وودعها وكانت حامل وقد بقى لولادتها أيام قلائل وسارت القبائل والجحافل ومروان بين أيديهم فى ثلاثين ألف فارس والأمير غانم بن زاهر وأتوا اليه من المشارق والمغـارب وجدوا فى المسير الى أن وصلوا دمشق الشام فبعث الملك الصحاح الى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فأمر ألا يتخلى أحـد من أهل دمشق وأن يخرجوا الجميع الى لقاه ولم يكن فى دمشق أحد الا وهو مشتاق الى رؤيته وخرجت أولاد الخليفة وفى جملتهم الأمير مسلمه وما زالوا سائرين الى أن التقوا ببعضهم البعض وترجلوا وتعانقوا وسلموا وساروا الى أن دخلوا دمشق وكان يوم دخولهم يوم عظيم وقـد ركب الى لقاه أمير المؤمنين وتلقاه من خارج البلد وأكرمه وسلم عليه من بعـد ما قبله بين عليه وقد ساروا ركابه بركاب الخليفه والناس قد تحيرت من هذا الملك العظيم والعسكر الجسيم وسارت أهل البلد من حوله وهو فى ذلك الموكب الى أن نزل بدار الذهب وبلغ غاية السؤل والطلب وقد أنزلوا بنى كلاب فى الدور والقصور وكذلك مروان وغانم وباقى العربان خارج البلد فى الخيام وحملت الضيافات من سائر الالوان والاطعمة الفاخرة وكان الملك الصحصاح قد عظمت فى عينه العساكر الذين معه ولما

أن أتى الى دمشق ورأى العساكر الذين للخليفة وهى نازلة خارج البلد فتعجب من كثرتهم وهم خلق لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وقد ضاعت عساكره فى عسكر الخليفه ولم بان لهم آثار وبقى الصحصاح حيران لا يدرى ما السبب فى جمع هــذه العساكر فبينما هو كذلك إذ دخل عليه الأمير مسلمه والخدم بين يديه بالشموع فقام اليه وتلقاه من الباب وقبله فى صدره ثم جلسا للحديث فقال له الملك الصحصاح يا مولاى إنى أرى هذه العساكر قد اجتمعت بخلاف ما أعهده ورأيت أمير المؤمنين ظاهر عليه الغم فقال نعم وهو أنه فى يوم من الأيام كان جالس الخليفه وأنا معه وثالثنا الوزير الأكبر وإذا بنجاب دخل عليه وقبل الأرض وسلم عليه وأعطاه كتاب وانصرف ففضه أمير المؤمنين وقرأه ثم تغير لونه ولما رأينا منه ذلك فلم أحد منـــا تجاسر أن يسأله عما فى الكتاب ثم أحضر الكتاب وأمرهم بكتب الكتب إلى سائر الأقاليم والبلاد واليك ولغاية الآن لم أحد يعلم السبب ولا سألناه عن ذلك وفى غداة غد يطلعك على ما فى سره لانه ما يخفى عليك شىء من أمره ثم أنهم تحدثوا وانحرف كل واحد منهم الى مرقده ولما كان عند الصباح دخل عليه عبده نجاح وقال له يا مولاى ان الأمير مسلمه على الباب وهو يقول لك اركب الى أمير المؤمنين فركب وسار الى أن لحق بالأمير مسلمه وسلم عليه وسار فى صحبته الى دار الخليفة فترجل الأمير مسلمه عند الدهليز الخامس وكذلك اخوته وبقى الملك الصحصاح راكب الى محل ما ينزل الخليفه على حسب عادته ثم ترجل عن جواده ودخل وكان ذلك باذن أمير المؤمنين وهذه المنزلة ما نالها أحد سواه لا من العرب ولا من العجم ثم انه لما دخل الى الديوان قبل الأرض وسلم فتزحزح له الخليفة من مكانه ورد عليه سلامه وأكرمه وبجانبه أجلسه على سدة مثل سدته ثم جعل يحادثه ويباسطه فى الكلام الى أن طاب لهم الحديث فقال الخليفة يا ملك العرب اعلم أنى ما أكتم عنك شىء لأنك أنت العمدة فى كل نائبة وشدة وأنا أعلم أنى مسئول عن أمور المسلمين وواقف غدا بين يدى رب العالمين ولو ذهب لمسلم شىء غصبا أو نهبا كنت أنا المسئول والمطالب به يوم القيامة وانى قد وقعت فى أمر عظيم وخطب جسيم أسهر له الليل الطويل وأدبر فى رفع ذلك الامر الوبيل وأريد أن أبذل روحى ومالى حتى أكشف عن المسلمين ما نزل بهم وأكثر مرادى أن أفديهم بأموالى وأولادى وقد بلغنى أن كلب الروم خرج الى الثغور التى هى للمسلمين وفعل فيها فعل الطاغين وهو أنه قتل العباد وأخرب البلاد وداخله الطمع ولا يرده خوف ولا فزع وقيل أنه خرب المساجد وعمر البيع وصار ينفذ من عنده عسكر تشتت الغارات من غير أن

يكون له بذلك عادات وانى قد عولت أن أصلى بالناس يوم الجمعة وأنادى فيهم بالجهاد فى طاعة رب العباد وأبعث العساكر والأجناد الى سائر الأماكن والبلاد ويقتلون أهل الطغى والفساد والشرك والإلحاد ولما سمع الملك الصحصاح منه هذا الكلام قال ياأمير المؤمنين مثلك من يشفق بالرعية وتأخذه الحمية الى الدين وأنا أقسم بحق من رفع السموات العلية وبسط الأرض المدحية على وجه البحار السفلية فتمكنت على متن الغيام لئن بعثت عبدك الى بلاد الكفار لأوقع بهم البوار وأبيد الكبار منهم والصغار وأحرق ديارهم بالنار وأنزل بهم الدمار وأفعل مايرضى الملك الجبار ويغضب اللئام الفجار (قال الراوى) ولما سمع الخليفة منه هذا الكلام تهلل وجهه بالسرور والاستبشار وأيقن بالنصر على يد ذلك الفارس الكرار وقال له أنت المعدود للنائبات والأخطار ولكشف الأهوال الكبار والصغار ثم انهم بقوا على ذلك إلى أن كان يوم الجمعة رتقى الخليفة المنبر والمسجد بالناس قد انحصر وقال : « الحمد لله الذى ليس بعارض ولا جوهر الغافر لمن استغفر الذى بعث فينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافة البشر » فوعظ وزجر وخوف وحذر وأنذر حتى ابتسم وجه الاسلام وأسفر وأغاظ وجه الكفار وأرغم بما ظهر ومابين من الدليل والأثر وأطلع شمس أفق السماء وأبهر وأذل به من كفر وأوعده بالنصر وأيده بأبى بكر وعثمان وحيدر قاطع باب خيبر قاتل مرحب وذو الخمار بذى الفقار المشتهر صلى الله عليه وعلى آله ماسح سحاب وانهدر . أيها الناس ان الله تعالى قدافترض عليكم الجهاد وحثكم على قتال أهل الكفر والإلحاد فقال الله تعالى « وجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده » صدق الله العظيم وأنتم من خواص المسلمين وحماة الدين وقد طمع هذا الملعون كلب الروم فى بلاد المسلمين وشن الغارات على بلاد الموحدين وقد خرب بيوت رب العالمين وسطا على أهل الثغور من المرابطين وقد عزمت على أن أقدم عليكم رجل تراه المسلمين وتسر به الموحدين ويكون معكم الى بلاد الروم تخربون البلاد وتقتلون الكفار وتعلنون بتوحيد الواحد القهار وتصلون على النبى المختار وقد ناديت فيكم بالجهاد والمسير إلى أخذ البلاد فما أنتم قائلون فضجوا المسلمون وقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله ولأمير المؤمنين وإمام المسلمين وخليفة رب العالمين وحامى حومة الدين ولاصبر لنا على سماع هذا الكلام ولابد من المسير لنصرة دين الاسلام وقدم علينا من شئت ونحن سامعين طائعين فعندها نادى عبد الملك لولده مسلمة فأجابه بالتلبية وقام قائما وأشار الى الارض لاثما فقال له اصعد ياولدى إلى فأنا وأنت الفدا للمسلمين وأنقذ

أباك من حر نار الموقف بين يدى رب العالمين فبكى مسلمة وبكى عبد الملك ونادى الأمان الأمان من النيران فبكت جميع المسلمين وضجت الموحدين ورقى مسلمة إلى عند أبيه فوق المنبر فأخذ بيده وقال معاشر المسلمين رحمكم الله تعالى قد قدمت عليكم ولدى هذا فأطيعوه اذا رأيتوه مستقيم غير مخالف للسنة والجماعة وهو المقدم عليكم والخليفة فيكم من بعدى ثم قال أين سيف الدين وحامى بيت رب العالمين وترس قبر محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ولدى الصحصاح فأجابه بالتلبية وقام قائما وقبل الأرض وقال لبيك ياأمير المؤمنين فقال له إلىّ ياولدى فصعد الى المنبر فأخذ الخليفة بيده وقال معاشر المسلمين وهذا أمير جيوش الموحدين وحامى بسيفه بيت رب العالمين وهو سيفنا القاطع الذى يصول به على المارقين الكافرين ثم وضع يده فى يد ولده مسلمة وآخى بينهما وأوصاهما ببعضهما ودعا لهما بالنصر والظفر وجميع المسلمين أمنت على دعائه وقال معاشر الناس السفر بعد ثلاثة أيام فأجابوا بالسمع والطاعة ونزل وصلى بالناس وبعد الصلاة خرجوا وهم مثل الجراد المنتشر وبعد ثلاثة أيام خرج الملك الصحصاح والأمير مسلمة معه الى خارج البلد وأحصوا العساكر فكان عدتها أربعمائة ألف مقاتل خلاف التوابع وخرج الخليفة لوداعهم وهو يحثهم على الجهاد فى طاعة رب العباد ويذكر لهم ما أعد الله تعالى للمجاهدين فى الميعاد وما أوعد للمقاتل والمقتول من الخيرات وأن الشهداء فى جنات النعيم يرتعون ومن أنهارها يشربون ويأكلون مما يشتهون وهم أحياء ليس يموتون وتوضع أرواحهم فى حواصل طيور خضر ترتع بهم فى الجنة كما أخبرعنهم من لايخشى ريب المنون فقال الله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » ثم قال معاشر المسلمين اعلموا أن الباقى خير من الفانى ولهذا قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه (ان كانت الدنيا ذهب يفنى والآخرة خزف يبقى لاخترت الخزف الباقى على الذهب الفانى) فلاترجعوا عن بلاد الروم حتى تضربوا خيامكم على باب القسطنطونيه والله تعالى ناصر لدين الحنيفيه وسترونه بلد عجيب لأن القسطنطونيه بناها الحكيم قسطنطين وأقام فى بناها الى أن مات وهى أربعة فراسخ فى البر وثلاثة فى البحر ولما أن مات تولى تمامها ولده نوفيل وبنى بيعته سوفيا وحوطها بالأشجار المثمرة والرياض النضرة وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد بعث فى زمن نوفيل ونشأ ذكره وعلا أمره وكثرت مفاخره وقهر الله به من يبارزه ووصل خبره صلى الله عليه وسلم إلى نوفيل فعزم على أن يبعث له عسكر عظيم ويجعل عليه مقدما فمنعوه من ذلك حكماء وكان فيهم حكيما يقال له

قيتور الأكبر وكان قد قرأ الانجيل والتوراة والكتب القديمة وعرف صفات النبي صلى الله عليه وسلم ولما ظهر خبره سأل عن صفاته فوصفوه له بالصفات التى قرأها فى التوراة والانجيل عن صاحب التحريم والتحليل وعرف أنه هو الذى يخدمه جبريل ويلوذ به ميكائيل وهو المخصوص بالفضل صاحب البرهان والدليل فقال لنوفيل اعلم أن هذا الرجل الذى تريد أن تبعث اليه العساكر قد ولد فى طالع مسعود وان خالق الخلق ناصره ومؤيده ومعينه ومعاضده ومساعده ومريده وما يلقا عدو الى ويهلكه وبلاد الحجاز كلها موعرة ومسالكها مهلكة ومالك أيها الملك برجل عنا بعيد ودياره كما لاتريد فقال له كيف لا أطلب رجل يقول دين النصرانية فاسد وإن الله واحد أحد فرد صمد وانه ليس لله تعالى ولد ولا والد ويستحل مالنا وسفك دمانا والصبر على هذا ليس بصواب ولا هو من شيمتى ولا بد أن أجهز اليه عسكر وجحفل عظيم يكون أوله فى بر الحجاز وآخره فى بلاد الروم وأما قولك ان البلاد موعرة قليلة الماء فلو أردت أن أجرى الأنهار مع عسكرى لفعلت لأن مالى كثير وملكى وافر فلا تعيد أيها الحكيم ولا تبدى وهذا الذى عندى فقال الحكيم أيها الملك النصيحة لا ترد عن عقيدة صحيحة ولو أن عسكرك بعدد التراب والنجوم أو قطر الغيوم لكان هذ الرجل منصور وأما عسكرك فى مقابلته مكسور وتصير ديارهم بوار وهكذا فى التوراه وانجيل مذكورا وفى الكتب مسطورا وان هذا الرجل عند المسيح موقورا وعند الحواريين معروفا ومشهورا ولما سمع نوفيل منه ذلك المقال صعب عليه وكبر لديه حيث أطنب الحكيم فى صفته صلى الله عليه وسلم وقال له يا ويلك وحق المسيح والانجيل الصحيح واهب قمامه وصنجيل وقمص والراهب ريعع ودير سمويل وماجاء به السيد المسيح من الأقاويل لأجرى دماهم مثل السيل ولاصبر لى عليه وسلم منصور قال له ابعث ماشئت ودبر ما هويت وانما أنا خايف عايك من الندامة وعدم السلامة وأنا ما قلت هذا من الهوى وطريق المخالفة ولكن قد قرأت جميع الكتب المنزله وقصص الأنبياء المرسلة والحكمة والكهانة وكل من نسبت اليه الحكمه فى ذاك الزمان فوجدت صفه هذا الرسول بأنه هو الطاهر الأخلاق المؤيد من الخلاق المنصور على أهل النفاق مع أهل الشقاق (قال الراوى) ولما قال الحكيم هذا الكلام صاح عليه بطريق جبار من جبابرة الروم يقال له فقطونس ابن جرجيس وكان كافر عنيد وشيطان مريد أوحش خلق الله خلقا ونطقا يعالج بالصخور الكبار وبالأعمدة الحديد تتعوذ الروم من مكره وتخاف من شره وتحت يده ثلاثين ألف من البطارقة كأنهم العمالقة

فقال أيها الحكيم أنا أسير الى بلاد هذا الرجل الذى تذكر انه موصوف وفى الكتب القديمة معروف وأنا أخدم الملك نوفيل فى هذه المره وأعود عن قريب ولى ثلاثة خزائن فيها ثلاثون قنطار من الذهب وقد جعلت هذه الخزاين لهذه الطريق ثم عمل الملعون جميع مايحتاج اليه وغيرا حوله وخرج وما سار أكثر من سبعة أيام حتى نزل فى مرج يقال له مرج يوشع فنزل فيه وأوقد النيران وعلا الدخان ونظر الى عسكره وقد ملئت الآفاق ففرح وأعجب بنفسه وكفر وزاد فى كفره وتحير وقال أريد أجعل كعبة العرب بيعة للروم رغما عن أنف حكيمنا المذموم ثم نام وهو سكران من الخمر فرأى فى منامه أن السما قد فتح لها بابا ونزل له شخص رجلاه بقت فى الثرى ورأسه فى الثريا وهو ينادى يا ابن جرجيس يامن لعب بعقله اللعين ابليس الشيطان النجيس حول وجهك الى الموضع الذى خرجت منه فان الذى أتيتك فى طلبه هو صفوة الله من خلقه وخيرته من عباده وهو الذى يشير به المسيح والنبيون شهدوا برسالته صلى الله عليه وسلم ثم ضربه الملك بيده وإذا برأسه دخلت بين كتفيه وصار وجهه من وراء ظهره وركبتيه فى صدره ولما أصبح الصباح دخلوا البطارقة عليه ونظروا اليه وهو على تلك الصفه وقد سود لونه بعد ماكان أبيض وصار عبرة لمن اعتبر فوقع الرعب فى قلوب الباقين وحملوا وعادا راجعين وهو من الخوف لا يبدى خطاب وان سألوه لا رد جواب ووقع فى أصحابه الطاعون ولم يبق منهم إلى القليل ولما وصلو الى القسطنطونية ورد على كلب الروم نوفيل أمر عظيم وتقدم اليه وهو مرعوب وسأله عن حاله المقلوب فقال له أيها الملك انى رأيت من الرؤيا ماهو كذا وكذا وهو الذى جعلنى كما ترى ثم نهق ثلاثة مرات مثل الحمير ومات الى جهنم وبئس المصير وكان هذا هو سبب لانقطاع نوفيل عن محاربة النبي صلى الله عليه وسلم ثم هلك نوفيل وتولى بعده ولده ثم ان الخليفة قال لولده وللرجال أرجو من الله تعالى ان يعجل لهم الشتات والانتقام والهلاك فصاحوا المؤمنين وقالوا ياخلفة الله فى أرضه وفى ملكه نحن لا نريد الدنيا الفانية الساحره وانما نرجو من الله تعالى الدار الآخره فبكا عبد الملك بن مروان وقال ليت غبار خيل المجاهدين كحلا فى عينى وترابهم على وجنتى وانى أرجو من الله سبحانه وتعالى أن أكون شريكهم فى الثواب ان ربى كريم وهاب وهو مسبب الأسباب وودع ولده الأمير مسلمه وأيضا ودع الملك الصحصاح وهما يبكيان وهو يقول له ياصحصاح ياولدى أوصيك بأخيك والله تعالى خليفتى عليكم وما أحد من الناس إلا وودع أهله وجيرته وداع من لا يعود وسار الأمير مسلمة بمن معه من العساكر والدساكر والكل مشتاقين الى الجهاد فى

طاعة رب العباد جل جلاله وقد رموا عن قلوبهم حب الساحرة واشتد بنفوسهم حب الدار الآخرة وفى تلك الأيام وصلت الجواسيس من بلاد الروم وهم يخبرن أن اللعين مخايل مات وتولى من بعده ولده اللعين لاوون وكان هذا اللعين جبار عنيد وشيطان مريد ومن جملة تحيره لم قعد لأبيه فى الغدا وقال ان أبى كان غير ناصح لملة النصرانية وأهل ماء المعموديه وقد نذر أنه لا يترك على وجه الأرض مسلما ولا من يكون بغير دين المسيحية متكلما وقد أنفق أمواله على عساكر وقد سدت الفضا وملئت المستوى وجمع تسعة عشر ملك من جميع الأقاليم وعزم على الخروج الى بلاد الاسلام بنفسه فقال له الوزير لوقا اعلم أنك طيب العيش مستقر وقد سمعت بما حصل لجدك نوفيل لما أراد الخروج الى نبي المسلمين وفى قصة فقطونس وجرجيس ما يكفى الانسان من الاعتبار ولما أن مال محمد نبي المسلمين صلى الله عليه وسلم وان شريعته منصورة فى بداية أمرها من السعادة وقد قابلها التوفيق من صاحب الاراده وربما أن يكون لهم دوله فيأخذ منا الجزية كما كانت اليهود تحط الجزية الى النصرانية فلما سمع لاوون من وزيره هذا الكلام صاح فيه وقال له بهذا التدبير كنت تدبر أبى حتى قويت شوكة المسلمين وضعفت قوة النصرانية والآن تريد تخوفنى أتظن أنى جبان مثل غيرى وقام من مجلسه وأمر بتجهيز العساكر وهو على نية الرحيل فلما سمع الأمير مسلمة من الجاسوس هذا الكلام رحل وطلب بلاد الروم وهو يجد فى سيره ليلا ونهارا فهذا ما كان من الأمير مسلمه (وأما ما كان) من كلب الروم فانه جهز العساكر وأرسلهم صحبه ملك من كلاب الروم يقال له ارمانوس فى مائة ألف بطريق وجهز كلب آخر يقال له مقلاعوس فى مائة ألف وقد أخذ معه قطعه من حافر حمار المسيح لأن البترك قد أعطاها اليه وقال له ان وقعتم فى شده امسحوا بها على وجوهكم ثم أوضعوها على رؤسكم فانكم تنصرون وتعودون ببركة حافر الحمار ثم خلع على مقلاعوس وقال له لا تخالف أرمانوس فيما يشير به عليك وساروا جميعا إلى أن وصلوا إلى ديار بكر وضربوا فيها بالسيف فقتلوا أهلها ونهبوا أموالها وسبوا نسائها وقال أرمانوس أنا لا أحب أسارى المسلمين فانهم يفسدون أهلنا ويجعلوهم مثلهم يقولون ان الله واحد ويرجع شؤمهم علينا وان القتل هو مرادى وأما عسكر المسلمين فانهم جدوا فى سبيل سيرهم حتى وصلوا إلى نجران وبقى بينهم وبين عسكر الروم ثلاثه أيام وبلغ الخبر الى اللعين أرمانوس فأمر بقطع الأخشاب وعمل جسر على الفرات وعبروا إلى الجانب الآخر وطمعوا فى أخذ بمد الاسلام وقتلوا الاطفال ونهبوا الأموال وغرهم ابليس اللعين ونسوا سطوة رب العالمين وقد رفعت رأسها

امرأة من الاحرار الى قبله الدعاء وهى سماء الدنيا وقالت يا ربنا هل لنا ناصر غيرك أو لنا خلاص الا بك ثم انها بكت وسألت مولاها فأجاب الله سبحانه وتعالى دعاها وتضرعها وشكواها وأنجح طلبها وأعطاها ما تمنته من مولاها واذا بغبار علا وتار حتى سد الاقطار وأظلم منه ضوء النهار وبعد ساعة انكشف الغبار وبان للنظار واذا من تحته قد ظهرت رايات اسلامية وأعلام محمدية ورجال حنيفية ومواكب خليفية والاعلام مكتوب عليها كلمة الاخلاص المنجية قائلها يوم القصاص لكل مذنب وعاص اذا تاب ورجع الى مولاه وهى قول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها ومد صوته بها غفر الله له أربعة ألف ذنب وكتب له أربعة ألف حسنة فعندها صاحت الروم بحنا ومريم والصليب الذى هو عندهم معظم واصطفت عساكر النصرانية صفوف فكان أرمانوس فى القلب ومقلاعوس فى الميمنة وبطريق آخر يقال له جرفناس فى الميسرة ولما أقبلوا عساكر الاسلام ونظروا الروم اللئام ونظر الملك الصحصاح الى ذلك أقبل على الامير مسلمه وقال له يا مولاى نحن نصف عساكرنا صفوف ومواكب ثم نقدم على كل جانب أمير يكون له رأى صائب وان التدبير يا مولاى هو نصف المعيشه فقال له صدقت أيها الملك المكرم والسيد المعظم فقال أنا أكون فى القلب ومروان فى الميمنة وغانم فى الميسرة وعمى عطاف فى الجناح الايمن وعامر فى الايسر وأنت أيها الامير تكون فى الساقه تحت الرايات والاعلام لانك حافظ الجميع والجسر المنيع والحصن الرفيع ونحن بأنفسنا نفديك وبأرواحنا نقيك فشكره الامير مسلمة على ذلك الكلام وقد ترتبت الصفوف كما ذكرنا وقد ارتفع الصياح وجردت البيض الصفاح وأرادوا المسلمين الحملة واذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم وهو راكب على بغلة شهبا تنهب الارض نهبا مليحة القوائم كأنها دعائم وعليها جل صوف أبيض كانه الفجر اذا فجروا راكب عليها شيخ مليح الشيبة ظاهر الهيبة عليه مدرعة من الصوف سودا مانظرت مثلها عيون وعلى رأسه برنس أسود محبوك باللؤلؤ وفى يده عكاز أبنوس منشأ بالذهب وجعل يخرق الصفوف حتى قارب عسكر الاسلام ونادى أنا رسول اليكم وأنتم تقولون وما على الرسول الا البلاغ وقد نهى نبيكم صلى الله عليه وسلم عن قتل الرهبان والنساء والصبيان وانى معى رسالة الى ملك القوم وصاحب هذا العسكر من عند الملك أرمانوس وفى ذلك مصلحه العسكرين وفائده لفرسان الفريقين فخذوا لى الامان من أميركم حتى أننى أسير اليه وأقص ما معى من الرسالة عليه فقال له الصحصاح ادخل يا شيخ ولك الامان

ثم انهم رجلوه وقلعوه الصليب من حلقه وأخذوه وساروا الى عند الامير مسلمه فقال له الملك الصحصاح هذا ابن خليفة المسلمين وولى عهد أمير المؤمنين فتقدم اليه وقبل الارض بين يديه وقل له على ما معك من الرسالة فقال الراهب أما الارض فهى بساط الله تعالى وأما السجود عندكم لا يكون إلا لله الواحد المعبود وكيف تأمرونى أن أضع جنبي على الأرض لغير الله تعالى فقال له الصحصاح ياشيخ اقصد أن يكون سجودك لله وأما هو فهو عبد مثلك وهو أيضا يسجد لله رب العالمين فقال الراهب : وأما مامعى من الرسالة والكلام فانى أشرت على أرمانوس ومن معه وهو مقلاعوس أن فساد هذه الصور والأبدان حرام من جميع الأديان والصواب حقن دماء الفرسان ونقتصر على فارسين أو أربعة فرسان من بين الملأ ويزول التعب عنا والعناء والملك أرمانوس يقول لكم أنا قد فديت عسكرى بروحى فليفعل ملك العرب مثل فعلى فان قتلنى فما يبقى من بعدى لعسكر الروم مقال وإن أنا قتلته كانت هى واقعة الانفصال وأن قوام العساكر على اثنين أحدهم ابن الخليفة والثانى ملك العرب فمن شاء منكم أن يخرج الى أرمانيوس أو الى رفيقه مقلاعوس أو اخرجوا أنتم الاثنين الى أرمانوس وحده وتفدوا جميع الخلائق والعساكر بأنفسكم فلما سمع الملك الصحصاح منه هذا الكلام قال له ياراهب أنا أخرج اليهما هما الاثنين فان قتلونى فازوا بالظفر فارجع اليه وقل له إن البراز يكون غدا ان شاء الله تعالى فرجع الراهب وهو مسرور الى أن وصل عند أرمانوس وأخبره بما وقع وماجرى من الاتفاق ففرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وقال لاشك أن ملك العرب هو الموصوف عندهم وكان قبل ذلك سمع بخبر الملك الصحصاح وشجاعته لأن نصارى الشام كانوا أعلموه به وأخبروه عنه وعن شجاعته وقوته وبراعته وحذروه منه غاية الحذر ولكن أين المفر من القضاء والقدر وكان اللعين أرمانوس فارس شديد وجبار عنيد مغرور بما عنده من الفروسية والشجاعة وكان يقاتل بالرهق والقنطارية والسيف والمزراق وسائر آلات السلاح ويرمى بالحراب وقوس النشاب ويضرب بالعامود الحديد والسيف والقرضاب وكان يقاتل الصخور وهو مركب على خبث ولعنة وفجور ولأجل هذه الأوصاف قدمه الكلب «لاوون» على سائر العساكر والملوك الرومية . ولما سمع أرمانوس أن ملك العرب الصحصاح أجابه الى أن البراز كاد أن يطير من الفرح لأن هذا اللعين واثق بنفسه ولما يعلم من شجاعته أنه لم يقاومه أحد فى بلاد الروم من الفرسان والشجعان فباتوا تلك الليلة والمسلمين مبتهلين بالدعاء من الله تعالى أن ينصرهم على عدوهم وأن ينصر الملك الصحصاح على هذا اللعين الجبار

وقد ذهب الليل وأقبل الصباح وأضاء الكريم الفتاح بنوره ولاح هنالك خرج الملك الصحصاح الى مقام الحرب والكفاح وقد صفت الصفوف وترتبت المئات والألوف وإذا بفارس من الروم خرج من بين الصفين واشتهر بين الفريقين ولعب بالرمح حتى حير كل عين وهو راكب على جواد عالى من الخيل الجياد شديد القوة كأنه من خيل عادم له قوائم كأنها دعائم وصوارى من حداد وعلى ذلك الفارس درع من الحديد الصينى المطلى بالذهب الوهاج وعلى صدره صليب من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وفى يده صارم ذكر كأنه القضاء والقدر وقنطاريه خلنجية شغل من كفر ثم إن ذلك الفارس لما صار فى الميدان كشف عن وجهه اللثام وزعق بصوت كالحمار ونادى من عرفنى فقد اكتفى ومن لم يعرفنى فما بى خفى أنا أرمانوس المقدم على هذه الجيوش وخرجت أفديهم بالنفوس وأين فارسكم المعروف وملككم الموصوف فليخرج الى اليوم أسقيه كاس الحتوف وليبرز لى بين الصفوف حتى يشهد لنا كل من يشوف (قال الراوى) وكان الملك الصحصاح لما سمع كلامه خرج قدامه وكان راكب على جواد مثل الغمام وصرخ فيه أتاك الصحصاح يا كلب اللئام واليوم تشرب من يدى كاس الحمام ثم انطبقا طويلا واعتركا ميلا والفرقتين ينظرون اليهما ويتعجبون منهما وكل من الطائفتين يدعو لصاحبه وبقت الروم تقول صاحبنا فارس الزمان والاسلام يقولون ملكنا فائق الأقران وقاهر الشجعان ومبيد الفرسان وفى الناس من يقول انهم متساويين ولكن الملك الصحصاح يفوق عنه بالايمان وينصره عليه الرحيم الرحمن وقد غابا عن الأعيان ساعه من الزمان وظهرا حتى شاهدهم كل إنسان وبعد ذلك وقع بينهما طعنتان قاتلتان فكان السابق بالطعنه الملك الصحصاح ولما رآها اللعين زاغ عنها وراحت خائبه فى الميدان وعزل على سرجه وبان وقصد إلى الملك الصحصاح برأس السنان فقفز من على ظهر الجواد بقى على الأرض والمهاد حتى ذهبت الطعنة خائبه وعاد فوق الجواد من غير أن يضع رجاه فى الركاب وحمل كل واحد منهما على صاحبه ورجع إلى الحراب والضراب وقد أخذوا فى الطعن والعراك والالتئام والشباك والمشاجره والخصام والادبار والاقدام حتى كلت الناس من كثرة الانتظار فعند ذلك خرج من الاثنين ضربتين قاتلتين واصلتين وكان السابق بالضربة ملك العربان وفارس ذلك الزمان فوقعت على فارس الطغيان نزل السيف الى حنكه والأسنان وقد شق منه اللسان ونزل الى صرته حتى وصل سرج الحصان فوقع أرمانوس على الأرض

نصفين وهو قتيل بين الصفين وشاهده الفريقين وعجل الله بروحه إلى النيران فكبرت أهل الاسلام والايمان وصلبت على وجوهها الكفار أهل الطغيان ونظر مقلاعوس ماحل بأرمانوس فنزلت عليه العكوس ونظر الى فارس الاسلام وهو عبوس ثم انه حمل وحملت معه الروم فحملت عليهم الاسلام والتقت الخصوم بالخصوم وتصادمت الخيل وبقت تقع وتقوم ودارت عليهم الافلاك ووقع الارتباك ودام الهلاك وحار الجبان من الموت وبقت المؤمنين راضية بقضاء الله الى أن ذهب النهار وراح وكان الملك الصحصاح كل مازعق وصاح تقع الكفار فى البطاح وقد فتك فى الرجال وأفنى الشجعان والأبطال وأباد الأقيال وقد افترقت الروم عن القتال (قال) ورجعت الطائفتين عند اقبال الليل وادبار النهار وتحارس الفريقان وجلس مقلاعوس المنحوس محل ارمانوس المعكوس وأحدقت به الروم اللئام فقال لهم على ماذا عولتم قالوا على ماتراه لأنك أنت المقدم والبطريق المعظم فقال لهم أنى قد عولت أن أبرزا لى هذا الرجل الذى هو ملك العرب وفارس الاسلام وأفديكم بنفسى وان قتلته فما يقوم لهم مقام من بعده ولما سمعت الروم اللئام منه ذلك الكلام وجدت لها راحة عظيمة للأبدان حيث إنه ضمن على نفسه هذا الضمان وأراحهم من قتال المسلمين لأنهم كانوا منهم خائفين وقالوا له أيها الملك إن أنت ظفرت به فقد بلغت المراد ولا تبالى من بعده بكثرة الأعداء والحساد واعلم أننا نكسرهم من بعده ويكون لنا الأمر وما أنزل بنا البأس والذل والا هـذا الفارس المذكور الذى له بين الرجال قدر مشهور فقال لهم مقلاعوس دعوا عنكم هذا الخوف والبؤس فأنا أسقيه من الموت أمركؤس ولا أجعل له رأس تقوم بين الرؤوس وايش هذه الاطالة والهذيان فأنا وحق المسيح ما أذكره بين الشجعان ولا أعده بين الفرسان وفى غداة غد أسقيه كاس البوار لأن معى حافر الحمار الذى بركته عمت جميع الأقطار والآن هو معى وكان أعطاه لى البترك الكبير وقال لى إن هذا حافر حمار السيد المسيح الذى كان يركبه ويسوح به فى البر الفسيح ومادام معكم فان البركه لا تفارقكم وأنا محتفظ عليه إلا أن الملك أرمانوس ما أخذه بقبول فحل به الهوان وأمسى مقتول (قال الراوى) وأن مقلاعوس أخرج لهم حافر الحمار من وقته وساعته وعلقه فى رقبته وباتت القسوس حوله وهم يقرؤن عليه الانجيل ويبخروه برجيع البترك الكبير وظنوا أنه يبلغ آماله بهذا الشىء النكير وما يعلموا مادبره اللطيف الخبير فهـذا ماكان منهم (وأما ماكان) من عسكر

المسلمين وعصابة الموحدين فكان لهم جاسوس عند المشركين ونظر اللعين لما علق حافر الحمار فى عنقه ونخروه برجيع البترك فعاد الجاسوس وأخبر الأمير مسلمة بما عاين فضحك حتى استلقى على قفاه وقال إن كان يستعان بالحمار فأنا أستعان عليه بالملك الجبار الذى أمر السحاب فسار وعم الدنيا بالأمطار وأنا فى غداة غد أخرج اليه وآخذ روحه من بين جنبيه وانظر حافر الحمار أم ستر الكريم الستار الذى قدر الليل والنهار فنظر اليه الملك الصحصاح وقال له ياأخى ما هذه الأخبار فقال إن الملاعين يستعينوا علينا بحافر الحمار ورجيع البترك الغدار وإنى عازم فى غد أبرز اليه فقال له الملك الصحصاح لا وذمة العرب وشهر رجب والرب الذى إذا طلب غلب ما يخرج اليه إلا عبدك الصحصاح وأفديك بالمال والأرواح وايش هذا اللعين الذى تبرز اليه ونحن فى خدمتك وبين يديك ولاتبخل بأرواحنا عليك والله يامولاى لاكان ذلك أبدا إلا إذا شربت كاس الردا فشكره وأثنى عليه وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه وقال له ياأخى كفاك ماقاسيت فى هذا اليوم فقال له لا بد من ذلك فقال الأمير مسلمه إن كان الأمر على ما ذكرت والحال على ماعولت فلا تخرج اليه أنت ولا أنا وها هم عساكر الاسلام كثير فليخرج اليه أحدهم وليس من الصواب أن نسمح بك فى كل وقت لأن كل ما فى بلاد الروم ما يساوى قلامة ظفرك ونحن الكل بالروح نفديك ولا نسلم للعدا فيك فقال الجاسوس يامولاى إن الروم نزل فى قلوبهم الرعب من وقت ما قتل أرمانوس وكانوا عزموا على الفرار وما ثبتهم إلا هذا النجس الجبار وأوعدهم ببركه حافر الحمار وهو عندهم أهيب من أرمانيوس لأنه فارس منجوس ولولاه ماثبتوا ساعة واحدة فنسأل الله تعالى أن تدور عليه الدائرة ولما سمع الملك الصحصاح من الجاسوس هذا الكلام قال له ياويلك والآن ما يمسك عسكر الروم عن الانهزام غير هذا الملعون نسل الحرام فقال له نعم أيها الفارس المقدام فقال فى غداة غد إن شاء الله تعالى أعرفه كيف يكون مقامه وأنزل عليه بركة حماره وأسقيه كاس حمامه وأعجل له أيامه وإنى أرجوا من الله سبحانه وتعالى أن يطرح فى قلوبهم الخوف والرعب والبؤس حتى أنهم يخرجوا إلى مقلاعوس إلى البراز ومحل الانصاف والانجاز حتى أوريه مقام البخور بالابراز وأذيقه كاس الهوان بالسيف والسنان وأكسيه من دمه ثوب أرجوان وأرحله

مثل صاحبه أرمانوس وأقطع رأسه من بين الروس ويحل به من بعد العز العكوس ولما سمع الأمير مسلمة منه هذا الكلام ضحك وزالت عنه الآلام وبقى يدعو له وقال نصرك الله يامالك العرب ثم قال له ياأخى أما تخاف من الحافر فقال يامولاى أنا أستعين عليه بالملك الناصر وهوالقادر وسيد الأوائل والأواخر فقال مسلمة نحن ما تسمح أنفسنا بخروجك الى هذا الكافر الفاجر فقال وحق البيت ومن حج ومن لبّ وضج لاقعدت عن الخروج الى هذا الملعون كلب العلوج ولكن أظن أنهم من وقت ما ذكروا لك حافر الحمار خفت أن يرفصنى وأنا ما أخاف من رفص البغال أو الجمال فكيف أخاف من رفص الحمار فضحك الأمير مسلمة حتى استلقى على قفاه وقال له ياأخى ان كان ولابد من خروجك اليه فانى أدفع لك تعويذا أعيذك به وهو مصحف الخليفة وكان بخط أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين الإمام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه (قال الراوى) ولما سمع الصحصاح ذلك فرح واتسع صدره وانشرح ثم انه أخذه منه وقبله ووضعه على رأسه وبات وهو مسرور الفؤاد وبقى طول ليلته قائما يصلى شكراً لله تعالى على إنعامه وكان هذا المصحف بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان عبد الملك أخذه ميراث أباً عن جد وهو متباشر به غاية الاستبشار ولما حصل هذا الحرب أعطاه لولده مسلمة وذلك من شدة محبته له لأنه ما كان يخرجه إلى أحد أبدا بل كان يقرأ فيه ويوضعه فى خزانته لم ينظر اليه ولما كان فى ذلك اليوم أعطاه الأمير مسلمة الى الملك الصحصاح لأنه خاف عليه من ذلك الجبار . وسنرجع لما كنا فيه من الحديث وأن الملك الصحصاح بات فى صلاته الى أن طلع الفجر فقام وجدد وضوءه وصلى صلاة الافتتاح وركب الى مقام الحرب والكفاح وركب معه الأمير مسلمة وأبطال المسلمين وعساكر الموحدين وركبت الروم الملاعين وقد ارتفع الصياح حتى ملأ الروابى والبطاح وكان أول من فتح باب الحرب والكفاح الفارس الجحجاح ملك العرب الصحصاح بعد ما اصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف وجردت السيوف وأن الملك الصحصاح خرج وهو راكب على مبر من أولاد مزنة وكان مهر عالى غليظ القوائم مليح الدعائم كامل الصفات سريع الالتفات لايبعد عليه قطع الفلوات كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات :

حصان كالرياح العاصفات ... يطير بلا جناح فى الفلاة
كعفريت يطير الى الثريا ... ويرجع قبل لمح الناظرات

يريك جحوله كبروق تبدو ويخطف بالعيون اللامحات

(قال الراوى) وكان هذا المهر أحسن من مزنة فى جميع صفاته وأن الملك الصحصاح لما بقى فى الميدان صاح بين الصفين ولعب بالرمح حتى حير الفريقين ونظرته كل عين وحمل على ميمنة الروم شتتها وقتل منها فارسين من الشجعان الموصوفين فى الحرب والطعان ورجع إلى الميسرة فقتل اثنين وعاد الى القلب ونادى أين مقلاعوس الكلب المنحوس اليوم أذبحه ذبح التيوس وقتل منهم وجرح وعاد فى وسط الميدان ووقف فعلمت الروم أنه يريد مقلاعوس فتطاولوا اليه بالأعناق ونظروه بالأحداق وإذا بمقلاعوس خرج وهو فى أنحس حال وفى يده صارم ذكر قاطع للنفوس وتحته جواد أصفر كأنه عاشق توكل به السهر أو كأنه الأبحر الذى كان لعنتر أنخر خيول كسرى وقيصر كما قال فيه الشاعر هذه الأبيات :

أسابق الطرف بطرف سابق يدرك ما يطلب إدراك القدر
أصفر اللون له وثبة كأنه الدينار حسناً إذا ظهر
صهيله يطرب من يسمعه كأنه الرعد إذ الرعد زجر
لو سابق الريح جرى قبله والبرق لايلحقه إذا انحدر

(قال الراوى) وعليه عدة يطول شرحها ولامة حرب يزيد وصفها ولما رآه الملك الصحصاح عرفه فحمل اليه وأطبق عليه وأخذوا مع بعضهم فى الكر والفر والمستقر إلى أن ضاق منهما الصدر ورحل عنهما الصبر إلا أن الصحصاح هاج فى مقام الخطر وأرمى روحه على خصمه وماقصر وهجم على مقلاعوس كأنه القضاء اذا انحدر وضربه بكلية يديه أطاح رأسه من بين كتفيه . ولما نظرت الروم الى ذلك المصاب الذى أصابهم فى قتل ملوكهم وأصحابهم فحملوا من حنقهم على الصحصاح وقد عولوا على تلاف الأرواح فتلقاهم بالسيف وصاح وأجرى دمهم على البطاح فعندها حمل الأمير مسلمه وحملت الاسلام وعلا الصياح وعملت الصوارم فى الأشباح وعمل الحرب والكفاح وقفل باب السلامة وضاع المفتاح وظهر علم السعادة للاسلام ولاح وبانت الوجوه الملاح من الوجوه القباح وأعلنت المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وقد قرأ القارئ : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وقد نزل عليهم النصر والمنة وقاتلوا فى ذلك اليوم قتال من أراد الآخرة وترك الدنيا الساحرة ورغب فى الجنان العلية وأنزل الله النصر على أهل الشريعة الاسلاميه والخذلة على ملة النصرانيه ولم تزل الخيل تعض على

أجمتها وتقطع الحديد من أحزمتها والشجاع غارق فى الخلائق حتى تقنطرت الابطال من على ظهور الخيل وحل بالجبان الحزن والويل وقطرت الدماء مثل قطرات السيل وثقل على الأبدان الحديد وكلت من الحرب الأبطال الصناديد وبانت أعلام ملك الموت من قريب ومن بعيد والعباد تسردق والجو غسق والحرب تسردق وناره تحرق والدروع تتمزق والدما تهرق والصحصاح يزعق والرماح تخرق والسيوف تقطع والأبدان تصرع والبنود ترفع والسنان تلسع والعيون تدمع والنفوس تجزع والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل والفرسان تتجندل والعربان تقبل إلى أن ولى النهار والليل أقبل فولت الروم مدبرين وعملت فيهم سيوف الموحدين وبقوا يقتلون منهم خمسين بعد ستين وثلاثين بعد عشرين وقد قتل من الروم الملاعين خمسون ألف وغرق فى البحر عشرين وأسروا منهم خلق كثير وقد غنموا المسلمين فى هذه الوقعة غنيمة عظيمة وأموال لاتحصى وخيول وسيوف ورماح بعدد الرمل والحصى وأخذوا جميع الخيام والثقال والذى انهزم من الروم ما أخذ معاه ولا عقال وأخذوا المال الذى كان أرمانوس أعده لنفسه ولعساكره وهو عشرون قنطار من الذهب كما قيل فى الأمثال: (ويأكل المال غير من جمعه) ولقد كتب الأمير مسلمة والملك الصحصاح الكتب الى أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وهم يعلموه بهذا الفتح المبين وما أعطاهم الله سبحانه وتعالى من النصر على القوم الكافرين وأرسلوا الكتب مع خمسة آلاف من فرسان المجاهدين ومعهم للغنائم والأموال التى اكتسبوها من القوم الأنذال وأقاموا ينتظرون جواب الامام وما زالت النجابة والعساكرين سائرين إلى أن وصلوا دمشق الشام ودخلوا على الخليفة ونظر ماقدموا به من الأموال فرأى شىء امتلئت به الارض والأماكن ففرح بذلك الخليفة فرحاً شديدا وقرأ الكتاب الذى أرسله ولده وهو بخطه وهو يذكر فيه ماصنع الصحصاح وانه ما كسر الروم وقتل الملكين إلا هو وأعانه الملك الفتاح وانه ما أحوجنا الى قتال ولا إلى نزال وأعاد اليه كل ماجرى فى الكتاب فدعا له الخليفة عبد الملك بن مروان بالسلامه من كل نكبة وندامه وأمنت على دعائه الحاضرين وقد ازدادت له أهل دمشق بالمحبه وهم يدعون اليه فى الشوارع والأسواق . وأما كتاب الملك الصحصاح الى أمير المؤمنين بالدعاء والسلام وبث الأشواق (قال الراوى) وأن الخليفة أرسل الجوابات الى الصحصاح والأمير مسلمة وهو يقول يا ولدى أعبر الفرات وأوضع السيف فى الكبار والصغار

وكونوا فى عقب هـذا الفتح إلى بلاد الروم وأخربوا البيع والكنائس وعرفونى بما يجرى لكم يوم بيوم حتى أكون من أمرى على يقين من أخبار المسلمين وأكتب لكم بما تصنعون وأن تكون جواباتك بخطك وجوابات ملك العرب بخطه حتى انى أطمأن عليكم وأصدق سلامتكم وكتب إلى ملك العرب يوصيه ويهنيه ويعرفه بالأشواق التى عنده اليه وأرسل الكتب مع الرجال الذين أتوا بالسبى فساروا إلى أن وصلوا إلى الأمير مسلمة وملك العرب ودخلوا عليهم وسلموا بعد ماقبلوا الأرض بين يديهم وسلموهم الكتب فقرؤهم وفهموا ما فيهم وعدوا إلى الجانب الآخر وساروا وهم طالبين إلى بلاد الروم وقد أخذوا ما بين أيديهم من القرى والبلاد والأعمال ونهبوا الذخائر والأموال ولم يزالوا على ذلك الحال إلى أن وصلوا الى الخليج وقد علا فى القسطنطينية الضجيج ودخلت المنهزمين على الملك لاوون وأخبروه بما جرى فقامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامه فقال له الوزير لوقه أنا يا ملك الزمان ما قلت لك فما سمعت منى كلام ولكن هذا كله حتى تعلم انى ما أقول الا الحق وما أنطق الا بالصدق والآن قد حلت بالروم هذه المحنة وأن العدو على الخليج قد نزل ولابد ماهم على الغدير ومابقى لنا غير التدبير فى دفعهم عن هذه البلاد وأن غفلت عنهم أهلكوا بقية العباد من بعد خراب البلاد وليس فى إمهالهم صواب لأنهم على الروم صاعقة من عذاب وقد أفنوا الشيوح والشباب ولابد أن تكتب أيها الملك الرحيم الى سائر الأقاليم حتى تأتى اليك العساكر من كل مكان ولا يرجع الى بلاد الاسلام منهم انسان ونأخذ عليهم الدروب والطرقات ونمنع عنهم الماء والعلوفات ونرميهم بصارم الآفات ويكون المسيح قد أخذ لنا منهم بالتار وينكشف عنا هـذا العار فقال له لاوون وحق المسيح لاتركت على وجه الأرض مسلم ثم كتب الى تسعة عشر اقليما وجمع الرجال وفرق عليهم العدد والأموال وأقام ينتظر الملوك والعساكر فهذا ماكان من كلب الروم (وأما ماكان) من الأمير مسلمة والملك الصحصاح فانهما نزلا على الخليج كما ذكرنا وكان هـذا الخليج إقليما عظيما لكونه مائة فرسخ مروج وأشجار وأنهار وأثمار وأطيار تغرد بجميع الألحان من بلبل وهدار سبحان الملك الغفار الذى قدر الليل وسخر الفلك تجرى فى البحار وجعل آية النهار مبصرة للنظار وأرسل فينا سيدنا محمد المختار الذى يشفع لنا فى الزحام من عذاب النار وبه سادة أتته على سائر الأخيار وفازت منها العبيد والأحرار وفى ذلك المرج قلاع بين تلك الرياض والازهار شاهقات ليس لاحد عليها طريق

ولا يصل اليها حجر المنجنيق والروم تسمى هذه الأقاليم الفردوس وذلك لما فيها من حسن الازهار وقد وصل كتاب من عند الخليفه يقول فيه اخرج ياولدى الاموال واعمل ستمائة مركب فى البحر واعبروا فيها الى القسطنطينية وتكون أنت وأخيك الملك الصحصاح والعساكر فى البر والاحمال والاثقال وبقية الرجال فى البحر لعل أن يفتحها وقد نذرت لله تعالى نذرا صوم ثلاثة أيام وأبنى فيها جامع حتى يكون كل كافر لصوت الاذان سامع وإن تعسر عليكم ذلك أرسل الكتب حتى أجهز نفسى وآتى اليك بكل من كان على وجه الارض من الاسلام ولاخير فى الدنيا الفانية بغير دوام وسوف ياولدى أمدكم بعساكر وأموال ورجال تسد الفضا وتملا المستوى فلا تأخذكم فى الله لومة لائم وعليكم منى السلام وسلم لنا على أولادنا المجاهدين وأن يدعو لنا بخير أجمعين ولما قرأ الامير الكتاب على جميع العساكر شكروا أمير المؤمنين وصاروا يدعون له (قال الراوى) ثم ان الامير مسلمة كتب إلى صاحب قونيه يقول له انى كنت معول على خراب البـــلاد وقتل العباد لاجل ما سبق منكم من الفساد والعناد والآن وصل الينا كتاب أمير المؤمنين وهو ينهانا عن ذلك ويأمرنا برفع السيف عنكم مادمت تحت طاعتنا ولانطلب منكم الا السير الى القسطنطينية ولا بدلنا من اعمال ستمائة مركب ومالنا عنـــدك سوى قطع الخشب فانى كنت عازم على أخذ قوته بالسيف وأقطع من الأخشاب ما شئت لاجل المراكب وقد شاغلنى ملك العرب وقال ان هـذا ليس بصواب وان الفساد مذموم فى سائر الأديان والصواب ان تقطع الأخشاب من هذه الأشجار والمروج وتصالح أهل قونيه وتطلب من ملكها وأرباب دولتها كلما تحتاج اليه من أخشاب وحديد ونجارين وكافة ما يلزم لصناعـــة المراكب وندفع لكم الاجر والاثمان ونربحكم فى الدرهم دينار وان أبيتم ما قلت لكم فما لكم عنـــدى خلاف السيف والسنان وقد حذرتكم والسلام وكونوا فى رد الجواب مسرعين وأرسلو الى الاخشاب والحدادين والنجارين والا عجلت بهلاككم أجمعين وأجعل قونيه دكادكا ليس فيها من يعتقد شركا ونأخذ ماكان فيها من الاخشاب والاسلاب ولانبقى على الشيوخ ولا الشباب وقد أعذر من أنذر وأنصف من حذر والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الاعلى ولما وصل الكتاب إلى صاحب قونيه جمع أرباب دولته ووجوه بطارقته ومملكته وقال لهم هـذا كتاب ملك المسلمين وقراه عليهم وقال لهم ماذا ترون من الرأى فقالوا أيها الملك من طلب السلامة أصلح وأفلح وان لم تجبهم

أخربوا البلاد ولم يبقوا على أحد من العباد فقال لقد أشرتم بالصواب ثم كتب رد الجواب بأنه لما قد طلبتم أجاب وحمل الهدايا وأرسل الاخشاب وأمر بخروج النجارين والحدادين وأهـــل الصنايع أجمعين وشرعوا فى انشاء المراكب فأقاموا على ذلك ستة شهور وذلك الشهر السابع ومضى منه عشره أيام وقد فرغت الستمائة مركب وكذلك كلب الروم اجتمعت عساكره ورتبت دساكره وأنفق أمواله وجميع دخائرة وجاء عبد الصليب وهو عند النصرانية عظيم فقال الامير مسلمة إلى الملك الصحصاح اعلم ياملك العرب ان الجواسيس أخبرونى ان النصارى لهم عيد وهو عندهم يوم سرور وشرب خمور وتلعب نسائهم وتغنى بسائر الفنون ولابد مايشتغلون بلعبهم والصواب اننا تفرق العساكر فى هذه الليلة حول البيع فانها لاتخلو من الغنائم تستعين بها الموحدين على الجهاد فى طاعة رب العباد فقال يامولاى هذا هو الصواب وهو أعظم مرادى وماتأخرت عنه الا لقلة معرفتى بهذه الارض والبلاد وخفت أن يحدث من بعد الامور أمور فأكون أنا المطالب والمسئول بدماء المسلمين وان فرقت العسكر من عشره وعشرون كان أحسن لان العسكر الكثير لايخفى على النظر وتتقلب عند رؤيته الحصون ولاتصل الى أمر من الامور فقال الامير مسلمة صدقت ياملك العرب فانك أبصر بالحرب وأخبر ببلوغ الارب ثم انهم صبروا الى االيل وقد رتبوا جماعة من العسكر وهم بالعدد والخيل وجعلوهم سرايا وأرسلوهم فى سائر الأقطار والجهات وأما الملك الصحصاح بعد ما وضب السرايا والعساكر اشتغل بتوصية الأمير مروان والأمير غانم وعمه عطاف أن لايغفلوا على العساكر وأمرهم باليقظة والحرس على من فى الخيام والمراكب خوفا عليهم من الغرق والحرق ثم انه سار وقد كان انفرد بنفسه بعد مضى العساكر وهو على ظهر جواده وقصده أن يلحق بهم وسار الى أن مضى من الليل ربعه ولم ير أحد وقد وقع عليه سلطان الكرى فصار يدافعه وهو لايقدر وذلك لانفاذ ما قدر الله عليه وسطر وكانت له عاده أنه ينام على ظهر جواده إذاكان سائر فى أرض الحجاز وكذلك كانت هذه عادة فرسان العرب فنام وغرق فى نومه وقد طاب له النوم وأحس الجواد بنوم راكبه فطمع فى السير وخاف على صاحبه وصار ركضا وقطع فى الطريق طولا وعرضا وهو معرجا عن الصواب لأن الجواد لايدرى هذه الطريق ولم يزل على ذلك الحال الى نصف الليل ووصل به بعض الأجامات ودخل به فى غابة من

الغابات وكانت تلك الغابة مشبكة الأشجار كثيرة الثمار فلم ينتبه الصحصاح إلا وقد دق الحصان الأرض بحوافره لأنه سمع حس بين يديه فعندها استيقظ من نومه وانتبه من رقدته ووجد نفسه بين الأشجار والأثمار والأطيار تغرد بالألحان وأشرقت النجوم وهى محتبكة فى الليل الداج وقد أضاء النهار والروض والنرجس ينظر بأحداق زاهية كما قيل فيه هذين البيتين :

غضى جفونك ياعيون النرجس   منك استحيت بأن أقبل مؤنس
فأجابنى من بينهن النرجس   بفصاحة من ألسن لم تخنس
قيل حبيبك مااستطعت فان من   عادتنا كتمان سر المجلس

(قال الراوى) والطيور فى هذا المرج كقلعة شاهقة على مدينة كأنها بالنجوم لاحقة وهى تلوح فى ضوء القمر كأنها ملاصقة للسبعة الطباق والنهر فى الوسط كأنه عامود من فضة قد انسطح على الأرض وعلى جانبيه تلك الرياض كأنها الحسام المنقض كما قيل فيه هذه الأبيات :

الظل ممدود السرادق   والظهر مفروش النمارق
أشجاره وثماره   شبه الترائب والبخالق
والظهر قد نقش على   جنباته طرز الحدائق
مرج يموت به الشتا   من حسن أنواع الشقائق
قد غنت الأطيار فى   طرقاته كل الطرائق
من كل قمرى يصيح   وقد أمان من البواشق
والبلبل صاح وبلبلت   ألحانه من كل عاشق
والاقحوان غصونه   بيض النواصى والمفارق
والقلعة الشهباء تجلى   فى السما والنور شارق
وكأنما نيرانها   تحكى لنا الشهب السوابق

(قال الراوى) ثم ان الملك أتى الى جانب النهر فرأى عشر جوار نهد أبكار كأنهن الأقمار وعليهن الحلى والحلل وفى أوساطهن الزنانير الابريسم وفى أعناقهن الصلبان المرصعات بأنواع الجواهر المثمنات وفى ذلك قال الشاعر بعد الصلاة على النبي الفاخر صلى الله عليه وسلم :

أشرق المرج بما   فيه من البيض الغوالى

من كل عذراء طلوب ذات غنج ودلال
فاتنــات بعيون راميــات بنبــال
صـــائبات قاتلات لصـــناديد الرجال
بزنانير حـــرير فوق أرداف ثقــال
والى الارداف قلب صار يصبو للوصال
ياهنا من ضم منهم وتهـــنى بالوصـال

(قال الراوى) وكان بينهن جارية مليحة القوام حلوة الابتسام كأنها بدر بدر فى ليلة أربعة عشر لاطول لها يشينها ولا قصر يعيبها أعلاها قضيب وأدناها كثيب معتدلة القد قاعدة الهند موردة الخد سوداء الشعر كأنها البدر دعجة العينين والحاجب مقوس أعوج والطرف والثغر نقى أفلج وهى قد أفرغت فى قالب الجمال كما قال فيها بعض النظام صلوا على بدر التمـام :

للحسن فى وجنـاتها بدع مايسمح الدهر من أوصافها
تسـبي القلوب بحسن طلعتها وتميت أرواحهـا ثم تحييهـا

(قال الراوى) فهى أصل الورى وفتنة أهل الدنيا ملكت الأسرار بكلامها العذب وكل قلوب الناس فى حبها قلبت قلب وهى تتباها على جميع البنات والجوار الغاليات وتميس عليهم بحسنها والجمال وقدها والاعتـدال كما قال فيها من قال صلوا على باهى الجمال .

تزهو علىّ بألحاظ بديعـات كأنها من البنات الـكسرويات
تبدو غلائل خديها موردة ماحسن تلك الخدود العندميات
كان طرفها من تحت غرتها ليل الهموم على صح المسرات

(قال الراوى) وهى تقول للجوار تقدموا حتى أتصارع أنا وإياكم قبل أن يغيب البدر فى سرادق السماء وينجلى الصباح كما قيل فيه هذه الأبيات الملاح بعد الصلاة والسلام على أفصح الفصاح :

قد غاب وجه البدر فى ثوب السماء الأزرق
وبدا الصـباح كأنه نصح الحبيب المشـفق
فاشرب عليه واسـتبق قبـل الصـباح المشرق

(قال الراوى) ثم انها صاحت على جوارها وقالت لهم هيا الى المصارعة فتقدمت اليها الأولى فصرعتها وتقدمت الثانيـة صرعتهاوتقدمت الثالثة صرعتها أيضا وتقدمت

الرابعة كانت لأخواتها تابعة وتقدمت الخامسة أخذتها من غير ممارسة تقدمت السادسة أخذتها بلا مجانسة وتقدمت السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة أخذتهم مثل البروق اللامعة (قال الراوى) وما من كل واحدة تتقدم اليها إلا أن تحط يديها عليها فيصير أعلاما فيها رجليها حتى أخذت العشرة وهى تضحك وتمايل من العجب والدلال وبقت كلما صرعت جارية حلت زنارها من خصرها وكتفتها به (قال الراوى) وكان الصحصاح واقف وهو يتفرج ويعاين ثم انه قال والله ان لكل رزق سبب من الأسباب وما وصل بى الجواد ووقع بى الكرى إلا لأجل هذا الرزق الهنى الذى قد أتانى بلا تعب وهذه والله غنيمة مالها قدر ولا قيمه ثم انه عاد الى جواده وركبه وهمزه فخرج به كأنه السهم إذا برق وقدعاد اليهم وخرج عليهم وقد أشهر حسامه وأظهر صولته واهتمامه وكبر وصاح والجوار مكتفات وعلى النهر مطروحات والجارية التى كانت تضحك عليهم لما نظرت الى الصحصاح قامت وهى تضحك ووضعت أقدامها على حافة النهر وكان عرضه ستة أذرع ووثبت وثبة صارت الى الجانب الآخر وقد أمنت على نفسها ونادت برفيع صوتها : من أنت أيها الفارس فلقد قطعت عنا سرورنا وأفسدت علينا ما صلح من أمورنا وقد أشهرت سيفك حتى كأنك حملت على عساكر الملك (لاوون) أخبرنا من أنت ومن أين جئت لنا قاصد والى أين تريد واعلم أن الصدق من شيم الكرام والكذب من أخلاق اللئام فلاشك أنك قد تهت فى هذه الجهات وخلاصك منها أكبر القيمات وأنت صرت فى وسط هذا المرج فلو صحت صيحة واحدة لنظرت حولك من يدوروا بك على التحقيق ويأخذوك على رأس المزاريق فقل لى ماذا تريد فان أردت الطريق أرشدناك وان كان قد غرك فينا الطمع فهذا عين الهلاك . فلما سمع الملك الصحصاح كلامها قال لها اعلمى أنى فى هذه الليلة سرت بنفسى أطلب غنيمة أغتنمها فلم أجد غنيمة أعظم من هؤلاء العشرة جوار فى هذه الليلة المقمرة آخذهم بين يدى وأذهب الى أصحابى فقالت له الجارية : اعلم أن الغنيمة ماوصلت اليها بفعلك ولو أن الجوار غير مكتفات لوثبوا من فوق النهر مثلى وصاروا فى هذا الجانب وكنت رجعت عنهم خائب وكيف تقول انهم غنيمتك أما قلت لك ان الكذب شين فقال لهاالصحصاح السعيد من وعظ بغيره وقضيت حاجته وسلمت مهجته من غير أن ينال تعب .

﴿ تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير ابو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الرابع

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ بمصر

مطابع شوقى بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى) فقالت له اعلم ياهذا لو لا انى أخاف أن يكون هلاكك على يدى لصحت صيحة ملأت المرج خيلا ورجالا ولكن أنا من عاداتى أن أشفق على الغرباء فهل لك أن تنزل عن جوادك وتغمد حسامك وتحلف لى بدينك وحرمة نبيك أنك وما تعتقد من يقينك لاتدنو منى بسلاح وبعد ذلك أتصارع أنا وأنت فاذا أنت صرعتنى ضفنى على من عندك من الجوار وإن أنا صرعتك تحكمت فيك كما أختار فقال لها وقد فرح أنى رضيت بذلك فقالت انى أخاف من غدرك ولا تصدق فى قولك وتكون معذور فى ذاك لأن الجمال يغير عقل الانسان ويفسد الأديان فان كنت تحلف بما أقول لك عدت اليك فقال الصحصاح فى نفسه والله انى راغب فى أسرها لأنها ما تعرف من أنا ولو عرفتنى ماوقفت بين يدى ولكن أنا لا أعرفها بنفسى حتى انها لاتهرب خوفا منى ثم انه قال لها : ياصاحبة الحسن والجمال ومن مالت اليها عقول الرجال حلفينى بما شئت من الأقوال انى ما أضربك بحديد ولا أستعجل عليك حتى تأخذى أهبتك للقاء والصراع وتقولى أدنو منى حتى أصارعك فان ظفرتى بى عندى من المال ما اشترى به نفسى وان كنت أنا الظافر فانى نعم الغنيمة فقالت له صدقت لأنى أعظم فقال الصحصاح وذمة العرب وحق شهر رجب والرب القديم الذى اذا طلب غلب لقد رخصنى فى القيمة لأنك خراج جميع الآفاق من حجاز وشام ومصر وعراق فقالت له إن كان ولابد احلف لى بمن نصب الاعلام وأجرى الاقلام وركب الارواح فى الاجسام وأشرع الشرائع للأنام من يهود ونصارى وإسلام والا يكون حلال المسلمين عليك حرام والا يكون ما تقول النصرانية فى الثلاثة ان تعرضت لى بسلاح والا يلزمك الطلاق الثلاثة وانما تصارعنى وان غلبتنى فأنا لك حلال فقال للصحصاح

والله ان حلفنى قاضى قضاة المسلمين ما كان يحلفنى بمثل هذا اليمين ثم انه حلف لها ما أرادت من الأقسام وقد نزل عن جواده وربطه فى بعض الاشجار وهو غارق فى بحر الافتكار ويقول سبحان الملك الغفار الذى صورها بالاقتدار وخلقها من ماء مهين ثم صاغها فى قرار مكين وجعلها فتنة الناظرين ثم انه تشدد وتحزم وأخذ الأهبة للصراع وعلم انها مادعته الى صراعها إلا واثقة بنفسها وقد ناداها الصحصاح وقال لها ياستاه اعبرى الى عندى فضحكت وتمايلت عجبا وقالت له أعبر أنت الى عندى فانى لاأعبر اليك فقال لها والله ليس لى قدرة على ذلك فقالت له كيف تكون من الفرسان الكبار ولا تقدر على ماقدرت عليه البنات الصغار فقال لها أنت ماتأتى وأنا مالى قوة على العبور فكيف يكون العمل فقال والله ان ملكتها ما أجد هدية إلى الامير مسلمه إلا هى ولا أكافئه على ماصنع معى من الجميل إلا أن يكون بهذه الجارية إن عبرت الىّ وقربت منى ثم ان الجارية نادته وقالت له أما أنت على ماحلفت مقيم فقال لها نعم وحق السميع العليم فعندها وثبت مثل وثباتها فبقت عنده فدنا منها وتبين حسنها وجمالها فعاين لها جمال وافر وحسن باهر وجبين تحير فيه النواظر كأنها من الحور العين فبقت ليلى عند صباحة وجهها واعتدال قوامها وحسنها وجمالها كأنها الليل وهى هذه النهار لأنه نظر الى صورة قد أفرغتها يد القدرة بالجمال وهبت عليها نسمات وقابلها عند خلقتها طالع مسعود فمثلها فى زمانها ليس موجود ومحاسنها على صفاتها أكبر مشهود وقد ربيت فى حجور الدلال رومية الحكمة والجنس عربية اللسان والحسن تركية العيون كأنها شققت من حد الجفون تغزر حواجبها كأنه مرسوم حوله ترسل الجنون من بنات الروم إلا انها جمعت أحسن أوصاف العرب من كمال وجمال وظرف وذكاء وأدب ووفاء ثم انها نادت يامسلم تقدم قبل أن يهجم علينا الصباح بنوره الوضاح وكان عليها قميص مقصب مطرز بالذهب ولها أربعة عشر ذؤابة تنحدر على أكتافها ثم على الكفل يذهل من له نظر وهو يحكى ظلام الليل اذا غسق ولها عنق كأنه الغزال الأحور والشعر عليه ينحدر كأنها عقارب إذا لسعت العشاق لاينفع من لسعها ترياق وتعصبت بعصابة من الجوهر وهى على جبينها تزهر والصحصاح حين نظر الى جمالها تحير لأنه رآها فتنة لأهل الأرض فى طولها والعرض فحمل عليها وهو محترس على أخذها وقد تعلقت به وتعلق بها فما هى إلا وقد وقعت يده على خصرها فغاصت أنامله فى طيات أعكانها وهبت عليه روائح المسك من أردافها واذا ببطيخة عبيدى تحت دكة سروالها عندذلك استرخت أعضاه وقل حيله وقواه وزادت لوعته وبلاه وبقى فى مقام الحيرة والخطر وتأوه

وبان لها منه التقصير وعلمت أنه بطل نحرير ولكن ماحصل له ذلك إلا ببركة الشيخ الكبير عند ذلك أسرته وبقى فى يدها مثل الزعفة فى الريح العاصف وصار يهتز كأنه الولهان الخائف ثم رفعته وألقته الى الأرض وقعدت على صدره بكفلها فغاب الصحصاح لما أحس بذلك الكفل الذى كأنه تل من رمل أو جبل وقالت له يامسلم أنتم عندكم قتل النصارى حلال فما الذى تقول فى قتلك وأنت فى هذا الحال فقال لها يامولاتى ما القتل إلا حرام فى سائر الأديان ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتل النساء والصبيان والرهبان فقالت له إذا كان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد أوصى بذلك قم فقد وهبتك نفسك فقام من تحتها وهو خجلان فقالت له يا هذا لاتخجل ولكن من يدخل الى بلاد الروم فى طلب غنيمة ولم يكن فيه ما يدافع عن نفسه من ذات ضلع أقصر ولسان أعوج فهو الى بيته أحوج فقال لها يامولاتى فما هذه نصفه وما صرعتينى إلا بحسنك وجمالك وهذا هو الذى صرعنى وطرحنى وقد وقعت يدى على موضع ماتمكنت من القبض عليه بل تزحلقت يدى حتى وصلت اليه ولحقتنى الدهشة فان أنعمتى بدست آخر لأنى عنك غير قاصر فلماسمعت الجارية منه هذا الكلام ضحكت وقالت له قد أجبتك الى ذلك وماتريد من المرام غير أن هؤلاء الجوارقد طال عليهم الكتاف وتعبت منهم السواعد والأطراف والصواب انى أحلهم من الوثاق والآلام فلربما طال معك المقام فقال لها يامولاتى. ومن هو الذى يخالف لك كلام فدونك والذى تريديه فهؤلاء جوارك وأنا الآخر من ضمن خدامك ولا أريد أخالف مقالك فعندها تقدمت اليهم وحلتهم من الكتاف وقالت لهم بلسان الرومية اذهبوا الى حيث تأمنوا على أنفسكم حتى ينفطر طمعه منكم فعند ذلك ذهبت الجوار من حيث أمرتهم والصحصاح ينظر اليهن ولا يبدى لهن خطاب ثم إن الجارية عادت اليه وقالت دونك وما تريد ودنا كل واحد منهم الى صاحبه ورفعت ثوبها على كتفها وأعطته وركبها وانحنت عليه فعندها ارتخت مفاصله وعجزت قوته ولما علمت منه ذلك رفعته أسرع من البرق وجلدت به الأرض وقالت له خذ كفلى فى صدرك واعرف قدرك ثم قم فقد وهبتك نفسك مرة ثانية لأجل غربتك وضعف قوتك وان كان فى عسكر المسلمين من هو أقوى منك فارسله إلىّ ودله علىّ فأنا للصراع ملاكمه ومجالده ومضاربه ومخادعه ولم رأيتك تعرف شيء من هذا فقال لها وقد غضب من كلامها والله ياهذه ماصرعتينى أولا وثانيا إلا لما ضرنى كفلك فما بقى إلا أن تنعمى بالدست الثالث فهو دست القوة والصناعة لأن عقلى رجع إلىّ فى هذه الساعة فلما سمعت كلامه قالت له

سمعاً وطاعة ثم انها انحنت فصارت كأنها خشب محراب أو مقام فتمنى الصحصاح أن
يكون امام ويصلى من خلف أو من قدام وقد انحنى الصحصاح وصار فى الجد لافى
المزاح ووجدت منه قوة لم تعهدها فى أحد قط ولاشاهدتها فيه لافى الأول ولافى الثانى
فقالت له يامسلم قدأخذت لنفسك الحذر قال لها نعم لعلى أن ما بقى خلاف هذا الدست
فضحكت فى وجهه فلمع ثغرها كأنه مصباح ثم أومأت بيدها كأنها تريد كتفه فرفع
يده يريد أن يردها فخطفت ركبته أسرع من البرق وعلقت رجله وألقت ثقلها عليه
أرمته الى الأرض على ظهره وقعدت على صدره وقالت له رجعت قوتك اليك كما
ذكرت وأخذت بثارك من النوبتين الأولتين وما قصرت الآن اذهب الى المسلمين
ودل علينا غيرك يامسكين ثم انها جمعت نفسها ووثبت فعبرت الى الجانب الآخر
وقالت له يعز علينا فراقك اذهب قبل أن يطلع عليك الصباح وتخرج البطارق اليك
بالسلاح وأنت ما فيك قوة تدفع بها عنك النسوان فكيف تدفع الابطال الشجعان
فتحير من ذلك وصغرت نفسه عنده وقال لها وقد أعرضت عنه وهى طالبة القلعة
يامولاتى تمضى وتتركى هذا الغريب فضحكت وقالت له متى كانت الصحبة والمودة قبل
حاجتك فقال كيف أطئ أرضك وأرجع من غير ما آكل من طعامك وقد صرت
تحت زمامك وظهر لى إحسانك فاكرمينى من غداك فانى أريد أن أكون ضيفك
فقالت لايأبى الضيافة إلااللئيم مرحباً بك على الرحب والسعة والكرامة اركب جوادك
وسر على جانب هذا النهر فأنت فى ضيافتى ولو أقمت شهر كامل (قال الراوى) ففرح
الصحصاح وبادرالى جواده فركبه ولم يزل سائراالى أن وصل الى جسر ممدود بأخشاب
من الجوز فيها بكر بسلاسل البولاد وفيها أقفال وكلاليب فلما نظر الى ذلك تعجب
غاية العجب ونظر واذا بالجوار الذين كانوا معها هنالك قيام فى انتظارها فكلمت
جارية منهن بالرومى أن قومى اليه وخذى جواده وائتى به الى الحصن ثم ساروا والصحصاح
معهم الى أن صعدوا الى القلعة فتحير الملك الصحصاح مما رأى وقال ياليت الأمير مسلمه
كان معى فى هذه الليلة وقد قال لها يابديعة الجمال وقاتلة الرجال الآن قد صار لى عليك
حرمتان حرمة الصحبة والأخرى سعيي الى منزلك والى طعامك وبتيت تحت حكمك
والزمام فلو أنك تنعمى لى بالمسير الى عسكر المسلمين وتتفرجى على كتائب الموحدين
ويبان لك من هو ضيفك ويقابل إحسانك بمثله ولو انه لم يقدر على القليل منه فلما
سمعت كلامه تلألأ وجهها وأقبلت عليه وقالت له وحق المسيح لقد كنت عندى ذو عقل
والآن قد رأيت ما فى باطنك من العناد وكيف تتكلم بكلام تنسبنى به الى الفساد

كيف كنت أصنع وأنا أعلم ان مثلى إذا حصلت عند خليفتكم لم يكف نفسه عنها وعن سفاحها وكيف إذا وجد سبيل الى التحليل والنكاح ونحن نحل لكم فى شرعكم حيث عندكم فى القرآن وما ملكت أيمانكم وكيف اننى اطمئن اليكم وأما قولك تفرجى على عسكر المسلمين فأول ما نزلتم على الخليج لم أر لكم ترتيب الملوك وانما أنتم عرب الحجاز وليس لكم رونق الملك وان كان قصدك أن أرى أموالكم فذلك فى عينى حقير والمال عندى كثير وقولك تعرفينى من أنا فانى لم افعل الجميل لاجل جلالة قدر الانسان انما أصنع الجميل لكل قاصى ودان وما كان يجب لمثلك أن يقول هذا الكلام ولوكنت الصحصاح المقدم على عساكر الاسلام فقال لها وهل سمعتى خبر الصحصاح قالت نعم وقد رأيته وهو فى لامة حربه فى مرج الخليج وكان يلعب بالاكرة والصولجان مع الأمير مسلمة ابن خليفة المسلمين وحق المسيح لولا خفت أن يسمع عنى انى جاريه من بنات الروم لخاطرات بنفسى مع عساكر المسلمين وقتلت مقدمهم وما كان علىّ عارفى ذلك وانما أخشى أن تكثر خطابى وأنا لم أرغب فى الزواج ولا فى الرجال بل يميل قلبى إلى ربات الحجال وانما أخشى أن يصير خبرى إلى ملك الروم وما أدرى بعد ذلك ما يكون لأنه كما قيل والأذن تعشق قبل العين أحيانا ولى الزواج شاغل لأنى قرأت الكتب وسائر كلام العرب وأشعارهم وملوك الروم وأخبارهم ولى فى الفروسية أكثر مما رأيت فى الصراع ولا أحب أظهر نفسى بالشجاعة وقد ظهرت لك العلامة ولو حضر الصحصاح مقامك فى هذه الليلة وقيل له نط هذا النهر لعجز عن ذلك الحال ولا يمكنه هذه الفعال وهل هو الا تربية البرية من العرب الذين لا لهم تجمل ولا أدب وإنما تقدم على هذه الجيوش بسبب وقد أعادت عليه قصة الأميرة مروه كانها عاينتها ولولا خوفى من الذى قلت لك عليه لمضيت اليه وآخذ روحه من بين جنبيه وانى أشتهى من السيد المسيح ان يأتى الى حصينا حتى أخرج اليه فى زى الرجال من العرب ليعلم من الشجاع المنتخب ولما سمع منها هذا الكلام أخذته نخوة العرب لكن رده حسنها والجمال وكان لها أعظم شافع وقد أمسى الصحصاح وهو من لحظها يتألم بلا جراح وهو كما قيل

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بالف شفيع

وقيل أيضا فى حق شفاعة الحسن وقوة الصراع هذه الأبيات

فى وجهها شافع يمحوا ساءتها من القلوب وجيه لها شفعا
إذا تأملتها ناديت من عجب البدر فى ليلة الاقبال قد طلعا

لو أن عنترة العبسى سارعها　　　مع وصف قوته فى ساعة صرعا

(قال الراوى) ثم إنها أخذت بيد الملك الصحصاح وساروا حتى وصلوا إلى القلعة فأتوا إلى خدمتها البوابين ولم يجسر أحد أن يسأل عنه قال الصحصاح فرأيت درج فطلنا إلى أن وصلنا إلى باب عظيم بقنطرة ففتح ودخلت وأنا معها فرأيت سبع دهاليز فى كل دهليز قنديل من البلور يشعل وتلقتها الجوار بالشمع المكفور فى أنوار الذهب ثم انه قال لقد صغرت عندى كل نعمة رأيتها ثم دخلت إلى الدار فرأيتها مرسومة بأنواع الصور وسقف الدار مطلى بالذهب الأحمر والأرض بالرخام من كل لون يحير وبركة مركب عليها أربعة وعشرون أنبوبة ترمى الماء حول ذلك الرخام وفى ذلك المكان سرير عليه فرش من الحرير فقالت الجاريه اصعد على ذلك السرير فصعدت وغابت الجارية عنها فقيل انها ذهبت الى منامها لأن الليل قد اقترض والظلام قد اعترض ولا بد للعين أن تأخذ حظها من النوم ولكن هانحن برسم خدمتك ممتثلين أمرك ثم انهم حملوا اليه المائدة وفيها من غرايب الأطعمة فأكل من الدجاج لا غير وغسل يديه وبقى متفكر فى شأنها وكيف سلم نفسه اليها وهو حماية المسلمين وكيف صار فى هذه القلعة مع الكافرين فرجع على نفسه بالملامة وقال ما عذرى يوم القيامة وقد القيت نفسى فى التهلكه ويكون ذلك سببا لكسر عساكر المسلمين وكلما صنعته من الفعل الجميل يذهب به هذا الفعل القبيح إنا لله وإنا اليه راجعون ولم يتم ليلته إلا وهو سهران إلى أن طلع الفجر وظهر الصباح وقد قيل فى الأمثال لاعيش لخائف ثم ادعا بالماء فأتوا اليه بأبريق من الذهب وطست من الفضة فتوضأ وصلى صلاة الاصباح وهو متفكر فى حاله نادم على فعاله وقال لقد نفذ سهم القضاء فى مهجتى وغطى المقدور على بصيرتى فما عذرى غدا إذا وقفت بين يدى الملك الجبار ويسأل كل راع عن رعيته وقال لى ياصحصاح ما الذى حملك على ترك مصالح المسلمين فى بلد غريبة البلدان مقام أهل الكفر والطغيان يعبدون الصخور والصلبان ما الذى صنعت فيما استخلفك فيه الخليفه وما رعيت فيما استرعاك ولا كافئته فيما أنعم عليك وأعطاك بعت الآخرة بالدنيا الساحرة حتى نظرت وجه الكافرة وجعل الصحصاح يتضرع ويتذلل إلى الله سبحانه وتعالى ويقول يامن صرف كيد النساء عن يوسف عليه السلام يامن لديه كل غاية ومطلوب ولم يزل كذلك قلقا مما حل به من الشدة والفكر وقد طالت عليه المدة فأنشد يقول صلوا على الرسول

لم أعدم الحزم ولكننى　　　ذهبت فى المأمن من مأمنى

من كان يكشف عن قصتى   من بعد ذا الظفر قط مالامنى

(قال الراوى) واذاهم بصيحة عظيمة قد أقبلت وهم أكثر من عشرين جاريه كأنهن الأقمار مثل البدور وقد أسلبن الشعور وفى وسطهن تلك الجاريه وهى كانها الشمس الضاحيه فى السما الصاحيه وعليها ديباجا ملكى وفى وسطها زنار محبوك بأنواع الجواهر وضم الزنار خصرها حتى صار محبوك وردف كانه كثيب تحت قضيب ونهد فى صدرها كانه معقود يغيب العقول عن الوجود وأما الصحصاح فانه كادأن يطير من الأفراح ونسى العسكر والخليفة والكل راح ونظر إلى رأسها وإذا عليها شبكه من اللؤلؤ الرطب الكبار الذى لايوجد مثله فى سائر الأقطار ومن حوله الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق وهى تضىء كانها مرآة والجوار عن يمينها وشمالها يرفعون طرف اذيالها فوثب الصحصاح قائما وإلى الأرض لائما وكادان يطير عقله عادما ورأى ماتتحير فيه الأبصار وتدهش عند رؤيته الأفكار ولما ان رآها كادأن يصرع وجعلت الجاريه تنظر إلى الصحصاح وتكرر فيه النظر وقد أجلا النهار غوامض الأسرار إلى أن حققته وعرفته فتحيرت من هذا الاتفاق الذى تدبر باذن الواحد الخلاق فتقدمت اليه وقالت له أنعم المسيح صباح الملك الصحصاح وأصبحت بأسعد صباح كيف كانت ليلتك بعد الصراع والمزاح فقال لها وقد تحير من كلامها ياسيدتى ما هذا الكلام وأين هو الصحصاح فقالت له ان الكذب عند العرب منقصه وعار لاسيما عند الملوك الكبار وأنت أمير الجيش والمقدم على عساكر المسلمين وزخيرة أمير المؤمنين وترس قبر نبيكم محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لاتكتم حالك ولاتخفى شأنك فما أسمع محالك وأن الكذب يورث الغضب والسخط والبغضه وقد نفذ فيك سهم القضا فعليك بالتسليم والرضا فقال والله أنا والصحصاح دونك وما شئتى فافعلى لأننى بحكمك وتحت زمامك فان كنتى على العهد فانا كذلك وان أبيتى ونقضتى الذمام فانى أنقض الأمان ولا على فى ذلك ملام لأنى ما نقضت إلا وأنا فى أضرم النيران ولست والله بخائف أبدا وما أتيت معك إلى هذا المكان إلا ولى طاقة بأنى الق أهل القلعة من رجال ونسوان وشيوخ وغلمان واللهولو كانوا ألوف أسقيهم بعون الله وقوته كاس الحتوف وأملك الحصن قهرا وأقتل كل من فيه خمسا خمسا وعشرا عشرا وأنا ابن جند به المعروف بين الخلق بدوى وحضر فقالت لما سمعت كلامه وبان لها شدته واهتمامه ياصحصاح لقد وصفت نفسك بالصفات الملاح ولكن أين كان عقلك لما بدت لك ربيات الحجال الذى غير راغبه فى الرجال ووقعت فى

زهق خديعتها وصرت فى قبضة حيلتها وقولك أنك تأخذ الحصن فهو كما غرك الطمع فى أخذ الجوار وكان الأمر بخلاف ما فى نفسك وما تختار فأحسن كلامك وأغمد حسامك فاننى أتحمل منك أكثر من هـــذا لانك ضيفى وأ كلت طعامى وتحزمت بزادى وصرت تحت زمامى وحق السيد المسيح لو أن أهل الحصن طلبوك لما قدروا عليك ووصلوا اليك إلا أن تذهب روحى بين يديك فأنت فى أمان المسيح وأمانى وقد سألتنا الضيافة فاضفناك والى العربده ما أوجبناك وانما حين نزول العسكر شاهدناك ولهذا قد عرفناك وقيل ان المعرفة نسب لاسيما عند سادات العرب وعند أهل الكرم والحسب (قال الراوى) ثم جلست إلى جانبه تحادثه وتضاحكه فزال غضبه ومضى وعلم أنها لو أرادت به غضبا لفعلت فى ليلتها ثم انها كلمت جاريه بالرومى فغابت ومضت وعادت ومعها قدح من الذهب مغطى بمنديل وفيه قطعة من الثلج ولبن حليب وعسل نحل قد مزج بمـاء الورد والسكر النبات وقالت ياملك العرب لاتلومنى على هذه الفعال لأنى سمعت عن بلاد الهندانهم يستعملون المعاجين والأطعمة مع حوز الطيب وورق الزنجبيل ومع ذلك كل من وصل إلى بلادنا كان هذا له أطيب وأحسن وأجود يزيل مابه من الأذى لأن البقاع تغير الطباع مثل الرضاع ثم ناولته الكاس وقالت له اشرب فما عليك من باس فأخذه وهو متفكر فى نفسه ويقول هذه شربة الهلاك وربما تكون رامت قتلى من غير مدافعه وأريد أجاهد فيهم بسيفى فهو أفضل مما أشرب شراب حتفى فعلمت الجاريه سبب توقفه فقالت له وحق المسيح ما الأمر كما خطر ببالك وليس لمثلى أن يميل إلى ذلك ولو أردت قتلك لكان ذلك بسيفى ولا أعجز عنك وحدى وفى وقت صراعك كان معى سكينه مسقيه بماء المنيه ولو كنت أردت قتلك لفعلت ولـكن قد قيل عنكم أنكم رويتم عن نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كان الغدر طباع فالشفقة بكل أحد عجز فهات الكاس وأخذته وشربت منه ثم ناولته اليه فشرب وقد طاب قلبه فقالت له هنيا فهذا موضع قبله من فمى ثم أنها أدعت بالطعام فأتت الجوار بمائده عليها من غرائب الألوان النافعه لصحة الابدان من حلويات ولحومات ومن جميع أصناف الطعامات ثم جعلت تحادثه وتلاعبه وتقدم له لحم الخرفان الرضع والدجاج المثمن وبقى الملك الصحصاح متوقف عن أكل الطعام معرضا عن ذلك الأنعام فنظرت اليه نظرة الـكرام وعلمت سبب امتناعه عن الطعام مع حاجته اليه وهو جيعان فقالت له ياصحصاح وحق فالق الاصباح وخالق الأرواح فى الأشباح الذى اختص بأنواع شتى وهو الذى يحي الموتى لا أستحل أن

أدعو مسلما إلى ضيافتى وأطعمه لحم الخنزير ولا يكون طعامه إلا فى آنية ماطبخ أحد فيها وتكون غسلت سبع مرات وعندكم تزول النجاسة من الاناء بغسله ثلاث مرات إلا ما لفق الكاب فانه يغسل سبعه مرات احداهن بالتراب ولولا أن نبيكم صلى الله عليه وسلم أغلظ عليكم فى لعق الكلب وإلا كانت العرب من حبها فى الكلاب ما تأكل إلا معهم حيث يحرسون لهم البيوت فكل الآن وطيب قلبك وأنا المتقلده فى ذلك بذنبك فلما سمع منها ذلك الكلام علم أنها قرأت شىء من العلوم والآداب فقال لها والله يامولاتى ما رأيت فى سائر النساء مثلك وما بقى يعوزك شىء سوى الاسلام ومايكون تحت السما مثلك فى سائر الأيام فضحكت وقالت كذا قولى أنا أيضا لو تنصرت أنت لم يكن فى النصرانية مثلك لأن لك شواهد تدل على انك أشجع أهل زمانك خصوصا حيث القيت نفسك إلى حصن فيه عالم عظيم وعز مملكة الروم ولو أرادوا بك سوء القيتهم وحدك وكنت بهم مليا وهذا غاية ما يكون من الأقدام فكل الآن الطعام واقبل مايكون من الاكرام فوحق المسيح اننى من القوم الذين وصفهم الواصفون موائدهم لم تزل مصفوفة وأموالهم للسائلين غير معكوفة فجعلت تسايره وتحادثه وهم يأكلان وهى تقول حسن أكل الانسان يدل على بيان صفته ولاتنكر حديثى فقد قال نبيكم عليه الصلاة والسلام إذا كلتم فتحدثوا بخلاف اليهود والنصارى والعجم إذا أكلوا لزموا السكات هذا والملك الصحصاح طاب له الطعام وأفرحه هذا الكلام وهو يأكل أكل الملوك أهل الأدب وهى تتعجب من حسن صفاته وكماله ومع ذلك فهو من العرب الذى لاعندهم حياء ولا أدب وبعد ذلك قدمت الفواكه والأثمار وأنواع الحلويات والمربات فقال الصحصاح فى نفسه طعاما ماأكلته طول عمرى وبعد مارفع الطعام وضعت بين أيديهم الأباريق والطشوت التى هى من الفضة والذهب وقد أمرت باحضار الشراب الذى عتق وحير الألباب فاتوا لها بالصهباء التى قد أخذت برد الماء وحفه الهوى ولون النهار وحمرة الجلنار وطعم العسل ورائحة المسك الأزفر وسكبت منها فى الكاس ومزجته فكان كما قال القائل

لست أدرى من رقة وصفها هل هى فى الكاس أم الكاس فيها
أسقنيها صرفا ولاتمزجيها لأقتل الهم والغم فيها

(قال الراوى) ثم مدت يدها إلى الملك الصحصاح وقالت له تفضل اشرب ياملك العرب حتى اغنى لك فقال يامولاتى أنا رجل حاجى ومجاهد فى سبيل الله سبحانه وتعالى وهذا عندنا حرام فقالت اسمع ياملك وحق المسيح ما يجدشيئايدبر عامود نور

العقل مثل هـذا الذى يجرى فى الأعضاء إلى عروق الصلب وبها يذهب كل هم وغم ويجلب الفرح والمسرة ولايخرج الانسان من عقـله حتى يفعل فعلا يدل على جهـله وان لم يغلب السكر على العقل واللب فليس ذلك بعيب على أنه يغضب الرب فقال يامولاتى ليس لى بذلك من حاجة فقالت له ياملك عندى ما هو أعظم من ذلك وهو شراب التفاح الذى هو عندكم مباح وهو عندكم ليس بحرام فما قولك فى هذا فقال ان كان هذا ليس بحرام فلا بأس به ان حضر فاقبلت على جارية من بعض الجواروكلمتها بالرومى فغابت وعادت ومعها ثلاثة جوار يحلمن ثلاثة أوانى من الذهب وفى كل آنية قنانيتين وجام وطاس وجميع ذلك من البلور وفى ذلك شراب التفاح وفى الثانية مطوق السكر والعسل وماء الورد الجوزى وهو المثلث الذى طبخ على النار وقد وضعوا الجميع بين يدى الملك الصحصاح إلا أنها خشيت أنه يتوهم من ذلك مثل ماتوهم فى الأول فشربت من كل آنية قدح فأنار زنار خدها وقدح وطلع على وجهها نور الفرح ثم أخذت من شرابها قدحا قالت هذا هو الخندريس وهو الشراب النفيس لاسيما فى يوم الخميس وما قصر من أكل من ذى اللحوم وأطيبها وأصلحها وأعذبها وهو لحم الضأن وهو يزيد فى الجسم ثم انها جعلت تشرب وكلما وضعت القدح على شفتها يزيد فى حمرتها وقد اجتمع فى وجهها لونين البياض والحمره فكانت روضة للناظرين ونزهة للعاشقين ولم تزل تشرب إلى أن دبت الصهبافى رأسها وطلعت الخمرة على تلك الخدود وماست ومالت فى أعطافها إلى الحد الذى يوجب الحد فظهرت فى العيون النرجسية وتوردت الخدود المذهبه هنا لك هتكت أنامل المدام ستور الاحتشام ونادت عندذلك بجاريه وقالت لها اسرعى بعود فهو أفخر الملاهى لمن يكون بذلك لاهى ثم قالت ياصحصاح هـذا النا مباح وليس علينا جناح والله تعالى يعفو عما فوقه ويعاقب ماهو دونه فلا نقول ما اسمع الغنا كما قلت ما أشرب الصهبا فما يكره ذلك الا عديم الحس سقيم النفس لاسيما إذا كان المغنى قد كمل الملاحه وحوى فيه الفصاحه وقد قيل فى هذاالبيت المفرد

ان كنت حازقا فاشرب مع مغنية فما ينطق الفن حتى ينطق العود

ثم انها ادعت بعود ناطق بلا لسان يطرب الحزين الولهان وترتاح اليه القلوب من حسن الألحان وعنـد ما أصلحث الأوتار اسرت القلوب ودب سرور الصحصاح ونسى الفرق بين الحلال والحرام وجعل ينظر اليها وإلى ما أعطاها الله تعالى من الحسن والجمال وخصها بالكمال وحسن الصوت اليها والدلال فكانت الدنيا عنده لا تساوى شىء كما قال فيها القائل هذه الأبيات

لعوبة بألباب الرجال كأنها إذا أسفرت بدر بدا فى المحامد
من البيض لاتلقاك إلا مصونة وتمشى كغصن البان بين الولايد
كأن الثريا حين بانت عشية على نحرها منظومة فى القلايد

(قال الراوى) ثم ان الصحصاح قال سبحان من خلقك من ماء مهين وكونك فى أحسن تكوين وأن الجارية جست أوتار العود وضربت عليه طرايق عدة ورفعت صوت أطيب من النعيم وأرق من النسيم حلو النغمة يحكى صوتها الحمامة الولهى وتورث المسامع وتحرك الساكن الراقد ويعود العابد بوصالها عابد وتشجى القلوب وتصبح العاشق من هجرها مكروب وتستقر اليها النفوس ووصلها يزيل الهموم والعكوس وان غناها كان بالرومى فلم يفهم الصحصاح منه شيئا ولكن من حلاوة صوتها ونغماتها وحسن صناعتها لعبت بالعقول وسلبت لب أصحاب المعقول وكل من سمعها سكر من غير شراب راح وطرب وارتاح وتمايل كتمايل أغصان التفاح عند هبوب الأرياح . ولما رأته الجارية قد طرب وفرح ولعب ودبت فيه نغمة الوتر حتى لم يبق له مصطبر فعندها غنت بصوت شجى ولحن ندى فصاح الصحصاح لما سمع منها الغناء العربى وقد أخذت بعقله ولبه وهى تغنى وتقول هذه الأبيات :

طلعت من مطالع الأزرار وهى شمس تعرف بشمس النهار
وقد أفرحوها بدم العشاق فصارت تحكى شقايق الجلنار
فأشارت بكلام أمضى وأنفذ من حد صارم الاقتدار

(قال الراوى) وعند ماسمع الملك الصحصاح هذا الغناء من الجارية قال وحق من بعث محمداً صلى الله عليه وسلم نبيا واصطفاه بالرسالة نجيا لقد خيل لى من فرط الطرب أن الدنيا تميل من تحتى والسماء تلعب فقلت لها يامنية القلب وراحة اللب ونزهة الزمان وياقرة عين الإنسان لقد نسيت بك والله العسكر وذهب عنى الفكر وحل بى ماقد حل فقالت ياملك العرب أغنى صوت ثانى فقلت لها ومن الذى يكره العافية أريد منك ثانيا وثالثا وان زدتينى من هذه النغم فتكونى قد غمرتينى بالاحسان والإنعام فقالت صدقت ولكن والله الثالث هو شرط الكفاية من المغنى وأما غيره إذا حصلت العناية فعلنا فقال لها حبا وكرامة إن القليل منك كثير فقالت :

الزهر مثل سوالفى وخدودى والظل مثل مخانقى وعقودى
والعود قد لعبت جوانب مائه ما بين أفخاذ وبين زنود
فاشرب لمن عقد المزاح حبابها راح لفرط سلافة العنقود

(قال الراوى) ولما فرغت الجارية من هذه الأبيات نظرت الى الصحصاح فوجدته قد غاب وعدم الحركات فضحكت وقالت له يانور العين هذا الثانى وبقى الثالث وبعد ذلك انبسط كما تحب وتختار فقال يامولاتى ما ينبغى للعبد أن يخالف مولاه فيما يأمره به وينهاه فليطلب رضاه ويبلغه مناه فعند ذلك تبسمت وجعلت تقول :

لاتشرب الخمرة الصهباء يا أملى ... إلا على طفلة حسنا كما يجب
يا منشد الشعر غنى لى على قدحى ... واملا واسقينى من ابنة العنب
لما تولع منى الطرف بالوصب ... تمكن الحب فى الأحشاء والنهب
وانهل جوهر الدمع من مقلى ... يسح سحا مراميها كما الشهب
فالحب أصعب من ضرب الحسام ومن ... طعن القناة ورمى النبل فى الصعب
والبعد يمرض من لا يطيق له ... والهجر داء من أصعب الصعب
أجالساً بين هذى الغيد ينظرهم ... اشرب هنيئاً وطب يا أطيب النسب
يا ابن جندبة يامنهل الجود ويا ... من هتك الغيد راعى الله ياعربى
اصغا نظامى وكن بالله حاكمنا ... واجلى معانيها بالله وانتحب
عارضت شعرك فيما قد نطقت به ... فقلت لفظا بها من أعجب العجب

(قال الراوى) فلما سمع الملك الصحصاح فيها ذلك الشعر غاب عن الدنيا وقد زاد فرحاً وسروراً واستعذب كلامها وشعرها ونظامها وقال فى نفسه ان هذا أمر عجيب مع أنها روميه وفهما زايد فى العربيه ولكن قد أعطاها الله الحسن والجمال وأطلق لسانها بالشعر والنظام ثم أنه زاد به الشوق ورجع الى طبع العرب فأنشد

الجسم منى أورثمتوه الضنا ... وخلفتوا جسمى يرعى الصباح
أواه ما الصعب الا من الهوى ... على أهل العشق أهل النواح
من ذا الذى تظن الحب سهل يطاق ... أو شبه الجد مثل المزاح
من لم يكن يعشق حسان الوجوه ... ويشرب الصهبا بين الملاح
ها ذاك اتركه كذارى به ... ما ذاك بين الناس الانطاح
والعاشق الولهان مجلى الخمور ... ها ذاك عندى ما عليه جناح
ياست البنات ويامنيتى ... إنى أنا الصحصاح ليث الكفاح
يامن لها المجد على مثلنا ... وقدها قد فاق طول الرماح
أصبحت حيران كثير السها ... مضنى ولكن ما علىّ جناح
إذا صحت أو عربدت بين الورى ... وزدت بالشكوى وكثر النواح

من ذا يلومنى فى البكا والنحيب والقلب مأسور بيد الملاح
هم فتنة الدنيا ولذاتها بهم يطيب العيش والانشراح
كم أهلكوا شخصاً وكم قد غدوا ومنهمو من قلبه فى العشق راح
فاختر لنفسك فى الهوى جويرة واعكف بها جهدا على شرب راح
واشرب شراب الخمر بين الورى واستنشق السوسبان بالعبق فاح
والورد فى الأزهار سلطانها والآس والمنثور لبسا الوشاح
والزهر والنسرين ثم العنبر والياسمين قد زاد حسنه الاقاح
وانظر الى النور قد صار لونه أصفر وأخضر ثم أحمر فراح
بالله ياسافى المدامة أدر خمر القنانى بين أهل السماح
وقل لقضاة العشق ياظلما لو كان حرام العشق ما كان صلاح
فالعشق فى الأصل شرب الخمور هذا وإن شئت فعند الصباح
ما حكم الأقدار بأشعارها بنت المغانى هى قهوة الاصطباح
وأنا فارس الأبطال عند اللقا فاصغى الى حسن المعانى الصحصاح

(قال الراوى) فلما سمعت الجارية من الملك الصحصاح هذا الشعر والنظام هاج بها عند ذلك الغرام وزاد فى قلبها الاضرام وقالت والله هذا هو الكلام ثم انها أخذت العود وضربت به الى أن رقص المكان طرباً وأشارت تقول :

يانسيم الصبح قد هيجت بلبالى ولم تزل نغمة الأوتار الحلال
مدامة بكر فى دجاجتها كأنها الشمس فى نور وإشعال
فى أول الصبح ما أحلى مذاقتها وآخر الصبح قد تبدو بترحال
بديعة القد تغدو والجمال لها عم أعم بها والحسن فى الحال
الله أكبر وا غوثاه يا أملى مثلى بعين على حالى وترحالى
والله ماكنت عنكم فى الهوى سالى لو سال دمى ولو أن الحشا سالى
وكيف أسلوكم ياسادتى وبكم يطيب عيشى ولا بالوصل أوصانى
فكيف لاترحموا صباً يهيم بكم ودمعه فوق صحن الخد هطال
أصبحت زائد وجداً ووهانا ولو رآنى عزولى اليوم أرثا لى
قلبى قريح وفيه النار ساكنة معذب نيران بين الضنا حالى
ياويل من ملك المحبوب يهجره وسلوه لمن فى حبهم سالى

(قال الراوى) فلما سمع الملك الصحصاح منها ذلك الشعر والنظام قال لها والله

يامولاتى انى لم أزل طول عمرى مشتاق وداعى لعمرك بطول البقاء وقد ذكرتينى بأيام الصبا والانشراح وجلبتى إلى السرور والافراح وقد زاد بى البسط والانشراح وإنى لا أريد فراقك لا فى المسا ولا فى الصباح وان قدر المولى علينا بالفراق فياطول بكايا والنواح وإنى أسأل الله تعالى أن لا يفصل لى منكى جناح ويعطف قلبك علينا وتسمحى معى بالرواح ولا يكون عليك فى ذلك جناح وان كان غير ذلك فانى أسأل الله تعالى الملك الفتاح أن يصبرنى على فراقك فى الغد والرواح فلما سمعت منه الجارية ذلك الكلام ضحكت وقالت ان كان لك نصيب فى ذلك يكون لله الأمر الذى يقول للشىء كن فيكون فلما سمع الصحصاح ذلك الكلام طمع فيها وقال ياهل ترى رق قلبك إلى دين الاسلام وان كان كذلك فما بقى على ملام وان ملكتها أخذتها إلى ابن أمير المؤمنين فى الخيام فبينما الصحصاح والجارية فى ذلك الكلام وإذا بضجة عالية وجلبة نامية ورجال عليهم هاجمة وهى زاعقة وبأيديهم السيوف بارقة وهم مايه من البطارقه ومع كل واحد منهم حربة وطارقة وهم ينادون بالروميه ويقولون وقعت ياخبيث فى ذلك الأسر وغلبة القهر ياكلب العرب قد نزل بك الهلاك والعطب ولا بقى ينجيك من هذا المكان الهرب ولما نظر الصحصحاح إلى ذلك أيقن بالهلاك وسوء الارتباك وذهب ماكان فيه من السرور والطرب وقال لقد عملت على هذه الجارية الحيل وما كانت أمهلتنى فى هذه الأيام وشغلتنى بالغنا والأشعار وشرب العقار إلا زورا منها ومحال وقد خدعتنى بحسن المقال وما فعلت معى هذه الأفعال إلا حتى وصلوا اليها هؤلاء اللئام ولقد أوردت نفسى موارد الهلاك والانتقام ثم انه التفت إلى الجارية وأراد أن يوبخها على غدرها فوجد وجهها قد تغير وعلاه الغتام وقد ركب عليه بعد الحمرة الاصفرار بعد ماكان مثل الجلنار وقامت على الأقدام وبقت فى وجه هؤلاء البطارقة الاجرام وقالت لهم ياويلكم من أنتم ومن أين أقبلتم يانسل الحرام فقال لها البطريق المقدم عليهم وهو المشار اليه فيهم أيتها الملكة الكريمة والدرة اليتيمة أما تعرفى من هو الذى عندك هذا هو مخرب البلدان ومذل الشجعان ومبيد الأقران وخارب بيوت الأصنام والصلبان هذا المقدم على عسكر خليفة الزمان هذا نار الملة الحنيفية هذا مفنى أهل ماء المعمودية هذا الذى يتم أولاد النصرانية هذا قاتل الملك أرمانوس ومهلك البطريق مقلاعوس هذا الذى لاقت منه الروم الذله والبؤس ورأينا منه كل يوم معكوس هذا هادم البيع وقاتل الرهبان والقسوس وقد أوصلت الينا أخباره مع الجاسوس وتحدث معى الملك لاوون بأمر هذا المنحوس ولما سمعوا الروم أنه عندك

فرحوا بذلك لأنه يا ملكة كانت جواسيس الروم فى عسكر المسلمين فلما كانت ليلة عيد الصليب خرجت سراياهم وما خرجت سرايا وإلا ومعها جاسوس يكشف حالها ويعلم الملك بفعالها إلى أن خرج هذا المقدم على جيوش المسلمين والجاسوس يتبعه إلى أن وصل به الجواد ودخل به وسط الأشجار ثم خرج ووقع بجوارك وحصل بينك وبينه ماهو كيت وكيت والآن هو تحت يدك وقد احتويتى عليه بصولتك عندها أتى الجاسوس وأخبر الملك بذلك وانه قد أرسلنا وهو يسلم عليك ويقـــول وحق المسيح ان القلعة التى أنتى فيها والعشير التى يليها اليك مسلمة فان الذى حولها جميعاً قد أصبحوا عتقاك من هذا المسلم الذى احتويتى عليه فالمسيح يطول عمرك ويمتعنا ببقاك قد نصرتى عسكر الروم بأخـذك لهذا البطل الهجوم وأرحتيهم من القتـال والحرب والنزال وعندما سمعت منه هذا الـكلام تغير لونها وقالت له من أنت أيها البطريق فقال لها أنا عبدك جرفناس بن بولص بطرق البطارقة فقالت وكيف دخلت من باب القلعه من غير إذنى فقال ياملـكة وصلت إلى الباب فما منعنى أحد وما جرت العادة بأن رسول الملك إذا جاء يقف على الباب وليس هذا موضع الاطاله لأن الوقت ضيق والملك منتظر وصول هذا المسلم اليه الذى أمرنا بأخذه حتى ترحل عسكره عنا وينقطع طمعهم منا (قال الراوى) ولما سمعت الملـكة ألوف منه ذلك الـكلام تغير لونها واضطرب كونها وقالت اسمع منى ياهذا اعلم ان هذا الرجل مادخل قلعتنا وألقى نفسه بيننا إلا وهو واثق بنفسه أنه يلقى ألف فارس من أبناء جنسه وحق المسيح ان جندى وعساكر أبى كلهم فى القرى متفرقين يحفظون مافيها خوفا أن تغار عليهم عسكر المسلمين وكنت سألته عن اسمه فأخبرنى على أنه هو الصحصاح وما أتى إلا فى أخذ الحصن فجعلت أسايره خوفا على نفسى منه وان رمت أخذه فهاهو أمامك وبين يديك وسيفه وعدته بين يديه لا يفارقهم أبدا فقال اللعين جرفناس إذا أمنت من غضبك وسخطك فانى آمر المائة بطرق يهجموا عليه ويأخذوه أسير فقالت لا كرامة لـكم فى ذلك ليس هو إلا فارس واحد وأنتم مائة بطريق ومن ذا الذى يرضى بهذا الذل والغدر إنما انصفوه واحد لواحد حتى ننظر من منكم يأخذه ليكون له عند الملك الشرف الزائد ويشاع خبره بين الأماجد فقال جرفناس وحق المسيح لقد أشرتى بالصواب والأمر الذى لايعاب ثم قال البطريق لا يخرج اليه غيرى فقالت الوف اصبر حتى أعرفك بما يجرى بيننا من الخطاب فان أجاب كان هو الصواب وإن أبى فلا سـبيل لـكم اليه ولا قدرة لـكم عليه وأنا وكل من فى الحصن نفديه وبأنفسنا

نقيه ثم انها أقبلت على الصحصاح وأخبرته بما قال البطريق وماقالت له فتبسم من قولها وعلم أن ذلك ليس بمرادها فرجع على نفسه باللوم وكيف ألقى روحه فى بلاد الروم وهو وحيد فريد ثم أقبل على الجارية وقال لها يامولاتى مالنا ولهذه المطاوله أنا ما أريد أن أبرز لواحد واحد حتى يطول علينا الأمر وإنما أريد أبرز اليهم مرة واحدة وأقطع منهم النحور كما انهم قطعوا ماكنا فيه من السرور وأنا لوكان معى خمسه أنفار من عسكر المسلمين يحمون ظهرى كنت ألقى ألفا بعون الله تعالى من هؤلاء وخمسون ألفا ولا أبالى بهم وكنت إذا أقمت اليهم وأنا عطشان ظمآن لاأشرب الماء حتى أفرغ من آخرهم فقالت له والله ماأتركك تخاطر بنفسك وقد قال القائل

أمريض الأجفان عذبت قلبا كان قبل الهوى قويا سويا
لاتحارب بناظريك فؤادى فضعيفان يغلبان قويا

(قال الراوى) فعند ذلك وثب الصحصاح بوجه أنور من المصباح وامتضى سيفه وجمع أذياله فى دور منطقته وهجم على البطريق وهو كأنه العتيق وحمل عليه وهو مثل الزنديق وكان الملك الصحصاح يهمهم ويدمم ورجع الى طبع العرب وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

ستعلم اليوم ياجرفناس بأننى أشجع أهل الزمن
ألفت ألوف بما قدمت إلى الفداء وفعل حسن
وروحى الفداء لمعروفها لقد غمرتنى بهذى المنن
ولولا شوقى وألفى بها لما كنت عندها أنا مرتهن
وسوف ترى عقب ماقلته إذا صادفتك صدوف المحن

(قال الراوى) ياساده ياكرام صلوا على بدر التمام ثم انهم حملا على بعضهما وأعلنت الحروب بينهما وقد اشتعل شرارهما واحمرت الحدق مماجرى لهما فاستعجل البطرين بالضربه ثم سرح وصاح فخلا منها وبطلها الملك الصحصاح وعاجله بصيحة أعظم من صيحته وضربه بالسيف على رأسه فشق حنكه وأضراسه حتى قطع دكة لباسه فوقع على الأرض شطرين وانفلق على الأرض نصفين ولما نظرت الملكه ألوف الى ذلك عظم الصحصاح فى عينها وعلمت أنها ما صرعته إلا بجمالها وحسنها واعتدالها مع قدها ثم إنها أقبلت على البطارقة وقد تحيروا من هذه الضربة وعظم عليهم مانزل بصاحبهم فقالت لهم ياعباد المسيح خذوا بثار صاحبكم

وليخرج اليه أحدكم فما هو ضيفي بعد هذا اليوم فخرج اليه أخو المقتول فحمل على الصحصاح وتقدم اليه وصاح وأشار الى قوائمه بالسيف فقفز الصحصاح أكثر من خمسة أذرع فى الرياح ثم عطف على البطريق ونادى حى على الفلاح وضربه بالسيف ألقى رأسه فى البطاح فنادت ألوف : يخرج واحد منكم فخرج واحد ألقاه والرابع على الارض أرماه والخامس ألحقه برفقاه حتى قتل منهم سبعة عشر والجارية تنظر اليه بعين العجب وقد ألقى الله تعالى محبته فى قلبها زيادة عما كان عندها وقد وقع الرعب فى قلوب الباقين ولم يجسر أحد منهم يخرج اليه بل أرموا أنفسهم عليه وطمعوا بالوصول لديه فوجدوه ذوقوة وشان فى موقف الحرب والطعان سفاك للدماء صابر على النضاء وهو معود للقتال وشدة النزال كأنه الجبل الصدوم أو الأسد الهجوم لباسه درعه وصارمه قلبه وترسه وجهه وقد طير الروس واختلس النفوس وطحنهم طحن الرؤوس وكان ذلك اليوم عليهم عبوس أفنى فيه الأبدان وقطع الروس ومن ضربه على رأسه خلع منه الضروس وكانت الملكه ألوف لما نظرت الى القوم وقد هجموا عليه صاحت بالجوار وقالت من عندكم فى الحصن من الرجال فقالوا ما فيه غير البوابين فأمرت الجوار أن يلبسوا عددهم ويأتوا يساعدوا الملك الصحصاح على قتل هؤلاء الأنذال فمضوا وهم من أمرهم على عجل وهى مضت ولبست عليها صدرة زرد وأخذت فى يدها صارم مهند وقالت وحق المسيح لا بخلت بروحى على ضيفى ولو صرت معيرة فى بلاد الروم ولو عاديت أهلى وقومى فما رجعت اليه إلا والقوم قد انهزم منهم أربعين ومات ستين وقد أتت جوارها وهم لابسين الزرد وبأيديهم السلاح وهم من خلفها وهى من أمامهم مثل المصباح . ولما رأتهم وهم مجندلين وقد نزل عليهم عذاب رب العالمين فرحت ألوف وقالت له بمثلك نفتخر فلله درك ياصحصاح . وكانت جاءت وهو يقول هذه الأبيات :

فعالى هكذا يوم القراع ... وكم أرديت من بطل شجاع
وكم فرقت فى الهيجاء جيشا ... وأتركها طعاما للسباع
تركت ليوثهم فى الأرض صرعى ... على الرمض وفى تلك البقاع
وعملاق وجفال حسامى ... أبادهمو غزاة الامتناع
وأرمانوس أصبح فى الفيافى ... بسيفى وهو يخبط بالزراع
ومقلاعوس أصبح وهو مثله ... قتيل السيف من بطل شجاع
ولم أغلب ورب البيت يوما ... على رغمى سوى يوم الصراع
ونور البدر أدهشنى وأضحى ... قيادى فى يدى ذات القناع

نزلت ديارها فى طيب عيش وفضل جازل بالاصطناع
سأذكر فعلها ما دمت حيا وأدعو ما دعا لله داعى

(قال الراوى) فلما فرغ من شعره نظرت اليه نظرة المحب الى المحبوب وقد تعجبت من فصاحته وحسن شجاعته وقالت لا ردك الله ولا كان من يشناك ولا شمتت بك عداك وكان الله ناصرك على أعداك ثم انها خلعت ما كان عليها من الزرد والى صدرها ضمته وبين عينيه قبلته ومع كثرة محبته فما يفعل شيء من ذلك لأنه ما كان يريدها إلا للأمير مسلمة ولما نظرت منه ماهوفيه من العقل والأدب والدين زادت فيه محبة ومودة (قال الراوى) ثم ان الملك الصحصاح نظر الى الملكة ألوف والى الجوار وجد الكل مقلدات فى ملبوس الزرد والسلاح وهم قادمين من كل مكان فقال ماهذا يامولاتى أتاكم جيش من عسكر الاسلام أو أتاكم جيش لاوون أما إن كان جيش الاسلام فانى أرده بأحسن كلام . وأما ان كان جيش لاوون فأنا بالله أقسم ماخليت أحدا منكم يطلع الى لقاه مادامت روحى فى الجسد بل انى استلقاه هو وجيشه ومن كان معه ولما سمعت منه هذا الكلام قالت له تسلم ياقرة العين أما والله مالبسنا الزرد إلا من خوفنا عليك وقد أتينا لمساعدتك وما كان مجيئنا إلا عند قضاء الحاجة وانتهاء الشغل وقد سرنا الله بسلامتك ثم انها دعت بالبوابين وقالت لهم كيف تركتم هؤلاء القوم يدخلون علينا بلا إذن فقالوا لها أيتها الملكه فما جرت العادة أن نأخذ الإذن الى رسل الملك فقالت لابل أردتم بذلك قتلى ثم انهاأمرت الصحصاح أن يضرب رقابهم فكان لهم شافعا وقال يامولاتى العفو من شيم الكرام وهؤلاء ماجنوا ذنب يوجب القتل فقالت له هل أكثر من ذلك يكون ذنب وانى لا آمن على نفسى منهم مرة أخرى لأن هذه الفعال قد جعلت الروم لى أعداء فقال لها اتركيهم من أجلى ومن خصوص الروم فما تفكرى فيهم فأجابته وتركتهم وهذا على غير مرادها وانما عفت عنهم من أجل خاطر الصحصاح ثم جلسوا على ما كانوا فيه من الانشراح وقالت انى قد سمعت شعرك وافتخارك ولكن ما كان وقت للجواب وقد صبرت لما هدأ غيظك وان شئت المبارزة دونك فضحك الصحصاح وقال لها يامولاتى وهل يبارز العبد الى مولاه ويخرج الى مقام الحرب ويلقاه أويشهر فى وجهه حسام فما يكون ذلك إلا من أولاد الحرام ولاسيما إن كان بالجميل قد أولاه ولما سمعت منه ذلك قالت له والله ياملك العرب أما المولى فهو أنت وأما أنا فلك أمه وأما الشجاعة فهى كلها إليك نسب وأما الجميل فهومن بحرجودك يستعار

وما القلعة إلا قلعتك ومن فيها فهم لك تبع فشكرها على ذلك الصحصاح ودعا لها وبات تلك الليلة عندها على ما جرت العادة . ولما أصبح الله بالصباح فقال لها الصحصاح أنا فى قصدى أن أسير الى عسكرى ولابد أن كلب الروم يطلبنى منك فتكون حجتك أنك مافعلتى ذلك إلا بغير اختيارك وتقولى أنا ماقدرت على خلاص الحصن منه إلا بالاحسان اليه والتلطف بين يديه وكيف الذى عجز عنه مائة بطريق هل كنت أنا له أطيق وهذا القول يقيم لك العذر عند ملك الروم ومع ذلك فانى أنا وجميع عسكر الاسلام طوعا لك فيما تريدين ولو شئت لفتحنا القلاع والحصون وسلمناهم اليك وأيضا نسلمك بلد القسطنطينية فشكرته على مقاله وقالت له ما على بالى من ملك الروم وزن حبة وانما أنا ما فكرى إلا فى غيابك عنى وقد أخذت روحى معك ياليتنى لم أعرفك وأما عذرى الى ملك الروم فهو واضح إن كان عنده ناصح وكانت هذه القلعة التى هى بها مانعة ولها رساتيق عامرة ولها ثلاث فراخ الى بلاد الروم وكان الجاسوس قد مضى وخبر عن السرايات الذى سير الأمير مسلمة والملك الصحصاح الى بلاد الروم فبعث هؤلاء القوم من البحر الى هذا الحصن ولما هرب منهم من فسح الله فى أجله ساروا الى المراكب التى كانوا أقبلوا فيها وبقوا مجدين ومن الموت هاربين ثم انهم دخلوا على الكلب (لاوون) وأخبروه بالحال فقامت عليه القيامة وقال وحق المسيح لأحرق الجارية بالنار وأرمى حجارة القلعة فى البحار فقال له وزيره (لوقه) ما هذا بصواب لأنك اذا بعثت عسكرك إليها والمسلمين نازلين بالقرب منها وملكهم عندها فيحملها الخوف والانزعاج فتلجأ الى الأعداء وتبقى عسكر الاسلام لها عونا ويستلمون عند ذلك قلعتها وتصير لهم مكانا ومنزلا وفيها مال عظيم يستعينون به علينا ويصلوا بالأذية إلينا والصواب اننا نمهل أمرها حتى يعودوا عسكر المسلمين عنها ويرحلوا من ديارها تبقى تفعل بها ماذكرت وتبلغ منها جميع ما أردت . ولما سمع (لاوون) كلام الوزير علم أن كلامه حقاً ونصيحة صدق . فهذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من أمر الملك الصحصاح فانه لما طلب الرواح فقالت له والله انى ما أريد فراقك بعد هذه الصحبة فقال لها وأنا والله كذلك إلا ان قلبى خائف على الاسلام من فكر كلب الروم فقالت إن كان ولابد من ذلك فلاتنقطع عنا فأجابها بالسمع والطاعة فودعها وهى ودعته وقالت له تكون فى حفظ الله تعالى وهو خليفتى عليك وبعد خروجه فما هان عليها بل خرجت خلفه الى خارج القلعة وأراد أن يركب ويسير فتقدمت اليه وعانقته وقبلته فبقى الصحصاح

من غير عقل وتلجلج لسانه عن الكلام وتقدم إليها وودعها مرة أخرى وبكى وأنشد يقول :

لا أبلى الله عاشق بالفراق　　إن يوم الفراق مر المذاق
لو وجدنا الى الفراق سبيلا　　لأذقنا الفراق طعم الفراق

(قال الراوى) فلما رأته يبكى رثت له وبكت وقالت له لاتبكى ياملك العرب وإنى ما أريد فراقك ولو خاصمت أبى وإخوتى وعود معى الى القلعة ونكون كيف شئت ولا تبالى من أهل الدنيا فقال لها يامولاتى سأعود إليك إن شاء الله تعالى ولا أغيب عنك إلا حتى أنظر ما الذى حصل لعسكرى فى غيبتى فقالت له إن كان ولابد من الرواح اليهم فلا تبكى لأنك فكرتنى بقول القائل :

مضى ذهب الخدين مع بياضها　　بياقوت دمع المقلتين مودعا
فكادت له روحى تقطع إن بدا　　على خده سيل الدموع مقطعا

(قال الراوى) وقد سارالصحصاح ومعه ثلاثة غلمان من غلمانها وهم يدلوه على الطريق فهذا جرى لهؤلاء . وأما ما كان من الأمير مسلمة فانه لما افترقت العساكر فى ليلة عيد الصليب كان يظن أن الملك الصحصاح معهم ولما كان من الغد رجعت السرايات من كل جانب ومكان ولم يرجع الملك الصحصاح وقد سأل الأميرمسلمة عنه فلم تذكر طائفة أنها رأته فقامت عليه القيامة وأدعى بغلمان الملك ومعهم عبده نجاح وقال لهم هل معكم خبر من مولاكم فقال نجاح يامولاى أعلم أنه كان تخلف عن العسكر حتى مضى من الليل شطره ثم انه ركب وتبع منهم الآثار وهو وحده وهو آخر العهد به فقال الأمير كلمة لايخجل قائلها : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم تقتل الأرض جاهلها ويقتل الأرض خابرها وهو رجل غريب فى هذه الأرض والديار وقد سار فى الليل وحيد فريد وأنا أعلم أنه لم يتأخر إلا لأمر عظيم وخطب جسيم ولكن أرجو من الله سبحانه وتعالى أن تكون عاقبته خيرا وقد أرسل الخيل فى طلبه الى سائر الأقطار يقتفون منه الآثار ويستنشقون عنه الاخبار ولايرجعون إلا بحقيقة الاختبار وقد رجعوا الكل الى الامير مسلمة وأخبروه أنهم لم وجدوه ولا رؤى له آثار ولا سمعوا عنه أخبار فقلق لذلك الأمير قلقا كبيرا وبات طول الليل فى هيام ولا تلذذ بطعام ولا منام بل انه باكى العين حزين القلب سهران بغير مدام كأنه سكران وتشوش العسكر ولحقهم الضجر وكثرت عندهم الفكر وخافت بنى كلاب على أنفسها من الأعداء وفرح مروان بن الهيثم إلا أنه أظهر الحزن . ثم انه دخل

على ابن أمير المؤمنين وهو باكى العينين ظاهرا وقبل الأرض وقال يامولاى لاتخاف على ملك العرب وأن الأعداء إذا ظفر وأنه لم يقدر أحد منهم أن يفرط فيه وذلك طمعا منهم أنهم يصالحون به عسكر المسلمين فقال له يامروان كيف لا أبكى على ملك العرب ومفرج الكرب الفارس الحجاج فانا والله إذا فقدت اخوتى ما أبكى عليهم مثل ماأبكى على الصحصاح لأنه حامية المسلمين ونقمة على القوم الكافرين وله اليوم ثلاثة ماسمعنا عنه أخبار ولا عرفنا له آثار وما هو إلا فى شغل شاغل وإلا ما كان عنا بغافل وأنا لا أكون عن بلاد الروم راحل حتى يظهر لى خبره والدلائل وها أنا صابر لأنى على فراقه لست بقادر ولاخير فى اذ لم أفديه من المنيه بروحى ومالى وجندى مع رجالى ولا تلذلى بعده حياة ثم أنه أقام الليلة الرابعة وقد ضاقت عليه الأرض الواسعة وهو تارة ينوى الرحيل وتارة يصبر نفسه بالتعليل إلى أن أصبح الله بالصباح وهو على مقالى النار حتى تضاحى النهار فبينما هو كذلك وإذا بالصياح علا وملا الأرض والبطاح وخاف الأمير مسلمة على العسكر وقام ينظر ما الخبر والمنادى ينادى بالفرح والاستبشار والصلاه والسلام على النبى المختار فسأل الأمير عن ذلك الصياح فأخبروه بقدوم الملك الصحصاح فلم يلبث دون أن ركب على جواده وخرج بنفسه إلى لقاه ولما أن وقع بصره عليه ترجل الأمير مسلمة عن جواده وكذلك ترجل الصحصاح وتلقاه وقد اعتنقا وسلما على بعضهما البعض وكان اجتماعهما عند أطراف الخيام وقد مشى على الأرض من غير ركوب وفرح كلا منهم بصاحبه وساروا الاثنين وهم يتحدثون فقال له الأمير مسلمة أين يا أخى كانت غيبتك عنا فقد شوشت خاطرنا وكدرت عيشتنا والحمد على سلامتك فقال الصحصاح لقد كنت فى شىء لم يسمح الزمان بمثله وما أقول أنه فى سير المتقدمين والمتأخرين أعجب من هذه السيرة والله انى قد كنت نسيتكم حتى كأنى ما رأيتكم وغبت عن نفسى ورأيت ما لم يره أحد من أبناء جنسى وسوف أحدثك به فقال له هات ماعندك يا أخى ومارأيت وماشاهدت من عجائب الأمور فقال الصحصاح اصبر يامولاى حتى أصل الى قومى وعشيرتى وينظرون الى وأعود اليك والى خدمتك وأحدثك بما يرتاح اليه خاطرك فتعلق قلب الأمير مسلمة بما سمع ورجع الى سرادقه وأما ملك العرب فانه وصل إلى الخيام فوجد بنى كلاب وهم قادمين اليه وفى أوائلهم عمه عطاف وكذلك غانم وقومه وبنى سليم ومروان ابن الهيثم وهم جميعا قادمين اليه وكل من لقاه وقف وقبل يديه وهو يسلم على الناس ويقول لهم ما كان علينا ناس وما أقام الا بمقدار ما غير ثيابه وقد أرسل اليه الأمير مسلمة فسار اليه

ودخـل عليه فقام له قائما على الأقدام وأخذه ملء الأحضان وأمر باخراج من كان فى المجلس فخرج من كان حاضر ثم ان الملك الصحصاح عاد عليه كلما حصل وسمعتوه من حديث الملكة ألوف ولمـا فرغ قال له الأمير مسلمة ياأخى عيد على الحديث ثانيا لأنى كنت غائب القلب فأعاده عليـه فلما فرغ قال له يا أخى عيده ثالثا فانى لا أعى ما تقول فأعاده وهكذا إلى أن عاد عليه عشر مرات فرفع رأسه الأمير مسلمة وقال له يا أخى ياصحصاح عيد على ست الملاح لأنك قد أكدتنى بالجراح ولابقى منى غير الافتضاح فأعاد عليه الحديث احـدى عشر مرة وهو لايزداد الا أسفا وحسرة ثم انه قال ياملك العرب اجمعنى عليها فانى اشتهى أن أنظر اليها لأن القلب مشتاق إلى رؤيتها ومشاهدتها وحسن طلعتها فقال اعـلم يا أخى ياصحصاح ان الجـد ليس مثـل المزاح وقد أوقع الله فى قلبى حب هـذه الجاريه ولابد لى من المسير اليهـا والقدوم عليهـا لأننى كنت أتعجب على من يعشق بالسماع وأوجبه إلى فساد العقل فى جميع الحالات وأنـكر قول القائل الاذن تعشق قبل العين أحيانا ولما سمع الصحصاح منه ذلك تندم غاية الندم على كونه أحكى له وقال والله لقد ظلمته وظلمت نفسى وما كان بصواب أن أعلمه بما رأيت وأنا سرت وهو معى فيكون الأمر قد بلغ منتهاه وينال الحاسد فيناما يتمناه وإن كنت سلمت فى المرة الأولى فما أكون فى الثانية الاعلى خطر وتتم الحيله على الملكين وتملك عسكر المسلمين ويتفرق جيش الموحدين وان العاقل من نظر وتفكر وأبصر وتدبر لأن المخاطرة مذمومة عند سائر البشر ثم انه أقبل على الامير مسلمة ولاطفه وقال له كم فى بلاد الروم أحسن منهاولابد مانفتح البلاد وبالجمله حصنها فضحك الامير مسلمة وقال له يا أخى فان الصيد لمن اثاره ومن كسرقلبا فعليه اجباره فـكن لى طبيب واجعل لى مثلك نصيب فان ما بقى لى اصطبار وقد اشتعل فى قلبى لهيب النار وأنت كنت سببا لنجاة أختى مروه وسبب عودة البازان إلى أمير المؤمنين وأريد من فضلك واحسانك أن ترد على قلبى فانك أنت الذى سلطت عليه العشق بوصفك لى هذه الجاريه كما قيل

ياقلب مطلب غرامك زادنى مهلك فارجع وروح ولاتمشى على مهلك
والعشق كم رسم أفنى وسار مهلك وأنت قصدك على انى معك أهلك

(قال الراوى) ثم انه قال اعلم ياأخى أنه كان ماكان ولابقى غير مساعدة الاخوان على نوائب الزمان واجعلنى من جملة من أوليته منك بالاحسان واعلم انى ماقلت لك هـذا المقال الا من قلب مكروب وجسد يذوب فان قلت لا فهو سبب هلاكى وعلى

الدنيا السلام وإلى الله ثم اليك المشتكى ومن الصواب اننا نسير اليها فلعل الله عز وجل أن يسهل لى أن أراها فان كانت بخلاف ما وقع فى قلبى فقد زال كربى وإن كانت كما ذكرت رويت قلبى بالنظر وصبرت إلى أن يمن الله عز وجل باللطف والتدبير فى هذا الأمر النكير فقال له الصحصاح يامولاى أنا عبدك وبين يديك وما قلت ذلك الا من الاشفاق عليك وإذا كان ذلك الأمر قد أصابك من الوصف فسوف تراها عند الكشف اذا رأيت حورية الجنان فى صورة إنسان ثم قال له إذا كان غداه غد اركب بنا منفردين والله تعالى يستر علينا بجميل ستره الحصين ويغمرنا بفضله المبين ولكن قد قيل استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان لأنه لايخلوا أن يكون عندنا جاسوس يعلم الروم بحالنا إذا سرنا إلى هذه الجاريه وما نكون إلا مخاطرين فى دمائنا ودما المسلمين فقال له مسلمة أما أنا فقد هانت روحى على ولما سمع منه ذلك قال والله يامولاى فما أبخل بروحى عليك وها أنا بين يديك وأ كون لك الفدا من سائر الردا ولكن الليلة نسير عند طلوع الفجر فنصل إلى القلعة ضحوية النهار ويكون الأمر إن شاء الله تعالى كما تحب وتختار فقال له يا أخى هذا انعام منك لأنك لم تزل محسن وباتوا تلك الليلة على نية المسير إلى الجاريه وأما الأمير مسلمة فانه لم ينام فى تلك الليلة بل أنه بات يرعى النجوم ويساهر القمر كما قيل

طال ليلى حتى تخيل طرفى ... أنه ليس يلتقى بالنهار
طال اذبت ساهر الطرف ليلى ... بين مواعيد وبين انتظار

(قال الراوى) ولما سمع الملك الصحصاح أذان الصبح ركب وسار إلى الأمير مسلمة ودخل عليه فوجده سهران لم ينام وهو قاعد فى انتظار الوعد ولما دخل عليه قام له قائما وخرجوا من السرادق وركبوا على الخيول وأخذوا معهم خمسين فارس وساروا مقدار فرسخين والعسكر من حولهم فعند ذلك أقبل الملك على العساكر وقال لهم ارجعوا بارك الله فيكم فنحن سائرين فى أمر سيظهر لكم إن شاء الله تعالى واعلموا ان الأمير غانم هو صاحب العلم وعمى عطاف صاحب الشورة ومروان ابن الهيثم موضعى على جميع العساكر وإن غبنا عنكم يومين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك فلا تشغلوا قلوبكم علينا ولا تظهروا فى العسكر اننا غبنا فقبلت الأرض العسكر ورجعت من وقتها وساعتها وأما الملك والأمير فما زالوا سائرين إلى أن أشرفوا على القلعة وإذا هم بالجوار على ظهر القلعة والحراس يضجون القلعة شاهقة كانها متصلة بالسماء والجاريه الوف فى أعلاها كانها الشمس فى سماها وعليها ثوب

ديباج ملكى أحمر وهو مطرز بالذهب والجوهر ولما نظرت الجاريه إلى الصحصاح أشارت إلى الخدم أن يكفوا وهى قد بلغت أنوارها إلى الآفاق والصليب على صدرها من الجوهر والزنار فى حصرها حرير أخضر وعلى رأسها شبكه من الجوهر وبين عينيها ياقوته حمراء وزنها عشرون مثقال تساوى خراج الروم وهى من أنوار النجوم كما قيل

عادت من الدير إلى الدار وحسنها عار من العار
فقلت إذ لاحت على قصرها أعيذها بالخالق البارى
طوبى لاهل النار إذا أصبحت بكفرها فى وسط النار

(قال الراوى) وكان فى يدها منديل حرير مطرز بالذهب ولما عرفت الصحصاح نادت بأعلا صوتها يا ملك العرب فقال لبيك لبيك ها أنا عبدك وخادمك الذى غمرتيه باحسانك ومكارمك فقالت له كيف أنت وكيف كنت وهل شوقك مثل شوقنا والله انى رطبة اللسان مما أوليتنى من هذا الاحسان ومن هذا الفارس الذى معك وأراه قد وقف بالبعد منك وحق المسيح ان الرياسة تلوح من شمائله وأنفاسه من بعض شهوده ودلائله كانه من ذوى الاقدار وأصحاب الأخطار فقال الصحصاح أعيذك يا نور العين بالواحد الغفار وأرجو من الذى أعطاكى هذه الفروسية ونور المعرفة أن يمن عليكى بالاصل وهو الايمان ويحق فيك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد خلق اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ثم انه قال لها يا مولاتى هذا مولاى وأنا عبده وغرث نعمته وبعض خواص دلته هذا ولى عهد خليفة المسلمين وابن أمير المؤمنين وانى لما وصلت اليه سألنى عن غيبتى فأخبرته بما لاقيت من أنعامك وحسن عقلك ومعرفتك بأشعار العرب وأحاديث أهل الادب فعظم ذلك عليه وتعجب وقال ان هذا لا يكون فى بلاد الروم وكيف يكون الجوهر فى غير معدنه والمسك فى غير مسكنه فقلت ان الذى جعل فيها الذمام وحسن الجار وضع فيها حفظ جميع الفنون وغرائب الاشعار وقلت والله لقد كان لها من الحميه والذمه ما خرجت به عن فعلك وحكمك وقومت ملك الاسلام وصاحب الارض من أجلك ومما أطنبت فى وصفك بعض ما خصك الله تعالى من الحسن والجمال والاحسان فلم يطق الصبر عما شرحت له وقد توسل بى اليكى لانى رضيع احسانك وأنا أتضرع إلى عواطف كرمك ونعمك أن تجيبه إلى ما طلب (قال الراوى) فلما سمعت الوف

كلامه ضحكت ضحكا رخيم ولمع ثغرها مثل الصباح مع طلاقة وجهها وهى توقفه الواصف عنها معترفا بالتقصير ورجع الطرف خاسئا وهو حسير فقالت له يامالك العرب حبا وكرامه ولو طلبتما عندنا الاقامة ولكن بشرط أقول لك عليه فقال لها وماهو الشرط يامولاتى فقالت له يتقدم هذا الذى تقول انه ابن خليفتكم والمتقدم على أهل قبيلتكم ولعمرى أن جلالة القدر تنطق عليه وشمائله الحلوة تشهد له لا عليه فيحلف لى بالله ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ودينكم أنه لا يغدر بى ولا يضمر لى غدرا فقال لها الصحصاح سمعا وطاعة وأشار إلى مسلمة متحير مما أبصر فقالت حسبك ان قولك فيه الكفاية غير أن الانسان لابد له من الاحتفاظ (قال الراوى) ثم إنها قالت اعلم انى الآن على صفة اختباركم فان شئتم أن تدخلوا الى البلد فهى لكما وان شئتما ضربت لكم سرادق على هذا المرج الأخضر وبركه النوفر والبستان المشبك بالأشجار الذى فيه غرائب الأثمار فقال الصحصاح يامنية الأرواح إنا لا نريد المروج والبساتين وأنواع الرياحين ولا نحب القلاع ولا الحصون وانما النظر اليك فهو أحسن مايكون ثم أقبل على مسلمة وقال له الصواب أننا نكون فى هذا المرج ونحن مالكين خيولنا والأسنه فلما سمعت ألوف كلام الصحصاح وانه الى المرج قد ارتاح أمرت غلمانها فأتوا بخيمة كبيرة وهى من الديباج الملوكى المنسوج بالذهب وفيها تصاوير الأفيلة والأسود وسائر الوحوش لم تنظر الناس أحسن منها وهى مكللة بالدر والجوهر ومفروش فيها البسط الحرير المقصبة ثم انها وثبت على أقدامها وأخذت مروحة من بعض جوارها وجعلت تروح بها على الأمير مسلمه والملك الصحصاح فقال لها الأمير مسلمة يامالكه النفوس وراحة الأرواح اننا غير محتاجين لهبوب الأرياح وقد أعتقتينا عن الاصطباح وعجلى لنا بالمدام والراح فانى مشتاق الى ما وصف لى أخى الملك الصحصاح من حسن غناك ياست الملاح الذى ألذ من نظر العين الى أعضائها الصحاح فقالت له سمعاً وطاعة ثم انها أمرت بمائدة الطعام فحضرت وأكلو على قدر الكفاية ورفعت الزبادى وغسلت الأيادى وأمرت بتحضير آنية المدام فنظر الأمير مسلمة اليها فانبهر ولم أمكنه أن يحقق فيها النظر لأنها من الذهب والجوهر والياقوت والزمرد الأخضر ومكتوب عليها بالذهب أسطر وقدمت المدامه والسلاف وهى أرق من الهوى ونظر الى الجامات وهى من الياقوت لا توجد عند ملك من الملوك فقال الأمير مسلمه سبحان من أعطى هذه الجارية من كل شىء أحسنه حتى كأنها بلقيس عصرها مع جمال وكمال حسنها وحسن أدبها وتمام عقلها ونظرت ألوف الى الأمير مسلمة وحققته

ولى أنه فى عصر يوسف قطعت   قلوب الرجال لا أكف النسا

(قال الراوى) ونظرت الى حسنه وكان يفوق أعنة الحدق ونور وجهه مثل البدر اذا أشرق وقد نظرت الى حسن ثيابه وجماله وهو منير ونظرت الى مبسمه وملاحه ثغره وهو كما قيل فيه

أحور لو لاحظته حورية   تحيرت من طرفه الأحور

(قال الراوى) فكانت كلما نظرت اليه تحيرت من حسن خلقته ثم انها ناولته تفاحة نصفها أحمر والآخر أصفر فأخذها ونظر ما قبلها فوجدها مكتوبة

تفاحة جمعت لونين خلقتها   خد محب مع محبوبه التصقا

(قال الراوى) وبعد ما قرأ ما على التفاحة قبلها ثانيا وقد دارت الكاسات وأخذت الجارية العود وحركته فأكمدت كل حسود وضربت على نغمة عربية وأنشدت تقول بعد الصلاة والسلام على طه الرسول :

يامن له منن لاتحصر   وأنعمه البيض الزهر   اشرب من راح ريمها
تبدو مثل العنبر   بين البساتين التى   ثمارها كالجوهر
اليوم يوم ظله   حسن الابتداء والآخر

(قال الراوى) وغنت بصوت كأنها العافية على بدن العليل فألقت الطيور نفوسها عند سماعها الأوتار من جو السماء الى الأشجار وكادت أن تسقط الأغصان والأثمار فصاح مسلمة ياملك العرب نحن فى اليقظة أو فى المنام أو هذا أضغاث أحلام والله لقد عرفت الجد منك من المزاح وانك ما أنصفت هذه الملكه ياصحصاح فى وصفها ولا بلغت بعض معانيها ولما سمع كلامه ضحك فقالت الجارية ياسيدى لا تلومه من عجزه فى وصف خلقة الخالق وان أحسن الخلق بعد نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول العجز عن طلب الادراك ادراك فتحير الصحصاح ومسلمة عند سرعة رد الجواب فقال لها أراكى تحفظى الأشعار وتروى الأخبار فقالت له نعم ياملك الزمان واعلم أن الأصل فى ذلك كان وصل الينا مركب من بلاد الغرب وفيها مائة أسير من الرجال وألف من النساء والصبيان فوقع فى قسمنا جماعة وفيهم بطلا يقال له عبد الله بن حماد المغربى فأخذناه وطرحناه فى مطمورة على نية هلاكه وكنت أسمعه يتلو القرآن فلا أعرف مايقول فاشتهيت أن أتعلم العربية فأخرجته من تلك المطمورة وأنعمت عليه وتعلمت منه العربية والنحو والغنا والأشعار فى مدة سبعة سنين ولا يمضى يوم الا وكنت أتعلم فيه روايات وأخبار وأشعار وحكايات.

حتى صرت كما ترونى وكنت أكرم ذلك المسلم غاية الاكرام حتى خاف على أبى من دين الاسلام وأراد قتله فمنعته من ذلك وأطلقته وأوصلته إلى بلاده ومعه مايكفيه إلى آخر عمره فقال لها الصحصاح مازلتى محسنة فقالت له إن مولاك مسلمه شرب المدام وأنت تمتنع من خوف الحرام فقال انى أمتنع منه خوفا أن يطرقنى طارق وان مولاى هذا هو الامام المقدم على المجاهدين فلوتم علينا أمر كان سبب لهلاك الجميع فقال له مسلمه ياملك العرب كل مقدر كائن أيما أحب اليك تقيم هنا يومين أو ليلتين أونذهب الى عسكرنا فقد جرى على مانسانى أمى وأبى فقالت الجارية يامولاى كونوا عندى وعساكركم لاخوف عليهم من شيء وان شئتم أرسلت من عندى من يكشف الأخبار فنظر الأمير الى ملك العرب وقال له يا أخى نكون ليلتنا هذه هنا عند هذه الملكة فقال له يامولاى شأنك وما تريد فقال الأمير اليوم نقيم هنا ولكن يا أخى لا تنغص علينا عيشنا ولا تكون مخالفا لنا واشرب مثلنا فقال لا أشرب الا من الذى عندها وأراد بذلك الأشربة المطبوخة فعرفت الجارية ما ذا أراد فأمرت الجوار أن يأتوها بشراب التفاح كما أشار الملك الصحصاح وملأت الكاس وناولته فقال أنا لا أشرب هذا حتى أسمع عليه صوت من الغنا فقالت سمعا وطاعة يا ملك العرب وأخذت العود وجعلت تقول

يالقومى أما لقتلى تار ... يالقومى أما فيكم أنصار
وانظروا الى دمى فهاهو رطب ... فوق خدودى كأنه جلنار
قاتلى ظبية روض خدها ... فيه نار أحرقت أبصار

قال ثم ان الأمير مسلمة نظر الى الملك الصحصاح وقال له يا أخى قد صدقت فى كل ما وصفته وما بقا إلا الصراع وكان قصد الأمير يعانقها فقالت سمعا وطاعة وقامت على أقدامها وقد رفعت سراويلها وأدارت أذيالها فى دور زنارها فبان لها كفل مثل الجبل وقالت له دونك ياأمير مسلمة لأن أوقات السرور منعمه ولو أنكم أقمتم فى الصحراء ألف سنة ما فرعت منكم وأسرت فرسانكم وشجعانكم فقدم مسلمه وكان قويا وفاق أقرانه وأصحابه فلما لاصقها وعانقها وقعت يده على خصرها فارتخت منه القوى وبقى حاير من شدة الجوى وأرادت أن ترفعه وتلقيه بلطف فلما عاين ذلك الصحصاح خاف على الأمير مسلمه أن تلقيه إلى الأرض وهو قائد الجيش وأمير جميع العساكر فقام على قدميه ودخل بينهما وقال للأمير مسلمة ماالذى تريد تفعل معها تريد أن تسطو عليها بقوتك بعد ما فعلت معنا هذا الجميل والاكرام فعلمت

الجارية ما أراد به الصحصاح من الكلام وهو أنه خشى عليه من مسلمة أن يخجل فضحكت وقالت له ماعدمت شفقتك ياصحصاح لأنك لاتريد إلا الاصلاح ثم أنها قعدت وقد احمرت وجناتها وعملت فى القلوب لحظاتها وأرادت أن تغنى بصوتها وإذا بغبار تار وغار حتى لحق بعنان السما ثم انكشف وبان واذا من تحته رايات اسلامية وأعلام محمديه ومجاهدين حنفيه ولما نظرت ألوف الى ذلك اصفر لونها واضطرب كونها وصاحت ياصحصاح خنتما عهدالله والميثاق وأوعدتم الرجال حتى تأخذونى بالوثقاق فوحق المسيح ان كان الأمر كما خطر ببالى لأقتل روحى ولا أحد ينظرنى وأنتم تعايبون على مذهبى وقدوفيت بعهدى لك وأبغضت ملك الروم من أجلك ثم أنها أخرجت خنجر ماضى الى قطع الرجال قاضى وأرادت أن تضرب نفسها فوثب اليها الصحصاح ومسلمة وجعلوا يحلفون أن ماعندهم من ذلك خبر ولا أثر وسوف يبان لكى ذلك ويظهر ولا خوف عليكى ولاضر وقال لها الصحصاح اجلسى يامولاتى حتى أنظر ما الخبر ولابد أن يكون حصل حاصل فى الاسلام وأن غيابنا قد اشتهر ثم أن الصحصاح خرج واذا برجال المسلمين منهزمين فتغير لذلك وانحصر وقال كلمة لايخذل قائلها لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم والله ان هذا جيش المسلمين وقد انكسر ثم أنه ركب جواده وسار وعارض بعض المنهزمين وقال لهم من بشره رماكم وما الذى حصل فلما نظروه عرفوه فترجلوا اليه وقبلوا الأرض بين يديه وقالوا له ياملك الزمان أدرك الأمير عطاف ومن معه من الرجال وهم مائتين من عسكر المسلمين وفرسان الموحدين والكل مأسورين فقال لهم وكيف حصل دلك فقالوا اعلم أيها الملك أنك حين غبت وأوصيت الى مروان بن الهيتم أن يكون فى مقامك فأتى الينا جاسوس وأخبر أن ألف دابة محملة دقيق وسمن وعسل وهم سايرين الى القسطنطونية ومعهم مائة فارس ولما سمع مروان من الجاسوس ذلك الكلام قام ودخل عل الأمير غانم وأخبره بذلك وتشاور فى أخذها فقال غانم هذا هو الصواب لأن هذا من جملة الغنيمة ونحن محتاجين اليه أكثر من المال وقام من وقته وركب هو والأمير عطاف فى ألف فارس فقالوا للجاسوس من أين الطريق فقال ان الطرقات اثنين أحدهم الى مرج الرياحين والآخر على يسارها فالنصف يسير من هذا الطريق والنصف الآخر يسير من الطريق الاخرى فما تفوت أحدكم فسرنا نحن مع الأمير عطاف الى الطريق الذى على اليسار ولم نزل سائرين ونحن آمنين حتى وصلنا إلى المكان الذى قال لنا عليه الجاسوس فلم نرى أحد فنزلنا من على الخيول وتركناها سارحه ونام أكثرنا فما حسينا إلا والخيل

طلعت علينا من كل جانب ومكان وملكوا علينا الطرقات وعوقونا عن الخيل كل التعويقات وأكثر الرجال كما ذكرنا نيام ونحن وجدنا سبيل للهرب (قال الراوى) ولما سمع الملك الصحصاح منهم هذا الكلام عظم عليه وكبر لديه وقامت عليهم القيامة ودخل على الأمير مسلمة وأخبره بالحال وقال قد عولت أن آخذ المنهزمين وهم أكثر من ثلثمائة فارس وادرك عمى عطاف قبل التلاف وابعث الى مروان بن الهيثم يسير لنا خمسة آلاف فارس الى مرج الرياحين فقال الأمير مسلمة ياملك العرب افعل مابدا لك وأما أنا يا أخى دعنى فى شغل قلبى فقال الصحصاح كلمة لايخذل قائلها : لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم قم يا ملك الى العسكر فأنا اليوم أقبض على ملك هذه القلاع وآخذ لك هذه الجارية وجميع ما كان تحت يدها فقال ياأخى أنسيت قول القائل إن للتأخير آفات وأنا أقيم بقية هذا اليوم مع الملكه ألوف وأنا فى أمان الله تعالى وأمانها فما هى ممن تنقض العهد فقالت لا وحق المسيح ولو فارقت أهلى ودينى وإن كنت خائف فاصعد بنا إلى القلعة فبينما هم فى الكلام واذا بصراخ علا وصياح نما فظن الصحصاح أن عسكر الروم الذين أسروا عمه عطاف هم القابلين فخرج وترك الأمير مسلمة لأنه وجد كلامه معه مثل الماء البارد اذا صب على الحديد وعلم أن قلبه مع ألوف لايحيد فرق له وتركه وانصرف الى الغبار وقال إن كانوا هم الأعداء لا بد أن ألقاهم وأخلص عمى عطاف منهم ومن معه وأرسل عشرة من الفرسان يكشفوا له الخبر فذهبوا وعادوا وهم مسرعين وينادوا : الله أكبر الله أكبر البشارة ياملك العرب فقال لهم ماالخبر فقالوا يامولانا قد وصل الأمير غانم ومعه الاموال والغنايم وخلص الامير عطاف والاسارى من الاتلاف وقد أسروا عسكر الروم وعاد العسكر مسرورين من بعد ما كانوا مأسورين وانظر ياملك ما فى أيديهم من الغنيمة الكبيرة فلما نظر الملك إلى غانم قال له أحسنت أيها الأمير الآن صحت اسمك ونلت من الثواب قسمك فتقدم غانم اليه وقبل الأرض بين يديه ودعا له وأثنى عليه وقال يامولاى هذا بهمتك فقال له ياولدى أنت غانم الدنيا والآخرة فسر الآن بما معك من الغنايم والاسارى حتى يراهم الأمير مسلمة لأنه فى هذه الخيمة فقبل الأرض غانم وسار فى ركاب الملك الصحصاح وقد أحدقت العساكر بالأسارى (قال الراوى) ياساده ياكرام صلوا على بدر التمام وكان السبب فى ذلك أن كلب الروم لما وصل اليه خبر الملك الصحصاح أنه عند ألوف فعندها أدعى لاوون بأبو ألوف وكان يسمى بعبد المسيح وكان شجاع يعد بألف فارس وله عشرة أولاد كل واحد منهم أشجع منه وأقوى وما كان فى الكل أشجع من الملكه

« ألوف » أختهم وكان مع عبد المسيح ألف بطريق وأضاف اليه ألف بطريق أخرى من عنده وقال له ما أعرف الصحصاح إلا منك إن كان فى قلعتك أوخرج منها إلى عسكره لأن قلبه عند بنتك لأنى سمعت أن مافى بلاد الروم أحسن منها وان كان خرج من عندها دعها تراسله وتقول له انى عشقتك وقد عزمت على دخولى فى دين الاسلام والآن أريدك فى موضع كذا وتعين له مكان متى حضر اليكم وقدم عليكم أقبض عليه وعلى من يأتى معه وأعطيك فى مقابلة ذلك قونية وجميع مافيها وتصير ابنتك زوجتى ويبقى حكمك كما حكمى فقبل عبد المسيح وسار من ساعته الى أن وصل الى مرج الرياحين فوجد المسلمين نيام فهجموا عليهم وحالوا بينهم وبين خيولهم وقد أخذوهم أسارى ومعهم الأمير عطاف وعزموا على أنهم يرسلوهم الى القسطنطونية وقيدوهم بقيود خيولهم من بعد ماأوثقهم كتاف وأقاموا فى ذلك المكان وهم آمنين من نوائب الزمان وأكلوا ثم شربوا الخمر حتى وقعوا سكارى . ومن أعجب ماوقع فى هذه السيرة أن الأمير غانم لما انفرد بمن معه من الرجال الى الطريق الأخرى وأقام ينتظر البغال الذين أخبر عنهم الجاسوس فما لبث غير قليل حتى وصلوا فهجم عليهم وقتل الرجال والابطال وأخذ البغال بما عليها وأراد الانصراف الى عسكر الاسلام واذا ببعض المنهزمين أخبره بما جرى لعطاف ومن معه فأخذهم وسار حتى وصل محل الوقعة فوجد النصارى سكارى كما قدمنا وهم نيام فهجم عليهم وعمل فيهم السيف الهزام وأخذ عبد المسيح وأولاده وجماعة من قومه وأخذ خمسمائة فارس أسير وقتل الكثير وهرب القليل وخلص الأمير عطاف من الكتاف وحل من معه من بنى كلاب السادة الأنجاب وسار وهو قاصد الى عسكر الاسلام فوقع به الملك الصحصاح كما ذكرنا وأخذوه وساروا به نحو الامير مسلمة كما قدمنا وكان عبدالمسيح أبو ألوف فى أول الاسارى وهو مكتوف وهو شيخ مليح الشيبه حسن الهيبة ومن حوله عشرة أولاد شباب كانهم الأقمار وهم أولاده وعلى أبدانهم الثياب الملكى فتركهم الملك الصحصاح وسبق إلى الأمير مسلمة يبشره ففرح غاية الفرح وشكر الله تعالى عز وجل وقال يا أخى انى أريد أخرج خارج الصيوار وانظر اليهم حتى أنه لايتغير قلب من أحسنت الينا الملكة الوف لأنها اذا نظرت أهل دينها يتغير علينا قلبها لما تراهم فى الوثاق ولما سمعت الملكه الوف ذلك الكلام قالت لا وحق المسيح أنا ما أتغير من هذا الحال لأنى أعلم ان الحرب سيجال والدهر عوايده كذا يوم لك ويوم عليك فأجلس على هذا الكرسى وكان من الذهب حتى تكون هيبتك فى قلوبهم أعظم وهم يقبلون عليك وتراهم

عينيك ثم انهم يمضوا إلى حالهم وأنت تكون عندى مع أخيك الملك الصحصاح ونرجع لما كنا عليه من السرور والأفراح وهـــذا هو شرط الضيافة والاكرام فشكرها على ذلك وجلسا الأمير مسلمة والملك الصحصاح على كراسى من الذهب الوهاج ووصل غانم وعطاف وسائر العساكر ولما نظر الأمير مسلمة إلى ذلك تبسم وقد أقبلوا عليهم وقبلوا الأرض بين يديهم وهم جالسين الاثنين مثل القمرين الصحصاح ومسلمة ورفعوا أصواتهم بالدعاء اليهم وقدموا الأسارى بين يديهم ومن أوائلهم الشيخ وأولاده ورجاله وأجناده فقال الملك الصحصاح أعرضوا الاسلام عليهم فمن أسلم فقد نجا فى الدنيا من الحسام البتار وفى الآخرة يسلم من عذاب النار ومن أبى اقتلوه غصبا وفى الآخرة يكون للنار حطبا ثم نظر الأمير مسلمة إلى الشيخ الكبير واذا به يشير إلى الملكه الوف بأصبعه ويكتب على خديه بأدمعه وهى مطرقه لاترفع رأسها وقد عاد لونها الجلنار إلى الاصفرار فقال لها يامنية النفوس مالى أرى وجهك عبوس من بعـــد ماكان بيننا مأنوس وأرى قلبك صار علينا معكوس أما قلت لك مايهون عليكى ان ترى أهل دينك على هـذه الحال فلما سمعت منه ذلك أشارت إلى ملك العرب تقول له اعلم ياملك ان هـذا الشيخ هو أبى وما فى الروم أكرم منه نفسا ولاطبعا لانه سخى الكف فاهما واعيا وقد وقع فى هذه الأمور وأما هؤلاء العشرة الذين حوله فهم أخوتى وما فيهم إلا ماكان كامل الأوصاف وقد شق على الامر لما رأيتهم فى القيد والكتاف ومن بعد العز بقوا فى ذل وتلاف وما كانت أبى من حين أشار الى ولا نظرت اليه حين عرفته خوفا أن يفسد ماصنعت معكم من الاكرام ولايقال أنى أكرمتكم لاجل سبب وأما أن تفضلتم على وأوهبتموهم لى فيكون لكم الجميل على كل حال وإلا فأنا مالى فى أسراكم من شيء وإن شئتم فاقتلوهم أو بيعوهم أنفسهم فانى أشتريهم بما تملكه يدى وأفديهم بروحى ونفسى فلما سمع منها الملك الصحصاح ذلك الكلام قال لها يكرم أباك ويزول عنك الذى اعتراك وقال الأمير مسلمة مثل ذلك وقد أمر بحله هو وأولاده وعشيرته وجميع أهل قلعته ورد عليهم كل ما أخذه منهم وكانوا المأسورين من أهل قلعتها خمسمائة أسير فأطلقوهم عن بكرة أبيهم وقد أمر الصحصاح الى غانم وعمه عطاف أن يرحلوا بالمعساكر إلى مروان وأن يرسلوا خمسمائة فارس وينزلوا بهم عند المروج وذلك خوفا من عاقبة الأمور فأجابوه بالسمع والطاعة وقبلوا الأرض بين أيديهم وانصرفوا ثم انهم أدعو بأبو الجارية وأخوتها فوجدوهم يعرفون بالعربية وهم من أهل العقل

والفطانة هذا وعبد المسيح دنا من ابنته وقال كيف فعلت هـذه الفعال وجلست فى هذا المـكان منفردة مع الرجال وتركت منزلك والحصون والأطلال فقالت له ياأبى قد كان سببا لخلاصك من الأهوال ونجاتك من السيوف الثقال ثم انها أعادت على أبيها حديث الملك الصحصاح من أوله الى آخره وحديث الامير مسلمة وجميع الامور التى جرت بينهم فطيب الآن قلبك واعلم أن الإنسان عبد الاحسان ولم يضيع الجميل ولو بعد حين وقد صاروا كما فعلت معهم فعلوا معنا ونحن جدنا بالأموال وهم جادوا بالأرواح الغوال ولا خوف عليك ولا بأس لأن الوفاء لهم شعار والعفاف لهم آثار فلا تنـكر فعلهم فـكيف وقد حصل عندنا مثل هذا الملك الذى تخاف الجن من سطوته وهو أشجع من على وجه الأرض فى طولها والعرض وهو ملك جليل القدر وأيضا هذا الأمير وهو ملك المسلمين وقد صاروا ضيوفنا ففرح بذلك أبوها وانشرح وان الجارية قد تجدد لها السرور وأحضرت كلما تنشرح به الصدور هذا والامير مسلمه قد زاد به الغرام والهيام والوجد وألوف تباسطهم وأبوها يحادثهم الى أن وصلوا الى حديث الأديان فقال مسلمة أيها الشيخ ما أحسن هذا الوجه الصبيح إذا كان على الدين الصحيح من التوبة والتسبيح فارجع عن الاقتران بربوبية المسيح فانه من أعظم قبيح وبالله أقسم فانه أجل يمين ماثم أشرف من دين المسلمين واعتقاد الموحدين برب العالمين فـكيف من له عقل أن يعتقد فى غير من خلق السماء وعلقها من غير عمد وسطح الارض على ماء وزبد وجعل الجبال لها وتد لتمسكها عن الاطراب تشبهوه الى الصاحبة والولد ثم قرأ قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ثم أنه قال أيها الشيخ الـكبير إذا أقبل لـكم أن الجاثليق الحقير أو البترك له زوجـة لقضى ذلك عندكم الى الغضب فكـيف أن ننزه البترك وهو عبد مخلوق عن الاولاد والازواج وقد صدق الشاعر حيث قال هذه الابيات

قالوا له سبحـانه زوجـة ... وما تركوا لهم عازبا
ما نزهوا الخالق جل اسمه ... ونزهوا البترك والراهبا

(قال الراوى) ثم ان الامير مسلمة قال لقد تجاريتم على من خلق الاشياء ودبرها وأوجد عرضها وطولها وجوهرها وأطلع فيها شمسها وقمرها وامتحن الخلائق بالبلا واختبرها وحكم الاشياء وقدرها وأرسل الرسل الى الامم وخوفها ومن عقابها حذرها

قال ولو كان له ولد لكان مورثا هالك وكان له فى ملكه مشارك ولكنه الرب الأحد الصمد الذى ليس يولد ولا والد وكل شىء بوحدانيته شاهد ثم إنه أنشد :

عجبت كيف يعصى الاله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آيه ... تدل على أنه واحد
وكيف يقول الكافر الجهول ... مقال يروع منه العابد
يقولون له ولد ظاهر ... وربى واحد ليس له والد
وحاشا وكلا فهو إله عظيم ... وإنى بوحدانيته شاهد

(قال الراوى) فلما سمع الشيخ ذلك الكلام أطرق برأسه إلى الأرض مليا وغاص فى بحر فكره ووزن بميزان عقله قول من كان نصرانيا وقول من كان مسلما حنيفيا فوجد من كان من المسلمين ميزانه راجحا وافيا وطريقهم مستقيما سويا فقال ساقيا الغيث فى سويد قلبه هنيئا بشراب التوحيد فانه شرابا مريا وسال دمعه على خده جريا ووقع إلى الأرض وأولاده مثله عند ذلك خر ساجدا منطويا وخروا أولاده سجدا وبكيا ثم رفع رأسه ونادى بصوت جوهريا وقال يامن أظهر من كان خفيا يارب بالاحسان فامنن علىّ أنت قادر على كل شىء كان قصيا أو دنيا (قال الراوى) ثم زاد فى بكاه وقام قائما على قدماه وقطع زناره وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله عند ذلك بكا الامير مسلمة والصحصاح من شدة الأفراح وتواثبوا عند ذلك أولاد الشيخ ونطقوا بتوحيد الملك المجيد وشهدوا برسالة النبي السعيد صلى الله عليه وسلم ونظروا إلى ألوف وإذا رأسها مكشوف ودمعها مذروف وقلبها وجل مخوف وهى تنادى يالطيف يارؤف يامن فضله معروف قد فتحت الباب لوالدى واخوتى وهل يليق بكرمك أن تغلقه دونى وترد طلبتى وتقطع حبل رجائى ولا تقبل دعوتى وتقضى سؤلى وبغيتى ثم صاحت بصوت رفيع رخيم وهو يشفى السقيم أبرد من الماء وأخف من النسيم وهى تقول بسم الله الرحمن الرحيم أشهد أن لا إله إلا الله الملك الكريم وأن محمد رسول الله من أنزل عليه التحليل والتحريم صلى الله عليه وسلم فعند ذلك وقعوا القوم على وجوههم وهم لربهم ساجدين خوفا من الله رب العالمين وأخذهم الدمع وهم خاشعين فقال مسلمة والله مادخل على قلبى سرور مثل هذا السرور ثم وثب الأمير قائما وأخذ رداءه ووضعه على رأس الملكة ألوف وقال لها ان دين الاسلام يأمر بالستر والحجاب والقيام فى المحراب والندم والاتحاد وبعد اليوم فلا يراكى أحد غيرى وأنت المختارة لنفسك فى الزواج ثم انه قال ياملك العرب أرسل الى العسكر واحضر لنا القراء والفقهاء ففعل

الصحصاح ذلك وما كان إلا ثلاث ساعات حتى حضر جميع ما أمر به وخطب الأمير مسلمة الملكة ألوف من أبيها وأخواتها فأجابوه لما طلب وقدم المهر ثلاثون طبق من الذهب فيها ثلاثون ألف دينار وقدم الجميع قدام أبيها وقام وقبل الأرض وخطب الخاطب واحتجب الطالب وكان مسلمة وألوف كما قال القائل :

شمس النهار وبدرها طلعا بالسعد والاقبال قد جمعا
دام السرور له ولها مقيمان طول الحياة معا

(قال الراوى) وقد أسلم من كان من البطارقة فى هذه القلعة وفرحوا المسلمون بذلك وصعدت ألوف على قلعتها ومسلمة معها والملك الصحصاح يقول الله الله ماهو لمن خبز بل هو لمن قسم وهو فرحان بذلك أكثر من الأمير مسلمه لأنه لم يريد يفضل أحد عنده على ليلى بنت عمه ودخل مسلمه على ألوف فى ليلته وفاز بمنيته وأخذمنها لذته ولما كان عند الصباح دخل عليه أبوها وقال يامولاى كان اسمى عبد المسيح والآن علمت أن المسيح لا يعبد وأريد من إحسانك أن تمن على باسم خلافه فقال له أنت اليوم أصبحت مسلما مثل المسيح وهو عبد مثلك لله تعالى والآن اسمك عبد الله ففرح بذلك وقال يامولاى اعلم أن لى ثلاثة عشر قلعة ومافيها من يعبد الله تعالى وأريد أن ترسل معى بعض المقدمين حتى نجاهد فى الله ونأخذ الأموال التى فيها ونرحل إلى بلاد المؤمنين فقال له مسلمه بارك الله فيك لقد أحسنت إسلامك وسلمه المقدمين وساروا إلى القلاع وأفنوا الرجال ومن يشرك بالله المتعال واستلموا القلاع وأقامت فيها الأبطال ووصل الخبر الى كلب الروم وأخبروه باسلام ألوف وأبوها وأخواتها وجميع أهل قلعتها وباقى القلاع أخذتها المسلمين وانها قد تزوجت بابن ملك المسلمين وسلموه ماكان عندهم من الذخاير والأموال فقامت عليه القيامة وقال لوزيره لوقا لو أننا بادرناها قبل أن تبلغ مناها كنا ملكناها قبل منتهاها الى ذلك الحد أحسب أن القلعة أخذت ومن أول يوم نزلوا عليها ولكن داوى الآن الخطر وانظر لنفسك كل النظر والذى مضى ما ينفع فيه الحذر فقال له والآن ماذا أفعل بالقلاع التى كانت تحت يد عبد المسيح وهم قد خرجوا من تحت حكمى وصاروا مسلمين فقال الوزير الصواب أنك تحارب أولا هذه العساكر التى أمامك من المسلمين وإذا فرغت منهم تبقى تفعل ماأنت راغبه مع عبد المسيح وعساكره لأنه مادامت هذه العساكر أمامنا لانقدر نتعرض لعبد المسيح وقومه وإذا نظروا المسلمين أننا تقدمنا اليهم بشىء خرجوا الينا وحاربونا ولم يتخلوا عنهم لأنهم بقوا مثلهم خصوصا وقد تزوج ابن ملكهم بهذه

الجارية وربما أن الجميع دخلوا الى القلاع وحاصروا فيها وبعدها لانقدر عليهم أبدا فقال (لاوون) وكيف العمل فى هذه العساكر التى أمامنا فقال الوزير اعلم أنه عندنا ألف وثمانمائة مركب نملأها بالرجال ونجعل فى كل مركب خمسمائة رجل ويكون معهم أربعة آلاف زورق واذا وصلوا الى عسكر المسلمين فيرموهم بالنار حتى يحرقوا جميع مراكبهم التى تعبوا فيها وإذا خرقت مراكبهم ضعفت قوتهم وجانبهم وخابت مطالبهم ومقاصدهم وبعد ذلك ننزل عليهم وقد لحقتهم الحيرة والدهشة ونصدمهم صدمة رجل واحد ونستعين عليهم بالولد والوالد وهم يقولون ياواحد ونحن نقول يا الاثنين . وكان فى ظنهم أن الاثنين أو الثلاثة يغلبون الواحد لقد تجاروا على الله بكفرهم وما النصر إلا من عند الله الواحد جلّ شأنه وتعالى اسمه ثم ان الوزير قال للملك وان قاتلونا ووجدنا الغلبة علينا رجعنا فى مراكبنا وعدنا الى بلادنا ويمكنهم أن يعمروا مراكب غيرها ويطول عليهم الزمان ويضيق بهم المكان فقال له (لاوون) أأمر البطارقة تفعل كما ذكرت ولا آمر فوق أمرك والمسيح يتكفل بنصرك . فعندها شرع الوزير فيما قال ودبر وملأ المراكب بالنفط والعسكر وأمر البطريق الذى على المراكب انه لايسير إلا فى الليل الأغبر حتى لاتشعر به الموحدين ويكونوا على حذر وأخذ الباقين من العسكر وسار بهم فى البر الأقفر وأن البترك الكبير بخروه برجوعه الأغبر وصلب له مابين عينيه وعلى وجهه الأصفر وهذه عادة عندهم اذا عولوا على أمر فيه ضرر . وكان ذلك تبركا من البترك الكبير الذليل الحقير الذى لايملك لنفسه خير ولاشر (قال الراوى) وان لاوون سلم اليه سيف المملكة وقال له أنت المقدم على جميع النصرانيه والقائم فى هذه الملة المسيحيه ووكيلى على أهل ماء المعموديه وقد ركب وسار طول النهار فهذا ما كان من الوزير . وأما ما كان من الذين فى المراكب فانهم ساروا الى أن قربوا من عساكر المسلمين وعصابة الموحدين الذين فى البحر وكانوا غافلين وبغدر أعدائهم جاهلين فما يشعروا إلا والمراكب تعمل بالنار فى مراكبهم من كل جانب وقد رتبوا الزراقين النفط والنار تهب عليهم بأرياح العطب والبوار ودار عليهم الفلك الدوار وحرقوا جميع المراكب الصغار والكبار فخرجوا الى البر وقد طمعت فيهم الكفار وجاءهم لوقا من الجانب الآخر وهجموا المسلمين وقامت القاعدين وركبت المجاهدين وكانوا لايعرفون فى ذلك اليوم المسلمين من الكافرين . هذا والمسلمون يكبرون ويهللون ويسبحون ويقدسون . وأما الروم قد اشتهروا بقولهم كريالسون والقسى بسيسون ونزلت الرجال الهيجاء

وعدمت النجاه وانقطع من الجبان الأجل وطاش العقل وخاب الأمل وبطل للمزراق العمل وحامت الطيور على القتلى بالشجا ولم يجد الشجاع لنفسه فرجا ولا للجبان كهفا اليه يلتجا وقد أبقت الصوارم دوائر ولا ودجا وأقبل الصباح مبتهجا وانهزمت كتائب الدجا ورجع الفلا الواسع ضيقا حرجا وقد ذهب الليل بالدجا وكان صباح القوم صباحا سمجا (قال الراوى) وكم رأيت من رؤوس طارت عن أجسادها وبطون قد نزعت منها أكبادها وأن المسلمين لما رأوا هذا الحال ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار (قال الراوى) وبقى مروان بن الهيثم ينادى الرجعة الرجعة ياعساكر الموحدين فلم يبق أحد يلتفت اليه واذا هم بغبار قد علا ونما حتى بلغ عنان السما وبعد قليل انكشف الغبار وبان للنظار واذا من تحته رايات إسلاميه وأعلام محمديه وبنود خليفيه ورجال حنيفيه وهم ينادون بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وفى أوائلهم الملك الكبير (قال الراوى) وكان ذلك هو الملك الصحصاح والأمير مسلمة ومعهم تسعة آلاف فارس ولما رأى المسلمين قد انهزمت نادى الرجعة الرجعة ياعساكر الموحدين قد أتاكم الفرج من عند رب العالمين . ولما نظروا القوم الى هذا الجيش وأن ملك العرب قد ظهر فقويت قلوبهم ورجعوا وهم ينادون : الله أكبر ووقع الحرب وأخرق الصحصاح المواكب وفرق العساكر والكتائب وأنزل بالروم الذل والمصائب ونادى : الله أكبر فتح الله ونصر وخذل يالثام من كفر وقاتل قتال حتى بدد الرجال والأطلال وعمل الحرب وطال ووقعت الخيل فى المجال ولم يزالوا كذلك حتى ولت الروم الأدباو وركنوا الى الفرار وتبعهم الملك ومن خلفه الأبرار حتى ردوهم فى البحار وأخرجوهم من خيام الإسلام قوة واقتدار وكان قد ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار (قال الراوى) وعند ما دخل الظلام رجعت الاسلام الى الخيام وهم فرحين مستبشرين يهنوا بعضهم بعضا وقتل من الروم فى ذلك اليوم أربعين ألف فارس من كل بطل مداعس وأما الوزير فانه أحضر الملوك والبطارقة وعاتبهم على ماحصل منهم فقالوا لاتلومنا أيها الوزير فقال كيف لا ألومكم وكنتم بطول النهار منصورين من حيث أنكم كبستم الموحدين ورجعتم فى آخر النهار منهزمين مذلولين فقالوا نعم كنا بلغنا الآمال ولكن ما ثبت العسكر إلا هذا الشيطان فانه ماوصل الى العسكر إلا وهم منهزمين وكنا لهم غالبين ولما حضر شتتنا شمال ويمين واعلم اننا ما نبلغ منهم صلاح إلا من بعد قتل الصحصاح وما دام ينزل الحرب والكفاح فما يبقى للنصارى فلاح ودع عنك هذا

المزاح فما منا من يلقى الصحصاح وان لم ننتظر من يبارزه عند الصباح وإلا فنينا على الأرض والبطاح (قال الراوى) ولما سمع منهم الوزير هذا الكلام قال لهم فى غداة غد أخرج لكم اليه كراز وهو الذى يلقاه فى مقام البراز فما يقدر على حربه أحد غيره ولما سمعوا منه اسم هذا القرنان صلبوا على وجوههم وقالوا الأمان الأمان لقد صدقت أيها الوزير لأن هذا الفارس مافى من يلقاه فى بلاد الروم وفرحوا الفرح الشديد وقالوا مابقى فى عمر الصحصاح إلا أن يطلع الصباح ويبرز الى هذا الفارس الجحجاح وأن الوزير أدعى به إليه وأخبره بما اتفق الرأى عليه فقال عند الصباح أبرز أنا اليه وآخذ روحه من بين جنبيه فشكروه وأثنوا عليه وقد قربه اليه الوزير وسوكه برجيع البترك الكبير ولطخ له عوارضه مع شواربه وكان هذا اللعين كراز ملك الأرسن وما كان فى الروم أشجع منه ولا أرمى بالنبال ولا أضرب بالسيوف الصقال ولا أطعن بالرمح العسال ولا أوحش منه خلقة بين الرجال وكان له من الليل ظلمته ومن الأسد قوته ومن النمر وثبته ومن الحمار زعقته وكان له أنياب ظاهرة كأنها أنياب الخنازير الفاجره وله صولة يصول بها على الأسود الغائره ينظر بعينين كأنها شعل النار وهو من الكفار الفجار الذين تأكل وجوههم النار (قال الراوى) ولم يكن فى عسكر النصرانيه أفرس منه والكل يخشون صولته ويخافون من شجاعته ويستميذوا منه عند ماتذكر سيرته وكان يحدث نفسه بأنه يملك القسطنطونيه ويكون ملك على أهل ماء المعموديه وحاكم على الملة النصرانيه وكان أرسل يخطب أخت الملك لاوون فرد لاوون رسوله خائبا وقال له ماجرت العادة أن الأرمن يتزوجوا ببنات الملوك ورجع الرسول اليه وأعلمه بذلك فلما سمع كلام الرسول أمر بتجهيز العساكر وكان (لوقا) لما سمع هذا الكلام بعد مامضى الرسول قال للملك لاوون انك ما أصبت فى رد الجواب أما تعلم أن الاسلام أفنوا رجالنا وقتلوا أبطالنا وأن هذا من الشجعان والآن أرسل إليه وأدعوه اليك وعرفه فى الكتاب بما أنت فيه من الأسباب وان رد عنا المسلمين تكون أختك اليه وإلا فهو يروح مع من يروح وترتاح من شره وعجره وبجره فقال له أصبت ياوزير ياصاحب الرأى والتدبير وأرسل اليه لاوون وهو يقول له إن رمت أن تتزوج بأختى فما أريد منك صداق إلا رد الاسلام عنى وعن قومى فلما بلغته الرسالة سار اليه فى ثلاثين ألف فارس من الشجعان وقد رحل اليه وضمن له قتل الصحصاح وأن يكسر عسكر المسلمين ولما سير العساكر مع الوزير وسار معهم الى

أن وصلوا الى ذلك المكان وأحضره الوزير ونشقه وسوكه برجيع البترك الكبير كما ذكرنا ثم قال له اعلم أنى أريدك تبرز الى ملك العرب الصحصاح وأمير الجيش مسلمة وتقتلهم أو تأسرهم فقال له أجبتك الى ذلك ولكن بشرط أن لاينزل معى أحد من عساكر الروم وأنا ومن معى نقوم بعسكر المسلمين فقال له افعل مابدا لك كان البترك الكبير فى تنجيز أحوالك فقام وخرج من عنده ووصل الى صيوانه وبات الى الصباح والملك الصحصاح وعسكره فى انشراح وقد خرجت الطائفتين واصطفت العسكرين وخرج «كراز» الى الميدان وبين يديه ترجمان من بعد ما لعب بالسيف والسنان حتى حير عقول الفرسان ونادى الترجمان بالعربى : ياأمة محمد سيد ولد عدنان هذا ملك الأرمن برز للضرب بالسيف والسنان ولم يرغب فى أحد من العربان إلا أن يبرز إليه ملك العربان المشهور فى هذا الزمان ومن غلب صاحبه من الاثنين كان له التصريف على العسكران ويبقى هو المتصرف على الجيشان ولما سمعت الاسلام كلام الترجمان خرج فارس من الفرسان وإذا هم بصيحة عالية ارتجت لها الوديان فتطاولت اليها الأعناق وصغت لها الآذان وقالوا ما الخبر يا اخوان واذا هم بملك العرب نزل الى الميدان ومحل الضرب والطعان وهو ينشد يقول :

غويت ياملعون فى برازى ثم طلبت البطل الحجازى
بسك ياذا الشرك والإلحاد لا كنت بين الخلق ياكراز
وحرمة المختار طه الهادى ذو المعجزات الجم والانجاز
لتندمن اليوم إذ دعيتنى إلى مقام الطعن والبراز

(قال الراوى) وكان اللعين لم يفهم بالعربية بل انه صلب على وجهه وحمل عليه وأشار بالحربة عليه وهو يهزها إلى أن التف بعضها ببعض ثم حدفها فى الهوى ولقفها وحدفها ثانياً حتى خفيت عن أعين النظار وكانت الأرمن بهذا الكلب تتباها بين الأقطار وقدرمى بها الصحصاح فخرجت من يده كأنها الشهاب الثاقب أو الكوكب الصائب ولما رأوا المسلمين الى ذلك الحرب ضجوا من كل جانب خوفا على ملكهم من شرب كاس المصائب حتى اذا جاءت الحربة اليه وقد أيقن عدو الله أنها قاضية عليه وصبر الصحصاح إلى أن قربت وميل حتى جاوزه السنان ومد يده اليها خطفها من الهوى ولما نظرت الناس منه ذلك تحيرت قلوب الورى وقالوا ان هذا لم يقدر عليه أحد من الناس ثم انه لما أخذ الحربة اعتدل على سرجه وقام فى ركابه وقال وحق من خلق السماء وهى سبع شداد وبراها وسطح الأرض ودحاها ونصب الجبال وأرساها الذى لو توارت نملة فى جنح الليل البهيم لرآها ولو

نادت ذرة فى قرار البحر سمع نداها لجعلتك يا لعين سيرة لمن يقرأها وأعجوبة لمن يراها ثم ضربه فخرجت من يده لها هفيف كانه الرعد وأراد الكلب أن يفعل مثل ما فعل الملك الصحاح فلم يعى على نفسه حتى وقعت فى صدره خرجت تلمع من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار ولما نظرت الأرمن إلى كرازوهو قتيل وفى دمه جديل لطموا وحملوا بأجمعهم وحملت الروم وعملت الصوارم بين الخصوم وثار غبار العجاج إلى الغيوم وخرجت الأرواح من الجسوم وحام الغراب الميشوم والطير على القتلى يحوم وعملت البواتر وقطعت الجماجم ونسخت الصور وقطعت الغلاصم وبريت السواعد والمعاصم وبقت الخيل بلا قوائم ولم يزل منادى الحرب ينادى إلى أن كلت السواعد والأيادى وذهب النهار البادى وأقبل الليل الهادى وافترقا الجيشان ونزل العسكران وبقى كل إنسان مما أصابه سكران من خمار الضرب والطعان وقد امتلأت الأرض من القتلا وأنين المجروحين زاد وعلا واجتمع الملك الصحصاح مع الأمير مسلمة وقال يامولاى ان شاء الله سبحانه وتعالى قد أنعم علينا ونصرنا ولقد كنا فرطنا فى أمورنا وأسأنا ولولا حلم الله تعالى ولطفه لكنا قد هلكنا بتفريطنا فى أمر المسلمين ولكن مايقدر الانسان يرد ما جرى به القلم ويمنع ما سبق فى الكتاب والحكم وتواترت علينا الأعداء ولقدكان حريق المراكب من أكبر الاشياء ولكن سوف نعمل عملا يكون فيه هلاك الكافرين والنصر للمؤمنين فقال مسلمة ياأخى لم تزل بعون الله سبحانه وتعالى تكشف الكروب وبشجاعتك يزول عنا التعب والنصب فلا أخلى الله تعالى المسلمين من حسن رأيك المتين قل وأوجز فان رأيك هو الصواب ومن كان فى اللوح مسعود فقد وفق لفصل الخطاب ومن كان شقى فهو كذلك لا تتغير شقاوته قط وسوف يتحدثون الناس بما صنعت فى هذا اليوم من أخذك للحربه من الهوى وضربت بها عدو الله بين الملا فقال أين عمى الأمير عطاف فقال لبيك ياملك العرب فقال ياعم خذ معك عشرة آلاف فارس من بنى كلاب السادة الانجاب وخذ على يمين الخليج وسير مقدار أربعة فراسخ واقصد إلى الساحل بحيث يبقى بينك وبين القوم فرسخين وأكمن هناك إلى أن يصبح الصباح وتخرج الروم من الراكب ويرتفع الضجيج من كل جانب وترى قد عملت بيننا وبينهم القواضب فهنا لك احمل أنت وراءهم ولكن لاتحمل حتى ترى عسكرنا قد تقهقر كانه انكسر وهجمت الروم عليه وقد طمعت فانى قد عولت على الارتجاع فى حومة القراع مقدار فرسخين

حتى استجر الملاعين عن الخيام ثم أعود راجعا على اللئام وإذا رأيت المسلمين وقد
لاحت ونطقت بالكلمة التى اليها القلوب ارتاحت وهى قول لا إله إلا الله محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا لك ارفع العلم الاخضر الذى عليه الكتابة بالمداد
بتوحيد رب العباد واحرص على المنهزمين أن ينزلوا المركب أوالى البحر من ذلك
الجانب ثم نادى بالأمير مروان فقال له لبيك ياملك العرب وسيد أهل المناصب
والرتب فقال له أيها السيد أنت المقدم ونحن العبيد والدنيا دول والسعاده لمن اليه
تقبل أول كل شىء خذ معك عشرون الف من بنى سليم الساده كاشفين الهم والضيم
واقصد إلى الجانب الآخر من الخليج وكن هناك مكمن إلى الصباح وأوصاه كما أوصى
عمه فقال له سمعا وطاعه ياملك الزمان وفريد العصر والأوان وأشجع الشجعان والله
يا ولدى لو لا ان الخليفة أمير المؤمنين أعطاك مملكة العرب وإلا كنت تنازلت عنها
اليك برضا نفسى حيث أنت لها كفاية وأما غيرك لاشىء والله قد أنصف أمير
المؤمنين وأنت تستاهل ياولدى فشكره على ذلك المنال وقد انصرف ولما أصبح الله
تعالى بالصباح رفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصياح هنالك صاحت القسوس
وكشفت الروس وعلقوا الصلبان فى البخور من بعد ما قبلوهم ووضعوهم على الصدور
وقصدوا الساحل وأنزلوا خيولهم إلى البر وعزموا على الكر والفر وركبت المسلمين
وطلبت من الله النصر واصطفت الصفوف وترتبت المئات والألوف ولمعت السيوف
ورنت الحتوف وقربت الجموع من الجموع ومزقت الدروع وثارت نار الميدان ودارت
طاحون الخذلان وقطعت الأيدان وصاحت عسكر الاسلام بالثنا على الرحمن وضج
عسكر الكفر بالشرك والطغيان هذا وقد تأخر الصحصاح وبنى كلاب إلى وراه
وطمعت الكفره ولسان القدرة ينادى ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل
أحياء عند ربهم يرزقون هذا والملك الصحصاح يجرهم والقضا يغرهم ونظر الوزير
لوقا الى ذلك فظن أنه للقوم مالك فأرسل الى ملك الروم يبشره بما ظفر وأنه للقوم
كسر وقهر وان الذى نصرنا كان رجيع البترك الأكبر نصرت به الكتائب من حين
لاح فى اللحى والشوارب فدرنا أولا على احراق المراكب والآن ملكنا القوم
وشتتنا المواكب وهو يحلف بحياة البترك ما يرجع حتى يقطع المسلمين ويفنى
عساكر الموحدين ولا يبقى منهم ديار ولا نافخ نار وقد صاحت الأرمن على
بعضها بعض خذوا بثار كراز من أهل الحجاز ولوقا ضرب بوقا وأقام عند الناس
شوقا عندها صاح ملك العرب الصحصاح ياعساكر الملك الفتاح وخالق الأشباح

والأرواح والذى بعث محمد الداعى إلى الرشاد والفلاح صلى الله عليه وسلم ما غرد القمرى وناح اضربوا الكفار بالصفاح واطعنوهم بالرماح وعند ما سمعوا ذلك الصياح رجعوا وقد عاد الملك الصحصاح وهو على الكفار راجع معارض ومدافع وكان للاعناق قاطع والسيف فيهم واضع ولم يبق أحد من المسلمين الا وكان له تابع وقد نادى بصوت أعلا مثل الرعد إذا كان وقع ثم انه أنشد يقول

معشر الاسلام هذه الكفار أصدموهم فى طاعة الجبار
وأصدقوا فى الطعن للرسول فما خاب محبا للسيد المختار
ان رب العباد قد أوعد النصر لأهل التوحيد والاقرار
قد بذلنا نفوسنا فى رضا الله وخفنا غدا من عذاب النار
وبذلنا الأرواح فى موقف الحرب وصلنا بها على الكفار

(قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا بفارس لاح ووجهه من تحت اللثام مثل المصباح مليح الأطراف سريع الانعطاف ثقيل الأرداف قد ملا السرج بعجزه وأعجز الأبطال بعزه وفتح فى الأرض ميدانا واباد الأبطال ضربا وطعانا وفرش البيدا رؤسا وأبدانا إلا أن ذلك الفارس يحكى الغزلان وقد حير الناس من حلاوة طرفه الفتان أكثر من سيفه والسنان كما قيل فيه هذه الأبيات

فارس قد لاح فى العجاج كبدر يفتن الخلق بالجمالى افتتانا
بدوى له ألحاظ مراض فاتنات ناظراها أمانا

(قال الراوى) ولما رآه الصحصاح قال له أعيذك بالخليل فلقد أشفيت الغليل وأرضيت الملك الجليل فمن أنت بارك الله فيك حتى أعرفك وأناديك فقال ذلك الفارس ما أسرع ما نسيتنى ياملك العرب ياذا المفاخر والرتب أيا صحصاح نسيتنى فى مقام الحرب والكفاح انما الصديق فى الفرج والضيق ولما سمع الصحصاح ذلك الكلام الرخيم تبين ذلك الفارس الكريم وإذا بها الملكة الوف صاحبة الجمال الموصوف الموحدة المؤمنة زوجة الأمير مسلمة فقال لها ما حالك أيتها الملكة وما الذى حملك فقالت له كيف أقعد عن الجهاد وأنا صرت للكفره فى عناد وقد أعجب الصحصاح قولها وحسن اسلامها وصدق كلامها إلا أنه خاف عليها من الازدحام وذلك ان الحرب سجال وهذا من وجهين الأول من أجلها والثانى من أجل خاطر زوجها فقال لها والله لقد خاطرتى بنفسيك ياملكة والآن فالصق جوادك بجوادى فى الميدان لأنى

لا آمن عليكى من أهل الطغيان فقالت له وأين كانت هذه الشفقة يوم النهر وأنت فى فى ذلة الأسر لكن طيب نفسا وقرعينا وحق من فتح مصاريع قلبى وعرفنى بتوحيد ربى وجعلنى من أهل التوحيد والايمان وسلمنى من وهم الطغيان ولقننى من بعد الانجيل القرآن اننى لم أخاف اليوم من كثرة الصفوف وازدحام السيوف فى طاعة الملك الرؤف وهو الحنان المنان الذى لا يشغله شأن عن شأن فطال ما قاتلت فى طاعة الشيطان والصلبان وأريد الآن أبذل ذلك بالجهاد فى طاعة الرحيم الرحمن ثم انها بعد ذلك صاحت فى الجواد وهجمت فى المجال وطحنت الأبطال وقد دخلت بين الصفوف وبددت الالوف هذا والصحصاح بطرفه يرعى ألوف ويقتل الرجال ويمزق الصفوف إلى أن غابت عن عينه وهى تجول بين الفرسان وتجندل الشجعان فخاف عليها من الهلاك وسوء الارتباك فحمل فى الجهة التى قصدتها وفرق الابطال عنها وشتتها ولم يزل يمزق المواكب تمزيق ويفرق الفرسان عنها تفريق إلى أن أشرف على جم عظيم وإذا هم مائتين بطريقٍ وهى تقاتل أشد قتال وكان السبب فى تلك المعركة ان الملكة الوف لما فارقت الصحصاح وصارت فى تلك الالوف وإذا هى بفارس بين القوم وقد عرقبوا جواده من تحته وهو يقاتل وحده ولم يعلم به أحد من قومه وجنده فتأملته وإذا هو فارس الميمنه والميسره وهو الامير مسلمه وحين وصولها كان أشرف على البوار من يد هؤلاء الاشرار ولما عرفته اشتعلت فى قلبها النار وهجمت على الكفار وفرقت عنه الفرسان بالسيف والسنان ورأته هو كأنه قطعة من الارجوان مما سال عليه من أدميه الفرسان حتى كلت منه اليدان فتقدمت اليه وهى خائفة عليه فسمعته يقول هذه الابيات

اليوم يوم تعلو فيه الهمهمه   وتظهر الآن جميع المكرمه

قد فاز عبدفى الهيجا قد قدمه   خالقه إلى قتال الظلمة

رجوت من الرحمن حسن المكرمه   بنصره حتى أنول المغنمه

(قال الراوى) ولما سمعت الوف كلام مسلمه ورأت الكفرة محتاطه به فقاتلت عنه وحملت دونه حتى كشفتهم عنه فسمعت قائل منهم اقطعوا قوائم جواده وقد أخذتموهم جميعا فما لحقت تنظر اليه إلا وقوائم جوادها قد قطعت فألقت نفسها على الأرض وقاتلت وكافحت عن مسلمه وعن نفسها أشد كفاح وأسخنت القوم بالجراح فلما عقل على نفسه طمع فى الخلاص ونظر إلى فعالها وجود قتالها

فقال كم لله من ناصر فى دينه مثل الصحصاح وقال من أنت أيها المجاهد فى طاعة الملك الماجد ابشر بجنات النعيم والخلاص من نار الجحيم ومجاورة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فقالت له يامولاى أنا جاريتك ألوف فلما سمع كلامها ورد عليه مورد عظيم وقال أعوذ بالله السميع العليم وأخذته النخوة على الحريم وعمل فيه الهوى والغرام فحمل على الكفار وضرب فيهم بالبتار وفى قلبه من خوفه على ألوف لهيب النار فتكاثرت عليهم الكفار وأحاطت بهم الأشرار فهم كذلك وقد أيقن كلا منهم أنه هالك وقد أشرف عليهم الملك الصحصاح وهم فى أشد ما يكون من الكفاح ولما رآهما عرف أنهم فوارس الاسلام وتروس قبر المظلل بالغمام محمد صلى الله عليه وسلم فحمل على القوم اللئام فما ضرب ذراعا إلا قده ولا رأسا إلا شقه ولا يد إلا أبراه فقتل الاقيال وجندل الأبطال وأفنى الرجال وهو يجول ويصول وينشد يقول

الحمد لله الذى منّ علينا بالنعم وهو صيرنا من خير الأمم
لأضربن بالبتار فى هذى الأمم وأورد القوم اللئام كاس النقم

(قال الراوى) ثم انه انطبق على القوم واستقبل الخيل ونزل عليها نزول الويل وزاد عليهم غضب وحرقهم حريق الحطب وطحنهم طحن الحصيد وبددهم فوق الصعيد وجاهد فى طاعة الله الملك المجيد حتى كشفهم عن مسلمة وألوف وجزع من الأعدا الأنوف فلما رآه قال لله درك من بطل لم تزل مفرج للنوائب وكاشف المصائب أنت عمدة الاخوان وعزنا على طول الزمان ثم أنه ركبهم على خيول القتلى واصطحبوا الثلاث وضربوا فى الاعدا بالسيوف وضربوا الروم ساعة على قدر الطاقة ونظر ما حل بالروم لوقا فوجدهم قد ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار وهم طالبين المواكب وإذا بالكمنا خرجت عليهم من كل جانب وان مروان قاتل فى ذلك اليوم قتال شديد ما عليه من مزيد وكذلك الأمير عطاف قطع الرؤس والأطراف وخمدت نيران العساكر الروميه وطلبت البحار مو خوفها من السيف البتار وقصدت المراكب من كل جانب وأرمت نفوسها عليها ففرق منهم عالم عظيم زهاء عن مائة ألف ولم يخلص سوى سبعة عشر مركب وغنم المسلمين غنيمة عظيمة ماغنم أحد مثلها وملكوا المراكب كلها وفيها من الأموال والأوانى الفضة والذهب مالاعين رأت ولا أذن سمعت وكانوا غنموا من المراكب ألف وسبعمائة ثلاثة وثمانون مركب ومن الخيل والأسلاب مايقطع عليه حساب وربحوا من الله سبحانه وتعالى الأجر والثواب بما فتح الله لهم فى الجنة من الابواب فهذا ماجرى ها هنا (وأما المنهزمين) فانهم وصلوا الى القسطنطونيه

وكان الخبر وصل من الأول أن (لوقا) هو الظافر على المسلمين فقال (لاوون) إن لوقا لو خرج يملك جميع البلاد الاسلامية ويرد أهل الأرض الى الملة المسيحية ويقابل السيد المسيح بتلك النية ثم انه أمر بزينة القسطنطونيه وزاد عندهم الفرح والسرور وشرب الخمور وظنوا أنهم قد ملكوا أعنة الأمور ولم يعلموا بما لهم فى الغيب مسطور ومن وسط الأفراح أقبل عليهم الحزن ولاح ووصلت مراكب المنهزمين وأخبروا بما تم عليهم من المسلمين فعلا بكاءهم وكثر عواءهم وانقلبت بشارة البشير وأخبروا أن النصارى قد قتلت والمراكب ملكت ووصل الخبر الى لاوون فقامت عليه القيامة ورمى تاجه من على رأسه وأخذ يضرب على رأسه حتى وقعت أضراسه وانحلت من الروم العزائم وندبت النوادب وسمع البكاء من كل جانب ودخل على لاوون خادما يقال له أرمانوس وكان عاقلا وأخبره أن هزيمة المسلمين كانت على وجه الخداع والمحال ومابقى يصل اليك أحد من الرجال إلا من وصل اليك وقدم عليك وأن لوقا راح مع من راح فوقع على الأرض مغشياً عليه وقال لامفر من القضاء ولولا أن المسيح قد غضب علينا وإلا ما كان أرسل هؤلاء المسلمين إلينا وأقبل البترك مهموم مغموم فقال له لاوون يا أبونا ما أراك إلا أوقعت بنا الهلاك فقال البترك وحق المسيح ما كان فيه من رجيعى لاوزن مثقال لانكم أمرتمونى بما لاأطيقه وأقول إن بعضهم قد فسدت نيته ورماه من شاربه ولحيته فذهبت بركته والآن مابقينا نشتغل إلا بالدعاء فى البيع والكنائس إلى أن يندفع عنا شر المسلمين وقد خرج البترك وجميع الناس إلا واحد من الرهبان يقال له شماس إنه أقبل على لاوون وقال له أيها الملك إن العدو ماينال من عدوه شيء إلا بالخداع وقد عزمت على انى أخرج الى العساكر الاسلامية لعلى أن أنال منهم شيء بالخداع وأهلك مقدمهم وإن صحت الحيلة فيهم ومات مقدمهم بلغنا المنى ولايبقى منهم باقيه ولايقام لهم رأس بين الناس وانى أريد من نصارى بلاد الشام الذى تخرج الى بيعة سوفيا فى كل عام وبهم يتم المرام والاحكام فقال له لاوون مهما أردت من ذلك فهو بين يديك وماكان بأسرع مما حضر له مائة رجل من نصارى نجران وقال لهم لاوون أنتم تعلمون ماتم على الملة المسيحية وأهل ماء المعمودية من العصابة المحمدية وأهل الشريعة الحنيفية وهذا العبد الناجح قد وهب نفسه الى السيد المسيح وعول على الدخول الى عسكر المسلمين وهو فى زى الموحدين حتى يدبر حيلة يعود نفعها علينا ويصل خبرها لدينا ويمنع المسلمين أن ترجع إلينا فهل أنتم واهبون أنفسكم الى السيد المسيح مثله على انى أعطيكم قنطار من الذهب الأحمر ومن

سلم له عندى كل ماطلب ومن مات له من السيد المسيح حسن المنقلب فقالوا له أيها الملك قد وهبنا أنفسنا بالكلية الى السيد المسيح ومريم الزنارية الطاهرة الزكية ونجعل أرواحنا فداك ولا نشمت بك عداك فعند ذلك أعطاهم ما أوعدهم به من الأموال وأخذ الراهب شماس جميع مايحتاج اليه من خزاين الأموال ثم انهم ساروا وفى صحبته النصارى وكان هذا الراهب شماس أكفر خلق الله تعالى من دون الناس وكان حكيما منجما متلاعبا بالاديان وكان مسافر إلى بلاد الشام ورافق الحجاج ومافعل هذا الشأن إلا لمعرفته بسائر الأديان وقد عرف مذاهب المسلمين وكتب العبرانيين وتهود مع اليهود فى بيت المقدس وحفظ كثير من التوراة وتعلم من القرآن بعض آيات وقد صار آفة الآفات وبلية من البليات وهو مع هذا الشأن لا يعتقد فى دين من الأديان وما كان سبب اقامته فى بلاد القسطنطونية إلا أنه يعشق جاريه بنت حاجب من من الحجاب الكبار وكان انطلق فى قلبه منها لهيب النار وكلما كسبه من المال يحمله اليها على سبيل الهدية ويظهر لها فى دين النصرانية وكان اسمها اشمونس وكان يقول لها انى أعرف علم النجوم والأقوال الحنيفية وأرى أنك تملكى بلاد القسطنطونيه وكانت هذه الجارية أحسن أهل زمانها كأنها من بنات المحدتين أو القهوجية لأنها كانت مثل حوريه وهى فريدة عصرها وأوانها وكانت تحب ابن عمها وقد زاد به غرامها وطلبت أن تتزوج به ويتزوج بها لأنه هو الآخر محبا لها ولم يرضوا بذلك القسوس والرهبان والبترك فان ذلك حرام لأن الروم لم يتروجوا بنات الاعمام وكانت بذلت من المال كثير الى البترك الكبير على أنه يزوجها بابن عمها فلم يرضى بذلك السؤال ولم يسمع منها مقال ولا قبل منها المال بل قال لها إن ذلك حرام ولا يجوز إلا فى دين الاسلام فقال لها شماس أنا أزوجك به بشرط اذا ملكتى القسطنطونية أكون أنا البترك على الملة المسيحية وعلماء النصرانية ثم انه أقام على ذلك الحال وكان يمضى إلى ابن عم الجاريه اسمه صلبان وكان مليح الصورة وكان شماس عايش بينهم بالكلام ويعمل لهم على بلوغ المرام وطال المقام وهم فى الانتظار إلى أن وقع الحرب وحصل ماحصل فأراد اللعين أن يصنع شيء يبيض به وجهه عند ملك الروم لاوون وعند جميع الروم حتى انه اذا طلب زواج الجارية شمونس يساعده عليها كل انسان وكان أكثر خوفه من لاوون لأنه كان لها عاشق وبحبها واثق وكان عازم على أخذها من أبيها فأتاه هذا العارض واشتغل عنها وعن غيرها . وسنرجع لما كنا فيه وان اللعين شماس سار مع الرجال وقد أشهرهم بالتجاره إلى بلاد الاسلام وأما لاوون قد دخل

عليه ولده منويل وقال له أيها الملك ماهذا شيء يجيء بالدعاء وبالحيل والآن أنظر لنفسك وعظم عليـــه القصة وتركه وخرج ففزع لاوون وكتب من وقته إلى سائر الاقاليم وكان أشار عليه ولده بذلك وقال له لا تترك أحداً فى القلاع والحصون من دين النصرانية إلا ويأتوا اليك بالنساء والعيال والزاد والأموال ولايتخلف منهم أحد فى البلاد وتقول ان عساكر الإسلام ملئت الأطلال والرسوم فعجلوا الينا بالقدوم قبل قدوم الأبطال وقتل الرجال وسبي النساء والعيال وأخذ الأطفال والأموال وخراب الحصون وقد هلك من النصرانية ما فيه الكفاية وأن مدينه القسطنطونية لا تبالى بأهل الأرض لاسيما إذا ملئت بالرجال فانهم إذا كانوا معنا فى البلد ونساؤهم وعيالهم حرصوا على القتال لأجل أموالهم وأولادهم والثانى أنهم يسلموا من العدا والثالث انهم يجيبوا معهم الزاد والاقامة ما يكفينا ولايحوجنا الى العدو فقال لاوون يابنى وفقك المسيح الى الصواب فلقد جئت فى أحسن خطاب ثم كتب إلى سائر الجهات يحث الناس بالمسير اليه والسعى لديه والقدوم عليه ومع كل كتاب كتاب آخر من البترك يحثهم على المسير ويقول كل من تأخر أخرجته من دين النصرانية وطرده المسيح من باب رحمته وغضب عليه وأخرجه من الاعتقاد الصحيح وكسر الصليب وأوقده تحت لحم الجمل فالعجل العجل قبل فوات الأهل وحلول الأجل لأن العدوقد وصل وكأنكم به فى الديار وقد نزل فارحلوا بالاموال والعيال والاهل والاولاد وأكثروا معكم من الزاد ثم ان الكتب سارت الى جميع البلاد وأقام كلب الروم ينتظر العساكر النصرانية وقد وقع الخوف فى مدينه القسطنطونية فهذا ما كان من الكلاب الارجاس (وأما ما كان) من اللعين شماس فانه لما سار بمن معه من الانجاس وأقبل على الكفار وكان ألبسهم فى زى الفجار مثل المسلمين الابرار وحمل لهم مائة بغلة من الثياب الانطاكى والاطلس الديباج الملكى وأخذ لهم كتاب من كلب الروم منويل بأنى قد أعطيت الامان الى تجار المسلمين الذين كانوا واصلين الينا من الشام فلا يتعرض لهم أحدمن أهل دين النصرانيه والتابعين للملة المسيحية لان التجار عليهم عمار البلاد ولهم الامان من سائر العبادفلا يتعرض لهم أحد بأذية لئلا تمنع التجار من مدينة القسطنطونية ثم ان شماس اللعين أقبل على ما كان معه من القوم الكافرين وقال لهم عولت أن أدبر على هلاك المسلمين وعلى فارسهم الشيطان المريد ولكن حتى يتم لى ما أريد ثم انه لبس مسبح أسود وحك جبهته بالثوم حتى بقت وسمة سودة وهى كأنها من كثرة السجود والتعبد وكان الملعون نحيل البدن أصفر اللون غائر العينين ثم انه شد رجله

بحبل كان معه من ركبته الى قدمه ثم سارالى أن وصل الى عسكرالمسلمين وحل الحبل من رجله من بعد ما أثر الشد على ساقيه ودهنه بدم الاخوين وأمر الذين معه أن يضربوه على بدنه حتى بقى للضرب على بدنه تأثير وكان قد ضرب ضربا كثير ثم انه قال لهم اطرحونى فى صندوق من هذه الصناديق الفاضيين وادخلوا بى على عسكر المسلمين واعلنوا بقول : لااله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى كلمة الملة الحنيفية ولا عليكم فى ذلك إثم ولاخطيئة لأنكم ماتعتقدوها بقلوبكم بل تقولون بألسنتكم وهذا يكون سبب وصولكم الىمطلوبكم وإن أتى أحد من المسلمين وعارضكم فسلموه جميع مامعكم واتركوا لهم البغال وما عليها من الأموال وامضوا الى ملكهم فى الوقت والحال وصيحوا بأصواتكم وأنتم مستغيثين وقولوا نحن ما أخذ لنا مال فى بلاد الكافرين وكيف ماتنهب أموالنا اخواننا المسلمين وهم مجاهدين وهانحن معنا كتاب ملك الروم لاوون بأنه لايتعرض لنا أحد من النصارى بسوء ومع ذلك فاننا عملنا فى هذه السفرة ما نستاهل عليه من الخليفة الأجرة وأن يكتب لنا كتاب إلى دمشق بالوصية ولا يتعرض إلينا أحد بأذية وإن قيل لكم وما الذى عملتوه من الأعمال فقولوا عملنا عملا يرضى الملك المتعال وخلصنا رجل من السلاسل والأغلال وهورجل عابد زاهد والكرامات عليه شواهد وأفعاله كلها حسنة وله تحت الأرض فى مطمورة خمسة عشر سنة وهو يستغيث فلا يغاث ويستجير فلايجار وهو يضرب آناء الليل وأطراف النهار وهو لايزداد إلا التبصر والإجلاد فى طاعة رب العباد رغبة منه فى الدار الآخرة وحسن العاقبة ونحن ما كان عندنا من ذلك خبر ولا نعلم له أثر وإنما كنا فى مدينة القسطنطينية على ما جرت به عادتنا وقد بعنا بضاعتنا واشترينا مامعنا فلما كان الليل ونحن نازلين فى البيعة وقد انضجعنا فى مضاعنا واذا بيد صورة من تلك الصور التى فى الحائط أمدت يدها وخاطبتنا وهى تتحدث بكلام بائن مثل لغة الآدميين وتقول لنا يامسلمين هل لكم فى مقابلة رب العالمين ولما سمعنا ذلك حلّ بنا الدمع وأقبلنا عليها ووقع بنا الخوف وقلنا وكيف السبيل الى ذلك وأن نبذل المجهود فى رضا ءالك الممالك فقالت لنا هذه الصورة اعلموا أن الله تعالى قد أنطقنى لكم حتى يقوّى بغيتكم فاخرجوا من هذه المدينة التى فيها هؤلاء الملاعين واطلبوا عساكر المسلمين لأن فيهم سيف الله الملك الحق المبين وقد سله على القوم المجرمين وهو الذى يفتح بلاد الروم ويملك القسطنطينية ويهلك النصرانية وقبل وصولكم اليه تجدوا فىالطريق مرج يقال له مرج سيحون فاصعدوا على لحف الجبل

تجدوا هناك دير يعرف بدير القمص وفى الدير صومعة وفى الصومعة حاجتكم وبقضاها ترضوا خالقكم ويشفع فيكم نبيكم لأن فيها مطمورة ومن داخلها رجل من عباد الله الصالحين وهو من أهل بيت المقدس واسمه عبد الله وهو من أدين الناس وأحفظهم لكتاب الله وهو من المجاهدين وله كرامات الصالحين وأن بعض الرهبان عمل عليه حيلة وأوقعه فى هذه المطمورة وله فيها سنين وهو فى الأسر والعذاب المهين يعاقب بالليل والنهار ولم يجد له أنصار فاذا خرجتم من هذه المدينة قليلة الخير فاقصدوا الى ذلك الدير واذا وصلتم اليه وحصلتم فيه فخلصوا ذلك الرجل مما هو فيه وأوصلوه إلى عسكر المسلمين وقد نلتم الأجر من رب العالمين ثم ان اللعين شماس قال لهم واذا أنا وصلت اليهم بهذه الحيلة أعرف ما أدبر وأهلك فرسانهم وأبيد أبطالهم ولما أخذوا القوم كلامه وسمعوه ساروا به وهو من داخل الصندوق. فهذا ماجرى مع هؤلاء اللئام (وأما ما كان) من عسكر الاسلام وما تم لهم من الأحكام فانهم لما نصرهم الله تعالى على أعدائهم بعد ما أكثروا عذابهم وفناهم وقتلوا منهم مالا يحصى بعدد الرمل والحصى ولما استقرت قلوبهم بعد ما فرغوا من أعداءهم فعند ذلك أنزلوا جميع مافى المراكب من العدد والأوانى والأطباق والصوانى وكان ذلك كله من الفضة والذهب لأن رجال الروم ماتسير من مكان الى مكان إلا ومعهم أوانى الطعام والمدام وغير ذلك من أوانى الشراب ولما احتووا على جميع الأسلاب وتمت لهم الأسباب أخذوا من المراكب أكبرها وأجودها وقد عمروها بالرجال والزاد والأثقال والذى تبقى منهم كسروه وبالنار أحرقوه ثم ان الأمير مسلمة أقبل على الملك الصحصاح وقال له اعلم ياملك العرب بأن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على على المسلمين وأهلك طائفة من الكافرين وفتح علينا بهذا الفتح المبين وأنا والله ما على قلبي من مال ولا نوال بعد ما هلكوا أهل الكفر والضلال وأكبر الغنائم عندى ثواب الله تعالى وانى بعد ذلك أقسم بمن سطح الأرض المدحية اننى ما أرجع عن هذه النية إلا أن فتحت بلد القسطنطينية وأبنى فيها جامع يذكر فيه التهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير صلى الله عليه وسلم ويخطب فيه الخطيب على المنبر على رغم أنف من كفر وأذل الطائفة الفاجرة التى لم تزل على التوحيد لله منكره وما أبالى بعد ذلك مايجرى علىّ لأنى لا أخاف من قدوم الموت بعد إظهار كلمة التوحيد ويكون سببا لنصرة الله الملك المجيد فاما أن أبلغ ما أريد

واما أن أقتل فأموت شهيد . فلما سمع الملك الصحصاح كلامه فرح بذلك ودعا له وقال له أنا أفديك أيها الأمير بنفسى من دون الورى ولابد لنا من الجهاد فى الأعداء ولو أقمنا فى هذه الديار أبدا وقد هبنا نفوسنا للواحد الأحد الذى لاشريك له ولا ولد وهو الواحد المنان وهجرنا الأهل والأوطان فى طاعة الكريم الديان الرحيم الرحمن الذى لايشغله شان عن شان مكون الأكوان ومدبر الملك والزمان العظيم السلطان المعروف بالجود والإحسان والعفو والامتنان وقد فتح علينا بالمغفرة والرضوان وبعد ذلك أيها الأمير الكبير والسيد الخطير ان خرجوا الى قتالنا قاتلناهم وصبرنا على أذاهم وان عزموا على الحصار حاصرناهم والله تعالى يعطيك مرادك زمن شر أعداك أقالك والله ان الجهاد عندى ألذ من شرب الماء عند عطش الظمآن وألذ من العافية على بدن المريض وبعدها أيها الأمير فهذه المراكب بما فيها من الرجال والأثقال تسير فى البحر ونحن نسير فى البر إلى أن نصل بلاد أهل الكفر والضلال ونصبر على الحرب والقتال وشدة الطعن والنزال وقد وهبنا أنفسنا إلى الملك المتعال الذى سطح الأرض وأرسى الجبال وقد قال ربنا ذو الجلال : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) صدق الله العظيم ونحن قد بعنا نفوسنا لله ربنا وهو ينصرنا ولا يخذلنا (قال الراوى) ثم انهم رحلوا وطلبوا القسطنطينيه وهم سائرين بخلاص النية وحسن الطوية ثم جدوا فى الثرى وهم طالبين من الله حسن ثواب الآخرة و (ألوف) الى جانب الأمير مسلمة وقد أصبحت بعد الكفر مؤمنة وتجردت فى طاعة رب الأرض والسماء وهى تقول والله لقد ذهب عنى الخسران ومتابعة أهل الصلبان وأن الله قد هدانى الى الايمان من بعد الكفر والطغيان وقد وفقنا الرحيم الرحمن بفضله والاحسان ولم يزالوا سائرين وهم يقطعون الآفاق حتى وصلوا الى دير القمص بالاتفاق وكانوا قدقطعوا مفاوز بعيدة وأرض صعبة شديدة وهى روابى وآكام وقد انقطع الماء عنهم ستة أيام ولما وصلوا الى تلك الأرض والأطلال ونظروا الى المياه الجارية من الجبال وهم سابحات بالماء الزلال قدرة المهيمن ذو الجلال الواحد الفرد المتعال المنزه عن الشبيه والمثال والأشجار محملة بالأثمار والأثمار من فوقها الأطيار وهى مسبحة مغردة كأوقات التلاق فى أيام الوصال المسعدة والمرج كأنه جنة من الجنان (قال الراوى) فلما نظر الأمير مسلمة والملك الصحصاح الى ذلك المرج الفياح ارتاحت منهم الأرواح وسجدوا شكراً للملك الفتاح ونزلوا فى تلك الأماكن الفساح ثم ان مسلمة أقبل على الصحصاح وقال له يعلم الله أن روضة

دمشق تقصر عن هذا المكان لأنه يحكى جنة من بعض الجنان ونحن الآن نقيم فى هذا المكان الى ثلاثة أيام ثم انهم نزلوا وضربوا الخيام وفرحت جميع الناس بتلك الأنعام إلا انهم ما استقر بهم المقام حتى سمعوا صياح قد علا وصراخ قد نما فسألا مسلمة والصحصاح عن ذلك الصياح فأخبروهم أن قافلة من التجار الذين لبلاد الشام وكانوا نازلين فى هذا المكان ولما نظروهم العسكر ظنوهم ممن كفر ولاشك انهم أخذوا شيئا من أحمالهم وهؤلاء هم أصحابهم قد أتوا صارخين وهم بكم مستجيرين فلما سمعوا بهذا الكلام أمروا باحضارهم فحضروا بين أيديهم وحكوا جميع ماأعلمهم به شماس اللعين لعنة الله عليه وعليهم أجمعين ثم بعد ذلك أخرجوا الكتاب الذى معهم وقالوا اذا كانوا الكفار قد أعطونا الأمان من أهل هذه الديار ونحن من الفجار فى أمان وكيف تأخذ أموالنا عساكر الأبرار فلما سمع مسلمة ذلك الخطاب بعد ماقرأ الكتاب قال لهم سوف نرد اليكم ماأخذ منكم ولكن كان الواجب عليكم أنكم لاتدخلوا بلاد الكفار وأهل ملة الزنار فقالوا اعلم يامولانا اننا مادخلنا باختيارنا ولكن الله سبحانه وتعالى هوالذى حركنا والى هذه البلاد أخرجنا وهذا من أجل شيء ظفرنا به ما ناله أحد غيرنا ولا نلتم أنتم مع هذا الغزو مانلنا وبعد ذلك فالحمد لله الذى من علينا بكم وفى هذه الأرض التقينا كم لأننا كنا تحت الخوف الشديد الذى ما عليه من مزيد (قال الراوى) فلما سمعا مسلمة والصحصاح هذا الكلام قالا لهم وماالذى ظفرتم به وغنمتموه وأنتم تقولون أفضل من هذا الجهاد قالوا مانقدرنقوله قدام أحد من جندك وما نقوله إلا فى خلوه بيننا وبينك والذى معنا نسلمه إليك لأننا قوم تجار ونخاف أن يطلع علينا أحد من هذه الديار فيكون ذلك سبيلا لهلاكنا والدمار وهلاك كل تاجر يقصد الى بلاد الكفار فعند ذلك دخلوهم الى دخل السرادق وأمروا بالانصراف الى تلك الخلائق وقد خلا لهم المكان ولم يبق هناك انسان إلا الأمير مسلمة والملك الصحصاح ومن يجرى بجراهم من أهل الدين والصلاح فعند ذلك قالوا لهم هاتوا ماعندكم من الأخبار فشرحوا ما لقنهم به اللعين شماس فلما سمع منهم الملك الصحصاح ذلك الكلام قال لهم وهذا الزاهد خلصتموه مما كان فيه أوهو باقى الآن فى الدار قالوا يامولانا قد خلصناه وخدام القمص قتلناه وفى المذبح أرميناه ومن خوفنا على نفوسنا أسرعنا فى الهرب خوفا من الموت والعطب وقد قيل لنا إن فى الدار قناطير من الذهب وصلبان وغيرها من أعجب العجب فقال لهم الصحصاح وأين هذا الرجل الآن فقالوا عندنا وهومن داخل صندوق فى رحلنا فقال لهم امضوا وائتونا

به حتى ننظر اليه ويحكى لنا جميع ماجرى عليه فعند ذلك مضوا وأتوه بذلك الصندوق وهو على حاله مطبوق فلما نظر الصحصاح اليه قام له قائما على قدميه وفتحه بيده وأخرج اللعين شماس ونظرته أعين الناس واذا هو قد علاه الصغار وكثر نحوله وزاد فى عينه الغوار ونظروا الى تلك السلاسل والاغلال التى فى رجليه ولم يعلموا أن ذلك من خبثه ولعنته وهذه الصبغة من حسن صنعته ولما شاهدوه وهو فى سلاسل حديد ومكتوف بكتاف شديد عندها تواثبوا اليه وجعلوا يبوسون يديه ورجليه وقد ارتفع الضجيج من حواليه ولما نظرهم أشار اليهم وعن البكاء سكتهم وقال لاتبكوا على مابى من البلوى لأنى ماأبديت لكم الشكوى فانى قد رضيت بما صنع المولى لانه بى أحق وأولى فيفعل بى مايشاء لأننى عبده ولايحصل الوصول الى الجنان إلا بأنواع الامتحان وقد كنت أتمنى العودة الى بلاد الاسلام وأخلص من يد هؤلاء اللئام وبعد ذلك ماكنت أشتهى إلا أن أموت تحت حوافر خيل المجاهدين لأنى راغب فى مجاورة الصالحين ومن كان من أهل الدين وحسن اليقين الذين ظفروا بمطلوبهم وفازوا بالنظر الى وجه محبوبهم فهم أهل الاخلاص والسادة الخواص فازوا بالاخلاص فهم فى حضرته حاضرون ولجماله مشاهدون وقد صاروا من الهجر آمنون فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون (قال الراوى) فلما فرغ شماس اللعين من كلامه تناثرت الدموع من الاجفان وساحت على الخدود كأنها طوفان وقام اليه ملك العرب فى ساعة الحال وفك قيوده والاغلال وهو كأنه الحلال ثم انه أحضر له شىء من الطعام فامتنع عنه ولم يلمسه وقال والله يعلم اننى بقى لى مدة خمسة وعشرون سنة ماأفطر فيها يوم من الايام كيف أفطر فى هذه الساعة وأترك الصيام بعد ماجاد على الملك الخلاق وأنعم على بالاطلاق ورفع عنى من العقوبة مالايطاق فلما أن سمع مقاله تركه على حاله الى أن أقبل الليل بالظلام ودعوه الى مائدة الطعام فأبى ولم يسمع لهم كلام وقال ماهذا وقت طعام بل هذا وقت دعاء وصلاة وقيام وطاعة للملك العلام منشى الانام ومحيى العظام ثم انه وقف يصلى طول الليل فى الظلام الى أن بدا الصباح بالابتسام ولم يزل على ذلك الحال ثلاثة أيام وثلاثة ليال لم يجلس فيها إلا وقت التحيات ولم يطلب شىء به يقتات ولما نظر الامير مسلمة إلى تلك الكرامات قال والله انه لا يكون مثل هذا الرجل بين السادات وكان الصحصاح ضرب له خيمة حتى يختلى فيها بنفسه ورتب له فيها فراش لخدمته وقد وقعت فى قلوب الناس هيبته ولما كان آخر اليوم الرابع طلب الطعام فحمل اليه شىء كثير من سائر الالوان فلم يأكل شىء منه بل أكل رغيف واحد بملح ونوى الصيام وعاد الى الصلاة والقيام ولما

فظر الصحصاح الى ذلك الاجتهاد قال ماهذا الرجل إلا من خيار الزهاد وهو من أكبر العباد وأنا والله لولا هذا الجهاد الذى نحن فيه للزمت بيتا أعبدالله فيه والله لقداشتهيت أن أخلو مع هذا الرجل وأتحدث معه ساعة لعله يدعوا لى دعوه أبلغ بها المنى فقال مسلمة والله العظيم الجواد الكريم وكذلك إنا لأننا فى غداة غد نرحل إلى القسطنطينيه وماحصل لنا معه ساعة هنيه ولا تحدثنامعه بالكلية فقالت الملكه ألوف أناقصدى أتبرك به وأسأله أن يدعو الله لى أن يغفرلى مامضى ويجود على بالعفو والرضا فقال لها مسلمه أما أنتى فقد غفر الله لك ماتقدم لقوله تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف ولما هدأ الليل ونامت العيون دخلوا على شماس الملعون وإذا هوقائم فى صلاته يصلى وشيبته على صدره وهو ناظرالى موضع سجوده فوقع عليهم البكا والخشوع وفاضت أعينهم بالدموع وجعلوا يكلموه وهو لايلتفت اليهم ولم يزالوا على ذلك الحال وقد كثر من كل واحد أسفه وزاد لهفه الى أن مضى من الليل نصفه وسلم من الصلاة ونظر اليهم وسلم عليهم وقال لهم متى جئتم إلى ههنا فقالوا له أما سمعت بكانا ونواحنا فقال لا وحق الواحد المنان الواقف بين يدى الرحمن لايعلم بما يكون من الأكوا فقالوا نشتهى أن تسمعنا شيئاً من حديثك حتى نلتذ بألفاظه الثنيه وندعو الكل واحد منا دعوه بصفو نيه وهى عندنا خير من ملك الدنيا ولما سمع منهم هذا الكلام التفت اليهم وقال لولا أنتم أمراء المسلمين وملوك الموحدين وأشرف المجاهدين ما تحدثت معكم ولاشرحت قصتى عليكم وذلك أننى كنت فى بيت المقدس مع بعض الابدال وأرباب الأحوال وكنت الكبير عليهم ولا ألتفت اليهم وكنت ليلة من بعض الليالى نزلت الى مصلحة فلما وصلت الى البحر وكانت الدنيا ليل ولم وجدت من يعدينى فقلت بسم الله الرحمن الرحيم ودست على الماء بقدمى فوجدته مثل الأرض تحت رجلى فسرت فوقه وقضيت ما كان يلزمنى وعدت راجعا من فوق الماء وكنت نظرت الى نفسى فأدركنى العجب لما رأيت منزلتى فابتليت فى ساعة الحال ووجدت قساوة فى قلبى وقد ابتلانى ربى بالأوهام فقلت فى سرى والله لاعدت أقيم فى بلاد الاسلام وقلبى قد تشوس بالأوهام ولا بد لى من الدخول الى بلاد الروم فلعلى أبلغ ما أروم ثم أنى تجردت واليها دخلت ودرت فى أقطارها سنة كاملة وما تركت موضعا إلا ودخلته وعبدت الله فيه وزرته ولم أزال على تلك الحال إلى أن وصلت الى هذه الأرض بالقدر المقدور وأقمت فيها ثلاثة شهور ثم أنى صعدت الى ذلك الجبل واذا أنا بدير وفيه راهب يقال له القمص فلما رآنى خرج الى وسلم علىّ وضمنى الى حضنه وقبلنى وقال إنى رأيتك من

حين دخلت الى هذا المرج وأنت تعبد الله الملك العلام وقد شوقتنى الى دين الاسلام ثم أنه أخذ بيدى وأتى بى الى الدير وأتانى بالطعام من بعد ما أكرمنى غاية الاكرام وبدأنى بالكلام فاطمأن قلبي اليه وأيقنت بالسلامة ثم أنه قام من عندى وأغلق على باب ذلك البيت وأوثقه بالأقفال العظام وتركنى أربعين يوما تمام لم أذق فيهم مياه ولاطعام وما كان قصده بذلك إلا قتلى ولما كان بعض الأيام وأنا على ذلك الحال وإذا قد وصل اليه بطريق يقال له مغلنطوس من عبدة الصلبان ومعه عشرة من الغلمان ومعه أيضا ابنة تسمى تماثيل وهى على الحقيقة مالها فى الدنيا مثيل قد اجتمعت سائر المحاسن فيها ولا فى بنات الروم أحدا يحاكيها وأبوها من مدينة تسمى المنحصره وهى على ساحل البحر وهذ الملعون أكفر خلق الله سبحانه وتعالى هو والقمص متخاوين وقد تعاملوا على قتل المسلمين فلما وصل اليه ومعه ابنته وغلمانه فأخبره الراهب بحالى وأن لى عنده أربعين يوم محبوس فقالوا له الجميع إنه الآن قد جاف لحمه فاخرجه وارميه للوحوش والطيور فأتوا الى فوجدونى قائم للصلاة فلما عاين القمص منى تلك الفعال خرج هاربا وهو يقول الحقونى لاشك أن هذا من السحرة الكبار وقد دخل الى هذه الديار فعند ذلك هجموا على الجميع وضربونى ضربا وجيع لو وقع على الجبال ما كانت له تطيع وقد اطمأنت بذلك نفسى وقلت يا نفس هذا جزاء من لبس ثياب العجب فانه يطرد عن باب الرب ويضرب فى بلاد الكفار ويسلط عليه الأشرار ثم أنه وضع فى رجلى القيود والسلاسل وفى عنقى الأغلال وردونى الى تحت الأرض وكان اللعين كل ثلاثة أيام يرمى لى قرص من الشعير وفى كل شهر أو شهرين يأتى البطريق وابنته وقد كبرت لأنى أول ما رأيتها كانت صغيرة وأقمت عندهم خمسة وعشرون سنة ومن محبة أبوها فيها لم يدخل بها الى بلد القسطنطينية خوفا من كلب الروم لاوون أن يأخذها منه لأنها قدوهبت نفسها للمسيح إلا أنها كانت تركب مع أبيها فى زى الرجال ولم يعلم بها أحد أنها جارية وأبوها قد حمل جميع مايملكه الى الدير وقد رأيت فى ذلك الدير الذى كنت فيه سرداب تحت الأرض وهو ملآن من الذهب والفضة وفيه صلبان وجواهر وشيء كثير من المال مما لا تحمله رجال ولا جمال وهذا أحق به من عسكر المسلمين حتى ينفقوه فى القتال ويستعانوا به على الجهاد فى طاعة ذوالجلال لأنكم أحق بهذا النوال من هولاء الأندال ولما أتوا هؤلاء التجار الى الدير حين كلمتهم الصورة التى فى الحائط من أجلى فكان القمص من خارج الدير ولم يوجدوا إلا تلميذه فأوثقوه كتاف وضربوه حتى أقر وأخبرهم عنى فأتوا إلى وأخرجونى وقتلو هذا الرجل بعد

ماخلصونى ولم يكن لهم غيرى مطلب وهربوا بى خوفا من العطب وما زالوا خائفين
إلى أن وجدنا عسكر المسلمين وليلة غد فهو موسم عند الروم وكل من كان فى هذه
الأرض يقصد الدير ولا بد أن تمـاثيل تأتى مع أبوها الى الزيارة وان شئتم أسير بين
أيديكم وأسلمكم جميع ما فى هذا لدير من المال والذخاير الغوال ونقيم فى الدير حتى تأتى
تماثيل ونأخذها لأنها ما تصلح إلا لخليفة المسلمين وامام أهل الدين وهى قد حازت
الحسن والجمال والقد والاعتدال والبها والكمال فقالت ألوف من خصوص القمص
أنا أعرفه وما أحتاج إلى أحد أن يوصفه وكنت حملت اليه شيئا يساوى ألف دينار
وهو عند الروم من الرهبان الكبار وقد رأيت ماوصف هـذا الزاهد من الأموال
والنوال ورأيت تماثيل وهى كأنها البدر المنير وكنت لها أشاهد ولم أعلم أنها جارية
وكنت أظن أنها غلام ولقد بذلت لها ثلاثة ألف دينار حتى أتزوج بها لظنى أنها من
الرجال مع كونى ما كنت أشتهى الزواج ولاتعلمت طريقة الغنا إلا منها ولما سمع مسلمة
ماقالت ألوف قال الصحصاح ياملك العرب هذه الجارية ماتصلح إلا لك فقال يامولاى
أنا ما أريد على ابنة عمى شريكه إنما تكون هذه الجارية برسم أمير المؤمنين وخليفة
رب العالمين فقال شماس اللعين ياملك العرب نحن نخاف أن أبو الجارية إذا نظر كثرة
العساكر يهرب هو وابنته ولايدخل الى هذا الدير والصواب نأمر العساكر بالرحيل
وأنفرد أنا وأنتم وقومى وندخل الدير ومعنا مائة فارس من أبطال الموحدين وفرسان
المجاهدين ويكونوا من الشجعان ويأخذوا معهم البغال والجمال لأجل حمل الأموال
والأثقال لأن هذا رزقهم وقد ساقه اليهم وأما أنا فمالى اليه حاجة وما بغيتى إلا فى الجهاد
فى طاعة رب العباد فلعلى أن أفوز بالشهادة وألحق بأهل السعادة فلما سمع الأمير مسلمه
منه ذلك الكلام أدعى بالأمير مروان والأمير عطاف بن الحارث والأمير غانم بن
زاهر وقال عند الصباح ارحلوا بالعساكر الى نحو القسطنطينيه وأنت يا أمير عطاف
نائب عنى والأمير مروان نائب عن ملك العرب والأمير غانم معكم فى التدبير ولاتعلموا
أحدا بأننا غبنا عن العسكر وبعد ثلاثه أيام فانا لاحقون بكم ان شاء الله تعالى ثم انتخب
مائة فارس من أبطال بنى كلاب ومن أبطال بنى سليم ممن يعرف فيهم الشجاعة مع
أنهم هم الثلاثة فيهم الكفاية لثلاثة آلاف وأخذوا معهم البغال والجمال والصناديق
لأجل المال ولما كان عند الصباح نادى المنادى بالرحيل فعند ذلك رحلت العساكر
وبقت الوحوش من كثرتهم نافرة والعساكر فرحة مستبشرة وهم يظنون أن الملك
معهم والأمير مسلمه (قال الراوى) هذا ماجرى للعساكر من أمر الرحيل والرواح

(وأما ما كان) من الامير مسلمة والملك الصحصاح فانهم أقاموا بمن معهم الى آخر النهار وبعد رحيل الناس وصلت التجار وهم الكفار أهل النار أصحاب اللعين شماس وقد دخلوا اليه وقبلوا يديه فأمرهم بالانصراف بعد ما أعطاهم كتاب الى ملك الروم فساروا وهم يقطعون البرية وهو يقول أنا مابقى لى غرض الى الدنيا الدنية وقد قتلنى الشوق الى الآخرة الأبدية وهو كان يذكر فى هذا الجواب يقول لكلب الروم على ماصنع من الاسباب وقد أتى بالامراء والأصحاب والملكة ألوف الذى طردها المسيح ومعهم مائة فارس وانى سائر بالجميع الى دير القمص وآمرهم بقتل الراهب حتى يكون فداء الى النصرانية وهم أهل الملة المسيحية وان تمت هذه الحيلة فما يبقى من المسلمين ديار ولانافخ نار وأنت ترسل أيها الملك عشرين ألف فارس حتى يتم لى ماأريد من الامور النفائس وتأمرهم يسيرون الى جانب البحر ليلا خوفا أن تراهم عساكر المسلمين فيفسد مادبرنا من الامور وأرسل الكتاب كما ذكرنا وسار به حتى دخل على لاوون فأمر باحضار العساكر وكل واحد منهم بالفرس والنجيب والزاد وما يحتاج وأمرهم بالسير كما عرفه اللعين شماس فساروا وهم يقطعون البرارى والقفار فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من المسلمين الاخيار فانهم باتوا تلك الليلة إلى أن طلع النهار ونزلوا من على الخيل وتموا سائرين الى أن وصلوا الى الدير وصاحوا على القمص وأمروه بالنزول فنزل وهو مذهول وفتح لهم الباب وقال ما بالكم يامسلمين فصاح شماس اللعين وقال اقتلوا هذا يامجاهدين فان هذا هو عدو الموحدين وقد عمل على سجنى بطول السنين فعندها قطعوه بالسيوف وأسقوه كاس الحتوف ثم أن شماس قصد بهم موضع المال فأخرجوا شيئا تعجز عن حمله الجمال وقد فرحوا المسلمين بذلك ثم أنهم وضعوا ذلك المال فى الصناديق وأقاموا وهم فى انتظار البطريق ولم يأتى أحد منهم ولا من الروم وأرادوا الرحيل فقال لهم اللعين شماس انتظروا حتى يأتى البطريق نسل الارجاس حتى نأخذ ابنته ونقتله من بين الناس وكان قصده بذلك أنه يؤخرهم حتى تأتى عساكر الروم فأقاموا هناك جملة أيام ولم يروا أحدا من الروم اللئام فقال الصحصاح والله ان قلبى مع الاسلام وقد طال بنا فى هذا الدير المقام فقال ابن أمير المؤمنين اننا أخذنا هذه الاموال التى لاتحصى والساعة نسير نلحق بعساكر المسلمين فما أظن إلا أن تماثيل وأبوها رأوا العساكر فرجعوا هاربين وان فتح الله علينا وأخذنا القسطنطينيه فما يبعد علينا تماثيل ولاغيرها ثم بعد ذلك المثال حملوا الصناديق على البغال وخرجوا جهة الخيل وبلغوا السرور والآمال وساروا يقطعون القفار آناء الليل وأطراف النهار ولاعندهم خوف

ولا رعب حتى وصلوا إلى الشعب (قال الرواى) وكانت العساكر الذين أرسلهم لاوون فى هذا المكان مكمنين ولم يشعروا المسلمين حتى بقوا بين الروم الملاعين وساروا بين بحرين زاخرين وجيشين متراكمين فعند ذلك أخذهم الصياح من كل جانب وسل السلاح ونادت الروم بلسان كفرها ووقعت المسلمين فى شباك أمرها فلما نظروا المسلمين الى ذلك الجيش العظيم قالوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ترى من أعلم هذا الجيش بنا وكيف كان وصولهم الينا فقال الصحصاح ماهذا وقت كلام ولا سؤال بل هذا وقت ضرب النصال فى طاعة الملك المتعال إلى هذا الشعب اسندوا ظهوركم وقاتلوا عن نفوسكم وان الله تعالى ناظر اليكم وان لم تفعلوا هذه الفعال وإلا حل بكم من المشركين الوبال وقد أفنوكم فى هذا المكان لأنه مثل الدرب له بابان وهؤلاء الملاعين مسكوهم علينا بالامكان وهذين الجبلين يمنعونا عن المجال ولو كان فيه ميدان وحق النبى المنتخب سيد العجم والعرب كنت الساعة سقيتهم العطب وأحرقتهم بالنار مثل الحطب فقال الأمير مسلمه والله لقد فرطنا فى أنفسنا لقلة الرجال معنا ولو كنا أتينا فى جيش قدر خمسة آلاف كان ينفعنا ومن هذا الشعب يخرجنا فقالت ألوف والله لقد صدقت ولكن أنا أعرف فى هذا الشعب مغارة كبيرة وكنا إذا أتينا القسطنطونية فى أيام الصيف نقيل فيها لأنها مغارة باردة فاعدلوا الآن اليها حتى نتستر من قبل أن تطلع الكفار إلى رأس الجبل ويرمونا بالأحجار فيكون ذلك سببا لهلاكنا والدمار ولما سمعوا مقالها قصدوا وإلى المغارة دخلوا فوجدوها تساع ألفين فارس ففرحوا بها وقال مسلمة للصحصاح ياليت من يعلم إخواننا المسلمين حتى يأتوا لنا أهل الدين ويمنعوا عنا المشركين فعند ذلك قال لها اللعين شماس ياقوم ماذا حل بكم من الوساس وقد سكن فى قلوبكم وأنتم قلتم انكم بعتم لله عز وجل نفوسكم والآن سلموا الأمر اليه وهو يعينكم انه قادر على نصرتكم فوالله لقد بقيت تحت الارض خمسة وعشرون سنة مأسور ولم أعترض عليه فى أمر من الامور فخلوا عنكم هذا الفزع الذى حل بكم والآن ابذلوا نفوسكم فى مرضاة ربكم فمن قتل منكم فالجنان مأواه وربه يجازيه أحسن الجزاء ولما سمعوا منه هذا المقال خفت عنهم الهموم والأهوال وخرجوا إلى الروم وحملوا عليهم من كل جانب وعملت بينهم القواضب وتراشقوا بسهام المصائب وقطعت الأيادى من المعاصم وفصلت من الخيول الجماجم وحملت عليهم الفرسان وحامت عليهم العقبان وصبرت الاسلام على قتال اللئام فى طاعة الملك العليم العلام والصحصاح

يضرب فيهم ضرب منكر ويقتل منهم خمسا خمسا وعشرا عشرا ويسقيهم من النجيل خمرا وطرحهم على جنبات الغـبرا وأوردهم من الموت كاسا مرا ثم إنه أنشد وجعل يقول :

أيا معشر الكفار طرا سأبيدكم بالسيف جزرا إنى إذا فر الجبان
من المعامع ما أفرا واليوم ألبسكم ثيابا كلها بالدم حمرا

وترون منى فى الوغا خمسا وخمسا ثم عشرا
أحمى على الاسلام دوما وسط المجال بغير نكرا
وأبذل النفس فى رضا رب له فى الخلق أمرا
أرجـو بذلك جنة حفت بنا سرا وجهرا
ثم الصلاة على النبى خير الورى وأجل قدرا

(قال الراوى) وان الملك الصحصاح أنشد هذه الابيات وهو فى القتال والكفاح فبينما هو فى ذلك الكلام وقد زاد بهم الحال وهم فى أشد ما يكون من القتال وأرى قد وقعت عينه على اللعين شماس وهو يحمل على الروم وتلك الاجناس ويشير اليهم بالسيف ويظهر لهم قوة البأس والكفار بين يديه يهربون والى قتال الملك الصحصاح يطلبون وكان الخبيث يقول لهم لا تظهروا أنكم تعرفونى واهربوا من قدامى ولا تحادثونى بلسان الرومى وهذا فارس القوم فان قتلتوه أو أسرتوه ملكتم سائر المسلمين إلا أنى لا أريد إلا أن يكون أسير حتى أعذبه العذاب الخطير وفى تلك الساعة رآه الملك الصحصاح وهو يحمل على الروم وهم يتهاربون من بين يديه فقال فى نفسه هذه والله هيبة العبادة لأن الروم تخاف منه ويلحقهم الوجل ويولون الادبار ويركنون الى الفرار وما زال القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولى النهار وقد أقبل الليل بالاعتكار فعند ذلك وصلت المسلمين الى المغاره وقد حلت بهم الخسارة وقتل منهم خمسة وأربعون ثم انهم افتقدوا شماس فلم يجدوه فعظم عليهم وكبر لديهم وقالوا لا شك أنه استشهد فى سبيل الله فقال الملك الصحصاح أنا رأيته وهو يحمل على الروم وهم ينهزمون من بين يديه مثل الغنم فهم فى الكلام واذا بالملعون وقد أقبل وفى يده رأس وكانت رأس البطريق المقدم على العسكر وكان أخذها من المعمعة وكان هذا البطريق جبار وقد قتله رجل من بنى كلاب يقال له الأمير عوف وانه التقى بهذا البطريق وكانت الروم تخاف وتقول انه مجنون وذلك من كثرة شجاعته وجسارته وهجومه على الأشياء الخطره وكان الأمير عوف لما التقاه كان البطريق

يظنه انه الملك الصحصاح فحمل عليه ساعة من النهار واختلف بينهما طعنتان وكان السابق الأمير عوف فوقعت الطعنة فى صدره خرجت من ظهره وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فلما نظرته الروم وقد قتل أميرهم حملوا عليه وحمل عليهم حتى استشهد رحمة الله تعالى عليه وعجل الله بروحه إلى الجنة ونعم الدار وان الملعون شماس قطع الرأس عن البدن وأخذها فى يده ودخل على المشركين وقال لهم لا بد ان أدخل على المسلمين بهذه الرأس لتتم حيلتى وأنظر من بقى منهم وفى غداة غدان خرجوا إلى القتال ما يبقى منهم خيال وان لم يخرجوا أمرتكم بحرق باب المغارة بالنار ونفعل بهم مانحب ونختار ثم أخذ الرأس ودخل بها على المسلمين فلما رآها الصحصاح وثب له قائما وقال الحمد لله الذى رأيناك سالما فقال الملعون والله ياولدى لقد طلبت الشهادة اليوم فلم أنولها وصرت أرمى روحى بين أيديهم وهم يهربون منى واننى لما انفصلت أخذتنى الغيرة الاسلامية فهجمت على البطريق المقدم عليهم وهو يعد بالف فارس فضربته أطحت رأسه وقد أتيت بها اليكم لتطمئن قلوبكم وتعود عزيمتكم على الجهاد وأريد فى غداة غد أمضى إلى عسكركم ولو كانوا على باب البلد وآتيكم منهم بعشرون الف فارس يهلكوا هؤلاء الملاعين فقال الصحصاح كيف تمضى وباب الوادى مسدود من كل جانب عندها ضحك اللعين وقال اعلم ياولدى ان الله تعالى قد أوعدنى بالستر فالله يسترنى عن اعينهم فلا يرونى ومن رآنى منهم فلا يقدر يقف بين يدى فقال له والله لقد صدقت وأنا قد رأيت ذلك ولكن ان كنت تقدر أن تمضى فى أول الليل فهو أجود فقال شماس أنا أمضى فى هذه الليلة وآخذك معى وان كان الأمير مسلمة يأتى معك فانه لم يراكم أحد لأن ظل الولى يظل اثنين فقال له أما أنا فلا أقدر أفارق أصحابى ولكن خذ معك من إذا خلص كانت سلامته سببا لسلامة المسلمين فاذا وصل أميرنا وهو سالم فيكون هذا مقصودنا من الله تعالى وهو يرسل لنا مروان بن الهيثم ومعه عشرة آلاف فارس من رجال المسلمين وأبطال الموحدين وقد فرغنا من هؤلاء اللئام فقال شماس دعونى حتى أمضى أمامكم وأنظر ان كان الاستار باقى على أم لا حتى أخرج بكم وأنا على حذر منهم لأن هذا عمود الدين وابن خليفة المسلمين ثم ان الملعون قد خرج وغاب ساعه وعاد والملكه الوف تقول ياقوم ماتم شر ولاخوف والله لو لم يكن له كرامات ما كان قتل ذلك البطريق الجبار ولقد انكسرت من بعده الكفار لأنه كان مقدما على هذا الجيش المغوار وكان شجاعا من الشجعان الكبار فهم فى الكلام وإذا باللعين داخل عليهم وهو يقول ان الله سبحانه وتعالى

لايضيع كرامات الأولياء وعند خروجى وجدتهم نيام وذلك ببركة الجهاد فقوموا بناحتى نسعى للمسلمين فى صلاح أحوالهم فنهض للامير مسلمة وقال له الملك الصحصاح يا أخى خذ معك ألوف فأخذهم وقال لهم كونوا سائرين من خلفى وأنتم آمنين وكان شماس اللعين لما خرج ينظر الكرامه مضى إلى الروم وأخبرهم بما دبر من الحيل فلما سمعوا الروم الانذال من شماس ذلك المقال فرحوا وزال ما كان عندهم من الخيال وقالوا ما بقى يجبر خاطرنا بعد قتل أميرنا الا هذه الفعال ولا يقام عذرنا عند الملك لاوون إلا بهذه الأعمال ثم انه دبرهم على مايريد ورجع وأخذ مسلمة والوف وساروا وهو قدامهم وقد نفذ فيهم سهم القضا المقدور غير ان الله سبحانه وتعالى ينجيهم بحسن اعتقادهم ويجزيهم على قدر نياتهم وأما شماس فانه ضامر الشر لهم والأذيه وناوى لهم على كل نية رديه وهو كما قيل فيه

وساع سعى فى ختفه وهو لايدرى   بأن قضا الرحمن فى خلقه يسرى
مضى حتى ما يرجوالخلاص لنفسه   فعاجـــله أمر المدبر للامر

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى بقوا بين الـكافرين ولما نظر مسلمة والوف إلى اللئام وهم يبصروهم ولا يكلموهم قال مسلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان من خص أوليائه بالكرامات وقالت الوف هذا شيء لم يدخل عقلى ولم أصدق حتى أنظر الفرج وأخرج وأحققه فهؤلاء عميان حتى نمر بينهم ولم يرونا فما تمت كلامها إلا والرجال هجمت عليهم وقبضوهم قبضا باليد وقالوا لمسلمة والوف كيف تمروا بيننا ولم تخافوا فقالت الوف خذوا أيضا هذا الزاهد لأنه هو سبب وقوعنا فقالوا وحق المسيح والمذبح والذبيح اننا لم نر أحد غيركم فقالت لهم هاهو أمامنا فقالوا لم نرى سواكم فقال لها مسلمة اسكتى لعله أن يمضى إلى عساكر المسلمين وكان هذا بتدبير اللعين شماس وصادفت المقادير بانكار الوف عليه فظن مسلمة أنهم ما وقعوا الا بتغير نية الوف زوجته وأقبل عليها وقال لها انك أوقعتينا فى الشدائد بما تكلمى فى حق هذا الشيخ الزاهد فقالت الوف اننا وقعنا فى القضاء والقدر وهذا ما للعبد منه مفر لأن العبد أسير القضا ان كان سخط أو رضا لاتقل فيما جرى كيف جرى كل شيء بقضاء وقدر ثم قالت الوف ياسيدى توكل على الله عز وجل فانه نعم المتوكل عليه ثم إن الروم ضربوا الوف ضربا كثيرا حتى غشى عليها من الضرب ولم يتعرضوا للامير مسلمة وذلك لأجل هيبة الملك والسلطنه فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الملك الصحصاح فانه صبر حتى طلع الصباح فخرج هو وأصحابه يطلبون الحرب والـكفاح

فنادوهم الكفرة على من تقاتلوا يامسلمين وقد أخذنا ابن خليفتكم والحاكم عليكم وزوجته الوف وقطعناهم بحد السيوف وان أنتم سلمتم لنا أنفسكم فقد سلمتم وأبقيناكم وإلى عند الملك أرسلناكم وعلينا اننا ندع الملك يصالحكم ويطلقكم ولكن بشرط انكم ترحلوا عن أرضنا إلى دياركم ولما سمع الصحصاح هذا المقال أيقن بالفنا والزوال وهمدت قوته على أعز رفقته وقاتل هو ومن معه بنية صادقة وقلوب على الموت فى سبيل الله موافقه إلى أن ولى النهار بضياه وأقبل الليل بظلماة وافترقوا عن عسكر الكفار وكانوا قد أيقنوا بالدمار فدخلوا إلى المغار وبقى مع الملك ثلاثون فارس وهم مسخونين بالجراح وباتوا تلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح وأقبل الملك الصحصاح على العسكر الذين معه وقال لهم ان خرجنا فى هذا اليوم الى الروم أوردونا موارد الهموم والرأى عندى اننا نجرد سيوفنا من داخل الباب ونبيع لله نفوسنا فى طلب الثواب ونمنع كل من قصدنا من الكفار وعندنا الزاد والماء ونتوكل على رب السماء ولعل الله تعالى أن يكون أخفى العابد عن أعين الكفار لانى سمعت الروم وهم يذكرون الأمير مسلمة وزوجته الوف ولم يذكروا الزاهد فعسى أن يكون لم رآه منهم أحد وهانحن منتظرين من عند مولانا الفرج والقائل يقول

كم فرحت مطوية ما بين أجنحة النوائب
ومسرة قد أقبلت من حيث تنتظر المصائب

(قال الراوى) ولما سمعت القوم كلام ملكهم قالوا هذا هو الصواب ثم انهم أقاموا وهم فى باب المغار يقاتلون الكفار الى أن أمسى المساء ورجعت الروم عن القتال وقالوا لبعضهم ان هذا شيء يطول بيننا وبين المسلمين لأنهم ماداموا هكذا فلم نقدر عليهم بشيء من الأشياء ونحن الآن مستعجلين وقصدنا ان نسير يا ابن أمير المؤمنين الى ملك الروم ونستريح من التعب هيا قوموا بنا الآن الى المغار ونوقد فيهم النار فان خرجوا قبصناهم باليد وان لم يخرجوا فانهم يحترقون بالنار ويموتوا من الدخان فى الحال فقاموا وجمعوا الأحطاب وعند الصباح أتوا الى المغار وأضرموا فيه النار فايقنوا بالموت فقالوا كلمة لايخذل قائلها لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم فهم كذلك واذا بمنادى يقول معاشر المسلمين سلموا أنفسكم والا حرقناكم أجمعين وبعدها ضربنا رقبة ابن خليفتكم وزوجته وان سلمتم أنفسكم سلمناكم جميعا الى الملك لاوون ونصالحكم على انكم عن بلادنا ترحلون ثم انهم قدموا الأمير مسلمة وقالوا له قل لقومك يسلموا أنفسهم الينا والا قتلناك أنت وزوجتك وبعدها

بحرقهم بالنار فناداهم الأمير مسلمة وقال ياقوم سلموا أنفسكم فان الحي يرجى وان تأخرتم فهم يقتلونى وبعدها يحرقوكم بالنار ومن مات لاتعود له آثار فلما سمعوا مقاله علموا أنه صواب ونادوا على الكفار وقالوا لهم اخلوا لنا الطريق وارفعوا النار من قدام المغار حتى نخرج إليكم ونسلم أنفسنا إليكم . ولما سمعت الروم هذا الخطاب وضعوا على النار التراب وخرجوا المسلمين وهم لأنفسهم مسلمين وممتثلين لقضاء رب العالمين ونزلوا الروم وأخذوهم أجمعين وصعدوا بهم فى الحال وربطوهم بالعرض فوق البغال مع صناديق المال ثم انهم خرجوا من ذلك الشعب والوهاد وساروا وجدوا فى المسير باجتهاد ولم يزالوا سائرين طول النهار باهتمام الى أن أقبل الليل بالظلام ونزلوا للراحة وأكل الطعام فأقبل الملك الصحصاح على الأمير مسلمة وبشره على صبره بالجنة ثم سأله كيف جرى له مع العابد الزاهد فأخبره بما جرى وأن (ألوف) أنكرت عليه فوقعنا بذلك السبب فى موقع العطب وأما هو ما أحد من الروم رآه فقال الصحصاح هذا أمر مقدر ولكن نطلب الأمان ونرجو الخلاص من الله عز وجل واذا بالصحصاح وجد راحة فى نفسه فتمطا فى الكتاف قطعه ثم عالج القيد حتى كسره وفعل مع الأمير مسلمة كذلك وأيضا ألوف وقال انى أريد أقتل ثلاثة من الموكلين بنا ونأخذ ثيابهم ونلبسها وندور على إخواننا ونفعل بهم مثل مافعلنا بأنفسنا وبعدها ندور السيف فى القوم اللئام فقال مسلمة ياأخى ان هذا ليس بصواب لأنهم اذا سمعوا شخير المقتولين يقوموا إلينا ويردونا كما كنا والرأى عندى أننا نسير ويستر علينا اللطيف الخبير فعندها قام الصحصاح وحل جوادين ملاح وأعطاهم الى الامير مسلمة وزوجته وقال لهم سيروا كأنكم طالبين الماء واذا خرجتم من العسكر انتظرونى حتى ألحقكم وأنا أدبر إن شاء الله تعالى على خلاص أصحابنا لأنه مايهون على أن أسير وأتركهم فى يد الكفار ربما انهم اذا افتقدوا عند الصباح ولم يجدونا فيقتلوا أصحابنا وأعطى لكل واحد منهم سيف وطارقة ومايحتاجوا اليه وذلك من أسلحة الموكلين بهم لأن جميع القوم كانوا سكروا وناموا وقال لهم سيروا الى عند الجبل وانتظرونى فساروا وعاد الصحصاح وبقى يتام بجانب الرجل من المأسورين ويحل كتافه ولم يزال الى أن حل كتاف الجميع وكسر قيودهم وأتى لكل واحد بعدة جلاد وآلة حرب وطراد وسل له جواد وقد طرح الله تعالى النوم على الأوغاد وسارت المسلمين وستر عليهم رب العالمين الى أن وصلوا الى مسلمة وألوف فوجدوهم لهم فى الانتظار وهم خائفين أن يفطنوا بهم الكفار فقال لهم الصحصاح

قروا أعينكم ولا تخافوا على نفوسكم واعلموا أن الله سبحانه وتعالى هو الذى أوقعكم وهو الذى خلصكم وما بقى إلا المسير والاتكا على اللطيف الخبير ولكن مافى قصدى إلا أن تجيبوا طلبتى وتقضوا الى حاجتى فقالوا ماهى حاجتك ونحن الكل عبيدك ولا نخالف مقالتك قل ماشئت ياملكنا فأنت حاكمنا وسيدنا فقال ان حاجتى أننا نصعد فوق هذا الجبل وننادى ياعسكر النصرانية قد أتتكم العساكر الاسلامية ونصيح كلنا فى صوت واحد الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر وخذل يالشام من كفر ونسأل بعد ذلك مولانا المعونة وأظن أنهم اذا سمعوا الصياح فى هذا الظلام يتوروا ويقتلوا بعضهم ويتفرق شملهم وإذا دروا علينا ولم يجدونا يقولوا إن عسكرنا كبسهم بعدما خلصنا ويعمل السيف فيهم الى الصباح ونفوز نحن بالسلامة والنجاح فقالوا ياملك افعل ما بدا لك بلغك الله آمالك ونحن سامعين مقالك فعندها صعدوا إلى ذلك الجبل وأعلنوا بذكر القديم الأزل وزادوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير ولما سمعوا الروم ذلك الصياح تواثبوا ولبسوا السلاح وقالوا كبسونا الأعدا فى الاعتكار وحق المسيح وبمن لبسوا الزنار وافتقدوا الأسار فلم يجدوهم فعولوا على الفرار والرجوع الى الديار فقالوا لهم المقدمين لا تنهزموا فما فعل هذه الفعال غير الاسارى الذى كانوا عندنا وقد هربوا دونكم وإياهم ولا تخافوهم أولاهم ثلاثين والثانى أنهم تعبانين وهم أكثرهم مجروحين ومن قلة الاكل مرضانين ونحن عالم كثير وان لم نمسكهم فى هذه الليلة وإلا فهم منا هاربين وإذا بقوا فى وسط عسكرهم فما أحد يقدر عليهم فعادوا الملاعين واحتاطوا بهم الشمال واليمين بعدما كان ولوا مدبرين فقال مسلمة هذا الذى كنا نخشاه فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما بقى إلا الجهاد فى طاعة رب العالمين فلما سمع الصحصاح مقاله أظهر بلباله وانحدر من على أعلا الجبل وكبر وهلل وانحدرت بعده الرجال وعولوا على القتال فبينما هم كذلك وإذا هم بصيحات عاليات وصرخات ناميات أقبلت من تلك الأرض والفلوات وهم يصلون على سيدنا محمد سيد السادات وصاحب المعجزات صلى الله عليه وسلم وكان ذلك العسكر هو عسكر الاسلام وقد وصل فتخيل للروم أن البر تزلزل وصح عندهم أن عسكر المسلمين هو الذى كبسهم وأيقنوا بالعدم ولما رأو عسكر الاسلام عليهم هجم وعمل السيف فى رقابهم وحار من كفر وطارت رؤسهم كالاكر ووقعت كفوفهم كأوراق الشجر وطعن الصحصاح فيهم بالرماح وهو متعلق القلب بادراك الصباح وإذا بعسكر بنى كلاب ومقدمهم الأمير عطاف المهاب وهو ينادى باسم رب الأرباب معتق الرقاب

ومسير السحاب جل شأنه هو مسبب الأسباب ربى أسألك التوبة وحسن المآب وقد فرح الصحصاح بما ظفر وحكم السيف وعدل فيمن جحد وكفر حتى بان الصباح وظهر الفجر واشتهر وعرف الخصم خصمه بحقيقة النظر وتعجب المسلمين من هذا الاتفاق الحلو المذاق وأقبلت القوم على مسللمة والصحصاح وهنوهم بالسلامة والنصر من الكريم الفتاح وكان السبب فى قدوم هذا الجيش سبب عجيب وأمر مطرب غريب نحب أن نسوقه على الترتيب حتى المستمع يلذ ويطيب بعد ألف صلاة على النبي الحبيب الذى من كان يصلى عليه يكسب لا يخيب وهو لما الأمير عطاف والأمير مروان ساروا بالعساكر ورحلوا طالبين القسطنطونية فلم يزالوا كذلك إلى أن قاربوا الديار وإذا بالروم من فوق الأصوار والابراج وهم فى فرح وابتهاج وقد رفعت الكفار صلبانها وعصت بزورها وبهتانها فنزلت عساكر الاسلام وضربت الخيام وقد ملأوا الأرض فى طولها والعرض ولما استقر بهم القرار نظر عطاف إلى أبراج المدينة وجدها كلها مزينة بالعدد والرجال وآلة الحرب والقتال فأقبل على مروان وقال له اعلم أيها الأمير اننا على أخطار من هؤلاء الملاعين الكفار ونحن ننظرهم من فوق الأصوار وهم أضعافنا عشرات المرات ونخشى من جاسوس يأتى الينا ويمضى يعلمهم بغياب الأمراء فيطمعون فينا وأنا أخاف أن يرسلوا للامراء جيش ونحن ها هنا لا نعلم بهم وأنا عولت أن آخذ عشرة آلاف فارس وأعود اليهم ان وجدت الذى خطر ببالى صحيح ساعدتهم والمعين هو الله وإن كان غير ذلك استعجلتهم على الحضور الى هنا ولايبقى علينا عتب ولا عندنا ندم لأن الحزم سوء الظن والقائل يقول

لايكن ظنك الا سيأ ‌ ‌ ‌ ان سوء الظن من أقوى الفطن

(قال الراوى) ثم ان عطاف قال لمروان التى بالك على العسكر إلى أن نعود اليك وانتخب من العسكر عشرة آلاف فارس من كل بطل مداعس وسار طالب الأمراء فهذا ما جرى هاهنا وأما ما كان من أمر شماس فانه لما أوقع مسلمة وألوف فى يد الكفار حسب لهم ألف حساب ميشوم وأخذ جواد من خيل الروم وسار طالب عسكر الاسلام وهو يقول لابد ما أشتت جمعهم وأخبرهم بما جرى لأصحابهم ومتى سمعوا ذلك انكسر قلبهم ويتفرق شملهم ولم يزل ساير بطول الليل إلى الصباح وإذا هو قد نظر من بعد عسكر الأمير عطاف ولما رآهم دخل بعض الشعاب وحسب فى نفسه الف حساب وأخفى الجواد ووقف الى أن ظهرت الرايات الاسلامية والأعلام المحمدية فعرف أنهم خافوا على أصحابهم فخرج من الشعب من غير حصان ومروهو

كأنه شيطان الى أن وصل عند أهل الايمان ورفع صوته وقال لهم العجل العجل يا عبد الرحمن ولما رآه عطاف ترجل اليه وقبل يديه وقال له يا ولى الله قل لى ماوراك فقال لاتسأل عن الحال فان الامراء دخلوا الى الدير وأخذوا كل ما كان فيه من الأموال وحملوها على ظهور البغال وساروا وهم طالبين الوصول اليكم والقدوم عليكم لخرج اليهم عسكر كبير وأخبرهم بما جرى من أوله الى آخره فقالوا كلمة لايخزل قائلها لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ومتى فارقتهم ياولى الله قال فى ساعتى هذه فقال عطاف ان الله سبحانه وتعالى طوى لك البعيد وأعطاك كلما تريد ولاشك انك من عباد الله الصالحين ثم انه قال له أما تعود معنا فقال أنا ماضى الى العسكر ربما يطمعوا فيهم القوم اللئام فأكون عندهم أعظهم وأحرضهم على القتال فالحقوا أنتم بالأمراء الله يكتب لكم ولهم السلامة ثم عاد الى جواده بعدما مضى الأمير عطاف وشار يقطع الأرض فى طولها والعرض حتى أشرفوا على المسلمين وهم فى شدة الالهاف فعندها جميل عطاف وحملت رفقته وأيد الله تعالى المؤمنين بالنصر على القوم الكافرين وفرح الصحصاح فرح شديد ما عليه من مزيد بهذا النصر الذى لم يكن له فى حساب ورفع صوته من فرحته وأنشد يقول

لك الحمد يامستوجب الحمد والشكر ... فما زلت لى ياذا المحامد فى أمرى
ربيت يتيم فى الحجاز وكنت بى ... كفيلا معينا لى على اليتم والفقر
وأعطيتنى مالا وجاها ورفعة ... وقلدتنى سيف الشجاعة والنصر
وخولتنى ظل الخليفة منعما ... وغرقتنى فى بحر أحشائه الضمر
وسلمتنى من كل خطب حذرته ... بمولايا مسلمه فريد بنى الدهر
ثم الصلاة على النبي محمد ... أزكى البرايا وهو صاحب الفخر

(قال الراوى) هذا ماكان من هؤلاء وأما ماكان من اللعين شماس فانه ما زال سائر الى أن وصل عسكر المسلمين ونزل عن الجواد وأخفاه فى بعض الأماكن وطلب سرادق مروان بن الهيثم ولما رآه قام له قائما وأجلسه بعد ماقبل يديه وأكرمه وسأله عن حاله فأخبره وأعاد عليه ماجرى من أوله الى آخره ثم انه أخبره بعطاف وقال يامولاى أنا لا آمن على عطاف لأنه فى عشرة آلاف والعدو شىء كثير لايحصى والصواب أننا نرسل لهم جيشا يعينهم لأنى أظن أنهم قتلوا مسلمة وألوف والايكونوا أرسلوهم الى القسطنطينية وربما أن يكونوا حرقوا باقى الرحال بالنار فعجل أيها الأمير بارسال العساكر وكان قصده بذلك الكلام أن يحل عزايم الاسلام

ويشتت العساكر الاسلامية عن باب القسطنطينية وقد حصل للرجال الخوف الشديد وضعفت قوتهم من شدة الخوف والفزع على حماته وملوكهم ثم قال لهم اعلموا أيها المجاهدين أن مسلمة والصحصاح إن كانوا ماتوا فى الكفاح فأنتم سلموا الأرواح الى الملك الفتاح واستعينوا بالله وبضرب السلاح وما النصر إلا من عند الله لا من الصحصاح وذلك لقوله تعالى : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وأنتم ماوصلتم الى هنا إلا على نية الجهاد والجنة وقصورها المزينة وأنا أول من يصطلى الحرب معكم وكان قصده بهذا الكلام انهم لايهربوا الى بلاد الاسلام وينجوا من الروم اللئام بل كان يريد أنهم من بعد مايرسلوا جيش الى الصحصاح ومن معه فيبقى منهم قدر نصفهم فعندها يرسل يعلم ملك الروم حتى يخرج عليهم بعسكره المذموم ويفنى مابقى من الموحدين وأما الامير مروان فانه ادعا بالأمير غانم وقال له أنت تعلم ما صنع الملك الصحصاح معك من الجميل وماله عليك من التفضيل والآن هومأسور فاجتهد فى خلاصه حتى تكون بذلت مهجتك فى خدمته وخذ معك عشرة آلاف فارس فقال سمعا وطاعة وتجرد من وقته والساعة فى عشرة آلاف فارس وهم للحديد لوابس وسار حتى أشرف على عسكر الاسلام . ولما رآهم الصحصاح فزع وخاف أن يكون حصل للاسلام شيء فى غيبته وحرك جواده وترك الأعلام ولما قرب من الأمير غانم ناداه فأجابه بالتلبية فقال له أخبرنى ياولدى ما الذى حصل فى عسكر الاسلام فقال يامولاى انهم بعافية من الله وما عندهم شاغل سواك ثم انه قال له يامولاى كيف حال مولاى الأمير مسلمة فقال له هو سالم وهاهو قادم فى مقدمة هذا الجيش فقال يامولاى نحن أتى الينا العابد الزاهد وأخبرنا بما هو كيت وكيت وقد وجدنا الأمير بخلاف ماذكر فقال الصحصاح وأين الزاهد فقال تركته عند مروان وأهل الايمان وهو يحرضهم على القتال (قال الراوى) ثم انهم ساروا قاصدين الى القسطنطونية والصحصاح يقول للأمير مسلمة يامولاى أنا خايف على الاسلام لأن العساكر تفرقت واذا أتى جاسوس من عسكر الروم ونظر الى ذلك فانه يعود ويخبر الروم فتركب على الاسلام ومازالوا سائرين وهم فى مثل هذا الكلام إلى أن قربوا العساكر وقد رأوا غبارعالى وصراخ نامى وإذا هم بشيخ فأقبل وهو يقول أدركونا ياأبطال الموحدين لقد خرج علينا كلب الروم وعسكرالكافرين ولما رآه الصحصاح ترجل اليه وكذلك مسلمة إلا ألوف فلم تترجل بل قالت والله إنقلبى نافر من هذا الرجل الفاجر لأنى لم رأيت له بركة ولاكرامة إلا ضربى والندامة فخلوا عن كلامه

واقصدوا بنا عسكر المسلمين فانى خائفة أن يكون هذا الرجل من المطرودين عن باب رب العالمين وما هو إلا يحرض علينا الكافرين فقال الصحصاح ياألوف ماأخذتكم الكفار إلا بهذا الظن المتلوف إن الغيبة مذمومة وهذا رجل صالح أما تنظرى من شفقته علينا فهو تارة يغدو الى مروان وتارة يأتى الينا ولولا أن الله تعالى ما يطوى له البعيد ما تم له ذلك ثم انه قدم له بغلة بركاب الذهب فقال له اركب يامولاى فلم يركب بل انه صار بجانب الملك الصحصاح وهو كأنه من فرخ الجان وقد رفع صوته بقراءة القرآن حتى أشرفوا على عساكر الإيمان وجيش الرحمن فرأوهم وقد ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولعبت فيهم سيوف الكفار وكان السبب فى ذلك هوشماس اللعين وهو انه لما رأى عطاف وقد انفصل بعشرة آلاف وغانم كذلك وبقيت المسلمين بلا راعى فأرسل كتاب الى ملك الروم وأعلمه بذلك وبما دبر من أسر مسلمة وألوف والصحصاح وكونه شتت العساكر وكثرت نفوس الباقين بهذه الفعال والآن بقى عسكرهم مثل الغنم بلاراعى فاخرج أنت وعسكرك واكبسهم فى هذا الوقت فان المسيح قد نظر اليك بعين الرحمة وأمطر عليكم مطر النصرة وكل من تأخر يغضب عليه السيد المسيح والبطرك الكسيح ولما وصل الكتاب الى كلب الروم وعلم مافيه فرح وصلب على وجهه وقال إن السيد المسيح مايترك دينه بلا أنصار وقد جعل لنا هذا العبد الصالح والنصر على يديه ثم انه نادى بالنفير وخرجت الروم حاملين العدد والسيوف اليمان وقد كفروا بالواحد المنان ولما نظر الأمير مروان الى ذلك قال لاشك أن الخبر وصل الى الروم بغياب الأمراء ثم انه نادى فى عسكر الاسلام وقال ياقوم إن هربتم ندمتم وإن صبرتم نصرتم فاحملوا بارك الله فيكم وانصروا دينكم فعند ذلك كبرت المسلمين وضجت الموحدين بالتهليل والتكبير لرب العالمين وفى ذلك الوقت طارت الرؤوس عن الأبدان وفتحت أبواب الجنان وأسرعت النيران والأمير مروان يحرض المؤمنين على قتال الكافرين وهم مولين وهو ينادى : الرجعة الرجعة يا أمة المختار ولا تولوا الادبار وتقصدوا الفرار تحرمونا من دار القرار وتحشرون مع الكفار من داخل النيران وهو يخوفهم بمثل هذه الأخبار (قال الراوى) ومازال السيف يعمل والرجال تقتل ونارالحرب تشعل وفى هذا الوقت السؤال لايقبل وتأخرت المسلمين عن بعض الخيام وملكتها الكفار وخرجت من القسطنطونية القسوس والرهبان وقالوا للبطارقة دعوا عنكم الأموال وعليكم بالقتال فقد رضى عنكم المسيح ونصر دينه الصحيح فبينما هم فرحين مسرورين واذا هم بعساكر

المسلمين وقدامهم الملك الصحصاح وهو ينادى الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر وكذلك الأمير مسلمة والأمير عطاف والأمير غانم وباقى الأمراء وهم من خلف الملك ينادون حاس الله أكبر ومن خلفهم عشرون ألف فارس من كل بطل مداعس فلما عاينوا الكفار الى ذلك ارتاعت قلوبهم وارتخت عزايمهم وزادت حسرتهم وكبرت بلوتهم وحملت بنى كلاب وبنى سليم وكشف الله عن المسلمين الضر فعندالمساء افترق الجمعان ودخلت كلاب الروم إلى البلد وجمع الملوك والبطارقة وقال لهم شيروا على بالرأى السديد لقد كنتم نلتم من السيد المسيح المراد ولولا وصول هذه العساكر ما كان بقا من الأعدا أحد وكان شماس قد كتب الينا أنه قبض على هؤلاء القوم وما أدرى كيف كان هـذا الأمر والعشرين الف فارس الذين أرسلناهم ما جاءنا من عندهم من يخبر بخير فقال بعضهم أيها الملك اعلم انه قد أتانى بعض البطارقة أخبرونى أنهم كانوا أخذوا المسلمين ولما دخـل الليل ناموا وهم مطمئنين فقاموا المأسورين وحلوا بعضهم البعض وعمل السيف فى قومنا حتى ما بقى منهم إلا القليل وقد هربوا خوفا من سطوتك وان المسلمين أخذت جميع الأموال التى كانت مع الرجال وأتت لنا من أجل القتال وهـذا ما جرى والسلام ولما سمع الملك لاوون ذلك صار الضياء فى وجهه ظـلام وقال مابقا الا الحصار حتى يرضى المسيح وتخرج المسلمين من هـذه الديار فبينما هو فى ذلك الكلام إذ وصل اليه كتاب من شماس نسل الأرجاس وهو يعرف لاوون بما صنع ويقول له لاتعتب على ولاتلومنى لأنى أخذت المسلمين وسلمتهم إلى عسكرك وهم الذين حصل منهم التفريط وأهملوا أمرهم حتى حصل ما حصل وذلك كله بارادة السيد المسيح وأنا باقى عندهم حتى أدبر أمر آخر والسلام فلما سمع الكلب لاوون ذلك الخطاب تحير ولم بقا يعرف يرد جواب فهذا ماكان منهم وأما ما كان من ملك العرب الصحصاح فانه لما أصبح الله بالصباح نادى فى الرجال وقال لهم ازحفوا إلى الأصوار واطلبوا القتال وكل محصور مقهور وعن قريب يكون مأسور فركبت الناس واشتد الباس وعظم المراس فرمت الافرنج بالأحجار والصخور الكبار وترشقت الاسـلام بالنبال وتصايحت الأبطال وعظم الوقت واشتعلت النار فصاح عند ذلك الملك الصحصاح ورد الناس عن المدينة وقال هذا قتال الغبينه وقد قال صاحب العظمـة والمملكة ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلـكة والصواب البعد عنهم ولاتصل الينا الأذية منهم وأنا أقسم بحق من أولانى الجميل ونصرنى على الكثير بالقليل لارجعت الى البريه حتى أفتح بلد القسطنطونية وابنى فيها جامع تصـلى فيه المؤمنين

متواضع ويكون كل انسان للاذان فيه سامع وأوطىء برجلى رقبة ملك النصرانية وأذل أهل ماء المعمودية ولا أرجع عن هذه النية حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وان كانت الآخرة وقتلت فى هذه البلاد فيكون ذلك من رضا رب العباد انه كريم جواد ويفعل بنا كيف أراد وقد قال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنيات وما أنا أول من طلب أمر ولم قدر عليه ومات ومن لبس ثياب التقوى فانه يقوى ومن أراد عظيم خاطر بعظيم فقالوا المسلمين هذا هو الصواب ونحن بين يديك ولا نراجع كلامك عليك بل كل ما أمرتنا به امتثلناه وكانت جميع الناس مالت اليه بالمحبه حتى مروان ابن الهيثم وكان يقول منذا الذى يعاند من رب السماء أعطاه وهو والله يستاهل كلما أعطاه وأقاموا عشرة أيام ولم يجدوا للراهب شماس أثر فقال الصحصاح لاشك أنه قتل فى الميدان وقد رضى عنه الملك الديان لأنى نظرته حرضنا فى الجهاد وأظن أن قلبه نفر من ألوف وحس منها بالانكار وغاب ولما كان فى اليوم الحادى عشر واذا بغبار قد علا وثار وسد منافس الأقطار وارتفعت الأصوات وكان السبب فى ذلك الغبار أن الملك عملاق ملك الافرنج خطب أخت الملك لاوون وطلبها للزواج فأجابهم بذلك وقال له ان المهر رد المسلمين عنا لأننا معهم فى القتال وإن كنت تريد الزواج فدونك واقصدنا بالعساكر والاجناد لأننا معهم فى أكبر جهاد (قال الراوى) ولما علم عملاق بالاجابة فما ترك فى بلاد افرنجه غير النسوان وسار فى البر بمائة ألف فارس خلاف ستمائة قطعة فى البحر ملآنة بالرجال وأمر قبطان المراكب أن يهجم على مراكب الاسلام فما كانت إلا أيام قلائل ووصلت مراكب الكافرين وانطبقت على مراكب الموحدين وتناطحت تناطح الكباش وكثر الهواش لهم معنى كلام وأما العساكر الذين فى البر فانهم أقبلوا على عسكر الاسلام ولما رآهم الملك الصحصاح أمر العساكر بالركوب فركبوا وركب الصحصاح وأشهروا السلاح وآلة الحرب والكفاح وحمل ملك افرنجة فى مائة ألف خلنجية واستقبلتهم العرب بالرماح الخطية وضاقت الفلوات وكثرت الزعقات وارتفعت الأصوات وزادت الضجات وكفرت الافرنج برب الارض والسموات وصاحت الكفار من فوق الاصوار ورموا الابرار بالاحجار والمؤمنون يقولون يا أمة محمد المختار جاهدوا فى الكفار الفجار وقد عمل الحسام واشتد الزحام وكثر النقض والابرام ولم يزالوا على ذلك المرام إلى أن أدبر النهار بالابتسام وأقبل الليل بالظلام وانفصلت الطائفتين ورجعت الفرقتين وأقبل الصحصاح على قومه وقال لهم والله مارأيت مثل هذا اليوم ولقد رأيت فيهم فارس مارأيت قط أشجع منه فقالت القوم والله ياملك لقد قتل منا خلق

كثير فى ذلك اليوم ولكن نستعين عليهم باللطيف الخبير ونتوسل اليه بالبشير النذير صلى الله عليه وسلم وباتت الناس وأكثرهم يئن من الجراح الى أن أصبح الله بالصباح وارتفعت الضجات من كل مكان وخرجت البطارقة وظهرت العمالقة وخرج كلب الروم وبين يديه مباخر من الذهب والفضة وفيها العود القمارى والند والمسك الأذفر وقدامهم البترك الأكبر والكلب الأحقر وقد أشارت جميع الروم اليه وبجلوه وجميع الرهبان يكرموه ولم يزالوا بالموكب الى أن وصلوا الى الكلب عملاق فلما رآهم وقد وصلوا اليه ترجل لهم وسقع للبطرك وأخذ من البخور المخلوط برجيعه وتسوك حتى سالت الدماء من فمه ولطخ بذلك الرجيع شواربه ولحيته فقال له البطرك اعلم أن السيد المسيح قدمك على جميع النصرانية وقال انك تنصر الملك لاوون لأنك سيفه المسنون فقال له سمعا وطاعة ياأبوناسوف ترى مايسرك فى هذه الساعة ثم صاح بجواده فخرج من تحته مثل البرق الخاطف وكان جواد منسوب من الخيل الجياد وخرجت من حوله البطارقة والرهبان والقساوسة والمطارنة وكان الملك لاوون خلع عليه وتوجه وقبله بين عينيه وقال له أيها الملك لابدما آتيك بالصحصاح وأزيل عنك الهم والأتراح وحق المسيح والمذبح والذبيح لابد ما أبلغك من أعداك كل ماتريد فقال له البطرك ياملك كفاك تحلف لأنى أنا أعرف من شجاعتك مالايوصف خصوصا لما تسوكت بباقى رجيعى اذهب بارك المسيح فيك فخرج وحمل على ميمنة العسكر وطعن فارس قتله وأراد أن يحمل على الميسرة فما مكنه ملك العرب بل تعرض له بكل سبب وأراد أن يسقيه كاس العطب فرجع على عقبه من الميدان وخرج الترجمان ونادى بلسان العربية وقال يا أهل ملة الاسلام اعلموا أن هذا الملك عملاق وهو ملك الافرنجية وأيضا انه نائب السيد المسيح على جميع النصرانية وهو يريد فارسكم الجحجاح والبطل فى يوم الكفاح والضارب بالسنان والصفاح فارس العرب والعجم الملك الصحصاح فلم يتم الترجمان كلامه حتى ان ملك العرب خرج قدامه نادى وصاح وقال أنا الصحصاح اليوم تعدم الأرواح وأنشد يقول

أقسمت بالمهيمن الفتاح ... وخالق الأرواح فى الأشباح
لأضربن اليوم بالصفاح ... فى طلب النجاة والأفراح
انى أنا المعروف بالصحصاح ... أجندل الأبطال فى الكفاح

(قال الراوى) وماتم الملك الصحصاح هذه الأبيات إلا وخرج فارس آخر من الروم وكان جبار عنيد وشيطان مريد وأمر الترجمان أن ينادى باسم ابن خليفة المسلمين

وهو الأمير مسلمة ففعل ذلك وإذا بفارس من عساكر الاسلام خارج وظن الصحصاح أنه الامير مسلمة فقال له ارجع يانورالمين وأنا أكفيك شرالاثنين بعون الله رب العالمين واذا بالفارس قال له ياملك العرب كن أنت مع خصمك فتأمل الفارس فوجدها (ألوف) فقال لها ولم خرجت الى الميدان ارجعى وأنا أكفيك شر الفارسان بعون الحنان المنان فقالت له لابد من الميدان لأنى مانزلت إلا حتى تمنيت على الأمير أن يتركنى أنزل الى هذا الفارس فكيف انك تريد أن تحرمنى من الجهاد فى طاعة رب العباد ولكن كن أنت لخصمك وأنا لخصمى وكل من سبق رفيقه كان له على الآخر خلعة سنية ومائة ألف دينار فقال لها دونك وماتريدى وحمل كلا منهم على خصمه وطلع عليهم الغبار وغابوا عن النظار وخفى عن الأبصار وأوسع الصحصاح على خصمه فى الميدان وجاوله فى الجولان قال الصحصاح مارأيت أضرب منه بالسيف ولا أطعن بالسنان ولو لم أكن محصن بالله رب البرية وإلا لم أقف بين يديه ساعة وبعدها رمى قنطاريته وجرد حسامه وتضاربا بالسيفين حتى لم يبق منهم غير المقابض ولما انكسرت السيوف أيقن كل واحد منهم بشرب كاس الحتوف وصاح به الصحصاح صيحة أدهشه وأرعشه وفى دهشته مد يده اليه اقتلعه من بحر سرجه أسرع من البرق الخاطف وصار وهو فى يده ولم يزل يعاركه حتى وقعوا الاثنين الى الأرض ولما رأت الإفرنج الى ذلك لم يطيقوا الصبر دون أن حملت تطلب الخلاص لملكها غير أن الافرنج ما وصلت اليه إلا والصحصاح كان أخذ رأسه من بين كتفيه عندها حملت الطائفتين أسرع من طبق جفن العين وصبرت الكرام والتقى الامير مسلمة بالملك الصحصاح وهنأه بالسلامة وقال له : أخبرنى ما كان من (ألوف) فقال والله ماعندى منها خبر لأن العساكر لما حملت على بعضها البعض غابت عن عينى فى تلك الأرض وطلبتها فلم أجدها ولم أعرف لهاخبر ولا جلية أثر وما زال السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونارالحرب تشعل الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فافترقت الطائفتان وتحارس الفريقان وفى قلب مسلمة نارالاشتعال على «ألوف» ذات الجمال (قال الراوى) وكانت ألوف لما حملت على ذلك البطريق رأت منه طعان أمر من نار الحريق ولكن كانت هى أرجح منه فى الجولان وقد أشرف منها على التلف فهرب بين الصفوف وتبعته الملكة ألوف وما زالت خلفه إلى أن أخرجته من المعمعة فالتفت وهى خلفه تدور مثل الباشق على أضعف الطيور وقد هجمت عليه وضربته على وارديه أطاحت

رأسه من بين كتفيه ثم أنها أخذت الرأس وعادت الى قومها ودخلت عليهم وكان الأمير مسلمه والملك الصحصاح فى قلق عظيم من أجل غيابها وكان حضورها بعد العشاء الاخيرة وهى معلقة رأت البطريق من ذقنة فى يدها ولما رأتها المسلمين ضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير صلى الله عليه وسلم ولما سمع الملك الصحصاح والأمير مسلمة ذلك الصياح سألوا عن الخبر فقيل لهم ان الملكة ألوف أنت ومعها رأس البطريق فقاموا اليها واستقبلوها أحسن استقبال وهنوها على سلامتها وسألوها عما جرى لها فأخبرتهم بالحال فقالوا لها اعلمى ياملكه أن المخاطره مذمومه فقالت لهم نعم إلا فى الجهاد لأنى إذا مت أموت شهيدة واذا عشت أعيش سعيدة فباتوا تلك الليلة الى أن أصبح الله بالصباح وقد ارتفع الصياح من الكفار القباح فركب الصحصاح وركبت أهل الفلاح وصاحت القسوس والرهبان من كل جانب ومكان وتقدمت الرجال الابطال ووقع الطعن والقتال وما كنت ترى إلا رأس طاير وجواد غاير ومافى الاسلام إلا كل رجل صابر وطلب الملك الصحصاح الأعلام وهو يضرب فى الكفرة اللئام ولم يزل فى حملته الى أن لحق كلب الروم لاورن ولما رآه خاف على نفسه من شرب كاس المنون فولا هارب وأرباب دولته وراه وكلا منهم طالب هواه ولما رأت الافرنج هذا من الروم قالوا نحن ملكنا قد قتل وان قمنا هلكنا وهذا كله من طاعة الروم وهم يراعون لنا ذلك بل تركونا وساروا الى ديارهم والآن ما لنا إلا الهرب وإلا وقعنا فى العطب وقد ولوا الأدبار وركنوا الى الفرار حتى وصلوا الى الديار (وأما ما كان) من مراكب الكفار فانهم أتوا الى الاسلام وهم كما نرا يريدون أن يكبسوهم فى المنام وكانوا المسلمين يقظانين غير نائمين فاستقبلوهم وظفرت الأبرار بالكفار وقتلوهم وحرقوا مراكبهم بالنار وأفنوا رجالهم بالسيف البتار ونصر الله المؤمنين وأهلك الكافرين وقد حرق من مراكب الكفار مائة وثلاثون وهربت باقى المراكب خوفاً من الوقوع فى المعاطب وبات لاوون تلك الليلة بأيشم مبيت وقال مابقا لنا فرج إلا الحصار وإلا مايبقى من الكفار ديار فهذا ماجرى لهؤلاء (وأما ما كان) من المسلمين فان الأمير مسلمة علم أن النصارى مايعودوا إلى القتال فقال ياقوم اعلموا أن هذه البلد ليست كالبلاد وأن فيها عالم لايحصيه إلا رب العباد وان قاربناها مالنا إن أن نحاصرها ونصبر عليها لأن الصبر عاقبته محمودة كما قال بعضهم :

صبرت والصبر محمود عواقبه　　　ليقضى الله أمرا كان مفعولا

عسى يسهل الله لنا فتحها بشىء لم يكن لنا فى الحساب وعندى من الرأى الصواب أننا

تنادى فى سائر الأقاليم الرومية أن أمير المؤمنين أعطاكم الأمان على أنفسكم وأموالكم وعيالكم ازرعوا واقلعوا وما نأخذ منكم إلا العشر بالشريعة الاسلامية ولا نضر أحد من الملة المسيحية إلا ان ظهر منكم منكر أوجب الأذية وقروا فى أماكنكم وبيعوا على المسلمين من أموالكم واجلبوا لنا الأمتعة حتى يحصل لكم الخير والمنفعة ولما سمعوا المسلمين ذلك الخطاب وجدوه صواب وأرسل الأمير مسلمة ينادى فى تلك البلاد بالأمان فما مضى على ذلك الحال شهرا حتى عمرت القرى والبلدان ولما طال الحصار أمر الأمير مسلمة باعمال مدينة قبال القسطنطونية وأعطى كل طائفة من العساكر جهة منها ولا أستعمل أحد فى عمارتها إلا بالأجرة وجاءوا اليها بالخشب الرومى وعيدان الجوز وغير ذلك وأقامت فيها العمارة أيام متوالية إلى أن تمت وكملت وعملت عالية الأصوار واسعة البنيان مليحة الأركان كأنها مدينة سيدنا سليمان ابن داود عليهما السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام وزرعت من جميع الفواكه والأثمار والمشمومات والرياحين وغنت الأطيار على الأشجار توحد الملك الغفار ونبتت الأرض جميع الألوان المختلفات وعمرت المدينة بالأسواق والحارات وعمرت الحمامات وبالرخام تزينت والمياه فى جميع أماكنها جرت والمسلمين بذلك فرحت والكفار أيضا قد انشرحت ووقع البيع والشراء والأخذ والعطاء بالأمن والأمان وبنيت الجوامع وسمع الأذان ونقل اليها أنواع الملابس مع التجار والسفار وسميت بالمدينة المستجدة وطال الحصار على أهل القسطنطونية وزادت عليهم البلية ووصلت اليهم الأذية ودامت عليهم الرزية وما وجدوا لهم ناصر ولامعين بالكلية وأما اللعين شماس فانه بقى يتردد على الاسلام غير انه لايأكل ولايشرب من عندهم إلا فى كل ثلاثة أيام أو أكثر وهو ملازم على العبادة وإقامة الليل وفى بعض الأيام يغيب ولم يروه الى أن طال عليه الحال ولم تجد سبيل لأذيته أبطال المجاهدين فعاد الى القسطنطونية ودخل على لاوون متنكرا وسلم عليه وجلس بين يديه وقال له اعلم أيها الملك انى كنت دبرت الحيلة على المسلمين ولكن الاهمال حصل من عسكرك والآن أريد هلاكهم أجمعين ونرتاح منهم وهوانك تحضر لى شيئا من السم القاتل لأن الأمير مسلمة كل يوم يعمل ثلاثة سماطات ويحضر عنده جميع الأمراء ويأكلون وأريد أن أوضع لهم السم فى ذلك اليوم فى الماء وفى الطعام فقال كلب الروم مابقى لنا أوفق من هذا الحال ونبلغ من الأعداء الآمال وحق المسيح عندى سم قاتل اصطنعته الحكماء الأوائل ولو وضع منه

قيراط فى مائة قدر من الطعام وأكلوا جميع الاسلام لماتوا جميعا والسلام فقال اللعين شماس بهذا تهلك الأعداء والحساد ونبلغ القصد والمراد ثم أنه أخذ ذلك السم وخرج وهو فرحان وظن اللعين أنه بلغ الأمان ولا يعلم ما دبر الملك الديان ومازال ساير إلى أن وصل المدينه المستجدة ونزل فى دار الصحصاح الذى يثبت له خاصة لأن كل أمير من الأمراء بنيت له دار بخصوص نفسه خلاف دار حكمه وامارته وكان اللعين شماس لاينزل إلى فى دار الملك وذلك من يوم ما أنكرت عليه ألوف وبقى خايفا منها وكان اذا دخل على الملك يفرح به ويرسل إلى الأمير مسلمة يحضر عنده ليلا وينظر إلى عبادته وخشوعه وتهجده وجريان دموعه ويعود من عندالملك يخبر ألوف بذلك فما تزداد فيه إلا بغضة وتقول وحق من هدانى إلى دين الاسلام وأنقذنى من عبادة الأصنام ان قلبي منه نافر كما ينفر المسلم من الكافر وحق الاله القادر المطلع على السرائر لاأدرى ان كانت فى قساوة النصرانية أم أصابت منى الفراسة الاسلاميه ولكن اسأل الله سبحانه وتعالى ان يعطينا خيره ويكفينا شره ومكره وغدره واسال الله المتعال أن يظهر الصدق من المحال وكان مسلمة يلوم ألوف على هذا المقال وأقام شماس عند ملك العرب من يوم السبت إلى يوم الثلاث وحضر السماط عند مسلمه وقد عزم أن يسم الجميع ولما أتت ليلة الثلاث دخل شماس عند الملك وقال له اعلم أيها الملك المجاهد والسلطان الماجد الحامى عن دين الملك الواحد ان نفسى تطلب الحضور بين يدى الأمير مسلمة كى أتحدث أنا وإياه وأسمعه شيأ ينفعه فى دينه ودنياه وبعد ذلك أطلب بيت المقدس حتى أزور الأماكن الشريفة وقد طال مقامى فى هذه الديار التعيسة والقائل يقول حب الوطن من الايمان ولى هناك تلامذه وخلإوان وبقى لى مدة من الزمان مارأيت منهم إنسان خصوصا بيت المقدس وهو محل الشهداء وآثار المتعبدين والسعداء واجتمع هناك بالصالحين وأدعو لكم بالنصر على الكافرين ولما سمع الملك الصحصاح ذلك المقال فرح واستبشر بهذا السؤال لأنه كان يتمنى منه الكلام وهو لا يفعل بل مشتغل بالعبادة وحسن المحال ولما كان بعدصلاة العشاء الأخيرةخرج الملكومعه غلام والزاهد شيخ الشام وما زالوا سايرين إلى أن وصلوا دار ابن أمير المؤمنين ودخلوا عليه فقام قائما على الأقدام وأخذ الملك بملء الأحضان وضمه ونظر الى العابد وفرح بقدومه وأقبل عليه وصافحه وجلسا جميعا ثم قال شماس اللعين اعلم يامولاى انى أتيتك مودعا لأنى عزمت على السير الى بيت المقدس ولى حافظ يحفظنى وبعنايته يساعدنى فان شئت جعلت طريق من

دمشق أو الى الحجاز أو من غيرها لأن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون
ثم أنه جعل يحدثهم بأخبار الصالحين وكرامات الأولياء المتقدمين وكلما تحدث بشيء
يبكي الملك الصحصاح وكانت ألوف حاضرة ولكن أعضاها منه نافره ولما رأته فى
تلك الليلة وهو ناوى على السفر تقدمت اليه وقالت له اجعلنى فى حل منك فقد كان
قلبي نافر من قبلك فقال لها يا بنتى أننى فى حل مما دخل بك وما حصل فى حق منكى
ومن أسعد منكى وقد غفر الله لكى لانك من حين أسلمتى فى جهاد الكافرين وما
زال معهم فى حديث وكلام الى أن مضى نصف الليل وطلع نجم سهيل فنظر اليهم وقال
لهم ان الليل ما بقامنه الا القليل وهذا وقت التهجد والاستغفار والخلوه بالملك الواحد
الستار فليدخل كل واحد منكم الى منامه فقالوا سمعا وطاعه ثم تركوه فى المكان
الذى هو فيه ومضى الملك الصحصاح إلى مكان ثانى برسمه وغلامه أيضا الى مكان
آخر وأما مسلمة وألوف دخلوا محل مبيتهم وكانت ألوف لم تفعل مع اللعين هذه الفعال
ولاقبلت يده إلا من عتاب ملك العرب الصحصاح والأمير مسلمة لأنهم لاموها على انكارها
لهذا العابد الزاهد وقالوا لها اننا ما بقينا نراه ولا يأتى الينا إلا فى هذه الليلة فقالت لهم
إن قلبي نافر منه ولكن من أجل خاطركم أنا أقبل يديه وأطلب منه المسامحة وفعلت
ماقدمنا وتحللت منه ودخلت معزوجها إلى الفراش كما ذكرنا وأما شماس
صبر ساعة إلى أن عرف أنهم ناموا فقام وقصد المطبخ فوجد
الطباخين كلهم نايمين فهجم كانه شيطان من الشياطين
ووضع السم فى قدر الطعام أجمعين ورجع
مكانه وأيقن بهلاك المسلمين وجيوش
الموحـــدين وقد خاب
فيما أمله اللعين
وفى الغيب
عجب

(تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس)

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبة شيخ الضلال وشو مدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الإفرنج
وفيها من الفتوحات ما يبهر العقول

تاليف

على بن موسى المقانبى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعوف فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى

الجزء الخامس

يطلب من
مكتبة عبد الحميد احمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطابع شوق بالغورية — مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(قال الراوى لهذه السيرة العجيبة) ولما أصبح الله بالصباح جاءت الأمراء من بنى كلاب يقدمهم الأمير عطاف على ماجرت به عادة الحضور على السماط وأرسل الأمير مسلمة للملك وهو يقول ان الأمير يدعوك الى الطعام ويكون الزاهد معك لعله يوافقنا الى الطعام قبل ما يسافر الى بلاد الشام وما ندرى هل نجتمع به فى الدنيا أم يكون اللقاء بين يدى الملك العلام وقدورد فى بعض الاخبار أنه من أكل مع مغفور غفر له فلعل الله تعالى يغفر لنا ببركته ولما وصل الخبر الى الملك بما قال ابن أمير المؤمنين دخل على البيت الذى فيه الشماس فلم يجد له خبر وكان بعد ماوضع السم أقام مرتقب إلى أن فتح باب القصر فخرج متنكراً وطلب القسطنطونية ودخل على لاوون وأخبره بما دبر الملعون ففرح لاوون بذلك وأرسل جاسوس يكشف الاخبار . وأما الملك الصحصاح فانه طلبه ولم يجده أرسل خلف البوابين وسألهم عنه فقالوا ماعندنا منه خبر ولا خرج علينا أحد فقال عندها الملك الله فى عون عباده الصالحين وهو يحجبهم بالأستار عن أعين النظار ثم انه دخل على الأمير وعرفه بما كان وما صار فبكوا على فراقه بالدموع الغزار ثم ان الطعام قد حضر عند ما اجتمعت الناس ودخلت الفراشين بالطعام الخاص وجلس الأمير مع الملك والملكة ألوف وجلست باقى الأمراء على الموائد والعساكر والرجال على حسب المراتب وأن الأمير مسلمة مد يده الى الطعام وأخذ لقمة وأراد يرسلها إلى فمه وإذا بالخاتم الذى فى يده يقطر ماء أصفر قطرات متداولة مثل المطر فصاح على الملك وقال له اصبر ياملك العرب لاتأكل شىء من الطعام لأنه مسموم ونادى فى بقية الحاضرين أن لايأكل أحدا منكم من هذا الطعام وكان فى يد الأمير مسلمة خاتم له فص من قرن الحية وكانت أحكمته الحكماء

الاوائل ومكتوب عليه أسماء وطلاسم وكان هذا الخاتم لعبد الملك بن مروان أمير المؤمنين ولما أرسل الأمير مسلمة الى هـذا المكان خاف عليه من هذه الأحكام فسلمه اليه وعرفه عن منفعته ولما رأى ماحصل فى هذا اليوم علم أن الطعام مسموم وأمر باحضار الطباخين فمضوا اليهم الفراشين فوجدوهم كلهم ميتين وهم نائمين نومة لايقوموا منها إلا يوم الدين فقال الامير ادركوا العوام وامنعوهم عن أكل الطعام فأدركوهم وقد شرعوا فى الأكل فمنعوهم وأما الامير مروان فانه كان بالأمر المقدر أخذ لقمة ووضعها فى فمه وقد سمع النداء فرماها من وقته وساعته ولكن من بعد المضغ فوقعت أسنانه وطبق فمه ولم يقدر يفتحه وبلع ريقه فكاد أن يهلك ومات من عوام العرب مائة اثنين وعشرون رجل وزاد الناس فيهم النداء : كفوا ياعسكر الاسلام عن أكل الطعام ووصل الجاسوس الذى أرسله لاوون ورجع اليه وأخبره بالحال فضربت البوقات ودقت الطبول والكاسات وفتحت أبواب البلد وخرج (لاوون) ومن معه من العساكر وخواص دولته وبطارقته وركبت سائر أجناس الروم وكان يوم معلوم وركب الامير مسلمة وملك العرب وسائر عساكر الاسلام والملكه ألوف معهم وهى تقول وحق من هدانى الى دين الاسلام وأنقذنى مما تعتقده اللئام ما وضع لنا هذا السم فى الطعام إلا هذا الكافر الفاجر الذى تقولون عليه انه عابد زاهد وما أراد فينا إلا الدمار وخراب الديار ولكن ماهذا وقت كلام وسوف يظهر لكم الخبر والشان إن شاء الله الملك الديان وبالله أقسم ماهو إلا نصرانى كلب مذموم من جملة حكماء الروم وحق البشير النذير انه هو الذى دبر هذا التدبير وسوف أنظر حالته وأبحث على قصته وانى أقسم بالله العظيم إن طالته يدى لأعجلن على منيته وبعد ذلك التقت المواكب بالمواكب والكتائب بالكتائب وزحفت الجنائب وأظهر الملك الصحصاح العجائب وحمل جيش الأبرار وضرب فى الكفار بالبتار ضربا شديدا أمر من حريق النار وطارت الرؤوس وزهقت النفوس وكان على الروم يوم عبوس وأبلوهم المجاهدين بالنحوس والعكوس ودارت طاحون القضاء والاقدار ونصر الله أمة النبى صلى الله عليه وعلى آل بيتـه الاخيار آناء الليل وأطراف النهار وطلبوا المشركين الفرار لما نظروا مالحقهم من الدمار ورجعوا بالذل الى الحصار وطلب لاوون الجاسوس وأمر أن يقطع منه الروس ويخلعوا له الضروس من بعد ما قال له ياويلك أما تقول إن المسلمين هلكوا فقالوا البطارقة يجوز أن يكون لسلامتهم سبب من الأسباب فقال لهم لاوون ما رأيت السم أثر إلا فينا وأقل ماقتل منا فى

هذا اليوم نحوعن عشرة آلاف فارس أوأكثر (قال الراوى) ورجعوا المسلمين من الحرب والقتال بعد السلامة والانفصال والأمير مسلمة بجانب الملك ومن حولهم الابطال وهو يقول الحمد لله الذى نجانا من هذا السم القاتل فقال الملك والله لايجب الاهمال عن فعل معنا هذه الفعال لأننا لانأمن منه أن يفعل بنا ذلك مرة أخرى وتصبح أبطالنا فانية ولكن قد سلمنا هذه المرة ببركة هذا العابد الزاهد فضحكت الملكة ألوف وقالت له ياملك العرب أنت رجل مبارك على نياتك ومانفعنا ونفعك إلا سلامة سريرتك وأنت تربية البر وما عندك خبرمن الحيل والمكر وأماهذا الذى تقول عليه زاهد ماهو إلا كهين جاحد يشرك بالله الملك الواحد وهوحكيم من حكماء الروم وقد قرأ سائر العلوم وعرف سائر الأديان واطلع على كتاب علماءاليونان ولابد لى وحق العزيز الديان أن أكشف خبر هذا اللعين الشيطان وأظهر سره وأكشف ستره وأعرف حقيقة أمره وأسمع مقاله وأعاقبه على فعاله حتى أظهر أعماله فضحك الملك وقال لها والله ياألوف لقد نصحتك حتى تحللت منه النوبة الماضية ولا تعودى ترجعى بالاعتراض على هذا الرجل الصالح فقالت والله ماتحللت منه ولا تقدمت اليه ولا قبلت منه يديه إلا خوفا على قلبك وقلب الامير مسلمة وذلك انى سمعت منكم أنه مسافر الى بيت المقدس ولم أعلم أنه يفعل ذلك ويذهب الى بلاد الروم فقال لها ياألوف لاتقولى هذا القول المذموم فقامت من عندهم مغضبة ودعت بأخيها عبد الله لخضر بين يديها وهو الذى كان قبل الاسلام عبد الصليب وقالت له ياأخى ما يكشف لى عن هذا الأمر إلا أنت ولا يجسر عليه سواك اظهر ياأخى للمؤمنين خبر هذا اللعين فقال لها قولى ياأختى ماتريدى وأنا فى خدمتك لاأخالف لكلمتك فقالت تأخذ رؤوس هؤلاء المسلمين ولا تقصد بها إلا بلاد المشركين وتدخل بلد القسطنطونية وتتوصل الى كلب النصرانية كأنك منهزم منا ومنكراً علينا وترى الرؤوس قدام لاوون وتقول له لى عليك البشارة يقول لك فيما هذه البشارة فقل له إن ملكالعرب أشرف علىالهلاك والعطب وكذلك الأمير مسلمة وأختىألوف التى طردها المسيح عن باب رحمته وقد قتلت هؤلاء الثلاثة وهم أمراء العرب وقدمت اليك بهذا السبب والصواب أن تخرج اليهم فى غداة غد فانهمما يثبتوا قدامك ولا ساعة لأنه مايصبح الصباح إلاوقد هلك مسلمة والصحصاح وألوف لأن السم قدتحكم فيهم وجميع العساكر معولون على الهرب لأن ما كان يمسكهم إلا مسلمة وهيبة الملك الصحصاح وشجاعته فلابد ياأخى ما يفرح لاوون بهذا المقال ثم انك تكشف لى خبر هذا الزاهد فلما

أظنه إلا لعين جاحد وان رأيته عند لاوون يكون الامر كما خطر ببالى وأنا بعد ذلك أعمل عليه وأفرجك ما أصنع به . فلما سمع عبد الله من أخته هذا المقال فما أمكنه المخالفه وقد رأى قولها صواب فعندها بالسمع والطاعة أجاب وخرج من وقته من الأبواب (قال الراوى) وأخذ ثلاثة رؤوس من رؤوس المؤمنين الأحباب وقصد الى القسطنطونية بحسن سريرة ونية إلى أن وصل الى الأصوار وزعق الى الحراس فقالوا له من أنت وماذا تريد ؟ قال الى الملك وله عندى نصيحة وأنا أخو ألوف القبيحة التى مرقت من دين المسيح وعملت كل عمل قبيح فلما سمعوا الحراس كلامه مضوا الى ملكهم وأخبروه بسؤاله فأذن له بالدخول حتى يسمع ما يقول فعادت اليـــه الحراس ورفعوه بالحبال وأتوا به الى لاوون كلب الانذال فلما وصل اليه أخبره بموت المسلمين بعد ماسلم عليه فقال لاوون اليوم كانوا فى القتال وأفنوا منا الرجال وجندلوا الابطال فقال عبد الله : اعلم ياملك أن السم كان ماتحكم فيهم إلا فى هذا اليوم وقد عولوا على الهرب لما أيقنوا بالعطب ووقع بينهم الخلاف قوم يقولون نرحل وقوم يقولون لانرحل وإن خرجت لهم غداة غد ملكتهم بالسيف والقنا وأخذتهم قهراً وأسقيتهم كاساً مراً وأظن بعدها مايسلم منهم ديار ولا نافخ نار ولما سمع منه لاوون ذاك الكلام فرح واستبشر وقال الشكر يامسيح على هذا النصر المليح ثم انه سأل عن شماس ولد الارجاس فأخبروه الحجاب أنه عند ابنة الحاجب الا كبر وهى (أشمونيس) وقد أخبروه على أنه يحبها فقال وحق المسيح لابد أن أزوجه بها فقيل له ياملك انها تحب ابن عمها فقال (لاوون) هذا لايجوز شماس أحق بها منه ومن كل أحد لأنه فعل معنا جميل مافعله أحد وهذا الامر ما لأحد عليه من سبيل ثم أمر البطارقة باحضاره حتى يعلمه بأحواله ويعرفه بما قال أخو ألوف فغابوا الغلمان ساعة وعادوا ومعهم شماس وهو سكران ورؤيته مثل شيطان ولما رآه عبد الله عرفه وجعل يسبه ويلعنه وأن لاوون أمر له بالجلوس بعد ما قام اليه واستقبله وسلم عليه فجلس حتى استقر به الجلوس فقال له ياحكيم الزمان أراحك الله من ملك العرب والامير مسلمة وألوف وهذا أخوها قد أتى مبشرا الينا وفى غد نخرج المسلمين ونقتلهم أجمعين ويذكر أنه قتل ثلاثة من الامراء المعدودين ثم ان شماس نظر الى عبد الله فأنكر أمره وقال أين هى الرؤوس التى وصلت بها فقال عبد الله هاهى ياحكيم الزمان وأحضرهم بين يديه فقال اللعين ياملك هذا ما أتى إلا جاسوس وأما هذه الرؤوس ماقطعت إلا بعد الموت انظر ياملك كيف هى من تأثير السم

وبعد القطع ما نزل لها دم وأنا خائف تكون أخته قد علمت بما كان منى فأرسلت تنظر خبرى وتطلع على أثرى فقال له لاوون وما التدبير الآن ياحكيم الزمان فقال له الرأى عندى أن تقبض على هذا الغلام وتأمر البطارقه أن يضربوه الضرب الوجيع وهو يقر على ماجاء فيه ويظهر لك منه ماكان يخفيه وأما خروجك ان كان الملك الصحصاح والأمير مسلمة سالمين فما فيه إلا هلاكك وهلاك قومك أجمعين فقال لاوون افعل ما شئت ومالنا إلا الحصار حتى يرضى علينا المسيح ويرزقنا النصر على المسلمين ونحن عندنا الطعام والشراب كثير والسيد المسيح لناصرين ونصير وان كان المسيح غضب علينا بسبب من الأسباب وسلط علينا هؤلاء الأعراب فسوف يعود علينا نصره ونحن تحت شكره وعندى رأى وهو أنى أكتب إلى ملك الكرج عسى أن يكون لنا على يده فرج ويزول عنا الضيق والحرج ومالنا إلا الصبر فيما وقعنا فيه من هذا الأمر لأن الصبر محمود العاقبه فقالت الحاضرون هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب والساعة يبان لك أخو ألوف ان كان صادق أو كذاب ثم ان الملعون بطح عبد الله حتى أشرف على الموت والهلاك وأيقن بسوء الارتباك وقر بما جاء فيه وأخبر شماس بما ندبر وأن أخته ألوف دبرت هذا التدبير ولكن ما ساعدتها المقادير فعندها قال شماس كيف رأيت ياملك قول الحكيم الخبير احسبها عندك واكتبها فى ديوانك حتى أريك العمل وما أدبره من الحيل ثم أمروا بحبس عبد الله فى بعض المطامير والله تعالى لطيف خبير يهون عليه كل أمر عسير ويلطف بنا وبه من كل المقادير (قال الراوى) وبات الخبر إلى اشمونس بنت الحاجب ان لاوون علم بحالها وانه يريد يزوجها الى اللعين شماس وهى ما تحب إلا ابن عمها وأنه لا يريد سواها والقائل يقول لكل نفس ماتهوى ولما بلغها ذلك الخبر عظم عليها وكبر لديها ومضت الى ابن عمها وأعلمته بذلك الحال وان لاوون يريد أن يزوجها بشماس ابن الأندال فقال لها الغلام وماذا ترى من الرأى قالت الرأى ما بقى لنا مقام فى هذه الديار بعد الفضيحة والعار عند البطارقه الصغار والكبار وان فرقوا بيننا هلكت أنا وأنت فقال الغلام صدقتى وحق المسيح وقد علمتى ما دفعت أنا من الأموال الى البترك لأجل الجواز وهم يقولون هذا عند النصارى حرام ولا يجوز إلا فى شريعة الاسلام لأن جواز ابن العم لبنت عمه عندهم حلال كما قال نبيهم المفضال عليه الصلاة والسلام فقالت أشمونيس ان كان هذا حلال عندهم فما بقى لنا إقامه إلا معهم فدعنا نترك هذا الدين ونمضى إلى المسلمين ونلتجىء

الى قوم مكرمين فقال عبد الصليب نعم ما أشرتى وبالصواب نطقتى وهذا هو الرأى الحسن ولكن بقى فى الأمر شىء واحد وهو الذى نبلغ به كل المقاصد قالت ماهو يابن العم قال لها نحن نخلص أخو الملكة ألوف زوجة ابن سلطان المسلمين وأمير المؤمنين ونأخذه معنا حتى يكون لنا عند المسلمين اليد البيضاء ونتصل اتصال مابعده انفصال فقالت والله هذا من تمام سعدنا وحسن سريرتنا ثم إنهم اتفقوا على هذا الحال وانهم ينزلون من الأصوار بالحبال وصبروا ولما أقبل الليل بالظلام وهجعت البطارقة اللئام وخرج عبد الصليب من عند ابنة عمه وكان عارف بالمكان الذى فيه عبد الله وقصد إلى المطموره التى هو فيها فوجد البطريق الذى موكل به نائم وغطيطه عالى فهجم عليه وذبحه وأخذ المفاتيح وفتح باب المطمورة ودخل على عبد الله فسمعه يقول سبحان من سلط الأشرار على الأخيار حتى يمتحنهم بالاصطبار يامولاى افعل ما تشاء فانى لا أعبد غيرك ولا أركن الى سواك فقال له عبد الصليب ابشر ياسيدى بالفرج القريب من السميع المجيب وأعلمه بالحال وفكه من القيود والأغلال وسار به الى أشمونيس وقال لها قضيت الحاجة بعون الله وقد فرغت اللجاجة فأخذت أشمونيس مماخف حمله وغلى ثمنه وأخذوا الحبال ووصلوا إلى الأصوار وتوكلوا على الواحد القهار وكان برج باب الذهب مسلم اليهم لأن أبو الجاريه كان كبير الحجاب وكذلك أبو الغلام من خواص البطارقة والحجاب وربطوا الحبال ونزلوا وطلبوا عسكر المسلمين وهم على ربهم متوكلين فوصلوا اليهم عند الصباح وأخو ألوف يبشرهم بالفوز والنجاح من الكريم الفتاح ثم أخذهم وسار إلى قصر الأمير مسلمة ودخل عليه وكان يصلى الصبح وسلم وجلس إلى قراءة الورد فما يشعر إلا وعبد الله نسيبه بين يديه وسلم عليه ومعه تلك الجارية والغلام وهى مثل بدر التمام فلما رآه هنأه بالسلامه وسأله عن حاله فأخبره بجميع ماجرى له من أوله إلى آخره ثم أعلمه بحديث الجارية وابن عمها وكيف ضربه شماس وحبسه نسل الارجاس وكيف تسبب له الخلاص من القريب المجيب فقال مسلمة لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبحان من ضل هذا اللئيم مع هذا العلم والزهد وصدق فى ذلك الوقت قول ألوف وقال لله درها لقد كملت بالجمال والفطنة وحسن الفعال وفراسة الايمان والاسلام فهم فى الكلام وإذا بالملك داخل عليه فقام واستقبله وسلم عليه وجلس ونظر إلى هؤلاء الوقوف ومعهم أخو ألوف فسأل عن حالهم

فأخبره الأمير مسلمه عن السبب فتعجب غاية العجب وقال والله ان هذا شيء من أعجب العجب وان وقع هذا الملعون فى يدى لأورده موارد العطب وبعد ذلك شرع مسلمه فى زواج الغلام بالجاريه بعدما قطع زنانيرهم ورموا الصلبان وأقروا بالوحدانية للملك الديان وبالرسالة لسيدنا محمد سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم الذى أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للانس والجان ونادى لهم منادى السعادة بلسان الارادة وحلى لهم دين الاسلام كما أراد الملك العلام وما أمسى المساء إلا وقد بلغوا من بعضهم المرام كما أمر النبى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وصاروا من الأحباب وعند المسلمين أعز الأصحاب وامتلأ قلب ألوف فرحا وسرور الذى اطلعت على تلك الأمور فهذا ماكان ههنا (وأما ما كان) من كلب الروم فانه لما أصبح الصباح كتب كتاب وأرسله إلى ملكة الكرج يطلب منها النجدة ويخبرها بما جرى وماهو فيه من الشدة فهو كذلك وإذا قد دخل عليه شماس ابن الارجاس وهو يقول ياملك هربت اشمونيس وابن عمها لأنى مضيت اليهم عند الصباح فما وجدت لهم أثر ولا سمعت عنهم خبر وماخوفى إلا أن يكونوا خلصوا أخو ألوف وحملهم على ذلك العشق والهوى وإن كان ذلك جرى سوس يطلعوا المسلمين على أمرى فعند ذلك عظم ذلك الأمر على لاوون وأرسل إلى السجن يكشف خبر عبد الله فغابوا الغلمان وعادوا يخبروا أنهم ما وجدوا فى المطمورة أحد وقد وجدوا الموكل بها مذبوح وهو جسد بلا روح فهم كذلك وإذا دخل عليهم أبو أشمونيس وهو باكى العين وكذلك أبوا الغلام فعظم ذلك على لاوون وقال لهم ياقوم عندنا ماهو أهم من ذلك ونريد ندبر أمورنا فى خلاص أرواحنا وتركهم ولم يلتفت لهم فخرجوا من عنده وهم مهمومين وأقاموا تحت الحصار والذل والوبال بقية عامهم وقد قل من عندهم الزاد وقلقوا ولم يأخذهم هدو ولا قرار إلى أن ذهبت أيام الشتاء ودخل الربيع بعطره وطيب نشره ونباته وزهره وهم صابرين على الضيق متيقنين بالهلاك وقلة التوفيق لهم كلام (وأما) الأمير مسلمه والملك الصحصاح وعساكر الاسلام أهل الوفا والسماح فانهم مقيمين فى أطيب عيش وأهناه ونال كلا منهم ما يتمناه لهم كلام (وأما ماكان) من نساء بنى كلاب وبنى سليم الذين فى بر الحجاز فان ليلى زوجة ملك العرب كانت حامل وعند ماسافر الملك كان باقى لها على الوضع أيام قلائل فأرسلت إلى جميع النساء الحوامل من بنى كلاب وبنى سليم وجمعتهم عندها وقالت لهم اعلموا يابنى الأعمام أن الرجال إذا غابوا عن النساء يحملهم سوء الظن من الغيرة على حريمهم فاكتبوا تاريخ

حملكن وادخروه عندكن ربما طالت غيبة الرجال فى بلاد الروم والذى أشرت به عليكم هو صواب وأنفع وأبرأ للتهمة بين الخلق أجمع فقبلوا منها ذلك ورأوه صواب وشكروها على قولهـا وكانت ليلى مقاربة على الولادة فلما أن آن أوان الطلق . كما شاء رب الخلق وأقامت ليلتها ويومها فى أشد مايكون من الكرب إلى الليلة الثانية نصف الليل وهى لا تقدر تنام من ألم الوجع ولا تقر ولا تهجع فلما اشتد بها الحال قالت أقول كما قالت أمة الرحمن مريم ابنة عمران ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وجعلت تسأل الله سبحانه وتعالى أن يسهل لها خروج الجنين وهو يتقلب فى بطنها شمال ويمين وهى تنتظر الفرج من رب العالمين الى أن سكن طلقها وكحل الكرى عينها بمرود الرقاد كما شاء رب العباد فرأت فى منامها ولذيذ أحلامها كأن السماء قد فتحت أبوابها وخرج منها شخص له جناحان أخضران بالدر والجوهر منتظمان كأنه من الاملاك ودخل عليها من باب السرادق وهو متكلما وقال الله تعالى يهون عليكى الطلق ويخرج الولد أسرع من البرق غير أنه ذميم العاقبة ميشوم الناصية مفسد فى الأرض غاية الافساد ولا بد ما يرى الفتن والعداوة فى العباد وإنه يكون سببا لسفك الدما واشعال نار الحرب والبلا ولكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا فسميه ظالم ليكون اسمه موافق معناه لان ظلمه ماسبقه اليه أحد سواه ثم أنشد يقول :

انتبهى من رقدة النائم ... واسمعى قول مخبر عالم
لا تفرحى بالولد القادم ... فانه أشر بنى آدم
يلبس لباس الرجل الظالم ... وهو مثير الحرب بين العالم
عن الفساد لم يكن بنائم ... فأنسبيه الآن باسم ظالم
قد سبق الحكم من الحاكم ... فلا مرد للقضاء المبرم

(قال الراوى) ثم إن ليلى انتبهت من منامها مرعوبة وصاحت صيحة عظيمة فتواثبت اليها خدامها والجوار وجعلوا يعيذوها من الشيطان بالقرآن وقرؤا حولها سورة الفلق فسكن فؤادها من الخفقان وتقعقع ظهرها وبرق وإذا بها التقت الولد بقدرة الفرد الصمد وهو ولد ذكر مثل فلقة القمر فلما رأوه النسوان قالوا نعيذك بالملك الديان ثم قالت بعضهن والله ما رزق أحد مثل هذا الولد فانه بدر التمام يوسف عصره وفريد دهره هذا كله يجرى من النسوان الحاضرين وليلى عليها حزن الاولين والآخرين ولحقها ما لحقها من الهم والترح وبذلك الغلام لم يكن عندها

فرح وذلك لما سبق فى الغيب من أفعاله وما رأته فى المنام ومن الهاتف وما قال فقالت لها أمها ياليلى قالت لبيك يا أماه قالت يا لله العجب الله تعالى يرزقك بهذا الولد الذى لم رزق أحد مثله وقد من عليكى بالسلامه وخصك بهذا الولد الذى كانه القمر فوق غمامه وأنتى أظهرتى الهم والغم والندامه فقالت يا أماه اما أنا فضعيفه مما لاقيت ومهمومة مما قاسيت وأيضا من فراق ابن عمى قد نحلت وخائفه من طوال المده فلم تصدقها أمها فيما قالت بل لحت عليها فى المقال فقالت لها اصبرى حتى يفضى المكان وأحدثك بما جرى من الأمر والشأن فصبرت أمها لما خلى البيت من الزائرات ولم يبق عندهم أحد فقالت تقدمى الآن لما أقص عليكى قصتى وما رأيت فى المنام ولذيذ الأحلام وقد أسبلت ليلى عبرتها وتوقدت نيران حرقتها ثم أخبرت أمها بجميع ما رأت فى المنام وختمت كلامها بهذا النظام صلو على بدر التمام

كنت أرجو من المهيمن يرزقنى بغلام يسرنى مع الغلمان
فجاءنى بأيشم الناس وجها ثم فعلا موافيا شيطان
وافق الاسم فعله فافهمى الآن ولاتنكرى العل والشان

(قال الراوى) ولما سمعت أمها منها ذلك الكلام بكت بكاء شديد ما عليه من مزيد وقالت يابنتى لعله يكون أضغاث أحلام وقليل ما تصادف الرؤيا فى هذا المقام فسكتت ليلى على مضض وهى مكسورة الخاطر وتوالدت النساء وبعدها النساء العامريات وكانوا مائة واثنين وعشرون امرأه الحوامل فوضعت منهن ثلاث وثمانون ذكر وتسعة وثلاثون أناث وولدت زوجة مروان ذكر فسموه عبدالله وكان موجودا امرأة اسمها غاليه ولها زوج اسمه مصعب بن الوليد وكانت الأخرى حامل فنامت ورأت فى منامها ولذيذ أحلامها كأن الأرض تزلزلت وخرج من الأرض شخص أعور يطير من عينيه الشرر شنيع المنظر وعلى وجهه حية رقطا وان ذاك الشخص أقبل على غاليه ومديده إلى بطنها وقال ان تقربه عين ابليس عند قدومه ويفرح الكفر بحضوره فلقد تعكست الأرض عند نزوله ولقد سمعت من الذين يسترقون السمع بأنك ألعن أهل زمانك وأخبث أهل الأرض وان ابليس مشتاق اليك وسيطرح مصائبه عليك وهو ينادى واشوقاه إلى الخناس فتنة الناس الوسواس ثم نادى ياغاليه أكرمى مثواه فانه قرة عينى أيها الحره وهو شريك أبو مره ثم أشار اليها بالنظام ونحن وأنتم نصلى على بدر التمام

سميه عقبه انه شر الخلائق أضحى لعينى قرة فى العواقب

ومشاركا لى أنا وجندى ولهحديث بين المشارق والمغارب

(قال الراوى) ثم نادى ياغاليه اعلى ان الذى يكلمك هو الشيطان وأن أعوانه أخبروه ان ملكين التقيا فى الهوى بين الأرض والسما فقال أحدهما للاخر الا أخبرك عن امرأة من بنى سليم يقال لها غاليه زوجة مصعب بن الوليد تضع ولد يقال له عقبة وهو عقبة زمانه فلا أحسن الله اليه عاقبه وهو ولد مفتون ملعون ابليس زمانه شيطان وقته وأوانه لابلغه الله مآربه فهو آفة المحن وصاحب المكر والحيل ولا تفزعى من ذلك فأتى سالمه ثم وضع يده على بطنها وقال أودعتك شرى ومكرى وغدرى فغاب عنها فانتبهت وهى مرعوبة ومن ذلك المنام مكروبه ولم تزل كذلك حتى أتاها الطلق باذن خالق الخلق فولدت ولدا دميا شيطانا رجيما وكتبوا النساء من بنى كلاب وبنى عامر وبنى سليم لأزواجهم يخبروهم بما ولدوا من الأناث والذكور وكان أول من كتب الكتب ليلى وزوجه مروان وغاليه وأرسلوهم مع النجابه إلى دمشق ومن دمشق أرسلها الخليفة مع رسائل دمشق صحبة النجابه إلى بلاد الروم ولما وصلت النجابه إلى المدينه المستجده ورأتهم العرب أخذوهم وساروا بهم إلى الملك ووقفوا بين يديه بعد ما قبلوا الأرض وسلموا عليه عندها أخرجوا الكتب وسلموها اليه وهنوه بالولد ففرح وحمد الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد وخلع على النجابه وأحسن اليهم ودخلوا عليه الأمراء وهنوه فشكرهم وهناهم وقال الحمد لله الذى رزقنا الأولاد وسمع الأمير مسلمة ان الملك رزق ولد ذكر ففرح واستبشر وأقبل اليه ودخل ثم سلم عليه وهناه بالولد القادم رضيع لبن المكارم فشكره وقال له العاقبة عندك يامولاى أن ترزق من الملكة الوف ولد ذكر ان شاء الله وتقر به عينيك وفرح ملك الاسلام بذلك الغلام ولا يعلم بما غاب عن الأوهام وفرحت بنى كلاب وبقية العربان بسلامة أهاليهم والاخوان وطاب لهم المقام فى طاعة الملك العلام ونصرة دين الاسلام على الكفرة اللئام عابدين الاوثان والصلبان والاصنام ومضى على ذلك شهور وأعوام وهم فى ذلك المكان لهم كلام (وأما ما كان) من كلب الروم ونسل اللئام فانه أرسل إلى الكرج يطلب نجده كما ذكرنا وأقام لهم فى الانتظار وكان للكرج ملكه يقال لها بخطوس وكانت أقبح الناس وجها وقد قتلت الرجال وأبادت الابطال وقهرت أهل القوة والشجاعة والفروسية والبراعة وغارت على بلاد الترك والتركان وطحنت الروم وعبدة الصلبان ووصل شرها إلى جميع البلاد وذلت كل العباد وكان عندها قس كبير وهو عندها مقدم وأمير على جميع البطارقة والكفرة

الزنادقة وفى بعض الأيام نهاها عن غزاها لأهل دينها وقال لها أن تغزو بلاد الاسلام فصرخت عليه ونهرته وأمرت من عندها من الخدم والحشم أن يقبضوا عليه فقبضوه والبها سلبوه فسلخت وجهه وملأته مشاق وقطن ووضعته على باب البيعه وقالت كل من خالفني وادعى أنه ينهاني وينصحني فعلت به مثل هـذا فلم يجسر أحد بعد ذلك يراجعها فيما تريد خوفا من شرها ومكرها وكانت كبيرة السن خبيثة الطلعة لا تهجع ولا تنام عن ضرب الحسام سفاكة الدما على الكفره والبرره ولا تراقب ملك القـدره مدمنة على شرب الخمره ولا يأخذها فى ذلك فترة اليوم والاثنين والعشرة تحب النكاح من المغرب إلى الصباح وان كان الرجل معها وأرضاها أكرمته وحبته وأظهرت له العز والاحسـان وشغلته فى كل وقت وأوان وإذا أخذه التقصير يبقى عندها طنجير وتأخـذ رأسه تضعها تحت أبطها وتعصر عليه بقوة حيلها تخرج عينيه من حدقيه وتسحق عظم صدغيه وهابتها جميع الملوك والسلاطين وكانت جريدة عسكرها تزيد عن أربعمائة الف كلهم بالزرد والخود معدودين للقتال فرسان عند النزال شجعان الحرب والمجال وكان كلب الروم لمـا أرسل لها الرسول خرج معه شماس اللعين لما رأى ان حيله لم تتم على المسلمين وكان له معرفة بهذه اللعينة ولمـا ضاقت بهم الحيل قال لملك الروم على أنه ما بقى يدفع عناشر المسلمين الا ان كان هذه الملكة وأنا أكون لها رسول لأنه كان اجتمع عليها سابقا وسألته عن خلوتها مع الرجال وقالت له يا أبونا أنا ما يكفيني رجل واحد فهل يجوز لى فى مذهب المسيح ان أخلو مع من أريد من الرجال فقال الملعون ان أنكرت عليها قتلتني كما قتلت ماهو أكبر مني ومالى بذلك الانكار من حاجـة (قال الراوى) وقد قدمنا ماهو فيه من الخبث واللاهنة وهو لا يعتقد فى شيء من الأشياء لأنه كان حكيما فيلسوف وماله دين يدان به فقال لقد أجزت لـكى فى ذلك ويكون لـكى فيه الثواب من السيد المسيح إلا أنك لا تسلمى نفسك إلا لمن كان فقيرا محتاج أو راهب كثير الاحتياج فلما سمعت كلامه قالت لعل أن تـكون أنت ذلك المحتاج وما قلت ذلك المقال الأرغبة ومحبة فى ذلك الجمال وعند ما سمع منها هذا المقال حار فى أمره وخاف من شرها واحتار فى رد الجواب ولما رأته ساكتا قالت له ما هذا السكات قال لها نعم انى راغب فى جمالك الا انى خائف من سؤالك فأخذته وسارت به (قال الراوى) ولقد سألت عن عمر هذه الملعونة ممن أثق به فقال انها بلغت من العمر مائة وثلاث وستين عام وكانت تأكل فى غداها خنزيرا وفى عشاها كذلك وانها ماتشبع من النكاح فمكث اللعين شماس معها شهر كامل وبان له من نفسه

التقصير فخاف أن تصنع به مثل ما سبق لغيره فهرب منها ولم تعلم مكانه إلى ان كان
فى ذلك اليوم ودخل عليها مع الرسول ولما رأته سألت عليه وهى طمعانه فى الزمن
الماضى وسألته فى ماذا أتاها ودخل عليها فقدم لها الكتب التى معه من عند لاوون
والبترك وأخبرها بما حصل بينهم وبين عسكر المسلمين وقال لها اسرعى ياملكة لنصرة
النصرانية وأهل ماء المعمودية وربما ملكتى القسطنطينية وأزوجكى بملكها لأنه صاحب
شجاعة مثلك فقالت له اعلم ان المسيح وهب لى جميع البلاد وما فيها من العبادوما أريد
زوجا ولكن سوف أرحل معك وأنظر هؤلاء القوم الاسلام الذين جزعتم منهم
ولا أبقى منهم لا كبير ولا صغير ولكن فى هذه الليلة يكون بياتك عندنا فقال لها نعم
ما أشرتى وبات عندها تلك الليلة بيات أهل الشرك والطغيان إلى أن ارتفعت أجنحة
الظلام ونادت فى العساكر بأخذ الأهبه ثلاثة أيام فأجابوها بالسمع والطاعة وأخذوا
أهبتهم إلى اليوم الرابع وسارت الملعونة بمن معها من العساكر وجدت فى السير
لهم كلام (وأما ماكان) من عساكر الاسلام فانهم لما طال عليهم المد أقبل الأمير
مسلمة على الملك الصحصاح ودخل عليه وقال له يا أخى هل لك مرام فى الصيد
والقنص فقال له يامولاى نحن فى بلاد الأعدا ولا نأمن على أرواحنا من الردا
فقال الأمير دعنا من هذا الكلام ياملك العرب اعلم ان الله سبحانه وتعالى قال قل
لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولابد من
الصيد والقنص فقد ضاقت صدورنا إذا كان عدونا محصور وجيش الشرك مكسور
ايش علينا نحن من بأس فقال الملك الصحصاح الامر أمرك يامولاى ثم انهم
انتخبوا من العسكر خمسمائة فارس وخرجوا من العسكر ليلا ومعهم آلة الصيد ولم
يزالوا سائرين إلى وقت الضحى فأشرفوا على أرض قد أشرفت أزهارها ورياضها
وامتلأت حيضانها بالماء وأعشبت خلواتها وتلونت جنباتها وكلت صفاتها
هنالك فرت منهم الوحوش لما سمعت صهيل الخيل فأطلقوا الفهود والسلاقات
وانفردوا فى الخلوات من كل جانب ومكان وسار الأمير مسلمة والصحصاح
وأوسعوا فى تلك البطاح ونفرت منهم الوحوش فى البر والسبب وأخذوا
خلفهم فى الطلب ولم يزالوا كذلك إلى أن وقعت الشمس فى قبة الفلك
فوقعوا فى أرض كأنها فرشت بالزعفران وتلك الأرض ممطوره ومن قطر الغيوم
مخمورة فرحلت فيها الخيل حتى ان الحصان بقا يغوص فيها لإبطه فترجل الملك من
على الحصان وكذلك من تبعه من الفرسان وما ترجلوا عنهم حتى غاصوا إلىأوساطهم

فقال الملك كلمة لايخزل قائلها لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم فهم كذلك إذ أشرفت عليهم عساكر الكرج وأظلم الجو فقال الملك هذه والله نصرة أتت لكلب الروم وماكان خروجنا من المدينة إلا فى طالع مذموم ولما نظرت عساكر الكرج إلى المسلمين وهم على تلك الحالة انقضوا عليهم وهم كأنهم العقبان فصاروا يطلبون إلى أنفسهم النجاة فلم يجدوا إلى ذلك من سبيل فهجموا عليهم العساكر وقبضوهم قبضا باليد لابطعن ولابضرب ونزلت العساكر بالقرب من ذلك المكان ولما نظرت بخطوس إلى مسلمة والصحصاح وهم بين يديها فعرفت أنهم مسلمين وقد خرجوا للصيد فقالت لقومها اعلموا ان هؤلاء ما خرجوا للصيد إلا ومعهم عالم عظيم لأنهم مسلمين وهم فى بلاد الروم ولاشك أنهم سبقوا أصحابهم فليركب منكم ألف معى حتى تنظر ان كان رفاق أم لا ثم انها ركبت وقالت لباقى قومها انتظرونى حتى أعود لكم وسارت لوقت العصر فاشرفت على عسكر المؤمنين وكان خيولهم قد تعبت من شدة الركد والطرد خلف الصيد وكانوا تركوهم فى الأرض يرعوا من النبات وأغلبهم نام مما قاسا من التعب فما يشعروا إلا والعساكر هجمت عليهم وحالت بينهم وبين الخيل وقبضوهم قبضا باليد ورجعت إلى قومها والاسلام مشدودين من خلفها فى الحبال ولما نظر مسلمة إلى ذلك علم أنه هالك وعض على أصابعه أسفا وندما ولهفا وقال والله الحق كان مع الملك (قال الراوى) ثم ان الملعونة جلست على سرير من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وأحضرت المسلمين بين يديها وقالت لهم بلسان عربى فصيح ويلكم من أجراكم يا كلاب العرب وحمالين الجلة والحطب على بلاد النصرانية والغزو على أهل ماء المعمودية وحق المسيح لاذيقنكم المنيه ثم قالت أنا أسأل المسيح ان يوقع فى يدى هـــذا الشيطان والكلب النباح المسمى عندكم بالصحصاح ومسلمة ابن الخليفة حتى أقطعهم بالســـلاح وآخذ منهم الأرواح ثم انها صاحت عليهم بصوت كانه الرعد القاصف او الريح العاصف فاذهلت من كان بين يديها واقف وقالت أين الراهب شماس يقتل هؤلاء الأنجاس (قال الراوى) ولاجل طولة أجلهم كان الراهب شماس تركهم وذهب إلى القسطنطونية يبشر الملك لاوون بقدوم اللعينة وعسكرها حتى يقوى قلبه على قتال المسلمين ولما سألت عنه أخبروها انه ذهب إلى القسطنطونية يبشر الملك بقدومك قالت سوف أبلغه مراده من هؤلاء المسلمين ثم أنها أمرت بضرب رقابهم فاخذوا واحد وضربوا رقبته ومات إلى رحمة مولاه وقدموا الثانى وكان رجـــل شجاع وبطل من الأبطال ويسمى مدلاج ابن فهر

والاصل فيه من أرض حوران وكان أطول الرجال وهو على صفة البعير أوالعجل الجاموس الكبير وكان فى أول زمانه يقطع الطريق ويخوف الرفيق وينهب القوافل والتجار وأصحاب القرى والمحافل فبلغ خبره إلى الخليفة فأرسل إليه ألف فارس فكسرها فأرسل اليه الخاتم وألف دينار وأحضره بين يديه وتوّبه واستخدمه وأعطاه خراج الارض التى هو فيها وجعله مقدم على عشرين ألف فارس ولما كان فى هذه الغزوة حضر مع عساكره فقدموه فى هذه الساعة الى ضرب الرقبة فتفكر وقال كيف انهم يقتلونى ولم آخذ بثارى وأنا بطل من الأبطال وكيف أموت مثل الانذال ولا آخذ لنفسى قبل الموت بالنار وتمطأ فى الكتاف قطعه ولما رآه قطع كتافه داروا به من كل جانب ومكان فصار كل من تقرب اليه فيهم لكمه وأقلبه الى أن قتل منهم نحو عن عشرين كلب ولما رأت اللعينة إلى شجاعته قالت خلوا عنه وحق المسيح لقد أعجبتنى شجاعته ثم انها وثبت اليه وعاركته وهو يدمدم عليها مثل الأسد فعندها مكنت يدها من رقبته وجلدت به الأرض وقد انكشفت عورته وكان له سروال قد (عتّ) منْ تقادم السنين وطول السفر فبان لها شىء هائل فلما رأته سالت ريالتها وتحركت شهوتها وفى الحال أمرت برد الاسارى الى الخيام وقالت لمقدمين عساكرها نحن مقيمين ههنا الى أن يأتى شماس ويعرفنا عن هؤلاء الناس ثم انها أمرت للأسارى بالأكل والشرب وأجلست مدلاج الى جانبها ولاطفته وسايرته وقالت له وحق المسيح إن تنصرت لأجعلنك موضع ملك الروم وأكلت معه ثم رفع الطعام وقدم المدام وملئت القدح الاول وشربته وملئت الثانى وناولته الى مدلاج فقال لها أنا رجل مجاهد وحاجج بيت الله الحرام وهذا على حرام فقالت له دع عنك هذا الكلام فانى قد مننت عليك بروحك وكنت السبب فى نجاة قومك وحق المسيح إن لم تشرب وتطيعنى فيما كنت أطلب وتعطينى مارأيت من متاعك لأقتلنك أنت وأصحابك ولما رأى مدلاج منها عين الجد لم يقدر على التأخير خوفا على نفسه وأصحابه فأخذ القدح منها وشرب الى أن سكر وطلبته للجماع فلم يقدر على الامتناع فوثب اليها وناهيك بشىء جيد وله عن أهله مدة غائبا فوقع عليها مثل الحمار وأوراها طعن صاحت منه : زنهار زنهار وما زالوا على ذلك الوضع طول الليل الى قرب النهار وهم تارة للشرب وتارة للجماع وتارة للأكل الى أن استكفت ولا بقى لها جلد ولا نفس وقد أظهر لها المحبة والوداد وهو يتمنى لها الرقاد حتى يبلغ منها المراد ويستعان عليها برب العباد وقال اعلمى أنا ما بقى لى رغبة فى دين الاسلام

ولما سمعت منه ذلك صدقته وفرحت فرحا شديد وقالت فى نفسها أنا ما يكفينى إلا هذا المسلم الحورانى لأنه من الأسقام قد شفانى ومن بعده ما أريد عليه ثانى وقد غلب عليها السكر فنامت وعلا غطيطها فقال مدلاج فى نفسه هذا وقت الفرصه والغنيمة وتكفير هذه الخطيئة العظيمة ثم انه وثب اليها وجذب سيفها وكان معلقا فوق رأسها وقد وضع زبابته على صدرها وهمز عليه بقوته فخرج من ظهرها وغاص فى الأرض نحو شبر وأكثر ثم نزعه وخرج من جانب الخيمة وقصد إلى نحو إخوته المسلمين ولم يزال يخفى أمره إلى أن وصل اليهم ودخل عليهم فلما رأوه خافوا منه فقال لهم لا بأس عليكم قالوا من تكون أنت قال أنا مدلاج قد أرحتكم من هذه اللعينة بنت الأوغاد وان قتلها سببا لتفريق عساكرها ثم تقدم اليهم وحل كتافهم ولم يجد الملك والأمير مسلمة معهم فسأل عنهم فقالوا ماهم عندنا بل هم فى الخيمة الحمرا الكبيرة التى بجانبنا فلما سمع مقالهم مضى اليهم ودخل عليهم وكانوا أحزانه على ما أصابهم وأصاب الاسلام من هذه اللئام وقالوا والله لقد خرجنا من عسكرنا فى وقت ذميم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وكان الملك الصحصاح قطع كتافه وكتاف الأمير مسلمة وكسر الحديد وقال له قم بنا نمضى إلى الخيام وننظر عساكر الاسلام ونخلصهم من هذه الأسقام ونأخذهم ونمضى فى الظلام حتى نصل إلى العسكر ونخبرهم بهذا الأمر المنكر الذى ما رأينا أقوى منهم وإذا وصلوا عندنا فى غيابنا تنكسر قلوب العساكر ونحن نكون السبب فى ذلك لأننا ما خرجنا لانتزه نفوسنا فقال له مسلمة نعم يا أخى قد أشرت بالصواب وهموا للخروج ومدلاج قد دخل عليهم وقال قد أتاكم الفرج وجعل الله لكم من الضيق مخرج فقالوا وكيف لنا بذلك فقال يا موالى اعلموا أنه حصل من الأمر ماهو كيت وكيت وقص عليهم قصة الرمح القصير وما صنع وان له ضربات أعظم من الرمح الطويل ولما سمعوا منه ذلك ضحكوا ثم انه قال وهذا سيفها وبه قتلتها وسلمه الى الملك الصحصاح وقال الرأى عندى أننا نأخذ من هذا العدد ما يكفينا نحن وأصحابنا ونقصد إلى السرادق ويفعل الله بنا ما يشاء فقالوا له لقد أصبت فيما قلت وفعلوا ذلك وأخذوا العدد وفرقوها على جميع أصحابهم فلبسوها وتمكنوا من عسكر الكفار وصاحوا فى صوت واحد الله أكبر الله أكبر فتح الله ونصر بالدين النبى خير البشر وقالوا الملاعين أين تنجوا قد قتلنا ملكتكم بخطوس وحل بكم كل أمر معكوس وجاءتكم عساكر المسلمين ثم أوقعوا السيف فى أول من وقع نظرهم عليه وتفرقوا

من كل جانب ومكان حول الاربعمائة وثلاثون ألف فارس تمام وداروا بهم فى جنح الظلام ونادوا باسم الملك العلام فكبرت معهم الأملاك فى الأفلاك والحجر والمدر بتوحيد العالى المقتدر فثارت الكرج من موضعها وخرجت من خيامها قاصدين إلى سرادق كبيرتهم فوجدوها قد وقعت فى الهلكة فاندهشوا من تلك الأمور هذا وقد هجم الملك الصحصاح هو ومن معه من الأبطال وأوقعوا الضرب والصياح وثارت نار الحرب واتصل الطعن والضرب وزاد البلا واشتد الكرب وكانت الكرج لما رأت الملكة قتيلة انحلت عزايمهم وطمع كلا منهم فى المملكه وأن يكون ملكا موضعها ووقع السيف فيهم من بعضهم البعض فى ظلام الليل وحل بهم من المسلمين الويل لأنهم كانوا خمسمائة من عسكر الاسلام ما منهم إلا كل بطل ضرغام وفارس مقدام ولما رأت عباد الصلبان إلى أهل الايمان وقد أوقعوا فيهم السيف والسنان من كل جانب ومكان وهم أفنوا أنفسهم فى جنح الظلام وتوهموا أن الدنيا انطبقت عليهم إسلام وكلما كبرت الموحدين يدوى البر عند تكبيرهم وتنزعج الكفار عندما تسمع تهليلهم ويقا الكافر ينظر أخاه يظنه من أعداه يضر به ويقتله ويولى منه فما كان لهم دأب إلا الهرب وكل من كان له جواد سابق أطلق عنانه وطلب الهرب خوفا من الوقوع فى العطب وتركوا أموالهم ونوالهم وأثقالهم وخيامهم غنيمة للمسلمين وما أصبح الصباح وفى تلك الأرض والبطاح ديار ولا نافخ نار إلا من هو مرمى فى القفار قتيل ونظر الأمير مسلمة إلى خزائن الملكه وما فيها من الاموال التى تعجز من حملها الجمال ولا يحصى لها عدد إلا الملك المتعال فقال عسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم فلقد رزق الله الاسلام بنصر لم يكن فى الحساب وأنا أقسم بالله أجل الأقسام لو وصلت هذه العساكر الى القسطنطونيه وخرج لنا كلب الروم معهم بعساكره فما كنا ندرى على من تدور الدوائر ولا كنا نرى هذه الاموال لاننا إن كنا لهم غالبين فمن أين نتحصل على هذا المال وأقل مايكون كانوا يفنوا منا عساكر بعدد التراب فقال مدلاج صدقت يامولاى وما كان هذا النصر الكبير إلا ببركة رمحى القصير فضحكوا الحاضرين وقالوا صدقت يامدلاج فقال له الأمير مسلمة من جود الطعن والضرب كان سببا لفك الكرب وقد أخذوا ستة آلاف جمال وبغال وهى محملة أموال وذخائر غوال وساروا الى أن وصلوا إلى عساكر الاسلام وكان وصولهم سببا لقطع ظهر

الكفار وظهر (لاوون) لأن شماس كان وصل اليه وأخبره بوصول ملكة الكرج ففرح بذلك وأخذ الأهبة الى لقاءها فلما كان فى ثانى الأيام ووصلت عساكر الاسلام بتلك الأموال وهى محملة على البغال والجمال ومدلاج فى أوائلهم وهو راكب على جواده وينشد ويقول :

أطعن بالرمح القصير مرادى | إذا كنت راكباً فوق الجواد
لكن هذا الطعن كان وحقكم | من بعد أسر السادة الأجواد
فطعنت بالرمح القصير محارباً | فى الليـل حتى بلغت كل مرادى
لاوون أبشر بالمذلة دائمـا | من أمة المختـار طه الهادى

(قال الراوى) ولمـا وصلوا الى المدينة المستجدة نادى الملك وقال لاتبق دابة حتى تمضى الى نقل الأموال وأقامت المسلمين ثلاثة أيام وهم ينقلون الأموال التى كانت للشام ودخلت الجواسيس على لاوون وأخبروه بما جرى على الكرج فكادت روحه أن تخرج من بين جنبيه ولا بقى ينظر ما بين يديه وتاهت بصيرته وعميت عينه وقال ما المسيح إلا مسلم كما يقولوا المسلمين وإلا ما كان نصرهم علينا مرة بعد مرة وما هذه إلامصيبة عظيمة نزلت على النصرانية وأهل ماء المعمودية فقال له البطرك ياملك لاتكفر فسكت وهو لايطيق السكات (قال الراوى) وأما المسلمين فانهم نصبوا خيام الكرج أمام مدينة القسطنطونية وكانت أغلبها من خاص الحرير والجوخ والأطلس وقد ملأت الفلا وسدت المستوى ولما نظرت الكفار الى ذلك انتهى بهم الأمر وقل منهم الصبر وضاق عليهم الحصر وماتوا من الجوع وملئت الأزقة من جيف الرجال والنساء والعيال فقال لاوون أنا عولت أن أفدى ما بقى للنصرانيـة بروحى وأخرج الى المسلمين فى زى رسول فما أنتم قائلون ؟ فما قدر أحد أن يخالفه فى الصلح ثم انه جمع وجوه البطارقة والقساوسة والرهبان وقال لهم أنا عولت أن أخرج إلى المسلمين وأكشف ما فى نياتهم إن كانوا يريدون الأموال عندنا من الاموال ما يكفيهم وإن كان قصدهم القسطنطونية سلمناها اليهم وبلاد الروم واسعة لنا ونخلص أمة عيسى من هـذا العناء فقـد أكلوا الكلاب والقطط وفى الآخرة نموت غلط استوى والله عندنا الفقير وأصحاب الدنانير وأنا أعلم أن المسلمين لايقيمون فى بلادنا لأنها لاتصلح لهم خصوصا وهؤلاء العرب الذين تعودوا الفلوات وبر الحجاز فقالوا له افعل مابدا لك بشفقتك على رعيتك فقال ائتونى بملبوس مثل ملبوس البطرك لأخفى عليهم أمرى فما بقى يكشف هذه الغمة أحدا غيرى ثم انه لبس ثياب البطرك

وقدموا له محفه وشدوها بحبال الصوف وأمر الروم أن ترفع أصواتها بقراءة الإنجيل من فوق الاصوار فنظروا الاسلام الى ذلك واذا بالمحفه أقبلت وفيها (لاوون) ونادوا بالمسلمين وقالوا هذا رسول قادم عليكم ففرحوا الاسلام بذلك وأخبروا الأمير مسلمة والملك الصحصاح فقالوا لاشك انهم أرسلوا البترك وهو أكرم من عندهم فأكرموه وهذه بغلة النوبة عليها أركبوه لأنى سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا أتاكم عزيز قوم أكرموه) فعندها سارت الخدم بالمركوب الخاص الى الرسول واستقبلوه وعلى بغلة النوبة أركبوه ومشوا بين يديه وأكرموه لأن الاسلام مافيهم إلا من تمنى الصلح لأجل طولة غيبتهم عن أولادهم وحريمهم وديارهم ولما قرب الرسول الى السرادق تأهب له الأمير مسلمة وأجلسه على سريره وجلس ملك العرب بجانبه ووقف على رؤسهم الحجاب والمماليك بمناطق الذهب وبأيديهم السيوف مجذوبة ووضع بين يديه كرسى ليجلس عليه الرسول . هذا وقد وصل لاوون الى باب السرادق وطلبوا له الإذن فى الدخول فأذن له ودخل حتى صار بين يدى الأمير مسلمة والملك الصحصاح فعندها صاحت عليه الرجال: الأرض الأرض لخليفة الله فى طولها والعرض فلم يعبأ بهم ولم يلتفت اليهم حتى صار الى الكرسى الذى وضع لجلوسه فأشاروا اليه أن يجلس عليه فلم ينظر اليهم بل تقدم حتى وصل الى الذى عليه الأمير مسلمة والملك الصحصاح وجلس بجانب الأمير مسلمة فعندها صاحت الحجاب والخدم والغلمان فقال لهم الأمير دعوه فما جلس إلا مكانه وأراد أن يعرفنا بنفسه ومافعل هذا الفعل المفهوم إلا وهو ملك الروم ثم قال له اجلس بحق ماتعتقد من دينك ماأنت لاوون فلم يقدر يخالف اليمين فالتفت للامير وهو مبتسما وقال له وحق المسيح مثلك من يكون ملك وسلطان نعم أنا لاوون وقد أتيت اليك وأرميت سلاحى عليك وأنتم تقولوا من رمى سلاحه حرم قتله ثم قال له اعلم أيها السيد أنه ما أخذ من الأنبياء أمر بقتل العباد ولا بخراب البلاد وقد طال حصاركم لنا فان كان قصدكم المال لكم علينا الرضا وفوق الرضا ونعطيكم من المال ما يسد الفضاء والصلح خير ونترك ماقد مضى لأن هذا البلد لاتصلح إلا لأهلها وان كنتم تطلبوا القسطنطينية سلمنا لكم المفاتيح مع طاعتنا لكم وتسليمها فلا يسوى مقامكم علينا يوم واحد واعلم ياسيدى أن الناس هلكوا من الجوع والغلاء وأنت أول من يرحم الضعفاء من الرجال والنساء وان كانت الأديان مختلفة والرب واحد وهو العلى الكبير ونعم المولى ونعم النصير رب إبراهيم ونوح جعل المسيح روحا وانى ماخرجت إليك وألقيت

ووحى بين يديك إلا حتى أعلم مافى نفسك ومرادك وسبب غيبتك عن بلادك وعلى أن أبلغك آمالك وأنت المفضل المالك ثم سكت ينتظر الجواب فسكت أيضا مسلمة عن الخطاب لأنه اندهش من هذا الأمر العجيب وتعجب من شدة جنان عابد الصليب كيف خاطر بنفسه وسلم روحه الى أعداءه ثم انه أراد يستشير الصحصاح فى رد الجواب فعلم الصحصاح بما فى نفس مسلمة فبادر الى الملك برد الجواب ولسان كأنه جلاب وقال الحمد لله مرسى الجبال ومنشى السحاب الثقال ومقدر الأرزاق والآجال الذى انفرد بالبقاء والكمال وخلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار لا إله إلا هو الكبير المتعال أحمده على فضله ونعمه وما أولانا من الكرم والافضال والنصر على أهل الكفر والضلال المشركين الجهال وأمكن من رؤوسهم البواتر الصقال وجعلهم محصورين من وراء الجدار والأطلال وفى الآخرة لهم السلاسل والأغلال حيث أنزل فى كتابه وقال (وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال) ولقد كذب من تجبر على الكبير المتعال وقال إن له ولد أو صاحبة أو شبيه أو مثال ! تعالى ربنا جلّ وعلا عن قول أهل الضلال وأشهد أن لاإله إلا الله واحد لاشريك له شهادة نافية للشرك والشك والضلال ومنجية لمن قالها بالخلاص من الأهوال يوم حمل الأثقال يوم تساق المجرمون الى جهنم فى السلاسل والأغلال ويزاد عليهم بالعذاب والنكال وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم كلما أضاء الهلال الذى من آمن به نجا من الأهوال وقد أرسله على فترة من الرسل والارسال وكان لسان الكفرة قد نطق وقال وبالزور والبهتان قد استطال فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجادل بأحسن جدال وأعذب مقال حتى أزال الاختلاف والاعتلال وأعادت قناة الدين معتدلة كالهلال صلاة الله عليه وعلى أزواجه وذريته والآل مابسطت الأيدى والابتهال فى حمية فى الجهاد وطاعة لرب العباد وغيرة منا على الدين وحمية على الحقيقة لدين سيد الأنبياء والمرسلين وتنزيها للملك الحق المبين المقدس تقديسا وابراهيم وموسى خالق مريم وعيسى ومن أوصل الينا فضله ونصرنا على أعدائنا من عدله فله الشكر على ما أنعم به علينا وذلك فضلا منه لدينا وبعد توحيد الملك العلام والصلاة والسلام على المظلل بالغمام ولابد من فتح هذه المدينة على وغم الكفرة اللئام ولو اننا أقمنا شهوراً وأعوام لأنها أظرف من بلاد الشام لسعة مروجها وكثرة مياهها وأما قولك أيها الملك عن الصلح نعم الصلح خير ونحن نرعى حق وصولك الينا وانطراحك

علينا احتراما لشيبتك وان كانت لا تحترم بل نظرا منا الى ما أنت عليه من العز والشيم ونحن كلنا بسيوف مجذوبة ودرق مكوكبة ولابد لنا من فتح البلد وتنادى بتوحيد الفرد الصمد ونصلى على النبى محمد ونبنى بها جامع أكون أنا الذى أرسمه وأقرره وندخل راكبين بيت المذبح والأذان فيه يوم الجمعة ونصلى فيه جماعة ونريد بعد ذلك جميع ما أنفقناه من المال على أنفسنا من تسع سنين الى تاريخ يومنا هذا كل واحد منا على قدر ما أنفق على نفسه ودوابه وغلمانه وبعد ذلك يضع الأمير مسلمة نائب أمير المؤمنين بقدمه على عنقك إعزازاً لدين الاسلام وإذلالا للروم اللئام فاذا أنت فعلت ذلك قررنا عليك مالا تتحمله فى كل عام ورحنا الى بلادنا بشرط تكون المقاطعة عن كل من فى بلاد الروم وتلك الأطلال والرسوم فانظر الآن ما يكون الجواب لهذا الخطاب والصلاة والسلام على سيد الأعراب . فلما أن سمع الملك لاوون ذلك المقال ضحك ثم قال أيها الملك أجبناك إلى ما تريد ونزيدك أوفى مزيد وأموال فوق أموال على ما اتفق عليه الحال إلا روث الدواب ببيت المذبح تعفونا منه فان الروم يرونه مذموم وما أقول انهم يجيبونى الى ذلك وأما وطىء عنقى ماجرت بهذا عادة الملوك الكرام ولكن أعفوا عنى من هذين الأمرين وأنا أجيبك عن كل ما تريد فقال أما وطىء عنقك فقد أعفيناك منه لأنك جالستنا ونحن لانهين جليسنا وأما الدخول فى بيت المذبح وروث الدواب فيه لابد منه فقال الملك لابد ما أشاور أصحابى فى ذلك وأهونه عليهم لانه أمر علينا فيه مشقة وعلى جميع النصرانية وأنا واحد منهم ولابد ما أشاورهم لأنى لا أعمل عملا إلا برأيهم ولكن مرادى أعرف قدر الجامع ما يكون فقال الصحصاح يكون قدر جلد البعير قال الملك أمر سهل سمعا وطاعة لاخلاف فيما تريدون وقد لزمكم إكرامى واحترامى لأجل دخولى عليكم وحسن ظنى فيكم عندها ادعى الأمير مسلمة بخلعة سنية فاخرة تصلح للملوك الأكاسرة وخلعها عليه وأمر له بجواد من خيار خيله وعليه من الجوهر والذهب مالا يوصف ولا يكيف ومنطقه وتوجه كما تفعل الملوك ثم أمر الغلمان وساروا بين يديه للخندق فلما رأوه الروم عاد اليهم فى ذلك التجمل ففرحوا به وضربوا له البوقات والطبول والنقاريات وفرحا باجابة السؤال وارتفعت الأصوات وعلت الضجات بعودة الملك اليهم وهو قاعدة الصلح والاكرام وفتح باب القسطنطينية ودخل الملك واجتمع بالملوك وأخبرهم بما جرى من أوله الى آخره فصعب عليهم حديث المذبح وبول الدواب فيه وقالوا أيها الملك هذا أمر عظيم ولكنه سهل

وبهذا أهون من قتل النسوان والرجال والأولاد ونهب الأموال وخراب الديار وأما حديث المذبح هذا أمر سهل فى ساعة واحدة يتنظف ويغسل بماءالورد والعنبر ونبخره بالمسك الإزفر ولو كان بول كثير يزول بالتبخير والاثم ما هو علينا إنما هو عليهم فقالت الملوك أيها الملك الأمر أمرك افعل ماتريد عندها كتب الملك لاوون إلى الأمير مسلمة وسائر المسلمين بذلك الاتفاق ثم إن مسلمة أقبل على الصحصاح وقال ياملك العرب كيف انك اخترت الجامع قدر جلد جمل فقال له الصحصاح سوف ترى يامولاى ما يسرك ثم امر الغلمان أن ينحروا له بعير يكون فى الخلقة عالى كبير ففعلوا ذلك وأخذ الصحصاح جلده وقده ودوره على هيئة الحيل بالطول فى عرض قيراط فكان بالتقدير ربع المدينة ثم أرسله إلى الملك بحضرة الملوك والبطارقة فلما رأوه تعجبوا من ذلك وقال لهم الملك ترون فقالوا وما نرى هذا نحو ثلث المدينة وأكثر وكيف أجبتهم إلى ذلك فقال أنا علمت أن هذا الشيطان يفعل هذا ويعمل هذه الهندسه انما قلت يعمل على قدر جلدا الجمل ويكون جلدا الجمل يسع خمس رجال أوسته وأما هذا الأمر ما كان لى على البال لأن هذا يسع عشرة آلاف ولكن ما بقى إلى النجاة سبيل ولانقدر على المخالفة لأن البلد صارت فى أيديهم وما بقى لنا يد على الحصار وقد هلكت منا الكبار والصغار فسكتوا الروم عن رد الجواب وأرسلوا للاسلام بالاذن فى الدخول فدخل الأمير مسلمة ووضع الأساس وقد أحضروا له الصناع من من القسطنطينية ومن حولها من الضياع ومن كان فى عسكر الاسلام وأحضروا لهم الأخشاب والأحجار وغيره واستعملهم مسلمة ليلا ونهار مدة تسع شهور تمام إلى أن تمموه وأقاموا البنا وعولت الاسلام على الدخول يوم الجمعة وقد فرشوه بالبسط الملونة والحرير المنقوش وأرادوا المسلمين الدخول حتى يصلوا فيه الجمعة بعد الخطبة فتقدمت الملكه الوف إلى مسلمه والصحصاح وقالت لهم على ماذا عولتم فقالوا ندخل القسطنطينية ونصلى الجمعة فى الجامع خلف الإمام فقالت الوف اعلموا ياموالى ان هذا الأمر ليس بصواب لأن الروم معروفين بالغدر فكيف تطيب قلوبنا أن نسلم أرواحنا إلى أعداء الدين فالرأى عندى انك تطلب منهم رهاين من أولاد الملوك فان فعلوا دخلنا ونحن مطمئنين فقالوا لها نعم ما أشرتى به وعلموا ان قولها صواب فأرسلوا إلى الملك لاوون بذلك فأجابهم وأنفذالرهاين اليهم وركب مسلمة والصحصاح والوف ومروان بن الهيثم والامير غانم وعطاف وكل أمير ومقدم من الامراء الخواص وأخذوا معهم خطيب فصيح اللسان وتجملوا

بالملبوس والعدد والزرد ودخلوا من باب الذهب وهم فى موكب من العجب مهللين ومكبرين والسيوف مجردين وهم ينادون الله أكبر فتح ونصر نصر من الله وفتح قريب وهزوا سيوفهم فى وجوه الكفار وهم يصلون على النبي المختار إلى أن وصلوا الجامع وصعدت منهم جماعة على المنابر وكبرت لله الواحد القهار وسلموا على النبي المختار فضجت الملائكة معهم والهوام والوحوش والأطيار بلسان الاعتبار ونادت الملائكة فى السما إلهنا ومولانا تعهدت فى هذه المدينة أصوات منكرات وعن التوحيد منكرات والآن فاننا نسمع أصوات التهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فسبحانك انك على كل شيء قدير هـــذا ومسلمة يقول مابقيت أبالى بأى موتة أموت بعد هذا النصر والفتح وأذان المؤذنون فى بلاد الكفر بعد سبع سنين قتال واثنين حصار وبنيت لله تعالى المنابر وعمرت الجامع فليصنع الدهر ماهوصانع لوقت الظهر والخطيب تقدم ورقى للنبر بعدمارقى المرقى وخطب خطبة بليغة وحمدالله فيها وأثنى عليه وذكر محمدا صلى الله عليه وسلم وصلى عليه وقال الحمد لله الذى جعل الحمد لرزقه ثمنا وأخرج لنا من بين لحم ودم لبنا وعمر بالاطلال اطلالا ودمنا فله الحمد على ما أولانا بفتح بلاد أعدانا حيث نطق بذلك محكم كتابه المبين وكان حقا علينا نصر المؤمنين وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين ونزل بعدذلك وقام بالناس وصلى بهم صلاة الجمعه وأخذوا فى الدعاء وتمت لهم الصلاه وفرحوا بالنصر من عند الله وخرجوا من الجامع ودخلوا إلى بيت المذبح ووقفوا بالدواب حتى زالت وبالت ثم خرجوا بعد ذلك وهم فرحين مستبشرين مهللين ومكبرين إلى أن وصلوا للخيام وحسب لاوون الأموال التى طلبوها وفتح الخزائن وحمل منها مائة بغل من الذهب ثم نزل لمسلمة والصحصاح غير ذلك عشرين بغل تحف ونوال وجواهر ولآل وألف ثوب من الأطلس والحرير خاصة لهم عن مال العساكر وأرسل ذلك كله مع الغلمان للأمراء فى الخيام فلما رأى مسلمه ذلك شكر الله تعالى وأمر العساكر بأخذ الأهبة للرحيل والعبور للجانب الثانى فحملوا الأموال والأثقال للمراكب فى الحال فلم تسعها المراكب لأنها أموال ليست بقليل فأخذوا من مراكب القسطنطينيه ثمانين مركب ثم ان الصحصاح قال لمسلمه اركب يامولاى أنت مع الأموال وخلى عندنا ألفين من الرجال مجهزة للقتال لأننا لانأمن غدر هؤلاء الأنذال فاذا سرت أنت فى الجانب الثانى بالأموال وأمنت عليك أطلقت لهم الرهاين وسرت بعدك فعلم مسلمه أنه فداه بنفسه وبذل مهجته دونه وقدخشى عليه من مكايد الملاعين فشكره على ذلك هو وسائر المسلمين وقال له يامالك

العرب لقد علا فضلك على سائر البشر ولكن جزاك الله خيرا كما أنت أهلا للخير ثم أنه اهتم فى أمر السفر وآذا قد قامت الملكه ألوف صاحبة الجميل والمعرف وقلبت يديهما وقالت لهما أنتم قد قضيتم شغلكم قالوا نعم قالت ومابقى إلا مايتعلق بى أنا من الحصون والقلاع التى كانت لأبى وأمرها الآن صارلى وفيها من الأموال مالا يوصف ولا يعد ولا يحصى بعدد الرمل والحصى فننقل جميع مافيها ونرسل بعد ذلك الى ملك الروم يشتريها وإلا أخذتها وأيضا أطالبه باللعين شماس الذى عمل معنا مالا يعمل مع أحد وكان مراده يضرب عنق أخى ولولا من الله عليه بالخلاص على يد أشمونيس وإلا كان هلك وقدرأيتم مافعل يوم السماط وما أتانا بملكه الكرج أحد سواه ولولا العنايه من رب العالمين وإلا كنتم هالكين وإن رحلتم وهو فى قيد الحياه يحرض علينا الروم وأنا أقول لابد من صلبه والقدور معلقة فى رقبته فلما سمع مسلمه ذلك علم أن قولها على صواب فكتب إلى ملك الروم كتاب بذلك الخطاب ومن جملة ما قال فى الكتاب حلف مسلمه والصحصاح وسائر المسلمين أنهم لا يرحلوا ويطلقوا الرهاين حتى يصلبوا شماس لأجل مافعل فى حقهم من الفعل الذميم وان أبيت ذلك لايرحلوا وينقضوا ماوقع بينكم من العهد والميثاق والسلام على من ظللته الغمام وأرسل الكتاب مع بعض الغلمان الى لاوون فلما وصل اليه وقرأه عرف معناه علم أنه ان قصر يضيع جميع مادفع من الأموال لأجل شماس فأنفذ فى الحال اليه وقبض عليه وقال نفدى به ملة النصرانيه وله أسوة بالمسيح لما صلبوه اليهود وهو أعلا مقام من هذا ولدالزنا ثم ان الملك حمل مائة بغل قماش ورحال وهدايا وتحف وأموال وقال للرسول قل لهم هذا الكلب شماس سلمه اليكم افعلوا به ماتريدون لأنه منجوس ورأيه معكوس ولو كان له بركة لظهرت لنا لكن بشرط أنه لايعدم من القلاع حجرا واحدا وخذوا هذا الكلب اعملوا فيه ماتختاروا فعاد الرسول الى عسكر الاسلام بالاموال وشماس على بغل بين البغال وهو مكتوف اليدين مقيد الرجلين وفى رقبته حبل وهو يبكى ويصيح وينادى بالمسيح والروم يبكون لبكاه ويقون يعز علينا صلبك أيها الرجل الصالح ولكن لك أسوة بالمسيح فانه لولم يقبلك ما كان سلم فى قتلك ولم يزل الرسول سائر الى أن وصل الى الاسلام فلما رأوا شماس بصحبته ارتفع منهم الصياح ونادوا بالأفراح فلما وصل اليهم أخذه اللطم من كل جانب ومكان وبلغ خبره الى الأمير مسلمه فقال لاتأتونى به لأنى أخاف مكره وحيله بل اصلبوه على مدينة النصرانية وعلقوا القدور التى عمل فيها السم فى رقبته ولطموا قمتة فعندها نصبوا له خشبة ببكر وحبال وعلقوه

فيها فى الحال والوف تقول له ياشماس من وقت ان قلت انك تمشى على الماء عرفت انك ماتفلح ومن أشرت عليه برأيك ما يفلح ثم أنهم دفعوه وتقدمت له ألوف وقد أوترت القوس نحوه وضربته فارتفعت نحوه فى ذلك الوقت النشاب والحرب ورشقوه الى أن بقى مثل القنفد وكان يوم صلبه يوم مشهود وضربه بعض العربان بقارورة ملآنة نفضا وكبريت فاشتعلت فى جسده بنار ومضت روحه للدرك الأسفل من النار وبئس القرار وبعد ذلك قدم مسلمة الى المراكب وملاها بالمال ونزلت فيها الرجال وأقام بعد ذلك ثلاثة أيام وعدوا الى الجانب الآخر وبعد ذلك أقام الصحصاح لم يعدى الى الجانب الآخر حتى أنه لايترك شىء فأرسل له ملك الروم يقول ياملك العرب ما هذا المقام على البلاد بعد ما بلغت المراد وان كان بقى لكم حاجه اخبرونى حتى نقضيها ولاتتهاون فقد طالت الأيام فأرسل له الجواب يقول نحن راحلين ان شاء رب الأرباب وأقاموا على ذلك سبعة أيام لما نقلت ألوف جميع ما كان فى قلاعها من الأموال ولم تركت فيها حبة واحدة وأطلقوا الرهاين ورحلوا بعد ذلك طالبين الديار والأهل والعيال وعدوا للجانب الآخر واجتمع مسلمه والصحصاح وكملت الأفراح وباعوا مراكبهم واشتروا عوضهم جمال وبغال وحملوا عليها الأموال وساروا والصحصاح فى أوائلهم وقد نظر إلى تلك الغنائم التى ملأت الفلا وسدت المستوى وتذكر بنت عمه ليلى وأهله وأوطانه فهاج به الغرام فأنشد وقال :

يزيد الغرام بذى المستهام — لأرض الحجاز ولأرض الشآم
فتحنا الجهاد فى كل البلاد — ورب العباد نصير الأنام
أقمنا السنين على أرضهم — وكان الحصار كطيف المنام
عملنا بها جامعا واسعا — لأجل الصلاة وأجل القيام
وقمنا به بعد كون الخطيب — على منبر عالى وصلى الامام
وكانت لنا جمعة لم تكن — لأهل البلاد بطيب المقام
وقد بالت الخيل فى مذبح — تراه النصارى عظيم المرام
وقد رضى الله عنا بذاك — وحزنا ذخائر قوم اللئام
وننشد فى سيرنا بالسرور — ونهدى مع الريح طيب السلام
أياحادى العيس نحو الشآم — ترفق على الهائم المستهام
وعرج على الرمل من عالج — ونح بالحما مثل نوح الحمام

إلى الديار وأرض الحجاز ... وباد إلى ساكنين الخيام
ولم أنس بالأمس توديعها ... وأدمعها هاطلا سجام
رجونا نعود على سرعة ... ونشفى منهم غليل المرام
قضينا السنين بكثر الجهاد ... وعام تطاول من بعد عام
ومن أجل ليلى أحب الحجاز ... وجيران ليلى همو فى زمامى
ومن أجلى ليلى أنادى بهم ... أجيران ليلى عليكم سلامى

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع مسلمة شعر الصحصاح علم أنه زادبه الاشتياق إلى بنت عمه فأخذ يحادثه وجدوا المسير ولله المشيئة والتدبير هذا جرى ههنا (وأما ماكان) من حديث الخليفة عبد الملك بن مروان فانه كان فى كل جمعة يكاتب ولده ويأمره بالجهاد إلى مدة أربعة أعوام وفى العام الخامس عرض له عارض الحمام فأشغله عن ملكه والأحكام فلما أيقن بالموت جمع أولاده وقال اعلموا ياأولادى ان الذى حكم به رب البشر قد حضر والوقت قد اقترب ولا بقى ينفع لافضه ولاذهب ولاينفع العبد إلا ماقدمت يداه ولكن الحمد لله الذى أخرج من ظهرى مثل ولدى مسلمة الذى أخرب القسطنطينية وأذل أهل ماء المعمودية وأنا أرجو من الله أن يكون ذلك سبب الخلاص يوم العرض والقصاص واعلموا أن ولدى مسلمة يكون ولى عهدى وهو الخليفة فيكم من بعدى فاخطبوا له بذلك وكاتبوا له بالخطبة جميع الممالك ولايخرج أحد منكم عن خلاف والله تعالى خليفتى فيكم ثم أنه بعد الوصية أنشد وقال بعد الصلاة على النبى المفضال

سلام عليكم اننى لمودع ... وعيناى من خوف التفرق تدمع
فان نحن عشنا يجمع الله بيننا ... وان نحن متنا فالقيامه تجمع

(قال الراوى) ياسادة ياكرام فبكا ولده الوليد وكل من حضر من خواص دولته وأرباب مملكته ثم انه بقى كذلك إلى ثلاثة أيام وقضى نحبه ولحق بربه وأصابه من الموت ما على كل مخلوق قضى وجاد عليه المولى الكريم بالرحمة والرضا وواروه التراب إلى رحمة الله تعالى وبعد ذلك أقبل الوليد على اخوته وقال لهم اعلموا أن أخينا مسلمة الآن على القسطنطونية ونحن نعلم مايكون منه ومن عساكر النصرانيه وان سمعت الروم بموت أبى قويت عزائمهم وطمع فينا طامعهم وربما تتفرق المسلمين ويكون ذلك سببا لكسرة المجاهدين والذى أرى من الرأى المعقول وأنتم تجيبونى لما أقول وهو انى أكاتب أخى فى كل حين على

لسان أبى ولا نخبره بموت أبيه ولا نعلمه بالخلافة الذى نصب بها أبيه اليه وأنا أحكم فى الرعيه بالعدل والانصاف كما أمر سيد الاشراف إلى أن يقدم أخى من بلاد الكفار فاذا هو عاد مع المشيئة بالسلامة كنت قادرا ان اخلع نفسى من الخلافة وأسلمها اليه ولا أبخل بها عليه لأنى أعلم انه يستحقها من دونى ويكون ذلك حفظ لنا وله وللمسلمين لأن الرأى السرى أنفذ من الريح السمهرى فقالوا له اخوته لقد رأيت الصواب وأتيت بالأمر الذى لايعاب ثم أنهم خاطبوه بأمير المؤمنين وبايعوه على الخلافة بتمكين (قال الراوى) وكان الوليد دون مسلمة فى العمر إلا أنه كثير الدهاء والحيل والمكر والخداع فأقام يكاتب أخيه على لسان أبيه أربع سنين كوامل وفى العام الخامس عاد مسلمة بالعساكر وهو فرحان بما فتح الله عليه وأقر بالنصر عينيه ولما قرب من البلاد أرسل النجابة إلى أبيه ثم إن النجابة مازالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى دمشق الشام ودخلوا عل الخليفة وهم يحسبوه عبد الملك فوجدوه الوليد ولما استأذنوه ودخلوا قدموا الكتب الى بين يديه فأخذها وقرأها وعرف رموزها ومعناها وأظهر الفرح وفى قلبه مافيه من الحزن والترح ثم انه احتجب بقية يومه والثانى والثالث عن الديوان فانكرت عليه ذلك الخواص ودخلوا عليه فى اليوم الرابع بعد الاذن وقالوا له ما السبب الموجب فى احتجابك عنا فقال لهم اعلموا ان أخى مسلمة قد فتح القسطنطينية وأخذ منها أموالا بعدد الحصا والرمال ومعه من العساكر مالو أراد ان يفتح بهما الأرض فى طولها والعرض لفعل ذلك ومالى بحربه طاقة ولا على دفعه استطاقة ووالله انى أحبه ولكن ما أحب أن أزول عن الخلافة وقد سمعتم ان معاوية قاتل عليها على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأخى أقل ما يكون معه الآن عشرة آلاف فارس وأنا ما عندى خمسة آلاف ولم يكن أحد أجل قدرا من الحسين بن الامام على كرم وجهه فى شرف المناقب قهره يزيد بكثرة الأجناد والعبيد وقد قيل فى الأمثال العزل هو الموت الأحمر وان دمت على ما حل بى لحقت بأبى لا محاله وأنا قد أحسنت وعدلت فى الرعية ولا يسهل بى الآن ان اخلع نفسى من الخلافة ولكن لابد ما أطلب المشورة من أرباب الدولة ثم انه خرج فى اليوم الرابع الى كرسى سلطنته واجتمع بأرباب دولته وخلا بخواص مملكته بعد ماصرف العوام وأخبرهم بما فى مراده من أمر أخيه وبما فتح الله عليه وقال لهم لابد اذا أتى أن يطلب الخلافة وأنا ان نزلت عنها كان الموت بعينه وان أنا حاربته كان سبب لهلاك المسلمين فانظروا ما عندكم من الرأى الصواب فما خاب من استشار وقد قال الله تعالى لنبيه

صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الأمر فاذكروا لى ما عندكم من الرأى بارك الله فيكم (قال) فلما سمعوا مقاله جعل كل واحد منهم يقول ما عنده إلى أن تكلموا جميعهم ولم يبق أحد إلا وقال على حسب معقوله إلا رجل يقال له عبد الله بن أنس فانه لم يتكلم ومع ذلك أنه كان معروفا بالعقل والتدبير وفى الرأى خبير فأقبل عليه الوليد وقال له أيها الصدر الكامل المشار اليه إذا سكت كل قائل مالى أراك ساكتا ماسكا وما كنت فى مسلك الرأى إلا كاملا ماعندك فأنا أتبع رأيك وأعرف قصدك لانى أعرفك صاحب لسان كانه لسان سحبان عند ذلك قام عبد الله وقبل الأرض وقال يا أمير المؤمنين إذا مدح المولى عبده دل ذلك على زيادة فضله كما مدح الله تعالى عباده حيث قال فى كتابه المبين التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله فهذا فضلا منه وانعام وبعد فان العبد يرى الكلام فى موضعه ضايع لأن كل مقام عند العقلاء وله كلام وقد قيل عند العلماء ما عدم الصواب بين أربعة من المسلمين خصوصا السادة الحاضرين والصواب ما يراه مولانا أمير المسلمين لانه من السادة الأماجد (قال الراوى) ثم أنه قال يامولاى ومن هو عبدالله بن أنس حتى انك تستشيره وأنت أولى بالرأى الصواب والناطق بالنيه وما فى الكتاب غير أن أمير المؤمنين قد اقتدى بسيدالمرسلين ويقول رب العالمين حيث قال وهو أصدق القائلين وأمرهم شورى بينهم ولكن اليوم قد مضى وما فى الأمر إلا أمير المؤمنين يعبر لما يهجم الظلام فان الليل فيه تروق الاذهان ويصفو خاطر الانسان فاذا خلى أمير المؤمنين بنفسه يعرض كلام كل من كان عنده اليوم على مكنون قلبه فاذا وقع خاطر المولى على كلام انسان يدعوه إلى حضرته فقد قيل فى بعض الأخبار عن النبى المختار استعينوا على أموركم بالكتمان (قال الراوى) فلما سمع الوليد كلامه علي أنه صاحب رأى سديد وقول رشيد وفى مراده أن يجتمع به فى الليل فوثب من مقامه وقد اعتمد على كلامه ولم يصدق متى يرحل النهار ويقبل الليل بدياجى الاعتكار حتى أنفذ خلف عبد الله فلم تكن الا ساعة حتى حضر بين يديه فأمره بالجلوس فجلس قدامه وقال لها هات ما عندك من الرأى أنا أعرف انك ما سكت بالأمس من دون الجماعة الا ومرادك الكلام فى تلك الساعة فقال عبدالله اعلم يا أمير المؤمنين ان العارفين قالت من لم ينظر فى العواقب فما الدهر له بصاحب ومن أراد عظيم خاطر بعظيم وقد قتل قابيل أخاه هابيل لاجل الأمر والنهى وحظ الدنيا فكيف محاربتك أخيك لانه أقل ما يكون

فى خمسمائة فارس من الأمراء الكبار الألفيه المشهورين وجمع العساكر غير قليلين ومعه من الأموال بوزن الجبال مالو أراد أن يستخدم به أهل الأرض لفعل ذلك وكان عليه سهلا وهو بالخلافة أحق وأولى لأن أباك أوصى بها اليه ومنّ بها عليه وليس عندى من الرأى غير قص جناحه الذى به يطير وعقر فرسه الذى يحارب عليه وبه يغير واعلم أن أخاك ماوصل الى ماوصل اليه إلا بملك العرب وهو الصحصاح لأنه كان له باب النجاح وكان لباب القسطنطونية مفاح والرأى عندى أنك تفتح خزاين أبيك وتظهو مافيها من الذخائر والدر والجوهر ويهون ذلك عليك إذا حضر بين يديك إن أردت أن تكون أعز قومك يكون بمالك وتضيق على من يعاديك المسالك لأن من عرف مايطلب يهون عليه مايبذل وتكتب لأخيك كتابا تهنيه بما فتح الله عليه وتعزيه فى أبيه وتعلمه بموته من حيث مات ثم تخبره أنك ماكتمت موته إلى الآن إلا اشفاقا على عساكر الايمان حتى يتشوش قلوب المجاهدين وربما كانت تطمع فيهم الكفرة والمشركين وترسل له انى جلست فى الخلافة من وصية أبيك حفظا للبلاد واطمأنانا بالعباد وقطعا لمطامع أهل البغى والفساد وإنى منتظر قدومك فى طالع السعود ويجرى الماء فى العود ويعود الزمان إلى الشباب إذا حضر السيد المهاب وتختم الكتاب بهذه الأبيات :

الحمد لله هذا غاية الأمل　　بدولة عدلت عن سائر الدول
جاهدت فى الله حتى نلت جنته　　وفزت بالاجر فوز السادة الأول
وعدت فى حلة الاقبال متصلا　　عن العدو بعزم غير منفصل

قال ثم انك بعد ذلك تكتب كتابا للصحصاح تهنيه بقدومه سالم غانم وتشكره على أعماله وحسن فعاله ونصيحته للمؤمنين وقتاله للكافرين وتختمه بهذه الأبيات تقول بعد الصلاة على الرسول :

طار طائر السرور بالأفراح　　يخبر بالمنا ونجم الفلاح
ويقهر العدا من كل كلب　　ويفتح البلاد بالصحصاح
هو سيف المسلمين بغير شك　　وجناح الامام نعم الجناح
دام فى نعمة وملك عظيم　　وسرور ونعمة ونجاح

ثم تكتب كتاب آخر بخطك بأنك تعطية جميع ماطلب وتبلغه ما أحب وتعطيه الذخائر والذهب وتعطيه من دمشق إلى حلب امرة العرب ومن الحجاز وتكتب له من صنعاء الى عدن وتزيد له فى النعم وتجعله مقدم على سائر العوب والعجم وتعلمه

أن جميع ما وصل اليك من وصية أبى حتى أنه يزداد رغبة فيك وأنا أزور لك كتاب عن خط أبيك حتى أن أبيك لم يشك فيه وتذكر فيه أننى قد كنت جعلت مسلمة ولى عهدى ورجعت عن ذلك ورأيت المصلحة فى الوليد لأنه أولى بذلك وأصلح لتدبير الرعايا والمملكه والسبب فى ذلك أنه بلغنى عن مسلمة أنه ترك عسكره وصعد الى قلعة مع صبية من الرروم تسمى ألوف وكان لها محبا والوف زائدة فتون بتلك العيون التى لايشتغل بها المجنون ولولا فتح الله على المسلمين بالنصر على الأعداء الكافرين لكانوا شربوا كاس الردا ومن فرط فى نفسه وفى عساكر المسلمين لا يصلح أن يكون إمام ولا خليفة للاحكام وإنى رأيت المصلحة فى الأمام المشفق البازل المنفق ولدى الوليد فان له عزم شديد وأنت سيفه القاطع ودرعه المانع وقد أوصيته أن يلتقيك بجميع ذخائرى وأموالى لتعلم صدق مقالى وعلى الله تعالى وعليك اتكالى فى حال ولدى الوليد وإن شاء الله تعالى ينال بك مايريد وقد كنت اتخذتك فى حياتى ولدا وسيفا على الاعداء مجردا فكن لولدى بعد موتى ناصرا وسندا ثم تضمن الكتاب هذه الابيات

قد كنت ياولدى عليك معولا   إذ كنت سيفى فى زمان حياتى
فاجعل مكافأتى وحسن صنائعى   نصر الوليد يكون بعد مماتى
يوم القيامة تلتقى لا تستحى   منى إذا سارعت فى طلباتى

ثم قال ياأمير المؤمنين وينبغى للرسول أن يكون حاذقا أوفى نصيحته صادقا حتى اذا وضع المال بين يديه أخذ يده للمبايعة فان الصحصاح ان بايعك فالموضع موضعك ولم يبق لك منازع وان لم يبايعك فقد منعتك الموانع فانظر يا أمير المؤمنين من تثق به ويعول عليه فقال الوليد والله لقد أشرت فنصحت وسوف أفعل ماإليه أشرت وأخرج أموال وذخائر إذا رآها الصحصاح لان ولو كان قلبه صوان ولكنى أعلم أن مالهذه الرسالة سواك ومايضيع عندى تعبك ولاعناك فسر فى هذا الأمر ودبره ورتب كلامك وقرره وما أعرف هذا الأمر إلا منك فعند ذلك أطرق عبد الله رأسه إلى الارض مليا ثم قال يا أمير المؤمنين أنت تعلم أن هذا الامر الذى نحن فيه ان لم يكن عاقبته الاجابة الى ذلك والا فانك لاشك هالك فاذا اتفق رأى مولانا أمير المؤمنين أيده الله تعالى ان يستندب فى هدا الامر غيرى فليفعل ويعافينى من هذا الأمر المعضل فقال الوليد والله ياعبد الله ماعندك محيد ولم يقوم أحد مقامك ولا يقدر غيرك يرتب كلامك فشمر عن ساعد همتك فمالى غنى عن مشورتك فعاونى على الشدائد

وساعدنى على هذه الاوايد فقال عبدالله السمع والطاعة ياأمير المؤمنين أنا كما قال بعضهم

إذا لم يكن المرؤ للسفينة راكبا … فليس من الانصاف الا ركوبها
وصمت الفتى خير له من كلامه … اذا النفس يوما أولغتها ذنوبها

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان الوليد فتح خزائن أبيه عبد الملك بن مروان التى من قديم الزمان وأخرج منها اليواقيت والجوهر ومن كل شىء فاخر مالا يقدر ملك على مثله ولا رأى أحدا شكله ومن جميع أصناف الجوهر الرطب الكبار التى ليس يوجد مثلها فى سائر الاقطار وسبائك الذهب ومن أوانى الاطباق وعصائب الجوهر فقال له الوليد ان هذا ملك جليل المقدار ولا يقع عليه عيار فان تم لى هذا الامر الذى أريد وأختار والا دبرت على هلاكه عند الفراشين والجزار فانه يقال فى الامثال النار ولا العار ولا يسمع فى الآفاق انى كنت خليفة بلا استحقاق ويكتب فى التواريخ انى عزلت عنها وخلعت منها والله ان الموت والمهالك أهون على من ذلك فقال عبد الله بن أنس الاموى الامر أقرب من ذلك وها أنا باذل نفسى فى خدمتك وأجهد فى بلوغ أمنيتك مع طلبتك فشكره الوليد على ذلك القول الحميد وفرح عبد الله بن أنس وجهز أمره وعمل شغله باهتمام وتجهز فى ثلاثه أيام وخبا جميع ماعنده من الهدايا الظاهرة إلى الامير مسلمه والباطنه الى الامير الصحصاح بن جندبه الكلابى وقد كتب كتاب على لسان عبد الملك بن مروان كما قد ذكرنا بخطه وكتب باقى الكتب كما وصفنا ورفعت الصناديق الرجال على ظهور الجمال وفيها من الاموال والهدايا والتحف التى قد ملأت الفضا وسدت المستوى (قال الراوى) فهذا جرى مهنا وأما الامير مسلمه فانه وصل الى مرج يقال مرج العيون وقد شاع موت أبيه فى سائر الآفاق والركبان وسمع أيضا الامير مسلمه بهذا الشأن فاجتمع بالامير الصحصاح وانفرد به عن المسلمين فى مكان خال من الناس وقال له يا أمير انى قد سمعت بموت والدى أمير المؤمنين فقال له الصحصاح والله ياسيدى انى سمعت ذلك من مدة ثلاثة أيام وكتمت عنك ذلك اشفاقا على خاطرك الكريم فان كان هذا الامر صحيح فهذا شىء لابد منه لكل أحد ولا يبقى الا الله تعالى كما قال فى كتابه العزيز كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وما مات من تكون أنت ولى عهده ولا يموت من أصبحت أنت الخليفه من بعده ثم إن الامير الصحصاح قام من وقته وساعته وقال بلسان طلق مبين السلام عليك يا أمير المؤمنين أنت خليفة الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه ثم أشار يقول

لقد زاد فى خاطرى بهجتك وقد أشرق البدر من طلعتك
فأنت الإمام وابن الهمام وعز الشريعة من دولتك
وإن منابر جميع البلاد تحن اشتياقا إلى رؤيتك
كذلك عيون جميع الأنام تحن وترغب فى خطبتك
وإن رامها فى البرايا سواك يكون قتيلا غدا نقمتك
وانى عبيــدك لا أنثنى الى أن أرى الأرض فى قبضتك
وما زلت تغمرنى بالجميل وإنى غريز يدى نعمتك
ورحمة ربى على من مضى ويفتح ذا العرش فى مدتك

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما سمع الأمير مسلمة كلام أمير العرب الملك الصحصاح وشعره شكره على ذلك ثم بكا وقال ياصحصاح لا خير فى الدنيا لأنها دار غرور ثم أنه أنشد يقول هذه الأبيات :

صبرنا على نائبات الزمان وكل ما سوى الله لاشك فان
قضى والدى نحبه بعدما رأى عزه مع بلوغ الأمان
وأعرض عن قصره والديار بظلمة لحد وضيق المكان
مضى آدم قبلنا ثم شيث ونوحا من بعده فى الزمان
وموسى وعيسى ومات النبى شفيع الانام قسيم الجنان
ومات الصحابة والاقربون ومن قبل قدمات عبد المدان
ومات أبى وانقضى مجده به كنت أدفع صروف الزمان
فمن كان ذا فطنة لايسير بموت أبيه وذكر التهان
ولست أهنأ بغير الذى يخلصنى من عذاب دهان
وأرجو من الله غفرانه فقد أغلقت فى الخطايا يدان

(قال الراوى) لهذا الكلام ياساده يا كرام وأقام الأمير مسلمة ليالى وأيام شاكية بلواه باكيا من عظم مادهاه وهو يقول اذا مات أحد الوالدين فقد أغلق أحد أبواب الجنة فى وجه الولد ويبقى عيشه منكد وقد أنشار يقول

حقيق لعينى أن لا تناما وقد صحب الجسم منى السقاما
رمتنا الحوادث من قوسها بأسهم حنق وتسبى الكراما
ومن شأن ذا الدهر يبدى الذى تراه من الانقلاب الهياما
لقد مات كهف اليتامى الذى شفوقا على قومه واليتامى

ومات الذى كان يعطى الجزيل ويأوى الغريب ويكفى اليتامى
ومات الذى كان للمسلمين ومات الخليفة عاما فعاما
لقد أوحش الأرض لما مضى وأبكى الحجاز نعم والشآما
فياليتنى كنت عاينته ووافقته بشرب الحماما
إذا مات والدى المرتجى قرأت على العيش منى السلاما

(قال الراوى) وكان ملك العرب الصحصاح يسليه ويذكره فضل الله تعالى الذى هو فيه وبأمير المؤمنين يناديه وبخلافة الدنيا يهنيه (قال الراوى) فهو كذلك وإذا بغبار قد ثار وسد الأقطار من نحو بلاد الشام وقد طلع كأنه آكام أو غمام وقد وصل فارس يركض ويخبر أنه وصل رسول من دمشق الشام من عند الوليد الى الأمير مسلمة يعزيه فى أبيه وبخلافة المسلمين يهنيه التى نص بها أبوه فيه فهاجت بقلبه بحار الأحزان وتذكر الأمير مسلمة ما جرى له من العيش اللذيذ من قديم الزمان وأنّ أنين المشتكى من ألم الفراق وأنشد يقول هذه الأبيات :

وقلب حزين لأجل الفراق وصب ينوح كنوح الحمائم
لقد نغص العيش فقد الامام وصغر عندى جميع الغنائم
وما الموت فى الناس إلا سوى يموتون قهرا بشرب السمائم
وقد كنت أرجو رجوعى الى معالى أبى بجمع الغنائم
وما كنت أحسب هذا الحساب بأن قد تقوم عليه المآثم
أتانا الفراق بما لايطاق وطارت بذكره طيور الأشائم

(قال الراوى) ووصل عبد الله بن أنيس ومعه الهدايا الكثيرة من أنواع الاموال التى لاتعد ولا تحصى إلا انه قد أيس من الحياة وأيقن بالوفاة ولايدرى على ماذا يقدم فهو أسير الفكر والندم ومتحير من عاقبة ما عليه عزم ثم انه فى ساعة الحال نزل وضربت له الخيام وبعث الى الامير مسلمة تلك الهدايا التى أتى بها صحبته وحضر الى بين يديه وألقى كتاب العزيز اليه ثم انه قرأ الكتاب والآخر بالتهنئة بالخلافة ثم وثب بعد ذلك باكيا وأشار الى الامير مسلمة يقول ونحن وأنتم نصلى على طه الرسول

ألا ان ليلى ليل حالك ومن جور دهرى أنا مرتبك
اذا كان خير الورى فى الثرى وكل على أثره قد هلك
فكم ملك بات فى ملكه وأصبح أسير الردى قد هلك

وما الأرض إلا كنار الجحيم وكل بهـا صاغرا قد سلك
فلا زلت فى نعـمة جمة ومن ضلّ فى ملكنا يهد بك

(قال الراوى) فشكره الأمير مسلمة على ذلك وقال له ياعبد الله لا زلت محسنا الى الآباء والأجداد والاخوة والاولاد ولك معنا السهم الوافر من غنيمة الكفار وما فتح الله عز وجل به على المسلمين الابرار (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم رجع عبد الله الى خيمته وهو متفكر فى قصته حيران فى عاقبته ولم يزل فى فكرته ساهياً إلى أن ذهبت عساكر الضيا وأقبلت عساكر الدجا وكان قد حمل الى الأمير الصحصاح ما أعد له ظاهر فى النهار ودفع اليه الكتاب جهرا وبعث الرسالة الأخرى فلما انسدل الظلام خرج عبدالله بن أنس من مضربه ووقف على سرادق ملك العرب الصحصاح فاستأذن له الخادم نجاح فأذن له بالدخول فدخل فوجد الأمير الصحصاح جالس ليس عنده أحد يتهجد ويتعبد فقبل الأرض بين يديه وقال له اعلم ياملك العرب انى ما جئت فى هذا الوقت إلا لأمر سعده راجع اليك وبركته واصلة اليك كتب عبد الملك بن مروان قبل موته وهو يأخذ عليك العهود والمواثيق بأن تكون لولده نعم الصاحب الشفيق والخليل الصديق ويقول لك يابنى قد علمت ماتقدم لك عندى من الود والفعل الكريم وليس للوليد من الخلافة غير الخطبة ولك التبرك والرتبة وله الأمر فى المؤمنين وأنت المحكم فى البلاد أجمعين وله الاسم ولك المعانى وأنت سيفه وصارمه اليمانى وله دمشق بالحق ولك أنت الغرب والشرق والترك والعرب والديلم وقد حمل اليك جميع مافى خزائنه عن وصية أبيه وملك بنى أمية كله عن بكرة أبيه ومثلك من يقربه ويعطيه وأنت تعلم أنه قد جلس فى دست الخلافة وأحسن الى جميع الرعية وخطب له على رؤوس الاشهاد فى هذه السنين بأسرها وعرف حلوها ومرها والعزل هو الموت الاحمر وهو فى ثلثمائة ألف فارس وراجل وقد أحسن الى الارامل والأيتام والناس بولايته فرحين مستبشرين لايرون سواه ولا يريدون إلا إياه وهو إمام عصرك وقد جعل الله أمره فوق أمرك ومن يطع الرسول فقد أطاع الله وأنا الرسول فى هذه المادة فأحسن الخطاب فيما تقول ثم نادى فى غلمانه فدخل أربعمائة غلام يحملون الاموال والذخائر والدر والجوهر مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (قال) ومن جملة ماحمل من الهدايا طاووس من الذهب الاحمر وقوائمه من الزمرد الاخضر يمشى على بكر من الجوهر فاذا استكمل عشرين خطوة يرتفع جناحه وينفتح باب من الزمرد الاخضر له مصاريع ياقوت أحمر

يرمى بعشرة بنادق وهى عشر درات كل درة تساوى خراج الدنيا (قال الراوى) وطرح بين يديه الشباك التى هى من اللؤلؤ وقطع الياقوت البهرمان وعشرين صندوق فيها عشرين حق من الاحقاق الذى ليس مثلها فى الآفاق كل حق منها يساوى ملك العراق فلما نظر الأمير الصحصاح الى ذلك طاش عقله وتحير لبه فعرف عبد الله بحاله فطابت أحواله وقبل الأرض وقال له يامولاى ومع هذا الانعام كله أنت تكون الامير والملك والمشير والصاحب والوزير ولا يقطع أمير المؤمنين أمرا دونك ولا يثبت حكم إلا بك ثم انه أشار إليه يقول :

هل أنت كهف للوليـد مانعا ... وأنت الصديق مابرحت صادقا
له دمشق وحـــدها مفردة ... وقد ملك للغـــرب والمشارقا
فـلا تخالف من غدا خليفة ... قام بأمر الله يرضى الخالقا
قد أنصف المظلوم فى قضائه ... وعدله قد شمل الخـــلائقا
وجوده قد طبق الارض وقد ... أصبح فى أكمل نداه غارقا

(قال الراوى) ثم انه مديده الى ملك العرب الصحصاح وطلب منه المبايعة وقال لا تخرج الى المراجعة فقال الأمير الصحصاح وقد بهت من كلامه وماقد وضع بين يديه وماقد أنعم به الوليد عليه اعلم أيها السيد أن الصبا نوع من الجنون والأمير عطاف عمى وهو صاحب الرأى السديد ولابد من رأيه وهـذا مال مايرده ذو عقل فـكن مكانك لما أعود اليك وأنا ماضى لاغلام ولا حاجب حتى يكون سرك ذايع (قال الراوى) ثم وثب الأمير الصحصاح وأيقن عبـد الله بن أنيس الاموى بالنجاح وقال ان المـال فضاح ولاسيما هذه الدنانير الصحاح ثم ان الصحصاح سار طالب سرادق مسلمة بن عبد الملك بن مروان ودخل عليه من غير استئذان فتلقاه مسلمة وقد تعجب من قدومه فى تلك الساعة المظلمة وقال له ما الذى أتى بك فى هذا الليل الذى قد أقتم بظلامه فأعاد عليه جميع ما سمعه من عبد الله وأسلمه بمـا قدمه اليه وبمـا أتاه قال فعند ذلك تغير لون مسلمة من الاحمرار الى الاصفرار وصار كالبهار بعد ما كان كالجلنار ثم انه أقبل على الصحصاح وقال له ما الذى ترى فقال وما عسى أن أرى وحصان سعادتك فى ميدان إرادتك قد جرى ثم انه أشار اليه بهذه الابيات :

حلفت بمن نصب الراسيات ... وشق العيون وأجرى البحارا
ومن خلق الجن من مارج ... وآدم ذو الفخر حقا جهارا
وحق النبى رسـول الإله ... ومن فاق كل البرايا افتخارا

لو انى أعطيت ملك الملوك وما ملكوا قدرة واقتدارا
وانى عبدك طول الزمان وأبذل نفسى إليك انتصارا
وأضرب بالسيف صحب الوليد وأقتل فيهم نارا جهارا
الى أن أرى لك ماقد رجوت إماماً ومحترماً لن تبارا

(قال الراوى) فلما سمع مسلمة ذلك الكلام من الصحصاح وثب اليه وضمه الى حضنه وقبله بين عينيه فقال له الصحصاح قم يامولاى معى وتزيا بزى عمى عطاف واسمع مايقول ذلك الشيخ من المقال وانظر ماأتى به من المال (قال الراوى) فعندذلك قام مسلمة وقد تعمم وتلثم وسار ويده فى يد الصحصاح الى أن وصلوا الى السرادق فلما رآه عبد الله أيقن ببلوغ مناه وقال لاشك هذا عطاف وقد حصل لى فى هذه الليلة الاسعاف ثم انه قام لهما قائما وأشار الى الارض لاثماً فلما استقر بهما الجلوس أقبل الصحصاح على عبد الله وقال له أعد على عمى ماقلته حتى يسمعه (قال الراوى) فعند ذلك أعاد عبد الله كلامه جميعه ثم قال فى عقب ذلك وأنت ياعطاف لابد ما يشملك من الخليفة الانعطاف ويحصل لك الغناء والاسعاف ويعطيك مثل ما أعطى الصحصاح وأضعاف فمد يدك للمبايعة والائتلاف وأشر على الصحصاح بترك الخلاف (قال الراوى) فعند ذلك عقد مسلمة القاف مع الكاف وقال له يا وجه العرب ليس الخيانة من شروط الأمانة وكيف يخاف الأمير مسلمة ومنزلته عند كل ملك معظمه (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع عبد الله ذلك أيقن أنه مالك ثم انه قال للصحصاح فما الذى تقول أنت فى هذا الكلام أيها الفارس الهمام فقال الصحصاح أما ماذكرته فلا نفعله ولا نسمع هذا القول ولا نمتثله وأما سرك فلاندعيه ولا نعلم به مسلمة ولا نسعى فى الفساد قال فلما علم عبد الله بذلك قال مالى إلاأن أسقيهما المهالك ثم أقبل عليهما وقال لهما اعلما أن عندى شىء يساوى هذا المال جميعه ومثله أضعاف واذا رأيتما ذلك ما يسعكما خلاف (قال) فلما سمع الصحصاح ذلك المقال ظن أنه قد بقى عنده شىء كثير من المال فقال له ياوجه العرب قوم وبينه وعجل واعلم أن خير البر عاجله فاذا أردت رغبتى أجبتك الى ماتريد وليس على ماحملته من مزيد فقال يامولاى خذ هذه التفاحة وخرج له تلك التفاحة وطاب منه بذلك الراحة حتى يكتم أمره ويستريح من شره (قال الراوى) ياساده ياكرام فعندذلك مد يده الصحصاح ليأخذها منه فصاح عليه مسلمة إياك يا صحصاح أن تأخذها منه وتشمها فتهلك ويقتلك سمها ثم انه كشف اللثام عن وجهه فعرفه عبد الله فغاص فى الأرض ودخل فى بعضه البعض وحل به الارتباك وأيقن بالهلاك هذا

والصحصاح قد ألقى التفاحة من يده وقد كثر على عبد الله غيظه ثم ان مسلمة أخذ تلك التفاحة التى من العنبر واذا بالخاتم الذى فى يده يقطر مثل ماء المطر ثم انه أقبل على عبد الله وقال له ياشيخ الضلالة ومعدن الجهالة لولا تلومنى فى ذلك جميع البرير لكنت أهلكتك ولقد قدمت على أمر عظيم ولولا ما بينى وبينك من النسب لكنت أسقيتك كاس العطب (قال الراوى لهذا الكلام) هذا وعبد الله ما بقى فيه حس ولا حركة وأيقن بالقتل والهلكة وغاب عن الوجود وقد تخبل وعلم أن ذنبه الثانى أعظم من الأول وندم حيث لاينفعه الندم وأيقن بالهلاك والعدم وأنشد يقول من كبد محزون :

ندمت على ما كان منى جهالة　　　ومن يتبع ماتشتهى النفس يندم
وقد قيل يسعى المرء يوما لحتفه　　　ويمشى برجليه لما ليس يعلم

(قال الراوى) ثم انه بقى مطرقا الى الارض بحدقته وهو متوقع وقوع الصارم فى قمته فقال له مسلمة ما هذا الاطراق ياشيخ النفاق فلقد علاك الخجل وحل بك الذل والخبل قال فعند ذلك وثب الصحصاح وجذب سيفه وأراد أن يضرب به عنقه فمسك مسلمة يده وقال له اصبر أيها الأمير حتى نسمع منه مايقول وان لم يقل الحق تركته مقتول ثم انه أنشد يقول :

أياملك العرب كن صبورا　　　فصبر الرجال دليل السداد
ومن كان ذو عجل فى الامور　　　فذاك دليل لقرب الفساد

(قال الراوى) فامتثل الصحصاح ما أمره به الأمير مسلمة وقال له اعلم أيها الأمير أن أخى الوليد فعل فعلا ما فعله أحد من قبله وهو لايليق بمثله لأنه قد بعث جميع مال أبيه وهذا يدل على فساد النية وما كفاه هذا الذى فعله من الفعل حتى عزم أن يكون لى محارب فقال الصحصاح يامولاى أنا أكفيك أمره وأمر من بغى عليك ثم انه أنشد يقول :

أمير المؤمنين قد بقيت فينا　　　مطاعاً يا أمير المؤمنينا
ومن عاداك يلقى كل نكبة　　　واتركه على الرمضا رهينا
وأترك جيشه فى كل قفر　　　حيارى فى القفار معفرينا
وأقهر حزبه حتى يدانى　　　عدوك اننى بطلا رزينا
سأجعله على البيداء ملقى　　　ويبقى عبرة للناظرينا
وأنت العروة الوثقى علوا　　　وأنت خليفة الرحمن فينا

(قال الراوى) فعند ذلك قال له مسلمة على مهلك يا أخى حتى أخبرك بما فى سرى وعلى نيتى فأنت بعون الله عدتى وعمدتى فقال له ما الذى تريد يامولاى قال أريد تستدعى أقوام العرب الذين معنا وتدعهم أن يأتوا إلى ها هنا قال فعند ذلك أرسل الصحصاح خلفهم فحضروا كلهم فلما استقر بهم الجلوس أقبل مسلمة على عبد الله ابن أنس الأموى فعند ذلك أيقن بعظيم البلاء وقال له قم قائما على رؤس الاشهاد وقل ما جئت به بلا زيادة ولا نقصان قال فعند ذلك قام عبدالله على قدميه والناس جميعا ينظرون اليه وقال يا معاشر الأصحاب قد أمرنى أمير المؤمنين ان أقول ماجئت فيه وأبدى جميع معانيه والله انى كاره عبادته فى البداية والنهاية ولكن كلام أمير المؤمنين لايقابل الا بالسمع والطاعة وأما مولاى الصحصاح فمثله من تكاتبه الملوك وكل أحد يحدث نفسه بالصلاح وإن كان الوليد قد اختار لنفسه الخلافة دون أخيه فما هذا غدرا فيه لأن طلب العلو فى الدنيا من غرض الطباع وما زالت الدنيا توقع الكدر بين الوالد والولد وماحلى جسده من حسد وأهل العفو بالعفو يغفرون ثم انه قص جميع ما أتى فيه وأظهر للحاضرين سره وما كان يخفيه وأنشد يقول

ان الكرام اذا ما استعطفوا عطفوا الا اللئام إذا ما استعطفوا سرفوا
لقد وقفت وقوف الذل معترفا وقد تعين لى من مقلتى التلف
فان عفوت فعفو الله تدركه يوم القيامة والاشهاد قد وقفوا

(قال الراوى) ثم ان عبدالله سكت فأطرقوا الحاضرين وهم فيما قال عبد الله متفكرين هذا وقد أيقن عبدالله بالعطب وعلم أن زوجته فى تلك الساعة تذهب فعند ذلك قال الامير مسلمة كيف ترون هذه الطائفة الباغية وان أبى عبد الملك قبل موته جعلنى ولى عهده وأن أكون الخليفة من بعده وقال هذا أكبر أولادى وأكثرهم رشد وسداد وأخبر منهم بمصالح العباد وقد بعثنى الى مقام الجهاد وافتخرت بذلك على الآباء والأجداد وقد فتح الله على أيدينا البلاد وبلغنى غاية السؤال والمراد وقد أغصبنى على منصبي أخى الوليد وجلس عل كرسى الخلافة بفعله العنيد وقد استطال الخلافة والمقام ورفعت على رأسه الرايات والأعلام وخاطبوه بأمير المؤمنين وخطبوا له على المنابر المسلمين وها هو بذل هذه الأموال لأجل مبايعة الصحصاح وطلب بذلك أن تكون الخلافة مبالغ ولا بد أن يكون الوفا من الوفا وأكون قد أحببت الآخرة على الدنيا بل أقول وأبين لكم مقالى بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى أشهدكم انى قد نزعت الخلافة من قلبي وهى التى نص بها أبى لى وقد جعلتها فى أخى الوليد

وأنا من جملة لعبيد ولا أخالفه فيما يريد وهذا عبد الله قد وهبته نفسه وذنبه وبلغته قصده ثم انه أنشد وجعل يقول

الا فالعفو من شيم الكرام ولاأصغى إلى فعل اللئام
وان أخى الوليد كما زعمتم وقد بابعته نعم الامام
وهذا الشيخ ان له حقوقا على عنق على رغم اللئام

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم ان مسلمة قال لعبد الله قم ياشيخ مديدك فهذه مبايعتى لهذ الامام امام هذا العصر والاوان الخليفة على كل مسلم فى هذا الزمان وهذا اعتقادى ودينى وها أنا قد مددت اليك عينى فلما سمعوا الحاضرين كلام مسلمة تعجبوا من تلك الفعال المكرمة قال وكان عبدالله قد أيقن بالهلاك والعدم فلما سمع من مسلمة ذلك الكلام أخذه الفزع والهيام وظن أنه فى منام وعلم أنه قد أدرك المقصود المرام وبادر إلى القيام وقبل موضع الأقدام وقال هذا مقال الكرام المؤيدون بالانعام ودام الله أيام الامام (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما بايعه مسلمة أقبل على الصحصاح وقال له يا أخى بايعه فأنت أهل الدين والصلاح والخير والفلاح وقد تاب هذا الشيخ عن هدية التفاح فبايعه وأقبل عليه وقال من اليوم لايهادينا ولانهاديه قال فعند ذلك ضحك الصحصاح حتى غشى عليه وقال سبحان من يزيد فى الخلق ما يشاء فلقد أعطاه الله الآمال وحصل له السعد والاقبال ثم ان الصحصاح بايع لعبد الله وأطاع مسلمة فيما دعاه قال ثم ان مسلمة أقبل على الصحصاح وقال له خذ هذا المال والغنايم كلها لك فعند ذلك نهض الصحصاح وأخذ تلك الأموال ومضى مسلمة إلى سرادقه وقد زاد بهم الشوق وطال عليهم الطريق كما قال بعضهم

بنتم فما نظر الولوع بكم شيأ يسر به يوما ولا فرحا
والشوق نحوكم ما زال يقلقنى حتى بقيت أسير الشوق والترحا

(قال الراوى) فعند ذلك كتب عبد الله الأموى الى الوليد يخبره بما جرى وما كتمه شيأ ويبشره ببلوغ الآمال والمنا وختم الكتاب بهذه الأبيات

امام المسلمين هناك يوما طلعت به على الخلق السعود
بلغت بنعمة الرحمن منها مرامك ثم عزك ماتريد
وزادك ربنا فى كل خير وشكر الله يتبعه المزيد
وقد لاقيت فى سفرى أمورا شدادا بعضها صعب شديد
وقدمنى على الصحصاح جهلى وحسبك كل جبار عنيد

أتانى بمسلمة حقيقا وسر الى وقدأخفى الوعيد
ومسلمة يقول أتيت نكرا ولولا العفو حل بى المبيد
وجاد على احسانا وعفوا وبايع وهو مطواع ودود
وبايع بعده الصحصاح أيضا فابشر بالسعادة ياوليد
وقابل فعلنا بفعال خير فمسلمة هو الأخ الحميد
فلا زلت سعودك طالعات ولاشمت المعابد والحسود

(قال الراوى) ووصل الكتاب إلى الوليد وهو على مقالى النار فى الانتظار يسبح فى بحور الافتكار لايدرى ما يكون ولما وصل الكتاب فك ختمه وقراه وهو خائف وجل فلما قرأه وعلم ما فيه سجد شكراً لله تعالى وعاد عسره يسرا وفرح الناس وأمر ان تزين المدينة وأن يأخذوا الأهبة للملتقا وأخذ على رأسه الأعلام الذهب وقد خرجوا النساء والصبيان ولم يبق فى المدينة لامخبيه ولامخدره وكان بلا تشبيه مثل يوم العيد الأكبر واقبل المبشر بالقدوم ونظر مسلمة إلى الرايات والأعلام والخليفة والالوية المحمدية على التمام والدنيا منقلبه باسم الامام فنظر اليه الصحصاح وقال يا مولاى لا تشغل قلبك وان أردت هذا الأمر يكون فى هذه الساعه ويجيبون لك بالسمع والطاعه فضحك مسلمة وقال ياأخى أو ما علمت انى قد بايعته فقال الصحصاح يامولاى نحن لابعنا ولاشرينا فضحك مسلمة حتى مال على سرجه وقال ياصحصاح أنت رجل بدوى ما تلام وقد قال الله تعالى قضى الأمر الذى فيه تستفتيان وما بقى إلا السمع والطاعه ثم إن مسلمة ترجل وترجل الصحصاح وصاحت الغلمان على الناس أن يفسحوا لهم حتى يصلوا إلى الوليد فأفرجوا لهم فلما وصلوا اليه قبل مسلمة الأرض للوليد وتقدم إلى الركاب فمنعه من ذلك وقبل رأسه وبين عينيه وكذلك فعل الصحصاح عن يمينه ومسلمة عن شماله هذا وقد فرشت الأرض بالثياب الحرير الأحمر والأصفر والأخضر وأشرقت الأرض بالزهور ودوام السرور ودمشق ما تحتاج إلى زينة بأنهارها وأزهارها وأثمارها ورقة بشرة نسوانها وصفا صباها ورستاق بساتينها وهى كالجنة تزهر أفنانها وكان يوم يعجز عنه الواصفون والوليد يقول لأخيه مسلمة ياأخى ان أردت أن أترجل وأمشى فى ركابك فعلت فلما سمع مسلمة ذلك قال معاذ الله أنت الامام وابن الامام ثم انهم دخلوا القصر وجعل يخبرهم الصحصاح عما جرى لهم فى بلاد الروم ومسلمة يحدثه بجميع الأمور ثم قال ومعنا من الأموال ما تعجز عن حمله الجمال والبغال فاحكم فيه بما شئت فقال الوليد لمسلمة ياأخى يرفع الخمس

إلى بيت المال للمسلمين وما بقى يقسم ثلاث أقسام الثلث لك والثلث للصحصاح والثلث للمجاهدين فشكره على ذلك وقد اشتغلوا الناس بنقل الأموال عشرة أيام هذا وقد أقاموا الناس على ظاهر دمشق الشام ثلاثة شهور وطلبوا الرجوع إلى بلادهم فأذن لهم الوليد بذلك وكذلك الصحصاح استأذن فى ذلك فقال له مسلمه اختيارى ان لا أفارقك الدهر ثم قال يا أخى أن الوليد قد أمرك بالرحيل وأنا قد وقع فى قسمى سهم من الذهب والفضة وأنا أشتهى بحق مابينى وبينك من الصحبة أن تقبلها منى ولا تردها فقال الصحصاح والله لولا ماحلفت على من الايمان أن لا أخالفك فيما تأمرنى به لما قبلتها لكن أحتاج لأجل قلبك أخذها فان معى أموال ما تنقلها الجمال فضحك الأمير مسلمه من كلامه وقال ما تبالى خذها واستعين بالله ثم أمر مسلمه بنقلها الى خزانة الأمير الصحصاح وباتوا الناس على نية الرحيل والرواح ولما أصبح الصباح دقت الكؤسات وزعقت البوقات وخرجوا الناس للوداع وكذلك مسلمه وأخوته إلا الوليد فانه لما دخل الصحصاح عليه ليودعه فقبل الصحصاح الأرض فقال له الوليد والله العظيم لولا نامرس الخلافة ياملك العرب لخرجت فى خدمتك ولقد توحشنا طلعتك ويوحشنا بعدك فلا أذاقنا الله تعالى فقدك فعندها قبل الأرض ثانيا ورفع صوته بالدعاء متواليا (قال الراوى) فعندها خلع جميع ما كان عليه وأركبه على مركبه وصار الأمير مسلمة معه فقال الأمير الصحصاح لا والله يامولاى لابد من الرجوع من ههنا فعندها عانقه الأمير مسلمه وقال له يا أخى ترى بعد هذا الفراق يكون لنا تلاق والله ان فراق الدنيا على أهون من فراقك ثم أنه أشار اليه يقول :

فوالله ما للعين بعدك لذة ... ولا للدار بعد بعدك نور
ولا طاب لى وقت ولا أزال منكدا ... ولا كان لى بعد الفراق سرور
يا راحلين متى يكون الملتقى ... ويكون قلبى باللقا مسرور

(قال الراوى) ولما أنشد الأمير مسلمة هذه الأبيات بكى ملك العرب الصحصاح بكاء شديد ما عليه من مزيد وقد ودعه وداع الأحباب ورجع الأمير مسلمة وسار الأمير الصحصاح يقطع البرارى والبطاح وقد هبت عليه نسائم الأفراح ثم انتشق روائح العرب والملتقى لحن فى اللقا وبكا بعد ذلك بدمع منطلقا فأنشد وجعل يقول بعد الصلاة على الرسول

أقول وقد زاد اشتياقى اليكمو ... شجونا وان الشيب جاء يحكى الفجرا
ترى تجمع الأيام بينى وبينكم ... وشوقى اذا وافى لقائكم البدر
وأبرح ما يكون اشتياقى اليكمو ... إذا ما قطعنا نحو أرضكم شبرا

(قال الراوى) وقد وصل مسلمة إلى داره وهو كثير الاشفاق والنواح على فراق الصحصاح فانه قد أرسل النجابة أن تسبقه الى الحلل تخبر بقدومه فسارت النجابة ولم يزالوا سائرين وهم مجدين إلى أن وصلوا إلى حى بنى كلاب وقد أعلموهم بقدومه بعد الغياب قال فلما سمعوا بوصولهم فرحت أهل الحى وقد جمعت ليلى نساء الحى وقالت لهم اعلموا يابنات عمى أننى أريد أن أزين ولدى ظالم وأخرجه الى لقاء أبيه فافعلوا كما أفعل وزينوا أولادكم واخرجوهم فعندها زينوا النساء الصبيان وكانوا أربعين صبيا وكان ظالم كأنه القمر المنير فى ليلة أربعة عشر ولما أن علمت ليلى أن القوم قد بقى بينهم وبين الحى يوم واحد أركبوا الصبيان على الخيول وساروا موكب واحد وقد خرجوا الى ملتقى آبائهم وكان الصحصاح وقومه قد باتوا قريبا من ديارهم ولما أن أصبحوا ارتحلوا وقت السحر وساروا لما أن طلعت الشمس ووقعت العين على العين وقد نظر الصحصاح إلى موكب كله جرد مرد وفى أوائلهم فارس مثل بدر التمام ونظر الشجاعة لاحت عليه فتحرك الدما فقال ولدى وحق محمد ثم تقدم اليه وأخذه من سرجه واجتمع المحب بالمحبوب وسجد شكرا لله تعالى على الرمال ثم رفع رأسه الى السماء وقال إلهى أنت الله العلى الأعلى نظرت الى وأويتنى وإلى فقرى فأغنيتنى فلك الحمد على ما أوليتنى (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأقبل كل والد على ولده وأخذه بيده وضمه الى صدره كما فعل الصحصاح ونزلوا فى الخيام كأنهم ما برحوا منه (قال الراوى) ثم دخل الصحصاح إلى سرادقه فلقيته زوجته وقبلت يديه ورجليه وشكت اليه بعده عنها فقال لها عندى أضعاف ذلك واستقر المقام ورأى الصحصاح ولده ظالم فأحبه حبا شديدا بحيث أنه ما عاد يصبر عنه ساعه واحدة (قال الراوى) وان ليلى أقبلت على الصحصاح وأخبرته بما رأته فى منامها وكيف قال لها الهاتف ذلك الكلام وأمرها أن تسميه ظالم حتى يوافق الاسم المعنى فقال لها يابنت العم هل سمع أحدا قالت أمى لا غير فقال لها أوصيها تكتم أمرها ولاتفشيه حتى لا يتكدرو الناس من رؤيته (قال الراوى) فهذا ما جرى ههنا وأما مروان بن الهيثم سيد بنى سليم فانه أيضا فرح بولده عبد الله وكذلك سائر بنى سليم وأن مروان كان جالسا ذات يوم من الأيام اذا أقبل عليه رجل من سادات قومه يقال له مصعب بن الوليد وقال له أيها الأمير اسمع كلامى فانه عجب عجيب ثم انه قص عليه القصة وما رأت زوجته فى المنام قبل ولادتها الغلام وكيف خاطبها ابليس لعنة الله تعالى وانها مضت الى شيخ العرب ومشايخ الخفر فقالوا لها إن هذا الولد يكون ميشوم

على الخلق أجمعين نصارى ومسلمين وقالت لهم ما أسميه فقالوا سمية عقبه لأنه ذميم العاقبة ثم قالوا لمروان ايش فى الرأى فى أمر هذا الولد الشيطان فقال له مروان اتق الله فى ولدك ولا تقص جناحك بيدك واترك حديث النسوان فانهن ناقصات عقل وايمان ولعل يكون المنام تخيلات شيطان فسكت مصعب على مضض هذا جرى ههنا (وأما ماكان) من الصحصاح فان كتبه مازالت متصلة الى مسلمة والوليد فهو جالس فى يوم من الأيام وإذا دخل عليه نجاب بكتاب وفيه نعى مسلمة بن عبد الملك أنه انتقل بالوفاة الى رحمه الله تعالى فورد عليه من ذلك أمر عظيم وصار عنده الهم المقيم وامتنع من أكل الطعام والشراب وهجر النساء والمنام حتى أشرف على الموت وأيقن بالفوت وجلس له بالعزاء مدة سبعة أيام وتيقن أن نعمته وأيام ولايته فاتت لحرم اللذات (قال الراوى) وأقام على ذلك سنة كاملة وبعد ذلك خرج الى الصيد فلاحت له ظبية من الغزلان فأعجبه حسنها وكان تحته جواد سابق الخيل شديد الحيل استولده من مزنة فأخذت فى الهرب وجد لها فى الطلب الى ان لحقها آخر النهار بقرب حله من حلل العرب يقال لهم بنى الوحيد فرماها أقلبها وكان غاب عن عسكره وقرب من الحى وإذا بعجوز خرجت من البيوت ونظرت اليه وشمت طيب رائحته وحسن حليته وفرسه ورائحته عطرت جميع الاماكن مع ماعليه من الملبوس الفاخر والذهب الباهر فقالت العجوز يافتى أقسم عليك بمن رفع السما وسطح الأرض على الماء اسمح لنا بهذه الظبية وان شئت خذ ثمنها ونادت العجوز ياامامه قومى انظرى شبه عينيكى ساقها القضاء اليكى فخرجت من الخبا جارية بوجه كالشمس فى الاشراق والقمر سبحان الخلاق وقد أنار من وجهها الآفاق لم يرى الصحصاح مثلها ولا فى بنات الروم شكلها فقالت ياأماه لقد قلتى الباطل من أين للظبى أن يكون له خد مثل خدى أو قد مثل قدى وعقدى ونهدى وفمى وعطفى وخصرى وردفى وحسن قوامى ونعومية كفلى وعذوبة ريق الذى يشفى العليل ويبرى السقيم الذى له من المرض شهور أو سنين وأنشدت تقول

ومن أين للظبى طرفى الكحيل ووجهى الجميل وحسن القوام
لقد قلت يا أمى غير الصواب مقالا يحيد بغير المرام
فهذا جمالى وهذا كمالى وهذا حديثى وهذا نظامى
أشبه للظبى فى خلقتى وإنى قد فقت بدر التمام

(قال الراوى) ثم إن الجارية بعد نشيدها تلك الابيات تبسمت عن لؤلؤ منظوم

وهى تتلفت لفتات الغزال الأخيل وقد مالت كغصن البان اذا نام وضحكت فلمع برق ثناياها فصيرت قلب عاشقيها برمد وقد رأت خدودها الموردة فكانت كما قال فيها بعض واصفيها

نظرت لسيفين أغمادها هدب تبدى من قسى الحاجب
فكم أصابت عاشق مغرم وعدت الخد مع الحواجب
لولا شفيع الحسن فى وجهها كم مات من أسيافها ضارب

(قال الراوى) ولما أن تبسمت الجارية عن ذلك اللؤلؤ المنظوم ورأى ذلك الصحصاح فسكر من غير راح وقد تمنى لو شاهدها مساء وصباح فقالت له ياصاحب الطرف الفضاح هل لك فى القرى ان أحببت لتطعم الزادفانك تستاهل النعم ودع الغزاله من أسرك فانى أبحت لك ما أبحت من النعم وأريد قبل ذلك أن تجبنى فقال لها الصحصاح ياصاحبة الجبين الوضاح انى أجبت الى ما أبحتى من النعم ولكن أريد قبل ذلك شربة من الماء فانى قد زاد بى الظمأ ولسان حاله يقول

عجلى بالماء لتطفى جمرة فى فؤادى وهى عاجلة
بردى جرح حشاى فلقد صابنى منك سهام قاتله

(قال الراوى) فلما سمعت الجارية ما أبداه من الخطاب عادت ودخلت إلى الخبا فتلاطمت أمواج أردافها فظنها سيحون أو نيل مصر فعند ذلك تمنا لو ركب سفن المنايا وأقلع بين ذلك الجبلين وقد أخذه من لمع العين خفقان الكليتين كما قال من له فى المعنى يدين

وردف بجارية قليل مثاله فذاك يمين ثم ذاك يسارا
تخالهما زقان خمر تلاطما وهزهما ماتحتهن فسارا

(قال الراوى) ولما أن رأى الصحصاح ذلك ترنم وأنشأ يقول

صادنى الظبى وقد صدت الأسد وبهذا ما على الدهر حدد
كم رميت كل ليث أغلب وظلمت الليث ظلما مقتصد
ورمانى الظبى اسعاد الأبد ما خطانى الرامى فيما اعتمد
حيرتنى من لقلبى أسرت بل لحربى قصدت كل النكد
حار طرفى إذ تبدى وجهها بين ورد تحته كفل سرد

(قال الراوى) فلما أن سمعت الجارية كلامه وما أبداه من نظامه تبسمت من خطابه وقد لاحظته ملاحظة أحبابه فجرى دمع غرامه على وجنات اجتنابه

وقد نسى عزه وملكه وأهله وأصحابه فلما ان زاد التهابه قال لا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم والله لقد وقعت فى بحر الغرام ومالى عنه ملتوى وقد عاد الزمن القديم وزاد الجوى ثم ان الصحصاح قد حار وعلى قلبه العشق قد احتوى هذا وقد بسطت له الجارية بساطا من الارجوان فجلس عليه الصحصاح وغابت الجاريه عنه قليل وعادت اليه ومعها شربة من الماء فسقته وجلست معه وصارت تحادثه وقدخامر الهوى عقله فتملق قلبه ولبه ونسى دمشق وخراسان والحجاز وهمزان وسائر البلدان (قال الراوى) فبينما الصحصاح والجارية فى الكلام وإذا هم بشيخ قد أقبل عظيم الهيكل بشيبة كالثلج المجدل على جواد أشعل وقد سمط على كفله شىء من الغزلان فلما نظر إلى ذلك عرف أنه جواد الصحصاح وكانت الجاريه لما أن رأت ذلك الشيخ قامت من عند الأمير الصحصاح وعجلت الرواح فلما دنا منه وحققه نادى ما أبركه من صباح زارنا فيه القمر الوضاح إذ بيننا الملك الصحصاح فلما أن سمعت كلامه العجوز قالت هو والله كما تقول يافهيم هذا ضيف كريم فقال لها ويلك هذا ملك العصر والأوان الحاكم على العجم والعربان وسيف دولة بنى أمية ومروان ثم أنه ترامى على قدمى الصحصاح يقبلها فمنعه من ذلك فعندها قام الشيخ قامته وتمثل وأنشأ يقول

لو تعلم الدار من زارها فرحت   واستبشرت ثم باست موضع القدم
وأنشدت بلسان الحال قائله   أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم

(قال الراوى) ثم ان الشيخ عيط على العبيد وقال لهم خذوا هذا الصيد وقال للعجوز عجلى انضاجه وقد نادى يابنيه اخرجى إلى خدمة ملك العرب وسيد من ضرب فى البيد أطنب فخرجت اليه أمامة وأقبلت بين يديه فقال الصحصاح للشيخ ما تكون هذه الجارية منك قال هى ابنتى يامولاى فقال له هل هى ذات خدر أم ذات بعل فقال له بل ذات خدر فقال له ياشيخ هل تزوجنيها فقال يا ملك العرب وهل هى الا امتك اذا أردتها لخدمتك فقال الصحصاح ان أردت افعل فعندها قام الشيخ من وقته وساعته وجمع جماعة من مشايخ قومه وقد ذكر له الخطبة والنكاح وأنه يزوج ابنته أمامة إلى الصحصاح (قال الراوى) فلما سمعوا من الشيخ ذلك الكلام فرحوا بذلك غاية الأفراح هذا وقد تقدم شيخ وخطب وقال الحمد لله الذى حلل الحلال وحرم الحرام ثم انه حمد الله وأثنى عليه وذكر محمد صلى الله عليه وسلم وقد انتهى الكلام فى خطبته وقال كم تقرر

المهر فقال أبو الجارية والله ما أقول شيئا فقال الصحصاح اكتب عشرة آلاف من الذهب الأحمر وخمسة آلاف ناقه وجمل ومائة أمه ومائة عبد ومائة حصان ومائة حجره وخمسة آلاف رأس من الغنم فكتبوا ذلك كله وقد تقرر الأمر وأخذ يده على الزواج وتصالحا هذا وقد راجت الأمور وتمت الأفراح وكثر المنا والسرور وقد أنشد الشيخ وجعل يقول

لم تزل فى سعادة وسرور ضاحكا يعجبوا بك الأملاك
جمع النيرين فى يوم سعد خدموهم بذلك الافلاك

(قال الراوى) ثم قال يامولاى لو علمت الطيور بذلك السرور لجاءت مهنيات باختلاف اللغات والطائر الميمون والعاقبة للبنات والبنلون وهذا كان كله كلام القاضى فوعده الصحصاح بألف دينار وعشرة من العبيد وعشرة من الجوار هذا وأبو الجارية قد نحر فى ذلك النهار ما أمكنه من النوق والجمال والأغنام وقد روج الطعام وبالغ فى الاكرام وقد أكل من ذلك الخاص والعام ولما ان كان وقت المساء وأقبل الليل دخل الصحصاح بالجارية فورد على بلد طيبة وماء طهور فزال بكارتها وتملأ بحسنها وجمالها وجنا ورد الخدود ورقد من فوق تلك النهود ولم القدود ومازال معها فى هناء وسرور وانشراح إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وقد أصبح الصحصاح فرحان بها مسرور وقد أقبلت اليه مشايخ الحلة يهنوه بالسرور (قال الراوى) هذا وقد أقام عندهم ثلاثة أيام ولما ان كان فى الليلة الرابعة بات تلك الليلة يودعها إلى الصباح ولما أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح طلب العودة والرواح فتعلقت به أمامه وقالت له والله ياسيدى ما أدعك تمضى من عندى فى هذه الأيام وما يكفينى مثل هذه الثلاثة أيام بل أنك تقيم عندى تمام السبعة أيام ثم باست يده وقبلت ثغره وصدره فقام عندها بقية تلك المدة وبعد ذلك طلب الرواح وكانت قد علقت الجارية للقضاء المقدور والأمر المدبر المحتوم (هذا) ولما ان كان فى اليوم الثامن سار عند السحر يطلب الرواح ثم قال لأبو الجارية كن مرتقبا ما أسيره اليك سرا ولولا خوفى أنهم يتغلبون لفقدى لا قمت عندك شهرا ثم ان الصحصاح ودع الشيخ والجارية وسار طالب حى بنى كلاب (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ماكان من الصحصاح (وأما ماكان) من أصحابه الذين خرجوا معه للصيد والقنص فانهم قد انتظروه إلى المساء فما رد عليهم فساروا على أثره فما وجدوا له أثر ولا وقفوا له على خبر فقعدوا ثلاثة أيام فى انتظاره فما رجع فعندها رجعوا إلى الأحياء وأخبروهم

بما جرى فاشتغل قلب ليلى وكذلك أبوها أيضا وكان وسواس ليلى يحدثها بكل أمر وقد قيل ان المحب مولع بسوء الظن هذا وقد وصل إلى عطاف بما قد جرى لابنته من شأن ابن عمها فأرسل اليها يصبرها ويقول ياست العرب لاتستعملى سوء الظن وعسى أن يرجع عن قريب وكانوا أهل الحى والأمير عطاف قد خافوا عليه من التلاف وخرجوا من الأحياء وساروا يفتشوا الجبال عليه والأودية والتلال ثلاثة أيام فما وقعوا له على خبر ولا على جلية أثر ولم يزالوا فى هموم ذلك ثلاثة أيام وهم فى بكا ونواح ومن اليوم الرابع عادوا وما أقاموا غير قليل حتى أشرف عليهم فى ذلك النهار الصحصاح فنظرته الرجال وتصايحت لقدومه الأبطال وانقلبت الاحيا يمين وشمال ثم تقوموا بالخيل وقد أشرفوا عليه وترجلوا له وقبلو الارض بين يديه ثم أنهم داروا من حواليه وقد ذكروا أنهم خائفين عليه ويسألون عن حاله فقال ما كان الاخير هذا وقد خرجوا النساء له والبنات إلى بين الابيات وهن ضاحكات مستبشرات وقد انصرفت الحسرات (قال الراوى) فدخل الصحصاح إلى خيامه ونزل عن جواده ودخل إلى سرادقه فقامت اليه ليلا فضمها إلى صدره وقد سألته عن غيبته فقال لها ان العرب قد وقعوا بى فى ذلك البر فحلفوا على أن أنزل عندهم وأضيفهم فأضفتهم تلك المدة وقد أكرمونى (قال الراوى) فلما أن سمعت منه ذلك الكلام قالت له والله ياابن العم روحى تحدثنى بأشياء ولايخفى منها شىء فى الدنيا ولو كان يخفى لكنت أتوسوس بتلك الخيالات ثم أنها أشارت تقول

أقبل اليـــك عن ود قريب | فتقصينى على النسب البعيد
وتؤيسنى وأنت ابن عمى | وعودك فى التناسب فهو عودى
وفى عينيـــك حمرة قد أراها | تدل على التفاسخ للعهود
ومالى قدرة أنهاك عنها | ومالى غيركم ركن شديد
وقربك جنتى والبعد نارى | فزلى من وصالك أو صدودى
سأحفظ منك ما ضيعت منى | على رغم المعاند والحسود

(قال الراوى) هـذا كله نطقت به ليلى وما عندها بما جرى خبر ولا اطلعت له على أثر فلما أن سمع الصحصاح منها ذلك ضمها إلى صدره وقبلها وقبلته وقال لها يا ابنة العم ما عاقنى عنك هذه الايام لا قوم من العرب أضافونى فقبلت الاكرام وخفت أترك ضيافتهم فيرمونى بكل مقام فقعدت عندهم هذه الأيام وقد فعلت فعل

الكرام وبعد ذلك قد رحلت عنهم بسلام ثم انه طيب قلبها بالكلام وأنشد يقول صلوا على طه الرسول :

وإنى وإن لم آت ليلى وقومها　　لكان على الليل المظلم نائم
وهجرك أياماً يزدنى لوعة　　وانى لأيام التباعد نادم
وانى وذاك العمر لو تعلمينه　　كذاهبة عن طفلها وهو راغم
وأعظم شوقى نحوكم وتلهفى　　عليكم وكبدى منية القلب ظالم

(قال الراوى) هذا وقد بات عندها تلك الليلة ولما أن كان عند الصباح خرج من عند ليلى الى سرادقه فأحضر أثواب ملاح مثمنات وحلل رفاع ملونات وبيوت من الأطلس واسعات وثلاثين ألف دينارخليفيات وجواهروخزائن من القيصريات وألف من النوق السود الأحداق أبكار الأمهات ومثلهم جمال بالتحف محملات ومائة رأس من الخيل العتاق الصافنات ومائة من الحجورة الزايدات ومائة أمة وعشرة آلاف من الغنم وخمسة آلاف من الإبل والنياق ثم انه أخذ غفلة من أهل الحى وقد سير ذلك جميعه مع رجل يقال له شاكر بن سليم وقد أطلعه على سره الجديد والقديم فعندها سار بهذه النعمة العظيمة والسعادة الجسيمة الى أن وصل الى حى بنى الوحيد (قال الراوى) وكان أبو الجارية على مقالى النار من الانتظار حتى وصل اليه مايحيرالانسان ويكل عن وصفه اللسان فلما رأىذلك كاد أن يطيرفرحا وسرورا وقد أمر بالجمال والخيل والأنعام وسائر الأغنام الى المراعى هذا وقد ضرب بيوت الأديم والديباج الأحمر ونصب بيتا من الأطلس المدثر على رأسه هلال من الذهب وتمثال من الياقوت الأحمر بحبال من الابريسم الأخضر وقد تركه برسم ابنته وأقام لها عشرة جوار لخدمتها ثم انه أولم وليمة لها قدر وقيمة أشبع فيها الجيعان وأكسى العريان . هذا وقد فرحوا بنى الوحيد باتصال ملك العرب الصحصاح إليهم هذا وقد بات شاكر عندهم الى الصباح ومن الغد سار طالب الديار وقد دخل على الصحصاح وأعلمه بالحال فقال له الحذرالحذر أن تبيح بسرنا الى أحد من البشر (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم ان الصحصاح بعد ذلك أقبل على ليلى وقال لها اعلمى أنى قد عزمت على زيارة الأمير غانم فلو أقمت عندهم شهرا لاتشغلوا لكم سرا ثم انه ودعها وركب وسار الى أن بعد عن الحى وصوب الى أرض بنى الوحيد وما زال الى أن وصل اليهم فتلقته الأبطال وسارت فى ركابه الرجال الى أن وصل الى الأبيات ودخل

على امامه فلما رأته فرحت به غاية الفرح وقدزال عنها الهم والترح وتعلقت به فانحلت عزائم الصحصاح عندها عانقها وقبلها فى ثغرها وأشار يقول :

الله يعلم انى ما تركتمو ... إلا مخافة أعداء وحراس
ولا جلست فى قوم أحدثهم ... إلا وكنتم حديثى بين جلاسى
ولاهممت لشرب الماء من عطش ... إلاوجدت خيالا منك فى الكاس
ولا قدرت على الأيام نحوكمو ... سحباً على الوجه أومشيا على الراس
وكنت عندكمو عمرى بأجمعه ... لا أكتفى بدلا عنكم من الناس

(قال الراوى) ثم انهما قد تشاكيا مايجدان من الهوى وما حل بهما من الجوى هذا وقد أقام عندها عشرة أيام وقد ودعها وعاد الى ابنة عمه ليلى . هذا وقد كان الصحصاح يتردد الى الجاربة الوحيدية كلما رأى فرصة نهارا أو ليلا وسره مكتوم وحاله غير معلوم هذا والعرب تخافه وتخفى حاله فلا يقدر أحد يظهره ولا يفشى أمره هذا وليلى ما عندها من هذا خبر لعلمها أنه مايريد غيرها ولا يحب سواها ولا يختار عليها غيرها . هذا وكان وصل من بنى الوحيد رجلا يقال له عامر بن سعد وكان يهوى (امامه) وأن الفقر منعه أن يتعرض لها ولا له حيلة أن يخطبها من أبيها وكانت نفسه تحدثه أن يكسب المال وأن يبلغ بها الآمال وهومن حبها فى نار لاتطفى ولهيب لايخفى وهو ينتظر الفرج أن يأتيه من رب السما فلما أن تزوجها الصحصاح خابت أعماله وانقطعت حبال آماله ووقع به الوسواس ولم يظهر ما به لأحد من الناس مخافة من الصحصاح أن يقتله فبقى على حاله إلى أن مرض وتغيرت أحواله وزاد به بلباله حتى انه انطرح وزاد سقامه من عظيم غرامه ولم يزل كذلك إلى أن نحل جسمه وزاد جواه وكمده وقد أهلكه حسده ولم يفق مما به حتى مضى عليه عشرة أشهر وقد رزقت الجارية (امامه) من الصحصاح ولدا ذكرا كأنه القمر ففرح به الصحصاح غاية الفرح . هذا وقد قالت له امامه والله ما أسميته إلا مظلوم لأجل أن سره مكتوم فقال لها الصحصاح لعل أن يكون خير فى المولود وصلاح فالولد الواحد ظالم والآخر مظلوم والله انهما اسمين عجيبين ولكن لهما سيرة عجيبة وأحاديث غريبة كيف اتفقا على هذين الاسمين وانى أخشى عليهما أن تصيبهما العين أو يفرق بينهما غراب البين لأنه والله ما اتفق قط مظلوم مع ظالم ولا جاهل مع عالم (قال الراوى) هذا وقد نشأ مظلوم وكبر وكان الحياء ينطق من بين عينيه

والصلاح لائح عليه وعلى جبينه ثم أمر الناس أن يخفوا أمره ويكتموه والى ليلى لايوصلوه فقال عامر والله لأمضين اليها وأعيد سرى عليها وأخبر ليلى بما جرى ولو أموت متلهبا بنيران الجوى ثم انه قد رصد الصحصاح الى أن رآه قد أتى الى زيارة (امامه) كما جرت عادته فوثب عامر من وقته وساعته وسار حتى انه وصل الى بنى كلاب وقد أخبر أهل ليلى بأن لها ضرة من بنى الوحيد وأخبرهم باسم أبوها وقد عرفهم بالحال الذى جرى . هذا وأن الصحصاح يأتى اليهم فى كل شهر وقد رزق منها ولد وسماه مظلوم وهاهوعندها الليلة فلما أن بلغ الحديث الى ليلى صاحت وغشى عليها ساعة ولما أن فاقت من غشوتها مزقت ثيابها وخرجت من عقلها وقد أمرت لعامر بخلعة وشىء من الذهب لإعلامه لها بحديث ضرتها وقالت والله لو بشرتنى بخير لكنت أغنيتك الى العاقبة فأخذ عامر ما أنعمت عليه به وعاد الى أن وصل الى قومه وهو فرحان بما جرى على ليلى وبما عملت بنفسها فى تلك الليلة مالاتفعله امرأة فى حزنها : هذا وقد دخل عليها قومها وجعلوا يسألونها ويقولوا لها ان هذا أمر قد فات وصار له منها ولد فلا تخاطبيه فى هذا السبب فانه على كل حال ملك العرب وسيف الاسلام ومالك رقاب الخاص والعام ولا يقدر أحد منهم على مقاومته فاكتموا هذا فلا بد أن يبلغه الخبر أنك قد عملت بروحك هذا العمل ويمنعه الحياء والكرم أن يرجع يلم بها وفى ماله سعة لك ولولدك ولها ولولدها فقالت ليلى هيهات أن أسكت عن ذلك أبدا الى أن يسلمنى ضرتى أفعل بها ما أريد أماهو وقد تربى فى دار أبى وأمى . أما أمه فقد عاشت فى نعمة أبى ثم انها خرجت من وقتها وساعتها من خيامها وقد سارت تطلبه فى سرادقه فلم تجده فجعلت تنادى : واقوماه واغوثاه هذا والخدم يسألوها ويمسكوها . هذا وأبوها عطاف يقول لها يابنية مابقى ينفع فى هذا إلا الصبر والأمراء يكون لكل واحد ثلاث نساء وأربعة وللرجال أغراض وسوف يفرغ عزمه منها . هذا وقد جعل يسليها الى أن ردها الى مضرب انفردت فيه وحدها وقد تذكرت الصحصاح ولعبه معها وخلوته بها فتصور بين عيونها انه جالس مع غيرها فبكت وأنشدت تقول :

تباريح دهرى بالفراق تحكما ... وساعده فينا القضاء من السما
نظرت عيون الحاسدين ففرقت ... مابيننا ياليتها كحلت عما
ولقد بكيت على فراقك حسرة ... ومزجت دمع العين بعدك بالدما
ياليت شعرى من دعا بفراقنا ... ودعا علينا بالشتات وأرغما

يا ليتـــه يبـلى ببعض بليتى ويبيت من كمد الفؤاد متيما

(قال الراوى) هذا وقد أزعجت الخواطر وأسهرت النواظر ولم يلتذ أحد معها بمنام . فهذا ما كان منها . وأما ما كان من عامر بن سعيد فانه سار تلك الليلة حتى وصل إلى حى بنى الوحيد وقد سار وقت الضحى وقد أخذه الحسد والبطر مما قد دبر من مكره الذى اعتراه فأنشد وجعل يقول :

سعيت إلى ليلى . وخبرت أنها لهـا ضرة كالبدر فى ليلة التم
وأشفيت قلبا مات من عظم ما به فأحييته حـتى أفاق من الغم
وفزت بأموال وجئت بخلعة وغرقت ليـلى فى بحار من الهم
ولم يعلم الصحصاح ماقد جنى له من العتب والتوبيخ والشتم والذم
وأما أبو ليلى فأخربت بيته ولابد بعد المـال يرجع الى عدم
وابنته ماتلتقى بعـــد عزها الى الدهر ان عاشت سوى الضر والسقم
وقد بردت نارى بتنغيص عيشها ومن بعد هذا سوف تهلك بالغم
وان أمكن الدهر المشوم فاننى سأهلك الصحصاح بالمكر والسم
فلا كان من ولاه ملك رقابنا ولازال ملعونا من العرب والعجم
وقد عولت روحى اذا لم أنالهـا أعود الى دين الصليب من الظلم
ولا يعترينى الذل من وغد قومها ويقهرنى من كان فى ذلة اليـتم

(قال الراوى) وكان يترنم بصوته وينشد عاليا فما فرغ من هذه الأبيات حتى سمع حس حوافر فرس وفارس قد أدركه وصمم عليه وطعنه فى جنبه صلب الرمح فى قلبه وقد أرماه من على مركبـه الى الأرض ورضه فى بعضـه رض وكان الذى طعنه الصحصاح وكان السبب فى ذلك أنه كان قد بات عند زوجته امامه الى ذلك الوقت وهو وقت السحر فقام من عندها ليصبح فى بنى كلاب خوفا من انكار ليلى عليه فما هو إلا أن قارب الأبيات إذ سمع صوت عامر بن سعيد وهو ينشد الـكلام ويلعلع بصوته فتألم قلبه وزاد حقده لما أن سمع مقاله وقال لقد سعى هذا الملعون فى تنغيص عيشى ثم عمد اليه وطعنه قتله وبقى بعد ذلك حائر فى أمره لا يدرى مايفعل ولا يستحسن المضى الى بنى كلاب من حيائه من ليلى فما لى إلا أن أمضى الى الأمير غانم بن زاهد وأعلمه بقصـتى وأتركه يمضى الى عمى يطيب قلب ابنته ليلى ثم انه سار على وجهه فى البر الأقفر نهاره أجمع وقد عرض عن الطريق المسلوكة حتى لا يصـدفه فيها أحد . هذا ولم يزل سائر الى آخر الليل الى أن أضاء نور الصباح وكان قد سار وحده حتى

يكتم سره ولا يطلع أحد على أمره ولم يصحب معه غلام حتى لايطلع له على كلام فبينما هو كذلك إذ نزل بمرج أفيح وعيون ماء تنزح وهو مزهر الجنبات كثير النبات عالى المسرات يانع الثمرات أطياره متجاوبات وغزلانه متلاعبات وظباؤه سارحات ومياهه متدافقات يذهل كل من تمناه ويعجب من رآه (قال الراوى) فلما رآه أعجبه غاية العجب وقد انفرج عنه الهم والكرب واذا به قد سمع هاتف يهتف ويقول :

هل لنا من زماننا مرجع   قد مضى ذلك فهل يرجع
فعلى ذلك الزمان من   كل وقت سلام صب مودع

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك الشعر بكى وقد طلب الذى قال فلم يره فزاد تعجبه ونزل من ذلك المرج وتوضأ وصلى الصبح ونظر يمين وشمال ينظر من يحادثه أو أنيس يكلمه فلم يجد فى ذلك المرج أحد فطلع على رابية عالية ومد نظره واذا هو بدير عالى وشراريف البنيان يانعة وهو شديد الأركان شاهق فى الهوى ظريف بأعمدة وشراريف بأحجار ثابتة وصخور نابتة قد عليت أعلاه وقسمت أرجاه أبوابه ملوحة وبالحديد مصفحة . هذا وتقديس الرهبان قد أراج به المكان وضربت الأجراس والنواقيس وقرأ كل راهب وقسيس (قال الراوى) وكان الصحصاح قد كل من السير وقد فرح قلبه بنظره الى ذلك الدير وقال فى نفسه لعلى أجد عند بعض الرهبان فرجا مما أنا فيه ويفرج عن قلبي ما أعانيه (قال الراوى) ياسادة ياكرام . فبينما هو يحدث نفسه بالمسير الى الدير واذا هو بغزالة حسنة المنظر مليحة الزى وهى سائرة تتمخطر وعيناها تتوقدان كأنهما ياقوتتان ، وحولها جماعة من الغزلان وهم خلفها كأنهم غلمان وهى أمامهم كأنها ملك وسلطان وعن يمينها وشمالها غزالتان كالأتراك كأنهما لها حجاب وهى تتحدث معهم وكان الوقت عند غروب الشمس وقد اصفرت أرجا واسودت فمد الصحصاح اليها أسنانه وأطلق نحوها عنانه فجرت الغزالة قدامه وقد لحقتها تلك الغزلان وهى تجد والصحصاح لها فى الطلب . هذا ولم يزل خلفهم حتى غسقت الأرجا تطلب دخول الليل وقد مدت على الأرض طنبا وذيل هذا وقد دخلت الغزالة الى غار فى الجبل وتبعتها الغزلان وقد بقى الصحصاح حائر ولهان وعليها ندمان فأراد أن يدخل خلفها الى ذلك المكان فخاف على الجواد يشرد منه فى ظلمة الليل ويبقى حاله بعده بالويل فرجع طالب الدير واذا قد اعترضه أسد ومعه شبلين كأنهما شيطانين وكان الأسد طويل

القامة عريض الهامة أحمر أغبر قد جلله الوبر وهو يتمخطر على الحجر وهو أفطس المنخر يطير من عينيه الشرر ويقلب الوادى اذا زعق وزمجر وله أنياب أحدّ من النوائب ومخاليب أشد من المصائب صدغه عبوس ضيغم أفطس أدغم وفيه تسمع منه الرعد اذا همهم ويبصر من عينيه البرق إذا الليل أظلم واعتكر كأنه القضاء المبرم والأجل المحتم هذا وقد وقف الأسد وصاح ثم تقدمت عند ذلك الشبلين الى الصحصاح وهما أن يبتلعانه ويرميانه عن جواده الى وجه الأرض والبطاح فما كان إلا أسرع من البرق حتى ضربهما ضربتين قسم بهما الشبلين كل واحد نصفين فصرخ عند ذلك الأسد وهمّ بقتله وقد صاح وهجم على الصحصاح فهجم عليه الصحصاح عندها صرخ الأسد على الصحصاح صرخة قوية أقلب منها البرية وقد هجم عليه ولطمه بيديه فأرماه تحته فبينما هو والأسد فى ضراب وقراع ودفاع وقد صارت روح الصحصاح فى النزاع وإذا بجارية حسنة القوام مليحة الابتسام كأنها البدر التمام قد أقبلت وصرخت على الأسد فارتجع عن الصحصاح وخلاه وراح فنظر الصحصاح الى وجه تلك الجارية فوجدها مبدعة للناظرين ونزهة للمتأملين فقدم اليها وقبل يديها وقال لها أنت إنسية أم جنية فقالت له ايش لك بى وايش لك بهذه القضية لا إنسية ولا جنية أنا فاعلة خيرساكنة بجوارأهل هذا الدير فقال الصحصاح فهل أنت ذات خدر أم ذات بعل فعند ذلك قالت له الجارية ما أنت إلا طماع ياصحصاح وسبب طمعك لما أن طردت خلف الغزالة واصطدتها ورأيت الوحيدية وهويتها ونسيت بنت عمك ليلى وفى هذه النوبة قد طردت خلف الغزالة الأخرى وسلمت من الأسد سلامه ولولا أن من الله عليك بى لكان حل بك الندامة وما كان لك كلام الى يوم القيامة وبعد هذا كله تسألنى أنا ذات بعل أو ذات خدر وتريد أن تطمع روحك فى زواجى فليت شعرى أى شىء تدل به حتى تخطب البنات والنساء ان كنت أنت تدل بكثير أموالك المال عندنا كثير والمال غزيرا وتدل بكرمك فأنت ما أطلقت الغزالة للوحيدية حتى تعلق قلبك بحبها ومحاسنها البهية وأخلاقها المرضية العلية وان كنت تدل بشجاعتك وقوة براعتك فهذا وحش قد كسرك وأسرك وطلب قتلك ولولا انى جئتك وخلصتك لكان قضى عليك وما أظهرت فعلك إلا فى الجروين وان كنت تدل بفصاحتك فأنا أفصح منك وان كنت أنت مدحت الأمير مسلمة وأبيه عبد الملك ابن مروان فأنا مدحت النبى صلى الله عليه وسلم سيد ولد عدنان وأسلمت على يديه وأبى الآخر أيضا مدح رسول الله صلى

الله عليه وسلم بقصيدة عجزت عنهافصحاء العرب وقصرت عنها أصحاب القول والأدب وعجز عنها كل لسان وقر لها حسان شاعر النبي المختار بالفخر والفصاحه فقال لهـا الصحصاح وقد حار من كلامها ولحقه الانبهار وقد غاب عن الوجود من طيب ألفاظها وصار بحبها نشوان والله انك لفصيحة اللسان قوية الجنان إلا أن عندك زور وبهتان فقالت له وماهو الزور والبهتان الذى بان لك منى حتى قلتـه عنى فقـال لها هو قولك أنك مدحت النبي صلى الله عليه وسـلم يوم بدر وحنين وفى غزوة الأحزاب وهذا له اليوم ماينوف عن مايةسنة وانك أكثرها ما يكون عمرك عشرون سنة وقولك ان أبو كى مدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة وأناوالله أحفظها كاملة وأحفظ شرحها وهى لملك الجن عقهق الذى آمن على يد النبي صلى والله عليه وسـلم فقالت له الحمد لله الذى كان تـكذيبك لـكلامى تصديقك لنظامى صدقت والله يا صحصاح أنا بنت عقهق الجنى ملك الجان وان بنات الجن مايتغير حسنها ولا ينقص جمالها الا المليحة مليحة والقبيحة قبيحة وفينا من تتزيا بمهما أرادت من الصفة الوحشية وصفة الطير وغيره وفينا للشر وفينا للخير ولمـا امن أبى نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم سورة قل أوحى الى قوله أنه استمع نفر من الجن (قال الراوى) فلما أن سمع منها الصحصاح ذلك للـكلام بهت اليها وحار وصار يتعجب من حسنها وفصاحتها وملاحتها وكمالها هذا وقد افتتن بحبها واعتدال قامتها وعلمت الجارية منه ذلك فتصورت فى صورة غزاله كما كانت فى الأول ودخلت الى وراء الجبل وبقى الصحصاح واقف بعدها على وجل وعقله فى خبل وقد طلب الدخول خلفها فما استطاع ولا قدر ورجع تعلق بها قلبه واشتغل بحسنها سره وسار الى أن وصل إلى الدير التى كانت تحته فسمع الرهبان تضرب النواقيس وكان إلى جانب الدير أشجار وعليها طيور تسبح على الغصون الواحد القهار فوقف الصحصاح إلى جانب الدير ثم أنشد يقول

شجـانى حمام الأيك عند الترنم ... على فنن عالى من الليل مظـلم
فأزعجنى بالنوح وهو مغرد ... وضرب ناقوس وصوت مرخم
أياراهب الدير الذى حسن صوته ... يقطع قلب المسـتهام المتيم
بحق الحواريين جمعا وما قروا ... بانجيلك المقزا عليك باقسم
بحرمة تفضيل المزامير جملة ... بما نص فى الانجيل عيسى ابن مريم
بحق الذىأبدى العجايب للورى ... وما قاله فى المهد عند التـكلم
أجبنى فنى قلبي لهيب مشعشع ... إذا ما ذكرت الأهل زاد تضرم

وفى مقلتى بحر من الدمع فائض ... وفى كبدى نار كوهج جهنم
فراق وإبعاذ وهجر ولوعة ... وشوق شديد زائد وتندم
لحا الله من أفشى بذكر امامة ... وأعلم ليلى بالحديث المكتم
فبالله يا ريح الشمال تحملى ... غرامى وان جزتى بهن فسلمى
وعيدى لهم شوقى وقولى لظالم ... ترفق بمظلوم الطفيل المتيم
فيا حسرتا ان مت دون خيامهم ... ولم أرهم قد زال كل التنعم

(قال الراوى) وما فرغ الصحصاح من شعره ونظامه حتى سمع هاتف يهتف به وقد أجابه على عروض شعره ولم يرى شخصه يترنم بهذه الأبيات يقول

ندمت ولا يشفيك فرط التندم ... على ماسعت رجلاك فى الحى فاعلم
أخذت على ليلى امامة ضرة ... فضرتك الأيام من غير مغنم
فأبكى كما أبكيت ليلى وأهلها ... وخلفتها فى الحى تبكى وتلطم
وأبكى فريدا بعد أنس وفرحة ... فهذا البكا حقا بعيد التبسم

(قال الراوى) فلما أن سمع الصحصاح ذلك الشعر ونظر عن يمينه وعن شماله فما رأى أحدا فاشتغل قلبه وذهل لبه وتبلبل لسانه بعد قوة جنانه وصاح من هيمانه وسار إلى أن وصل إلى باب الدير فوحد الرهبان قد سمعوه فنزل راهب منهم وفتح له الباب (قال الراوى) وكان الهاتف الذى جاوبه على شعره هى الغزاله الجنيه لأنها لما رآها واختفت عنه وفارقته نخافت عليه من الوحوش لا تؤذيه فمشت من خلفه وسارت تحاديه وهى تحرسه وتراه وهو لا يراها الى أن وصل الى باب الدير وأنشد الشعر كما قد ذكرنا وأجابته كما وصفنا وكان قصدها بذلك أن تسوقه إلى أهله وتوبخه على فعله لأنها تعلم ما عنده من الهموم لفرقته وما أصابه من شغل مقلب لاجل غيبته هذه ولما أن أجابته رجعت من خلفه وتركته ودار الصحصاح من خلف الدير إلى أن وصل الى بابه وهو مهموم القلب جزع اللب فوجد بعض الرهبان وقد فتح باب الدير وهو يصيح من الطارق فى هذا الليل الغاسق فقال الصحصاح أنا يا راهب ضيف وارد مصاحب السلامة فقال له الراهب ادخل على الرحب والسعة والكرامة فدخل الدير وقد أخذ الراهب جواده ومضى به الى دار الدواب وأخذ لجامه وخلع سرجه وعلق عليه هذا وقد دخل الصحصاح إلى داخل الدير فوجده مأنوس معمور بالرهبان والقسوس وهم قد كشفوا له الرؤس وفى أيديهم عكاكيز الأبنوس وفى وسطهم صلبان من الذهب الأحمر مكللة بالدر والجوهر فلما أن صار الصحصاح عندهم تقدم اليه صبى أمرد

أجرد كانه صارم مهند من أولاد تلك القسوس يمشى كأنه طاووس ومعه قعب فيه لبن وعسل فتناوله الصحصاح وشرب منه حتى اكتفى (قال الراوى) فلما نظر الصحصاح إلى ذلك الصبى ووجهه يضىء كانه المصباح وقد تأمل ملبوسه محتشم وهو بالذهب معلم فعلم أنه من أولاد الملوك فتقدم اليه وقبل الأرض بين يديه وأعطاه خدمته ثم رجع بعد ذلك إلى صومعته وتعلق بقلاويته وقد أنفذ الصحصاح ما يسد به رمقه هذا وقد بقيت النصارى من الصحصاح حيارى اذ نهضوا بأجمعهم عليه فقبلوا رأسه ويديه وتراموا على رجليه هذا وقد تقدم اليه أكابر النصارى وأكبر الرهبان وقد أجلسوه فى أعز مكان وقد تمكن من الجلوس غاية الامكان وسألهم عن الدير وبما يعرف فقالوا هذا الدير يعرف بدير بأرض الرياحين وأن النصارى فى هذه الأيام مجتمعين إلى زيارته فى عيد الشعانين ولهم ترنم وحنين فطرب قلب الصحصاح ومال من الطرب وقد زاد به العجب وإذا بالغلام قد نزل من قلايته ومن حوله الأصوات مرتفعه وفى وسطه زنانير فوق المدرعه وردفه من تحته كالجبل الهايل أو البرج المايل بوجه كانه القمر الزاهر أو الغصن المائس يتشوق له الناظر بشارب أخضر والعذار وقد تذردو الخد قد توردو الشعر قد تجمد يدهش النواظر ويحير الخواطر كما قال فيه الشاعر حيث يقول

شد زناره على أهيف الخصر فشد القلوب فى الزنار
وادار الأصداع فوق عذار أنا فى حبه خلعت عذارى
وتعجبت جنة الخلد لما صح عزمى على دخول النار

(قاو الراوى) فتعجب الصحصاح من صفته وتحير من حسن صورته وقال سبحان الخالق هذه الصورة كانها بدر بادر أو نجم زاهر والله انه لاجمل من الكواعب الأترام ويحير بحسنه عقول ذوى الألباب (قال الراوى) هذا وقد طالب له معهم الكلام وزال عنه الاحتشام وسألهم عن الدير فقالوا له يامولانا هذا قد كان بناه أو قدرى ملك روميه ومات وصارت عظامه رفات وقد دفن فيه ولقى خالقه وباريه وهو يسمى بدير مسكون الذى بارض البحيره وهو يزار من جميع النواحى والأقطار وفيه قصر أبيض ينال صاحبه منه الغرض ويخرج منه اسقفهم وهم من حوله فرحين حتى يصلوا عيدنات الشعانين وبرؤيته مستبشرين (قال الراوى) فلمارأى الصحصاح ذلك تذكر أهله ومملكته وفراقه منهم وغيبته عنهم فبكا وزادالأمر عليه وقلق وتأسف وخرق ماكان عليه وبقى فى قلبه أمر عظيم من الغزالة التى وقع بها وكلما قال للصبى

والرهبان حدثونى وأنشدونى فما يزيده أحد عن حديث الدير وما قصد بتلك الاعاده إلا أن يسمع من بعضهم حديث عنها أو خبر منها فبينما هم فى الكلام إذ دخل عليهم شيخ نقى الشيبة كامل الهيبة فقاموا الحاضرون واجلسوه وبجلوه وعظموه وكذلك فعل الصحصاح (قال الراوى) وكان هذا الشيخ أبو الغلام فقال لولدة ياولدى احضر ضيفك شراب من شراب القسوس الذى تطيب به النفوس فقال الصحصاح مالى اليه من حاجة ولا تقول به وحاش لله أن يكون ذلك وقد كان منى من الجهاد ما كان فقال يامولاى عندنا من الشراب المطبوخ المثلث الذى يشربوه الخلفاء والفقهاء وهو يجلب الشرح ويذهب الترح ولا يوجد عندنا فى كل الأوقات وليس له نظير فى الآفاق من شام وعراق ويجلب الشهوه والسرور والقبله والحبور ويطرب الحضور ولا يلحقك منه سكور ولا خمور ولا كسل ولا انهام فهل لك فيه ياسيد الاحبار فقال الصحصاح افعل مابدا لك ياشيخ الدير فما يكون ان شاء الله تعالى الأخير فعند ذلك أحضر له شراب أصفر يأخذ نوره بالبصر وقد أحضر له اقداح فطاب قلبه وانشرح صدره واطمأن فى أمره سروره وقد رأى ذلك القس منه ذلك فقال لولده ياولدى أكرمه فان الكرامة فى طلعته لائحة وتجارتنا معه رابحة وسوف تجنى ثمرة هذا الغصن النضير فانه لاشك ملك كبير وآنسة بالجارية شمس النهار صاحبة المعانى والفنون تغنى له قصيدة الصوفى التى هى وزن سكيك دير طبون فانها جيدة المعنى والايقاع مطبوعة الطباع فعندها اشتاقت نفس الصحصاح الى سماعها وحسن ايقاعها فوثب الغلام وكان اسمه اسمين وقد غاب وحضر ومعه الجارية الرومية وهى كالشمس المضيه ومعها عود كبير وأوتاره حرير ثم قال الصحصاح يامولاى أتدرى لمن أحضروا هذا الشراب فقال لا والله فقال اعلم اننى أريد بذلك أحدثك ما عندى من حديث الديوره وسكانها وصفاتها المأنوسه المعموره وأشعار العرب وما جبلوا عليه من الأدب فشكره على ذلك الصحاح وقد أوهبه سيف الركاب مطلى بالذهب وغمده مكلل باللؤلؤ والجوهر وكان قد اوهبه له الأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان فأعطاه له لاجل اكرمه له واعتذر له (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم انهم بعد ذلك دارت بينهم الكاسات والطاسات بالمدام فعندها قدموا إلى الصحصاح فقال هذا شىء مالى فيه الا السماع فاجعلوا بينى وبين الخمره ساره فقد اتصل إلى عندى ذلك السرور وغاب عنى كل محذور ففعلوا وذاك وقد زاد سرورهم وصلحت أمورهم وقد سارت الجارية تدخل من داخل الستاره وتشرب الخمر وتخرج إلى عند الصحصاح

هي والغلام وتغنى عنده حتى زاد طربه وبلغ مأموله وأربه فقال له الغلام بحق دينك من تكون أنت من العرب الكرام بحق الصفا والمقام فقال له الصحصاح لقد أقسمت على بعظيم الأقسام اعلم انني الصحصاح ابن جندبة الكلابي صاحب أمير المؤمنين وغرز نعمته وسيف نقمته وصاحب ولده مسلمة (قال الراوى) فلما أن سمع الغلام مقالته وثب قائما على قدميه وقبل الأرض بين يديه وقال يا ملك العرب وسيد أهل الرتب والله ماعرفت قدرك الجليل والحرمة والانجيل ثم انه اعتذر اليه وعاد مرارا يقبل الأرض بين يديه فقال له للصحصاح اجلس ياغلام فقد عرفت لك هذا المقام فقال الغلام وحق دينى ما بقى لى سبيل الى الخلوى وقد زال عنى برؤيتك كل وهم وبؤس ثم خرج الغلام وأخبر أبوه بهذا الكلام وكشف له عن أمر الصحصاح من بعد الابهام فقال الشيخ ياولدى والله هذا ملك الداهية الدهيه الذى أخرب بيوت النصرانية وفتح القسطنطينية وأذل أهل ماء المعمودية واستملك رقاب الروميه وأهلك الطائفة المسيحية وما هو إلا ضاع من عسكره وتاه من معشره ولولا أن نفسه تحدثه بأخذ الدير وهلاك كل من فيه لما كان وصل اليه وحده وهو يلقى ألف فارس بصدره لعلو همته والساعة يخرج الدير من أيدينا وحق المسيح اننى قد رأيت فى النوم كأن الدير قد سار جامع ونحن نصلى فيه فوثبت مرعوبا من أول الليل وما أخذ عينى بعد ذلك منام وقد قدم علينا هذا الهمام فقال له ولده اسمين قلل من هذا الكلام ودع عنك هذا المنام وقربنا الى هذا الملك الهمام وأقف فى خدمته وأعتذر اليه وانبسط بين يديه فكأنك بالعرب والغلمان قد أتيت اليه ودارت المواكب من حواليه (قال الراوى) فلما أن سمع الراهب من ولده ذلك الكلام فقام الراهب وقاموا معه القسوس والرهبان والشمامسة والمطارنة ولما أن أقبلوا أومأوا الى أقدامه وزادو فى إكرامه وتبجيله واعظامه وقد وقفوا فى خدمته فقال لهم الصحصاح اجلسو يامعاشر الرهبان وعليكم واقية الرحمن ولكم الكرامة والزمام من جميع أهل الأرض من الأنام ومن سائر الاسلام لأنكم بالجميل غمرتمونى وأكرمتونى من قبل أن تعرفونى فلا تنغص عنكم عند المدام واعلموا أن قد زال ما بيننا من الاحتشام (قال الراوى) فلما أن سمعوا منه الرهبان ذلك الكلام شكروه على ما قال وقد أخوجوا له الهدايا الفاخرة والتحف الباهرة والجواهر الزاهرة وقد قدموا له الغلمان الذين كأنهم البدور ودارت أقداح السرور ثم انهم جلسوا على المدام وقالوا للجارية غنى لنا فأشارت تقول :

شربنا في الرياحين على تلك الميادين على ضحك المزارات
على نوح الشعانين على ضرب البلابيل وترجيع الوراشين
على الأزهار والأثمار في حسن التزايين كأذناب الصوانيس
وأعناق الجوابين شربناها قم واطرب على ضرب وتلحين
على شرب العقارين على شرب الشياطين إلى أن يمشي السكر
بنا مشي الورادين تمايلنا من السكر كأغصان البساتين

(قال الراوى) فلما أن سمع الصحصاح من الجارية هذا الشعر والنظام طرب لذلك طربا شديدا وزاد به الطرب وقال ما رأيت أطيب من هذه الساعة ولا أحسن من هذه الجارية فجل الواحد الخلاق فقال له أين أنت من قول الشاعر فى هذه القصيدة حيث يقول هذه الأبيات الحسان :

فياله يوم بالأركان منه والأوابين وبالهيكل والمذبح
وبالإبل والقوانين وبالسر الذى يتلى بترجيع وتلحين
وبالبطرك وبالأسقف منكم والمطارين
وبالقسيس وبالشماس أيضا والرمابين

(قال الراوى) فلما سمع الصحصاح ذلك الشعر والنظام لم يبق فيه جارحة إلا واختلجت من الطرب والسرور وخالط أعضاه النغمة وزال عنه الهم فانحلت مفاصله وماجت بلابله وانهملت دموعه وزادت لوعته ومن عظم مازاد بالصحصاح بكى وناح وقال ابصروا لى مكان أبكى فيه ثم انه بكى ساعة ولم يقعد مع رائحة الخمر فقالوا له اجلس أنت ونحن نمضى عنك الى مكان آخر فقال لهم والله ماأنكد عليكم ولا أقيمكم عن مكانكم فقال الغلام اطلعوا به الى عند الأسقف الآخر فانا ما رأيناه قط حضر على خمر فطلب الصحصاح الطلوع الى الأسقف والاجتماع عليه فطلعوا به الرهبان إلى قلاية الأسقف فوجدوه قائم يصلى وهو يقرأ القرآن فبهتوا الرهبان من فعاله ثم انهم بهتوا مما عاينوا . هذا وقد تقدم الصحصاح اليه واذا به الأسقف الذى كان فى القسطنطونية وكان هذا الأسقف قد بذل الاموال على الجامع الذى بناه الأمير مسلمة والصحصاح لأجل أن يهدمه فلم يقدر على ذلك فبهت الصحصاح فيه وبهت الأسقف أيضا الى الصحصاح وقد وثب وقال ماأبركه من صباح وقبل رأسه وبكى وناح فمسح الصحصاح دموعه من على خديه وقال له كأنى عرفتك ولا نكران فى معرفتك أليس أنت الأسقف الذى كنت فى القسطنطينية

وحاربت الملك على بناية الجامع وبذلت الأموال على هدمه ولما أن أبى الملك من ذلك أخذت أموالك وعرجت من القسطنطينية فقال له نعم أنا هو فقال ما سبب إسلامك ؟ فقال حديثى عجيب وأمرى غريب والله مايصلح إلا أن يكتب بالذهب على آماق البصر فان فيه عبرة لمن اعتبر فقال الصحصاح بالله عليك إلا ماحدثتنى بخبرك وأطلعتنى على أمرك فقال له اعلمك ياملك العرب وهو أنه لما فتح الله على أيدى المسلمين القسطنطينية وبنوا فيها الجامع وجرى لى مع الملك (لاوون) ما جرى وبذلت لكم الأموال على هدمه وصرتم أنتم تؤذنون فيه فكنت أنا لما أسمع الأذان أسد أذنى بالقطن حتى إنى لا أسمع الأذان وقد طال على الحال فأرميت روحى على الهلاك وأخذت عند ذلك أموالى وأولادى وجميع مالى من المتاع وقد طلعت فى سنين عظيمة وطلبت داخل البحر بلاد الإفرنج لأستنجد بهم عليكم وأنفق عليهم أموالى وآتى بهم إليكم وأستقيل القسطنظينية من بين أيديكم فان لم أقدر عليكم وإلا أقمت فى بلاد الروم وأدبر عليكم كل أمر ميشوم فلما أن سرنا إلى وسط البحر قامت علينا الأمواج والرياح فانكسرت المركب وغرق كل من فيها وتبدد شمل القوم وراحت أموالى وعيالى وأولادى وقد تعلقت على لوح من ألواح المركب فلم يزل اللوح يسير بى شهراً كاملا وأنا لاأدرى أين يتوجه بى فى بلاد الله تعالى ولم يكن لى قوت إلا مخلات يقصماط كانت الى جانبى فكنت آكل فى كل يوم كعب وكان معى قربة من الماء كنت لقيتها عائمة فى البحر فكنت أشرب منها فى كل يوم شربة ومازلت على ذلك الحال إلى أن طرحنى البحر المالح إلى جزيرة كبيرة خضرة نضرة ذات أشجار وأنهار وفيها شجرة كبيرة على هيئة النبق وطرحها أحلى من التمر فشربت من تلك العين وقلت وحق المسيح لابرحت من هذا المكان إلا أن أموت أو يأتينى الفرج . ولما أن ذهب النهار وأتى الليل وأنا فى تلك الجزيرة خائفا وجلا لا أجد جليس ولا أنيس فبينما أنا متفكر وإذا أنا بصوت جهورى مثل الرعد القاصف أو أشد وهو يقول لاإله إلا الله محمد رسول الله على ولى الله وهو ولى من والاه وعدو من عاداه (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم انه دخل وخفى على فلما أن كان نصف الليل أعاد الكلام بذلك الذكر المبارك ولما أن كان عند السحر أعاد الذكر فعندها طار النوم من عينى وانخلع قلبى وذهب لبى ولما أن كان عند طلوع النهار وطلعت الشمس وإذا أنا بجارية حسنة لم أرى أحسن منها وجها وشعرها قد جللها منسحب على الماء وهو خلفها وهى تقول : لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى

الله عليه وسلم ورضى الله عن على المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن والحسين شهيد كربلا ثم انها خرجت من الماء وإذا رأسها رأس جارية وعنقها عنق نعامه وبدنها بدن سمكة ولها ساقان مثل الثور فجاءت الى عندى وقالت لى اسلم ثكلتك أمك وعدموك قومك واعلم أنك قد حللت بجوار قوم صالحين لا ينجو منهم إلا من كان على دين الاسلام من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقلت لها وما دين الاسلام فقالت تشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون حب محمد فى خاطرك ولبك ولايتم لك محبة محمد إلا بمحبة أهل بيته الطيبين رضوان الله عليهم أجمعين ويكون قلبك صافى لمن صافاهم ووليا لمن والاهم وعدوا لمن عاداهم وأنت تسلم الساعة وإلا ابتلعتك من قبل أن تنتقل من موضعك فقلت لها والله ما أحوجك أن تبتلعينى وتؤذينى ومن تكن دواب البحر تنطق بنبوته ونحبته ومحبة أهل بيته ماأكون أنا له مخالف ولأعدائه موافق أنا أشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله (قال الراوى) ولما أن أسلمت وسمعت منى ذلك غطست فى البحر ثم انها طلعت بخمس صدفات ما لها قيمة ودفعت لى ذلك فرأيت فيها جواهر عظيمة وقد بذلت أموالا عظيمة فى القسطنطينية على أنى أجد حبة من تلك الجواهر عند أحد حتى أنى أشتريها وأجعلها على هيكل الانجيل فلم أقدر عليها ثم إنها قالت لى اصعد على هذه الشجرة فاذاكان عند إقبال الليل يقبل اليك طائر عظيم يبيت على تلك الشجرة فأقر له حتى ينام ويقرب الصباح فتعلق فى رجليه فانه يوصلك الاعامرة لأنه يسرح إلى بلاد العمران ويشرب من ماء الغدران فاذا نزل يشرب انزل أنت من رجليه وسير فى دعة الله تعالى وحفظه لأن هذا الطائر يأكل من ثمار بلاد الهند ويشرب من غدران السند ويبات عندنا فى هذه الجزيرة وحرم عليه لحوم بنى آدم الى اذا كان ذلك كافر جاحد يهلك ويأكله وكل من كان مؤمن مسلم فانه يسلمه إلى بلاد العمران ويوصله وقد وكله الله تعالى بالغزاة والغرقاء من المؤمنين ينجيهم من المهالك العظيمة ولولا أنك أسلمت لكنت هلكت منه وكان أعدمك الحياة وأدنى منك الوفاة وقد جعلنى الله سببا لحياتك ونجاتك ولمحبة أهل الله الأخيار وخروجك من ملة الجهالة الجاحدين الكفار أهل الصليب والزنار وانقاذك من النار حيث أقررت برسالة محمد المختار ثم انها مضت وتركتنى فلما أن جن الليل فعلت جميع ما أمرتنى به ثم تعلقت فى رجلين ذلك الطائر وقد طار بى وهو يسبح الله عند الصباح ويقدسه

الى أن رمانى فى بلاد السند فبعت ماكان فى عبي من تلك الصدفات وبقى بعض ماكان من تلك الجواهر ودخلت فى بلاد الاسلام فسمع بى ملك الهند فدعانى فتقدمت اليه وحدثته بحديثى فتعجب منه غاية العجب وقد أسلم على يدى وكان يحكم فى اليهود ويظهر أنه منهم وهو مؤمن مسلم فى الباطن والظاهر لهم أنه كافر فأعطانى مالا عظيما وكان يخدمنى لأنه عرفنى لأن خبرى وصل اليه من القسطنطينية لأن التجار التى كانت تسافر بأموالى كانوا يخبروه بمالى وهذا الذى كان سببا فى إسلامى. وسلامتى ثم اننى أخذت جميع ما كان حصل معى من المال غير الجواهر فتصدقت به على ضعفاء المسلمين وقد خلصت ببعضه أسارى من بلاد المشركين وتركت الدنيا وزهدتها لعلمى أن كل شيء فان إلا وجه الكريم ثم إنى ما زلت أسعى الى أن توصلت الى هذا الدير لأعبد الله فيه منفردا عن الخلق ثم أنه بكا وقال الحمد لله الذى اصطفانا الحمد لله على اسلامنا الحمد لله الذى اجتبانا وهدنا (قال الراوى) لهذا الكلام ياساده ياكرام فلما أن سمع الصحصاح من الأسقف هذا الكلام غاب عن الوجود وصار فى صفة مفقود وقال والله فرحت قلبى باسلامك فقال الأسقف والله لو لا أن الله هدانى ياقوم لما كنت عرفت اليه الطريق ثم انه بعد ذلك أشار يقول :

إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها ... فاجعل جهادك فى الدنيا لابليس
وقم لربك طول اليل مبتهلا ... وجامعا بين تسبيح وتقديس
وقل الهى ومقصودى ومعتمدى ... أمنن علىّ بتقريب وتأنيس
أنا الفقير ومنك الجود يشملنى ... وأنت مولاى ومغنى للمجاليس
ان كنت أخطأت بميلى لمعصية ... بالشرك فى القول مع أهل النقاويس
فانى اليوم من أهل اليقين ولى ... فى المسلمين هدى لا فى الشماميس
فاغفر ذنوبى وتغفر ربى سيآتى ... فجانبي بهداك اليوم مأنوس

(قال الراوى) فلما أن فرغ الأسقف من شعره ونظامه تعجب الصحصاح وقد تعجبت الرهبان من ذلك قال ياصحصاح أنا ما أتعجب الا من هزوى من القسطنطينية وكنت أسد آذانى بالقطن اذا سمعت حس الأذان والتسبيح للملك القدوس وأنا اليوم أسد الآذان بالقطن اذا سمعت حس الناقوس ثم انه خلع من آذانه قطعتين من القطن وقال ياصحصاح من يوم دخلت الى هذا الدير ما صليت الا سرا ولا قرأت القرآن جهرا الا فى هذه الليلة التى رأيتنى فيها ورأيتك وقد جمع الله فيها بينى وبينك

لانى كنت نائم وإذا بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول لى كم ياهذا تقرأ وتصلى سرا لاترجع تصلى وتقرأ الا جهرا لأننا سقيناه الرهبان بالكاس الذى سقيناك وقد أرويناهم كما أرويناك فوجهت وجهى للقبله وفتحت بابى وما كنت أصلى إلا وهو مغلوق إلا وهو مغلوق إلا فى هذا الوقت الذى وصلت إلى فيه وأنا فى المحراب أتلو القرآن جهرا وأصلى (قال الراوى) فلما أن فرغ الأسقف من هذا الكلام مدت الرهبان كلها أيديهم وقالوا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ثم قال كل واحد من ذلك الرهبان والله ما منا أحد إلا وقد رأى فى منامه الليلة ما قد أهاله من الخوف والحساب والعناد والعذاب والقيود والأغلال وكان هذا الأسقف قد تقدم الينا ومسك بأيدينا وقد أنقذنا مما كنا فيه من العذاب والعقاب والساعه كنا نقول انه على ديننا وما نراه إلا على غير الدين الذى كنا عليه ومن يكون بشفاعته أنقذنا من الحساب والعذاب والعقاب فى المنام فلا بد أن يكون شفيعا لنا فى اليقظة ويخلصنا من أليم العذاب (قال الراوى) ثم أسلموا الجميع قدام الصحصاح والأسقف ثم أنهم جلسوا للحديث وفى قلب الصحصاح من الغزالة من عظيم وخطب جسيم ووجد متيم ولم يلتق أحدا من الرهبان يحدثه بحديثها ولا يخبره خبرها ولا يطلعه على سرها وأمرها فقال للرهبان والأسقف أنتهى فى هذه الساعة التى بقيت من الليل أن يحدثنى كل واحد معكم بأعجب ما جرى له فقالوا له حبا وكرامه هذا وقد ابتدأ كل واحد من الرهبان يحدثه بعجائب الأخبار وغرائب النوادر الأشعار والصحصاح لايزداد إلى كمدا ولا يقر له عين أبدا ولا يضحك له سن على المدا بل غاب فى فكره مشتغل ما يرى فى أمره فعند ذلك أقبل عليه الأسقف وقال له ياملك العرب والله الذى لا إله إلا هو مايعجبنى حالك ذلك فقال له الصحصاح لأنه قد جرى لى حديث من أعجب الأحاديث وما أقول قط انه جرى لأحد من البشر بأعجب مما جرى لى وما قلت لهؤلاء الرهبان حدثونى إلا أقول عسى أسمع خبرا كخبرى وأقع على أثر كأثرى أو يكون جرى لاحد مثل هذا الذى جرى لى فقال الأسقف والله ما منا الا من جرى له حديث عجيب وأمر غريب وقد أخبرتك به وأولهم أنا ولكن أشتهى أن أسمع حديثك أنت فقال له الصحصاح والله لقد نظرت موضع النظر اعلم ان الهوى قد حملنى مالا أطيق فقال له الأسقف ولم ذلك ياملك العرب على انه والله عندك كل الأمور العجيبة والأخبار والأحاديث الغريبه والشجاعة والبراعة والشهامة والفصاحة والسخاء والقوة والوفاء وان هؤلاء محبوسين فى هذا

الدير لايرون ما رأيت من عجائب وغرائب (قال) ياساده ياكرام فعند ذلك قال الصحصاح والله لقد عاينت عجبا عظيما وخطبا جسيما قبل قدومى إلى هـذا الذى أنتم فيه فقال له الاسقف حدثنا يا ملك العرب بهذا السبب فعندها ابتدأ الصحصاح يحدثهم بمـا جرى له مع ابنة عمـه ليلى وما جرى له مع الوحيديه وكيف سمعت ليلى بزواجه وخروجه هاجا على وجهه وكيف رأى سعدين عامر وهو ينشد الشعر وقتله وخرج وما زال إلى أن وصـل إلى الدير ورأى الغزالة الجنيه وكيف خلصته من الاسد بعد أن قتل الشبلين وما جرى له معها من الاخبار والاشعار وكيف افتتن بحسنها وجمالها وطرفها وقدها واعتدالها وانه لها عاشق وبها واثق ولا قدر أحد يسليه عن ليلى والوحيديه إلا ان كانت هذه الغزالة الجنيه وأنه يريدأن يقف على أثرها ويطلع على خبرها (قال الراوى) فلما أن سمع الاسقف من الصحصاح هذا الكلام تعجب غاية العجب وقال وحق من هدانى إلى الايمان بعد الكفر والطغيان لقدسافرت وسعيت فى البرارى والقفار ما سمعت ولا رأيت أعجب من هذه الاخبار ثم انه التفت إلى من كان بجانبه جالس من الرهبان الذين أسلموا وساروا من أهل الايمان وقال لهم هل سمعتم قط بهـذه الغزالة فقالوا له لا والله ماسمعنا قط بهذا الحديث بل ترفقوا علينا حتى نسأل الراهب اصطفانور فانه أقدم منا فى هذا المكان فذهب بعضهم إلى عنده وأتى به إلى عند الصحصاح فسأله عن ذلك فقال نعم ثم انه ضحك فقالوا مم ضحكت ياراهب فقال اعلموا انه قد جرى لى معها حديث ما أقول انه قد جرى على وجه الارض أعجب منه فعندها فتح الصحصاح أذنيه وكل من حضر وقالوا له بالله عليك ياراهب ايش هو الذى جرى لك معها من الخبر فقال لهم وحق من رفع السماء بقدرته وأجرى البحار بحكمته لولا أنكم بدأتم بحديثها وضاق منى المصطبر ما قدرت أحدثكم به الى المحشر لاننى معاهد معها ومحالف وانى منها على وجل خائف فقال له الصحصاح حدثنا وما عليك بأس فقال لهم اعلموا ياسادات انى كنت فى مبتداى رجل صياد وكان لى من العمر فى ذلك الزمان مائة وثلاثون سنه وأنامن جملة الصيادين المذكوره وصنعتى بصيد الوحوش مشهوره وقد كنت خرجت فى بعض الايام إلى الصيد ونصبت شركى ومديت شباكى وإذا أنا بهذه الغزالة قد أقبلت وهى تتمحطر ومن حولها عشرة من الغزلان وقدامها غزالين وباقى الغزلان على صفة الغزلان كانهم غلمان ولم تزل تسير إلى أن وصلت إلى عند الشرك وقد نظرتهم وكنت قد

ضربت شركى على عين ماء فتركت الغزلان واقفين وانفردت عنهم وقصدت إلى نحوى ووقفت على رأسى فى المكان الذى أنا فيه مستتر وقالت لى ياصياد قلت أنا لبيك وقد اقشعر منها جسمى وقلت سبحان الله غزاله تتكلم بكلام آدميين فقالت لى لا لبيك ولاسعديك أنت أتيت بشباكك ونصبت حيالك واشراكك تريد أن تصيدنا فقلت لها والله مالى معيشة قط الا صيد الوحوش والغزلان والتغيب فى كل مكان وإذا كنت علمت أنكى تأتى إلى هـذا المكان ماكنت جئت اليوم اليه ولا كنت نصبت أشباكى عليه ثم تأملتها وإذا هى خلقة عظيمه مليحة صبيحة الوجه وعينها مكحوله وهى مثل عيون الآدميين بياض وسواد وكان صانع عملهم باسفيداج ومداد ولها نور عظيم يأخذ الابصار وعلى حسمها جل أطلس مدثر وقرناها من الذهب الاحمر مكللة بالدر والجوهر المدور يأخذ نوره بالبصر ثم دنت منى وقالت لى ياصياد أنت طماع ثم انها ضحكت وتكلمت بكلام لا أعرفه ولا أفهمه فأقبلت تلك الغزلان إلى وقد نزلوا على وسارت كل واحدة منهن تنطحنى من جانب وهى تضحك على وتقهقه وتتعاجب ثم أنها قدمت أربعة من الغزلان إلى شباكى واشراكى فقطعوهم قطعا وأرموهم فى تلك العين وهى تنظر إلى ولا تزداد إلا ضحكا فقلت لها بالله عليكى أيها السيده الجليلة ارفعى عنى هذه الغزلان والا قد هلكت فى هذا المكان وأنا شيخ كبير وضعيف الحيل وما لى طاقة برد واحدة فكيف بعشرين فما هى إلا أن سمعت قولى حتى صاحت صيحه عظيمة فما أدرى الا ومقدار خمسمائه غزالة أقبلوا من كبد البرالى وهجموا على وجعلوا ينطحونى ويرفصونى وما بقى فى عظمة الا طحنوها ولا لحم ولا عصب الا وهشموه فصرت أصرخ وأصيح وهى تضحك على ولا أعرف لمن أدفع ولا لمن أضرب وكلما أردت أن أهرب دار وانى فلما علمت الغزالة أنهم أشبعونى ضربا وهشما وأنها قد اشتفت منى وهم قد قطعوا أشباكى واشراكى وأنا منهم قد أشرفت على هـلاكى فعندها خاطبتهم بلسان لا أعرفه ولا أفهمه فتركونى مرمى لا أعقل على نفسى مما حل بى وصبرت على قليل الى أن رجعت الى روحى وجاءت الى عندى ووقعت على رأسى وقالت لى قم ياشيخ فلم أستطع النهوض فكلمت تلك الغزلان فنهضوا الى وقد ملؤا أفواههم من الماء وأتوا به ورشوه على وجهى فأفقت من غشوتى وصحوت من سكرتى ولم يزالوا يقومونى بقرونهم حتى اننى قد وقفت وصحيت وأفقت ووقفت وأنا دايخ الرأس خامد الانفاس بارد الحواس فقالت

الغزالة ياشيخ ما اسمك فقلت لها ياستى اسمى عطايا فقالت لى أعطاك الله صيدا مثل هذا اليوم فقلت لها ان كانت إلى خير وسلامه فما ثم ندامه وبعد أن تسلم حشاشة نفس الانسان فما يبالى بطوارق الحدثان والله لو وقع فى شركى بعض الذئاب والضباع والفهود والسباع وأقاسى منهم شدة عظيمة ما قاسيت أعظم من هذا اليوم والمثل يقول إذا تكاثرت الناموس أهلكت الجاموس وأنا طول عمرى أصيد الغزلان واليوم قد صدتونى أنتم فما على فى هذا عتاب فقالت لى ما عليك بأس ياشيخ عطايا اعلم اننى يقال لى ست الغزلان وما وصل إلى قط انسان ولو طاف على طول الزمان فقلت ومن هو الذى يطوف عيك ويطلبك ومن الدى يتحدث بمثلك فقالت لى ياعطايا ان حديثى عجيب وأمرى غريب هذا وقد أخذتنى وتمشت بى الى كهف فعبرنا فيه (قال) ولما أن دخلنا إلى ذلك الكهف واذا بباب من الذهب الوهاج ودهليز أرضه مطرز بالرخام تطريز وثانى باب ودهليز أحسن من الأول ولا زالت تدخل بى الى ان عديت سبع دهاليز وسبعة أبواب كل دهليز زى وصنعة وكل باب صنعة تحير الواصف وقد دخلنا الى قاعة بأربع لواوين ومصطبة ليوان قصاد ليون وقيعه وشاذروان والكل من الجوهر والمعادن واللالىء والياقوت والذهب والفضة وفيه ما يحير الناظرين ويدهش عقل الواصفين وفى الصدر ليوان عليه فرش ومقاعد ومسانـ وسخانات ومخدات ودائر مزركش وسرير من المرمر مصفح بالذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر ومراتب فجلست هى وجوارها وقد صارت مثل الغزال العطشان تفتن العباد بخد أحمر بطرف أكحل بحاجب مقرون بخصر فى العيون تهيل وتميـــل وتخلى العاشق خاضع ذليل (قال الراوى) فلما ان استقر بى الجلوس فى هـــذا المقـام مدوا لنا سفرة الطعـام فيهـا من كل ماتشتهى الشفة واللســان فأكلنا حتى شبعنا ثم أنهم شالوا الطعام فيها وقدموا لنا سفرة المدام وفيها متطاولات ومتقاصرات وأوانى وصوانى وشمعدانات والخمر فى قنانى وكاسات ومشموم وفاكهات ودارت الكؤسات فشربنا وقد سقتنى وغنت الجنكيات والعوديات الى أن سكرنا فقالت ياعطايا اسمع حديثى فهو عجيب وأمرى أنه غريب هذا وقد تمكن الشراب منها وغزلت عيونها وتمايلت معاطفها وصار كلامها فيه غنه فقلت لهـا ياستى حدثينى بهذا الحديث المليح فقـالت ياشيخ اسمع حديثى واعلم أنه عبرة وفكرة لمن افتكر والله مايصلح الا أن يكتب بماء الذهب لما فيه من العجب اسمع ياشيخ واعلم انى أناست الظباء بنت ملك الجن ولما أن كنت

طفلة صغيرة السن لى من العمر عشر سنين وكنت مشغولة بالفرح واللهو واللعب وطيب العيش والشراب وكنا بأرض اليمن فبينما أنا يوم من الأيام وجوارى وخدمى بين يدى يضربن بالدفوف ويزعقن بسائر الألحان والضرب وكان فى ذلك اليوم فرح للأنس وزفاف امرأة فدخلت الى ذلك الفرح من غير أن يرونى فلما أن توسطت مجلسهم وإذا بى أسمع بعض النسوان يقولون إن زوجة المبرقع أتت ببنت لم ولدت مثلها أنثى فلما سمعت ذلك سرت الى بيت تلك المرأة ونظرت الى البنت وإذا بها بنتاً مافى الأرض أحسن منها والبيت قد امتلأ نوراً من وجهها حتى ظن كل من فى ذلك المجلس أنه برقاً فبقيت أنا متعجبة من نور وجه تلك الصبية وحسنها وجمالها وإذا بواحدة من تلك النساء تقول لهم أنتم تتعجبوا من حسن هذه الصبية والله إن أبوها ما يقدر أن يكشف البرقع عن وجهه لئلا يخطف نوره الأبصار ومايمشى فى الطريق إلا بسبع براقع فتأملت فى وجه الصبية وأبوها فوجدته أحسن أهل زمانه وقد فاق على أهل عصره وأوانه وهو من أولاد ملوك اليمن وكان إذا عبر على الأسواق افتتنت النساء به فوقع أنا فى قلبي حب الصبية فصرت أتعاهد منزلهم وأجلس الصغيرة فى مجلسها وهو مهدها وأبوها وأمها من حولها وهم لايرونى هذا وقد افتتن الناس بحب أبوها فأمر الملك بخروجه من المدينة فصار الرجل كلما كشف وجهه يبقى كل أحد شاخص باهت وهو أخرس اللسان عادم العقل والجنان مهبول ما يعرف ما يقول (قال الراوى) فلما أن زاد الأمر أخذ امرأته وبنته وبعض معارفه وقصد الى هذا الوادى فما أمكننى الصبر بعده لأجل حبي فى ابنته وقد سكن هو فى هذا الوادى وبعد عن الناس لأجل صداعهم هذا وقد تبعتهم أنا وأمى وأبى وأختى وبنت عمى وابن عمى وهو يحبنى وأنا ماأحبه فتقدم ابن عمى وقال لأبى ابنتك ماتبعت هذه الصبية الانسية إلا لأجل أبوها المبرقع لأنها تعشق ابنته والمرأة كيف تعشق امرأة مثلها فتقدم الى أبى وقال لى ذلك وحلفنى بجميع الأيمان على ذلك فقلت لها والله ما أحب إلا الصبية ولو أنكم تقطعونى قطعة قطعة ما قربت من هذا ابدا ولو شربت كاسات المنون وكان أخى يحب ابن عمى لأنه كان ينكح معه البنات الانسية ويعملوا كل داهية وبلية وما يغضب ابن عمى إلا لأجل ذلك لأنه ينكح المرأة قبل زوجها فى طرفة عين فبغضته لأجل ذلك لأنى أنا طاهرة الذيل عفيفة الفرج وهو فاسق زانى فطلب ابن عمى أن يقتل أبو الصبية ألف مرة وأنا امنعه من ذلك فلما ان كبرت الصبية صار جسمها يتكاسل عليها ويتدرن منها وتنظر الى جسمها تجد فيه أثر قرصات شبه ورق

البنفسج فسألت الأطباء عن ذلك فعالجوها بجميع الأدوية فلم تبرأ من ذلك ومازالت إلى أن قصدهم معلم معزم من هذا الدير وهو راهب وقال لهم إن أبرأتها مما هى فيه ما يكون لى فقالوا له على رضاك فضرب مندل وأحضر القرائن وجمع الأعوان مثل طارش ملك العمار وديباج ملك القرناء وملوك الجان والأرهاط والأعوان ومن جملتهم أنا وأمى وأبى وأختى وابن عمى وجميع ماعندنا من الجان وقد أخذ علينا العهود والمواثيق والأيمان وكتب لها حجاب وهيكل وعلقهما عليها فامتنعت أنا من الدخول عليها فاشتفى منى ابن عمى فحلفت اننى لا آوى عندهم مدى الدهر وقد أمرت بعمارة هذا القصر وانتقلت فيه بجوارى وخدمى وأموالى وغلمانى وما فى قلبى حسرة إلا اننى أنظرها نظرة أو يقع لى هذا المعزم القرنان ولا يكون معه حجاب حتى كنت أوقعه فى أشد العذاب كما فرق بينى وبين الأحباب وأنا والله ما أدور بطول الليل والنهار من حول الدير إلا لعل أن أقع برؤيته حتى أعمل على أذيته فلما أن سمعت منها ذلك الكلام فقلت لها أنا أعمل لك على إبطال الحجاب اللى على تلك الصبية وتجتمعى بها فقالت لى والله إن فعلت هذا فأنا أغنيك وأغنى فاقتك لعاقبة عاقبتك لأن عندى أموالا عظيمة وأنعام جسيمة ثم انها مدت يدها الى كيس فيه ألف دينار أعطتنى إياه وقد أعطتنى عقد جوهر وقالت هذه هدية إليك ولاأبخل بها عليك ولا هذا الذى أعطيتك حق الذى تفعله معى وان حق الذى تصنعه عندى لأنى منذ فارقت الصبية عشر سنين لاطاب لى عيش ولاهنأ لى وقت غير البكاء والتعب والعناء فقلت لها الله يجمع بينكما عن قريب ان شاء الملك المجيب ثم انها أخذت على العهود وقد خلعت على وأحسنت إلى وكان السكر قد لعب بها فنامت ونمت أنا الآخر فلم أفق من نومى إلا وهى واقفة قدامى فقمت وأنا مرعوب (قال) ياساده فلما أن رأيتها على ذلك الحال فقالت لى لاتخاف ماتم إلا الخير إيش سمعت منى البارحة فخفت أن أقول لها الكلام فقلت ياستى ماسمعت شيئاأصلا فقالت أصلا قلت لاأصل ولافصل ولاجور ولاعدل إلا انها كانت ليلة حسنة بمعرفتى لك أيتها السيدة الجليلة فقالت لى ومن أعطاك هذه الخلعة وهذا المال فقلت لها انت أنعمت على بهم من إحسانك ومن بعض فضلك وامتنانك فقالت ياشيخ عطايا تستاهل من هو أعظم من هذا ولكن عليك بالكتمان ولاتطلع أحداً على حديثى وحديث الغزلان فيرجع ربحك خسران وتدرج فى الأكفان وان عشت تعيش ندمان والسلام ثم انها زعقت على بعض جوارها وقالت لها هاتى ما قلت لك فغابت وأتت بثلاث بدلات صغار وبدلتين كبار وألفين دينار

وقالت ياشيخ عطايا خذ هؤلاء لك ولزوجتك وأولادك وهذا الذهب انفقه على زوجتك وأولادك فالمــــال مالك فدبر حالك فقلت لها ياستى لقد وصل الى من نعمتك مايكفينى لأبد الأبد وعاقبة الولد (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمعت منى ذلك فقالت لى اعلم ان هداك كان فى سكرتى وهذا فى صحوى فأخذت منها المال وأخذت جميع تلك النعم وقبلت أقدامها وودعتها ورجعت طالب أهلى وأولادى وهى تقول لى أوصيك أوصيك الحذر ثم الحذر أن تفشى لى سر أوتظهر لى أمرا وأنا أقول لها والله لا كان ذلك أبدا ولو شربت كاس الردا ثم إنى سرت ولم أصدق بالنجاة إلى أن أتيت الى بيتى فوجدت زوجتى وأولادى الكل مجتمعين وقد أقاموا على الصياح والبكا والنواح فلما أن رأونى فرحوا بى الفرح الشديد وقالوا والله ما ظننا إلا أن الوحش أكلك وان الصيادين قالوا لنا انهم وجدوا شباكك مقطع مرمى فالحمد لله على سلامتك ثم انقلب الترح فرح وقد أقمت عند أولادى فى طيب عيش فلما أن زوجت بعض بناتى فهى فى جلاها واذا بالبيت قد وقع على كل من فيه فهلكوا بأسرهم فأقسمت بالله أننى لا أتزوج أبدا وقد أخذت ما كان قد بقى من المال وقصدت هذا المكان وقد قلت للرهبان انى نصرانى واسمى أصطفانوس وقد صرت فى كل يوم أخرج من الدير وقلت عسى أن أقع بتلك الغزاله فما رجعت وجدتها ولا أبصرتها فهذا ما جرى لى معها ولولا أنكم بدأتمونى بذكرها ما كنت حدثتكم بهذا الحديث أبدا فتعجب الصحصاح وقال والله لا بد لى من هذه الصبية الذى قد ذكرتها وأخطبها من أبيها ان كانت إلى الآن عازبه ثم انه أقبل على الأسقف وقال له أحضر لى عشر جواهر وكيسين من الذهب وقم معى الى عند أبيها ونأخذ معنا هذا الشيخ عطايا فأجابه إلى ذلك وساروا إلى أن وصلوا الى عند أبو الصبية محبوبة الغزالة الجنية فتقدم الصحصاح اليه وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له عسى من حاجة تقضى فقال له الصحصاح اعلم أننا قد جئنا نطلب القرب من المولى الكبير لما سمعنا بعفته وصيانته وحسنه وجماله واذا زوجنى المولى ابنته ما أخرجها من تحت كنفه بل انى أسكنها فى دار مليحة فى هذا الدير فى سفح هذا الجبل بالقرب منك وتبقى تزورها وتزورك وان أردت تسكن عندنا فى الدير كان ذلك خير على خير فقال والله ما تستغنى أرض عن مطر ولا عين من نظر ولا أنثى من ذكر وقد أجبتكم فقال له الصحصاح ماذا يكون من المهر يحمل الى المولى فقال الاسقف للمبرقع اعلم أن هذا الأمير الصحصاح ابن جندبة الكلابى ملك العرب صاحب الحسب والنسب

الذى فتح القسطنطونية وأذل أهل ملة النصرانيه وبنا فيها جامع الملة المحمدية وقد هجر زوجته وجاء اليك طالب زواج ابنتك راغب ولها خاطب فقل ماشئت واطلب ما هويت من المهر (قال الراوى) فقال المبرقع والله ما أقول لكم شيء مشافهة وأنا أقدمها لكم ضيافة فقال الصحصاح وأنا قبلت وهذا مهرها ألف دينار وعشرة جواهر كبار فقال لهم سيروا أمامى إلى الدير فان فى بقية هذه الليلة أعود وأجيبها وأجيء لكم الى الدير فساروا الى الدير وقعدوا فى انتظار الصبية الى ثانى يوم واذا قد سمعوا صراخ وصياح وبكا ونواح فخرج اليهم الصحصاح وقال لهم ما بالكم فقالوا له أيها الملك قد أخذنا زوجتك وزيناها بالحلى والحلل وسرنا بجملتنا الى هذا الدير ونزلنا هناك على الغدير للراحة من شدة الحر فنزلت مع البنات للغدير تتبرد لأجل ما حميت من جهة المسير وثقل الحلى والحلل الكثير فاختطفت من الغدير وما ندرى ما كان منها وما أصابها (قال الراوى) ياساده ياكرام صلوا على بدر التمام وكان السبب فى ذلك الغزالة الجنية فانها كانت أقامت تلك المدة محجوبة عنها وهى لا تصل اليها ولا تقدر عليها من الأقسام فلما أن وصلت الى الغدير وكانت الغزاله وراءها وهى لا تراها فوجدت فى ذلك الوقت الفرصة والغفلة فانقضت عليها وأخذتها وطارت بها إلى أن دخلت الى قصرها وهى معها وقد أجلستها على سرير ملكها ثم انها أحضرت الملاهى والمغانى والأموال والتحف والجواهر بين يديها ثم قالت لها ياستى أتعرفينى من أنا فقالت الصبية وهى خائفة منها لا والله مالى بك معرفه أنا امرأة مثلك بنت عذراء وأنا أحبك محبة ومودة عظيمة من يوم ولدتى وكنت أتولع بك وأعبث عليك وأقرصك حتى تتكلمى فألتذ بكلامك ثم أتنزه بجمالك وقد أحضروا أهلك المعزمين فنظروا الى القرص فعرفوه فحجبونى عنك وانقطع اياسى منك وما قصدت بهذا اليوم وصدقت أن أراك فى الماء وقد أماطوا الحجب عنك ولولا الحجب والأقسام كنتى عندى من زمان وأنا ماقصدى منك غير المشاهدة والنظر ولا يصل اليك منى بأس ولا ضرر (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن علمت الصبية من أين دهيت وقد صارت تنظر الى وجه ست الغزلان بنت ملك الجان وتتعجب من حسن صورتها وجمالها وملاحتها واعتدال قامتها وتقول والله انك لصورة مليحة وقامة رجيحة والناس يقولون ان الجن يفزعون هذا وقد أنستها ست الغزلان وحادثتها وتمات بنظرها ورؤيتها ومنادمتها وقالت لها يا أختى لاتضيق صدرك فما تباتى الليله إلا عند أهلك وعند بعلك وانتى مكرمه وأعطيك هذه

الجواهر المثمنة هـذا كله أفعـله معكى ان كانوا أهلك ما يمنعوكى عنى ولايحجبوكى وان هم فعلوا مالا أريد قتلتك وقتلت روحى معك واعلمى اننى أحجب عنكى كل من يريد بكى سوء من رجال الجن فانهم لايقدرون أن يصلوا اليك اكراما لى وإلا كانوا يشاركوا زوجك فى أخذ وجهك واعلمى ان ابن عمى يحبنى محبة عظيمة وأنا قد تركته من شأنك وان بينى وبينه الدم الأحمر والسيف الأبترا وأنه هو وأخى يريدوا أن يؤذوكى وأنا لا أمكنهم منكى وأنهم الاثنين متفقين على هتك البنات والفساد بالمحصنات الخيرات الطاهرات (قال الراوى) فلما أن سمعت تلك الصبية منها ذلك الكلام علمت صحة قولها وصدقتها فى مقالها وقالت لها والله الذى لاإله إلا هو من يومى هذا لوجانى أبى وأمى يطلبونى ماوافقتهم الا بمشورتك وما أفعل شيء الا بأمرك والذى لا تريد به ما أفعله ولا أقر به (قال الراوى) لهـذا الكلام فبينما هم على ذلك الحساب وإذا بالصراخ قد علا والعياط قد نما وقد وقع التشويش فى القصر من كل جانب فخرجت ست الغزلان تكشف الخبر واذا هى بالمعزم على الباب الذى يليها وهو يعزم ويتكلم ويهمهم (قال الراوى) ياساه ياكرام وكان السبب فى ذلك وهو أنهم لما أن أتوا الى الصحصاح وهم على تلك الحالة والبكا والنواح وأعلموه أن الصبية خطفت فدخل وأعلم الرهبان بالخبر فقال له الذى عنده علم بالعزيمه لولا أن الحجب قلعت منها لما كان جرى عليها شيء فقال عند ذلك الصحصاح فما تكون الحيلة فى هذا الأمر فقال تلميذ الشيخ ووصية لاتعرف ياملك العرب حضورها الا منى فان شيخى مات وعلمنى كل ما كان عنده من العزايم وما كان يصنعه وقال له نحن ما نفعل الا على سبيل الصحبة وليس لنا فى المال من رغبة فان عندنا المال كثير وأنت نعم الصاحب والأمير ثم أنه نهض وأخذ معه معزم والأسقف وأهل الصبية والصحصاح ثم أنهم ساروا ولم يزلوا سايرين الى أن أتى بهم الى باب مفتوح فى الجبل فقال لهم اجلسوا هاهنا هنا وقد جلسوا والمعزم يعزم وهم جلوس ينظروا الى العزايم والطلاسم الى أن حضر كل من كان فى ذلك الجبل من الشياطين والجان وقد بلغ الخبر الى سيدة الغزلان بنت ملك الجان فضمت الصبية الى صدرها وقالت لها والله ان احراق النار أهون على من الفراق هذا والمعزم قد قرأ عزيمته وهو يقول للغزلان أحضروها والا هلكتكم عن آخركم (قال الراوى) هذا وان المعزم أورى أبو الصبية ما كانت ابنته فيه وقال كلموا هذه الجنيه وقولوا لها ماذا تريدى من ابنتنا فكلموها وقد قالوا لها لاى شيء

تفعل مع ابنتنا هذه الفعال وأى شيء تريدى منها فقالت والله ما أريد غير النظر اليها فانى محبة لها من غير فحش ولاخنا وانى قد تولعت بحبها من صغرها الى كبرها فقال لها أبوها وايش الذى تريدين منها فقالت أريد أن أكون معها أينما كانت وأتوجه معها أينما توجهت فقال لها المعزم اذا كنتى لاتشتهى فراقها فعندى رأى سديد وهو أحسن ما يكون من الأمور وبه يتم لكى السرور فقالت وما هو فقال لها هو أن تتزوجى بهذا الملك العظيم والسيد الكريم صاحب الصفة الجميلة والأخلاق الجليلة وأنتى قد عاينتى جماله وعلمتى فضاله وأنه خير لكى من الجان وأن له الاحسان والامتنان فقالت ست الغزلان ان أبى لايفعل (قال الراوى) ياساده يا كرم فعندها استحضر أبوها ملك الجان وقال له اعلم أن الأشياء لاتؤخذ إلا إن كان بالمعقول والرأى وأنت ملك عاقل وهو أن ابنتك قد ألفت هذه الصبية وهى محبة من غير شك وهذا ملك العرب وهو من ملوك الانس قد تزوج بهذه الصبية وأن ابنتك قدأخذتها وأعاقتها عن بعلها وأنه يريد أن يأخذ زوجته وهى لاتتركها وأنا قد أحضرتك لشيء فيه الصلاح لك ولابنتك إذا أنت فعلته وان لم تفعله أحرقتك وجميع من يلوذ بك فقال ملك الجان وماهذا الذى تريد منى فقال له المعزم اعلم أننى أريد منك أن تزوج ابنتك ست الغزلان الى الصحصاح ملك العربان فقال عقهق ملك الجان السمع والطاعه وان أردت فى هذه الساعه ثم أن عقهق تقدم الى ابنته وقال لها يا بنية اما أن تطلق هذه الصبية وإلا فقد سمعتى ما قال من القضية فقالت له يا أبتى زوجنى به بشرط أن أكون أنا وهـــذه الصبية فى فرد بيت واحد ولا أبالى بعدها ولا حساب فقال الصحصاح قد قبلت ذلك وأنا ما أفرق بينكما أبدا (قال الراوى) فعند ذلك أحضر ملك الجان أكابر قومه وقد كتبوا كتاب الست غزلان على الصحصاح فعند ذلك فرحت قلوبهم واطمأنت نفوسهم وأخذ عقهق فى جهاز ابنته وسيرها مع الصحصاح ومن حولهـــا الجوار الملاح وهم بأنواع الملاهى سائرين ولا يزالوا كذلك الى أن وصلوا إلى الدير فلمـا أن استقر بهم الجلوس أمر الصحصاح بالولائم وأقاموا الأفراح للانس والجان وقد أجلوا عليه بنت ملك الجان وابنة المبرقع إلى أن تم الجلا وقد اختلى الصحصاح مع بنت المبرقع إلى آخر الليل وأراد أن يختلى بست الغزلان واذا بصيحة عظيمة قد ملأت الآفاق ورجم عظيم من خلف الدير وأهوال مختلقات فلما أن علمت بهم ست الغزلان قالت هذا ابن عمى وأخى وأعوانهـــم وقد أتوا يريدوا أن يأخذونى فان ابن عمى قد خطبنى فأبيت أن أتزوج به فأخذته

الغيرة والقلق والحمية وقد تصادف هو وأخي وأنا لو قتلت روحي ماتركته يملكني أبدا ولو شربت كاس الردى (قال الراوى) ياساده يا كرام ثم إن الصحصاح بات تلك الليلة مع بنت المبرقع فى أطيب عيش وألذ سرور فلما أن اصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وكان الرجم بطل عن الدير من وقت قام الصحصاح عن الجارية وقد قالت له ست الغزلان : دع دخولك على فى هذه الليلة واصبر الى الليلة الثانية حتى اننى أمضى الى أبى وأعلمه بما فعل أخي وابن عمى ويكون بعون الله كل خير (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن ابن عم ست الغزلان كان يحبها حباً شديدا ما عليه من مزيد وهى تبغضه بغضة قوية وكان كلما طلب قربها طلبت بعده فلما أن جرى ماجرى زاد به الوجل وسافر الى أرض السند وقد قال فى نفسه : البعد عنها أصلح فأقام هناك إلى أن سمع برجل إنسى انه تروج بها فانطلق عند ذلك وفى قلبه النار وغاب عن رشده ثم انه سار من السند فى تلك الليلة وأتى اليهم فوجدهم على تلك الحالة فخافت أن يهلك الصحصاح أو واحد من اهل الدير فسار طول تلك الليلة يطوف من حول الدير ويهمهم ويهدر ويرجم وقد أكثر الصياح والصراخ ونفخ النار فثار من أشداقهما الشرار وقد سارت ست الغزلان إلى عند أبيها وأعلمته بالحال وبما قد جرى من ابن عمها فأحضره اليه ووقف بين يديه وقال له ما تريد من ابنة عمك فقال أريد أن أتزوج بها فقال يابنى انها قد تزوجت بغيرك وهذا أمر قد فات وان كنت ما ترجع عنها فها أنت وهى فقالت ست الغزلان والله ياابى ان لم ينتهى عنى لأثورن الحرب بينى وبينه لأنه قد تركنى البارحة مع زوجى ومحبوبة قلبى واتى من خلف الدير وصار يكثر الارجاف والأذيات وينفخ النيران ويكثر الصياح والعياط والأنين فهل يفزعنى ذلك وهل هو يعتقد اننى أخاف من هذيانه أو أخشى من شروره ونيرانه فقال لها ابن عمها والله ماسير النار إلا أخوك شمواخ فقالت له لولا أنت ما كان أخى يتكلم وما أنت وإياه إلا متفقين فى الفساد وعلى أذية الخلق والعباد ثم انها أشارت اليه تقول هذه الأبيات :

دعوا عنكم ياقوم هذا التهدد ... ولا تجلبوا لى من جميع التمرد
تزوجت الصحصاح والحى حاضر ... وبعض شيوخ الجن والانس تشهد
زواج صحيح العقد ما فيه رهبة ... على نص شرع الهاشمى محمد
ولا تلزمونى فى الزواج بغيره ... فليس يريد القلب من كان مرتدى

وزوجين فى الاسلام ليس بجائز ... ولا بحلال فاسألوا كل سيد
وان لم تخلونى وتمضوا سبيلكم ... وإلا سأقيكم بحد المهند
وعندى رجال لاتقاس بغيرها ... تفرقكم فى كل فج وفدفد
وتبقون بين الجن والانس عبرة ... لكل الورى فى كل أرض ومشهد

(قال الراوى لهذا الكلام ياساده يا كرام) فلما سمع عقهق من ابنته هذا الشعر التفت اليهم وقال لهم اعلموا أن هذا الأمر قد فات ولا يتعرض فى هذا الأمر إلا كل سفيه ولا يحل لى أن أمكنك منه ولاسيما وعنده قصد وهوى وغرام وجوى (قال الراوى) ثم ان الملك عقهق دخل قصره ورجعت ست الغزلان من عنده وعادت طالبة لزوجها الصحصاح لتعلمه بما جرى فهى فى نصف الطريق وإذا هى بأخيها شمراخ هو وابن عمها قد لحقوها وقد تعرضوا لها فتقدم اليها أخوها شمراخ وكان أكبر منها وهو أكبر أولاد الملك عقهق وكان شيطان جبار لايصطلى له بنار فقال لها ويلك ياست الغزلان ارجعى عما أنت فيه وطلقى هذا الانسى وتزوجى بابن عمك وارجعى إلى قومك وأهلك وإلا فانى الساعة أعدمك نفسك وأمكنك رمسك ثم انه أشار يقول :

دعى عنك الهذيان وانصفى ... فنى الحق تبيان إذ الأهل أشرف
أبيك ملك الجن سيد قومه ... وأنت ملكة الجن والانس فاعطفى
ولا تتركين الحرب تضرم بيننا ... وان لم تطفى نارها ليس تنطفى
أطيعى لنا فيما نقول لتسلمى ... وإلا فأنت اليوم حقاً فتتلفى

(قال الراوى ياساده يا كرام) فلما أن سمعت ست الغزلان من أخيها هذا الكلام زعقت وأبرقت ثم شخرت ونخرت وقد صرخت فى وجهه صرخة عظيمة امتلأت البرارى من أجنادها وعساكرها وغلمانها (قال الراوى ياساده يا كرام) هذا وقد صرخ أخوها أيضا فأتته أجناده من الجن المتمردين وقد عضده فى ذلك إبليس اللعين ثم ان ست الغزلان تقدمت إلى أخيها وقالت له ارجع عما أنت فيه وإلا تعدم نفسك وتسكن رمسك ثم انها أشارت اليه تقول :

أياشمراخ دع عنك كلام المخوف ... فما أنا ممن يرتعد من التخوف
ولا تعتقد أنى أخاف جموعكم ... فجيشى عظيم فاتقى حد مرهفى
ودع ابن عمى وارجع اليوم سالما ... فما أنا ممن يخشى لصولة مرجف
فان كنت تأبى ما أقول معاندا ... ولا تخش من حزبى ولم تك منصف

فسوف أفرق جمعكم وصفوفكم وأفتيكمو جمعا بغير تكلف

(قال الراوى) ياساده ياكرام فلما أن سمع أخوها أبياتها غضب غضبا شديدا وصاح فى كل جبار عنيد وشيطان مريد هذا وقد صاحت هى أيضا فى عساكرها وجنودها وقد التحم الجيشان من أبطال الجان من كل مارد وشيطان وتراشقوا بنبال النيران وعظم الشان وكثرت الضجات وعلت الزعقات وهاجت العفاريت وتوقدت أعينهم توقد المشاعل . هذا وقد صعد الملك عقهق الى أعلى القصر المشرف وجعل ينظر ويتأسف وصار يقول : االلهم ارغم أنف الظالم وقد ثار بينهم العجاج وكثر الانزعاج . هذا ولما أن علم عقهق ان القوم قد هلكوا من شدة القتال نزل اليهم فى جماعة من خواصه وقد فرق بينهم فرجعوا عند ذلك عن القتال وأقبل على ولده شمراخ وقال له ياولدى لاتفعل وارجع الى الله تعالى لاتهلك واعلم أن النفس عند هواها فقال شمراخ لو أن روحى ما تركتها برأيها تفعل ماتريد وأن المرأة ما تغلب الرجل فقال له عقهق نعم تغلب الرجل إذا كانت على الحق ويكون هو على الباطل وأن كلامك كلام رجل جاهل فصعب على شمراخ وغضب على أبوه وتركه وطار فى الهواء حتى لحق بعنان السماء وقد سمع به جميع المتمردين من جنود إبليس اللعين وجاءت الجميع حتى يعينوه على قتال أخته (قال الراوى) ثم ان اللعين إبليس لاقاه وقال له ياشمراخ أنت تضرب فى حديد بارد ولكن أنا أدلك على شىء إن فعلته نجحت أمورك ويتعجل سرورك ويزول عنك محذورك واعلم ياشمراخ أن أختك ما تزوجت بهذا الانسى إلا من أجل الصبية الإنسية بنت المبرقع فاذا أردت أن تطيعك فاقتل أنت الصبية واعلم أنك إن فعلت ذلك رجعت أختك عن الانسى ولا يبقى لها فيه نية بالكلية فقال له سمعا وطاعة ثم انه انقض من عند إبليس اللعين طالب الدير ليؤذى الصحصاح وزوجته فأتى الى الدير فلم يجدهم ولا وقع لهم على أثر فى ذلك الدير (قال الراوى) وكان السبب فى خروج الصحصاح من الدير فى تلك الليلة أن الجارية بنت المبرقع قالت له ياملك العرب ما أنا معوده بسكنة جيران فقد ضاق صدرى مما أنا فيه من ضيقة هذا الدير ولكن أشتهى أن اخرج أنا وانت إلى الفلاة لبعض المتنزهات ليزول عن قلبى الهم وينجلى عنى هذا الغم الى أن تجىء إلينا ست الغزلان التى تهوانى من قديم الزمان فهى تجىء إلينا أينما كنا فما يخفى عليها مكان (قال الراوى) فلما أن سمع منها ذلك الكلام أركبها الصحصاح دابة من دواب الدير وقد ركب هو جواده فطلب الخروج فقال الراهب الذى عنده

علم من الجن والعمار والأعوان الذين يلوذون بست الغزلان ماعلى بأس ما دمت أنت فى عنايتى وانى أشتهى من انعامك أن تسير معى فى هذه النوبة فقال له نعم هذا وقد اخذه معه وسار الى أن وصل الى روضة من الرياض طويلة عريضة فى أرض كافورية كأنها الفضة المجلية فائحة الأزهار كثيرة الثمار متدفقة

الأنهار وياسمين كالجمار ووردها كالدهان ونرجسها مفتحة الأجفان
والأغصان والأرض قد فرشت ورد وريحان وقد تدبجت
بسائر الألوان والسحائب تبكى على الضباب بدمع هتان
وقد كتب بقلم الاعتبار على ورق الأشجار
تبارك خالق الوقت والزمان فالطير
يصرخ بأطيب الألحان
كأنها صوت
انسان

﴿ تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال

وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين

جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السادس

يطلب من

مكتبة عبد الحميد احمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كلوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين
والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) يا سادة ياكرام هذا وقد نظر الصحصاح إلى زوجته بنت المبرقع وقدها وقامتها فافتتن بظرفها وملاحتها وصار متشوق إلى زوجته الأخرى من أين تقبل وتصل إليه وقد افتكر أهله وبنت عمه ليلى وزوجته الوحيدية أمامه وأولاده ظالم ومظلوم وتذكر المعالم والأطلال والديار فأشار يقول :

أمامه قلى من ملامك والعتب ... ولا تزكيتى فى بكاء ولا ندب
سلوت بحمد الله عنكى وقد ضحى ... فؤادى من جمر الصبابة والكرب
وأقسمت بالله العظيم ومن له ... تلو الورى بالملك فى الشرق والغرب
وبالمصطفى المبعوث من آل هاشم ... نبى الهدى المبعوث للعجم والعرب
تسليت عن ليلى بسعدى ولم أجد ... لليلى بقلبى قط شيئاً من الحب
« فلو نظر البدر المنير لوجهها ... لغاب حياء أو تستر بالحجب »
ولو نظرت شمس الضحى لجمالها ... لما طلعت حتى تجىء من الغرب
ولو نظر الغصن النضير قوامها ... لما كان بدعا قط بالأميد الرطب
تزوجت بالاثنين حقا ولم أجد ... عليهن حربا منه طعنا ولا ضرب
كأنهما الاثنين أختين كلفا ... على طيبة الأخلاق فى البعد والقرب
فلا تذكرينى ما حييت فاننى ... تسليت عنكم بالجمال الذى يسبى

(قال الراوى) لهذا الكلام ياساده ياكرام فما فرغ الصحصاح من شعره حتى سمع هاتف يقول

ألا أيها الصحـــاح قل بن العتب ... وابعد عنا ثم لا تطلب القرب

ولا تطلب الغزلان ما عشت دائماً ولاتحظى فى الدنيا بقرب من الحب
أنا الفارس المذكور شمراخ فى الوغا أبيد الأعادى فى الطعان وفى الضرب
فدعنا واقصد نحو قومك راجعا لتنجو من الهم المبرح والكرب
فنحن شياطين الفلاة فلا تكن جسورا علينا بالحروز وبالكتب
نصول عليك الآن صولة مغضب ونرمى منك العظم بالصارم القضب
وإن لم نطق حمل الحديد فاننا نمازج منك الدم فى الأكل والشرب
وعما قليل ثم تعدم من بها تملكت أختى بلا طعن ولا ضرب
وإن لم تدعنا ثم تمضى سالما هلكت وتبقى اليوم ملقى على الترب

(قال الراوى) فلما أن سمع الصحصاح ذلك الشعر فبهت ومن معه كذلك بهت إلى جهة الصوت وإذا به قد انقطع ساعة وإذا برأس قد طارت قدام الصحصاح فالتفت وإذا بها رأس امرأته بنت المبرقع فاقشعر جلده من ذلك وقد التصق بجانب المعزم وقال له أما تنظر ما حل بهذه الجارية المسكينة والله لاقعدت بها عندكم ولا سكنت بجواركم ولا رجعن إلى أهلى شاكر الآن هؤلاء لو أرادوا أن يفعلوا بى سوء لفعلوا وما هم من الانس حتى إننى أجالدهم وأقاتلهم وبعد أن قتلت هذه الجارية ما بقيت بنت ملك الجن تأتى إلى ولا تنظرنى ولا تعد على لأننى ما كنت ملكت قيادها إلا لمحبتها هذه الجارية والساعة أشتهى من إحسانك أن تكتب لى كتاب جامع المحبة والقبول لزوجتى وابنة عمى ليلى لأن لى غائب عنهم مدة أربعة أيام وما أدرى ما جرى عليهم من بعدى وأنا أستحى من ابنة عمى كثير وأخاف أن يقع بينهم الحرب أو الطعن والضرب والذى كنت خائف منه وقعت فيه ولا بد لى من الرجوع إلى أهلى وأجمع بهم شملى (قال الراوى) يا ساده يا كرام فكتب له الراهب كتاب وأعطاه له وودعه ومضى هذا وقد حمل الراهب الصبية وأراد أن يدفنها واذا ببنت ملك الجن قد أتت وأرمت روحها عليها وقد بكت بكاء عظيما وانتحبت وشكرت الراهب على فعله وقد أعلمها بسفر الصحصاح فقالت فى وداعة الله ما أسنى إلا على مهجة قلبى ومالكة لى التى جمعت بينى وبينه ولا يزال الحرب بيننا إلى يوم القيامة ولا ملكته روحى ولو شربت كأس الردا ثم لم تزل واقفة حتى دفنتها هى والراهب وقد انصرف الراهب طالبا الدين ومضت ست الغزلان وهى تبكى على تلك الصبية وهى تقول هذه الأبيات :

أجريت يا يوم الفراق دموعى من مقلتى ممزوجة بنجيعى
وأويت لى كل صعب مكره وأذقت قلبى لوعة التوديع

أحسبت لى جلدا على بعد الذى ... ما زال بين جوانحى وضلوعى
لا والذى جعل البكا رفقا على ... جفنى الذى لم يتكحل بهجوع
ولا هجرن العيش بعدك فى الوغا ... ولابدين صبـــابتى وولوعى
يا شمس أفراحى الذى كسفت فلا ... بقيت ترى من بعدها بطلوع

(قال الراوى) ثم مضت إلى أهلها وقد زاد وجدها فهذا ما جرى لها وأما ما كان من الصحصاح فانه سار يقطع البرد وهو متأسف على ما جرى وجعل يقول ما لى إلا أسير إلى أهلى وأدخل فى الليل على عمى عطاف وأسأله أن يصلح حالى مع ابنة عمى ويطفى الشر وأفارق الوحيديه ثم سار يقطع البرارى والقفار والأودية وهو عادم الاصطبار ولا يقر له قرارا إلى أن توسط البرية فهاج به الشوق إلى زوجته الوحيدى فصار سائر وهو لا يدرى ما يصنع من الشوق والعشق فأنشد وجعل يقول :

أسيرا إليكم قاصدا لأزوركم ... وقد قصرت فى السير أيدى الرواحل
إذا مر عام لا أراكم فإننى ... أعلل قلبى زورة عنـــد قائل

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما أنشد كلامه وعبرته تزيد أذاه وغرامه فسار الصحصاح نهاره إلى أن أمسى عليه الليل فنزل عن جواده وأطلقه فى المرعى ونام على الصعيد فما استفاق من منامه إلا ونموره ثلاث هجموا عليه وصاحوا حواليه فمد يده إلى أحدهم فمسكه بيده لأنه ما لحق يجرد سيفه وضرب به الأرض قتله فوثب النمر الثانى إلى وجهه واهراه وسال دماه فمسك الصحصاح من خناقه بخلابه وقد غاب منه صوابه وضعفت قوته وإذا بالنمر الثالث قد وثب من وراء ظهره وعضه فى رقبته فغشى عليه وقد مسك بخناق النمر الذى هشمه فى وجهه فلم يتخلى عنه حتى خنقه وبقى الثالث فدق فى خصى الصحصاح فأهراه وقعش بيضه بأنيابه فغشى عليه ثانى مرة وأيقن بالوفاه وفتح عينيه وأيس من الحياة فرأى جواده جافلا وهو يصرخ وهو طالب نحو بنى كلاب وهو مثل المفقود فجعل الصحصاح يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله عليها خلقت وعليها أموت وعليها أبعث إن شاء الله وهو يعالج خروج روحه ويقول والله ما أسعى إلا على أولادى ظالم ومظلوم ثم نادى وقال يا رباه أقبل بوجهك الكريم إلى ولا تكون ساخطا على ثم قضى عليه ولحق بربه رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين فهذا ما كان منه (وأما ما كان) من ليلى ابنة عطا زوجته فانها لما سمعت من سعيد الوحيدى ذلك الكلام فلم يأخذها تلك الليلة منام بل باتت فى كرب وأوهام إلى أن أصبح الله بالصباح وانتظرت ذلك اليوم والثانى

فلم يأتى فلما كان ثالث يوم انتظرته فلم يأتى فهمت أن تمضى إلى بنى الوحيد تفعل بالصحصاح ما تريد فقال لها أبوها يا بنيه أنا أمضى وأكشف الخبر وأبصر هذا الأمر الذى ظهر وآتيكى بالخبر وجلية الأثر ثم ركب فى وجوه بنى كلاب وسار حتى أشرف على بنى الوحيد ورأى سرادق أمامهم واجتمع بأبو الجارية وسأله عن صحة الحال فأحضر وقت الصباح مشايخ الحله فحضروا إلى بين يديه وشهدوا له بما جرى من زواج الصحصاح وأنه تزوج ابنته وزوجته لا مخفى ولا مكتوم وهذا ولده مظلوم فقال عطاف مبارك يكون الرجل له الزوجه والإثنين والثلاثه والأربعة وغير ذلك مما اشتهى ثم أنه سألهم عن خبر الصحصاح فقالوا له والله أنه تركنا أمس وسار طالب الأمير غانم ومعه عبده نجاح فعاد الأمير عطاف بعد أن أضافوه بنى الوحيد (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عبده نجاح فانه كان قد سبق الصحصاح إلى عند الأمير غانم أعلمه أن مولاه عليه قادم ففرح وقد جهز له الضيافة وانتظروه ثلاثة أيام فلم ياتى ولما إن كان فى اليوم الرابع ركب الأمير غانم فى مائة فارس وساروا يقتفون أثر الصحصاح ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى الأجمه ونجاح بين أيديهم إلى موضع مولاه فلم يروا موضعه إلا أثر حوافر جواده وقد رأوا خرجيته التى كانت عليه فوق أثوابه مرمية فى ذلك المكان فانكر ذلك وقد فرق الأمير غانم الرجال فى الأجمه فعادوا وهم يتصايحون وقد سودوا العمائم وحملوا الصحصاح وهو قتيل مرمى فى الفلاة ووضعوه قدام الأمير غانم فلما أن رآه كاد أن تخرج روحه من بين جنبيه (وأما نجاح) فإنه لما عاين مولاه على تلك الحالة جعل يدق على صدره بالأحجار حتى مات رحمه الله تعالى عليهم اجمعين هذا وقد أمر الأمير غانم بحمل الصحصاح وقال لهم سيروا به إلى ولده الأمير ظالم فتناولوه وعبده نجاح وساروا به طالبين ديار بنى كلاب فكان عبورهم على بنى الوحيد (قال الراوى) فبينما بنى الوحيد فى خيامهم وإذا قد أقبل الأمير غانم والمائة فارس فخرجت بنى الوحيد ينظرون إليهم فعند ذلك أبصروا الصحصاح وهو على جواده مربوط فارميت بنى الوحيد عن بكرة أبيهم وأما أمامه فانها جرى عليها ما لم يجر على أحد (وأما ليلى) وبنى كلاب فانهم كانوا فى مضاربهم وإذا قد وصل اليهم الأمير غانم وأعلمهم بما قد جرى على الملك الصحصاح فتهتكت الحريم وتشمت الحاسد اللئيم وقد صلبوا خيولهم وقطعوا شعورهم وقد دفنوا ملك العرب الصحصاح بن جندبة الكلابى وقعد ولده ظالم للعزاء هذا وقد وصلت العرب من كل فج عميق وقد وثب رجل شاعر من بنى ذبيان يقول له خثعم فاشار يقول بعد الصلاة على الرسول .

من يجرنى من نائبات الخطوب · مستهاما فؤاده فى لهيب
عز عندى الهنا وانتقل الحزن · فوا لهف قلبى لفراق النحيبه
نحن ما بين زفرة والتهاب · وانتحاب ولمة لحبيب
عز وجدى على ابن جندبة الكلا · بى بدمع مستهل ومسكوب
يا بنى عامر والبدر قد غاب · بقرب الوجد عند الغروب
قدر رمانى الزمان ببين · حال ما بينه وبين الحبيب

(قال الراوى) يا ساده ياكرام هذا وقد أقاموا عليه العزاء عشرة أيام وأن أمه رمت روحها عليه ثم أنها بكت وأشارت تنعيه بهذه الأبيات .

أيا ولدى حقا أراك مؤيدا · وبدلت بعد المراتب بالقفر
أيا ولدى ما للخيول كأنها · حزانا عليك الآن تشكى الضر
أيا ولدى لا زالت دهرى بحسرة · عليك من الأيام مع طولها الدهر

(قال الراوى) وكان الأمير غانم بن زاهر حاضر فوثب على قدميه وبكا وأنشد وقال هذه الأبيات الحسان .

لو سكبنا نفوسنا عوض الدمع · على فقده لما كان غالى
لو شققنا قلوبنا فى عزاه · عوضا عن جيوبنا فى المثال
لو قدرنا على الدفاع دفعنا · ببيض القنا وسمر المعالى
لو يكون الفدا يقبل لفديناه · بارواحنا وسائر الاموال
غير أن الحمام ليس بمدفوع · بمال كلا ولا برجال
أين من كان قبلنا نافذ الأمر · مطاعا بالمال والأبطال
أين كسرى وقيصر الروم · والنعمان زالوا بسرعة الأثقال
هذا الدهر لا يزال مجدا · عاملا فى تغير الأحوال
يا فقيدأ قد أنفذ الناس جمعا · حسن الصبر فالتصبر غالى
جمع الله فيك مشاهد العقل · بما حزت لنا من جميل الفعال
كنت ليث الحروب فينا مهابا · عند ضرب العدا ببيض النصال
رحمة الله لا تزال على قبرك · موصولة بغير انفصال
وعليك السلام غير ملول · بل مشوق طول المدا غير سالى

(قال الراوى) فلما أن فرغ الأمير غانم من شعره بكا بكاء شديد وأبكى جميع

الحاضرين ثم قام من بعده الفقيه عقبةو بسط كفيه و بكا و ترحم على الصحصاح وختم دعاه وانفصلت الناس و تفرقوا وقد مضى كل واحد إلى وطنه هذا وقد قعد ظالم فى مرتبة أبيه ومضى الصحصاح كأنه ما كان بل ذكره ما ينقطع بطول الدهر والزمان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أم الصحصاح فإنها لم تزل فى بكاء ونواح وعويل وصياح مدة سبعة أيام ولحقت بربها ودفنت بجانب ولدها (قال الراوى) وقد مات الصحصاح وعمره ثمانية وثلاثون سنة تمام هذا وقد حزنت عليه العبادفى سائر الأقطار والبلاد وقد صار ظالم يجلس مكان أبيه فى عز وشأن ويحكم بين سادات القبائل والعربان وكان ظالم جبار من الجبابرة إلا أن الشجاعة لائحة بين عينيه والشجاعة شاهدة على عطفيه والشرر يقدح من عينيه وهيبته قد وقعت فى قلب من نظر إليه وكانت العربان قد اجتمعت عليه من كل جانب ومكان وعزوه فى أبوه وهنوه بما هو فيه وهو يفرق عليهم الأموال ويستميل قلوب الرجال وقد ورث أموال تعجز عن حملها الجمال وقد سمع أن الوحيدية تريد أن ترسل له أخوه مظلوم يطلب منه وراثته من أبيه فزفز ونخر وطار من عينيه الشرر وقال أن أتت به ذبحته على صدرها وأهتكت سترها وإن أبى ما كان له زوجة غير أمى ليلى ومن شهد بغير ما ذكرت ضربت رقبته (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وقد بلغ الخبر إلى بنى الوحيد ففزعوا ثم تباعدوا عن أمامه وأبيها وقد قل صبرها وخافت من تجبر ظالم فاحتسبت عليه بالملك العالم ثم أنها أقامت تربى مظلوم فى اليتم والبكا ليل ونهار وأقامت على هذا مدة من الزمان إلى أن جاء الأوان وأن ظالم قد جمع خمسة آلاف من العرب وساروا إلى دمشق ليجدد امارته من الوليد ولم يزل يقطع الأرض والبيدا إلى أن قارب دمشق والشام فسمع أن الوليد قد مات وولى بعده أخوه سليمان ابن عبد الملك بن مروان فصار ظالم بمن معه من العربان حتى وصل إلى دمشق وقد وصل خبره إلى الإمام سليمان وأعلموه أنه ولد الصحصاح فأمر أن تخرج أرباب دولته إلى لقائه فخرجت الناس إليه وقد تذكروا أبوه فترحموا عليه وكان دخوله يوم مشهود مصطلح وحضر بين يدى الخليفه فأحسن اليه وأخلع عليه وعلى أصحابه وقد كتب له المنشور بالولاية والامارة وسار ظالم إلى حالته وأقام بين أهله وعشيرته وتسامعت العرب بذلك فجاءوا إليه من كل مكان وكان مروان بن الهيثم قد مات وولى بعده على بنى سليم ولده عبد الله وكان ذو عقل وسداد فأتى إلى خدمته وقال لبنى سليم يا بنى عمى لا تركت موضع أبى ولا بد ما أعمل عملا حتى أعيد الامارة الى بنى سليم ونحن الآن نداری هذا الرجل حتى نرى لنا منه فرصة ونعيد الامارة الى أهلها

(وأما أم مظلوم الوحيدية) استجمعوا العرب واتوا اليها وأخبروها أن ظالم أخذ موضع أبيه فأشاروا عليها مشايخ الحلة وقالوا لها خذى ولدك اليوم واقصدى به الى أخيه ظالم وادخلى عليه وهنيه بالملك فلعله أن يحن على مظلوم أخيه ويعطيه بعض حقه ويوفيه (قال الراوى) ففعلت ذلك بل زينت مظلوم بكل ماتقدر عليه وكان له من العمر يومئذ خمس سنين وقد أتت الى ظالم ودخلت عليه ووضعت مظلوم بين يديه ثم أنها جعلت تبكى فقال لها ويلك مالك ومن هو هذا الولد فقالت له يا ملك العرب بحق النبي المنتخب لا تقطع ما بيننا من النسب ولا تخيب أملنا فيك والطلب شهدت لك مشايخ العرب فلا تخرج عن السنة والجماع واتبع الشريعة والطاعة فلما أن سمع منها ذلك قامت عيناه فى رأسه وقد لطم الصغير على رأسه كاد ان يطير أسنانه من فمه فوقع الى الأرض فقامت أمه لتأخذه فرفصها كاد أن يقضى عليها وقال لها ياذات الخنا لان عدتى الى ثانية لأذيقنه فقدك وأذبحنه على صدرك وأهتك سترك (قال الراوى) يا ساده ياكرام فعندها أخذته وخرجت وهى باكية تنادى يا رباه يا من هو بالأسرار عالم خذ لولدى حقه من أخيه ظالم ثم أنها بكت وانتحبت وأشارت تقول :

يا معشر العربان ما ثم ناصر ... لطفل صغير قد بلى بالمظالم
أما راحم يبكى عليه برقة ... وما أبيه فى خزائن ظالم
فإما يواسينا ببعض حقوقنا ... وأما يماشينا الى عند حاكم
فلى نصف ثمن المال عدا جميعه ... أشاطر ليلى فيه غير التقاسم
فإن دفعونا عنه فالله بيننا ... غداة اللقا يقضى برد المظالم
أتيناه نشكو حالنا ومصابنا ... فكان تذللنا الى غير راحم

(قال الراوى) فلما أن سمعوا منها بنى كلاب ذلك لم يبق منهم أحد الا ورق وبكا عليها وعلى ولدها وقد حزنت النساء على الغلام وسمع ظالم الأبيات فجرد سيفه وخرج وهو يهدر مثل الأسد وهو ينشد ويقول :

وحق رسول الله من آل هاشم ... ومن حج بيت الله من كل صائم
لأن عدتما تأتوا تريدون حبة ... ضربتكما فى القمتين بصارمى
ألا يابنة الصياح عودى بخيبة ... ولا تطمعى مظلوم فى مال ظالم
فهيهات أين الاعتراف بمثله ... يرجى رجاء أن يكون مقاسم

(قال الراوى) ثم ان ظالم طالبها ليقضى عليها فنعوه مشايخ بنى كلاب وقد رقت

قلوبهم للصغير مظلوم ورجعت أمامه الى بنى الوحيد وأخبرتهم بما كان وما جرى لها فجعلوا يترفقون وهى تربى ابنها الى أن كبر ومشا وتبع والده فى الفعل والعقل والبلاغة والملاحة والشدة والفروسية والنجدة والبأس والقوة لأنه ما كان ينزل عن ظهر الحصان فى الليل والنهار حتى اشتد عظمه وقوى جسمه فقال لأمه أريد حصاناً مليحاً يكون بحكمى وملكى فقالت له يا ولدى قد بقى لنا ثوب أطلس خذه يا ولدى بيعه واشترى ماأحببت (قال الراوى) فأخذ من أمه الثوب وأتى به لمشايخ بنى الوحيد فباعوه واشتروا له بثمنه خمس رؤس من الخيل وعشر جمال وخمسة من النوق ومائة رأس من الغنم وقد لموا له من بعضهم ألف مثقال من الذهب وقد أعطوه جميع ذلك فأخذهم وفرح مظلوم هذا وقد اكتسى الثياب من الفاخر وأولم وليمة عظيمة لها قدر وقيمة وأطعم الناس وصار فى كل يوم يركب الى الصيد وتركب معه فرسان الحى ويوسعوا معه فى البرية ويطردوا بالرماح الخطية هذا وقد اتفقت معه سائر الشباب وصار له منهم أصحاب واخوان ولم يزل الى أن اشتدت أوصاله وطاعوه أصحابه وقالوا له نحن معك وبين يديك ونفوسنا كلها فداء لعينيك لأننا ما نسينا فضل أبيك ولا نرى فى حينا طاعة لأخيك لأنه جبار غاشم وهو مثل اسمه ظالم وكانوا بنى الوحيد خمس آلاف فارس صناديد شجعان وكان الصحصاح يتقوى بهم على العرب الذين فى البطاح وكان فيهم دين وصلاح وأكثرهم قدر بى فى زمان الصحصاح (قال الراوى) هذا وظالم لما أن سمع أن بنى الوحيد قد أطاعوا أخوه وهجروه خاف على ملكه فقال والله قد غفلت عن هذا ابن الزانية حتى قويت حواسه وعظم بأسه ورفعت بنى الوحيد مكانه وعظموا شأنه ولا بد ما أضع السيف فيهم وأصلب هذا الذى يدعى أنه أخى من أبى مظلوم وأقام يدبر فى ذلك فوصل الخبر الى حى بنى الوحيد فاجتمعوا وقد أعلموا بما ضمر لهم ظالم من التهديد والوعد والوعيد فقال ياقوم أنا والله إن بدأت به قبل أن يبدأ بى ويعلم الله ما بى وهو أعلم بالمظلوم من الظالم وما بقى إلا قوة العزائم وإلا فتك فينا هذا الظالم الغاشم فقالوا له افعل ما بدا لك فكلنا مساعدون لأقوالك (قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم أنهم تأهبوا وساروا وهم فى خمسة آلاف فارس ومظلوم فى أوائلهم كأنه الليث العابس وهو يقول أنا أول من يأخذ نوق أخى وجماله لأنها من بعض حقى من أبى وان ركب إلى توكلت على الله فى إسكانه رمسه وأجعل يومه كامسه إن شاء الله تعالى ثم أنه سار وغار على أموال الظالم فأخذها عن آخرها فوقع الصوت فقال ظالم ويلكم ما الخبر فقالوا له أن مظلوم قد أتى فى سائر بنى الوحيد وقد أخذوا أموالك من المراعى وقال هذا بعض حقى فلما سمع ظالم ذلك الكلام قام مثل الأسد الغضبان حتى كاد أن يتمزق من

الغيظ والحرد وقال أحسنت والله يا ابن الزانية سبقتني إلى ما كنت اليوم أريد من إتلاف بني الوحيد ثم صاح في بني كلاب هنالك ركبت الفرسان الصناديد وغاصوا في الزرد النضيد وصاحوا يال كلاب ففي دون ساعة اكتملوا عشرة آلاف فارس أبطال ورجال قد ربوا مع ظالم ما فيهم إلا من هو قرينه إلا أنهم جهال أندال وأما مشايخ الحي المعروفين الذين كانوا مع الصحصاح قالوا والله لا خنا العيش القديم ولا مكنا هذا الجبان يظلم هذا مظلوم لأنه أشبه الناس بأبوه ولا بد ما نعينه عليه ونسأل منه ما خلف أبيه ثم أنهم ركبوا في خمسة آلاف فارس ما بين شيخ وعابس فوجدوا الرجال قد اختلطت بالرجال والأبطال قد اختلطت بالأبطال وهم يصيحوا وهو ينادى في بني الوحيد يا من يعلم ما تحت التخوم ويرفع سرادق الغيوم وزين السماء بالنجوم أنظر إلى ضعف هذا اليتيم المظلوم ثم أنه صار يحمل ويكف بني كلاب هو كانه أبوه القاطع الناطق في فعائله وشمائله هذا ولما أن علمت المشايخ هذه الأشياء وسمعوه وهو ينادى يال كلاب أين من يريد العهد القديم أين من يراعي الصحصاح وينظر إلى حال هذا اليتيم وينصره إلى هذا الظالم الغشيم هنالك أجابوه الخمسة آلاف فارس وقالوا له لبيك لبيك يا أمير ها نحن بين يديك وفي طوعك ونعينك على هذا الجمع الكبير وتعلم أن لنا ذلك الثواب الجزيل ثم أنهم حملوا على أصحاب ظالم وكان أكثرهم أولادهم فاستحوا من قتالهم لأجل ما أطاعوا الظالم وأخاصوا رب العالمين (قال الراوى) فلما أن نظر ذلك ظالم وقع به الا بنهار ونادى ايس هـــذه الفعال وقد تركت وتخليتوا عني وتريدوا تقاتلوا أولادكم وتعينوا هذا الولد الزنا فقالوا له والله ما هو ولد زنا ولا عنده شيء من الخنا وحاشا أبوك الصحصاح من هذه الفعال لأنه كان لا يفعل إلا الحلال على أن الخير كان نطق بين عينيه وإن شمائل أخوك كشمائله وعطفه مثل عطفه وكل مشايخ بني الوحيد قد شهدوا الزواج الذي أمر به صاحب المعراج فأخرج من حق مظلوم ودع عنك التعلل والاحتجاج والا دم العشيرة يجرى كالبحر العجاج ونهجر النساء والأولاد ونطيع الملك الجواد فلما سمع ظالم منهم ذلك الكلام عاد راجعاً والغيظ كاد أن يقطع أزياقه وقامت أوباره وقطر الدم من خناقه وشرار النار يتطاير من أحداقه هذا وقد رجعوا إلى نحو الشام وبكا مظلوم من شدة الوجد والغرام فسكتوه مشايخ بني كلاب وقالوا له لا تبكي فنحن نبلغك الأرب ولا يفرق بينكم في النسب ونجمع بينكما القبيلتين لأنك أنت قوة العين ونحن ما كنا سكوت عن حقك هذا الزمان إلا لكونك طفل صغيرا وكان أخوك ظالم الكبير وما دام أنك طلبت حقك فارجعت عن الشريعة ونحن لك وبين يديك إلى أن تنال الدرجة الرفيعة هذا ولم يأت

المساء حتى أنزلوه هو ورجاله وقد رثوا لحاله وما جرى عليه (قال الراوى) ولما أن استقر بهم القرار كلفوا ظالم أن يخرج من حقه وقسمه ولا يقطع من أبيه رزقه وقالوا له أرح نفسك من الطلب ولا تقطع ما بينكما من النسب وإياك أن تسن سنة مذمومة بين العرب وشد بأخيك مظلوم ظهرك فما هو أخ يشين بل والله يزين ومافى العرب إلا وشهد له بالخير والدين ولعلك سمعت قول رب العالمين اخباراً عن موسى وهارون وقوله عز وجل واجعل لى وزيراً من اهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى امرى واعلم أن الاخ هو احد الجناحين ولقد قال الشاعر حيث يقول

أخاك اخاك من لا أخا له … كساع الى الهيجا بغير سلاح

(قال الراوى) يا ساده ياكرام هذا ولم يزالو القوم يوبخوه باللوم والعقاب إلى أن لان وأجاب وقال لهم افعلوا انتم ما تريدون وتشتهون فعند ذلك نحرت العرب النوق والجمال وقد انصلح الحال واكثروا فى اليوم الثانى من الولائم وأتوا بمظلوم فقبل رأس أخيه ظالم وقد وقف له فى الخدمة فاستحسنوا العرب هذه الاخلاق وحسن الشيم وعلموا انه من الجود والكرم واجتمع الشمل واتت الافراح وذهبت عنهم الاتراح وفرحوا القبيلتين بصلح اولاد الصحصاح واقاموا كذلك اربعه أيام وثلاثة بعدها وهم فى اصطناع الولائم وفى كل يوم يعانق مظلوم بظالم وبعد ذلك اخرج ظالم لأخيه مظلوم مائة بيت من الأطلس والديباج وألف بيت من الشعر والسرادق الكبير الحرير الأحمر والأصفر وعشرة بغال محملة من الثياب الملكى المدثر وثلاث صناديق مصاغ وجواهر واموال وذخائر ثم اخرج له خزانة سلاح وقال له يا أخى هذا الذى بقى من مال ابى فاقسمها أنت كما تريد فقال له لا والله الملك المجيد يا أخى انت المولى وانا من جملة العبيد وكلما تيقظنى فهو سديد (قال الراوى) فعند ذلك قسمت مشايخ العرب الاموال كما امر الملك المتعال واتت أمامه ام مظلوم وأخذت نصف ثمنها وما حصل لابنها فكان ذلك مال عظيم هذا وظالم يذوب من الحسد ولا يقدر يبين لعشرته لأنهم أصلحوا الأمر له وبهم قد ساووا واصطلحوا صلح على فساد وبقيت الحزازات فى الاكباد وكان ظالم له زفرة من زفرات النار وكان مكار جبار وكانت اخلاقه مستترة مخفيه إلى ان تنفـــذ المشيئة الربانيه وياتيه الوقت المعلوم ويظهر القبائح وتكون عليه مقضيه وكان مظلوم حسن الخلق سليم القلب طريقته نقيه صادق النيه صاحب اخلاق مرضيه لأجل ما فيه من الودائع الخفيه وما يريد الله ان يظهر من ذات الهمة الزكيه المباركة النقية ويفتح صدقه

بشرطه عن الجوهرة العامرية والمرأة المجاهدة الحلاجلية المحامية عن شريعة خير البريه (قال الراوى) يا ساده ياكرام ثم انهم اقاموا مدة من الزمان وطلبوا الزواج كما امر صاحب المعراج فخطب ظالم جارية يقال لها ابنة عامر وقد خطب مظلوم ابنة سيار ابن يغطب الوحيديه وكانت من البنات المرضية هذا وقد حمل كل واحد منهم مهر زوجته إلى اهلها وطلبها فزفت عليه من ليلته ودخلا الإثنان بزوجاتهما فى ليلة واحدة هذا وقد انقلبت الدنيا من الولائم والذبائح ولعبت العبيد والاماء بالدفوف والمزاهر وفرحوا الأكابر والصغائر واقبلت أمراء العربان واقاموا كذلك عشرة ايام فى العيش الهنى ولم يتفرقوا الناس من عند اولاد الصحصاح حتى علقت زوجة مظلوم وظالم لما يريد الملك القادر العالم من اظهار الاميرة الحره (ذات الهمة) المرأة المجاهدة العاقلة (قال الراوى يا سادة ياكرام هذا وقد صارت الأشهر تنقضى والأيام والليالى تمضى وظالم فى قلبه نار السموم من الحسد لمظلوم وقد سار يستميل قلوب العرب وانتهى من النوبة الأولى وتندم إلى ان مالت قلوب الناس اليه وانعطفوا عليه وكثرت محبتهم لأخيه مظلوم لأنه كان كريم فهيم وكان من أهل القرآن والدين المعروفين بحسن اليقين هذا وقدالتمت اليه كبراء الحله وهم العقلاء والفطناء والفضلاء مع مظلوم وصاروا يميلون اليه واهل الشر مائله الى ظالم وكان ظالم لما رأى العرب تميل الى اخيه مظلوم ذاب وحل به المصاب فقال فى نفسه أناأعلم ان اخى يستميل قلوب الرجال بالزور والمحال وتسير له الناس من دونى وربما جفونى العرب وأبعدونى وذمة العرب لأقتلنه أشر قتله ولأمثلن به أقبح مثله وان لم افعل ذلك وإلا ما أنال بركه مادامت الامارة بيننا مشتركة فجمع الجهال واوباش الرجال الذين ما منهم الا كل زنديق أو شيخ قاطع طريق وقال لهم اعلموا أن أخى مظلوم قد استمال قلوب الرجال وبناموسه ملك الفضل والأدب وان لم تعينونى عليه ملك الأماره ومضت فى حسن عبارة فانى أريد منكم اذا رايناه على الغدير واجتمعنا تضربوا الى اصحابه بالسيوف وتكسروا منهم الانوف واول ما تبدءوا بأخى مظلوم وتقتلوه لانكم اذا قتلتموه وأنا معكم مايبقى احدايقدر ان يجرد سيفاً فى وجوهكم وترون بعد ذلك ماأعمل معكم فقالوا له اعلم انه لو امرتنا ان نكبسه فى بيته لفعلنا ذلك ثم انهم اتفقوا على ذلك الى الليل وقدأضمروا لى مظلوم الغدر والويل وكان لهم عادة يتمسون فى كل ليلة على الغدير مظلوم وظالم وسادات القبيلتين الى ان يمضى من الليل هجعه لان الكل نزول على ماء واحد والمسافة بينهم قريبة ولما كان فى تلك الليلة خرج ظالم وقومه متهيئين للشر وقوم مظلوم

من أهل الصلاح والخير إلا أنهم ما كانوا يخرجون إلا مستعدين من غير أن يوصيهم مظلوم لأنه كان سليم القلب وكانوا هم يخافون عليه من شر أخيه (قال الراوى) وما هو إلا أن تقاربوا حتى تصايحوا أصحاب ظالم وقد وضعوا فيهم السيف فرأى مظلوم هذا الحال فتأخر وقد مانعوا أصحابه عنه وعن نفوسهم بالصدام هذا وقد كثر فيهم ضرب الحسام واختلطت أهل الدين بأكل الحرام وفزعت النسوان والصبيان وركبت اليهم الفرسان وساروا إلى أن وصلوا إلى القبيلتين ودخلوا بينهم حتى فصلوهم عن بعضهم وقد علموا أن ظالم هو الظالم فلاموه وعنفوه وقالوا له ما الذى أحلك على هذا الحقود بعد الصلح والعهود والرضا والشهود فقال لهم قد جاءنى بعض العبيد وذكرلى أن مظلوم يريد عطبي فطلبت أنا أبدأ به من قبل أن يبدأ بى (قال الراوى) ولما أن سمع مظلوم ذلك الكلام حاف أن هذا شيء ما له علم به ولا دخل فى قلبه ولا خالطه فى سره ولبه ثم انه قال لقومه مضى ما مضى قام عذر أخى عندى وربما يكون هذا العبد الذى يسعى لخدمته حاسد لنا على ما أولانا الله من نعمته وما خلا جسد من حسد هذا وقد رجعوا القوم إلى الديار وفى قلب ظالم لهيب النار كيف ما يبلغ من مظلوم ما يختار (قال الراوى) فلما ان كان بعد ذلك بأيام جلسوا بين المشايخ الكرام فقال ظالم لمظلوم اعلم ان زوجتك وزوجتى حامل وأنت أمير وأنا أمير فاجعل الشرط بيننا ويشهدوا هؤلاء المشايخ علينا من جابت زوجته ولدا ذكرا كان الملك له والامارة من دون الآخر ويكون الأمر والنهى فى العرب له فقالوا مشايخ بنى الوحيد وترضى أنت بهذا الأمر فقال أى والله العظيم وان جاءنا ذكرين بقيت الامارة على حالها مشتركة بين الاثنين فشهدوا العرب بعد أن رضيوا بذلك الحد لأنهم تربية البر وهزلهم جد هذا وقد عاد كل واحد منهما إلى زوجته وقال لها ابصرى كيف تعملين فقد حصل من الأمر ما هوكذا وكذا فقالت المرأة مالى فى هذا الأمر تدبير لكن الذى يرزق به الخالق نحن به راضيين ولا نخالف أمره (قال الراوى) وبعد حين أخذا المرأتين الطلق بإذن خالق الخلق فوضعت زوجة ظالم ولدا ذكرا كأنه فلقة قمر ففرح به واستبشر وقد سماه الحارث وقال للداية اذهبى وكونى فى بيت أخى فإنى أخاف أن يكتمون ما يرزقون عند الولادة من خوف الشهادة فقالت له دع عنك المنافقة والشين كيف يكون هذا وأنتم أخوين فقال لها دعى عنكى هذا الكلام واذهبى إلى بيت أخى بسلام فإنكى إذا حضرتى عندهم ما يقدروا يخفوا أمرهم وأنا ما أثق إلا بكى ولا أعتمد على أحد سواكى فعندها ذهبت الداية إلى بيت مظلوم

وكانت تحبه أكثر من ظالم لما فيه من الدين والخير وجودة التمكين فلما ان دخلت قالت لمظلوم اعلم ان أخاك قد بعثنى اليك لأجل كذا وكذا ثم انها جلست ساعة وزوجة مظلوم تطلق فولدت جارية كأنها البدر قوية السواعد والأطراف هائلة الأكتاف فوقعت على أمها الخمدة والهموم والغموم وقد فزعت من زوجها مظلوم فقال لها وعسى أخلى عن الامارة بحسن عبارة وان شئت قبلتها وتقول للعرب والسادات قد جاءنا ولد ومات فقالت الداية يا قوم لا تفعلوا هذه الداهية وتدخلوا فى خطيئة هذه الجارية واقبلوا رأيى واعطوها لبعض امائكم واوهبوها شيأ من أموالكم حتى تربيها لكم ولا تتأسفوا عليها ان تشم الهوى فى دار الدنيا وربما أن يكون لها سعادة تحمدوا عاقبتها لأن الواحد المنان أسعد مريم ابنة عمران وقد جعلها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم فى الجنان وأما أنا فوحق المضطجع بيثرب انى أقول لسائر العربان ان زوجة مظلوم ولدت ولدا ذكرا ومات ودفناه ومات الذى مات وان ظالم يثق بقولى وأنا أمينته فى قولى وفعلى (قال الراوى) فقال لها مظلوم افعلى ما بدا لك فإنى موافق لأفعالك ثم أنه استدعى بأمة له باذلة تركية قد خدمت الملوك والأمراء بحسن اعتقاد ونية وهى يقال لها سعدى ولها ولد على الرضاع قد سمته مرزوق فسلموها اليها وأوصوها بكتمان أمرها ولا تطلع أحداً على سرها هذا وقد عادت الداية إلى ظالم وقالت له أبشر بالفرحات فإن أخاك قد جابت زوجته ولداً ومات فقال لها وإيش فى هذا من البشارة فقالت له تكون أنت بالبنين وغيرك انفرد بلا ولد يذكر ففرح بقولها وقال لها ماكان الشرط بيننا على الموت والحياة وإلا كنت قد أخذت الامارة دونه (قال الراوى) هذا وقد واظبت أم مرزوق فى رضاعة الجارية وسرها مكتوم وكانت سعدى تأتى بها إلى أمها سرا فى الليل فترضعها وتحن عليها وقد سمتها فاطمة هذا وأبوها مظلوم لا يقربها ولا يشتهى أن يراها لأن البنت مكروهة بين الرجال ولا سيما بإزالة نعمة. هذا وفاطمة تتربى وتنتشر والحق ينفذ فيها أمره إلى أن صار لها من العمر خمس سنين وهى فى قدر من لها عشر سنين وقد أعطيت من الزكاء والأفضال ما يزيد عن الحسن والجمال فسبحان من خلقها على هذا المثال (قال الراوى) ولما ان دخلت فى سادس سنة حمل أبوها همها وخاف من فضيحته فيها وهى لا تظن ان لها أم غير سعدى وفى بعض الأيام وصلت الأخبار إلى ظالم ان بنى طى قد جمعت قبائلها واستنجدت بعرب اليمن عن آخرها ويريدون أن يقصدون أرضكم ويغزوكم لأجل ما لهم من الدماء عليكم من عهد جدك جندبه فما أن سمع ظالم ذلك صعب

عليه وقال لقد منت بنى طى نفوسها بالمحال وهذا يكون سبب هلاكها من بين الرجال أتظن بنى طى أن الصحصاح قد مات ثم أرسل إلى خلف أخوه مظلوم فلما ان حضر أطلعه على ذلك فقال له يا أخى لاتغتم عند ملتقاهم ولا تحمل هم فنحن أيضا نجتمع ونلقاهم ونتوكل على الله عند ملتقاهم ثم انهم قد جمعوا بنى كلاب وبنى الوحيد وتشاوروا فاتفق رأيهم على السير اليهم وهم فى ديارهم (قال الراوى) فتجهزوا وساروا وأما ظالم فانه قد سار وهو مقدم بنى عامر وبنى كلاب ومظلوم بعده مقدم على بنى الوحيد وما زالوا سائرين وهم يقطعون البيداء إلى ان وصلوا إلى حى بنى طى فوجدوه خالى من الفرسان ما فيه إلا الأولاد والعبيد والنسوان والغلمان فتبادروا ونهبوا الأموال والحريم والعيال وقد ساقوا الجمال والمواشى بعدد الرمال ورجعوا قاصدين ديارهم والاطلال (قال الراوى) وكان السبب فى غياب بنى طى انهم قد اجتمعوا وساروا الى بنى كلاب فتحالفوا فى الطريق وقد ساروا بجموعهم الى الحى فرأوه خالى من الشيوخ والشباب فهتكوا النساء والبنات وملكوا الهوادج والحلل وعادوا فرحين ببلوغ الامل وانقسموا قسمين وافترقوا فرقتين فرقة ساقت الجمال والعبيد والاماء وفى الجملة أم مرزوق والجارية فاطمة بنت مظلوم والفرقة الثانية ساروا بالحريم والصغار والبنات الاكابر وقد سار كل فريق منهم فى طريق فالتقت بنى كلاب ومظلوم وظالم فى ظلام الليل ببنى طى وتعاركوا وتصارخوا وتواقدوا وتكافحوا ودارت بينهم طاحون الحرب واختلف بينهم الطعن والكفاح وتصادموا الابطال والرجال فى الدجا وانقطع الامل والرجا وأرملت النساء وخسر من خسر وأسى كل خصم على خصمه وقسى ومنى الشجاع نفسه بلعل وعسى وعملت الصوارم فى الأبدان والمعاصم وفترت المعاجم وأنسبت المكارم ونادت بنى طى يالثارات الغطريف هذا ولم يزالوا الى أن أصبح الصباح فقاتل مظلوم وظالم فى بنى طى وقد قتلوا أبطالهم وخلصوا منهم أموالهم وعيالهم وانهزموا بنى طى من المعمعة ورجعت بنو كلاب تطلب ديارهم ومعهم من الأموال أضعاف ما أخذلهم (قال الراوى) ولما أن وصلوا الى الديار فقسموا الأموال بين الفرسان والشجعان ونزلوا فى الأوطان ولقد حزنت أم فاطمة على ابنتها لما ان فقدتها وأما مظلوم فانه خف عنه ما يجد من الهموم وقال مضت ابنتى ولم يعلم أحدا ببليتى ولا عرفوا ان لى ولدا ولم يعزونى فيه الابد (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من فرقه بنى طى الذى سارت بالجمال والأماء والعبيد والرجال فانها سلمت وما زالت سائرة وهى طالبه ديارها ومعهم

الأماء سعدى وفاطمة ومرزوق وهم يظنون أنها بنتها فقالوا لها ما اسم ابنتك فانها غير خلقتك لانكى لستى لها بشبيهة فقالت لهم انها ابنتى ولكن مالها اسم خفيف فسموهاأنتم ما تريدون وادعوها بما شئتم فقالوا نسميها شريحة فقالت لهم الأمر اليكم وأنا وهى فى جواركم اليوم فلما ان سمعت فاطمة ذلك ولم يكن لها صبر على الذل فقالت لسعدى أسكتى عن هذا الكلام وإلا وذمة العرب الأجواد وحق رافع السبع الشداد باعث من فى القبور والالحاد قتلت نفسى بيدى لاننى ما أنا جارية ولا خادمة وكيف يجوز للعبد أن يخدم عبد مثله قال وكانت تشد البرقع على وجهها بخلاف زى الأماء فما كانت الشمس تراها ثم أنها قالت لسعدى لئن رجعتى إلى مثل هذا قتلت روحى وأنا ماأخدم الاالبارى جل وعلا ولا بد لقومنا أن يخلصونا من النوائب ويرمون بنى طى بالمصائب ثم أنها بكت وأنشدت تقول بعد الصلاة على طه الرسول ·

ستعلم أهل البغى بين الأعارب ... اذا ما ضربناهم بحدا القواضب
يودون أنا ليس يذهب تارنا ... اذا ما اتيتهم خيلنا كالسلاهب
وحق النبى المصطفى خير خلقه ... من الناس جمعا تركها والأعاريب
لئن لم يردونا الى نحو قومنا ... كراما عزازا بل حسان المناسب
والا يروا من قومنا مالا يسرهم ... ويسقوهم بالضرب كأس المعاطب
فلا أصاحن الدهر من كان ذابا ... ولا كل مخلوق الكلام بكاذب

(قال الراوى) يا ساده يا كرام هذا ولما أن سمعوا أهل الحى منها هذا الشعر والنظام قالوا وحق ذمة العرب ما هذا الا قول بنت عربى شجاع وبطل مناع وانهم لما فرقوا القوم تفرقوا المال والعبيد والأماء فوقعت فاطمة هى والأماء سعدى ثم ولدها مرزوق فى قسم امير يقال له الحارث بن مشير وكان نازل بأرض يقال لها الايله فسار بهم ونزل بأرضه وقد ترك سعدى وابنتها ترعى الجمل والخيل بعد أن أكرمها غاية الأكرام وكانت الجارية فاطمة تخلو بنفسها وتركب الخيل وتتعلم وحدها الكر والفر والنزال والطراد وقطعت ورق الشجر والقصب وتتعلم المرافعة والممانعه واذا عصى عليها الفحل من الإبل تصيح عليه فترجفه ثم تتعلق برفيقه فترده وتوقفه والعبيد يتعجبون منها وكانت فاطمة قد قامت لحب ربها وأرمت الدنيا عن قلبها وصارت تصوم النهار وتقول الله حتى شاع خبرها فسميت شريحة العابدة ولما أن رأوا صلاحها اذ خلت بنفسها أحبوها القوم وكانت غارقة فى عبادة ربها وتنشد فى الزهد وتقول :

نحن نطوى الأيام بالجهد منا وهى فى حال طيها تطوينا
فافعل الخير ما استطعت طباعا قبل أن تضحى بما فعلت رهينا
قبل تعرض غدا على خالق الخلق لعل تنجو وتكن من الفائزينا
أين عاد وثمود وأين تبع ومن ملك الأرض أصبحوا هامدينا
لا يغرنك المحاسن منها كم وجوه سارت على الطاين طينا
ليس ينجو من الحساب كريم قد غدا محسنا من المحسنينا
لا يوقا من العذاب سوى من ان بكا من ذنوبه محزونا

(قال الراوى) وهى من حياها وما أعطاها الله تعالى من الجمال قد شدت البرقع على وجهها كما ذكرنا وقد ألبستها الأيام ثوب الجمال والكمال والفصاحة والمقال الى أن بقت كالشمس المضيئة وقد اكتمل لها من العمر سبع سنين هنالك طمحت بنظرها الى الفرسان وهم يتطاعنون فى الميدان فاشتغلت بذلك همتها من شدة حميتها ونخوتها وسارت تقطع أصول القصب الفارسى وتركب من خيول مولاها فى بعض الأيام فهى على عادتها فى المرعى اذ أشرف عليها فارس من فرسان بنى طى يقال له قريح بن قابوس الطائى وكان فارسا شجاعا لا يبالى بالرجال ولا بكثرة الأبطال فبينما هو سائر ذات يوم فرآها فى المراعى فدنا منها وجعل يتعرض لها ويداعبها ثم يراودها عن نفسها ويطلبها ويثقل عليها فلما ان تحققت ذلك منه نفرت أوداجها وكثر انزعاجها وصاحت فيه اذهب لا كنت ولا استكنت يا نذل العرب فلح عليها فسبته وشتمته وكلمته بأغلظ كلام ولعنته فانصرف عنها وفى قلبه من هواها أمر مبرح هذا وقد انصرفت إلى بيت مولاها الحارث فرآها وهى باكية العبرة ثم تنفخ كأنها الحية البترة فقال لها يا فاطمة ما وراكى وما الذى دهاكى قالت له يا مولاى قريح بن قابوس قال لى كذا وكذا وقد طلب منى الفاحشة والأذى فانهاه عنى وإلا هلكته وقتلته وعلى الأرض جندلته فصعب ذلك عليه وسار إلى قريح بن قابوس وقال له وكان جالسا بين جلسائه وقال له يا قريح إن أمتى فاطمة قد أقبلت إلى وشكت منك الخنا وتذكر أنك طلبت منها الفاحشة والزنا فإياك أن تعود فتسكنك رمسك وتلحق يومك بأمسك فإن كنت تريد فأمهرها وتزوج بها (قال الراوى) فلما أن سمع منه قريح ذلك الكلام قال له يا حارث لا كرامة ولا عزازة أتريد منى أن أتزوج بأمتك لا كان ذلك أبدا ولو سقيت كأس الردا وأنا من اليوم ما عدت أخاطبها فرجع الحارث إلى منزله وقد أخبر فاطمة

بالمقال ولما أن كان من الغد خرجت فاطمة وقد جمعت المواشي وسارت المراعى وهى طيبة القلب بما أخبرها مولاها وبعد ساعة أقبل قريح وقد زاد فى حبها فقال لها يا لخنا شكيتيى لمولاكى أتظنيني أنى أخشى منه أين هو الساعة يخلصكى منى فقالت له يا ويلك اذهب عنى وقد رجمته بالحجارة فانصرف وهو يقول والله لا بد منكى فعادت لبيت مولاها وهى ترتعد مثل السعفة وقالت يا مولاى قد عاد اللئيم وتعرض لى اليوم وإن لم ينتهى أخذت رأسه وأخمدت أنفاسه (قال الراوى) فلما ان سمع منها مولاها ذلك عظم عليه وكبر لديه وقال فى نفسه هذا جاهل وهذه حرة وصاحبة نخوة وحمية والرأى عندى أنى أعلم الملك بالأمر على جليته فأتى إلى الملك وقال له أيها الملك إن أمتى فاطمة قد شكت إلى من قريح بن قابوس وإننى أخاف أن يلح عليها فلما أن سمع ذلك منه بعث اليه وأحضره وقال له يا قريح مالك وأمة هذا الرجل لا تتعرض لها يكون دمارك أو تزوج بها والا أخمدناك فقال أيها الملك إنما كان ذلك منى ملاعبه وإلا فما نفسى لها بطالبة وكانت فاطمة حاضرة فقالت يا مولاى ان عاد من اليوم يتعرض لى قتلته فقال لها الملك يا داهية ان بقا يتعرض لكى شأنك واياه فقالت سمعاً وطاعة وانصرفت وقد باتت ليلتها فلما ان كان من الغد خرجت الى المراعى على جرى عادتها وسرحت مع الجمال والرعيان حتى علا النهار واذ اقبل قريح وفى قلبه لهيب النار وتحته جواد من خيار الخيل كأنه من سواد ظلام الليل وهو مدلل بشجاعته وقوته فطلبها بالجواد فلماأن رأته قاصدها هربت منه وسارت بين يديه وقد أخذت فى عرض البرية وقد رأى عزيمتها فطمع فيها وركض بجواده من ورائها وهى تجرى أمامه حتى غابت عن الرعيان فلحقها فلما ان صار بالقرب منها أقبلت بوجهها عليه وقالت له يا مولاى ما حملك على هذا اللجاج فقال لها هواك وشكواك لمولاكى فقالت له والله أنا مامنعتك عن نفسى بغضة فيك ولكن خفت أن تنال منى غرضك فتقطع بقلبى ولا يكون لى اليك سبيل فأموت بحسرتى وأهلك بلوعتى فإن كنت لا تخون فأنا أمكنتك من نفسى وها أنا بين يديك ولا أبخل بروحى عليك (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما ان سمع كلامها لانت حميته وانكسرت همته فقال لها معاذ الله ان يكون ذلك وهل يمكن الإنسان ان يبعد روحه عن جسده ويذوق الآلام ويتخلى عن ذلك الجمال فقالت له ان كان الأمر كذلك فاعطنى يدك انك لا تغدر بى وها انا بين يديك بطيبة قلبى ففرح بذلك وقال لها هذه يدى فدنت منه وتناولت يده وتمكنت منه ثم جذبته بقوة ساعدها واذا به ملقى على الأرض فوقع سيفه من جفيرة عرض فتناولته اسرع من البرق وضربته به

قبل ان يقوم من الأرض على راسه فنزل السيف الى صدره فلطم الأرض بيديه ورجليه ساعة وقد خمد حسه فنظروا الرعاة إلى ذلك والجواد شارد فأتوا إليه فرأوه قتيل وفى دماه جديل فنادوا بالويل الطويل وقد شالوه على جواده وساروا به إلى الحى وعادت فاطمة لبيت مولاها وهى تنفخ كالأفعى فقال مولاها مابالك وما دهاكى ياداهية النفوس فقالت يا مولاى إنى قد قتلت قريح بن قابوس (قال الراوى) فلما أن سمع مولاها منها ذلك الكلام ضاقت عليه الدنيا وأيقن بالرداوزاد فى الاهتمام وقال لها يا لخنا أرميتينى فى البلاء يا بنت اللئام ثم أنه قبض عليها وطلب بها أبيات ملك الحى وقال له يامالك من هذا كنت خائف مستهام واعلم أنه جرى من الأمر كذا وكذا فتعجب الملك من ذلك وقال له لا خوف عليك ولا عليها فجاءت إخوة قريح اليه وهو معهم قتيل وقالوا له من قتل أخانا من أهل الحى وكانوا قد سألوا من العبيد عمن قتله فقالوا لهم قتلته داهية بنى طى فعندها أشهروا سيوفهم وطلبوا مولاها يسقوه كأس الردا لأن العرب مذهبها إن العبد إذا قتل حرا مايفاديه إلا مولاه فلما إن عزموا إخوة قريح على قتل الحارث قيل لهم إنه التجأ إلى سيد القبيلة فأتوا الى الملك والحارث عنده كما ذكرنا وقالوا من المقال ثم قالوا يا حارث نريد منك دم أخانا فقال لهم خذوها هى قاتلة فاقتلوها بثاره فقالوا له نحن مابيننا وبينها دم مسكوب ولا قل مطلوب وماقتلته الا برضاك هذا وقد زاد بينهم الكلام ثم أنهم انقسموا فرقتان وصاروا شطرين شطر مع اخوة قريح وشطر مع الحارث ولم يزالوا كذلك حتى حكموا المشايخ أن يؤدى ديته الى اخوته ألف بعير وعشرون رأس من الخيل وعشر دروع وعشر سيوف وعشر رماح (قال الراوى) فحمل له جميعها ولم يبق له ساعية ولا راعية وقد طابت قلوب اخوة قريح بالمال بحكومة المشايخ لكن القوم أيقنوا بأن الحارث يقتل فاطمة فلما انفصل الأمر دخل عليها مولاها وهى مربوطة بالسلاسل وبيده سوط من جلد بعير مدبوغ وقال يا لخنا قد كنت ميشومة على ولقد أفقرتينى والفقر يضر بحالى ولم يبق معى ما أطبخ به وأسد به أكلكم وهم أن يضربها فقالت له يا مولاى لا تعمل على واسمع منى ما أقول فقال قولى فقالت له على ان أحضر لك ما غرمت من المال وهو ان تعطينى جواد وسيف وخوذة ودرع وحجفة ورمح واجعل ذلك بجملة ما اخذ منك فقال لها وما تصنعين فقالت اركب الجواد والبس العدة وأخرج وآتيك بأموال العرب واعلم اننى قادرة على اموال العرب وحرب الرجال ومكينة من اخذ مهج الأبطال والله لآتينك باضعاف ما غرمت من اجلى فعند ذلك اطلق سبيلها

واتى إليها بماطلبت فغاست فى العدة وقد تلثمت على البيضا بعد ان تعممت وسارت وقد تبعها مرزوق عبدها وسارت فى تلك الأرض سبعة ايام حتى اذا كان اليوم الثامن اشرفت على ارض خضرة نضرة كثيرة العشب والنبات تتجاوب فيها الاطيار بسائر اللغات فسبحان من زانها وانشاها وبتلك الأزهار قد كساها وفى جنب تلك الأرض اموال ومواشى سارحة مع الرعاة يكاد ان ينشق شحمها ولحمها لخصب الأرض وكثرة المياه وكانت تزيد عن الف ناقة وجمل ومن الخيل والغنم غير قليل والعبيد فى غاية الامان (قال الراوى) وكانت هذه الاموال لفارس من فرسان العرب يقال له ضرمه بن ضرغام السعدى وقد انفرد فى تلك الارض بنفسه وكان يعد بالف فارس فلما ان نظرت فاطمة الى تلك الاموال فرحت فرحا شديدا وحملت على العبيد واحتوت على الاموال جميعها هذا وقد ساقت العبيد والاموال قدامها وكل منهم يظن انها رجل من الرجال وبطل من الابطال فقال لها احدهم يا غلام اعلم ان اجهل الناس من سلك غير مسلكه وطلب مالا يدركه اتدرى لمن هذه الاموال هذه اموال ضرمه ابن ضرغام السعدى وهو البلاء الذى لا يصرم والقضاء الذى لا يرد فامضى الى حال سبيلك ولا تتعرض بنفسك الى المنية فتهلك وتبقى فى الرزية (قال الراوى) فلما ان سمعت كلامه عطفت عليه وقد ضربته بالسيف على عاتقه خلع السيف يلمع من علائقه فوقعت هيبتها فى قلوب الرعاة وهابوها فساقوا الاموال قدامها وسارت فبينما هى سائرة واذا بصرخة عظيمة جسيمة فتأملت ذلك واذا هى بفارس قد غشيها كانه طود أو بعير حل من قيود بهامة هائلة واحداق كالمشعل وقد انقض عليها كانه الليث او نزول الغيث فعلمت فاطمة انه ضرمه صاحب المال فعطفت نحوه وهاجمته ولاقت وتعرضت له فقال لها ويلك يا غلام لقد قدمت على امر عظيم اذهب بروحك ودع عنك الطمع ولا تخاطر بنفسك تقع فلم ترد عليه جواب ولا خطاب دون ان هجمت عليه وصرخت فيه اذهلته وقد طعنته فى صدره اطلعت السنان يلمع من ظهره فوقع على الارض يخور فى دمه فتركته وهجمت على الخيام والمضارب وقد نهبت ماوجدت من الأموال ولحقت بأخيها مرزوق وسارت تطلب الاطلال ولم تزل تطوى الارض فى الطول والعرض حتى انها وصلت الى ديار بنى طى فنظرت الرعاة الى اموال قد ملأت الارض فى طولها والعرض فتأملوا من اين هذه الاموال واذا هى مع فاطمة فقالت لها الرعاة قد اقبلت داهية غانمة فتبادروا الى الحارث وهنوه بقدوم امته عليه وماوصل معها وما اتصلت اليه ففرح بذلك فرحا شديدا وركب وخرج للقائها (قال الراوى) فلما ان وقعت عينها عليه ترجلت له واقبلت عليه

وقد قبلت ركابه وقالت له يا مولاى ان كان اخذلك الف ناقة فهذه اربعة آلاف ناقه وجمل ومعها من الاسلاب والعبيد والاماء والدواب ما يملأ الرحاب فتعجب من ذلك وقد احتوى على المال وسار به الحارث وتحدثوا الناس بفعلها وعجبوا من اعمالها فقال لها مولاها من اين اكسبتى هذه الاموال والنوق والجمال فقالت يا مولاى هذه اموال ضرمه بن ضرغام السعدى وقد قتلته بقوة ساعدى فاستعظم فعلها واستهول قتالها وعلموا الناس بذلك فتمكنت فعالها وهيبتها منهم هذا وقد ظهر اسمها وكثرت سمعتها وخف اسمها على السنة الناس فصاروا يسمونها ذات الهمة وصار لها مضارب وخيام وقد أقامت بعد ذلك عشرة أيام ودخلت على مولاها وقد غصت فى عدتها وأخذت للسفر اهبتها فقال لها مولاها إلى أين يا فاطمة فقالت له يا مولاى قد عزمت على الغزو وتحصيل الغنيمة فقال لها يا بنتى إياك والتعرض لأموال العرب فما كل وقت ينجح الطلب فقالت يا مولاى لا تخف على أمتك فانها لا تبالى بالرجال ولا بكثرة الأبطال ثم أنها ودعته وخرجت من عنده وركبت جوادها وسارت ومعها مرزوق وهو أخوها من الرضاع ولم تزل سائرة تجد السير سته أيام وهى تقطع الربا والآكام وفى اليوم السابع أشرفت على مرج واسع ذات مياه ومنافع ومروج ومواقع وقد سمعت رغاء الابل وصياح الغنم والاماء والعبيد فهزت الجواد فخرج من تحتها كأنه الريح الهبوب حتى صارت فى وسط المرج فنظرت إلى الاموال وهى تسرح والنياق تمرح وقد رأت العبيد والموالى يمرحن فى الرياض فحملت على الأموال كيما تحويها برمحها فصدمتها العبيد وقالوا لها أيها المغرور عرضت نفسك للحمام أما علمت لمن هذه الأغنام اعلم أن هذه للفارس الضرغام مجندل الفرسان حسان بن جعفر (قال الراوى) فلما سمعت من العبيد هذا الكلام رمتهم شذرا ونظرتهم حقرا ونذرا وقالت يا ملعون ومن هو حسان لا كان ولا استكان وقد ضربت العبد على عاتقه أطلعت السيف من علائقه فعندها طلبوا الرعاة الأمان فقالت لهم كونوا لى غلمان فإن لحقوا بى أصحابكم وأخذوكم من يدى فما يضركم شيء وان نصرت فكونوا طائعين أمرى ففعلوا أن كلامها حق ولفظها صدق فعندها ساقوا المواشى قدامها وما فيهم من عصى لها مقال فتأملت فى جملتهم عبد صبيح الوجه والكون صافى اللون فقالت له ما اسمك فقال لها مبارك فقالت مبارك إن شاء الله تعالى اركب يا مبارك من هذا الخيل وتولى سوق المال والرعاه وسوق بهما قدامى فى الفلاه فقال لها السمع والطاعة ثم أنه ركب جواد من الخيل الجياد وصاح فى العبيد سوقوا الأموال والنوق والجمال فهجوا بالسير وإذا

بفارس قد أقبل كأنه القضاء المنزل وهو ينادى إلى أين تذهب يا اخس العرب وأخس من ركب سرج وقتب أى سماء تظلك وأى أرض تقلك أتظن أنك تسوق الأموال وتروح سالما من الردا لا كان ذلك أبداً لقد ساقك القدر على رغم أنفك لصرعك (هذا) وفاطمة لا تلتفت له ولا ترد عليه ولم تزل كذلك حتى ناداها مرزوق غشيك الفارس هنالك فركبت عنان الجواد فحمل عليها وقد . طعنها طعنة هايلة فسحبتها على طرف جحفتها وقد طعنته فضيعها أيضاً ولم يزالا يتطاعنا بالرماح حتى علا عليهما النهار ودارت الأفكار وتكسرت الرماح وامتشقت الصفاح وتجالدا وتباعدا لأن الداهية انقلبت عليه فأدهته وضايقته حتى التصق الركاب بالركاب وشارت إليه بضربة من حسامها وقد طلبت بها رأسه فرفع الجحفة يستتر بها رأسه فأقبلت يدها أخف من الهواء وضربته على صدره طلع السيف يلمع من ظهره فوقع إلى الأرض شطرين وانقسم نصفين فلما أن رأت العبيد والعبد مبارك ذلك وقعت الهيبه فى قلوبهم وارتعدت فرائصهم ثم أنهم أقبلوا عليها وصاروا يقبلون يديها ورجليها فصاحت فى العبد مبارك سوق المال وقد شتمت العبيد والموالى (قال الراوى) يا ساده يا كرام فقالت لهم الداهية اهجموا بنا يا بنى حام بقية ليلتنا فى موضعنا هذا إلى أن يطلع الصباح فقالوا لها سمعا وطاعة ثم أنهم نزلوا واضرموا النيران وعقروا من الأغنام هذا وقد نزلت الداهية فى موضع عالى وترجلت عن جوادها فأتاها واحد من العبيد ومعه شيء من الزاد فأخذت بعضه وقالت له اذهب إلى أصحابك وقد تقدمت إلى الزاد وأكلت على حسب الكفاية وشربت قليل من الماء ونامت حتى مضى من الليل الثلث واستيقظت وسيفها مسلول بين يديها وأخوها مرزوق يحرسها خوفا عليها ولما ان أفاقت من المنام جعلت تحادثه والخدم والعبيد إلى أن ذهب من الليل ثلثيه فنهضت ودخلت فى لامة حربها وشدت جوادها ونادت فى العبيد بالمسير بقية الليل فساروا بين يديها وسارت تقطع البرارى والقفار إلى أن وصلت إلى أرض بنى طى ونظرتها الرعيان فدخلوا الحى وأعلموا الناس بقدومها فرفعت الزعقات وخرجوا لها جميعا وشاهدوا بنو طى ما معها من الأموال ما يحير الناظرين فذهلوا من فعالها وقد خرج الحارث إلى ملتقاها وهو مولاها وهو لا يصدق أن يراها فما نظرته ترجلت وسلمت عليه فرد عليها السلام بأحسن رد وسار بين يديها لابياتها فنزلت المال وقسمت الأموال شطرين فحمل لمولاها النصف وتركت النصف الثانى لنفسها وضربت لها الأبيات والقباب العاليات وقد صفت الخيول على الطوالات فقال لها مولاها يا بنية من أين هذه الأموال فقالت له يا مولاى هذه أموال حسان بن

جعفر الفزارى (قال الراوى) فلما ان سمع مولاها منها ذلك الكلام وقعت هيبتها فى قلبه وقال فى نفسه الرأى عندى أن أتزوج بها وأعيش برأيها هذا وقد نظرت العرب من بنى طى إلى نجابتها فانضافوا اليها جماعة وصاروا يركبون لركوبها وينزلون لنزولها وقد شاع خبرها فى جميع الآفاق وسار بحديثها الرفاق واحترزت منها العرب ودخل فى قلوبهم الرعب ولم تزل تأخذ فى الغارات وتنهب أموال السادات وتغار على القبائل وتهجم على الأموال والمناهل حتى أغنت مولاها بالأموال وضربت بها الأمثال (فلما أن كان) فى بعض الأيام وقد أصبحت جالسة على باب مضربها وإذ بمولاها أقبل عليها ومعه وجوه بنى طى فلما ان نظرتهم أقبلوا اليها نهضت لهم قائمة على قدميها وقد استقبلتهم بالترحيب والبشر وعقرت لهم ثم فرحت بهم فلما ان أكلوا ناداها مولاها فأقبلت عليهم وقالت لهم يا سادات بنى طى هل من حاجة فتقضى أو وسيلة فتمضى فقال لها مولاها يا بنيه ان فى قلوب بنى طى من بنى عامر وبنى كلاب حزازات لا تخفى ونيران لا تطفى لأنهم قتلوا ساداتنا وأبادوا أبطالنا وحماتنا وقد سمعت بما تفعلى وقد سمح الزمان لنا بمثلك وصار لنا الفخر على العرب بفعلك ونريد تجعلى غاراتنا وغزواتنا إلى بنى عامر وبنى كلاب فتأخذى لنا بالثار وتكشفى عنا العار (قال الراوى) فلما ان سمعت كلامهم قالت لهم أما والله لو كنت ملكت بكفى الكواكب السائرة ما كنت إلا لكم ناصرة وسوف ترون من اليوم فعلى وما أصنع ببنى كلاب وما أنزل عليهم من العذاب فشكروها على ذلك وباتت إلى أن مضى الليل وأقبل الصباح الضاحك فقامت إلى عدة جلادها وركبت على جوادها وكان من الخيول الحسان وقد نادت فى رجالها الذين يلوذون بها وسارت بهم تطلب ديار بنى كلاب وهى تقطع التلال إلى أن وصلت إلى الحى ووقعت فى القوم وكان من أعجب الاتفاق أنها نظرت إلى أربعة آلاف ناقة كأنها العقبان وهى حمر الوبر كثيرة اللحم وموسوقة شحما وكان بالقضاء والقدر ان تلك النياق لأبيها مظلوم فقالت لرجالها دونكم وهذه الغنيمة وساقت جوادها وتبعوها أجنادها وساقوها عن بكرة أبيها وعطفوا بها آمنين وإلى ديارهم طالبين وكان ذلك الوقت آخر النهار وقد سارت الشمس فى الاصفرار هذا وقد أرسلت الداهية وأجنادها فى القفار وكان مظلوم ذلك الوقت فى خباه وهو ينتظر إلى الرعاه مقبلين فقال لهم يا ويلكم ما وراكم ومن بشره رماكم فقالوا له قد ساقت أموالك داهية بنى طى فلما ان سمع منهم ذلك صاح فى رجاله وقد ركب فى أبطاله وركضوا وراها على الأثر هذا وقد أظلم الليل واعتكر فلم يعرف مظلوم فى أى طريق يذهب ولا إلى أى جانب يطلب

وأيس من الضيعان فقال لنفسه ينبغي أن نعود إلى ديارنا ولا نجازف بأرواحنا فقالوا له أصحابه افعل ما تريد فلقد صدقت وقد عادوا خائبين وخافوا أن يكونوا من الهالكين (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ماكان من الداهية فإنها لم تزل سائره بما وصلت اليه فلم يبق صغير ولا كبير إلا وخرج اليها ليلتقوها وسلموا عليها فكان يوم قدومها يوم مشهود ومزح الصديق وكمد الحسود هذا وقد نظروا بنى طى إلى أموال مظلوم ابن الصحصاح ففرحوا بذلك أجل الافراح وقالوا لها صولى على الزمان ما شئتى فقد سدتى على الاقران وافتخرتى على سائر الفرسان فشكرتهم وقد نزلت وعقرت لهم ونحرت وأحضرت الرجال فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا ومولاها يقول فى نفسه يا ليت شعرى بنت أى شيطان هى ثم قال لها يا بنيه ان ظفرتى بأى الرجلين ظالم أو مظلوم أولاد الصحصاح فلا تغفلى عنهم اما قتلا واما أسرا فانكى ان ظفرتى بأحدهما ظفرتى بالشرف البارح فانهم المراد ومسرة الفؤاد فقالت لهم لابد ما تنظروا ما يكون ان شاء الله تعالى (قال الراوى) ثم انها أقامت أيام قلائل وركبت وعادت إلى ديار بنى كلاب وطرقت أموال أبيها ثانيـــة فركب فلم يلحقها ولا وجدها فضاقت على مظلوم الأرض ولم تزل فى كل حين تتصيد أموال بنى كلاب وتنزل الغدران حتى أحرمت أموالهم المرعى والنبات وعادت لهم مفزعة وفى أموالهم طامعة فما ان نظرت سعدى أم مرزوق ذلك حارت من فعالها وأعمالها فقالت سبحان الله ما هذه إلا نجابة عظيمة ان أعلمت هذه البنية وقلت لها ان مظلوم أبوها وبنو كلاب أهلها فتقول لم لا أعلمتينى وتأخذها بنى طى فى العداوة ثم انها افتكرت فرأت الصمت أوجب لها (قال الراوى) هذا وان الداهية انقطعت عن أرض بنى كلاب مدة سنة كاملة وهى لا تلم بأرضهم بالكليه حتى أيسوا منها وقد اطمأنت قلوبهم ثم انها ركبت فى خيلها وسارت نحو اطلالهم عازمة على اخـــذ أموالهم ولم تزل تجد السير الشديد حتى وصلت إلى بنى الوحيد وهى من ناحية بنى كلاب فنظرت إلى الأموال تسرح وتمرح فى البيدا وكان بالاتفاق أموال جـــدها أبو أمها فحملت وهى تنادى الغنيمة الغنيمة فاحتوت على الأموال وساقتها هى وأصحابها وعادوا طالبين أرضهم والرجال تطردها بين يديهم فعادوا بعض الرعاه ونادوا بالويل والثبور وعظائم الأمور فسمع مظلوم صياحهم فنهض وقال لهـــم ما وراكم فقالوا داهيـــة بنى طى احتوت على الأموال ورجعت فنادى الأمير فى الرجال فتبادروا مثل الأسود الضارية أو السباع العاديه وأشهروا الصفاح واعتقـــلوا بالرماح

وساروا ومظلوم فى أوائلهم لابس الحديد والزرد النضيد فبينما الداهيه وصلت إلى أرض فسيحة الأرجاء إذ سمعت صهيل الخيل وقعقعة اللجم وحس الحديد وصياح الرجال وصراخ الأبطال ومظلوم ينادى يامخذولة أى سماء تظلك أو أى أرض تقلك فلقد خاب أملك واستد سبلك وساقك الحين إلى مصرعك ورغم أنفك (قال الراوى) يا ساده ياكرام فما هى إلا أن سمعت كلامه حتى أنها لعبت بالرمح فى يدها ثم أقبلت على أخيها مرزوق وقالت له ويلك يا ابن أمى قم ورائى واحمى ظهرى ثم تركت الرجال الذين معها يحفظون الأموال وقد عادت للقوم وحملت على أبيها وعلمت انه المقدم عليهم فى ذلك اليوم فطلبت بجداله من غير إطاله ورآها مظلوم وقد طالبته فحمل عليها وعلم أنها داهية بنى طى فكان فى قلبه منها نار لكونها آذته مراراً ومراده أنه لو ظفر بها حتى انه يأكل لحمها أكلا وينهل دمها نهلا حتى إذا وقعت عينه فى عينها فحب أن يعلم ان كانت هى داهية بنى طى أم لا فناداها هلمى إلى الميدان قد جمع بيننا الزمان فقالت له أنا داهية بنى طى فدونك والنزال والضرب بالنصال ثم أنها ألوت العنان وقومت السنان وحرصت على نفسها وقالت له أنا الذى أخذت أموالك على ممر الزمان والايام فدونك والضرب بالحسام فعندها نزلا فى الميدان وأخذا فى الضرب والطعان فرآها كلما طال قتالها نصلت واشتدت وعظم نضالها فتضاربا بالرمحين حتى لم يبق فى أيديهما غير العقبين ثم أشهروا السيوف وتضاربوا بهما حتى ملاهما الغبار وطلع النهار وازورت الأبصار وحارت الأفكار وكان مظلوم كلما انقض عليها يرجع نفسه عنها بالمحبه والشفقة فصارت تلعب به فى الميدان كما يلعب الولد الصغير بالعصفور ولم يزالا كذلك إلى أن أقامت الشمس فى قبة الفلك وقد ظن مظلوم أنه هلك وضاق منه الصدر وقد بان لذات الهمة من ابيها القوة وعرفت منه ذلك معرفة خبير فعند ذلك انطبقت عليه وقبضت على أطرافه أقلعته من سرجه وأخذته أسير وملكته ذليل حقير وجلدت به الأرض وأوثقته كتاف فعندها حملت عليها بنى كلاب تروم خلاصه وقد اصطفوا المواكب بالمناكب وانطبقوا عليها من كل جانب فهنالك حملت عليهم وصاحت رجالها وعملت فى الحرب اهوالها (قال الراوى) هذا ولم تنكف ذات الهمة عن أبيها حتى شدته على ظهر الجواد وسلمته لمرزوق وعادت إلى القتال وسقت الرجال كؤس الحمام ونثرت بنى الوحيد نثرا وهبرتهم هبرا فولوا منها منهزمين وقد لقيهم رجال الدلهمة وتركوهم على التراب وقد داسوهم بحوافر الدواب وما زالوا خلفهم حتى قاربوا الأبيات التى لهم وعادوا عنهم وقد أخذوا الاموال والعبيد

وتبادروا إلى ديارهم راجعين يقطعون البطاح وفرحوا بأسر مظلوم ابن الصحصاح وقد سبق المبشر إلى ديار بنى طى وقد خرجوا لقدوم الدلهمة فوقع فى الحى الصياح والأفراح وخرجوا الناس وفى أوائهم مولاها فلما ان وصلوا اليها سلموا عليها ونظروا إلى مظلوم وهو موثوق على ظهر جواده ففرحوا الفرح الشديد فلما أن نزلوه افردواله بيتاً وأمرت بوضعه فيه كيما تضرب عنقه فى غداة غد فقال لها مولاها يابنية لا تتعجلى عليه بالقتل حتى نكاتب سائر بنى طى ليحضروا قتله فإذا صاروا عندنا نخرج ذلك الوقت مظلوم وتبصره الامراء والعساكر والعشائر ونضربه بسيوفنا ونكون قد اخذنا ثارنا وكشفنا عارنا (قال الراوى) لهذه الاخبار فلما أن نظرت سعدى إلى ذلك الحال ورأت مولاها فى ذلك الرثاق قالت إنا لله وإنا اليه راجعون إن لله فى هذا تدبير وهو على كل شىء قدير والله لو علمت هذه الجارية أن مظلوم أباها لعز عليها أن تهب عليه الرياح فواعجبا كيف وصلت اليه وقدرت عليه مع ما قد أعطاها الله من شدة الباس وقوة الراس ثم أنها سبلت البرقع على وجهها ودخلت اليه وسلمت عليه فرد عليها السلام فجلست عند رأسه وهو موثوق وقالت يا مولاى وكيف وصلت اليك هذه الجارية وأنت الليث الهمام والأسد الهجام فقال لها إذا نزل القضاء عمى البصر وما بقى له عمل فوالله لقد نظرت من هذه الصبيه ما لا شهدته من رجال ولا عاينته من ابطال ولا رأيت اشد من هذه الداهية بأساً ولا اقوى منها مراساً وكنت كلما هممت بها لا تمتد يدى نحوها بسوء وكأن يدى شلا (قال الراوى) يا ساده ياكرام فلما أن سمعت سعدى من مظلوم ذلك الكلام بكت ونهضت من عنده ودموعها تتحادر وعبرتها تتقاطر ثم افتكرت فى نفسها وقالت إن لم اعرفها انه ابوها وإلا هلك لامحاله واكون خسرت الدنيا والآخرة ثم انها جلست على باب ابنتها تبكى فسمعتها الداهية وقالت لها يا أماه ما ابكاكى لا أبكى الله لكى عينا ابداً فقالت لها يا بنتى أما تعرفى هذا الرجل الذى قد أسرتيه فقالت لها وكيف لا أعرفه إنما هو مظلوم بن الصحصاح بن جندبة الكلابى فقالت لها بلى والله يا بنية غير أنه اقرب الناس اليكى حسباً وأدناهم نسباً فقالت لها وكيف يا أماه ذلك الكلام وما يكون هذا منى فقالت لها والله يا بنية هذا هو ابوكى وانت ابنته من ظهره فلما أن سمعت كلامها الداهية قالت لها صدقتى وحق عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال فقالت سعدى وكيف علمتى أنى صادقة فى هذا المقال فقالت لها يا أماه انى كنت كلما هممت أن أضربه فى بعض المقاتل يخفق قلبى من الاشفاق وترعد منى المفاصل و

ترتخى وقد بان لى منه ذلك أيضا فدل ذلك على صدقك (قال) ثم أنها نهضت من وقتها وساعتها ودخلت سعدى إلى بعض الأبيات وقالت اخبريني بالأخبار واطلعيني على جلية الحال وكيف هذا واوضحى لى نسبي فلقد كانت همتى تسمو فى يد المراتب العالية وما أنا من نسل العبيد الدانية فاكشفى لى عن هذا الحال وأوضحى لى وأصـــدقى فى المقال فعند ذلك أخبرتها بالحال من أوله إلى آخره وما أخفت عنها شىء (قال الراوى) فلما أن سمعت منها ذلك سجدت شكراً لله تعالى إذ كانت من أولاد الملوك ملوك العرب أهل الحسب والرتب فصبرت إلى أن أرخى الليل ستوره وأزهت نجومه ودخلت هى وسعدى إلى أبيها فحات وثاق يديه ورجليه فصار باهت فيها لا يعلم الموجب لذلك فقال لها يا ستاه بماذا استوجبت ذلك منكى وما سبب ذلك فقالت له استوجبت بالشرع والدين والتمس رضا رب العالمين ثم أنها قالت لسعدى اخبريه بمكانى منه ولا تكتميه فعندها قد أسفرت سعدى عن وجهها فعرفها فى الحال فقال لها ما أنتى سعدى فقالت أجل وحق الملك المتعال وهذه ابنتك فاطمه من ظهرك بفخرها موصول بفخرك وقد أخبرته كيف سلمتها أمها اليها وصارت ترضعها بالخفية من ظالم فلما أن سمع مظلوم من سعدى هـــذا الـكلام سجد شكراً لله تعالى وقال الحمد لله الذى أخرج من ظهرى هذه اللبوة فله الحمد على تلك المنة (قال الراوى) ولما أن تحققت الأميرة انه ابوها حقا قامت وأخذت تقبل تديه ورجليه وصدره وبين عينيه (وأما مظلوم) فإنه ضمها إلى صدره وجعل يقبلها بين عينيها ويقول لها عفى الله عما مضى يابنية والحمد لله على معرفتنا بعضنا البعض وهو يبكى من الفرح ثم قدمت لابيها درعه وعـــدته وقالت له البس يا أبى وقد لبست هى ايضا عدتها وأشارت الى اخيها مرزوق والعبيد وقالت لهم ارفعوا الاموال والرجال على الجمال وسيروا إلى ناحية بنى كلاب فقالوا سمعاً وطاعة ثم أنهم رفعوا البيوت والأموال والرجال على ظهور الجمال من غير ضجيج ثم انها ركبت وقد ركب ابوها معها وأخذت كلما كانت غنمته من طول الايام وساقته بين يديها وتعجلت فى المسير فعلم بها بعض الناس أنها رحلت فأتوا الى بيت سيدها وأعلموه بذلك فقال لهم لعل أن يكون ضاق عليها المكان والمرعى وتريد تنفرد بأموالها فى البيدا (قال الراوى) لهذا الـكلام هذا وقد سارت الدلهمة طول ليلتها الى الصباح فنزلت للراحة وقد صلت صلاة الصبح وسارت فى أواخر النهار وإذا بنواصى الخيل قد اقبلت والأســـنة شرعت وبنى طى قد لحقتها ولما ان رأتها أطلقت أعنة الخيل وتسارعت (قال الراوى) يا ساده ياكرام وكان

وكان السبب فى ذلك أن بنى طى لما طلع الصباح شاهدوا مكان الأميرة الذى كانت بخيامها نازلة فيه وهو خالى منها ومن اموالها فماجوا كما يموج البحر وقالوا لا شك أن مظلوم قد أرغب الجارية بكثرة الأموال والنوال فخدعها فانخدعت له بالمحال وقد اطلقت سبيله من الاعتقال وسارت معه الى منازله والاوطان ثم أنهم صاحوا فى منازلهم فغاصوا فى العـــدد وفى اوائلهم الحارث ابن شريك والقوم فى ستمائة وخمسون فارس كالليوث العوابس وقد جدوا فى السير إلى أن لحقوا بالأميرة الداهمة عند الصباح كما ذكرنا وشاهدت الأميرة الخيل وقد اقبلت وكأنها السيل فقالت عند ذلك لابيها ياأبتاه أدركتنا الخيل وقد صعب عليهم خلاصك من أيديهم فكن انت مع الاموال والنوق والجمال واخى مرزوق حتى ارجع انا الى القوم وانفذ اليهم بالاعتذار من قبل الطعن بالخطار والضرب بالبتار وأخاطبهم بلين الكلام لما لهم على من الحقوق والاكرام ، فإن رجعوا فهو المراد ومسرة الفؤاد وان أبوا قلدتهم بقلائد البغى وألبستهم الندم فقال لها مظلوم لله درك يا بنية بلغك الله الامنيه ثم أنها عادت إلى الخيل ولحقتهم فلما ان رآها الحارث بن شريك وقد عادت اليهم واقبلت عليهم وتركت سنانها بين ايديهم فوقف بالحصان عن المسير وقال يا آل طى ارفعوا أسنتكم واجمعوا أعنتكم واعلموا إن الداهية قد أتتكم وعادت اليكم واقبلت عليكم (قال الراوى) فلما ان سمعوا منه ذلك الكلام تطاولوا عليها بالأعناق وشخصت لها الاحداق حتى أنها قربت منهم وأشارت لهم بيدها بالسلام وقالت لهم يا وجوه العرب ويا سادات اهل الرتب ومن انتم اعرف الناس بها بالضرب والطعان فى حومة الميدان ومنازلة الاقران والشجعان قد خطر لى كلام فهل أنتم من نفوسكم منصفون حتى أقول لكم وتسمعون فقال الحارث مولاها يا بنى طى اعلموا أن هذه مقومة فى الحرب بألف فارس فاسمعوا ما تقول ولا أحديتكلم غيرها يكون (قال الراوى) فقالوا ها نحن سكوت وقولى ما عندك يا داهية واسمعينا قولك فقالت لهم يا وجوه العرب اعلموا ان الله تبارك وتعالى يسوق المقادير إلى العباد ليفعل فى ملكه ما يشاء ويحكم ما يريد وله فى خلقه تدبير هو على كل شىء قدير وبعد هـذا من عرفنى منكم فقد عرف ومن لم يعرفنى أنا أعرفه بنفسى أنا فاطمة ابنة مظلوم ابن الصحصاح ابن جندبه بن الحارث الكلابى ملك ملوك بنى كلاب ذو الحسب والنسب صاحب القول الصواب والصدق فى الضراب والأصل فى حديثى كذا وكذا وقد جرى عليهم ما جرى ثم قالت ومرزوق هذا أخى من الرضاع ومن مظلوم خرجت واليه رجعت فهل فعلت

يا بنى طى غلط أو عملت شطط فمن كان منكم شرب لبنا فائر أو قام عنه ذيلا طاهر فليرجع عنى فانى كارهة لحربكم بعد ما ربيت فى حيكم وبأرضكم نشئت (قال الراوى) فلما ان سمعوا منها ذلك الكلام فكان أول من ناداها من القوم مولاها وقال لها والله قد أحسنت فيما قلتى وذكرتى ولله درك والله ما دعينى إلا بالشرف وانكى لمن خير سلف وانه خير خلف وأنتى كنتى كما شاهدت منكى كبار الامور والافعال التى ما يقدر عليها ملك ضرغام أقول يا ليت شعرى هى بنت أى سيد مجيد وتحدثنى نفسى انكى لست من العبيد وبعد هذا وحق سيد الورى وأجل من وطىء الثرى لولا ثقل ظهرى فى بنى طى وكثرة العائلة وما تعرفين من محبة الوطن لكنت أسير فى خدمتك وفى صحبتك موافق لكى على هجرتك وأنزل من حيث تنزلى وأغرس حيث تغرسى وأنا استودعتك الله سبحانه وتعالى ثم انه ألوى عنان جواده راجع إلى الحى ونادى ارجعوا يا بنى طى وإلا دونكم وإياها فإنى أرى النجابة فى جبينها لائحة فتواتروا القوم على الرجوع ولم يبق إلا فارس واحد يقال له طمعان ابن فاتك وكان يحسد الأميرة على ما أعطاها الله من الشجاعة وشدة البأس وقوة المراس وكان معه من قومه مائة فارس فقال لهم ان رجعنا بلا قتال حل بنا العار وأى عار أعظم عاراً من ذلك ويشاع عنى فى الاقطار أن بنى طى عجزوا عن ربات أحجال وذات الخمار سيمتها رعى الجمال فى القفار ومعها ملك الابد وعز السرور خذوها على أطراف الرماح وشفار الصفاح وقد حمل وفى قلبه الكمد ببغضته لها والحسد وأرمى نفسه عليها وهجم فجالت وناصلت فلله درها لقد أعطت السيف حقه هذا وقد طال لها الحرب وحميت فى الطعن والضرب فنظرت إلى فارس كأنه الليث الطلوب الممنوع عن أكله وشربه وهو يجول عليها فتبينته وإذا هو طمعان بن فاتك فانقضت عليه انقضاض الباشق وحملت عليه وطعنته فى صدره أطلعت السنان يلمع من ظهره فوقع إلى الارض يلطمها بيديه ويفحص برجليه ثم أنها هجمت على الابطال وحملوا عليها وقد كاثرتها الفرسان وكان أبوها وأخوها مرزوق قد أبعدوا بالاموال ووقفوا على رابية عالية ينظرون إلى فعالها فى القتال فلما ان شاهدوا الرجال وقد ضايقوها والفرسان وقد كاثروها حملا كحملاتها وصدما كصدماتها فما كانت إلا ساعة حتى عادت الخيل هزائم وقد ملكت أسلابهم والغنائم وعادت إلى أبيها وصاروا طالبين الديار وهم فى غاية من الاستبشار (قال الراوى) فهذا ما كان من مظلوم وابنته (وأما ما كان من ظالم وخيبته ولعنته فإنه لما ان وصلت اليه الاخبار بأن أخيه مظلوم أسرته داهية بنى طى دخل فى

قلبه الفرح وجمع أصحابه وقال الحمد لله الذى كفانا أمر أخى مظلوم فو الله لا يتخلص من هذا أبدا لأننى أنا أعلم أن بنى طى لو ظفروا بعبد من عبيد بنى كلاب لم يبقوا عليه ساعة فكيف مظلوم بن الصحصاح ولا بد أن يقطعوه بالصفاح وقد عزمت على الزينة وإظهار الذخائر الثمينة السامة ونحر النحور وعقر العقور وسكب الخمور ثم أنه أظهر من أموال أبوه ماكان عن أخيه مظلوم مخفيه من أوانى الذهب والفضة المرصعة بالجوهر وفصوص الزمرد والزبرجد الأخضر (قال الراوى) رحمه الله يا ساده يا كرام صلوا على بدر التمام هذا وقد كان نشا الحارث بن ظالم وكان قرين الداهية فى الشجاعة ومبارزة الأقيال وملاقاة الأبطال وخوض الأهوال حتى أنه لم يكن فى قبائل العرب أشد بأساً منه ولا أقوى مراساً وقد صاروا هؤلاء فى الفرح واللذة وبنى الوحيد فى الترح والملاله وقد أرموا البيوت وأكبوا السروج وهلبوا أذناب الخيل وكسوا السواد وأقاموا فى الذل والويل فما كنت تسمع إلا ندب نادبه وقد أيسوا من مظلوم وأيقنوا بشربه كأس المنون المحتوم هذا وسلام زوجته تندب وتبكى وقد أظهرت الأحزان والهموم وأما فاطمة الداهية ووالدها ومن معها فإنهم لم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بنى كلاب فنظروا الرعاة إلى الأموال التى كانت معهم قد أقبلت وقد ملأت الأرض والفضا فتعجبوا من كثرتها وقد أرادوا أن يعلموا لمن تكون ومن معها من الرجال إلى أن قربوا منها فعاينوا مظلوم فى أوائل المال فلما أن رأوه طلبوا الحى وقد ألوحوا بالعمائم ووقعت البشائر والضجات فى الديار والأطلال هذا وقد سمعت سلام ضجات العالم فقالت يا قوم ما هذه الضجات فقالوا لها بعض العبيد لكى البشرى فقد وصل الأمير مظلوم سالم من النائبات (قال الراوى) فلما ان سمعت من العبد ذلك الكلام كادت أن تطير من الفرح والاستبشار وأما والدته أمامه فمن منذ أسر جعلت تضرب برأسها الأحجار إلى أن قضى نحبها ولحقت بربها رحمها الله (فلما) ان وصل مظلوم أرادت زوجته سلام أن تخرج إلى لقاء بعلها فلم تشعر إلا وهو معها فى الأبيات وابنته الداهية وراه وهى فى زى الرجال على ما ذكرناه فأرادت أن تحتجب فتبسم مظلوم وزاد تبسمه وقال لها أما تعرفى هذه المتعممه فتأملتها طويلا فتحرك الدم إلى الدم وقالت له يا ابن العم أما قولك تعرفى هذه فعلى وجه الحقيقة لا معرفة به ولكن تحرك دمى له فقال لها ما هذا غلام بل هى ابنتك فاطمة ثم أنه نادى إلى سعدى فأتت سعدى فهنالك دخلت وعرفتها وحدثتها فلما عرفت أن هذه ابنتها أخذت تقبلها وهى تبكى فرحا بلقاها وقد قالت سعدى أنظرى يا مولاتى ما ربيت لكى من هذه اللبوه الضارية سيدة النسوان ومالكة

الفرسان فى يوم الطعان فشكرتها فى قولها وهى تبكى فرحا بلقائها وقد حمدت فعلها (قال الراوى) هذا ولما ان استقربهم الجلوس قال مظلوم لزوجته سلام قد سعدتى أتى بداهية بنى طى فقالت نعم وانى كنت أسمع الناس يصفوها فى الحى فقال لها هى ابنتك هذه فزاد تعجبها وسرور قلبها هذا وقد نظروا الناس إلى كثرة الأموال التى أتت مع الأميرة ووالدها مظلوم ففرح بذلك الحبيب وصار العدو مهموم هذا وقد رفعت الأبيات وضربت البوقات والطبول وخفقت الرايات وزاد السرور وقد وصلت الأخبار إلى ظالم برجوع أخيه مظلوم سالم وكان ظالم أفرح الناس بما جرى على أخيه مظلوم وكان يقول فى كل وقت لقد كنت أحمل من همه وكربه ما لو وضع على الجبال ما سارت فسبحان من أراحنا فقال له الحارث والله يا أبى لولا أنى أخشى سطوتك لكنت أنا توليت ضرب رقبته فقال له يا بنى إن الله قد كفانا شره وأراحنا من طلعته (قال الراوى) فبينما هو فى ذلك الكلام اذ دخلوا عليه جماعة من مشايخ العشيرة الكرام وقالوا له أيها الأمير ما أغناك عما أنت فيه من المرام قم واستقبل أخيك وسلم عليه وبالسلامة هنئه فقال لهم إيش تقولوا فى هذا الكلام فقالوا له هذا الذى قد سمعناه وأن داهية بنى طى هى ابنته وقد جرى من الأمر ما هو كذا وكذا وأخبروه بالخبر حتى كأنهم حاضرين فبينما هم متفكرين فى ذلك وهو يقول هذا صحيح أو غير صحيح وإذا شيخ آخر دخل عليه وقال له كما سمع فى الأول ثم قال أيها الملك هل سمعت بداهية بنى طى فقال نعم قال هى ابنة مظلوم (قال الراوى) فلما ان سمع ذلك شخص الى الشيخ وقال له يا شيخ اعلم ما تقول فكيف هذا الحديث فقال له أيها الملك داهية بنى طى ابنة أخيك مظلوم وقد وصلت صحبته وهى التى كانت أسرته وقد قص عليه حديث مظلوم مع زوجته عند ولادتها وما جرى من الحديث فلما أن سمع ظالم ذلك ضاقت عليه الأرض بما رحبت وقال والله لا زالت عن قلبى الهموم ثم أنه أحضر المشايخ وطلب منهم الرأى وكيف يعتذر لأخيه مظلوم فقال له رجل منهم اعلم أنك تقول له اننى ما فعلت وأظهرت الفرح الا حتى أطيب قلوب الناس وأزيل عنهم الترح واليأس هذا وقد اعتمد على ذلك فاقبل عليه ولده الحارث وقال له ياأبت لا تحمل هم على قلبك فإن شئت قتلته وقتلت ابنته فتبسم ظالم من مقالته وقال له والله يا ولدى أخشى نوبته ثم أنه ركب من وقته وساعته وقد اخذ معه مائة فارس من بنى كلاب وقد سار يطلب بنى الوحيد وما زال سائر الى ان وصل الى اخيه مظلوم فقالوا له قد وصل اخيك وابنته بصحبته وكانوا قومه قد اخبروه بما فعل وكيف اظهر الفرح فى غيبته فقال

لا كان ولا استكان فما احس اخويته هـذا ولم يحس مظلوم الا وهو معه فى سرادقه وخيمته فلما ان راى مظلوم اخيه ظالم وثب عليه وضمه الى صدره وقد اقبل كل واحد منهما على صاحبه وجلسا يتحادثان بعد ذلك فقال له مظلوم ويلك يا اخى فرحت لمصابى وسررت بذلك فقال ظالم والله يا اخى ما فعلت ذلك إلا تسكينا للناس وتطمينا لقلوبهم ولعلمى ان بنى طى لا تقدر على قتلك ووراءك مثلى ومثل ولدى الحارث وقومى وقبيلتى جميعهم وما كان قعادى عنك إلا حتى أعلم أين أنت وأبادر الى خلاصك بحد المرهف وصدر السنان المشقف فعلموا الحاضرين انه كاذب فقال له يا أخى قد قبلت عذرك وسامحتك فى هذه القضية والله لا زلت تغضب الله فى أمرى وأنا أطيعه فيك إلى أن ترجع إلى الطريق المستقيمة ثم أمر مظلوم باحضار الزاد فأحضروا الاطباق وعليها غرائب الالوان الشهية فقال ظالم يا أخى أين ابنتك فاطمة فاننا نحب ان تحضر تأكل معنا الزاد ولا تكن مستحية فما هذا إلا نحن وأنت وولدى كأخيها فقال مظلوم انها عند والدتها سلام فكل وان أردت أن تحضر تكون عندك فسكت ظالم ومد يده وأكل وتموا فى الحديث إلى أن جن الليل وبات هو وولده فى سرادق مظلوم حتى إذا كان من الغد نحر مظلوم وعقر وأولم وليمة عظيمة حضرها أهل الحى جميعا فأكلوا حتى اكتفوا ثم تفرقوا ولم يبق إلا ظالم وولده الحارث فى الخيام فقال ظالم والله يا أخى لو أقما عندك سنة كاملة لم أمضى حتى أنظر ابنتك وأسلم عليها فقال له مظلوم إذا شئت ذلك فأنا أدخل عليها وأعلمها بذلك الخطاب ثم اسمع منها الجواب هذا وقد مضى مظلوم ودخل على ابنته من وقته وساعته وقال لها يا بنيه ان عمك يشتهى أن يراكى وهو عندك فى منزلة الوالد فانعمى متفضلة عليه فقالت سمعا وطاعة ها أنا ماضية اليه وكانت والدتها شرحت لها جميع ما جرى لهما وأبيها من المبتدأ إلى المنتهى ولم تترك شىء إلا وذكرته لها (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما ان سمعت الذلهمه من أمها ذلك الكلام انغرس فى قلبها من أمها البغضة لعمها وابنه الحارث وقد علمت ان لابد من الخروج اليهم فلبست أثوابها وتزينت بزينتها وجلبابها وكانت من يوم ما قتلت قريح بن قابوس وركبت الخيل ونازلت الابطال قد نزعت أثواب النساء ولبست لبس الرجال فدخلت وعليها ثوب قباطى من الابيض مرقوم بشرائط من الذهب من صناعة مصر وعلى رأسها عمامة وقد أخفت شعرها من تحت العمامة وتقنعت بطرف العمامة على صدرها وتلثمت وضيقت لثامها وأسبلته على حضرها ولم يكن منها بابن غير حماليق البصر وأقبلت على عمها وأشارت اليه

ثم قالت حياكم الله بالتحيات وعمتكم البركات فوثب عمها عند ذلك اليها وخاطبها وخطا نحوها وقبل رأسها وبين عينيها وكذلك ابن عمها الحارث وتقدم اليها وسلم عليها وأكلوا الطعام والأميرة قاعدة لم ترفع رأسها فقال لها عمها يا بنية قد حضرتى وماحضرتى بكليتك انما أردنا بحضورك كيفما نتمتع بالنظر إلى وجهك ثم انه مديده وقدرفع اللثام عن وجهها وقلع العمامة عن رأسها فبان الشعاع الأدعج الجبين الأبلج والخد المضرج هذا وقد أشرق البيت من ضياء وجهها كالبدر ليلة تمامه وقد نظرها الحارث فسلبت مهجته وفؤاده وغاب عقله وصوابه من دهشته هـذا والأميرة قد استحت من عمها وأعادت العمامة واللثام على وجهها وأكلوا القوم الطعام وشملهم الاكرام وقضوا يومهم فى الحديث والكلام إلى أن أقبل الظلام ومضت الأميرة إلى والدتها ودخلت عليها فضمتها إلى صدرها ثم قبلت بين عينيها وقالت يا بنية لا أوحش الله منك لقد غبتى عن البيت فأوحشتى وقدمتى فأدهشتى فدعت الأميرة لأمها وقبلت يدها وقدمها وباتوا تلك الليلة إلى أن أصبح الله بالصباح فركب عمها وابن عمها وطلبوا الرواح لديارهم وفى قلب الحارث من محبـة بنت عمه ما لو وقع على الجبال ما سارت به ولا زالا حتى وصلا إلى الحى ودخلا الخيام وقد أتى الحارث إلى والدته وأخبرها بما رأى من ابنة عمه وسألها أن تتوسط فى الحال مع أبيه فى جمع شمله بها (قال الراوى) فلما ان رأت أمه منه ذلك الكلام قالت له يا بنى طب نفسا وقر عينا فسأفعل ما يحصل به المسرة ويدفع عنك المضرة ثم انها صبرت إلى أن دخل الليـل واجتمعت ببعلها ظالم وقد ذكرت له ما كان من ولدها الحارث وانه بابنة عمه هايم فقال لها والله ما حصل ولدك نصف عشر معشار ما أعطيت من الحسن والجمال والبها والكمال وفصاحة اللسان وانها تشاكله وهو من أشكالها وما تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها وقد عزمت على انى أزوجه بها لوجهين الأول لجمالها والثانى انها إذا صارت له انكسرت حرمتها وقل نشاطها وذهبت قوتها فإن مظلوم قد استطال بها إلى الغاية وبانكسارها نحن نبلغ من أبيها سائر الأغراض فقالت له زوجته نعم ما رأيت فكيف يكون التدبير فى هـذه الأمور فقال لها سوف ترين ما أصنع ثم انه صنع وليمة نحر فيها وعقر وبعث إلى أخيه مظلوم وقال له تحضر ومعك الدرة المصونة والجوهرة المكنونة سيدة النسوان ومالكة الفرسان فسار الرسول إلى حى بنى الوحيد ودخل على مظلوم وأخبره بالرسالة فدخل مظلوم على ابنته وقال لها يا بنية هذا رسول عمك ظالم قد وصل إلى يأمرنى بالمسير اليه

وأنتى بصحبتى (قال الراوى) يا سادة ياكرام فيما ان سمعت الأميره من أبيها ذلك الكلام وما أشار به اليها قالت له يا أبتاه اذهب أنت إلى حال سبيلك وما قد دعيت اليه فليس لى حاجة فى المضى اليهم ولا القدوم عليهم فلماان رآها مظلوم تمنعت فلم يقدر ان يراجعها فخرج من عندها وقد ركب فى نفر قليل من خواص أصحابه وسار حتى قرب من حلل أخيه فاتصل لظالم الخبر فخرج هو وولده الحارث واستقبلوه من أطراف البيوت فلم يرى الحارث ابنة عمه فى صحبته فكاد أن يموت بحسرته ولما ان نزلوا القوم واستقر بهم الجلوس فقال ظالم يا أخى أين الشمس المنيرة والظبية العزيزة فلا أوحش الله منها فما لنا صبر عنها فشرح مظلوم امتناعها عن القدوم ثم قال له يا أخى أرسل أنت اليها لعلها أن تستحى منك وتأتى برضاها فأمر ظالم من وقته وساعته لخادم أن يركب فى الف فارس ويكون معه جميع الصناجق والأعلام وقضب الذهاب والفضة وقال ظالم للخادم خص ابنة أخى بالسلام عنى وقل لها عمك يقول لك يا بنية الاخ بالله عليكى لا تنغصين علينا مانحن فيه من لذة العيش وتصدقى بقدومك الينا فانكى ان امتنعتى عنا احتجنا ان نركب عن بكرة أبينا ونسير اليكى فلذلك لا تحوجينا فسار الرسول حتى وصل إلى سرادق الأميرة الذلهمية وترجل عن جواده ودخل اليها وخدمها وقبل الأرض بين يديها وبلغها سلام عمها فلما ان سمعت كلام الخادم أطرقت وغضبت فقالت لها أمها يا بنية الرأى انكى تسيرى إلى عمك ولا تحوجيه أن يركب الينا بسببك فقالت يا أماه ان كان ولا بد فامضى أنا وأنتى واسأل الله أن يكفينا شر الندامة فقالت لها أمها إذا أردتى ذلك حبا وكرامة هذا وقد أصلحوا أمرهم فى ساعة من النهار وقد جلست سلام فى الجحفة وركبت الأميرة الذلهمه جوادها وقد قدم لها الخادم عشرين من الخيل بإجلال الحرير الأخضر المكللة بالدر والجوهر بمراكب من الذهب الأحمر والفضة المرصعة فقالت لها يا بنية هذا كله من مال جدك الصحصاح أخذهم عمك وتغلب على أبيك وقد احتوى على الميراث جميعه فقالت الذلهمه يا أماه سوف نبلغ ما نريد إن شاء الله المجيد (قال الراوى) هذا وقد ساروا إلى أن قربوا من الحلل وقد سبق الخادم وأعلم بقدومهم مولاه ظالم فخرج فى جميع الناس وفى جملتهم الحارث وهو لا يصدق ان يراها بالنظر ولما ان التقوا فرح بها ظالم وقد ترجلوا لها وسلموا عليها وساروا الى أن وصلوا الى الابيات ثم أنهم نزلوا وترجلت الأميرة الذلهمه وأمها سلام ودخلت الى بيت عصام فلما ان نظرت عصام الى الأميرة الذلهمه ضمتها الى صدرها وقبلت ثغرها بعد ما كشفت عن وجهها اللثام فعاينت بدر التمام

فقالت فى نفسها والله يحق لولدى الحارث أن يكون بمحبة هذه الصورة عابث هذا ولما ان استقربهم الجلوس أقبلت عشرة من الخدم من عند ظالم يامرون الأميرة بالمسير اليهم فنهضت تسعى بين أيديهم ودخلت على أبيها وعمها وابن عمها وسلمت عليهم فوثب إليها عمها وإلى صدره لمها وقبل وجهها وصدرها ورأسها وكذلك ابن عمها وقد جلسوا القوم فاكلوا وشملهم الاكرام وقصدوا بعد ذلك الحديث والكلام (قال الراوى) هذا والحارث زاد فى قلبه الوجد والغرام وهو لا يطرف نظره من الأميرة طرفة عين وقد زاد به البلا والغرام فلاحت من الأميرة التفاته فنظرت اليه وهو ينظرها شذرا ويرمقها حذرا فقالت فى نفسها أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نظرة هذا اللئيم وجلست مع القوم إلى اصفرار الشمس وقد نهضت بعجلة وفى قلبها من الغيظ ما لا تحمله الجبال ودخلت فى بيت خالتها وقالت يا أماه ما الذى يقعدك فقد قضيت الحاجة لعمى وأبى وأطعتهما وأتيت فإن كان لك نية فى المقام فانا ماضية للحى قاصدة للبيت فقالت لها خالتها يا منية القلب ما وراءك وما سبب عجلتك وعناك فقالت لها يا خاله لى عذر وما يمكننى المقام وقامت من عندها فلم ترادها فى الكلام فركبت الأميرة وأخذت الدتها من وقتها وساعتها وسارت الى ان وصلت الحى والى حللهم وفى خيامهم نزلوا (وأما الحارث) فإنه لما علم أن الأميرة مضت الى حللها ورحلت ضاق صدره وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت وأقام يتقلى بكثرة الاشتياق ولوعة الفراق فلما ان كان فى اليوم الثانى دخل الحارث على والدته عصام وبكا بين يديها من لوعة الغرام وسالها السؤال لأبيه أن يسال عمه فى اتصاله بالأميرة الذلهمة فقالت حبا وكرامة ثم أنها نهضت من وقتها وساعتها وطلبت بعلها ظالم وقد ذكرت له ما فى قلب ولده من الذلهمه وما ذكر ولدها الحارث فى خطبتها فقال لها يا ويلك ومن هو أحق بها منه ومن يحجبها عنه ثم اجتمع باخيه مظلوم وقال له يااخى ان الله لم يعطى ابنتك شيء إلا وقد اعطى ولدى الحارث مثله من الحسن والجمال والفروسية والنجدة وانى اسالك ان تجمع شملهما ببعضهما وتجمع بينهما فى الحلال كما امر الملك المتعال (قال الراوى) فلما ان سمع مظلوم من اخيه ظالم ذلك الكلام اطرق راسه إلى الأرض ساعة ورفع راسه وقال له يا اخى لو كان الأمر الى اجبت بالسمع والطاعة غير انك تعلم ان الأمر يتعلق بها وانا امضى اليها واقص ما ذكرت عليها واعد عليك الجواب وما تبدى من الخطاب فإن كان الحديث من عندك من غير ان يعلم الحارث فلا تعلمه بذلك لئلا يتعلق قلبه فإنى اظن انها لا تنعم بذلك فتقع الفتنة فقال ظالم سمعا وطاعة

وقد ودع مظلوم اخاه وركب جواده وعاد راجعا يطلب حلته وسار إلى ان وصل الى قبيلته ودخل على زوجته سلام واخبرها بما جرى له مع اخيه من الكلام فلما ان سمعت كلامه قالت له يا ابن العم فما كان جوابك فقال لها قلت كذا وكذ ولم اجبه بشيء خوفا من امتناعها وبعد هذا فوحق عالم الغيب والشهادة ما احب ان يعلوها رجل لان يقل نشاطها وتنكسر بين الفرسان وينحط قدرها بين الشجعان فقالت له يا ابن العم على كل حال لابد من اطلاعها على هذا المقال فنهض مظلوم من وقته وساعته ودخل على بنته وأخبرها بما جرى بينه وبين أخيه فى معنى ولده الحارث وزواجه بها وكانت الاميرة الذلهمة ضاحكة إلى أن سمعت كلام أبيها تمرمرت وصارت عيناها كالنار وعروقها كالأوتار وقالت أقسم بالله تعالى لو واجهنى كسرى صاحب الايوان بهذا الكلام لكان سيفى أقرب إلى هامته من كلامه ووالله يا أبتاه مالى حاجة ببعل وما خلقت الا للهراش لا للرجال ولا للفراش وليس يضاجعنى غير سيفى ودرعى وعدة جلادى ولا يكن حذرى إلا مهرة جرادى وكحل غبار النقع مرادى وأقسم بالله لئن راجعتنى فى هذا الامر لارحلن من خبائك ولانزلن فى القفار واسكن فى السهول والأوعار (قال الراوى) فلما سمع أبوها منها هذا الكلام نزل عليه الخجل ونهض اليها وقال يا بنية ما أكره إلا الذى تكرهين وما احب إلا ماتحبين ثم أنه قبل ما بين عينيها وقد اعتذر لها وقال يا حبيبة القلب ما أريد إلا ما تريدين (قال الراوى) فبينما مظلوم مع ابنته فى الكلام إذ دخلوا عليه الخدام وقالوا له قد وصل اليك هدية من أخيك فنهض مظلوم وخرج من السرادق وإذا هو بعشر أفراس سوابق بمراكب الذهب مرصعة وعشرة من الدروع المانعة وعشرة أسياف ومثلها من السمهريات وعشرة ابغال محملة تحف وأموال وجواهر ويواقيت وفصوص فواخر ثم دنا منه أحد الغلمان وقبل يده وقال له يا مولاى هذه هدية من اخيك ظالم وولده وهم يسلمان عليك ومشتاقين اليك (قال الراوى) يا سادة ياكرام وكان السبب فى ذلك أن ظالم أقبل على مشايخ العشيرة بعد ما سار مظلوم وقال لهم يا بنى الأعمام إيش التدبير فى ايصال هذه الجارية الذلهمة بولدى الحارث لينال منها قصده فقال له بعض مشايخ العرب الرأى ان تبعث إلى أخيك هدية نقية فإن الهدايا تقرب القلوب وتبعد الذنوب ففعل ذلك وأرسل ما قد ذكرنا فلما ان نظر مظلوم الهدية دخل على ابنته وأخبرها بما أحضر من عند أخاه فقالت له يا أبتاه أقسم بالله تعالى لو جاء بجميع ما على وجه الارض من ذهب وفضة وأموال وسلاح وخيول وسيوف

ورماح ما أردت زوجا قط ولا مكنت من نفسى بعلا اصلا فاردد عليه هديته واكفينا
دعوته فقال لها رأيك أعلا ولم يرد الهدية بل أخذها وقال هذا من مال أبي الذى أنكره
منى وأخفاه عنى وأنا أحق به (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من
الحارث فإنه قام ينتظر الجواب من عمه وهو يقول عسى جواب يطيب به القلب فلم
يرى من ذلك شيئا فالتهب ناراً وقد قال لأبيه ما أرى لكلا منا مع عمى تأثير ولا رد
علينا جواب فقال ظالم والله يا ابنى ما عند عمك وابنته منا خبر ولو كان كذلك لردوا
علينا الجواب فتنغص الحارث وكاد ان ينشق منه صدره وحمل على قلبه الهم فمرض
مرضا شديداً أشرف منه على الموت وضعف حاله فركب ظالم إلى أن دخل على أخيه
مظلوم حلته فلم يشعر مظلوم الا وأخيه وجماعة من وجوه عشيرته فى سرادقه فلما ان
رأى أخيه وثب اليه وقد ضمه إلى صدره وجلسوا جميعاً فلما أن استقر بهم الجلوس قال
ظالم لأخيه مظلوم ما كان من وعدك ومقالك فقال له والله يا أخى لقد جرى لى معها
شيئا كثيراً ومن جملته كذا وكذا فلما ان سمع ظالم ذلك علم ان ما عندها خبر من ولده
فعظم عليه ذلك وأقام عنده ساعة ونهض وعاد الى حلته فلما ان وصل دخل على ولده
الحارث وقد زاد جواه وعظم بلواه وهو ينظر ابيه فلما ان حضر وجلس عند رأسه
فقال له ويحك يا ولدى بعد قتل الأقران وتنكيس الفرسان وصيد الاسود من الدحال
ترغب فيمن لا يرضاك وتهوى من لا يهواك ووالله يا ولدى ما عند هذه الجارية مما
أنت فيه خبر ولا تصل بالنظر ولا تتصل بها الا بحد المرهف والسنان المثقف فنظر
اليه وتأسف وكانت أمه حاضرة فخشيت على ولدها من التلف وقالت لأبيه ويحك ياظالم
أما ترى ولدى وحالته فما الحيلة فى أمره فقالت له الصواب ان تعود الى اخيك ويكون
معك وجوه العشيرة والعرب وكل ذى حسب كريم ونسب وتقصد أخاك وتنزل عنده
وتطرح نفسك وتخبره بولدك وما وصل اليه ففعل ذلك ووصل الى أخيه فوجد عنده
رجل يقول قد رجت الأرض ونفرت الأمم واستعدت الخلائق من العرب والعجم
وما منهم الا من أجاب دعوتى ولبى كلمتى فقال ظالم ومظلوم أيها الرجل عرفنا ما أنت
فيه من الأمر العظيم وبين لنا الخطب الجسيم فقال لهم اعلموا يا وجوه العرب أن
الخلافة قد وصلت الى بنى أمية إلى رجل يقال له مروان وهو ظالم غاشم معتدى متكبر
على الملك الجبار وقد رفض طاعة الله وعطلت سنة رسول الله ﷺ وقد أوقع السيف
فى بنى العباس وبنى على بن ابى طالب وقد استأصل مكانهم وشتتهم فى المشارق والمغارب

والدنيا قد انقلبت عليه والأمة قد انقسمت قسمين على يديه شـــطر منهم مع مروان وشطر منهم مع الهاشمية والعلوية والأرض ارتجت من البدو والحضر وأنا لله تجردت لهذا الأمر والخطار وآخر مثلى قد أخذ هدية ومضى يستنفر الناس من خراسان ويحثهم لنصرة اهل الرسول المختار من عدنان وكأنكم بتلك الامم اقبلت من كل مكان وانتخبوا يا أولى النخوة واعزموا يا اهل المروءة (قال الراوى) وكانت الاميرة الذلهمة فى خباها تسمع هـذا الـكلام فعظم عليها وكبر لديها وقالت لبعض جواريها ابصرى ان كان ابن عمى الحارث حاضر مع من حضر فخرجت وغابت ساعة وعادت وقالت يا مولاتى ما له حس ولا خبر فنهضت الاميرة الذلهمة وتعممت وتلممت وخرجت وأشارت بيدها للناس وكانت هرجت ومرجت ثم قالت لذلك المتـكلم ايها الانسان عن حقيقة تتكلم فقال الرجل نعم والله فقالت له فإذا كان الامر كذلك على ذلك فإننا لا نطيع خلافته ولما تقبل الامم نسير معهم وبالله اقسم لو كنت اعلم كيف الطريق اليه لـكنت اول قادمة عليه وانا أعلم انه قدقرب زوال بنى امية وقربت الدولة العباسية فمضى الرجل يستنفر الناس وخاضوا الناس فى ملك بنى العباس هذا وقد انفسد على ظالم ما كان عليه عازم وانفصل المجلس ولم يمـكنه ان يعيد كلاما ولا يبدى نظاما وقد سار ظالم الى حلته فى رجاله فلما ان وصل الى حلته دخل على ولده وقال يا ولدى جرى من الامر ما هو كذا وكذا وقد أخبره بالامور والحوادث والناس فى شغل صعب على هذا الامر الذى تجدد ولـكن الصواب انك لا تشغل قلبك بمثل هذا الامر ولا ترغب فيمن فيك يزهد وقال له على الذى تجدد فـكان ذلك على الحارث أصعب من القتل لأن المحب لا يصـغى إلى العذل (قال الراوى) يا ساده يا كرام وكان السبب فى اختلاف الدولة وظهور الفتن فى الاقطار أن سليمان بن عبد الملك بن مروان قد مات ثم تولى من بعده مروان وكان منهم فى عقله زائد فى حنقه وجهله فلما ولى الخلافة سأل عن بنى العباس بن عبد المطلب فقالوا له ليسوا بدمشق وكتب إلى سائر أعماله فى سائر البلاد يطلبون بنى العباس ويرمونهم بالقتل والمهالك والمحق وقد أنفذ الـكتاب إلى سائر الأقطار بمثل ذلك فشاع الخبر فى المهالك وقد صعب على المسلمين ذلك ونفرت الامم وقد توجه كل منهم إلى طريق يستنفع أهله كما ذكرنا وكان مروان قد أخذ إبراهيم ورماه فى المطمورة ثم أن أخوته اجتمعوا النساء والبنات وساروا إلى دمشق ووقفوا لمروان فى الطريق فلما أن ركب تقدمت إليه النساء الهاشميات والبنات الطيبات ثم قبلوا الأرض بين يديه وأشرن بالدعاء إليه وقالوا له يا أمير المؤمنين أنعم

علينا باطلاق إبراهيم وراعى قرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يلتفت لهم بل تجبر وتكبر عليهم وأمر الخدم أن يخرجوهم وهن باكيات والخدام يطردوهن فلما أن أيسوا من خلاصه قالوا يا مروان أحوجك الله إلينا مثل ما أحوجنا إليك ونزع منك ما أنعم به عليك (قال الراوى) وكان للإمام إبراهيم رجل من بعض جماعته يقال له أحمد ابن صالح من أرض بلخ وكان يخدم الإمام إبراهيم فى كل عام وكم أخذ له من بيعه على الإسلام ويدعو له فى سائر الأقطار ويحصل له الشيعة والأنصار ويبايعهم على الخلافة له ويأخذ عليهم العهد بالبيعة وكان فى كل عام يتردد إلى الإمام بجريده بلد بلد ومن حصل فيه من الشيعة حتى حصل له على غالب أهل خراسان ثم عاهدهم على ما ذكرنا وما زال كذلك إلى أن حضرته الوفاة فأخذ أحمد بن صالح العهد على تلاميذه وعلى واحد منهم يقال له أبو مسلم فى عقد البيعة لبنى العباس على أهل خراسان فتجرد أبو مسلم وجدد البيعة على الأمم وأوعدهم بالخروج يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة مائة وثمانون وأن يصلوا الجمعة ويخرجوا بثياب سود مثل الظلام وقد أراد بهذه العلامة أنهم ليسوا على الدين والإسلام فلما إن كان فى ذلك اليوم المذكور فى الوقت المعلوم خرج أبو مسلم الخراسانى ومعه مائة وعشرون من النفر الذين قد اجتمعوا عنده بثياب سود ومعهم السيوف الحداد وذلك فى مدينة مرو وخرجت الأمة بها وكسروا باب الجامع نهارا جهارا وقتلوا الأمير المتولى بها من قبل مروان ثم دخل أبو مسلم دار الإمامة ومعه ما ذكرنا من الأمه والجماعة وكان واعد الأمم فى بلاد خراسان بالخروج فى ذلك اليوم وتلك الساعة فتفرقت الأمم فى سائر البلاد وخرجوا على عمال مروان فقتلوا كل من كان فى بلاد خراسان من الأجناد والأنصار وقد أقبلت الأمم تهرع إلى أبو مسلم الخراسانى من كل مكان حتى بقيت جريدتهماية ألف من الفرسان وقد اتصلت الأخبار فى سائر البلاد إلى أن وصلت إلى مروان (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من مروان لما أن أخذ الإمام إبراهيم وحبسه وضيق عليه وطرده لبنى العباس وانهزامهم منه وقد جعل عليهم العيون والارصاد والجواسيس وأخذهم من المواضع الذى اختلفوا فيها بالمكر والحيله (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما سار أبو مسلم من مرو طالب العراق من غير مهل وكان لما اتضح الخبر وثبت عنده أخذ إبراهيم ارتبك فى أمره فقال هذه الأمة لا يمكن اجتماعها إلا على صاحب البيعة ولا أعلم هل هو حى أو ميت ولا أتحقق له خبر وإن كان حى وسمع مروان بخروجنا من أجله أهلكه وجعله كمن لم يذكر فلعل أن نظفر بمن نبايعه ونقاتل

بين يديه ثم أنه نزل بطلقان فلما أن استقر به المكان أحضر اثنى عشر رجل من خواص أصحابه وهم مرتجين الدولة العباسية وكانوا موصوفين بالحزم والتدبير والفروسية فقال لهم يا قوم قد عرفتم ما نحن فيه من المصلحة والرأى أن يأخذ كل واحد منكم قطر من الارض والمسالك وتقصدون أخبار الإمام ومن هو سالم من سلالته واجتهدوا فى ذلك فان لم يحصل لنا من ولد إبراهيم أحد فعسى نجد من أولاد بنى هاشم (قال الراوى) فلما أن سمعوا منه ذلك الكلام تفرقوا الاثنى عشر فى البلاد وكان فيهم رجل يقال له قحطبة من أهل الخير والتدبير والفصاحة وجودة الدين فسلك جانب العراق وسار يقصد المدن والبلاد ويتجسس ويسأل عن أولاد بنى هاشم فلم سمع لهم خبر وما زال إلى أن وصل إلى سامر وهو بالغرب من بغداد فأقام فيها مدة من الأيام يستخبر فلم يجد ما يرتجيه فصادف فى الجانب الشرقى إنسان يعرف بسعيد بن على الأموى وهو من جملة رعاة بنى العباس القديمة وقد دخل مسجدا وصلى فيه وكان قحطبة دخل المسجد لينظر إن كان فيه أحد من الغرباء لعله يسمع خبر ويرى أثر فصادف سعيد بن على الاموى وقد فرغ من صلاته وهو يدعو ويقول اللهم اقمع أهل البدع واظهر آياتك فيهم واظهر الحق وانصرنا عليهم إنك على كل شىء قدير يا نعم المولى ويا نعم النصير فتبسم قحطبة إليه وعلم أنه من بنى هاشم فجالسه من بعد ما سلم فرد عليه السلام وقال له يا أخى إنى أرى عليك آثار السفر فقال له من أين طريقك فقال من خراسان فقال إنى أرى الناس يتحدثون بأن رجل يقال له أبو مسلم الخراسانى قد ملك خراسان نهبا وقتلا واستنفر العالم ليقيم دولة بنى العباس أصحيح ذلك فقال له سمعت كما سمعت غير إنى اجتزت ببلد السرو فصادفت بطلعات عساكر عظيمة فسألت عنها فقيل لى هذه عساكر أبو مسلم الذى انتصب لدولة بنى العباس وقد سمعت أن الذى يدعو له مسجون بمدينة دمشق عند أمير المؤمنين مروان فقال سعيد ابن على يا أخى لا تقول أمير المؤمنين فالبدع قد ظهرت فى بلاد الشام وأولاد محمد ابن على بن عبد الله بن العباس مهججين فى البلاد ومن وجد منهم هلك وقتله العناد والأمير إبراهيم فى مطمورة ذليل حقير فمن يفعل هذه الفعال يدعى بأمير المؤمنين لكن لله تعالى فى قضائه تدبير فنهض وأحضر من المسجد قفة وفيها مصاحف وقال لى يا أخى احلف لى على هذه المصاحف إن كلامك حق وأنا أرشدك إلى حاجتك وأدلك على طلبك فحلف له على ذلك سرا (وقال الراوى) فلما أن تحقق ذلك سجد شكر الله تعالى وقال له يا أخى إعلم أننى من شيعتهم ومعين بدينى إلى الله تعالى بطاعة الإمام إبراهيم كما علمت فى مروان

ولا نعلم إن كان مات أم لا فظاهر الحال أنه فى الحياة لأن جماعة من الذين كانوا لهم عنده ودايع حيث أخذ وعلموا أن مروان أخذه وموضعه فى السجن ترددوا إليه وكلموه فيه وأما أولاده فسمعت أنهم فى الكوفة عند إنسان يقال له أبو مسلمة فطالبك هناك إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق فإن شئت ان تعود من ههنا إلى صاحبك وتعرفه بذلك فافعل وإن شئت أن تدخل الكوفة وتحقق الأمر لتكون على يقين من أمرك فهو أجمل فقال له قحطبة مالى إلا أن أقصد الكوفة وأشاهد ما قلته بيانا فليس الأمر هينا وإذا حققت الخبر حدثت بالخبر عن يقين (قال الراوى) فودعه وسار عنه وعبر الى المدائن وسار يطلب الكوفة وما زال الى أن دخلها وسأل عن دكان أبو مسلمة الخلال فدلوه عليه فلما ان أقبل عليه رآه شيخ كبير طويل اللحية وهو يبيع الخل والبقول فدنا قحطبة منه وسلم عليه فرد عليه السلام وقد وادده الوداد المتعارف ووقف حتى انصرفت جميع الناس الذين عنده ثم أقبل عليه وقال له يا أخى اعلم أنى قد جئت من مكان بعيد موصل اليك ومتوجه نحوك لاجتمع بك فى أمر لله فيه رضى وللمؤمنين فيه صلاح على يديك فتأمله أبو مسلمة الخلال مليا وقال له يا أخى اجلس على هذه الدكة ففعل ذلك وجلس على باب الدكان ثم قدم له قصعة وقد ثرد فيها خبز وسقاها من ماء الباقلا والسمن والسماق وقدمها الى قحطبة فأكل حتى اكتفى هذا ولم يزل أبو مسلمة يبيع فى دكانه الى أن فرغ ثم قدم قصعة كبيرة وثرد فيها خبز وحط فوقه سمن وسماق وخل وحملها على رأسه ثم غلق دكانه ونزل وقال لقحطبة يا أخى اتبعنى الى المنزل وقد صار يتبعه حتى وصل منزله وحط عن رأسه تلك القصعة وقال يا أخى اعلم ان عندى ضيوف عن اذنك ادخل بهذا اليهم وأعود اليك فقال قحطبة بسم الله عرفت لمن يمضى بها فعبر ثم لبث قليلا وعاد اليه وقال بعد السلام يا أخى انى أنا رجل أعرف بقحطبة من غلمان أبو مسلم الخراسانى وقد جرى وجرى ما هو كيت وكيت وان الجيوش مقيمين ينتظرون عودتى ووعدوه عشرة رجال أخر مثلى حتى يعود أحدنا اليهم بالغرض والآن فإن الله تعالى قد نظر الى صالح فهمى وصدق رأيى ومحبتى لهذا البيت المطهر وحرصى على وصولهم الحق فعندها وثب أبو مسلمة ودخل الى بيته وأخرج مصحفاً واستحلف قحطبة على صدق ما ذكر انه من أصحاب أبو مسلم الخراسانى وانه غير باغ عليهم ولا يريد لهم سوء وان جميع ما تلفظ به صحيح واضح البيان والخبر (قال الراوى) فحلف له على ذلك ولما عرف أبو مسلمة صحة قوله سجد لله شكرا ثم قال له يا أخى بسم الله وقد نهض بين يديه ودخل به الى حجرة فى وسط الدار وفى

مصدر الحجرة خرق ففتحه واذا هى مظلمة مثل الليل فاشعل شمعة وتقدم الى داخلها وقد فتح أربع طوابق فبان من تحتها ممرق فقال بسم الله يا أخى انزل خانى واغلق الطابق قال قحطبة فنزلت خلفه فى اثنى عشر درجة واذا بسرداب كبير مددت عينى وفى جانبه اثنى عشر نفر قال قحطبة فسلم عليهم فردوا عليه السلام وقد تواثبوا اليه وسلموا عليه فقال الخلال يا قحطبة اعلم أن هؤلاء الأئمة أولاد ابراهيم الإمام المظلوم هذا أبو العباس السفاح وهذا أبو جعفر المنصور (قال الراوى) فلما ان سمع قحطبة ذلك الكلام تقدم منهما وقبل أيديهما وبشرهما بقرب الفرج فشكروه وقالوا له ما عندك من أخبار الامام ابراهيم فقال لهم انه فى سجن مروان بدمشق وهو يؤذيه بالجوع والعطش والعذاب الأليم فقالوا له وفيما جئت فيه فعرفهم فيما جاء فيه قال قحطبة وقد مددت يدى وقلت يا سيدى أيكم يصلح للإمامة والمبايعة لله تعالى ويتقلد الأمر فيها فوثبا كليهما ومدا أيديهما فى طلب المبايعة ثلاث مرات وأنا أدفعهما عنى قال قحطبة فقلت فى نفسى ما هذا الأمر يا نفس قليل ولا وروده سهل ولا حظ لى فى العجلة والمبايعة لاحد هما من غير علم بطريقة تبين ذلك ولا شك أن الامام ابراهيم عهد إلى أحدهما هذا الأمر وقلده إياه وعرف أنه يصلح للامامه والرأى عندى أنى أسير إلى دمشق وأتوصل بالحيلة له وهو الامام إبراهيم وأستفهم منه عن الأمور كلها ومن الذى يصلح للمبايعة فهو الذى قد تقلد لهذا الأمر مدة على وهو حى يرزق فأقلده الأمر ولا أدخل فيما أعرفه فيه عاقبة الأمر (قال الراوى) وبعد ذلك تقدم إليهما وقبل أيديهماوقال يا مولاى ما لفائدة فى تعجيل مبايعتى والمصلحة عودنى إلى أبو مسلم وأعرفه بمكانهما ونسير بالجيوش والأمم إلى خدمتكما وما يتأخر عنكما والفرج قريب وسامع الدعاء مجيب ثم خرج وقد علم أبو مسلمة الخلال بما جرى منهما وبما عولوا عليه فقالوا له سير قوى الله عزمك وشد وزرك وأجاد أمرك فمثلك من يتولى هذا الأمر ويعرف كيف يدبره ثم أن قحطبة سار من وقته وساعته ولم يزل يقطع البلاد والقفار وقد تزيا بزى التجار وما زال إلى أن وصل إلى دمشق ودخلهاضحى النهار فصادف خروج الموكب والعساكر ومروان وقد خرج فى موكب يريد المسير إلى الميدان فترجل قحطبة عن جواده وسلمه إلى بعض أصحابه وقد وقف إلى أن جاز الموكب الخاص ونادى السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته أغثنى أغاثك الله أجرنى أجارك الله يوم القصاص (قال الراوى) فلما إن سمع مروان من قحطبة ذلك الكلام أوقف موكبه ومسك عنانه وقال لبعض حجابه على بذلك الشيخ فأحضر بين يديه فقال له ما بالك أيها الشيخ فقال

يا أمير المؤمنين أنا رجل تاجر من أرض العراق وقد كنت عزمت على الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ومالى غير ولد واحد وكان غايب معى شيء من الأموال فأخذت منه ما كفانى فى حجى ثم ودعت البقية عند إبراهيم ابن محمد وسافرت إلى الحجاز وعدت وأنا محتاج إلى اليسير منه لأنفق به على نفسى فطلبته فقيل لى أنه فى سجن أمير المؤمنين بدمشق فسرت وأتيت إليك وأنا أسألك لوجه الله تعالى الاحسان إلى أن تجمع بينى وبينه وأسأله عن مالى ليرشدنى اليه ومولانا أمير المؤمنين دام محله وعاش أبداً مسروراً ليس له رغبة فى مالى وأنا فقير لا مال لى إلا ذلك القدر اليسير فهو حياة نفسى فخذ بيدى ياأمير المؤمنين أخذالله بيدك يوم الدين ثم أن قحطبة أتبع الكلام بالبكاء والأنين (قال الراوى) فلما ان سمع مروان هذا الكلام أشار إلى بعض خدمه وقال له تمضى بهذا الشيخ للو السجن وتأمر السجان ان يوصله إلى إبراهيم بحيث يسمع كلامه فيسأله الوديعة ويخبره عند من هى فما قصدنا منه مال بل قصدنا هلاكه قال قحطبة فسرت مع الخادم وأنا أشيعه بالبكاء أعرفه ضعف حالى وإن ذلك القدر هو حياتى هذا ولما إن وصلت الى السجن استحضر السجان وقال له انأمير المؤمنين رسم أن تجمع بين هذا وبين ابراهيم ابن محمد العباس حيث يسمع كلامه ليسأله عن وديعته عند من هى من الناس ثم مضى الخادم وقد وصى عليه السجان بالاحسان فقال قحطبة فأخرجت درهمين كانت معى وأدخلنى الى دكة فيها بيت مظلم وفى وسطه مطمور فكشف عن رأسها طاق محكم فعندما كشفها صعد منها وهج وبخار فقال قحطبة فتطلعت فلم أرى قعرها ولم أرى شيء الا صوت خفى فقال لى السجان كلمه فهو يسمعك فقال قحطبة السلام عليك يا ابراهيم ورحمة الله وبركاته اعلم أنى أنا من أنت تعرفه وأعرف الناس به صاحب الوديعة فالوديعة التى عندك ان أجلها قد آن فقل لى عندمن هى حتى أمضى أطلبها فقدقطعت البلاد وتعبت غاية التعب من أجلها والله بينى وبينك فما فعلته فعجل بالقول عند من هى لأمضى اليه وأعطينى علامة لكى لا يضيع تعبى وقال قحطبة فسمعته وهو يجر فى قيوده وصوت الحديد يتجلجل فى رجليه وقد فهم كلامى وعرفه وأنكر ساعة وقال يا هذا اعلم أن وديعتك عند ابن الجارية صاحب العلامة فاقصده وخذها منه وامضى مصحوبا بالسلامة ولا تقصد غيره (قال الراوى) قال قحطبة فخرجت من ساعتى ولم أبيت الا على فراسخ وجعلت أسير الليل والنهار حتى وصلت الى مدينة الكوفة فى ثلاثين يوما وقد قصدت دكان أبو مسلم الخلال فساعة ما رآنى عجل فى اصراف الناس من حوله وقد أوجز فى بيع الناس عاجلا

وأغلق الدكان ومشى ومشيت وراءه فلما ان صرنا فى الدار ضمنى الى صدره وسلم بعضنا على بعض بالاستبشار وعرفه قحطبة الحال فظن المقصود أبو جعفر المنصور وفتح باب السرداب ونزل فسلم قحطبة على الجماعة والتفت الى أولاد الامام وقال أيكم صاحب العلامة فليبينها فى هذه الساعة فوثب السفاح وتأخر المنصور لعلمه أنها قد خرجت من يده فقال له السفاح أنا ذلك الرجل فقال له قحطبة يا مولاى وما هى علامتك فقال له ها هى ثم كشف عن خاصرته اليمنى واذا عليها شامة سوداء فعند ذلك وضع يده فى يده وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وقد بايعه على الخلافة وكذلك أبو مسلمة بايعه وبايعه أخوه جعفر المنصور والاثنى عشر رفقتهم وخرج قحطبة من وقته وساعته يطاب الربا ويطوى الأرض طى (قال الراوى) هذا ما كان من قحطبة (وأما ما كان) من أبو مسلمة الخلال فانه قد دار فى الكوفة على موالى بنى هاشم وأعلمهم بالحال واجتمعوا الى الوليد بن سعيد وكانوا أربعين رجلا وقد نقلوا السفاح الى منزل الوليد بن سعيد ليلا وبايعوه وأما قحطبة فانه لم يزل سائر حتى أتى الى أبو مسلم الخراسانى وأخبره بجميع ما جرى له فخر الى الأرض ساجدا شكرا لله تعالى على بلوغ الأمانى وقد شكر قحطبة وخلع عليه وأحسن اليه وزعق النفير للرحيل وسار من وقته طالب العراق هذا وقد تكملت جريدته مائة ألف من الرفاق ولم يزل سائر الى أن وصل الى الدجلة وعبر المدائن وتوجه الى الكوفة بورود العساكر ولما ان وصل الى الكوفة نزل فى الجيش العرمرم وكان عسكره خمس فراسخ طولا وعرضا فلما ان شاهدوا أهل الكوفة هذه الأمم حاروا من كثرتها لأنها قد ملأت الأرض والفضا هذا وقد أقبل أبو مسلمة على قحطبة وقال خذ معك بغلة النوبه وأتينى بمسلمة الخلال ففعل وقد ركب فى جماعة ومعه بغلة النوبة وعليها مركب ذهب مرصع بالجوهر فلما ان أقبل على الدكان ترجل وقد سلم كل منهما على صاحبه وأخذه وأركبه البغلة بعد ان غلق دكانه فلما ان رأوه أهل البلد عرفوا ان له معهم باطن مكتوم هذا وسار ومازالوا سائرين وقد قصد قحطبة سرادق أبو مسلم فلما ان رآه وثب له وسلم عليه وقال له يا أخى ارجع الى أمير المؤمنين وقبل بين يديه الأرض عنى وقل له يا أمير المؤمنين ماذا تأمر تخرج الى الجيش فى ظلام الليـــل بحيث لا يراك أحد أو تخرج نهارا جهارا على رؤوس الاشهاد واعلم انى قد جئت بجيش نجدة على أعداك طوله خمس فراسخ وسوف تبذل المهج بين يديك حتى يقر الله عينيك فقال السمع والطاعة لله ولأمير المؤمنين فيما قصد ثم أمر الفراشين ان يفرشوه ثياب الديباج والحرير من باب

السرادق الى الدار التى فيها السفاح فى البلد وقد ضرب له سرادق عظيم وفيه بسطا من الأطلس مفروشة ثم شد جواد أشهب عليه مركب من الذهب بحال بكواكب ذهب وسار والأمم خلفه الى الدار التى فيها السفاح والمنصور وقد وقف يطلب خروج الامام هذا وقد دخل قحطبة وقال بسم الله ياأمير المؤمنين فنهض يتوكأ على يد أبو مسلم الخلال والمنصور من وراه (قال الراوى) فلما ان خرج وشاهد أبو مسلم الخراسانى قبل الأرض وسجد شكرا لله تعالى هذا وقد ضجت الأمم ثم انقلبت بالدعاء له فرحا هذا وقد عضده أبو مسلم الخراسانى وأركبه وركب المنصور من بعده ودار بينهم النفس وسار السفاح وعن يمينه أبو مسلمة الخلال وعن يساره قحطبة وأبو مسلم الخراسانى ماسك الجواد ماشى وأصحاب التيجان كلهم والملوك من أهل خراسان الى أن وصل الى السرادق ودخل راكبا ونزل على التخت وأتى أبو مسلم الخراسانى يبايعه فمد المنصور يده فردها أبو مسلم وبايع السفاح فأسرها المنصور فى نفسه وبايعته الأمم وسائر الناس وقد أقاموا على ذلك ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع دخل أبو مسلم اليه وقبل الأرض بين يديه وقال ياأمير المؤمنين لا يخفى عن العلوم الشريفة ماقد صنعت بنى أميه وقد عولت على المسير إليهم وأنا أريد شتات أصلهم بالكلية فإن كان الركاب العالى معول على المسير إليهم فليفعل وان رسم مولانا للعبد بالنهوض وحده فإنه كفاية فقال السفاح تجهز للسير وهذا عبد الله ابن عمى يكون معك سائر فليكن هو صاحب المشورة والرأى وأنت صاحب الجيوش والعساكر (قال الراوى) ياساده ياكرام ثم أنه أحضر ابن عمه عبد الله وخلع عليه خلعة سنيه وقال له يا ابن العم سر مع أبو مسلم إلى حرب بنى أميه فقد جعلتك صاحب الرأى والمشورة وهو صاحب العساكر والجيوش واحذر أن ترجع إلا برأس العدو وهد من دولته العروش فقال له سمعاً وطاعة وقد أخذوا فى تجهيزهم (قال الراوى) فهذا ما كان هؤلاء (وأما ما كان) من مروان فانه أمر السجان ان يأتيه بإبراهيم فأتى به فأخذ جراب أديم وملأ نصفه جير ونوره وأدخل فيه رأس الإمام ابراهيم وربطه على عنقه ولم يزل كلما يتنفس تدخل النوره فى أنفه وفمه وعينيه إلى أن مات وقضى نحبه ولحق بربه فرحمة الله عليه هذا وقد اتصلت الأخبار بظهور الامام السفاح من الكوفة وأبو مسلم الخراسانى وهم فى أمم عظيمة فلما ان سمع مروان ضاقت عليه الأرض بما رحبت فجمع اليه أرباب دولته وعرفهم بجميع ماجرى من الأخبار التى وردت ثم أنه قال ياقوم ينبغى أن نسير ونلتقى الأعداء ويعطى الله النصر لمن يشاء فقالوا له نعم ما رأيت يا أمير المؤمنين فأمر عند ذلك بإخراج السرادقات والخيام وقد ضربت فى مرج الدحداح وقيل إن الوقعة كانت بنجران ثم إنه كاتب الأمم وحشر الجيوش من كل مكان هذا

وقد رحل ضمن جريدته مائة ألف وخمسين ألف من الفرسان هذا وقد رحل من دمشق وسار إلى أن قارب عسكر أبو مسلم وأهل خراسان فعادت جواسيسه وأخبرته بقرب العساكر فتأهب إلى اللقاء وسار حتى وقعت العين على العين وتصادم الجيشين فجرى بينهما القتال الشديد وقتلت الرجال وكان ذلك إلى آخر للنهار وقد انهزم مروان وتبعتهم عساكر السفاح فى أكتافهم وعمل السيف إلى أن قتل منهم خلق كثير ليس لهم حساب وأول من كان انهزم كان مروان وسار وقد طلب أرض مصر فتبعته العساكر إلى الصعيد وهى أقصى ديار مصر فتحاربا وعاد إلى القتال فجرى له فى الثانية أعظم من الأولى فى الكفاح والنزال وقاتل عبد الله بن على أشد قتال لم يسمع بمثله فى سائر الزمان وكان ينادى فى الحرب يالثارات بنى هاشم وبنى العباس الطيبين الأنفاس (قال الراوى) فبينما هو كذلك إذ نظر إلى مروان وهو كانه الأسد الهدار فحمل عليه عبد الله وهاجمه وطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره ثم نزل اليه وقطع رأسه وأخذها وتركها على سنان رمح طويل فنظرته جيوش بنى أميه فوقعت الواقعة فيهم وعمل السيف والرمح فى ظهورهم وقد قتل منهم خلق كثير وقد انفصل الحال وضموا الغنائم والمال والاسلاب فكان شىء جزيل. وعادوا إلى دمشق ودخلوها بالتهليل والتكبير وقد جعل فيها نائب من قبلهم وضموا اليه عشرة آلاف وأقاموا بها عشرة أيام ورحلوا وتوجهوا الى صوب العراق وأسرعوا فى الرحيل (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من السفاح فانه رحل من الكوفه ونزل بالابيات واقام بها الى ان يرجع ابو مسلم الخراسانى بعد الفتح والانفصال ولما ان بلغ السفاح قربه منه امر الناس بالركوب اليه وان يستقبلوه بأحسن استقبال فلما ان وصل خرجوا اليه وسلموا عليه ولما وصل الى حضرة السفاح قبل الأرض بين يديه وسلم عليه سلام الخلفاء بأحسن المقال فرد عليه السفاح عند ذلك السلام وهنأه ببلوغ الآمال واحضر ابو مسلم راس مروان فلما ان رآها فرح قلبه المحزون فامر به فألقوه فى الغارات ثم انه خلع على ابو مسلم الخراسانى الخلع السنية وقد حمل اليه عشرون راس من الخيل العربيات بالمراكب المرصعة المثمنة وخلع على ابن عمه عبد الله واعطاه البصره ودخل ابو مسلم على السفاح واستأذنه فى الرواح فعقد له الولاية وطوقه بطوق ذهب وكتب له كتاب كما هو على طول الزمان فقبل الأرض بين يديه وتوجه يقطع الأرض والبطاح واستوزر السفاح ابو مسلمة الخلال وهو اول وزير فى الدولة العباسية ودام فى الوزارة حتى مات وقد استوزر بعده ابو ايوب الخراسانى وسار فى

الوزارة احسن سير وكانت سيرته مرضية هذا وقد اقام السفاح فى الخلافة اربعة سنين وسته اشهر كما شاء الله رب العالمين وكان قد وصلت الأخبار بالرضى من جميع البلدان وكانت خلافته فى ربيع الأول سنة اثنين وثلاثين ومائة ومات فى سلخ المحرم سنة ست وثلاثين ومائة وكان له من العمر ستة وثلاثون سنة وقيل ثمانية وثلاثين سنة وكان موته بالدم الرصاصى وانتقل الى رحمة الله تعالى ثم جلس المنصور فى الخلافة وقد بايعوه العالم ولم يختلف عليه غير اثنين لما اراد الله وكانت له علامة اعظم من اخيه وهم مطيعين له مثل العبيد فركب يوم الى الصيد والنقص وخرجت قدامه الطيور والفهود والأمراء ومن حوله الوزراء والكبراء وارباب الدولة ولم يزل سائر يتفرج فى الأرض وينظر الى ماكساها الله تعالى من الوان الزهور الى ان وصل الدجله وارض بغداد ولم يكن هناك يومئذ بلد ولا عمارة سوى دير وفيه راهب وطلب فطلبه المنصور الى بين يديه فلما ان حضر سأله عن اسمه فقال له باغ وهذه الأرض اسمها داد وقد قرات فى كتب الحكماء واطلعت على الملاحم فرأيت فيها أنه لا بد أن تعمر هنا مدينة مذكورة الى آخر الزمان (قال الراوى) فقال له الخليفة كيف تبنى المدينة ههنا وهذه الأرض ملآنه ماء فقال له الراهب لا تعرف قطع الماء إلا منى فقال له فعل الا تريد فمضى إلى مكان يعرفه وسد الماء فانقطع ونزل المنصور على الدجلة ثم أمر بعمارة المدينة وأمر باحضار البنايين من سائر البلاد وقسم لكل طائفة من العسكر ناحية وأعطى السواد المال وعملوا فيها بالأجرة ثم جلبوا اله الصوارى والرخام والاخشاب الجوز والرمى وغيره وعمرت المدينة فكانت عالية البنيان مليحة الأركان كأنها مدينة نبى الله سليمان وقد شق اليها عند ذلك الانهار والجداول وعمل مالا يقدر عليه الأوائل ونصب الاشجار وكان شجرها من سائر الافنان والثمار من التفاح المخطط والسفرجل الملعب وقد نشر بينهم أنواع المنثور والبنفسج المعطور والياسمين شبه الكافور هذا وقد تناغت الطيور على أرض فيها شقائق النعمان ومنثور واقحوان وقد عمرت فيها الأسواق والمربعات والجوامع والموادن والقصور والحمامات كأنها الجواهر المضيئة من سـائر الألوان والبرك والشاذروانات والصور والحركات فالمياه فى خيطانها دائرة ونجومها زاهرة وقد عمر قصر الخلافة وأمن من كل طارقه وآفه هذا ولما ان كمل بنائها وعمارتها دخل اليها المنصور بعد ما خلع على الصناع وأوهبهم المال والخلع وقد أمر بنقلان آلة السكن اليها وجعل آلة الخلافة والمقام فيها وسماها بغداد باسم الراهب والأرض (قال الراوى) فلما أن استقر المنصور بها وصلت الأخبار اليه من ابن عمه عبدالله بن على خرج من البصرة ودعا الناس إلى طاعته وقد بايعوه أهل دمشق ودخلت الخلق تحت طاعته فلما ان سمع المنصور ذلك ضاقت عليه

الأرض بما رحبت والمساكن والمسالك وكره الحياة فادعا بالحسن بن قحطبة وخلع عليه وقد ضم اليه من العسكر عشرين ألف فارس ونشر على رأسه الرايات والصناجق وأمره بالمسير اليه فسار اليه من وقته وجد فى السير إلى أن ظهر إلى حوران فظهرت عليه عساكر الشام مع عبد الله بن على وقد التقيا واقتتلا قتالا عظيما إلى آخر النهار فكثرت عساكر عبدالله على عساكر الحسن فكسروهم فولوا منهزمين وحل بهم الهوان والتدمير ولم يزالوا سائرين فى هزيمتهم إلى أن وصلوا الرحبة وقد تواترت الأخبار إلى المنصور بذلك فعظمت عليه النوبة فأحضر معن بن زائدة الشيبانى وكان من الفرسان وأعلمه بما قد جرى على عساكره من الكسره فقال له وما تريد فقال له اننى اريد ان أوجهك إلى هـذا الأمر لتزيل هذه الرعبه فقبل من الارض بين يديه ثم طيب قلبه وقال له وعيشك يا أمير المؤمنين لأبذان مالى ونفسى بين يديك وأملكك أعداك برقابهم (قال الراوى) فشكره على ذلك الخطاب وأمره بالمسير بعد ما خلع عليه وضم اليه أمم كثيرة وساروا فالتقوا بهم فوق حوران بمرحلتين وقد وقعت العين على العين وعظم القتال واشتد النزال وقاتل معن بن زائدة قتال جسيم فلما ان رأى عبد الله بن على ذلك القتال العظيم أخذ ذوابتاه بيده وقال يا أهل الشام هـذه ذوائب بنت نبيكم سيد الأنام فعنه قاتلوا بارك الله فيكم يا بنى الكرام فلما ان سمعوا أهل الشام ذلك الكلام شدوا فى الصدام وحملوا على رجال معن بن زائدة بعد ما جرح جراحات نافذه ونزل بنجران بعد القتال حتى اجتمعت المنهزمين اليه وساروا يطلبون العراق وقد نزل الذل عليه (قال الراوى) ولم يزل سائر إلى أن قرب من بغداد وسمع المنصور به فعميت عليه الأمور فهو كذلك إذ دخل عليه وزيره أبو أيوب فرآه يموج فى بحر الافتكار فقبل الأرض بين يديه وقال يا أمير المؤمنين ما هـذا الهم الذى نزل بك فقال له يا أبا أيوب اعلم انه قد جرى على العساكر من الانكسار ما جرى وعدمنا الانصار فقال له يا أمير المؤمنين أين انت من النور الواضح والميزان الراجح الذى قام به عمد الخلافه العباسية وقمع به الأمة الأموية أبو مسلم أمير خراسان فقال له المنصور لعن الله من ذكرت فقال له لابد لك منه وما يبلغك أربك غيره وكان المنصور حاقد على أبو مسلم لما ان بايع أخيه السفاح دونه أولا ولما ان أخذ الخلافة ما عبأ به ولا رفع له شأن ثم رأى فى الأمر انه لم يجد له بد من مكاتبته فكاتبه يأمره بالوصول والقدوم عليه وقد بعث له الكتب مع النجابة وأقام ينتظر جوابه هذا وعبد الله بن على قد زاد طمعه فى العراق وسولت له نفسه أن يقتل بنى العباس ويملك

الآفاق (قال الراوى) هــذا وقد وصلت النجابة إلى أبومسلم الخراسانى ودفعت اليه الكتب فقرأها وفهم معناها فشاور وزيره فيما يفعل فقال له اعلم أن الرأى عندى ان لاتدخل بين هؤلاء فأنهم أولاد عم على والعباس وكان قصدك فى الأول ازالة البدعة وقلع دولة بنى أمية وقد نلت ذلك وبلغت الأمنية والذى فعلت معه الجميل مضى إلى رحمة الله تعالى وهـذا الرجل ربما يكون فى قلبه أمر عليك من البيعة لأخيه فى الأول فلا تأمن سطوته ولا تركن إلى خيبته فقال له جميع ما قلته صحيح ولابد لى من المسير إليه ثم أمر بالتبريز من ساعته بذلك العساكر والأمم وفى الشهر الثانى توجه إلى العراق وسار إلى أن وصل اليه وقدم عليه فخرجت كبار الدولة إلى لقاءه ولما ان صار قدامه قبل الأرض بين يديه وسلم فرد عليه بأحسن رد لما ان سلم عليه وقال له يا أبا مسلم اعلم انه قد خرج علينا من الشام خارجى وقد كسر لنا جيشين وهزم لنا عسكرين وكنت نزهت سرك فى هذه النوبة فأبى الله أن يكون الفتح الا على يديك من دون جميع الأمم والآن فقد وصلت ولابد من المسير إلى هــذا الطاغى الباغى الذى بغى وظلم (قال الراوى) فلما ان سمع أبو مسلم ذلك الكلام من المنصور قبل الأرض بين يديه وخدم وقال أنا عبد الطاعة فيما أمر به المولى ورسم فهنالك خلع عليه وعلى عساكره الأمراء وأصحابه وأنعم وأمر الجاويشية ينادوا فى عسكره بالأهبة للمسير بعــد ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع توجه أبو مسلم فى عسكره ولم يزل يجد السير إلى أن قرب من حوران فتواترت الاخبار إلى عبد الله بوصول أبو مسلم بعساكر خراسان فاعتد ولم تمضى أيام حتى التحم القتال وقاتلت عساكر عبد الله عساكر ابو مسلم وفى تلك الليلة قد انطبقت عساكر ابو مسلم على عساكر عبد الله فى الليــل المظلم وفيهم وقعت الطعن فركبوا الخيل وقد استيقظوا ليلا وما زال القتال الى أن طلعت الشمس فتفرقت عساكر الشام وانهزموا بعد ما قتل منهم عالم عظيم وجمع أبا مسلم الخزاين والغنائم وعاد راجعاً يجد السير حتى انه وصل الى المنصور وبشره بالنصر على الأعدا فأظهر له السرور وشكره على ذلك وخلع عليه وتوجه بتاج الحبور وكان المنصور يفعل ذلك فى الظاهر ويدبر على قتله فى الباطن ثم انه بعد ذلك أذن له فى المسير الى خراسان فسار من وقته وهو فرحان وكانت عساكره على باب المدينة فى الأمم لا يقع عليها عيار ولا قياس ولا يحصيها ديوان فخاف المنصور إن به أمر لم يأمن جنوده والأعوان فسار أبو مسلم مرحلتين فلما أن أبعد ارسل المنصور اليه بعض خواصه يستدعيه من ذلك المكان البعيد ولما أن وصله

اليه قبل الارض بين يديه وقال ولدك أمير المؤمنين يقول لك أجبه واعلم أنه قد عرضت له أموراً مهمة لا بد من اطلاعك عليها (قال الراوى) فلما أن سمع ابو مسلم من الرسول ذلك الكلام استدعى بوزيره وعرفه ذلك فقال له ما تريد من المصالح .فقال له ما عندى أصوب من المسير الى بلادنا واعلم انى لست آمن عليك لأن الشر لايح فى وجهه فقال له أنت قد أشرت بذلك فى الأول ولا بد من العودة إليه ولا أخالفه ولو أراد بى سوء لكان قبل خروجي من عنده وإيش فعلت أنا من القبيح معه وليس يصلح جزائى منه ما تقوله والمصلحة أن تقيم أنت بالعساكر ها هنا الى أن أعود اليكم والسلام هذا وقد رجع ابو مسلم الى ان قرب من المنصور فسبق الخادم اليه وعرفه بتلك الأمور فعند ذلك أستدعى بعشرة خدام وأمرهم أن يقفوا خلف أبو مسلم الخراسانى من وراء الستور بالسيوف المجذبة الحداد وقال لهم إذا دخل أبو مسلم وحدثنى حديثه وبما يتفق من المراد ورأيتمونى دقيت بيدى على يدى دقاً خفيفاً ثلاث مرات فأخرجوا اليه وقطعوه بالسيوف (قال الراوى) ثم أذن له بعد ذلك بالدخول فدخل وخدم وقبل الأرض وسلم فرد عليه السلام بفرح وقبول وقد أمره بالجلوس فجلس وقال له يا أبا مسلم أنا أعلم أنك أخبر أهل الأرض فى السيوف القواطع والنصول الموانع فقال له نعم يا أمير المؤمنين وهو كما قيل فقال لبعض الخدام أحضر الثلاث سيوف التى دخلت الى الخزانة من أمس مع ذلك الرسول فغاب الخادم وعاد معه ثلاث سيوف فوضعها بين يديه فامتضا أبو مسلم بعض الاسياف وقال يا أمير المؤمنين هذا النصل ليس له مثال وغاية الآمال وجعل يستخرج كل سيف من غمده ويهزه إلى أن رأى الثلاث نصول فقال ليس لها قيمة يا أمير المؤمنين فقال ماذا تقول فيمن جذب سيفاً فى وجه إمامه ونافسه فى المقال فقال يا أمير المؤمنين تضرب رقبته فعندها صفق المنصور بيديه ثلاثاً فخرجت الخدم من وراء الستور وفى أيديهم السيوف المرهفات ونزلوا بها الجميع على أبو مسلم الخراسانى فقتلوه ثم أخذوا رأسه ورموا جسده وقد فات فيه الفوت (قال الراوى) يا ساده يا كرام ثم إن المنصور أحضر حسن بن قحطبة وقال له اركب فى عشرين ألف من الفرسان والحق عسكر خراسان فلا تدعهم يحسوا بك إلا وأنت عندهم وأرمى الرأس بينهم حتى أنهم يشاهدوها عيان وقد وليتك أنت مكانه أمارة خراسان وكتب له المنشور ووقع عليه بخطه وطلع من وقته وساعته هذا وقد استقر المنصور فى الخلافة وآمن من المخافة وبلغ المراد من الأعدا والحساد ودانت له العباد (قال الراوى) لهذا الديوان فبينما المنصور يوما من بعض الأيام إذ دخل عليه بعض خواصه وقال له يا أمير المؤمنين قد وصل من عرب البرامير

ومعه عشرة آلاف فارس يسمى عبد الله بن مروان بن الهيثم وكان أبوه ملك العرب فى الزمان المتقدم وهو من قبيلة يقال لها بنى سليم وكان عبد الملك بن مروان نقل الملك منهم وأعطاه للصحصاح بن جندبة الكلابى الذى فتح بلاد القسطنطونية وحين سمع عبد الله ابن مروان ابن الهيثم بخلافة أمير المؤمنين وانقراض من دولة الأمويه واصل إلى الكوفة وأقام هناك وأرسل يطلب إذن فى الحضور بين يدى أمير المؤمنين ليهنئه بالنصر وبلوغ الأمنية ويطلب منه أن يعيد ولايته على القبايل العربية فقال المنصور دعوه يقدم على الرحب والسعة والحاجة مقضية (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن عبد الله بن مروان بن الهيثم لما ان وصلت اليه الأخبار بانقراض دولة بنى أميه فى ذلك الزمان وتجديد دولة بنى العباس وحكمهم على سائر الناس وكان قد نشأ فى بنى سليم رجل يسمى عقبه بن مصعب وكان قد تفقه فى الدين وقرأ جملة كتب وصار يقضى ويحكم فى العرب وكان يجالس عبد الله بن مروان ابن الهيثم ويشير عليه بالرأى الصواب فلما ان بلغهم خلافة المنصور أشار عقبة على عبد الله أن يقصد اليه ويدخل عليه ويدخل تحت طاعته ويسأله فى ولايته للعرب فقال له لا شك أن بنى كلاب حسبوا ما حسبنا فيصلون اليه قبلنا ويظفرون بالسبق وينالون المنا فلم يزل عقبه يحسن له الأمر حتى عرف صحته فأصاح أمره للمسير فى وجوه قومه وعشيرته وقد أخذ معه الخيل العربية والفهود الوحشية والتحف البرية وسار فى عشرة آلاف فارس الى ان وصلوا إلى الكوفة واتصلت أخباره للمنصور وأعرضت أحوالهم فأمر صاحب الكوفة بإخراج العلوفات والاقامات وأكرامهم غاية الاكرام وسار معه حتى قرب من مدينة بغداد وقد اتصلت الأخبار إلى المنصور فأرسل سائر أرباب دولته إلى استقبال عبد الله ومن معه من السادات فخرجوا اليه واستقبلوه أحسن استقبال بالأفراح ونزل على باب المدينة وأراح يومه واستراح وفى اليوم الثانى خرج اليه موكب عظيم وقد قصد مضارب عبد الله (قال الراوى) فلما أن علم بهم ركب وسار فى جملة المواكب إلى دار الخلافة فأذن له المنصور فى الدخول فدخل عليه وقد جلس له جلسة الملوك فلما إن دخل إلى الستر الخاص استوقف ثم استأذن له فى الدخول فدخل فلما إن صار بين يديه قبل الأرض وسلم ودعا وابتهل فرد عليه السلام ورفعه وأعلاه وقد أجلسه على كرسى من الذهب وقربه وأدناه فلما أن استقر به الجلوس نهض قائماً فقبل ٥
الارض بين يديه ثانياً وقال يا أمير المؤمنين أنا أشكر الله تعالى خالق البرية حيث رأيت نفسى فى ظل هذه الدولة العباسية وقصدت الأبواب الشريعة لأعرض نفسى وقصدى على

الخدم المنيفة فإن صادف ذلك قبول فهى فرحة فيالها من فرحة تزيل كل البؤس فلما سمع المنصور كلام عبد الله تبسم ثم قال له نزلت أكرم منزل وصادف وصولك قبول وأنت بمنزلة الأخ الشقيق والصديق والرفيق وهؤلاء الأمم بين يديك تصرف فيها تصرف المالك ولا اعتراض عليك فى ذلك (قال الراوى) فلما سمع عبد الله من الامام ذلك الكلام قبل الأرض بين يديه وأطنب فى الدعا اليه ثم استأذن فى الانصراف فامر المنصور أن يخلع عليه وعلى وجوه أصحابه بخلع على القوم الخلع السنية وأركبوهم على الخيول العربية بمراكب الذهب البهية ونزل عبد الله إلى خيامه وأخرجت له العلوفات والاقامات وأكرمه غاية الاكرام (قال الراوى) لهذا الكلام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الحارث بن ظالم وابنة عمه الدلهمة فانه كان كلما طال به الأمر زادعشق وهوان واشتعل بقلبه النار وشكا لأبيه ما يقاسيه فقال لهأبوه ويحك يا حارث وماحيلتى فى هذه الجارية فقالت له زوجته الصواب أن تراجع أخاك وتسأله فى المساعدة على هذا المقال فقال لها حباوكرامة أنا غد أكلمه فلما إن كان من الغد ركب ظالم فى وجوه قومه وقصد أخيه فلم يشعر بهم مظلوم إلا وقد وافوا حلته فاستقبل أخيه وسلم عليه وبجله ودخل ظالم إلى مجلس أخيه وقد جلسا جميعاً فى مجلس واحد فلما إن استقربهم الجلوس أمر مظلوم باحضار الطعام فحضر فقال ظالم أين سيدتنا ونورنا وجمالنا لقد أوحشت علينا الدنيا فلا أوحش الله منها الأحيا ثم أمر باحضارها معهم على الطعام فجاءوا إلى الأميرة وسالوها فى المسير إلى والدها فسالت عن الحارث فقالوا لها أنه لم يصل مع أبيه فطابت نفسها فلما ان سمعت ذلك أقبلت عليهم وسلمت فلما إن شاهدها عمها وثب لها وضمها إلى صدره وقبل وجهها وعينيها وسلم عليها واستوحش لها فدعت له وشكرته على قوله وقد جلسا بعد ذلك وأكلوا من الزاد على حسب الكفاية فقال عمها ظالم يا بنية اعلمى أن الله تعالى حسن خلقتك إلى حد النهاية فينبغى أن يكون خلقك أحسن إلى الغاية واعلمى يا بنية أن ولدى مشغول بكى وقد رددت اليكى أريد أسالك فى معناه وأريدك تقبلى سؤالى فلما أن سمعت كلامه وما أبداه قالت له يا عماه والله ما رددت ولدك زهدا فيه ولا رغبة فى سواه ولولا إن الانسان يطلع إلى نفسه وقت فمله كره الحياة ولكن لست أريد بعلا إلا سيفى الذى أهواه ولا ملبسا إلا ظهر جوادى الذى أعلاه ولا معزلا غير سنان القناه ولاقناعا سوا الخوده والوطاه وإياك أن تعاودنى إلى مثل هذا الكلام فليس عندى غير ما سمعت والسلام فقال لها ويلك وما تكرهين من ولدى ولم يكن لكى فيه إرادة وما أعطيتى

شيء إلا وقد أعطى الحارث مثله وزيادة وإن كان المال فماله كثير وإن كان الجمال فهو والله منكي أجمل وإن كانت الفروسية فانه أكثر فروسية وشجاعة (قال الراوى) فلما إن سمعت منه ذلك الكلام فقالت له واعجباه منك يا عماه كأنى فاخرتك بالحسن والجمال والمال وإن كان ولا بد من القتال فدعه يبرز إلى الميدان وموقف الحرب والطعان فان هو وصل إلى وقدر على كان ذلك مهرى عليه فقال لها لقد نطقتى بالثواب وأتيتى بالأمر الذى لا يعاب غير إنى أريد منكي إن تعاهدينى على ذلك كى تطمئن نفسى إلى وعدك فوضعت يدها فى يده وعاهدته على براز ولده فلما إن استوثق ظالم العهد على ابنة أخيه شكرها ودعا لها وقد طابت نفسه بوعدها ومقالها وكان يظن أن ولده الحارث يقهرها فى الميدان ويعتقد انه أقوى منها جنان وكان الحارث فارس مغوار وبطل كرار ثم ودع ظالم أخاه وقد رجع إلى حلته فرأى الحارث منتظر الجواب وما يرجع به أباه بعد غيبته فلما ان دخل على الحارث من ساعته شرح له ما قالت الأميره وما ذكرته فكاد أن يطير من الفرح وطابت مهجته ولم يمضى عليه أيام قلايل حتى عادت اليه صحته فطالب أباه بما ذكر له من قضاء حاجته فعندها بعث إلى الأميرة يقول لها أنا عندك فى غداة غد أنا وولدى واصلين اليكى وقادمين عليكى فتأهبى لقدومنا وتجهزى ولما ان كان من الغد أخذ ظالم ولده وسار حتى وصل إلى أخيه مظلوم فخرج اليه وخدمه وسلم عليه (قال الراوى) هذا وقد نزل ظالم وولده وجماعة من بنى كلاب وقد حضروا الجميع ينظاروا النصر لمن يكون بين هؤلاء الأنجاب فاقاموا يومهم وليلتهم وفى قلوبهم من القلق والنار ذات الالتهاب فلما إن أصبح الله بالصباح ركبت الفرسان ميمنة وميسرة وكانوا بنو عامر وبنو كلاب فى الميمنة وبنى الرحيد فى الميسره هذا وقد ترتبت الأبطال والفرسان وبرزت الأميرة وسط الميدان ونادت برفيع صوتها فاسمعت القاصى والدان وقالت يا معاشر العرب من بنى كلاب وعامر يا أهل الجود والمفاخر بذمة نزار ومعد بن عدنان ويعرب وقحطان قد جعلتكم حكما لى وعلى تحكموا بيننا بالحق وتقولواالصدق واشهدوا بما جرى لى مع ابن عمى وما ترا الحارث فقد جعلت وصوله الى هو مهرى عليه والصداق وليس لى عليه غير هذا الاتفاق (قال الراوى) فلما ان سمعوا منها ذلك الكلام قالوا لها والله لقد أنصفتى من نفسك وما تعديتى فى حكمك ثم خرج الحارث وهو فى الحديد غاطس وهو راكب على جواد كأنه البرق اذا برق فلما أن صار معها فى الميدان قالت له يا حارث أنت راضى بالشرط الذى سمعته الفرسان فقال لها نعم رضيت بذلك يا بنت العم ثم أنه صرخ بها

صرخة الأسد الغضبان وقد طمع نفسه باخذها أسيرة فتقاتلا وتطاعنا ساعة وقد اختلف بينهما طعنتان ولم يزالا كذلك حتى علمت الاميرة أن ابن عمها تلاشى حيه وكات همته وقوته هنالك حملت عليه وصرخت فيه أدهشته وحيرته وبلبلته وقد أدارت الرمح وجعلت السنان إلى الوراء وطعنته فى كتفه بعقب الرمح أقلبته من على ظهر الجواد إلى الارض على أم رأسه فغاب عن الدنيا وصار لا يعى على نفسه فهنالك حملت رجاله على رجال مظلوم فدخلت بينهم المشايخ وافترقوا الخصوم وقد شال ظالم ولده من الميدان وقد انهد منه الاركان وأركبه جواده وسنده رجلان وهو لا يعلم ما هو فيه من الهوان وصاروا به إلى أن وصلوا إلى حيه ونزل فى سرادقه وقد وقع عليه الخجل وزاد به العشق والخبل (قال الراوى) لهذا الكلام فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهما وأما ما كان من الخليفة المنصور بالله فانه كان جالسا فى يوم من الايام فى خلوته اذ دخل عليه عبدالله بن مروان بن الهيثم ثم استأذن عليه فى الدخول فأذن له فدخل وقبل الارض وسلم فرد عليه السلام وأمره بالجلوس فجلس قال له المنصور يا عبد الله لقد كنت أظن أن العرب حفاة عراة ساكنين فى الفلاة ولم أعلم أن بينهم الملوك وأصحاب المال والجاه ومنهم من اذا ركب ركب لركوبه عشرة آلاف وأكثر وقد سمعت عن بنى كلاب وبنى عامر شىء عجيب الخبر قد ذكر لى رجل صادق فيما ذكر أن ليس فى ولد معد وعدنان ويعرب وقحطان أكثر منهم مال ولا أحسن حال ولا أشجع فى القتال فقال له الامير عبد الله وعيشك يا أمير المؤمنين لقد أصدقك من خبرك وما كذب من حدثك (قال الراوى) ثم أنه شرح للمنصور حال بنى كلاب وملكهم وسعيهم ولبسهم حتى أدهش المنصور وتعجب مما سمع فقال أيها الامير أحب أن أرسل إلى هؤلاء القوم وآمرهم بالدخول تحت طاعتى فقال عبد الله يا أمير المؤمنين إن هؤلاء قوم وحشيون صعبون وأخاف أنك ترسل لهم ولا يجيبون فقال المنصور أن أبوا ذلك أرسلت لهم رجال جلاد أنجاب بسيوف حداد ورماح مداد وسواعد شداد (قال الراوى) ثم أنه كتب كتاب الى مظلوم ابن الصحصاح يأمره بالمسير اليه والقدوم عليه وختم الكتاب وأعطاه لنجاب فسار يطلب البر وما زال الى الحله التى لظالم ودخل عليه وناوله الكتاب فنظر ظالم الى النجاب وقال له من أين هذا الكتاب فقال له هذا كتاب المنصور أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ففضه وقرأه وعرف مضمونه ومعناه وعرف ما فيه ووعاه فقال للنجاب يا شيخ ما الذى كان بيننا وبين المنصور حتى أنه عزلنا عن الملك وإنما كان أبانا محبا لبنى أمية وقد هلكوا الجميع

وصاروا فى القبور فأرجع الى صاحبك وقل له عرب البر لا يدخلون تحت طاعتك ومن جاء الينا كانت سيوفنا اليه أقرب من كلامه ا (قال الراوى) فخرج النجاب من حضرته وهو لا يصدق بخلاص مهجته وكان مظلوم عند أخيه ظالم فى حلته فلما ان رأى ذلك عاد من وقته وساعته الى حلته واجتمع بابنته وقد عاد اليها ما جرى لاخيه ظالم مع الرسول الذى أرسله المنصور الخليفة عند سماع مكاتبته فعظم ذلك على الاميرة وقالت والله لقد أخطا عمى فيما فعل مع رسول امير المؤمنين بجهالته وأنا قد عولت على المسير الى عمى كى انذره وارده الى الطرق الواضحة فواعجباه لما ان كان الامر لبنى اميه كنا أقطع صفايحهم وأنفذ رماحهم فلما ان صار الامر إلى بنى العباس عدنا عنهم وبعدنا منهم والله لقد عدلنا عن الطرق الواضحة والميزان الراجحة ثم أنها ركبت وسارت إلى ان وصلت الى حى عمها وقبابه فسلمت عليه وعلى اصحابه (قال الراوى) فلما ان رآها عمها وثب لها ورد عليها السلام ثم انها جلست واطمأنت ثم قالت لعمها يا عماه بلغنى انه وصل اليك كتاب امير المؤمنين المنصور بالله وقاصد اليك فلم ترضى اهو صحيح ما ذكروه فقال لها كان ذلك يا بنية اخى وفطناه فقالت له يا عماه لقد بالغت فى الخطأ لما ان كان الامر لبنى اميه كنت فى حقهم مليح ولما ان رجع الأمر لاهله عدلت عن الصحيح والصواب ان تنهض بقومك وتسير اليه وتعتذر فيما جرى منك وتعرض نفسك عليه وعلى خدمته لان لك فى ذلك الشرف (قال الراوى) ولم تزل الاميرة تعد له حتى لان وقال يا بنية والله ماقعدت عنه الا انه سبقنى اليه عبد الله بن مروان وأعطاه ملك العرب والآن فانه عاد الرسول اليه بغير فائدة فان ارسـل الى ثانى سرت اليه مع القاصد (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء واما ماكان من رسول المنصور فانه رجع الى المنصور وقد شرح له ما جرى من ظالم فثار غيظا وعزم ان يسير له الجيوش فقال عبد الله مهلا يا امير المؤمنين فانا اسير الى هؤلاء واسوقهم اليك طائعين ولكن اريد لهم الخلع والاموال فقال له هذه الخزاين بين يديك خذ منها ماهويت وما اردت ثم بذل له عند ذلك المنصور المال والنوال والصناجق والاعلام والخيل المسومة والخدم فتجهز عبد الله للسير إلى أرض بنى كلاب وسار يقطع الأرض والرحاب وكان ظالم رجع إلى ابنة أخيه وعقلها الوافر وأرسل إلى قبائل العرب من بنى كلاب وبنى عامر وبنى الوحيد يأمرهم بالمسير إليه والقدوم عليه وسارت الاخبار إلى سائر القبائل بما عليه ظالم فتقاطرت العرب والأمم من سائر الوديان وبقى ظالم ومظلوم وسائر الأهل والوطن والرفاق يصلحون أمورهم للسير إلى العراق (قال الراوى)

يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من عبد الله فإنه ما زال سائر إليهم يقطع الآفاق إلى أن قارب القوم فعند ذلك أنفذ إليهم يعلمهم بقدومه فلما أن بلغهم الخبر ركبوا إلى ملتقاه بالخيل العتاق وقد التقوه أحسن ملتقا فرأى عبد الله فى أوائل القوم فارس كأنه عقاب وقد أقبل وهو بجد يطرح نفسه على عبـــد الله فالتى رمحه من يده وأتى إليه فقال له حياك الله من تك يا فارس فقالت له الأميرة أنا دلهمة ابنة مظلوم فقال لها أهلا وسهلا بهذه الطلعه الكاملة الحميدة فدنت منه وقبلت يده فقبل رأسها (قال الراوى) هذا وقد تقاصدوا الامم بعدها وقد ساروا يأتون أول بأول ويسلمون عليهم ثم أنه نزل وضرب الخيام والسرادق فلما أن استقر بهم القرار والجلوس هناهم عبد الله بقربهم من المنصور ثم بشرهم بالمسرات والحبور ودعى بالخلع وخلع على القوم الخلع المثمنات وأنعم على الأميرة الدلهمة بالنعم الوافرة وقد شكرها على فعلها لما أن علم أنها هى التى حملت القوم على المسير والطاعة للأمير وأكرم ظالم ومظلوم وسلم إليهما خاتم الامارة ونشر على رؤسهما الأعلام والرايات وضربت الطبول ونعرت البوقات وقد أخبر ظالم عبد الله أنهم كانوا فشكره عبد الله ثم خلا بنفسه وكتب لأمير المؤمنين عازمين على المسير إلى أمير المؤمنين يخبره بما جرى من الامور وأن الأميرة الدلهمة هى التى حست القوم على الطاعة وترك الفجور والشناعة وطوى الكتاب وأعطاه لنجاب فأخذه وسار طالب أرض العراق ولم يزل يجد السير إلى أن وصل إلى الخليفة ودخل عليه وعرفه الأسباب وقد سلمه الكتاب فلما أخذه فضه وقرأه فحصل له الفرح والانشراح وكان يظن أنهم لا يأتوا ولا يجيبوا بجواب فلما سمع بالأميرة الدلهمة أنها هى التى حست على الطاعة تبسم وقال والله قد بالغت هذه الصبية فى النصح والكرم والشجاعة وقد أقام فى انتظار القوم (قال الراوى) فهذا ما كان من المنصور وأما ما كان من الأمير عبد الله فإنه انقضا شغله وانبرم أمره وسار متوجها الى نحو العراق فى جيش عرمرم وكان عن يمينه ظالم وعن يساره مظلوم والاميرة الدلهمة فى أوائل القوم كأنها أسد كاسر وقبائل بنى كلاب وعامر على طبقاتهم فى أحسن زينة وأعظم مفاخر فأمر عبد الله بحصرهم فكانوا عشرين ألف فارس ففرح بذلك وقد غلبه السرور ثم أتى الى بنى سليم يأمرهم بالمسير إلى أبواب أمير المؤمنين فوصلت بنى سليم اليه فى سبعين ألف فارس هذا ولم تزل العساكر سائرة الى أن وصلت الكوفة وقد كتب متوليها يعرف بذلك الخليفة هذا وقد نظرت الأميرة الدلهمة الى ذلك البنا والحيطان فتعجبت من ذلك ولم تكن قط رأت قائمة ولا جدار ولا عقار فدخلت الكوفة وتفرجت فرأت الدور والقصور والعمران وقد دخلت الجامع فرأت الستور والقناديل مختلفه الالوان فعادت الى خيامها وقد تعجبت من ذلك الشأن هذا وصاحب البلد أخرج

لهم العلوفات والاقامات وأقاموا لأخذ الراحة ثلاثة أيام وساروا بعد ذلك يطلبون العراق الى أن قربوا منها وقد قطعوا الفلوات وعلم المنصور بقدومهم فأمر أرباب الدولة بلقائهم فاستقبلوهم بأحسن استقبال وأكرموهم أحسن اكرام وقد خرج الى لقائهم أبو أيوب الوسنانى والربيع بن أحمد المدنى وعبد الملك بن صالح الهاشمى وارباب الدولة السادات والتقوهم وأقاموا عليهم ودخلوا بغداد ونزلوا القوم وضربوا الخيام والقباب والسرادقات واركزت الأعلام والرايات ودخل عبد الله على المنصور وقبل الأرض وسلم فرد عليه السلام بأحسن رد وقربه اليه وادناه وأمره بالجلوس فجلس قريبا من السدة بين يديه وابتدا المنصور يسأله عن أمور القوم وهو يشرح له حديثهم من أوله الى آخره فقال هذا كله بسعادة أمير المؤمنين وعلو بجده وكنت أشتهى أن مولانا أمير المؤمنين يشرف عليهم من أعلا السرادقات وينظرهم بعينه فأجابه الى ذلك ثم صعد ونظر الى السرادقات والأعلام وقد ملئت الأرض والفلا فسجد شكرا لله تعالى على ما أولاه من جميل صنعه وقد بات تلك الليلة وهو فرحان مسرور حتى اذا كان من الغداة ركبت الأميرة الدلهمة وأبوها مظلوم وعمها ظالم وولده الحارث فى وجوه قومهم الأصحاب والفرسان الحماة وقصدوا دار الخليفة المنصور بالله وقد استأذنوا فى الدخول اليه فأذن لهم فدخلوا وقبلوا الأرض بين يديه وكان المنصور قد جلس لهم فى زى عظيم يذهل من رآه فأكرمهم ورفع قدرهم وأجلسهم وقد أعطى كل واحد منهم ما تمناه (قال الراوى) ولما أن استقر بهم المكان أمر لهم بالخلع فحضرت فخلع عليهم الخلع الزاهرة وقد سمح لهم المنصور بما لا يسمح به لاحد غيرهم وقد أكرم الأميرة الدلهمة أكثر من كل من حضر لاجل ما أثنى الأمير عبد الله وشكر وبعد ذلك خرجوا من عنده الى المضارب والخيام وهم فرحين بالمال والحارث كلما نظر الى ابنة عمه يزداد به الغرام ويقلقه الهيام فشكا الى أبيه ما يلاقيه من الترح وما يقاسيه من الكمد وتنفس صعدا وقال

خليلى انى لم أفيق من الصبا ... ولا يعتنى قلبى بلوم فاكمدا
وليلى نهارى لم أفيق من العنا ... فلا القلب يسلاهم ولم أجد الفدا
فإن لم أجد للقلب منهمو دوا ... فإنى أموت من الشوق اذا بدا

(قال الراوى) فلما أن سمع ظالم من ولده ذلك الشعر بكا لبكائه وقال يا بنى كيف الحيلة فيها حتى تزول أعلالك فقال له يا أبت توصل فى الاجتماع بها والا فأنا هالك فدبر الامر كذلك ما دمنا فى أبواب أمير المؤمنين فقال له السمع والطاعة يا بنى قد بان لى

وجه يجمع الله به شملك وتبلغ منه أملك فقال لى ومن لى بهذا الامر ولو كان فيه مفارقة النعيم وخوض نار الجحيم فقال له نقصد الامير عبد الله ونتعلق بأذياله ونطلعه على ما تجده من الغرام ونسأله مساعدتك على قضاء حاجتك فهو يوصلك لأغراضك ويزول عنك أمراضك (قال الراوى) فذهب الحارث من وقته إلى أن وصل الى سرادق الامير عبد الله ودخل اليه وسلم عليه وقبل الارض بين يديه فرد عليه السلام وأكرمه غاية الاكرام ونظر اليه واذا بدموعه تتحادر وعبراته تتقاطر فقال له ماحالك أيها الامير وما أبكاك لا أبكى الله لك عيناً فقبض الحارث على ذيله وقال له أيها الأمير أنا بك مستجير ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره وكان الأمير عبد الله قد عرف حديثه من قومه فقال له يا حارث طب نفسا وقر عينا واترك عنك الامر فأنا أعيد حديثك على الوزير أبو أيوب واسأله فى ذلك فإن رأى أن يحدث أمير المؤمنين بحديثك كان خيرا وان لم يفعل ذلك أعدنا الحديث على غيره ثم نهض عبد الله وقام الحارث معه ودخلا الى دار السلام وقصدوا دار أبو أيوب وزير الدولة فاستأذنا عليه فى الدخول فأذن لهما فدخلا وقبلا الارض بين يديه وقد أدناهم (قال الراوى) فلما استقر بهم الجلوس قال لهم ما الذى أتى بكما فى هذا الوقت فابتدأ عبد الله يشرح له الحال الذى جرى للحارث وابنة عمه وقال قد أتيناك يا مولانا نسألك المساعدة للحارث على عمه وتشفع فيه عند أمير المؤمنين لعل أن تكون له عروس وما قصدنا بهذا الاطفاء نار الفتنة فقال أبو أيوب السمع والطاعة ثم أقبل على الحارث وقال له طب نفسا وقر عينا سوف أفعل فى هذه النوبة ما يعود صلاحه عليك فدعا له الحارث وانصرف وقد زال همه والاسف وبات أبو أيوب تلك الليلة حتى كان دخل على المنصور وقبل الارض بين يديه ولما أن استقر به الجلوس قال الصباح يا أمير المؤمنين ان الله قد جعلك اماما للمسلمين الموحدين كى تحكم بينهم بحكم رب العالمين وقد جرى من حديث الحارث بن ظالم الكلابى مع ابنة عمه الدلهمة كيت وكيت وهو طالب زواجها وهى طالبة بعده وتخشى من الفتن والحروب بين العربان وقد رأينا من الرأى اطفاء هذه الجمرة من بين المجاهدين ونتوصل الى جمع الشمل ليكون لها بعلا وتكن له أهلا فلما أن سمع أمير المؤمنين المنصور كلام وزيره قال له نعم ما رأيت من التدبير وسأفعل ما يعود به الصلاح وأعظم النجاح هذا وان الحارث أقبل على أبيه وعرفه جميع ما جرى وما أوعده به أبو أيوب حتى كأنه كان حاضر فقال له والله يا بنى قد وصلت اليها وقدرت عليها وأمكنك الدهر منها وبلغك مقصودك وأنا أحضر غدا معك وأساعدك (قال الراوى) ولما ان كان من الغد ركب أبو أيوب ودخل على المنصور فجلس فى مرتبته وأتى عبد الله

فى وجوه عشيرته وأقبل مظلوم وابنته من بعده وكذلك ظالم وولده الحارث ومن خلفهم السادات من بنى عامر وبنى كلاب وكل منهم قد اظهر زينته فلما ان رأى الامير عبد الله الاميرة الدلهمة وثب اليها وقبل رأسها فقبلت راحته ودنت من الخليفة وقبلت جانب سدته وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فرد عليها السلام وقد أذن لها ولوالدها بالجلوس فأخذوا مراتبهم وزال عنهم البؤس واحضرت لهم الاطباق والسماطات وفيها غرائب الالوان وقد احب المنصور ان ينظر اليهم ويتعجب من كلامهم ويضحك على اكلهم ضحك المسرات فأكلوا الى ان اكتفوا ورفع بعد ذلك ما بين أيديهم فاقبل ابو ايوب على المنصور وقال يا امير المؤمنين معلوم أن الله سبحانه وتعالى له الأسماء الحسنى المعظمات لما أن نظر آدم وهو فريد خلق له حوى من جانبه الأيسر وزوجه بها وقد حث ربنا على الزواج وذكره فى مواضع كثيرة من القرآن والآيات فالزواج أمر خالق السموات وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيه أحاديث كثيرة وهذا الحارث بن ظالم بن الصحصاح بن جندبة الكلابى ملك العرب يحب أن يتزوج ابنة عمه هذه الأميرة التى تعد من النساء الظاهرات فقال المنصور ومن يمنعه من ذلك وهو أحق بها من كل العباد فقال أبو أيوب هى يا أمير المؤمنين كارهة لذلك مظهرة العناد وهو بها مشغوف ولأجلها ملهوف وما غرضنا بذلك إلا التألف للقلوب فقال المنصور وما أظن أن الأميرة تكره ذلك وقد أمر به علام الغيوب ثم قال لها يا فاطمة قالت له لبيك يا أمير المؤمنين وقد وثبت على قدميها وقد فهمت المطلوب فقال لها ما موجب طردك لابن عمك وزهدك فيه مع رغبته فى زواجك وهو أقرب الناس اليكى حسبا ونسبا فقالت وعيشك يا أمير المؤمنين ما أرده ابن عمى وأريد غيره لى محبوب ولا اخترت ابعاده ورمت وصال غيره من العباد وحق علام الغيوب إلا انى أنا امرأة لا أحب قرب الرجال وقد بغض الله لى أخبية النساء وربات الحجال وقد حببت ما ترى من القتال والتقلد بالسيوف الصقال والرماح الطوال ولست أعد من جملة النسوان يا خليفة الرحمن وأن سيفى حجلى والغبار كحلى والحصان أهلى فما الذى أصنع يا أمير المؤمنين بالحارث وبغيره من العالمين (قال الراوى) فضحك أمير المؤمنين من ذلك الكلام فعند ذلك وثب الحارث قائما على قدميه وقال يا أمير المؤمنين اشهد على انى أتزوج بها على شرط يكن فيه رضاها وذلك انها تكون سماء أراها ولا تكون أرضا أطاها فقال المنصور لها اعلى ان الله عز وجل خلق النساء للرجال حتى يتناسلوا حكمة قضاها ولا للمرأة إلا بعلها

حتى يسترها عمن يراها وهـــذا ابن عمك وقد شرط على نفسه ما سمعتى فارجعى إلى ما يأمرك به امامك فأمره فرض فرضه الله على الأمة فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم وأنا أعقد عقدة النـكاح بنفسى وأكون متولى قضاها (قال الراوى) فسكتت الأميرة من حياها فقال عمها سكاتها اقرارها ورضاها فالتفت الإمام إلى القاضى وكان ابن حفصة السلمى وهو جالس وعقبة بن مصعب إلى جانبه وكان عقبة قد اشتغل بالفقه والعلم والجدال فقال المنصور أيها القاضى اعقد عقدة النـكاح على الحارث بابنة عمه ذلهمة فاعزم وتوكل فأجابه بالسمع والطاعة هذا والأميرة الذلهمة دموعها كوابل المطر إذا انهمل وهى تأبى ذلك والمنصور بالله قد أكرهها على عقد النـكاح ثم قضى الأمر وانفصل وأمر المنصور الخدم أن تنثر من الذهب والجواهر على أرباب الدولة وكان يوم مشهود وقد أقاموا على ما هم عليه على باب المنصور بالله وقد مضت من قلوبهم الحقود والأميرة الذلهمة فى سرادقها والحارث فى سرادقه وهو لا يقدر أن يملأ عينيه منها بالنظر ولا نال مقصود (قال الراوى) وقد مضى على ذلك أيام قلائل حتى تواترت الاخبار إلى المنصور بأن الروم تـكاثرت على بلاد الاسـلام والمسلمين وقد خرج من القسطنطينية عساكر تزيد عن سبعمائة ألف فارس من الـكفرة اللئام (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الملك لاوون قد نشأت له بنت اسمها ملطيه فنشأت ماهرة فى الشجاعة والفروسية كما نشأت الذلهمة العامرية وكانت فى الحسن إلى الغاية وفى البراعة إلى النهاية لم يظهر فى بلاد الروم أحد أمثالها قادرة على القتال والحرب والنزال وقوة الاعوال ومقاومة الاقيال وكانت تحضر فى كل يوم مجلس أبيها وتجلس من وراء الشباك وهى بعمامة كبيرة من القطن الابيض لأن النساء فى بلاد الروم يتعممون بخلاف الرجال فلما ان حضرت فى بعض الأيام على هذه الشاكله والمجلس محتفل بالعالم غاية الاحتفال فجرى ذكر المسلمين وما فعلوا من الفعال ونزول مسلمة بن عبدالملك بن مروان على القسطنطينية وكيف بنوا الجامع وأذانهم على أعلاه وصلاتهم فيه وجميع ما جرى عليهم من الوبال فلما سمعت ملطيه ذلك نالها أعظم منال وأقبلت على أبيها لما انفصل المجلس وهو خال وقالت له ايها الملك هذا كله جرى وكنتم عاجزين ان تسيروا إلى هؤلاء ولـكن حيث علمت ذلك فقد جاءكم الأمر على ما تحبون وتريدون وينبغى ايها الملك ان تجرد عساكر وجيوش وتسلمهم لى مأمورين حتى اسـير الى بلاد المسلمين وافعل بهم فعال تؤرخ فى الـكتب وحق الانجيل وما فيه من تحريم وتحليل لئن نهضت وسرت اليهم لآتينك بملك

الموحدين تحكم فيه ما تريد فتبسم لاوون وقال وحق المسيح يا بنيه اننى اعلم انكى قادرة على ذلك بلا اشتباه ولوان راعى من رعاة الخنازير تحرك من بلادنا لأخذنا بلادهم لأن الفتن سارت بينهم والملك قد وصل الى رهط غير الرهط الأول والدهر قد امكن منهم فإذا عزمتى على ذلك فأنا مظهر الأموال والذخائر ومسلم إليكى أمر العساكر (قال الراوى) هذا وقد باتت ليلتها الى الغد ونادت فى القسطنطينية الا ان من اراد الغزوة فى بلاد المسلمين فليسير فى صحبة المالكة ملطية ثم انها امرت باخراج السرداقات والخيام فأخرج لها سرادق من الديباج الرومى فلما ان نصبوه احتوى على قطعة من البرية من عظمه وقد ضربت له الطوائل الابريسم عليها الخيول العربية وأخرجت خزائن السلاح والثياب وأخرجت الطبول والأعلام والرايات الحرير وأحذوا الناس فى التدبير واجتمعت البطارقة وسائر ملوك النصرانية ودخلوا على الملك لاوون وقالوا تهيأ للرحيل فقال لهم اعلموا ان هذه ابنتى ملطية تجردت للمسلمين بأن تسير اليهم وتغازى فيهم وهى تقوم فيكم مقامى وتروم مرامى فمن أطاعها فقد أطاعنى ومن خالفها كأنه خالفنى ثم انه فرق عليهم الأموال والسلاح والعدد وقال لهم تأهبوا الى بلاد الاسلام واعلموا ان المسير يكون بعد ثلاثة ايام هذا وقد خرجت ملطية من قصر المملكة ودخلت بيعة سوقيه بين يدين البترك فقرا عليها فصلا من الانجيل واجتمعت الشمامسه فقرؤا عليها وصلبوا عليها اولاد اللئام وقد كفروا بالملك العلام وخرجت من البلد الى الخيام ونزلت فى سرادقها بمكان يعرف بالقناطر العظام وهو اربع فراسخ من القسطنطينية فأقامت فيه اربعة ايام حتى اجتمعت الأمم من سائر الآكام (قال الراوى) ثم ان اباها استعرض عساكرها واجنادها التى اجتمعت واذا هى سبعمائة الف مدرع غير الغلمان والعوام ففرح ابيها بذلك وقد استحضر بطريق من البطارقة الكبار اسمه ارمويل وكان شجاع فى الصدام فقال له انت تكون مع ابنتى ملطية تحفظها من حوادث الدهر لأن حوادث الدهر غير مأمونة فى الأيام فإن حدث عليها حادث من مرض او غيره فتكون بيدك العساكر ثم انه ركب وقد سير معها اختها وكان اسمها باغة وكانت دونها فى الشجاعة وقال لهما استودعتكما المسيح صاحب الدين القديم ثم ان ملطية سارت فى امم متكاثرة وهى سائرة وخيلها تضرب ميمنة وميسرة وكانوا سمعوا الروم ذلك اتوا اليها وانقادوا معها هذا والمسلمون ينهزمون الجميع من قدامها حتى وصلت نهر البدنون وعبرته ووصلت الى مرج كبير فسيح فيه المياه تسرح وزهره مفتح وكان قد اقبل فصل الربيع فلما ان نظرت ملطية الى تلك الارض اعجبتها رياضها

فأقبلت على من كان حولها من البطارقة ووجوه العساكر وقالت لهم انى قد عزمت أبنى ههنا مدينة تسمى بى على طول الزمان كما بنى جدى القسطنطينية وقد سماها باسمه فسارت مثلا فقال لها وزيرها نعم ما رأيتى وهذا المال بين يديكى وفى حكمك (قال الراوى) فركبت وسارت وخطت بالسنان وقالت على بالصناع وهى على ظهر جوادها فحضروا وأمرتهم ببناء المدينة كما أرادت فشقوا الاساس ودكت الاحجار وقد أخذت فى بنائها وأقامت فى المواضع مع كثرة الخلائق المتكاثرة فبنت هذه المدينة فى خمسة أشهر وصنعت لها الأبواب الحديد والمسامير ثم انها عمدت إلى أعلا مكان فى ظاهر البلد وبنت فيها قلعة عالية حصينة ونصبت شراريفها وأدارت حولها المجانيق والطلاقات وقد بنت من داخلها قصر مملكتها وجعلت فيه خزائن المال وسمت المدينة باسمها ملطية وكانت أختها باغة فعلت مثل فعلها وأمرت فبنوالها ثلاث قلاع من حول ملطية وسمت احداهما باغة فأقبلت ملطية على البطريق ارمويل وكان ابن عمها وقالت له كن فى هذه القلعة والبلد مسلمة إليك فعليك حفظها حتى أعود فأنا سائرة إلى بلاد الاسلام أسرع همها وكلما أرسلت إليك أموال اجعلها فى هذه المخازن فها أنا آخذ البلاد على رغمها فقال لها سمعا وطاعة ثم انها سارت متوجهة إلى آمد لتملكها وقد خلفت مع البطريق أربعة آلاف فارس وكذلك أختها تركت فى القلاع ثلاثة آلاف فارس وسارت بتلك العساكر فسمع صاحب آمد الخبر فكاتب المنصور يعرفه بالاحوال والأمور وقال يا أمير المؤمنين الأمر جل عن الوصف والجيوش التى معها سبعمائة ألف فارس فإياك أن تغفل عن الاسلام وآمد فى الحصار والعدو لا يقع عليه عدد (قال الراوى) فلما ان نظر المنصور إلى الكتب بهذه الاحكام ضاقت عليه الأرض بما رحبت وقد ناله أمر عظيم وقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أقبل على وزيره أبو أيوب وقال له هذا أمر عظيم ولئن غفلت عن هذه الملعونة أخربت البلادوأهلكت العباد والرأى أن تدبر هذا الأمر قبل أن يحل بالمسلمين الفساد فقال له أبو أيوب يا أمير المؤمنين على أبوابك اليوم من بنى كلاب وغيرهم مائة وستون ألف فارس أنجاد والرأى أن تنادى بالجهاد وقتال هؤلاء الروم الاوغاد فقال له نعم ما رأيت ثم أنه أحضر ظالم ومظلوم والأميرة الدلهمة وقال لهم اعلموا أيها السادات إن والدكما الصحصاح كان فى زمان بنى أمية مقمعا للروم

وأهل العناد وهو الذى جندل أبطالهم وأهلك أقيالهم وإن الناس تقول فى أمثالهم من شابه أبوه ما ظلم واعلموا أن الأخبار تواترت بأن ملطية بنت ملك الروم صاحب مدينة القسطنطينية وصلت فى جيوش كثيرة من بلاد النصرانية إلى البلاد الاسلامية وقد قربوا من آمد فبادروا بأهل ملة الحنيفية وسارعوا إلى الجهاد فى أهل دين النصرانية وقد فضل الله المجاهدين على القاعـــدين وقد ورد فى الحديث الشريف أن الجنة تحت ظلال السيوف ووعدكم بالنصر العزيز الرؤوف فقال تعالى فى كتابه المبين وكان حقاً علينا نصر المؤمنين فما تقولون فى كلامى رحمكم الله يا أهل الايمان (قال الراوى) يا ساده يا كرام فما استتم منه الكلام حتى علا من الناس الضجيج لكلامه وخطابه ولانت قلوبهم وجرت دموعهم ونهضت الأميرة الذلهمة قائمة وقبلت الأرض وقالت أما قول أمير المؤمنين ماذا ترون أى مصنوع مع من لا يصلح أمورنا الا سديد رأيه وجميل ولائه وإذا أمر أمير المؤمنين بالمسير لأعدائه كان من وجه الدين والشرع القويم ان لا نقعد عن نصرة الامام وحمايته ولا نتخلف عن حرب المارقين الملاعبين وحقك يا أمير المؤمنين ما غرضنا فى المال وما مرادنا إلا طاعة الله ورسوله ونحن فى غداة غدان شاء الله تعالى سائرين وتأتيك الأخبار إن شاء الله تعالى يا خليفة الجبار بما يحير الأفكار ونحارب عن دين الملك القهار وشريعة محمد المختار صلى الله عليه وسلم فهو أعظم الأنبياء شرفا ومقدار وأكثرهم أنوار الشفيع فى العصاه من النار (قال الراوى) فلما ان سمع المنصور من الأميرة الذلهمة ذلك المقال تبسم فى وجهها وقال لله درك ما أعظمك فخار فبادروا رحمكم الله إلى الجهاد فى الكفار فان الأمر أعجل من الصبر ثم خرجوا القوم من حضرته لاصلاح أمورهم وقد نودى فى عساكر العرب بعد ثلاثة أيام السفر عند طلوع الفجر فمن عزم على قتال أعداء الله فليتأهب للجهاد فى طاعة الله (قال الراوى) هذا وقد أخذوا القوم التأهب بالسلاح والعدد وقد أقاموا على ذلك يومين وفى اليوم الثالث دخلوا على المنصور للوداع فأخلع عليهم وأمرهم بالمسير للجهاد فساروا يجدون السير طالبين ناحية آمد (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الملكة ملطية فانها لما خرجت من مدينتها ملطية وسلمتها إلى ابن عمها اللعين أرمويل وقالت له إياك ان تفتح أبواب البلد لأجل شىء إلا أن ترى صليبى هذا الذى لا له نظير ولا مثيل

فقال سمعا وطاعة وسارت إلى أن وصلت آمد وأهلها قد أخذوا حذرهم وقد تأهب الكبير والصغير ونصبوا على أصوارها المناجق والطلاقات وأهل آمد قد ركبوا الأصوار فى هرج ومرج فى الحصار وأقبلت عليهم عساكر الروم وتفرقوا فى سائر الأقطار وأخربوا المنازل والديار والعيال والنسوان وقد نهبوا أرض سيمان ووصلوا إلى سيدين (قال الراوى) فلما ان نظر صاحب آمد الى ما قد حل إلى بلده من كثرة العساكر والأمم فأقبل على أهل البلد وقال لهم اصبروا على ما بلاكم الله وقاتلوا عن حريمكم وأولادكم والبنات والعيـــال وكانـكم عساكر الاسلام قد أتتكم فانى كاتبت الخليفة بهذه الرزايا فعندها التجؤا الى الله تعالى وصبروا على النائبات هذا والملكه ملطية وصلت الى آمد ونظرت إلى منعتها وشدة الاحتراز وحسن السلاح وقد زينوا الأصوار بالدرق الخشبية والعدد المجلية والسيوف الهندية وأهل البلد من فوق الأصوار وينادون لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عند ذلك الغيظ على ملطية لأجل مخاطبتهم لها بكلمة التوحيد ثم أنها أمرت أصحابها ان يهجموا على البلد ويهدموها جميعاً فما هو إلا ان وصلوا من الصور حتى أخذتهم الأحجار والمنجبيقات والطلاقات فرجعوا ولم يقدروا ان يدنوا من البلد وأخذتهم الدهشات فأشارت ملطية إلى عسكرها ان يدوروا بالبلد فداروا بها كما يدور البياض بسواد العين وقد أتاهم من الأصوار سهام وأحجار وحدافات حتى سدت عين الشمس وملأت الطرقات وعادت الملكة ملطية عند المساء وقد جمعت أصحابها وكبراء البطارقة وقالت لهم اعلموا أن الرأى عندى اننا نلازمهم بالحصار أيام متواليات ثم أنها أخذت على أهل البلد الطرقات واستعدوا لانفسهم بالمآكل والعلوفات وقد أقامت ملطية على امد ثلاثون يوماً فكانت كأنها يوم واحد لاشتغالها بالمحاصرات (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من عساكر الاسلام فانها لما ان خرجت من بغداد وسارت يتبع بعضها بعضا إلى ان وصلوا الى نصيبين فرؤا الناس على خوف عظيم فسألوهم عن الحال فأخبروهم عما لاقوا من الروم وقالوا كل يوم يقصدون الغارات ويرمون بالبليات ونحن معهم فى أسوأ حال وقد أهلكوا منا الرجال وسبوا النساء والأبطال والاطفال والبارحة وصلوا لنا الجواسيس من عسكر الروم وأخبرونا أن امد أشرفت على الاخذ من قلة رجالها وان الملكه ملطية

جمعت سبي البلاد وأضافت اليهم شيء عظيم وقد أنفذتهم مع أختها باغه الى عندملك الروم لاوون والجيش الذى مع السبي عشرة آلاف لأنها سمعت بكم من حين خروجكم من العراق وعولت أنها إذا كسرتكم تملك البلاد ونحن فى نصيبين لأجل انتظاركم لعلكم تكشفون عنا هذه الكربه وإلا كنا خلينا البلد ورحلنا (قال الراوى) فبكا الأمير عبد الله وسائر المقدمين على من قتل من المسلمين لما ان سمعوا ذلك الكلام فقال منهم شيخ من مشايخ بنى سليم وكان ابن عم الأمير عبد الله وكانوا يسمعون منه أكثر الأوقات ويرون فى مشورته البركات وكان اسمه الحصين بن ثعلب وقال لهم يا قوم اسمعوا منى وخذوا برأيي فقالوا أيها السيد قل حتى نسمع فقال لهم الرأى عندى تقسموا أنفسنا من هنا قسمين وتسيروا فرقتين الفرقة الأولى تسير الى آمد والفرقة الثانية أسير انا بهم وآخذهم على اقرب الطرقات فعسى ان نلحق السبي ونخلصه من الملعونة باغه قبل ان تصل بهم الى البلاد واذا بلغت ذلك وسهل الله رب العالمين علينا عدت الى آمد من خلف العساكر ونضع السيف فى المارقين ونكون قد ملكنا عليهم طرقات بلادهم واحتوينا على اثقالهم واموالهم ويعطى الله النصر لمن يشاء والمستعان بالله فى جميع الأشياء (قال الراوى) يا ساده ياكرام فلما ان سمعوا العرب كلام الحصين فقالوا له والله لقد اشرت بالصواب والأمر الذى لا يعاب فعند ذلك قال الأمير عبد الله لا تقعد عن هذه الفعال فمن تريد معك من الأبطال فقالت الأميرة الذلهمة نحن يا أمير المسلمين نسير معه وكلما تأمرنا به نفعله فقال لها الامير بارك الله فيكى يا ذلهمة خذوا اهبتكم حتى ارسل معكم من شئتم فقالت الاميرة ما اريدك ان ترسل معنا أحد سوى ابى مظلوم وعمى ظالم وولده الحارث وبنى كلاب السادات الانجاب فإنى القا بهم بعون الله العشرة آلاف الذين مع باغه ولو انهم سباع الارض بددتهم طولا وعرضا ولكن بقى لى امر واحد فقال لها الامير عبد الله قولى ما بدالك فقالت يكون سيرنا ليلا حتى لا يعلم بنا احد فان العسكر لا يخلو من الجواسيس ونخاف ان يمضوا ويعلموهم بما عملنا فينفسد علينا ما دبرناه (قال الراوى) فلما ان سمع الامير عبد الله منها ذلك الكلام تعجب من فطنتها وقال لها ان هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب خذوا اهبتكم الى الليل وسيروا مع ابن عمى الحصين

وانا فى عساكر العراق وسائر العربان نمضى الى آمد ونطلب النصر من الملك الواحد فعادت بنى كلاب إلى خيامهم وأداروا فيما بينهم الحديث سرا وعبوا أشغالهم وأخذوا الأهبة للمسير وأقاموا الى أن أظلم الليل ورحل بهم الحصين يطلب السبى الذى مع باغه الملعونه الغدارة فلما ان أصبح الصباح رحل الأمير عبيد الله يطلب أمد والجيوش معه والقبايل وقد ساروا بنيات صادقة وقلوب بالله واثقة (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملكة باغه فانها سارت بالسبى والثقل معها تطلب بلاد الروم وكانت تسيرهم سير الرفق لأجل السبايا والأثقال والأموال والنساء والأطفال مربوطين فى الحبال إلى أن وصلت إلى أنوش هنالك نزلت وأقامت فى ذلك المكان ثلاثة أيام لأجل الراحة وفى اليوم الرابع رحلت وقد سارت فبينما هى سائرة وإذا بغبرة قد ثارت من بين يديها وعسكر قد ملأت الاقطار وأظلم من كثرتهم النهار وعليهم الدروع الداوديه والبيض العادية والسيوف الهندية والرماح الخطية وتحتهم الخيول العربية وهم كأنهم جمرة نار فى البريه فلما ان نظرت باغه الى هذه الرزيه قالت وحق السيدة الزكية والملة المسيحية هذه العساكر نجدة لنا بالكلية وقد أتوا يعينونى على فتح البلاد الاسلامية والملة المحمدية (قال الراوى) فما استتم كلامها حتى انكشفت الغبار وبان عن فرسان بنى كلاب الأنجاد الموصوفين فى اللقا بطعن الصارم البتار ويقدمهم الاميرة ذالهمه كانها أسد الغاب وكذلك الحارث ابن عمها وأبوه ظالم وهم فوق الخيول مثل الليوث القشاعم وقد انقلبت البرية من كثرة صياحهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير صلى الله عليه وسلم فلما نظرت الروم إلى ذلك تحيرت واندهشت ثم ان باغه قالت لهم ويلكم هؤلاء مسلمين كيف أتوا إلى هذه الارض ووصلوا وظهروا من بين أيدينا مثل الشياطين فقالوا لها وحق المسيح ما ندرى (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن المسلمين أخذهم الحصين بن ثعلب وسار يقطع القفار ليل ونهار ولم يكن استراح بل أراد أن يدرك السبى من قبل أن يفوته الأمر فلم يرى لعساكر الروم أثر ولا خبر ولا رأى أحدا منهم ظهر فتحير فى أمره فبينما هو كذلك وإذا بعشرة بطارقة على شاطىء الفراة وهم قاصدين اليهم فقال لبنى كلاب هذه جماعة واردة نحونا وما يخلو حالهم من أمرين أما أن يكونوا من القسطنطونية ومعهم من السبى خبر واما أن يكونوا طليعة عسكر فدونكم وإياهم على كل حال فلنا فيهم بلوغ الآمال فعندها صاحت ذو الهمة فى جوادها وحملت عليهم مثل العقاب الكاسر وقد تبعها

ابن عمها الحارث وتبعتهم فرسان بنى كلاب وقد داروا بالعشرة مثل الذئاب فقتلوا منهم ثمانية واخذا اثنين اسارى فى طرفة عين وقد جاؤا بهم الى عند الامير الحصين فسألهم عن حالهم فقالوا نحن ههنا مقيمين على شاطىء الفرات مجردين من حين عبور ملطية الى بلاد الاسلام لانها قد وكلتنا بالمعابر التى عبرت فيها الى حين تعود من جهادها وتعبر الى بلادها وانما سبب ركوبنا ومجيئنا اليكم لان قد عبر منا عابر البارحة وهو بطريق من عسكر الملكه ملطيه فسالناه عن حاله فاخبرنا انه سائر الى مدينة ملطية يبشرهم ان السبي واصل مع الملكه باغه وحريم المسلمين ومامعها من الاموال التى مالها اول ولا آخر ويامر البطريق الذى فى ملطيـــــة وجميع العسكر بالخروج الى لقائها فلما ان سمعنا ذلك وراينا كم جئنا اليكم وقد حسبنا كم الملكه باغه وعسكر الروم فاتينا نحوكم فجرى علينا ما جرى (قال الراوى) فلما ان سمع الحصين ذلك فرح فرحا شديدا وقد علم انهم ما وصلوا بالسبي فقال لبنى كلاب ابشروا فإننا قد سبقناهم ولكن عودوا بنا الى الطريق التى تمضى الى جهة برت فإننا نلقاهم عند ضحا النهار لان سيرهم قليل لاجل ما معهم من السبي والاموال ونحن والسبي جريدة ونريد من يتوكل لنا بالمعابر ويحفظها ولا يترك احدا يعبر لنا من بلاد الروم لاننا ما نعلم كم نبقى فى القتال وربما طال من القوم المطال على السبي وعلى البطريق الذى فى ملطية لانه سار اليه البشير فإذا كان ههنا فى المعابر احـــد منا يمن يعبر لنا من ههنا فقالوا بنى كلاب هذا هو الصواب افعل ما بدالك ياسيد القوم فعندها وكل الحصين بالمعابر خمسين فارس من بنى كلاب وقدم عليهم رجل يقال له سيد بن الفرج وكان من شجعان بنى كلاب المذكورين وعادوا طالبين جهة برت ذلك اليوم ومن الغد باكر النهار اشرفوا على السبي كما ذكرنا وظهرت الاعلام العباسية وقد سمعت الماسورين بالتهليل والتكبير ففرحوا بذلك وترجوا الخلاص بامر مالك الممالك هذا وقد تاهبوا الروم للصدام لما ان علموا انهم من عصابة الاسلام فقالوا يا ترى من اوصل هؤلاء الى هذا المكان (قال الراوى) هذا وان بنى كلاب حملت على الروم من شوقهم الى الجهاد فى طاعة رب العباد وجودوا الطعن بالسيوف الحداد وقد صدموا الروم بالخيل الجياد فتلقتهم البطارقة كالرعد القاصف وحملت الملعونة باغه وهى صائحة زاعقة فالتقاها عطاف بن الحارث فتجاولا وتصادما ولم تكن الا ساعة من النهار حتى حملت عليه الملعونة باغه وضربته بالسيف

على هامته نزل السيف إلى نصف قامته فوقع إلى الأرض قتيل وعجل الله بروحه الى الجنة وأما الأميره ذو الهمة لما ان نظرت الى ذلك أخذتها نخوة العرب فحملت عليها مثل النار فى الحطب وجاولتها وضايقتها ساعة من النهار حتى خــذلت منها المناكب وضربتها الأميرة بالسيف على عاتقها أخرجته يلمع من علائقها فكبرت لذلك المسلمين وسبحت لله رب العالمين فوقع فى الروم الفرار والذهاب وقد وقعت فيهم سيوف بنى كلاب وأخذوا عليهم الطرقات والمذاهب حتى لا ينجو منهم هارب ولم يأتى آخر النهار حتى هلكوا جميع الكفار ولم يسلم منهم من يرد الجواب وقد خلصوا الأسارى من الحبال وملكت بنى كلاب الأثقال والأموال وما بقى من رجل إلا وهو يتحدث بما فعلت ذو الهمة من الفعال وهى كأنها اللبوة المهمهة وكلما راها الحارث زاد به الغرام والجد والهيام وباتت الناس مما قاسوا من القتال بأسوأ حال إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وذكر سيدنا محمد سيد الملاح فقال الأمير ظالم اقصدوا أمر خلف أصحابنا لعلنا نلحق الجهاد ونعين الأمير عبيد الله على قتال الأعداء فقال الحصين يا وجوه العرب تمهلوا على قليل ودعوا عنكم التعجيل فقد انفتح لى مراد فيه بلوغ الآمال فقالوا له وما هو الرأى أيها الأمير المفضل واعلم أن ما فينا أمر يعلى على أمرك فقال لهم اعلموا أننى قد عولت إلى أن أترك هذا السبي على حالته فى الحبال ونلبس ثياب القتلى من الروم الذين أخذناهم وتلبس الأميرة ذات الهمة ثياب الملعونة باغه وجميع عدتها وهى من الساعة تحكمنا ونسير من ههنا إلى ملطية لعلنا نملكها فانهم إذا نظروا السبي بين أيدينا اخرجوا الى لقانا لأن الخبر عندهم من البطريق الذى عبر لهم فاذا لاقونا بذلنا فيهم السيف وبعضنا يقصــد باب البلد وبعضنا يقاتل فما تشعر وإلا وقد ملكنا المدينة وكبرنا من كل جانب ومكان لأن البطارقة لا يخرجوا إلا للقتال وإلا للحرب والنزال ونكون قد ملكنا الباب بقدرة الملك العلام ونبذل المجهود فى المشايخ والشباب ويصير لنا الذكر فى جميع الاعراب (قال الراوى) فلما سمعوا بنى كلاب هذا الكلام رأوه عين الصواب وتعجبوا غاية الاعجاب ثم إنهم قلعوا ما كان عليهم ولبسوا زى الروم والبطارقة والأرجاس كأنهم خرجوا من القسطنطونية وأما الأميرة ذات الهمة ألبسوها ما كان على باغه من الملبوس فصارت كأنها البدر إذا بدر فلما ان فرغوا من ذلك قدموا السبي بين أيديهم وقد شدوهم

شدا خفيفا وساروا إلى ان أشرفوا على المعابر رآهم سعيد بن الفرج وهم فى زى الروم والرجال مشدودين على الخيول فقال كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم ان سعيد بن الفرج تأمل أحوالهم وقال لمن معه لو كانوا بنى كلاب فى الحياة ما عبروا هؤلاء بالسبى والأسارى إلى هنا وان كان الأمر كذلك فقد دنت وفاتهم فى الجهاد لأنهم جاهدوا وقتلوا على دين الاسلام إلا انهم ثبتوا إلى أن قربوا منهم فعرفوهم فحمدوا الله على ما أولاهم من الجميل لأنهم أعلنوا بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير سيدنا محمد صاحب الوجه الجميل وقد نظر سعيد بن الفرج إلى الحصين وعلى وجهه لحية شقراء من لحا البطارقة فتعجب من ذلك وقال والله ما سبقكم إلى هذه الحيلة أحد ثم انهم رجعوا إلى المعابر فقال الحصين للجماعة الذين أوقفهم على المعابر هل مر عليكم من المنهزمين أحد فقالوا له ما رأينا أحد ظهر ثم انهم عبروا إلى الجانب الثانى وساروا إلى أن أشرفوا على ملطيه فرأوا الأبواب مفتحة والبطارقة على الأصوار ينتظرون السبى لان البشير سبق اليهم وأعلمهم بذلك فخرجوا حين رأوا الملكة باغـه وفى مقدمهم البطريق أرمويل الموصوف بالشجاعة فلم يدروا وإلا وأبواب المدينة ملكت وبنى كلاب معهم فى البلد قد حصلت هذا وقد ضربوا البطارقة بالنعول وأرموا أجسادهم عرضا وطول حتى ملؤا بهم البلد وكان يومهم يوم مخذرل (قال الراوى) هذا ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل ونار الحرب تشعل إلى ان أمسا المساء وأقبل الدجا وقد قتلت البطارقة ولم يبق شيخ ولا غلام واحتوت بنى كلاب على البلد بما فيها من الاسلاب والأموال ودخلوا بالأسارى والأثقال الذين كانوا فى الحبال وقد امتلأت بهم ملطيه وقد باتوا فرحين مسرورين ولما ان حازوا الأمم والملك المحتشم تشاوروا فى العودة إلى نصرة الاسلام وعصابة الإيمان قالت ذات الهمة يا بنى عمى ما فى الأمر إلا اننا نحصن هذه المدينه التى ملكناها ولا نرجع نمكن منها أحد من الكفار بعد ما أخذناها ونخلى فيها من يحرسها من الفرسان ونعود إلى نصرة الاسلام وقتال الكفرة اللئام فإذا قهرناهم رجعنا إلى البلد ثم نجعلها لنا وطنا ونكون فى وجوه عباد الصلبان ونجاهد فى عبادة الملك الديان فقالوا لها والله يا بنت العم ما أشرتى إلا بالصواب لأن هذه البلد أطيب من بلاد العجم والعراق لأنها تفرح الفؤاد قريبة من الحجاز فقال ظالم ومظلوم وجميع بنى كلاب نعم ما رأيتم وهو الصواب ونحن إذا سرنا

ومضينا إلى نصرة الاسلام والمسلمين وعدنا ان شـــاء الله آمنين سالمين أنفذنا من ينقل لنا الأهل والأولاد والحريم فى هذه البلاد ونقاتل فى طاعة رب العباد ونتفرغ لفتح القلاع التى فى هـذه البلاد ولولا العجلة على العودة لنصرة الاسلام لكنا فتحناهم ولكن إذا عدنا مع النصر من الله وجاورناهم قطعنا عنهم الاقامة من القسطنطونية فهم يسلموها لنا بالأمان ويهربون فى الليل من هـــذا المكان (قال الراوى) فلم يزالوا كذلك إلى ان أصبح الله بالصباح فركبوا وجعلوا يدوروا فى البلد فرأوا عمايرها هائلة وأصوارها مشيدة عالية وقد وجدوا فى وسط البلد بيعة هائلة كبيرة وقد أنشئت وتمت فقالوا هـذه البيعة نجعلها جامع هـذا وقد وجدوا فيها خزائن نفط قد تركوها الروم ذخيرة فيها قبل دخولهم إلى بلاد المسلمين إلى وقت حاجتهم اليها فقال الحصين الذى هو أزرق العينين خذوا هـــذا النفط معكم فإن احتجنا اليه كان وانه ما يضرنا واتركوا فى البلد من يحفظها وعولوا على المسير فإن قلبى خائف على ابن عمى عبيد الله وما أدرى ما يكون منه مع حصار ملطيه فى آمد فعند ذلك تركوا فى البلد الأمير سعيد بن الفرج فى ألف فارس من فرسان بنى كلاب المذكورين وأبطالهم المشهورين وقد ترك عندهم من السبي ما أخذوا وأخذوا ما يقوم بهم من الزاد وأوصوا الأمير سعيد بالبلد وقلة المنام وقد رجعوا من وقتهم طالبين إلى آمد وساروا فى تسعة آلاف من بنى كلاب ومن السبي الذى خلصوه خمسة آلاف فارس وقد ساروا وحملوا النفط معهم ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى خرتبت وإذا قد أشرفوا على ثلاث بطارقة من صوب آمد وهم قاصدين إلى ملطيه فأخذوهم وعن حالهم سألوهم وعن عساكر الاسلام استخبروهم فقالوا لهم نحن نقول لكم الحق وافعلوا بنا ما شئتم أما عسكر الاسلام كسرتهم ملطيه وما دخل إلى آمد إلا القليل مع ملك من ملوكهم يقال له عبد الله وأما نحن أرسلتنا الملكة ملطيه نأتيها بخزائن النفط لأجل أمد لأنها قد تعسر عليها فتحها لأن البلد قويت بالعساكر التى قد دخلت اليها والملكة خائفة يطول عليها المطال وأيضاً خائفة أن يأتيها خليفة الاسلام من بين يديها وأيضاً معها رجل حكيم من حكماء الروم يقال له شادلوخ وهو قد أوعدها بأنه يأخذ لها آمد فى يومين إذا جابت له النفط قال وكان مع هذا الحكيم كتاب فيه تاريخ امد من حين بنيت ومن أين يجىء لها الماء ومن أين ينبع فى هذه الايام لاشك انه يقطع عنها الماء ولا بقى بعده

إليها قطرة وأن الملكة الآن فى الانتظار إلينا لنعود إليها بالنفط ليتم للحكيم الحيلة على جميع المسلمين الذين فيها لأنهم قنعوا بالآبار التى عندهم وقد صبروا وتجلدوا على الحصار وقد خافت الملكة أن يطول عليها المطال (قال الراوى) فلما أن سمعوا بنى كلاب ذلك الكلام والخطاب صعب عليهم وكبر لديهم وقالوا لقد أبطينا حتى انكسرت المسلمين فقال الأمير حصين ابن ثعلبة معلوم يا وجوه العرب أننا قد كنا أيضا فى جهاد الأعداء وما مضت أيامنا إلا فى الجهاد وفى طاعة المولى وأنا وحق الذى أجرى الماء من الجماد وسخر البحر كما أراد لا بد لى ما أحرقهم بالنار والنفط الذى أرسلوا يطلبونه واقطع رجاهم من كل ما أملوه فجدوا أنتم بنا فى المسير وتوكلوا على الله اللطيف الخبير (قال الراوى) يا سادة يا كرام فعندها ساروا بنيات صادقة بعد قتل الثلاثة البطارقة (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الأمير عبد الله فإنه سار من نصيبين فى عساكر العراق والعرب وجد هو ومن معه فى المسير حتى أشرفوا على آمد فرأوا عساكر الروم قد ملأت الأرض فى طولها والعرض وأشرفت امد على الأخذ والاكراد من فوق الاصوار وقد صبروا على الحصار وأهل البلد يستغيثون بالملك الجبار أن يرد عنهم كيد الأعداء الفجار فلما أن رأى الأمير عبد الله إلى ذلك أخذته نخوة العرب وصاح فى الموحدين المجاهدين اكشفوا عن اخوانكم المؤمنين وجاهدوا فى سبيل الله رب العالمين فهذه الجنة مفتحة الأبواب وهذا يوم تكسبون أيضا فيه الثواب من رب الأرباب (قال الراوى) فعند ذلك ضجت جيوش العراق ودفعوا نحو الروم الخيل العتاق وجردوا فى أيديهم السيوف الصقال (قال الراوى) وكانت الروم لما رأوا ذلك الغبار بعدوا عن البلد فى الحال حتى يتسع عليهم المجال وتأهبوا للقتال والنزال فلما تأهبت النصرانية حملت عليهم العساكر الإسلامية وصدموهم صدمة واحدة تزعزعت لها الجبال واختلطت المسلمين بالكفار وقد احتجبت الشمس من كثرة الغبار وعمل بينهم السيف البتار وبقيت الجماجم منثورة والأيادى مقطوعة والبطون مفجورة والدماء من الاوداج منهمرة وعقبان المنايا عليهم طائرة هذا وصاحب آمد قد خرج إليهم فى اثنى عشر ألف من الاكراد وحمل يطلب الجهاد وهم فرحين بذلك

العسكر الذى أتى لخلاصهم من الحصار وأتوا لهم أنصار هنالك عمل بينهم البتار وقصرت الأعمار وتلاطمت العساكر كتلاطم أمواج البحار والقسوس قد كشفوا الروس وكفروا بالملك القدوس ودوت أصواتهم بالإنجيل وكبروا بصاحب التنزيل وحثوا البطارقة على الجهاد وانتشروا كأنهم الجراد وفتكوا فى عسكر المسلمين وقد تكاثروا على الغزاة المجاهدين واندفعوا عليهم مثل البحر العجاج الواسع الفجاج ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل والسؤال لا يقبل حتى أشرفت المسلمين على الهلاك ونادى الأمير عبد الله يا معاشر الموحدين الأبرار اثبتوا ولا تولوا الأدبار فتحرموا من شفاعة النبى المختار صلى الله عليه وسلم وتبدلوا قصور الجنة بالنيران واعلموا أن الله تعالى ينصر المسلمين والمؤمنين فبيعوا نفوسكم ما دام البيع والشرى والمشترى يسمع ويرى ولا تحدثوا أنفسكم بالهرب تبقوا معيرة بين العرب ثم أنه حمل فى بنى سليم وتبعتهم بنى كلاب والأكراد الذين كانوا فى آمد وفى أولهم غشم مقدمهم وحملت العساكر الاسلامية كالليل ووقعت من تحتهم الخيل وحل بالناس الويل والملوك تصيح بالرومية يا ويلكم لا تفترون عنهم بالقتال ففى هذه الليلة يكون الانفصال وحصلوهم قبل أن ينطووا إلى البلد ويطول الحصار والامد وها أنا فى أوائلكم أقاتل وأناصل فهجموا الروم على المسلمين وطووا الليل مع النهار ولم يحصل انفصال لما ان سمعوا كلام ملكتهم فلما ان رأوا المسلمين إلى ذلك قاتلوا حتى الباب وكان أول من ترجل من العسكر كان الأمير عبيد الله وقال لا تحدثوا نفوسكم بالهرب فيحط بكم العطب فهذا يكون سبب وابشروا فقد قال من لا تراه العيون ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فعندها جثت الأبطال على الركب وقد أرموا الروم بسهام العطب وتناخت العرب هذا ولم تزل الأرواح ترهب والدماء تسكب حتى دنا الصباح وولى أكثر الغيهب ورأت الناس أنفسهم فى النقصان فتراجعوا يطلبون باب البلد وقد علموا أنهم إذا أصبح الصباح ما بقى منهم أحد فدخلوا إلى باب البلد فتراجعوا فى الأبواب وقد حمتهم الأكراد من أعلا الأصوار بالنشاب حتى دخلوا المدينة وأغلقوا الأبواب (قال الراوى) ياساده ياكرام هذا وقد ملكت الروم الأثقال والأسلاب والأرض ملئت بالقتلى وقد نظرت الملعونه ملطية عند الصباح إلى أصحابها وهم موثوقين

بالجراح وقد عدم منهم عالم عظيم وأكثرهم من سهام الأكراد العارفين يرمى النشاب (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من المسلمين الذين دخلوا البلد فانهم ماكان أحد يقدر يرفع يده من شدة الجراحات والتعب والسهر وما قاسوا من الآلام لأن هذه الوقعة كانت مذكوره وفى التواريخ مشهورة وقد سموها الروم وقعة المعامع لما فيها من المقامع التى لم يذكر مثلها فى جميع الوقائع فلما ان رأى الأمير عبيد الله ذلك ضاق صدره ولما رأى أصوار امد عالية طاب قلبه وقد شكره الأمير غشم على فعاله وقال له أيها الأمير والله ماكنا إلا أشرفنا على الأخذ لأن بلدى كبير والأجناد قليل وان أكثرهم هرب والساعة قد شد الله ظهورنا بكم وما بقينا نبالى بمن فى الأرض من بلاد الروم لأن عندنا الغله والعيون والطواحين والكروم فقال الأمير عبد الله بلدك حصين ونبقى خلف الأصوار محصورين ولا بد ما ندبر أمرا يعود صلاحه على المسلمين فان الحصار ذل وشنار ثم أنهم أقاموا يدبروا فى أحوالهم (قال الراوى) ياساده ياكرام فهذا ماكان منهم (وأما ماكان) من الملعونة المنجوسه ملطية فإنها أقامت بقية هذا النهار والثانى والثالث ما قالت فجمعت البطارقة وحكماء الروم وقالت لهم أريد منكم أن تدبروا لى المرة فى امد فقد أعيتنى فيها الحيل وهذه بالحصار ما تؤخذ فلما ان فرغت من كلامها قام اليها رجل شيخ من مشايخ الروم اسمه شدلوخ وقال لها أيها الملكه اخلى لى المكان حتى انى أحدثك بحديث عجيب أفتح لكى به البلد فلما ان سمعت منه ذلك فرحت وقد صرفت الناس الذين حولها ولم تترك إلا خواصها الذين تعتمد عليهم ثم قالت له قل ما عندك وان فتحت البلد بلغت امالك وجعلته مسلم لك ولا يتقدم أحد عليك فقال لها أيتها الملكه اعلمى أن عندى كتاب عتيق ورثته من أبى وأبى ورثه من جدى شالوخ وقد ذكر أنه من الحكيم أرسطاليس وفيه عدد الاقاليم التى للأرض العامره والخراب وحدود سواحل البحر وحدود عماراتها والامصار وطول ساحاتها فى الليل والنهار وذكر امد ومن أين جاء اليها الماء حتى صار ينبع من وسطها وهذه من هذا الجبل الاسود وأنا أقطع الماء عنها من مكان أعرفه وأهل امد لا يقدرون على قلة الماء فيسلمون اليك البلد فى عشرة أيام فلما ان سمعت كلامه فرحت وقد قال لها اعلمى أنى أريد أن يكون هذا الأمر عندك مكتوم حتى لا يأخذوا أهل البلد

حذرهم ويعرفوا خبره وانهم ان منعت عنهم الماء يسلموا لنا البلد فى عشرة أيام ويهلكوا وان كان عندهم من المياه التى فى الآبار ما يمسكون به رمقهم فيكون انقطاع الماء عنهم ينفعنا لأننا نجعله لنا طريق وندخل إلى البلد ونريد أن يكون عندك شيء من النفط حتى إذا امتنعوا أهل البلد من التسليم أأمر البطارقة أن يدخلوا من السرداب وينصبوا الســـلالم التى صنعتموها على الحصن وتطامعوا تقاتلوهم وتشغلوهم عنا حتى نعبر عليهم ويصيروا بين أمرين ان هم نزلوا لنا ملكتم الأصوار وان اشتغلوا بقتالكم ملكنا نحن البلد والليل له هيبة (قال الراوى) فلما ان سمعت الملكة ملطية كلام الحكيم فرحت وقالت وحق المسيح تقعد عندنا فى ملطية وأنا أرسل من يأتى به لأننى قد تركت عشر خزاين ملآنه نفط إلى وقت الحاجة إليها فى دخولنا بلاد الاسلام ثم قالت له متى تقطع الماء فقال لها فى ليلتى هذه فقالت له مهما شئت أن تصنع أأمرنا به واطلعنا عليه فنحن نفعله ثم أنها أرسلت من وقتها وساعتها ثلاث بطارقة الى ملطية بسبب النفط وهم الذين التقوهم الأمراء والحصين وقتلوهم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الحكيم شدلوخ فانه أقام إلى الليل فلما ان أظلم الظلام أخذ معه عشرة من البطارقة والملكة ملطية وقد خرجوا من الخيام تحت الليل ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى عند صخرة كبيرة فجمل الحكيم يدير نظره من حولها ثم قال لهم أحفروا ههنا وارموا التراب بعيد فتقدموا البطارقة وحفروا ساعة جيدة فظهر لهم طابق كبير من الرخام الأحمر فسمعوا دوى الماء من تحته وهو يهدر قال لهم الحكيم اقلعوا هذه الرخامة فهى المقصوده ففعلوا ذلك واذا وقد ظهر الماء من تحتها فقال لهم جعفر احفروا يسار الماء فحفروا فرأوا حجرا فتعاونوا فيه حتى قلعوه وإذا تحته جورة تبلع البحار وهى تسير من تحت الجبل فلما ان رفعوا ذلك الحجر نزل الماء جميعه فيها فقال لهم الحكيم اطلعوا الآن وخلوا الماء على حاله فما بقى يدخل المدينة نقطة واحدة وهذا موضع لا يعبر اليه أحد والماء قد راح تحت الجبل

و إن لم يسلموها لنا وإلا فما يحسوا بنا ونحن عندهم فى وسط
البلد من هـــذا السرداب الذى كان الماء يدخل منه

﴿ تم الجزء السادس ويليه الجزء السابع ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول .

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء السابع

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فقالت الملكة ملطية وحق المسيح لو أراد الحكيم أن يعبر بنا وجميع الجيش من هذا المكان لفعل ثم أنهم عادوا إلى الخيام قبل الصباح ثم ان الملكه قالت لخواصها وحق المسيح لقد أبطأ خبر أختى باغه لانى قد قلت لها أرصلى السبى والمال الى ملطية واكتبى للملك كتاب بما جرى وبما فتح علينا المسيح وبما أخـــذنا من السبى والمال وان كانت مضت إلى القسطنطينية فما تعود إلا ومعها عساكر كثيرة ولله فى خلقه أسرار لا يعلمها إلا هو وهو بكل شىء لطيف وبالعباد رحيم (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أهل امد والامير عبد الله وبنى سليم وعساكر العراق فانهم لبثوا ثلاثةأيامالى أن استراحوا وفى اليوم الرابع انقطع عنهم الماء فوجدوا ولذلك شدة عظيمة فقال عبد الله لصاحب امد تعرف من أين انقطاع الماء عن البلد فقال لا والله يا مولاى لان هذا المكان ما يقدر أحد أن يقطع الماء عنه وان تم الماء المقطوع عنا عشرة أيام هلكنا نحن والدواب لان هذه البلد قليلة الآبار لاجل أن الماء كثير ما يحفروا أبيار وهذا الشىء ما كان فى حسابى فقال الامير عبد الله عند ذلك كلمة لا يخجل قائلها وهى لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أنهم أقاموا على ذلك الحال أول يوم وثانى يوم فنشفت العين وقد أشرفوا الخيل على الهلاك وكذلك المواشى فبقوا

كذلك ستة أيام فكادوا أن يهلكوا فقال الأمير عبد الله لاصحاب امد افتحوا لنا الابواب حتى إننا نخرج ونجاهد الكفار لعلنا نملك الماء الذين هم عليه فان ذلك أسلم لنا ولدوابنا ويكون يخرجوا منا قوم ينقلون الماء على الدواب (قال الراوى) ثم أنهم أقاموا على ذلك الكلام ويحسبون ما يريدوا أن يفعلوا إلى أن أظلم الظلام فعندها قال الامير عبد الله لاصحاب امد هل عندكم شيء من النفط فقال صاحب امد نعم أنا عندى نفط لا يقدر عليه أحد فقال له الامير أحضره لى حتى انني أفرقه على الرجال فاما أن ننال المقصود وإما أن نموت بسيوف الروم أهل الجحود ولا نموت موت الغبينه فنخسر الدنيا والآخرة فقال له الامير غشم افعل ما بدالك وأنا ورجالى تابعين مقالك ثم أنه أمر بحضور خوابى النفط فأحضرت فملأت القواوير وتسلمتها الرجال من العرب والاكراد المعده للجهاد وقد استكثروا من العده وخرج عبد الله فى بنى سليم ورجاله وعسكر العراق مع كل واحد قارورة نفط وبعضهم باثنين وثلاثة وساروا رجاله وقد اختلط الظلام وصاحوا الله أكبر فتح الله و نصر وكان أول من بدا لهم البطارقة التى على الحرس وسمعت الروم ذلك من الخيام فثاروا نحو الصياح وأقبلت الملكة ومعها من البطارقة رجال وركاب ولم يبق فى الخيام أحد إلا وركب وطلب الصياح والملكة تقول لا يهولكم أمر فهم بقية سيوفكم الذى دخلوا البلد ولو ثبتوا لم ينجو منهم أحد ولم يزالوا حتى قربوا من المسلمين وهموا أن يختلطوا بهم فما كان منهم إلا أنهم رموهم بقوارير النفط فى وجوههم فالتهبت الروم بالنار كأنها السحاب فتعلقت بلباسهم فعادت الروم إلى ورائهم فزعا مما أصابهم من الحريق وإذا بالصياح فى الخيام التى للروم ونداهم يا آل كلاب (قال الراوى) يا ساده ياكرام فكانت هذه أصوات بنى كلاب الذين كانوا فى ملطية كما ذكرنا فساروا حتى أشرفوا على امد فرأو عساكر الروم فى هذا الحال وخيامهم خالية من الرجال ففى هذه الساعة أوقد فيها النار وزعق الحصين وقال يا بنى عمى دونكم والنفط فاحرقوا الخيام والحقوا أصحابكم أهل الاسلام فما هم إلا فى شدة عظيمة وإلا ما كانوا خرجوا فى ظلام الليل ثم أنه فرق عليهم النفط وأمرهم بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير وضربوا النفط فى الخيام من كل جانب ومكان ففى تلك الساعة عادوا الروم فزعين من النار من أهل البلد فرأوا النار فى الخيام فاندهشت عقولهم وتحيروا وساروا بين

بحرين زاخرين وقد أخذهم الصياح من الجهتين فوقع بهم الانبهار هـذا وقد فزعت الخيل من النار فطلبت الفرار فكان بعضهم لا يعرف الثانى من التهاب النار فى الفارس والفرس ومن وصل منهم إلى الخيام أخذوه بنى كلاب ومنهم من يرمى نفسه إلى البلد من حلاوة الروح وكان بالأمر المقدر أن تلك الليلة كانت كثيرة الأرياح كما يشاء الملك الفتاح فصارت النار تلتقطهم وتتعلق بأجسادهم وثيابهم والأرض عليهم ضاقت وهم يتجرعون كاس المنون والمسلمون وقد اشتفت منهم الصدور وتوسلوا بالملك الغفور وكلما طال الليل زاد لهيب النار وقد غضب عليهم الملك الجبار (قال الراوى) فوالله ما طلع النهار وبقى من الكفار ديار ولا نافخ نار وقد احترقت الملكة ملطيه وجميع ما معها من البطارقة والذى سلم منهم أسروه بنى كلاب فكان جملة الأسرى عشرين ألف أسير وبقيت النار تلتهب إلى ضحى النهار فتبادروا لها الناس بالطفى وقد انطبقت الجبال والأحجار وصارت البريه من حول آمد كأنها غمامة سوداء هذا وقد أقاموا فى طفى النار يوم وليلة حتى عبرت لهم بنى كلاب واجتمعت الأحباب بالأحباب ودخلوا البلد فرحين بالنصر وشكروا الله تعالى على النجاة وقد حدثوا بنى كلاب الأمير عبد الله بقتل باغـه وخلاص السبى وفتح ملطيه وقالوا اننا قد عولنا على الاقامة فيها ونأكل حلال طيب من أموال الروم ونعبد الحى القيوم فقال لهم الأمير عبد الله هذا هو الصواب وما فى الأمر إلا اننا نكاتب أهلنا والأولاد ونرسل من يأتى بهم إلى ههنا من أرض الحجاز فقال الأمير مظلوم أنا أمضى فى نفر من بنى عمى وآتيكم بكل ما يتعلق بكم وبنا وخلفائنا وخلفائكم ولكن أريد الكتب إلى سائر بنى سليم فقال الأمير عبد الله أنا أفعل ذلك (قال الراوى) ثم بعد ذلك تركوا البطارقة فى الحبال وقد أعرضوا عليهم الاسلام والفدا فمن أسلم أطلقوه ومن أبى قتلوه ومن اشترى نفسه بالمال أبقوه هذا وقد جمعوا الغنيمة وأخرجوا منها الخمس لبيت مال المسلمين وعزلوا للخليفة قسم وقسموا الباقى على جميع المجاهدين بالسوية وكتب الأمير عبد الله الكتب إلى سائر بنى سليم يأمرهم بالرحيل وقد كتبوا إلى المنصور يبشروه بالنصر ويعرفوه بما جرى وكيف ملكوا ملطيه على يد الأميرة ذات الهمة وبنى كلاب وقد تجهزوا جماعة مع الأمير مظلوم وهم مائتين فارس وسار طالب العراق ومعه التحف والأموال والخمس من الغنيمة وبعد مسير

مظلوم خرج الأمير عبد الله ومعه الأمير غشم صاحب آمد وجعلوا يدورون على المكان الذى قطع منه الماء فما وقعوا به ولا استدلوا عليه فعندها ضاقت صدورهم وبقوا مهمومين وباتوا ليلتهم فقال الأمير الحصين للأمير عبد الله إننى رأيتكما وقد رجعتما وأنتما ضيقان الصدر فقال له عبد الله يا ابن العم أما حدثناك أن الماء قد انقطع عنا ونحن محصورين فى الحصار وكنا أشرفنا على الهلاك ولما ان فرج الله عنا خرجنا ندور على الموضع الذى انقطع منه الماء فما وجدناه إلى الآن فضحك الحصين وقال له قم أنا وأنت يا ابن العم وصاحب البلد حتى ندخل فى السرداب ونمشى فيه الى أن نقف على المكان الذى يأتينا منه الماء (قال الراوى) لهذا الكلام (يا ساده يا كرام) فلما إن سمع الأمير عبد الله ذلك الكلام تعجب من فطنته وقد أعاد على الأمير غشم ما قال الحصين ففرح الملك ثم أنهم من وقتهم وساعتهم وساروا إلى العين وأخذوا معهم ثلاثة من الأرض الرومية ومشاعل قدامهم ونزلوا فيه وكان سرداب عظيم ولم يزالوا سائرين فيه إلى أن سمعوا حس الماء وهو نازل فى تلك القناة ثم خرجوا من ذلك المكان الذى فيه الحفر فأمروا الارمن بسد ذلك المكان الذى فيه الماء نازل بالصخر والاحجار وعادوا وقد ردوا الطابق الرخام إلى مكانه وعملوا الصخرة الكبيرة كما كانت أول مرة وقد أخفوا أمرها ولما فرغوا من أشغالهم هموا بالعودة فأخذ غشم البطارقة وضرب رقابهم وعادوا إلى البلد والأمير عبد الله يقول للأمير غشم والله لقد أصبت بقتلك الارمن ثم أنهم دخلوا امد فوجدوا الماء سبقهم وعاد كما كان عليه أول فشكروا الله تعالى على ذلك وعند الصباح وصل الأمير عبد الله فى بنى كلاب وبنى سليم إلى أمتعتهم وأمر بتحميل الجمال والمسير إلى ملطية وصارت ذو الهمه أقرب الناس إلى الأمير عبد الله وقد أحبها محبة عظيمة لأجل ما فيها من الفروسية والشجاعة ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى ملطية فرأوها بلد كبيره وأصوارها حصينة مشيدة الأركان والأبراج كأنها القمر الوهاج ففرحوا بذلك وخرج الأمير سعيد بن الفرج إلى لقائهم وبالنصر هنأهم هذا وقد ضربت الأميرة ذو الهمة خيامها بظاهر المدينة على نهر اسمه البدنون ثم قالت لمن معها إن هذه بلد مليحة وما لنا إلا نجعل مقامنا ههنا ونكون قريبين من الجهاد فى الروم (قال الراوى) ثم أن بنى كلاب تقاسموا البلد وتلك الارض ودخلت ذو الهمة إلى البلد وأمرت أن تبنى البيعة جامع

كبير ودار كبيره برسم الاماره وأمرت بعمارتها فلما إن كان من الغد ركب الامير عبد الله وخرج إلى ظاهر البلد وركبت ذو الهمه وابن عمها الحارث وأبوه ظالم وسائر بنى كلاب وساروا حتى أشرفوا على القلاع يدبرون فى أخذها فلما أن وصلوا اليها رأوها خالية وخاوية عروشها والبطارقة الذين كانوا بها هربو بالليل لانهم كانوا قوبين القلب بالملكه ملطية ويقولون أنها تعود اليهم من بلاد الاسلام فلما إن سمعوا بهلاكها وهلاك أختها وهلاك عساكر الروم وان المسلمين عولوا على الإقامة فى ملطية فعلموا أنهم ان أقاموا هلكوا لاجل المؤنه وقرب المسلمين منهم فنزلوا من قلاعهم من أول الليل وطلبوا بلاد الروم فلما ان نظرت الاميره إلى القلاع خارية قالت والله هذا الحساب الذى حسبته وقد علمت أنهم يهربون ففرح الامير عبد الله بذلك ثم قال يا أميره هذه القلاع صارت برسمك وفيها يكون مقامك فشكرته على ذلك وغيرت أساميهم قلعة المشرفية وقلعة الحكم وحصن المنشار وقلعة الكوكب وقلعة المنجنيق وكانت أكبر القلاع ثم أنها قال للأمير عبد الله نحن نكون عندك بظاهر ملطية فى الخيام لاننا تعودنا البر والقلاع وتكون عدة لنا إذا أدهمنا أمر من عدو ثم إنها سكنت فيها من بنى كلاب من يحفظها وعادت مع الامير عبد الله إلى ملطية ونزلت فى الخيام (قال الراوى) فهذا ماكان من هؤلاء (وأما ماكان) من الامير مظلوم فإنه لم يزل سائر إلى أن وصل إلى بغداد فوجدها منقلبة والإمام المنصور قد توفى وقد تولى بعده الامير الهادى بالله والولاه قد أتت اليه من سائر الاقطار يهنوه بالخلافة فدخل مظلوم على الهادى مع جملة الامراء فكانت هيبته عظيمة ومرتبته جسيمة فقبل الارض مظلوم بين يديه وقد سلم الكتب التى معه للخادم فسلمهم الخادم إلى الهادى بالله فلما أن قرأهم وفهم مضمونهم وجد فيهم مدح ودعاء للمنصور فقال القوم ما عندهم خبر من موته فعذرهم فى ذلك وقد قرأ الكتب إلى اخرها فسمع بكسر الروم وأخذ ملطية والثغور وإقامة المسلمين فيها ففرح بذلك وأعجبه ما سمع من وصف الاميره ذو الهمه وقد قاد مظلوم السبى الذى معه والبطارقة فى الحديد والمال فسر قلب الامير الهادى بذلك سرورا عظيما وأمر أن يعرض على البطارقة الاسلام فلم يجب منهم أحد فأمر أن يضرب رقابهم فضربت ورفعت الاموال إلى بيت المال وقال هذا يكون للمجاهدين وقد خلع على الامير مظلوم وأرسل الخلع إلى الامير عبد الله

وكتب له المنشور بالولاية وبالامارة وقد أنفذ لذو الهمة وبنى كلاب وبنى سليم الخلع السنية فقبل مظلوم الارض وودع الخليفة وسار إلى أرض الحجاز ولما ان عبرها أوصل الكتب الذى أرسلها الأمير عبد الله إلى بنى سليم فأجابوا بالسمع والطاعة وقد حكى لبنى كلاب بما قد جاءهم من الغنيمة ففرحوا بذلك وقد رحلوا من يومهم ثم شدوا الهوادج على الجمال وساروا بالأهل والعيال والاولاد وبنى سليم قد اجتمعوا فى خلق لا تحصى بعدد الرمل والحصى وساروا يقطعون المنازل والمناهل ليلا ونهار إلى أن أشرفوا على ملطيه وقد سبق البشير إلى البلد فركبوا الناس إلى لقائهم والأمير عبد الله وظالم وولده الحارث وذو الهمة فى أوائل القوم فأعطاهم مظلوم الخلع التى قد سيرها معه الخليفة وأعطى المنشور للأمير عبد الله والخلع للأميرة ذات الهمة وظالم والحارث وجميع الأمراء من القبيلتين ففرحوا بذلك واجتمعت الاحباب بالأحباب ونزلت الناس بأهاليهم واولادهم ودخلوا بنى سليم إلى ملطيه وقد نزلوا بنى كلاب بظاهر البلد فى الأبيات (قال الراوى) هذا وقد علمت الناس بعمارة ملطيه وبلاد الثغور فقصدوها من كل جانب ومكان وقد صار فيها من النصارى ومن الارمن ناس كثير وعمرت الضياع والبساتين وعملوا داخل البلد الدور والمساجد والمدارس والاسواق وساروا الناس فى الأخذ والعطا والبيع والشراء والرخا والامن هذا وفرسان بنى كلاب وبنى سليم كل يوم يركبون ويلعبون ويتطاعنون بالرماح وفى تلك الأرض يتنزهون وكذلك ذو الهمة والحارث فى قلبه منها نار لا تطفى ولهيب لا يشفى وهى مكتوبة الكتاب عليه غير انه لا يقدر يتقدم لها ولا يسألها وهو يشكو حاله لكل من لقاه من بنى سليم وبنى كلاب فأشار عليه شيخ من بنى سليم وقال له أنا أدلك على من يقضى حاجتك ويبلغك إرادتك وهو غلام من بنى عمنا يقال له عقبة بن مصعب فهو مفرد زمانه فى هذه الامور وأعرفهم فى الحيل لانه منذ نشأ ما له شغل إلا القراءة فى الكتب المتقدمة من كتب الحكماء المعروفين فهو يبلغك غرضك اما بكتاب يكتبه أو شىء يعطيه لك تسقيه لابنة عمك فتنال مقصودك منها بذلك أو بغيره (قال الراوى) فلما ان سمع الحارث من ذلك الشيخ هذا الكلام تعلق قلبه بالوعد ثم انه رجع إلى مضربه وهو يقول لابد لى أن أجتمع بهذا الرجل لعله يكشف عنى بعض ما بى

من الغرام (قال الراوي) وكان عقبة قد نشأ فى بنى سليم نشو العرب وما كان أحداً يقع له على مذهب وقد ذكروا المنام الذى رأته أمه لما ان كانت حامل به وانها قد فسرته على الحكماء فقالوا لها يأتيكى ولد شرانى يلقى الفتن بين الناس من النساء والرجال ويكون سفاك الدماء كثير الحيل والزنا مفسد فى الدين عاصى لرب العالمين فاحفظى سرك ولا تشيعيه واكتميه وإذا رزقتيه فاجريه فعندها كتمت عاليه أمر عقبة ولم يطلع على هذا الكلام أحد ولما ان ولدت عقبة لم تجد له فى قلبها حلاوة الأولاد لأنها رأت آثار العلامات عليه وظهرت فيه من الصغر لأنه مايخطى بين يديها إلا ويفسد كل شىء حواليها إلى أن كبر ونشا فكان يلقى الفتن والشر بين النساء فى الحى وهم لا يؤاخذوه لصغر سنه فلما ان كبر صار كل يوم يتولع بالخط ويدور على أصحاب الاقلام حتى استوى فسار فى الأرض وترك الحال والأوطان وجعل يدور البلدان ويدخل المدارس ويخالط العلماء وكان معروفا بالزكا والفهم ولا يسمع شىء قط إلا حفظه حتى صار حكيما فيلسوفا ثم ذهب وفتش إلى أن قرأ التوراة والإنجيل والقرآن وحفظ الجميع وقد اطلع على كل علم ومذهب وكان فى العرب من يقول انه دهريا لا يميل إلى شىء من الأديان وهم يقولون انه زاهد وعابد ويتوسمون فيه الخير والدين وهو فى الباطن مفسود اليقين (قال الراوى) هذا وقد كان الحارث لما ان عاد إلى مضربه عمل شىء من الحلاوات وأنفذ خلف الفقيه عقبة فأتى اليه وهو خالى من الناس فى مضربه وقدم اليه الحلاوة فأكل هو والذى دله عليه ثم أقبل الرجل الذى أعلم الحارث بحديثه على عقبة وقال له يا ابن العم اعلم ان الحارث قد أعلمته بمقامك وجمعت بينك وبينه وان له حديث يريد أن يطلعك عليه الساعه فساعده على مطلوبه فقال سمعاً وطاعة فعند ذلك بكا الحارث وشكا لعقبة من هوى ابنة عمه وقال له الحارث وحق الرب فالق الحب ان أنا وصلت إلى ما أريد فلك عندى مائة دينار وثوب ديباج وعمامة وفرس من جياد خيلى إذا أنت قضيت حاجتى (قال الراوى) فلما ان سمع عقبة ذلك من الحارث قال له يا أمير اعلم ان هذا الأمر أريد اخفاه وكتمانه وما أريد أحدا يشيع عن هذا الحديث ثم انه قال اعلم ان هذه ابنة عمك من يقوم بها فقال له يا أخى ما عندها أحد أحظى من أخيها فى الرضاع مرزوق الذى تربا معها على ثدى واحد وهو يصحبها فى السفر والحضر فلما ان سمع منه ذلك قال له عقبة قد قضيت حاجتك ثم انه أخرج له من تحت ابطه صرة وأخرج منها شىء معجون

وأعطاه منه وزن دانق وقال يا أخى احتفظ على هذا معك فاذا خرجت أنا من عندك فاستدعى بأخيها مرزوق وأعطيه شيء من المال ورغبه وقل له يا أخى أنى اريدمنك أن تضع هذا لسيدتك فى الطعام أو فى الشراب حتى أبلغ منها مرادى وأنت تعلم أنها بنت عمى وحلالى وما نعمل فيها شيء حرام ولا معصية فإن رضى وأخذ منك شيء وأخذ الدواء وأطعمها إياه فقد بلغت مناك (قال الراوى) يا ساده يا كرام وكان هذا الدواء الذى أعطاه له عقبة بنج طيار اقريطشى مصحون بالكبريت الأزرق لو طعم منه حبة لجمل لغاب عن الوجود جمعة وكان عقبه يعمله ويجيبه معه لأنه فاسق يهوى النسوان وكان إذا مرت به امرأة جميلة لزيارته لما تسمع عنه من الديانة والصلاح فيبنجها ويفسق بها هذا كان حاله لعنه الله ولما ان أخذ منه الحارث البنج أرسل خلف مرزوق وقال له يا أخى أنت تعلم أن ذات الهمة ابنة عمى وكتابها مكتوب على من أيام المنصوروقد رأيت ما جرى لنا وما قاسينا من شأنها وإنى أريد منك أن تعاونى عليها وهذه ألف دينار منى اليك تقضى بها حوائجك فقال مرزوق وما الذى تطلب أن أفعله لك أطلعنى على سرك وأوضح لى أمرك فاعلمه الحارث بالحال وقال له أريد منك يا أخى تأخذ هذا الدواء وتلقيه لها فى القدح الذى تشرب منه عند نزولها من الصيد أسقيهـــا الدواء فى الشراب وهذه ألف دينار حلال لك فقال له مرزوق ما أخذ منك شيء إلى أن تنقضى حاجتك لانها ابنة عمك وحلالك (قال الراوى) هذا وقد أخذ مرزوق منه الدواء وخرج من عنده وقد أقام الحارث إلى الغد وركب وطلب الصيد وركبت ذات الهمة معه تجولوا فى البر والوحش ينفر من بين أيديهم وهم يطردوا خلفه وقد أبعدوا فى البر وبنى كلاب يطردون خلف الوحش حتى حمى الحر فقاموا يطلبون ملطية فعادت ذات الهمة وهى عطشانه مما قاست من شدة الهجير فلماإن أقبلت تلقاها مرزوق بالقدح والشراب وقد أجاد الحيله ودبر المكيده وحط الدواء فى القدح ولاقاها به فأخذته منه لثقتها به وعلمها أنه ألا يخونها ولا تبلغ منها أحد أمل فشربته بعد ما نزلت عن جوادها فما هو إلا أن استقر فى جوفها حتى مالت على فراشها لا تعلم الليل من النهار وكان الحارث أوعد مرزوق يأتى إليه ويعلمه أنها شربت فلما تمكن منها الشراب وصل للحارث وقال له هلم إلى ما أنت طالب فقال له الحارث فعلت يا مرزوق فقال نعم ادخل اليها فقد أمكنتك القدرة منها فلما أن سمع كلامه قال له ادخل قدامى أنت وحرك يديها حتى

أنظر كيف تعمل (قال الرزوى) فدنا منها مرزوق وحركها وإذا هى كالخشبة فلما ان رآها مرزوق على هذه الحالة ندم على ما فعل وقال يعز على والله ما جرى غير أن الشرع حكم بذلك الامر وحلله هذا والحارث قد أقبل عليها وقلبه يخفق وهو يظن أنه فى منام أو أضغاث أحلام ثم حل سراويلها ثم لقى تحته سروال من الحلل الاديم الطائفى محبوك الساق لانها كانت عليها صيغتها فتحير الحارث وهو يتعجب من تحرزها على نفسها ولم يدر ما يفعل فأخذ سكين وقور مكان الحاجه من سروالها وواقعها إلى أن نزل دمها وبعد فراغه من قضاء حاجته تركها على حالها وخرج وهو فرحان ببلوغ الآمال وطفا ناره واستراح فؤاده فعندها أنشد وقال :

نلت الوصال وقد بلغت مرادى ۝ ممن أحب وكان ذا أعيادى
وبلغت قصدى بالذى من دونها ۝ طعناً يفك علائق الاكبادى

(قال الراوى) وكان ذلك بقدرة الله وحلمه لما يريده الله من إظهار ترس قبر النبى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الانجاب وهو الليث المهاب والاسد الوثاب والبطل المهاب الامير عبد الوهاب قال ياكرام فما قام الحارث عنها حتى علقت منه بإذن الله تعالى لانفاذ الارادة والقدرة فلما إن رآه مرزوق خرج من عندها وهو ينشد الاشعار علم أنه نال غرضه فقال له اهرب ياحارث وإلا والله إن وقعت تحت يدها لقتلتك أشر قتله فمضى الحارث وقد أعلم أبوه بما فعل فاعلم ظالم أخاه مظلوم وقد قال الحارث لعمه مظلوم أنا عولت على الهروب فقال له عمه ولاى شيء تهرب عن أهلك فما فعلت إلا خير فابشر بزوال الهم والصبر ثم أنه سار إلى مضرب ابنته ذو الهمة وقعد على الباب ولم يزل يحرسها إلى أن أفاقت وقد تقايت البنج من جوفها هذا ومرزوق ندم ندامة عظيمة من إساءة التدبير وبما عرض عليه الحارث من المال ولم يأخذه (قال الراوى) يا ساده ياكرام ولما إن أفاقت ذات الهمه ونظرت إلى نفسها فى ذلك الحال أرادت أن تقعد فلم تستطيع من شدة البنج ثم أنها تقايته مثل قوالب الجبن فعلمت أن الحيلة تمت عليها فصاحت فى مرزوق وقالت له يا عبد السوء يا خائن هل يليق بك هذا العمل بعد التربية والامن يا خوان تملك منى الاعداء لاكنت ولاكان ولا عمرت بمثلك أوطان ثم وثبت عليه وجردت الحسام وأرادت أن تعلوه بالسيف فقام لها أبوها ومنعها عنه وقال لها يابنية لاتفعلى ولاتخرجى من شريعة النبى محمد صلى الله عليه وسلم فما فى الحلال من عيب وما هذا ينقص

قدرك فدعي عنكي هذه النفس فقد رغم الشرع أنف الغير واعلمى أن الله تعالى ما خلق النساء إلا للرجال فارضى بما قضى الله وحكم به عليكى وخذيه يا بنيه بقبول (قال الراوى) فلما ان سمعت كلام أبيها أطرقت إلى الارض براسها من الخجل وقد رمت بالسيف من يدها وقالت وحق نبي الرحمة وسراج الظلمة ومصباح الامة لان رجع الحارث ووقع بين يدى لاقتلنه أشر قتله ودخلت النار بسببه ثم أنها ألزمت البيت وحرمت الركوب واحتجبت وأظهرت المرض والكسل وكانوا جميع الامراء يأتوا اليها والامير عبد الله يأتى اليها زاير ويتوجع لوجعها هذا كله يجرى وسرها مخفى غير معلوم والايام تمضى الى أن آن أوان الولادة بقدرة صاحب الارادة وجاءها الطلق بإذن خالق الخلق وقد آن ظهور الولد كما يشاء الفرد الصمد وسبقت المشيئة والارادة فى علم غيبه المكنون الذى يقول للشىء كن فيكون بأن يكون هذا المولود سيف الله المسلول وترس قبر النبى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فعندها أخفت ذات الهمة الوجع وتجالدت وأعانها على الولادة صاحب الارادة فولدت غلام عند السحر ولونه مثل الليل المنعكر أسود أغبر مفتول الذراعين أسود العينين أزج الحاجبين (قال الراوى) فلما ان رأته النسوان وقعت عليهم الخمده وقالوا لها يا ستى ذات الهمة قد جاء منكى ولد أسود وأنتى وأباه أبيضين فحزنوا النسوان من ذلك الشأن وبكين فى وجه ذات الهمه وقالوا لها يا أميره ما هذه الأمور التى تمت عليكى ونحن لا نعرفك إلا طاهرة الذيل برية الشك والميل فما هـذا الأمر الذى تم عليكى اعلمينا بقصتك فقالت لهم ذات الهمه أعوذ بالله أن يكون لامرى باطن وظاهر وهذا الولد صنعة الملك القادر الذى يضع الأكابر ويرفع الأصاغر وهو الأول والآخر يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويخرج الابيض من الاسود ويخرج الاسود من الأبيض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وما أعرف غير هذا فقالت بعض النسوان العواهر دعى عنكى يا فاطمه هذه المحاججه فليس فى كل وقت ينجح الطلب وأنا عندى من حسن رأى أن تقطعى سرة هذا الغلام وتخفى أمره لئلا يبقى معيره إلى يوم القيامة وهو يوم الدين وتفضحى بين يدى رب العالمين والصواب قتله وإلا هلكتى بسببه فقالت لها النسوان والله لقد قالت الصواب أختنا لئلا تفضحى بين الأعداء فزعقت فيهم ذات الهمة وأمرتهم بالخروج ثم أنها قالت لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم سبحان الذى صوره فى

ظلمات الأحشا ولا أخاف من الحق ولا أخشى ولا أقتل نفسى طاهرة من زواج صحيح وعقـــد رجيح عقده خليفة الله المنصور ثانى خلفاء بنى العباس المبرئين من الأدناس وأنا امرأة قد اشتغلت بالآخرة عن الدنيا الساحره ومالى حاجة فى زواج ولا فى غيره وإنما أريد وجه الله العلى الأعلى فمن شاء أن يغضب ومن شاء أن يرضى ولله فى هذا ارادة وليس للعبد تصريف مع مولاه ثم أنها أشارت تقول :

لقد نفذ المقدور فى أهل منصب ... لهم شرف عن قول واش وكاذب
وقد علم الرحمن أنى برية ... أروم قتال للعدا بالقواضب
وكان بأمر الله ما تعلمونه ... وما نلته حتى عـــدمت مطالبي
وأوقعنى بالبنج حتى تغيرت ... خواطر عقلى مع رشيد مذاهبي
وكان الذى قد خط فى اللوح كائن ... وان قضاء الله غير مغالب
ليأت لنا هذا الذى قد رزقته ... يحاكى الدجا فى لونه والغياهب
لقد عظمت هذى الرزية اذاغدت ... تفوق على آفاقهـــا بالمصائب
ولست وبيت الله أطلب قتله ... وما القتل فى شرع النبي بواجب
وما هو الا ابن من تعرفونه ... بحق وصدق ظاهر غير كاذب
لعل له شأن من الشأن كامن ... ومن ذا يريد الحكم عن قصد غالب
وقد علم الخلاق أنى برية ... مطهرة عن قبح فعل المعايب
بريت من الاسلام ان كنت أبتغى ... سوى الله محبوبا لقلبى وقالبى

(قال الراوى) فلما أن سمعت النسوان قولها صدقوها وقالوا لها يا أميره ان عذرك قبلناه ولكن من يراه غيرنا لا يصدقك فان كان ولا بد فاعطيه لنا نقتله ونشيع نحن فى الحى أنك قدرزقتى ولد من الحارث ومات ورماه الزمان بصروف الآفات لأن الخلق ما خلقوا الا للموت والموت عام على الناس من صغير وكبير كما قيل .

وكم رأينا وليـــد قوم ... قد مات اذا حانت الأمور
سبحان من قضى بهـــذا ... فهو على كل شىء قدير

(قال الراوى) فلما سمعت ذات الهمة من النساء هذا الكلام قالت ما قلتم يا بنات العربان الكرام فى هـذا الـكلام فاما قتله فلا يجوز فى دين الاسلام فكفوا عن هذا الـكلام وارجعوا الى الملك العلام خالق الضيا والظلام ثم أنها أمرت بتسليم الولد الى بعض الحواضن وقالت هذا وهبة من الله وودعته الى أن كبر فسموه عبد الوهاب

فتسلمته الحاضنة وقد زعموا النساء أن يكتموا هـذا الأمر الذى جرى ولا يخبروا به أحداً من الورى هذا وقد شاع فى الحى ان ذات الهمة رزقت ولداً من الحارث ومات فعظم على أهل الحى ذلك وقالوا حـين سمعوا ذلك المقال والله لو عاش كان يحيى حينا هـذا وقد بلغ الخبر أبوه الحارث فصعب عليه وقد سمع بأنها حلفت ان وقع فى يدها تقتله نخاف على نفسه وصار أكثر اقامته فى القلاع وصارت الأميرة كل يوم تركب وتسير فلا تراه ولا تقع له على أثر وان الحارث دخل على الأمـير عبد الله فى الخفية وأعلمه بالقضية وان ذات الهمة جابت ولد ذكر ومات وقد تحالفت لى فى القتل وأنا خائف منها وتقع الفتنة فلما ان سمع الأمير عبدالله ذلك تعجب وقال يا حارث الله يعلم انك أخطأت على نفسك وان كنت ما تجاوزت الشرع ولـكن أنا اركب غـد وأصلح بينكم ففرح الحارث بذلك وباتوا تلك الليلة ولمـا ان كان عند الصباح ركب الأمـير عبد الله فى وجوه بنى سليم وركبت ذات الهمة للسلام على الامير فلما ان رآها ضحك فى وجهها وقد اعتزل بها عن المواكب وأعلمها انه علم بالقضية التى جرت ثم انه سـألها على ذلك وان تـكف الفتنة وقال لهـا لا تظهرى ما انـكتم لأن هـذا جرى به القـلم فاستحت الأميرة من ذلك وقالت له قد أجبتك إلى سؤالك وما أساء إلا ابن عمى ولـكن ما أريد أن يلم بى فقال لها الأمير عبد الله وأنا أمنعه من ذلك ثم انه عاد إلى الحارث وأعلمه بما جرى فصبر الحارث وفى قلبه النار وأقاموا على المبـاعدة أيام وشهور حتى صار عبد الوهاب له من العمر أربع سنين وصار يلعب بين الاطناب ويصارع الصبيان وصارت تلقنه القرآن وتعلمه الفرائض والسـنن والطهارة وهو ينشو وأمره مكتوم غير معلوم إلى أن صار له من العمر ست سنين وهو يظن ان أمه هى التى تربيه فقال يوم من الأيام يا أماه اشترى لى فرس أتفرس عليه بين الأبطال فانى إذا كبرت نفعتك فقالت له وقد تعجبت من مقاله يا بنى أنا امرأة صعلوكة ولا بد لى أن أطلب الذى قد طلبت منى من الاجواد ثم انها أتت إلى الاميرة ذات الهمة وأعادت عليها قول عبد الوهاب ففرحت به وقالت لها يا أختى احمليه الى فى الليل وخذيه فى النهار حتى أبصر فضائله وأتأمل دلائله فقالت لها سمعاً وطاعة (قال الراوى) يا سـادة يا كرام ثم انها صارت تأتى امها به بالليل وتأخـذه بالنهار وما زالت كذلك الى أن حنت عليه الاميرة ذات الهمة وقد قطعته عندها ليـلا ونهارا وقد فرحت بنظره وصارت لا تصبر عنه ساعة واحدة وكان للأميرة ذات الهمة جارية يقال

لها سعدى وكانت تحب بعض غلمان الحارث فاطلعته على القضية وكان اسم الغلام سعد وكان قد خلا بسعدى ذات ليلة فقال لها أن مولاى الحارث فى قلبه النار من جهة الاميرة ذات الهمة وهو يراها اسفا فى الحياة فقالت له الجارية ياسعد انى أحدثك بحديث يكون سبب قتلها وتفتضح به وتنكس نفسها وربما أن تقوم نفس مولاك منها ولا يرجع يراها وقد عادت عليه القضية وقالت أن الأميرة ولدت مولودا اسود وهو من بعض العبيد وقد اخفته من الناس حتى لا يتهموها بمرزوق وهى تدعى انه ولد الحارث فلما أن سمع العبد ذلك وثب مسرعا إلى الحارث وأبوه ظالم وقد أخبرهما بما سمع من الجاريه فكادت عقولهما تختل فقال له الحارث ياسعد ائتنى بالجارية فعند ذلك عاد العبد راجعا وعاد بالامة فسألوها عن القضية فاعادت عليهم خبر عبد الوهاب وكيف هو مخفى من سواده وهو ولدزنا وقد هجرتك انها السيد العميد واختارت لها بعض العبيد لانها تربت معهم ولا تميل الا اليهم ولا تطرح نفسها الا عليهم فقال ياسعدى يالهذا العجب كيف تطلعينا على هذا السبب حتى نعلم صدق قولك فقالت يا مولاى اخبرك اذا جاء الليل خذوا معكم بعض المشايخ حتى يروا ويشهدوا واهجموا على الغلام تجدوه الى جانبها وهو أسود وهى تخفى مصايبها فلما أن سمع الحارث وظالم كلامها شكروها وقالا لها ياسعدى مانتنكر لكى هذا الجميل أبد فاذا رأيتيه نايم بجنبها تعالى واعلمينا فقالت سمعا وطاعه ثم انها مضت الى المنزل وصارت تترقب الى أن أقبل الليل الداجى فجمع الحارث وأبيه جماعة من أكابر الحى وقد حدثوهم بالقضية فقالوا لهم اغتنموا الفرصة (قال الراوى) فاجتمعوا من حوله كثير من الشياطين مقصودهم هتك ستر الأميرة ذات الهمة حسدا منهم لما أعطاها الله من الشجاعة فلما أن مضى قليل من الليل أتت سعدى تجرى وتشيرلهم بهذه الابيات .

استدركوا ابن الزنا فى صدرها ✲ واهتكوا بين الانام سترها
فقد بدا فى الناس حقا سرها ✲ ولاح فى هذا الظلام امرها
وابنها قدامها يسرها ✲ فاقطعوا لى بالحسام عمرها

(قال الراوى) فلما أن سمع الحارث وظالم منها هذه الأبيات وثبوا الى ذات الهمة يريدون قتلها فلمان أن وصلوا الى مضربها كان أول من هجم عليها الحارث وزعق بها ظالم يا فاطمه أورينا ولدنا عبد الوهاب الولد المبارك فلا تخفيه عنا يا كريمة العرب

ويا سيدة النسب ولم تنزكيه وكان قصد ظالم انها تعرفه به ولا تنكره ليكون لهم به حجة عليها فتقدم اليها وهو يقول

أرينا حبيب القلب لو كان لونه   كلون ظلام أو طلعة أسود

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما ان سمعت الأميرة كلام عمها انخدعت له وظنت ان كلامه صحيح فنبهت عبد الوهاب وقالت هذا ولدكم فانظروه ثم انها التفتت وإذا بالجمع العظيم قد غشيها فانقلبت عينها فى أم رأسها ثم قالت ما أخبـاركم يا أهل الحى أراكم اجتمعتم وجئتم فقالوا لها أورينا هذا الغلام الاسود فقالت لهم هذا ولدكم عبد الوهاب وما كنمته إلى الآن إلا حتى يطمع فيه الحارث ويجتمع به ويطلب القرب منى حتى يتقرب إلى به وحق من خلق الحبـة وبرأ النسمة وتردى بالعظمة لايحظى بى زوج بعدها أبدا لاهو ولاغيره وذلك ان الموت أقرب من الحياة فقال لها ظالم صدقتى يا أميرة كلنا إلى ما قد ذكرتى سائرين وإلى الموت واردين وقد علمنا ان سيد المرسلين انتقل بالوفاة وقربه اليه مولاه ولكن أين ولدنا يا أميرة العرب فقالت له هذا ولدكم فتأملوه وإذا هو له لون عجيب وذلك ان ذات الهمة كانت أجمل النساء وجها وأصفاهن بياضاً ساطعة لامعة وكان الحارث أبيض اللون حسن الوجه وكان عبد الوهاب أسود عميق السواد كأنه بعض أولاد النوبة ولكن له قلب لو وضع منه وزن درهم على قلب اسود فى الدنيا لكان يرى أبيضاً نقيا (قال الراوى) فسوف يكون لهذا الغـلام الاسود أحاديث عجيبة وأمور غريبة نذكرها فى موضعها إن شاء الله تعالى هذا وان عبد الوهاب لما أورته أمه للناس ورأوا سواده ضحك ظالم حتى استلقى على قفاه وقال واطيباه يا ذات الهمة من أين هذا الولد الذى له فرطوسه كفرطوسة العجل فقد انهتك به سترك وبان للخلق أمرك ولأجل هـذا قاتى ما أريد الحارث حتى انكى تختلين مع العبد مرزوق ثم ان ظالم امتشق السيف وهجم على الأميرة ذات الهمة وعاجلها وضربها فجرحها جرح فضيح فعند ذلك زعقت بالدين الاسلام وقد وثبت إلى سيفها وأشهرته وقالت يا كاب العرب ما هذه الفعال يا أخس الرجال هذا وقد رفع الحارث سيفه وضرب به عبد الوهاب فلولا انه كان انهزم من قدامه كان أمضى عليه إلا ان السيف لحقه فجرحه وسال دمه من رأسه فصرخ عبد الوهاب وقال واقوماه والله لئن كانت لى حياة لكان قتلك على يدى هذا وقد تزاعقت العرب وبلغ الخبر إلى الأمير مظلوم فجاء فى جماعة

من رجاله ووقع السيف بينهم إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ولم يبق فى البلد أحد إلا وسار اليهم ودخل عليهم وقال أعيدوا علينا هذه القضية حتى نقضى بينكم بالسويه فقالوا للأمير عبد الله اعمل لنا مجلس حكم وافصل لنا فى هذه القضية فجلس الأمير عبد الله على كرسى من العاج وهو مصفح بالذهب الوهاج وقد أحضر القوم بين يديه فوثب الحارث كأنه مجنون وعيناه تقدح شرار وشخر ونخر وقال أيها الأمير والسيد النضير الخطير أتتم تلومونى على ذات الهمة وعلمكم أنها ابنة عمى وعارها وشنارها على وواصل إلى وإن بغضتها لى زهدا فى وإنما كان لها سبب عظيم عجيب وذلك أنها تميل إلى العبيد وقد حملت منهم وجابت ولدا أسود ولد زنا وادعت انه ابنى وقد سمته عبد الوهاب وهو أسود من الليل البهيم وذلك أن القدر غرها وانقضى حتى قرت انه ابنها وأنا أبيض وهى بيضاء فمن أين يأتينا السواد وكيف هذا الأمر يا أجواد ثم أنه أنشد وجعل يقول :

عبيد الله قد عظم اللهيب	بقلبى حين قد بدت العيوب
وقلبى كان يعشقها قديما	على صدق وقد قست القلوب
أتت بابن الزناء وليس منى	وقالت انه ولدى كذوب
ولونى أبيض حسن جميل	وهذا لونه حلك مريب
يحاكى رزق قطران للعرب	ولونى أبيض هذا عجيب
رأيتم نخل تحمل قط قتى	ونيران لها رطب رطيب
دعوا هذا المحال فلست أرضى	مقالكمو ولا أبدى المعيب
لقد زنت اللعينة ثم جاءت	بأمر ظاهر كله عيوب
فاحكم بيننا يا خير عدل	فقد حل المصاب بما يصيب
وإلا سرت نحو الكفر أبغى	مقالهمو ويعلوه الصليب

(قال الراوى) لهذا الكلام هذا وقد شخصت اليه الأحداق وامتدت له الأعناق وقامت الدنيا على قدم وساق واشتد الزعاق هذا والسيوف تلمع والأرواح منهم تفزع ومظلوم واقف يسمع وظالم فى ذات الهمة يأخذه الطمع وسائر العرب الخلاف بينهم وقع فواحد يقول هذا الحال لا ينفع وآخر يقول هذا القول لايسمع أرأيتم مولود أمه بيضاء تسطع وأبوه أشقر أبقع يأتى لونه أسود أزلع وآخر يقول دعوا عنكم كلام لا ينفع وخافوا ظلمة القبر والمضجع ولا تكونوا

بمن لا يتكلم فى الحريم بكلام لا يسمع ألم تعلموا أن الله تعالى هو الذى يضر وينفع ويعطى ويمنع ويضع ويرفع بين الأحكام وشرع وخلق الأبيض والأسود والأبقع والعقول لا تهتدى إلى ما يريد أن يصنع أما رأيتم الزرع كيف تأتى سبلة بمائة حبة وأخرى تفسد ما تطلع وهــــذه الأميرة الزاهدة قد عرف كل احد منكم ما تصنع وكيف تسجد وتركع وتدافع فى سبيل الله وتمنع ولا تقرب الفجور الأشنع ومن قال اليوم كلاما يبتدع ان هــــذا الولد ما هو من الحارث يجب أن يصفع (قال الراوى) يا ساده يا كرام فبينما القوم فى ذلك الكلام إذ أقبل مظلوم على ابنته وقال لها يا بنية انفضحنا بين العرب وأصبحنا شهرة بين ذوى الرتب فانطلق بما عندكى فليت الموت غمركى ثم أن مظلوم بكى من شدة غيظه لأنه كان قد انقطعت حجته ودامت حسرته وهتكت ابنته وزادت لوعته وانحطت كلمتـــه فأشار يقول :

بنت مظلوم قد أطلت بكائى ... ومزجت مدامعى بدمائى
بعد عز مع قدرة وســـداد ... واقتـــدار بحومة الهيجاء
صرت ترمين بالزنا والتعدى ... من أهيل الفجـــور والفحشاء
كيف تأتى بأسود الجنس عبدا ... أغـــبر لونه بغـــير خفاء
أى عذر لنــا وقد افتضـــحنا ... عنـد أهل الأنساب والأقرباء
فاصـــدقينى بما بليتى فإنى ... شبه ميت مجلل بالبـــلاء

(قال الراوى) يا ساده يا كرام وكانت الأميرة ذات الهمة لها ســـنين ما نامت بالليل ولا أفطرت بالنهار بل صوامة قوامة خوفا من هول يوم القيامة فلما أن سمعت من أبيها ذلك الشـــعر صرخت صرخة عظيمة أجزعت الحاضرين ونادت وامصيبتاه إيش هـذا الـكلام يا أبتاه أتسمع كلام هـذا الباغى الظالم الذى هو كاسمه ظالم وابنه الحارث الخائن وعزة الله ما بقى بيننا إلا السيف أقتل به روحى وفى الآخرة الملتقى عند العلى الأعلى ثم أنها أنشدت تقول :

تحيرت والرحمن لاشك فى أمرى ... وقد ضاق مما قد دهيت به فى صدرى
وحق الذى أنشأ السحاب ولم يزل ... عليما بما قد دار فى غامض السر
وحق الذى أحيا وما زال قادرا ... رحيما عظيما دافع البؤس والضر
وحق رسول الله والصحب كلهم ... وأولهم يعنى العتيق أبى بكـر

ومن بعده الفاروق والسيد الذى ... يليه من الأصحاب عثمان ذى السر
وحق على ابن عم محمد ... ومن هزم الأحزاب فى موقف الكر
وحرمة بيت الله والموقف الذى ... به الخلق قد ضجوا على ذلك الذكر
وزمزم والركن اليمانى وبعده ... مقام كريم قد تسمى بالحجر
بأنى قد أدركت عقلى نقية ... وقد كان عمرى دون ستة والعشر
ولا أبتغى غير الصلاح مطية ... إلى أن أوارى بعد ذلك فى قبرى
وإن كان هذا الطفل قد جاء أسودا ... فصنعة ربى عندها يوقف الفكر
ومن جعل الأزهار تزهو تلونا ... بكل عجيب يشرح القلب والصدر
ومن جعل الشعر السواد كأنه ... بياض صباح إذ بدت غرة الفجر
وهل سمعتم أن خلقا بصنعه ... أعاد سوادا أبيضا أبد الدهر
فلا تدخلوا فى باطن القول تهلكوا ... إذا ما وقفتم فى مقابلة الحشر
وهذا الذى قد كان منى اليكموا ... تريدون قهرى عند مكتتم السر
وإلا اقتصار الحكم أسللت صارمى ... لأعناقهم حتى يقيمون فى القفر
ولكن أخاف القوم ان قال قائل ... لقد دفعت عنا المصيبة بالشر
وقد عزمت روحى على سفك دمها ... فلا خير فى الدنيا إذا خاننى صبرى

(قال الراوى) يا ساده ياكرام ثم ان الأميره ذات الهمة بكت وانتحبت فوثب عقبة السلمى وكان الملعون طبعه أن يسىء الى من احسن اليه فالتفت إلى الأميرة وقال لها يا ذات الهمة لاتقتلى نفسك فإن القياس الصحيح أن الحارث لما واصلكى وفرغ منكى وبقيتى انت مبنجة مكشوفة على حالكى ولم تعلمى ما يراد منكى جاء مرزوق ابن الأمة الذى تربى معكى وهو عبد على كل حال ولد زنا فرآك مكشوفة فى غير وعيك فافترسك لأن هذه شهوة اذا ثارت فى الإنسان ما يقدر على ردها فحملتى منه بحيث انه كان آمن والحارث خائفا فيكون الولد ولد مرزوق وما عليكى فى هذا عار ولا شنار والذنب على الذى اسقاكى البنج (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما ان سمعت الأميرة من عقبة هذا الكلام كادت أن تخرج من عقلها وقد رفعت السيف وقالت له ويلك يا كلب بنى سليم ما هذا الكلام إلا من حسدك لبنى كلاب تطلبون لنا العيب وانا اقسم بالله لابد لى من قتلك ثم انها وثبت اليه فزعقوا بنى سليم بمن يتعصب لعقبة وقالوا ارواحنا فداه

لانه فقيهنا (قال الراوى) وقد قصد عقبة بذلك التعصب للحارث ليميل طبعه اليه لأن اهل البلاد يعرفون بعضهم بعضا هذا وقد تعصبت للأميرة جماعة من اصحاب ابيها واشهروا سيوفهم المشرفيات وقد هطلت سحائب المنيات وماجت الأرض من السادات وانتشبت انياب النائبات ودنت الأنفس من الهلكات ونادى مظلوم اين من يغار على البنات اين من يخشى العواقب فى فضيحة الحريم اين من يقوم فى مقام التعصيب والغيرة لرب السماء اين من يعلم ان ذات الهمة من الصالحات القائمات المصليات أما سمعتم ما قاله عالم الاسرار والخفيات ان المسلمين والمسلمات ثم انشد يقول :

لقد عظم المصاب على السراة ... لما قد قيل من رجم البنات
ولا سيما وفاطمة وما قد ... حوته من فعال الصالحات
وحاشا مثلها يبدى قبيحا ... ويقرب فاحشات منكرات
وتقنت فى الصلاة كما أمرها ... إذا قامت بحب القانتات
وكم دفعت شرار الناس عنكم ... ولم تخشى صفاح المرهفات
وكم قامت بجنح الليل تدعو ... وتسأل ربها فى المغفرات
وذو الهمة لها شرف وفضل ... علا فى السابقات الاولات
ورب العرش يخلق كل لون ... عجيب للعيون الناظرات
وذوالهمة أتاها اليوم حكما ... تضيق به الصدورالواسعات
بعبد الوهاب الولد الذى ... دلائله امور هائلات
وان يك اسود افلعل ربى ... سيظهر منه بيض المكرمات
فدونكموقتال ليس فيه ... علينا إثم قوم عاديات
لان الحق معنا فاسمعوه ... ولا تتعرضوا قتل السراة
فإن الله يغفر كل ذنب ... سوى قتل النفوس المسلمات

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فتعجبوا الحاضرين من فصاحة مظلوم هذا وقد ركب الامير عبد الله أمير بنى سليم وقد اجتهد أن يحول بين الفريقين فما قدر وبقى النهار كله فى ضرب البتار ولم يزالوا كذلك وهم على هذا الحال إلى ان ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وكان من لطف الله تعالى قد نصروا اصحاب مظلوم وذات الهمة وكسروا اصحاب ظالم وبنى سليم إلى ان فرق بينهم الظلام وقدرجعت كل

طائفة إلى خيامها (قال الراوى) يا سادة يا كرام هذا وان الأميرة قد دخلت إلى مضاربها وقبلت بين عيناى ولدها ثم انها وضعته على ركبتها وقالت يا بنى سبحان من خلقك وصورك وعلى هذا المراد كونك ومن أجل هذه الفتنة ندعوه ان يصبرك فياليتى لم أرزقك ويا ليت إذ رأيتك لم أعدم نظرك فعندها رفع عبد الوهاب رأسه لها وقد نزلت الدموع من عينيه وكان من صغره عاقلا وفى كبره عاملا له همة عالية ونفس شريفة شافية وهو يومئذ ابن سبع سنين ويبكى من خوف رب العالمين وكان إذا رأى أمه تقوم وتقعد يطاوعها فى كل ما تريد وكان إذا قبض بيده ساعدها تحس به جبلا عظيما فتفرح به وتقول يا ولدى ان هذه الايادى تكون مجاهدة فى سبيل الله تعالى فيقول لها اعلمى ان الله قد خلقنى أسود اللون لأمر قد سبق فلا اعتراض عليه فيما خلق لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ثم ان عبد الوهاب بكا بكاء شديد ما عليه من مزيد وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

فإن أك أسوداً فالقلب منى ... عليه من البياض ضيا نهار
وليس اللون فى الإنسان عيب ... إذا ما كان فى فعل الفخار
وليس الفخر إلا فى صلاح ... ليوم البعث فى يوم القرار

(قال الراوى) فلما سمعت الأميرة شعر ولدها عظم فى عينها وعلا قدره عندها وقالت له لله درك بين الأولاد والله انك ولد سعيد ولابد أن يكون لك شأن وأى شأن وقالت له يا ولدى لاتسأل عما جرى على ولابد ما احتمل هذه الامور حتى أرى ماكان وما يكون وأشارت تقول هذه الأبيات

أيا خالق الأشياء أنت الممجد ... وأنت إله العالمين الموحد
تعاليت يا رب العباد ولم تزل ... قديما عظيما أنت تخشى وتعبد
لا صبر يا أزلى لحكمك دائما ... لعل اصطبارى بعد ذلك يحمد
سأحمل فيه الضيم حتى يعيننى ... بما فيه من نجح وسعد وسودد
سألتك خلصنى بجاه محمد ... فإن شفيع العالمين محمد

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما أصبح الصباح ركب الأمير عبدالله ومعه أبطال قوم بنى سليم وسادات بنى كلاب وأحضروا الحارث وأبوه ظالم والمشايخ من الفرسان الأنجاب وقال لهم اسمعوا ما أقول لكم ولا تخالفونى فى الخطاب ثم ان الأمير عبيد الله أحضر الأميرة ذات الهمة فلما حضرت قال لها انى أريد أن أفصل

بينكما فقالت أيها الأمير وحق من يعلم السر وأخفى وهو الباعث الوارث أن هذا الغلام ولد الحارث فقال الأمير عبيد الله وانا أقسم بالله انكى لصادقة وقد شهدت لك القلوب بذلك لما رأينا فيك من الصلاح والرشاد فلا تحملى على قلبك هم ولاغم ولا بدلى ما أصلح بينكما ويزول هذا العناد والزمة أن يقر على هذا انه ولده على مافيه من السواد فقالت له أيها السيد ماتريد وانا أقسم بمن لايغيره الزمان ولا يعتريه الحدثان المعبود على طول الزمان العالم بما يكون وما كان لاضمنى أنا والحارث شقفا أبدا ما قام قائم وقعد وانا أريد منكم أن تخلوا بينى وبينه حتى أخمد أنفاسه وأهد أساسه وأسكنه أرماسه وأنا ما كنت أريده قبل التشنيع والاعتدا أرجع اليه وقد نادى على بالزنا بين الرجال والنساء وهذا لايكون أبدا ولوشربت كأس الردى فقال الأمير عبيد الله أن كنتم لاتسمعون ما أقول لكم فأنا عندى رأى حسن فقالوا له وماذلك الرأى ياأمير قال نحمل هذا الولد الى مكة شرفها الله تعالى ونقصد به الى القافة ينظرون لكم وله قالوا هذا ولدكم لزمكم وتنطفى هذه الفتنة من بينكم وأن قالوا هذا الولد ليس منكم ندبر تدبير آخر يرضى به الكبير والصغير فقالوا قد رضينا الى ذلك أيها الأمير هذا وقد نادت العرب لقد أرضى الأمير عبيدالله وقال الحق ومافيه ومن لم يرضى بذلك فهو ظالم وعقبه فأجاب مظلوم وابنته لما سمعوا ذلك الكلام وقالوا لعل الله يكشف كربنا ويزيل ظلامتنا هذا وقد جرى الشرط على ذلك ثم أن الامير مظلوم انتخب من أصحابه خمسمائة فارس وانتخب ظالم وولده ألف فارس وأخذ الامير عبيد الله من بنى سليم ألف بطل وقد ساروا الجميع طالبين البيت الحرام وزمزم والمقام وهى فى جد وكد واهتمام يطلبون الحكومة من القافة هذا والامير مظلوم قد تقدم وهو مغموم مهموم وقد توكل على الحى القيوم الذى يعلم القضايا والحكوم وما يجرى بين الخصوم وصار ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

نسير الى البيت العتيق الممجد ... ونسأل بخير الانبياء محمد
بان يكشف الغمه الينا وما جرى ... علينا بما قد كان من ظلم معتدى
وقد نالنا لما اتانا بحكمه ... من الولد الصالح المستولد
وقد انكروه حتى جاء ولونه ... ظلام على انا رأيناه اسود
سأمضى الى عند الحطيم وزمزم ... الى الركن والحجر الشريف المسعد

فان انكروا هذا فلله حكمه | سيقضى على بنتى بسيف مهند
واقتل نفسى بعد ذاك لاننى | ارى القتل خير الى من كل مقصد
وان صدقوا بنتى فلله درها | فذاك الذى ارجوه من لطف سيدى

(قال الراوى) هذا وقد ساروا مجدين والى نحو البيت قاصدين الى أن بقى بينهم وبين مكة ثلاثة أيام عندها أشرفوا على مرج أفيح وماء يشرح وزهر قد فتح وفى وسط ذلك الوادى قباب من الديباج منصوبه وقباب مضروبه ورماح مركوزه وكانت هذه الحلة لعرب يقال لهم بنى حرب وكانوا كثيرين العدد عزيزى المدد والمقدم عليهم رجل جبار وبطل مغوار يقال له غاشم ابن عامر وكانت العرب تسميه شيطان الحجاز وعفريت البر والمغار عندها سار ظالم وولده الحارث اليه وسلما عليه وأعادوا قصتهما عليه وما جرى لهما من أول الكلام الى آخره وأطلعوه على باطنه وظاهره وانهم رحلوا من بلادهم وأتو الى مكة المشرفة لاجل الحكومة مع القافة فلما سمع غاشم حديثهم قال لهم أيهم أحب اليكم قتلها أم ابنها فقال له ظالم ان قدرت على ذلك فلا تبقى منهم أحد وكان ظالم قد ساق قطعة جيده من النوق والجمال وقدمها لغاشم ورجع الى خيامه عند المساء وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول :

أيها الليل قد ظفرت بقصدى | من بنات العجوز والعدوان
كيف ياتى من اسود الوجه خيرا | ابن هذا من طارق الحدثان
سوف أبليهم بغاشم ذو المجد | فى حربه يوم الطعان طعان
حتى ياتى الهمو فى محال | فتراهم أروسا بلا أبدان

(قال الراوى) هذا وظالم يقول لاصحاب غاشم وذمة العرب والنخوة والحمية لاتركت من أصحاب مظلوم من يخبر بخبر ولا من يصل الى مكة بشر ولو اجتمعوا لهم بنى سليم الاخر قطعتهم قطع النبات الاخضر (قال الراوى) وكانت ذات الهمة لما نزلت فى تلك الارض أقبلت على أبيها وقالت له اعلم يا أبتى أن هذا الملعون الحارث واخيك ظالم لايتوانوا عن شيء يفعلوه فى حقنا فاياك أن يغتالوك على غفلة فقال مظلوم وأنا أسأل الله تعالى ان يكفينا شرهم والله يا ابنتى أنا ما فزعى إلا عليكى فقالت له والله لو أنى اريد ابريء ساحتى بين الانام فما كان لهم عندى جواب الا الضرب بالحسام وأنا عولت ان اكون راكبه وادور حولكم لان قلبي يحدثنى بغدرهم ومكرهم وشرهم فقال مظلوم هذا شيء لا يكون ابداً ولا يفعله أخى ظالم هذا ولا

يسفك دم عشيرته ولا سيما ونحن عند البيت الحرام وزمزم والمقام ولولا هذه القصة التى جرت لكان اخى يطلب لى الراحة وكان يقول ذلك وهو سليم القلب لانه طيب الاصل فلا يظن بأحد الاخيرا وباتوا باقى ليلتهم آمنين ولما كان من الغد واذا بالصياح قد اخذهم من كل جانب ومكان والخيول قد اقبلت تخب بالفرسان ونادى منادى يابنى سليم لا بأس عليكم انعزلوا عنا فما اخصامنا الابنى كلاب فلما سمع الامير عبيد الله ذلك قال لقومه ياويلكم دعوا عنكم هذا المقال (قال الراوى) واذا بفارس قد اقبل وراكب جوادادهم بغرة مثل الدرهم وراكبه كانه طود من الاطواد ومن ورائه اكثر عن خمسمائة فارس وهم على الخيول العربية ولم يزل سائر حتى وقف قدام غاشم ونادى ايها الملك الهمام والسيد الضرغام اتق الله فى دماء المسلمين واعلم ان الدنيا ليست باقية وكل نفس مسئولة عن فعلها ونحن اقبلنا إلى مكة إلى الخصوم مع الاخصام حتى نتحاكم بين يدى الحكام وهم القافة والحكماء والعلماء واناوحق رب البرية العالم بكل سر وخفية تقية نقيه ولكن ما اقدر ادافع الاقدار والمشيئة لان الخالق يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو على كل شىء شهيد ثم انشدت تقول صلوا على طه الرسول

اغاشم هذا الظلم حقا بعينه ... وما الظلم الا مهلك أبد الدهر
تعديت حتى قد قتلت رجالنا ... بكثرة أندال بجمعة القفر
ولو كان انصاف المساواه بيننا ... لصرتم طعام الوحش فى المهمة الوعر
وقولك انى قد فجرت تعديا ... على وهذا القول من اعظم الامر
ستاتى من الرحمن نار جهنم ... مجازاة قول الزور ياملك العصر
اليك ترى طير الحمام ملونا ... على سائر الاجناس فى البحر والبر
فهذا له من اسود اللون خلقة ... وهذا إلى حمر وهذا إلى صفر
وهذا له لونا يخالف جنسه ... وهذا بتقدير العليم بما يجرى
وقولك هذا الحارث الزوج سلموا ... له بنت مظلوم على الظلم والغدر
فان كنت ذا عدل وتعرف منصفا ... فابرزه نحوى للضارب بالبتر
والا فهذا الظلم حقا بعينه ... ولا تأمنن الدهر فى السر والجهر
وحق النبى الهاشمى محمد ... ومن خصه الرحمن بالعز والنصر
حلفت يمينا لا تعاطيت منكرا ... ولا كنت الا ذات دين وذا ستر

(قال الراوى) فلما سمع غاشم تلك الابيات سال عن قائلها فقالوا له هـذه الاميرة ذات الهمة بنت مظلوم فتعجب من قولها ورق قلبه اليها وقال للحارث اخرج اليها فان كانت مظلومه فان رب الكـعبة لاينصرك عليها وان كانت ظالمة كاذبة فانت تنصر عليها فلما سمع الحارث من غاشم ذلك تحـير وتخبـل وحار فى امره وعلم ان هو خرج اليها قتلته فقال يامولاى نصطلح وندع المحاكمـة فقال له غاشم لابد ان تبرز اليها فقال له ايها الامير لاتحسبن هذه المرأة مثل غيرها من النساء التى تعرف هذه ذات الشجعان والاقيال واحالت بين الاسد والاشبال ولاتـكون بمجرد ماتقربت اليك بالمحال ان تعرضنى للوبال والخبال فضحك غاشم وقال إلى هذا الحد هذه المرأة فقال نعم فقال اقطع على نفسك قطيعة حتى آمر عبد إلى يقال له الكـباش ياخذ رأسها فقال الحارث على هذا المركوب الذى تحتى فهو بخمسمائة دينار فعندها صاح ياكباش واذا قد خرج اليه عبد كانه طود أو بعير حل من قود وهو راكب على جمل حجازى يسبق الخيل وفى رأسه سلسلة حديد وهو كانو شيـطان مريد فقال يامولاى ما تشتهى فقال له أريد منك رأس هـدا الفارس الساعة فقال سمعا وطاعه ثم حمل على الاميرة وهو ينشد يقول :

وما النسوان أقرانى ولـكن ... رأيت مقالة المـولى صوابا
انا الكـباش كـباش المنايا ... وليس الحرب ضراب الرقابا
فدونك شـبه مرزوق فانى ... أحـب أتيـك ان شئت الضرابا

(قال الراوى) ومراده كان فى البيت الاخـير ثم انه حمـل عليها وكان هـذا الكباش موصوفا فى بلاد الحجاز فلا والله ما كان الاشى بيضه حتى صاحت الاميرة فادهشته وطعنته بالرمح فى صـــدره طلع السنان يلمع من ظهره فقال غاشم وذمـه العرب ماأرادت قتله ولـكن حسنها قتله ثم انه أقبل على الحارث وقال له ويلك ياحارث لقد أعجبنى فعالها وقتالها وأريد أن تـكـون لى قرينه فطلقها والا أخـــذت روحـــك فقال الحارث وقد علم أن حب ذات الهمة قد تمـكن من قلبه وانه أن قاومه فى ذلك كان ســـبباً لقتله فقـال فى نفسه ويلك يا ابن ظالم قـد وقعت مع هـذا الظالم الغاشم ومالك الا المداراه والاشتوابك الاعدا وسقيت كؤس الردا فقال له أيها الامـــير الهمـام والاسـد الضرغام ان الله قد طلقها منى لان رأسى ما اجتمع مع رأسها على وسـادة أبدا فقـال غاشم هـذا ما أعرفه أبدا ولـكن انطق بطلاقها واعلم ان هـذه

ما تصلح لك زوجة يا ابن ظالم وإنما تصلح لأمير العرب غاشم ذو الفخر والمناقب والمكارم ومهلك الأبطال يوم التصادم ثم أنه أنشد يقول صلوا على طه الرسول :

أحارث طلقها فقد عظم الأمر ... وما لى عنها بعد ما فعلت صبر
وليس سواد الإبن مما يعيبها ... وما هى إلا حرة ظاهرة الطهر
شهدت لها انى أراها نقية ... وما هى إلا حرة وابنها حر
فطلقها إن الفؤاد يحبها ... ومن هى لدنياها نريد بها فخر
فإن لم تطلقها ضربتك ضربة ... حواك بها من بعد منزلك القبر

(قال الراوى) فلما سمع الحارث ذلك من نظمه ونظر إلى غاشم وقد انقلبت عيناه فى أم رأسه خاف على نفسه من باسه وقال له أيها الأمير دونك وإياها فإن ظفرت بها فهى منى طالق وإن لم تظفر بها فأنا وإياك فى العجز سواء فقال غاشم الآن أنصفت ثم أنه اقبل على شيخ من عشيرته يقال له عاصم بن قاسم فأجابه بالتلبية فقال له عجل إلى أبيها مظلوم وقل له أن الأمير غاشم قد طلب كريمتك وهو راغب فى صحبتك وأقل ما فى الأمر أن العرب تقول لولا علم الأمير غاشم ان ذات الهمة برية عما رميت به من الزنا وأنها منزهة عن الفحشاء حتى انه طلبها لنفسه والثانى أنه ملك من الحجاز إلى اليمن فتنضاف العرب اليك لأنك أمير العرب بالعراق والشام وتصير عرب اليمن والحجاز بأمرك وتحت حكمك وتملك رقاب الأمم وكل ما شئت من الجمال والأموال فإنك إذا خاطبته بذلك أجاب فاقصد إلى ذات الهمة وقل لها قد سعد نجمك وعلا عزك حيث الأمير غاشم قد طلبك له زوجة وطلقك من الحارث وقد بذل لك من الصداق ما شئتى ويسلم اليكى اعداكى وإن شئتى ضرب رقابهم بين يديكى وتصيرى ملكة العرب والسادات من ذوى الرتب وإن أبيتى خرج اليكى وأخذكى قهراً فانظرى ماذا أنت قائلة قال فخرج عاصم وقصد الأمير مظلوم وسلم عليه فقدمه وأدناه إكراما لمولاه وقال له خيراً ان شاء الله فقال له ماتم الا الخير وأعاد عليه القصة وقال له انظر ما أنت قائل ولا تكن لغاشم الا مجامل فقد أنصف من حذر وما قصر من أنذر فقال مظلوم وقد تحير وحق البيت المطهر والركن والحجر ومن طاف واعتمر انى أحب ما ذكر وأريد أن تكون ابنتى وزوجته فانه من أعظم السرور الأكبر إلا أنه ليس لى من أمرها شيئا فامضى اليها وأعد القصة عليها فقال عاصم وأنا معى رسالة اليها ثم قصد الى الأميرة وهى راكبة على جوادها

فسلم عليها فردت عليه السلام فقال لها ايتها الأميرة ان الأمير غاشم قد أعجبه فعالك وذكر زيادة جمالك فتمى فضلك وإحسانك وزوجيه نفسك ولكى عنده من الصداق عشرة آلاف ناقة ومن الأغنام والخيل ما ليس له عـــدد وقد طلقك من الحارث بحضور جماعة من مشايخ العرب وإن شئتى ضرب رقبته وان شئتى عفا عنه وإن شئتى حمـــله اليكى وجعل أمره فى يديكى وزواج الأمير غاشم بكى يطهر ويذهب الظن الردى فانظرى ما عندك فقالت ذات الهمة اعلم أيها الشيخ المجمل فى الخطاب المنتظر رد الجواب وفقك الله للصواب انى لو كنت ممن يرغب فى الرجال كنت أحق بهذا الأمير والسيد الخطـــير ولكننى قد تفردت بخدمة ربى وطلبت الآخرة وما أركب هـذه الخيل لطلب فخر ولكن للجهاد فى سبيل رب العباد فلما سمع عاصم ذلك قال لها اعلمى أن زواجك بهذا الأمير ينفى عنك هـــذه التهمة وتنكشف عنك الغمة فقالت له يا هذا ما يكشف غمتى الا عالم سريرتى ولا أبالى اذا كان ربى عالم بحالى فقال وقد ذكر الأمير غاشم ان لم تجيبيه الى الزواج والا أخذك غصباً واباد اهلك طعنا وضربا فقالت والله ما يقدر على ذلك ابداً ولو علمنا ان فى الحجاز من يقطع علينا الطريق كنا قد اصطحبنا من قومنا من يدفعكم عنا ولولا خلفنا ما دخلكم الطمع فينا وان كان ولا بد من زواجى فأريد صداقى وهو من يقهرنى فى الميدان وموقف الحرب والطعان ثم انها أشارت تقول :

ارجع اليه وقل له يا ســـيدى ... ان الصداق لها براز الأمجد
فإذا أردت جمالها فابرز لها ... يوم الهياج بضرب ذاك الأملد
فلئن ظفرت بها فأنت محكم ... ولإن قهرت رجعت غير مسدد
فوحق من رفع السماء بقدرة ... ودحا البساط بكل بحر مزبد
وبحق خير الخلق أعنى أحمد ... قسما عنيت به النبى محمـــد
لا كان زوجى غير من يغتالنى ... فى الحرب فافهم ما أقول بمقصد

(قال الراوى) فلما سمع عاصم ذلك الكلام رجع الى غاشم واعاد عليه جواب الأميرة فقال وحق ذمة العرب ما ارادت بذلك الا تختبرنى وتنظر افعالى وحلاقى ثم انه بادر الى هدية سنية وأرسلها اليها فأخذتها وكانت تلك الهدية مما كان ينهبه من مال الحجاج والمسافرين لانه كان دأبه ذلك الفعل العنيد وكان قبض على ظالم والحارث وأوثقهما كتاف وارسلهما اليها على تلك الحالة وفى ثانى الأيام أرسل الى

الأميرة ذات الهمة يطلب منها الزواج فردت الرسول خائب من بعدمانهرته وأرادت قتله وبعد ذلك نزل اليها غاشم وصار بينهما حرب وحمل كل واحد منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه وقد ثار عليهما الضباب هذا والحارث وأبوه ظالم يتأملان إلى الأميرة وإلى غاشم وإلى فعالهما وقد تعجبا من قتالهما وما زالا على ذلك العيار حتى ارتفع على رؤوسهما الغبار وغابا عن الأبصار وزاد بينهما الكر والفر والأخذ والرد والهزل والجد وقد رأى غاشم من الأميرة ما هاله فأنشد يقول :

أذلهمة لكى فعل شديد ... وعزم كما عزم الحديد
قدرأيت العجب فى يوم حربك ... وإنى فارس بطل شديد
ولكنى أريد اليوم هذا ... لاحويكى وأبلغ ما أريد
وهذا اليوم أعجبنى قتالك ... شديد من شديد من شديد
وإنى قد فهمت اليوم قصدك ... ومطلوبك وسائر ما تريدى
أأنتى لا تحبى من يصونك ... ويعلو ذكركى يوم الوعيد
ولكنى أريد طبعك وأصلك ... فدوماً لا يميل إلا للعبيد
وإن رأيت العبيد أتوكى جمعاً ... أجبتيهم وجولك بالمزيد
ولكنى بهذا اليوم أردى ... اليكى وأجعلك فوق الصعيد
يكون الحارث أبيض وأنت مثله ... ونسل البيض مايبدل بسود
وقد عرف الأنام بأن قولك ... على البهتان والفعل العنيد
وقولك ما له أبدا حقيقه ... وليس البيض حقاً مثل سود
وإنى غاشم باطل مسدد ... وإنى فارس بطل شديد
فدونك فى ذا اليوم حربى ... وطعنى إننى قرن عنيد
دونك يا بنت مظلوم نزالى ... تريني من قتالى لا أحيد
وإنى فارس الفرسان حقا ... وأنتى ما تهوين إلا العبيد
فلو أننى كمرزوق هويتى ... وكنتى لى وما أهوى تريدى
وفى ذا اليوم اقتلكى جهاراً ... وأروى من دماك سنان عودى
وفى ذا اليوم أشبعكى طعانا ... وأفنيكى وتضحى فى عديد
وإنى غاشم قد شاع ذكرى ... مع الأبطال جبار عنيد

(قال الراوى) ولما سمعت الأميرة منه ذلك الشعر والنظام وما أبدى من التهديد

والكلام صار الضيا فى عينيها ظلام ولا بقت تنظر تضع الأقدام وقد أشارت إلى غاشم تقول هذه الأبيات صلوا على صاحب المعجزات :

أيا غاشم دونك لحربى وموقفى — ودونك ولقائى يالعين وانصف
ففى مثل هذا اليوم القيك فى الثرى — واجعلك فى ذا البر ملقى ومتلف
وأفنى لقومك يا لئيم بصارمى — واخلى الدما تجرى كسيل ترادف
وخلى نساك اليوم عندى يا فتى — ينعوا عليك بالدمع فى كل موقف
وأريح منك الحج فى البر والفلا — وتهدى عيون الناس من كل مسرف
ومالك من حربى وطعنى مخاص — ولا مهرب من طعن رمحى ومرهفى
ووالله والله العظيم وحق من — بمكة والبطحا وذيك المواقف
فلا بد فى ذا اليوم أفنى جموعكم — وأخليكمو فى البر رمم تجيف
ويا رب صلى على النبى وآله — من كان فى الأحكام والحق منصف

(قال الراوى) ولما سمع غاشم منها ذلك الكلام صار الضيا فى وجهه ظلام وحمل عليها وقد أخذه الغيظ والحنق وكل منهم على خصمه قد انطبق وعلى رفيقه قد زعق وازور الحدق وسال العرق وأخذ القوم عليهم القلق وقد أخذا فى الكر والفر والأخذ والرد والهزل والجد والمصادمة والمكافحة والملازمة ولم يزالوا الإثنين فى قتال وجدال وصدام وخصام والتصاق والتزام وضرب حسام حتى بدا الليل بالظلام وولى النهار بالابتسام ونادى المنادى بينهما بالانفصال وفى غداة غد يكون القتال والنزال والضرب بالنصال وانفصلوا على ذلك الحال وباتوا طول الليل يتحارسوا إلى أن أصبح الصباح وصلت الأميرة صلاة الصبح وركبت ظهر جوادها وكذلك قومها وبنو عمها وارادوا أن يحملوا معها ويساعدوها فلم ترضى بذلك بل منعتهم من الحملة فبينما القوم كذلك وإذا بغاشم قد خرج إلى الميدان وموقف القتال والطعان وحملوا على بعضهم البعض واوسعوا طولا وعرض وما زالوا فى عراك وشباك حتى أشرفوا على الهلاك وسوء الارتباك إلى نصف النهار وقد ارتفع على رؤوسهما الغبار وغابوا عن الأبصار وكانوا من ضرب الصارم البتار وقد مل غاشم وكل واحتار وأخذه الانبهار فاستظهرت عليه الأميرة غاية الاستظهار وضايقته فى المجال تحت الغبار وزعقت عليه زعقه تفلق الأحجار وقد قالت له يا لعين يا غدار اليوم أقتلك بحد البتار وأخليك مرمى فى القفار وأريح منك الصغار

والكبار واجلى بقتلك عنى العار والذل والشنار فلما سمع منها ذلك المقال كان عليه أمر من ضرب البتار الا انه أظهر الجلد والاصطبار وهجم عليها بقوة واستظهار وهذا وقد أخذه الانبهار وصار فى أموره محتار وقد قصد صدر الاميره بطعنة والأمير مظلوم قد فاق على ابنته وكذلك الأمير عبد الله وأهله وعشيرته الا ان ظالم والحارث ولده فانهم كانوا فرحانين بما جرى بين الأثنين وظالم يقول لولده يا ولدى هذه آخر أيام ذات الهمة من الدنيا وعمرها لم بقت تشم نسيم الهوى ولقد مل منها الحيل والقوى وأشرفت على الهلاك والفنا ولا بقى لها من هذا المكان براح ولا فكاك واليوم الأمير غاشم بوردها مورد الهلاك وترتاح منها ياولدى وتقر بذلك عيناك هذا والأميره لما قربت منها الطعنة انقلبت مثل اللولب وصارت للحصى سهالب وقد بطلت الطعنة وسلمت الأميره من الافات والمحنة وبعد ذلك عادت إلى جوادها واعتدلت فى محل ركوبها ونادت بأعلا صوتها لمن يعلم سرها ولغاتها وقد توسلت وزاد بها ابتهاجها ودعت من جعل الليل سكنا وجعل القمر سراجا وقالت يا من يرى جريان الماء فى العود والدم فى الاوداج وخص بالشفاعه صاحب المعراج انصرنى على هذا الظالم الغاشم قاتل الحجاج يامن بيده النصر والابتهاج والخوف والانزعاج ثم قامت بعدذلك الدعاء والابتهاج وقد نظر اليها الحق جل وعلا بعين قد رنه وقدر لها النصر من عنده وأعانها على ذلك الظالم الذى هو كاسمه غاشم وقامت فى الركابين وتمطت فى البدادين واعتدلت على خصمها وطعنته بحيلها وعزمها وقالت خذها يا ظلوم وأنا فاطمة بنت مظلوم أمة الحى القيوم مطيعة لرب العالمين فوقعت الطعنة فى صدره خرجت تلمع من ظهره فكبر عبد الله ومن معه من بنى سليم وأشار على العرب بالجملة أجمعين وقال يابنو عمى دونكم وأعداكم مكنوا منهم الصارم البتار وعجلوا لهم الهلاك والبوار وارضوا بفعلكم ربكم الذى على الأعداء ينصركم فعندها أكبوا رؤوسهم فى قرابيص سروجهم وأطاعوا كلام أميرهم وحملوا على أعدائهم وعولوا على هلاكهم وفناهم وحملوا الكل حملة واحدة على عسكر غاشم وكانوا بعد أميرهم كالبهائم وانحلت منهم العزائم وبقوا فى كل طريق هزائم وصار العاطب منهم أكثر من السالم وقد فلقت منهم الجماجم ومظلوم ومن معه قويت منهم العزائم وعاد الدم

ساجم وقطعت الغلاصم وبريت الاكف والمعاصم وعاد الراقد أكثر من القائم وأرملت النساء وبقوا بين لعل وعسى وتشتتوا فى الفلا والرمال والاودية الخوال ونزل عليهم الذل والخبال ولم يطيقوا القتال غير ساعه واحده وصارت الأرض منهم خامده وتاهوا فى الخلوات وعاد جمعهم إلى شتات وتركوا البنين والبنات فأخذوا بنى كلاب النوق والجمال والغنائم والأموال وأخذوا أموال ظالم الذى كان أهداها لغاشم ثم حصل للاميره من الأموال ماتعجز عن حمله المواشى والانعام واستغنت بنى كلاب ونهبوا كثيرا من الاموال وقد وهبت الأميره لرجل يقال له أبو الصلت شىء كثير وصار من أصحابها وكان اذا ارأى أحد من المنهزمين يقول اقفوا يابنى عمى حتى تأكلوا حلاوة الزواج فيقول مانابنا الا السلامه من ضرب الرقاب وقطع الاوداج وقد ضحكت بنى كلاب من هذا الجواب فهذا ما جرى ههنا وأما الأمير عبد الله فانه أقبل على ظالم وعلى ولده الحارث وقال لهما اسمعا منى واعترفوا بهذا الولد ودعوا عنكم الخلف والنكد فلعلها يا حارث ترجع إلى ودادك وتطاوعك على مرادك فقال الحارث هيهات ان أعترف انه ولدى فهذا لا يكون أبدا ولو شربت كاس الردا فقال ظالم لابدلنا من الدخول إلى بيت الله الحرام حتى ينفضح أحدنا فى الاحكام ويصير مثلا بين الانام فقال عقبة يا أمير بعدان وصلوا إلى هذا الجناب لايكون فى رجوعهم صواب فقالت ذات الهمة مالنا الا ظهور الأمر الواضح ويهتك الله أصحاب الفضائح (قال الراوى) ثم انهم رحلوا وساروا ان وصلوا إلى مكة شرفها الله تعالى وعظمها وشاع الخبر فيها بهذه الحكومة والناس لايدرون فاطمه ظالمة أو مظلومة بل ينظروا فى وجهها ويقولوا وحق الكعبة المبنية ماهذه الا امرأة صالحة نقية وينظرون فى وجه عبد الوهاب ويقولون ما هذه الاصوره عجيبة وأحوال غريبة وقد اختلفوا الناس فى الكلام وباتوا ليلتهم هذا ومظلوم قد اختلا بابنته وقال لها يابنتى أنا أعلم ان مافى قلبك من الوقوف عند المحاكمة قدام أهل الحجاز والعراق وما ندرى ما نقدم من الفضيحة طول الابد فاطلعنى على أمرك فان كنتى تعلمى ان أحد أراد لكى الفجور وعدا عليكى بأمر من الأمور فقولى حتى اننى أهج أنا وانتى على وجوهنا فى القفار وننزل على بعض قبائل العرب من قبل ان ننفضح بين سادات مكة والحرم ثم انه أنشد اليها وجعل يقول :

ابنتى ان الحكم يصبح واثق   وقلبى من خوف الفضيحة خافق
ولمة أباكى قد دهته عيوبها   فقولى اذا قد كان نالك طارق
فو الله قد أضحى فؤادى مولم   وقلبى اليكى بالمحبة واثق
فقولى لعلى ان ادارى بعض من   يكون لى عونا فى المحبة حاذق
وان كان هذا الابن قد جاء لونه   يشبه ظلام الليل والليل غاسق
وقد اتهمونا منه حتى بأننا   بقينا حديثا سائرا وحقائق
ويا ليتنا متنا ولا كان هكذا   فللموت سهل والزمان موافق
والموت أهون من فضيحة سيد   يصول به فى الاهل أيشم طارق

(قال الراوى) فلما سمعت الأميره كلام أبيها بكت حتى كاد ان يغشى عليها ثم انها رفعت رأسها وقالت له يا أبى حتى انت الآخر داخلك الشك فى أمرى فلا ألوم أحد ثم نادت وافضيحتاه هذا لم يكن فى الحساب ثم انها جذبت حسامها ووقفت قائمة على قدميها ووضعت ذبابه بين ثدييها وقالت يا أبنى هذه ساعة الوداع فأحوجتنى ان أقتل نفسى وأكون من أهل النار انى أقسم بمن مرج البحرين وأنار القمرين وجعلهما سراجين ولايخفى عليه من الاشياء طرفة عين الذى بعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين وعرج به إلى قاب قوسين ما كان هذا الا ولد الحارث وحق الذى خلق الخلق ما شاركه فيه مشارك ولا عارضه معارض والان فقد قطعت ظهرى وهديت عمرى ثم انها أشارت اليه تقول ·

رزقت وليدى للمقادير أسود   وباكتنى الاعادى وكان افتضاحيا
وما خلق الرحمن فهو مصور   بحكم وتقدير ولون مراديا
وبعد صلاتى فى الدجى ومواقفى   على عرفات فى ليالى مقاصيا
وبعد صيامى فى الهجير وبعدما   غزوت وقد قضيت حمل حياتيا
أميل إلى العصيان والفسق انى   معاذ إلهى عالم باقتضائيا
فو الله ثم الله لاشىء غيره   وحق رسول الله أكرم هاديا
اذا أنت تهمنى فو الله اننى   لاقتل روحى بعد قتل مصابيا

(قال الراوى) فلما ان فرغت الأميره من شعرها ونظمها همت ان تطرح روحها على الحسام فوثب اليها أبوها مظلوم ودمعه مصبوب وقلبه مكروب وقال يا بنيه

بطيب اصلك وقلبك حتى اقول لك افعلى ما بدا لك فقالت ذات الهمه قل ما بدا لك فأخذ الحسام منها وقال لها يابنيه وحق من فى علم غيبه احتجب وذمة العرب وشهر رجب انني قد انصدع قلبي مما جرى على من الاعداء وانا وانتِ فى المصيبه سواء وان قتلتى روحك قتلت روحى معك ولا اطيق الصبر عنكى واقول ان الصبر اجمل واولى وايضا ان انتى قتلتى نفسك يقول الناس لولا انها فعلت تلك الفعال مع مرزوق ما قتلت نفسها ولكن نصبر ونحتسب بالله ونحضر غدا عند القافه ونحتكم عند من يحكم بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فلما ان سمعت الاميره قول والدها علمت ان قوله صواب فصبرت ثم انها خرجت وجعلت تطوف بالكعبه وهى تتضرع الى الله تعالى ان يبين الحق ويظهره وما زالت كذلك الى ان اصبح الصباح وخرجت المخبات من الخدور وسارت العربان يهرعون واهل مكه يتجارون حتى وقفوا الناس بازاء الكعبه وهم عالم لا يحصى بعدد الرمل والحصى هذا وقد حضر الامير عبد الله فى بنى سليم وظالم وولده الحارث وجميع بنى كلاب والامير مظلوم والاميره ذات الهمه وسائر الاصحابه وقد أتوا بالقافه وعلى اكتافهم الابراد اليمانيه (ياساده) وبعد ساعة اقبلوا جماعة يحملون الامير عبد الوهاب وقد نصبوا له كرسى من خالص الاخشاب وجلسوه فوق الكرسى حتى صار مساويا للناس هذا وقد رمقته العيون وبكا الامير مظلوم وقعد منه القوى والحيل ونادى يامفرج عن ذا النون لا تفضح شيبتى ولا تفضح ابنتى ثم انهم ارسلوا خلف الاميره ذات الهمه فأتت وقد التفت فى أزار واخذت سيفا ولفته فى ازارها وخبته بين أثوابها على انها متى ماهتك القافه سترها تخاف ان يهم ظالم والحارث بقتلها وربما انها تدافع عن نفسها ولا يبلغ منها عدوها مراد ولا يشمت بها حساد (قال الراوى) ولما حضرت الاميره مالت اليها الاعناق وشخصت لها الاحداق وصار على القدم ألف قدم من ازدحام الخلائق والامم ورمقوا بأبصارهم من حول الكعبة اليهم وقد وقع البكا عليها فلما رأت إلى ذلك اشارت تنشد وتقول

ياكعبة فضلها ربها بالذكر ... فى نص كتاب الله الحكيم
وقال حجوها فمن حجها ... كان له فى ذاك أجر عظيم

تغاسلت بالحج اوزاره ... ولا يرى من بعد ذا نار الجحيم
جئناك امن بعد على ما بنا ... من شدة الأشواق نرجو النعيم
بكا عليك المصطفى عندما ... هاجر رجا عنكم أن يقيم
لكنه قد أخرجوه ضحى ... والقلب منه فى هواكى يهيم
أعادنى الله اليكى غد ... فى غاية العز وملك عظيم
ناداه مولاه كذا قد قضى ... واصبر فللصبر محل كريم
يا ربنا يا مالكا للورى ... بجاهه عندك فهو الحكيم
جئت الى بيتك متوهمة ... لكن هذا القلب منى سليم
خلصنى من عصبة قد رموا ... عرضى واسلكنى سلوك القويم
يا من يرى فى النمل تحريكها ... فى وسط ليل مظلم بهيم
بين خلاصى بين هذا الملا ... فإنك أنت العلى العظيم
وصل يا خالق هذا الورى ... على الرسول الصادق المستقيم

(قال الراوى) ولما ان سمعوا الناس شعرها وما أبدته من نثرها أمنوا على دعائها وقد حنوا عليها ودعوا اليها وشكروها على مقالها ومال خاطرهم اليها وقالوا اصحابها وأقاربها وبنو عمها كلمة قالها المقربون انا لله وانا اليه راجعون وقد قام الحارث ابن ظالم من بين الخلائق والأمم ورفع صوته وأنشد يقول :

معاشر القافة بينوا لى الامور ... قد غدرت بى زوجتى عامدة
فكان ظنى انها حرة ... قد ظهرت خائنة فاسدة
هل يخرج الاسود من أبيض ... هيهات هذى حجة باردة
فاحكموا ما بيننا انها ... جارية افعالها جاحده
من ابن مرزوق لها شبيه ... بلى والا فاظهروا الفائده

(قال الراوى) ولما ان فرغ الحارث من شعره ونظمه صاحت الناس من كل جانب لأحل الأميرة ذات الهمة وقالوا ادعوها تتقدم وترد عن نفسها فعندها قامت الاميرة ذات الهمة ودخلت بين الناس وهى تدافع الخلائق عن نفسها وأشارت الى القافة وقالت لهم نعمتم صباحاً ولقيتم نجاحاً ولا عدمتم أفراحاً وبعد ذلك قالت الحمد لله الذى خلق الإنسان وكون الاكوان العالم بما قد كان حتى يظهر علم القدرة والسلطان اما بعد فإنى امرأة لا اركن الى الذل والهوان ولا

أفوز الا بالعمل الذى يدخلنى إلى الجنان ودار المغفرة والرضوان واعلموا ان هذا الولد ولد هذا الانسان الذى قد رمانى بالغرور والبهتان وأنتم أصحاب التبيين والبرهان فاحكموا بيننا يا أهل الايمان ثم انها أنشدت تقول :

قد قال انى امرأة فاسدة ⁂ وانى خائنـــة جاحده
والله ما أبغى سوى خالقى ⁂ يكشف عنى الشدة الزائدة
وان كنت قاربت فجورا فلا ⁂ أصرف عنى علة واكده
وانى والله صوامة ⁂ فى ليلتى راكعة ساجدة
فاحكموا بالحق ما بيننا ⁂ وراقبوا من أنزل المائدة

(قال الراوى) ولما ان فرغت الاميره من شعرها ونظمها قال شيخ القافة والله لاحكمن اليوم بالحق ولا أستعمل الا الصدق ثم انه قال الحمد لله المتعال عن الشبيه الذى ليس له عديل ولاشبيه معاشر الناس قال رسول الله صلى عليه وسلم الولد للفراش وهذا الولد لابيه الحارث من جهة هذا الوجه وانه دخل عليه الافكار لاجل سواده وتغير لونه واضطراب كونه وبالله العظيم ان هذا الصبى ولد الحارث لان عيناه كمثل عيناه وكذلك المعاصم والشمائل والكفوف والاطراف والانامل وانى أقول مقالة صادق غير جاهل فيما أنا قائل فانظر ياحارث ما أنت قائل (قال الراوى) ولما ان سمع الحارث من القافة ذلك زعق وقال اسكت أيها الشيخ ليس عندك صدق واعلم اننى أنا ما يدخل على قول الزور والبهتان وما أنت الا خرفت من كثرة السنين وطول الزمان واعلم اننى أقول القول الواضح كالدليل اللائح فقال له الشيخ وكان اسمه الكامل وهو شيخ نقى الشيبه أيها الناس ابسطوا لى بسط من الرمل واحضروه عاجل الحال ففعلوا ذلك وقال للحارث أنت وعشره امشوا على هذا الرمل والصغير معكم من غير ان أراكم وأنا لمايتم أمر مشيكم أجىء وراء الرمل وأقول لكم هذا قدم الصغير وهذا قدم أبيه من بين أقدام العشره فقالوا الحاضرين وحق السميع المجيب ان هذا الذى ذكرته أمر عجيب قال فعند ذلك مدوا الرمل الاصفر وداسوا عليه عشره من الرجال ولم ينظرهم الشيخ الكامل ولما ان فرغوا من فعلهم دعوا بعبد الوهاب ومشوه بينهم على الرمل وأقبل الشيخ القافه ونظر إلى الاقدام بعد ما حرك رأسه وقال لا إله الا الله محمد رسول الله وحق الاله انه ولده بلاشك ولاريب فمن بدله بعد

ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وقد قال لأهله وجميع من حضر ثلاث مرات الله اكبر فقد بان الحق وظهر وما بقى أمر ينكر ففرح المتعصبون بذلك للأميرة ذات الهمة وفرح أبوها مظلوم وقد صاروا يشكرون الحى القيـــوم (قال الراوى) وأما ظالم والحارث فإن وجوههم اسودت وزعق الحارث زعقة عظيمة ووقع إلى الأرض وغشى عليه وهمدت أخلاقه وقد تمرر مذاقه ولما أن فاق من غشيته تقدم اليه الأمير عبد الله وقال له اعلم ان الذى جرى منكم كله شك فقال له عقبة وقد نطق وقال كيف يكون السودان يخرجون من أصلاب البيضان ولا يتم هذا البيان واعلم ان هذا كلام لا يسمع فى مثل هذا الزمان فقال الحارث وهذا لاجنسه جنسى ولا يشابهنى ولا يقاربنى ولكن من الرأى أنكم تسلمونه هو وأمه حتى انى أذبحهما بيدى وهذا غاية مرادى وقصدى. ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الابيات :

افهموا قصتى وحسن نظامى — شبهوا لى الرجال بالأقدام
فدع الرمل والزخاريف فى القو — ل ان هذا لقول ناس اثام
ليس لى صبر سوى أن أسقى — لابنها بالسيف كاس الحمام
بذلت نفسها لمرزوق حتى — جالها أسود كلون الظلام
فافضحوها جمعاً ولاترحموها — فهى خوانة يا بنى الأعمام
وأجيبوا بالصدق إن كان فيكم — صدق دين ونخوة الإسلام

(قال الراوى) ولما فرغ الحارث من هذه الابيات قعد وقام بعده قاضى العرب عقبة بن مصعب وأشار إلى اهل القافة بهذه الابيات :

أيا شيخ قد سمعنا الكلاما — وفهمنا ما قلته والسلاما
هل رأيت الصباح فى لون شمس — يشبه الليل خلفه أو ظلاما
نحن لانرتضى بقولك هذا — ولاشىء بالرمل فيه والاقداما
ليس هذا يجوزه الشرع — ولا يرتضى بذلك اماما

(قال الراوى) ولما ان فرغ عقبة من هذه الابيات قام على حيله ظالم من بعده وأشار ينشد ويقول :

ألا فاسمعوا يا جملة الاحباب — ومعشر الخلان والأصحاب
كلام صحيح واضح مفيد — فافهموا منى يا أولى الألباب

ليس عبد الوهاب منا بشيء فاسمحوا أنتم بقول الصواب
فقد صح عندى أنه لقيط بين الأصل مثله كالكلاب
وما هو الأصل وغد لئيم لأنه قد أتى كمثل الغراب
فارشدونا لغيركم للحكم نطلب وإلا فاليوم يوم الضراب

(قال الراوى) ولما أن فرغ ظالم من شعره قام الضجيج وقد علت الضجات من كل جانب والأصوات فى الفلوات فقالوا الحكماء أنتم ابيتم حكمنا وما سمعتم لنا فعندنا من يحكم بينكم بهمة علوية وهو قد ورث القضاء من إمام قد أظهر العجائب الذى شرب من عين اليقين على بن أبى طالب ابن عم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعقد له اللواء أمير المؤمنين وهو البطل وهو باب عنايته جعفر بن محمد الصادق إمام الحقائق وهو فى جميع القول صادق وبحكم رسول الله ناطق فاذهبوا بنا كلنا اليه وقصوا القصة عليه فهو اهل بيت معروف ويفك كرب كل مكروب وملهوف وهو عقد لواء المؤمنين ويعسوب الدين الانزع البطين ليث بنى غالب صاحب المناقب والمفاخر هذا ولده جعفر الصادق وهو بالصواب ناطق يقول حدثنى أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذهبوا الآن اليه وقصوا قصتكم عليه فهو أهل بيت النبوه ومعدن الفتوه ويأمر بالمعروف ويكشف الكروب ويغيث الملهوف وهو لكل صلاح وفى وقد ورث ذلك عن محمد المصطفى ﷺ (قال الراوى) فلما سمعوا أهل مكة ذلك كبروا بأجمعهم وقالوا والله ما لهذه القصة إلا هذا الامام نسل الكرام عليه السلام وعلى آبائه الغر الكرام فاذهبوا اليه فهو الذى يكشف اصعاب الأحكام ويبين النور من الظلام قال فرضوا الجميع بذلك الكلام وحملوا عبد الوهاب الى دار جعفر وقد جردت القواضب من كل مكان وجانب هذا ومظلوم بجانب ابنته ذات الهمة ويقول يا بنتى صبرا صبرا لأحكام الله تنالين أجراً كثيرا من الله (هذا) والأميرة صابرة على الاحتكام محتسبة بالملك العلام الى ان ظهر الإمام جعفر الصادق وظهرت على الناس هيبته والفتوه من طلعته البهية العلوية والسلالة الهاشمية فسكتوا الناس ولم يقدر أحدا يتكلم وقدم له العرنوس وصعد عليه فلما أن رأت ذات الهمة إلى ذلك فاضت عيناها وتحدرت عبراتها وزادت عليها حسراتها فقال لها أبوها يا بنية دعى البكا فى هذه الساعة وقومى ارمى روحك على صاحب هذا

الوجه البهى والإمام الرضى فقلبي الآن قد أحس بالفرج إن شاء الله تعالى على يديه فعندها أرمت الأميرة نفسها تحت الفرس ونادت بصوت محزون وفؤاد مشجون يا ابن المشاعر الحرام والصفا والمروة والمقام الأعلى يا ابن الامام المرتضى يا ابن العروة الوثقى يا من حبهم شفا على طول المدا خذ بيد متهومة مظلومة قل ناصرها وكثر حاسدها وشك فيها أبوها ثم انها تنفست صعدا وأظهرت كمدا ووجداً وأنشدت تقول :

يا إمام الهدى وابن الطهرا	ويا خير حاكم فى الأنام
أنت اليوم عدتى فى انكسارى	وافتضاحى يا أكرم الحكام
بعد فخر وقدرة واعتزاز	فى مقام الأبطال والأقدام
نظرت فى موضع الفضيحة والتهمة	يا خير ملتجأ وإمام
قيل عبد الوهاب أسود بصاص	وما ذاك غير نسل حرام
فوحق البيت الحرام مع الركن	والحجر ثم المقام
مادنانى سوء ولا هم قلبى	بارتكاب الذنوب والآثام
يا ابن بنت النبي قد عظم الأمر	وقد خنا مقام الخصام
فاحكم اليوم ما تراه وإنى	فى لهيب وشدة وغرام
وعليك السلام ما دمت حياً	أبد الدهر مع مدا الأيام

(قال الراوى) ولما انتهت الأميرة من شعرها وفرغت من نظمها ونثرها قام الحارث بن ظالم وقد فرق ثيابه وعلا بكاه وانتحابه ونادى وامصيبتاه واذلاه ثم أنه انشد وجعل يقول :

مولاى قد غدرت عرسى وقد فجرت	وقد أتت بغلام يشبه الظلم
ونحن بيض فمن أين السواد لنا	دعوا المحال وقد مالت الى الخدم
حتى اذا ما بدا هذا الغلام لنا	بشبه أقدامه يمشى على قدم
وليس أسمع من هذا الكلام لنا	الا بقول صحيح واضح الفهم
فإن حكمت بجور انى رجل	أمضى الى الروم مرتد عن النعم

(قال الراوى) فلما فرغ الحارث بن ظالم من شعره وثب أبوه ظالم على قدميه وأشار بيده نحو الامام جعفر وقال هذه الابيات :

يا سيدى اسمع مقالة واحد	واحكم بفضل للخؤون الفاسد

جاءت به مثل الظلام ومن يرى ... ابن يحى بالضد يا ابن الأماجد
وإن هذا ما رأيناه عمرنا ... والبيض تأتى بوليد أسود
فإن حكمت لها فسوف نذيقه ... كأساً من الموت الذى هو وارد
ولئن حكمت لنا فنحن بأسرنا ... نمضى نصارى بعد ظلم زائد

(قال الراوى) ولما أن فرغ ظالم من شعره وثب الفضولى المرتاب عقبة الكذاب وابدى ما عنده من الابيات وانشد يقول :

حق الكلام عليه فكن حافظا ... رعاك الله واحكم بحكم واضح
ما أسود كالليل يحكى ابيض ... كلا ولا قس يشابه صالح
ولا ضوء النهار كحندسة الدجا ... كلا ولا عذب المياه مثل المالح
هذا عبيد الله سيد قومه ... وسليم مع ابطالها يا ابطح
يبغون حكمك للصواب فما أرى ... جنح الظلام مثل صبح واضح
فانظر رعاك الله للحكم وانتبه ... ووضح له التبيان يا خير ناصح

(قال الراوى) فما بقى منهم أحد إلا وأنشد شعر ونظم نثر ثم قام بعد ذلك الامير مظلوم وقلبه مهموم وأشار يقول هذه الابيات :

إن المصيبة بينكم يا إخوتى ... قد آلمتنى فاسمعوا لبليتى
ويلاه مما نالنى من بعد ما ... قد كان منى إذ رمانى بنكبة
يا ليتنى من قبل يومى ههنا ... لقيت يوما كان فيه منيتى
ولا شاع هذا الامر من بين الورى ... ولا نشأت عنى هذى القصة
احكم علينا أو لنا ياذا العلا ... فلأصبرن على جميع بليتى

(قال الراوى) وما انتهى الامير مظلوم من هذا الكلام حتى قام الامام جعفر رضى الله عنه قائما على الاقدام وحمد الله تعالى وأثنى بسوابغ الانعام وصلى على سيدنا محمد وآل بيته الغر الكرام وقال الحمد لله منشى الايام وخالق الخلق بقدرته ومحيى العظام برحمته الدال بلطف حكمته على وحدانيته وصور الانسان من نطفة أمشاج وقدره فى قرار داج وجعل ضلوعه وعظامه مستوية حتى قدره تقديرا وجعله سميعا بصيرا أظهره فى أحسن تقويم ذلك تقدير العزيز العليم اعترفت المخلوقات بربوبيته وقد خضعت رقاب الجبابره لقهر عظمته ثم بعث لخلقه برحمته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بشير الهم ونذيرا صلى الله عليه وعلى آله وجميع صحابته ثم رود جعفر كلامه

والخلائق خلقه وأمامه وقد علمت الأميرة ذات الهمة ان كلامه شريف فطمعت فى براءتها ووقع ذلك فى خاطرها وحدثتها نفسها وسرائرها فعند ذلك أقبل الأمام جعفر بوجهه عليهم وقال معاشر من حضر أما نزل حكم الله ان الابيض من الاسود والاسود من الابيض ليس يصعب على الله ولا ينفد من قدرة الله كل أحد يقدر يضع الابيض أسود والاحمر والاخضر ولا يقدر يضع الابيض أسود الا الله والله سبحانه وتعالى قادر ان يقول للشيء كن فيكون وأمره بين الكاف والنون خلق عيسى بن مريم من غير أب ومع ذلك أخبركم ان الرجل اذا جامع زوجته وهى حائض جاء الولد أسود لان الله تبارك وتعالى خلق الانفس على جلالتها من النطفة كما بدأ الاشجار على منابتها والتحف وركب هذا الجسم الابيض الوسيم الكريم من هذا النطفة الحقيره فى ظلمات الاحشاء وهو يديرها كيف يشاء قال فعندها ضجت الناس بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ثم انه أقبل على الحارث وقال ياحارث انت لما دنوت من زوجتك كانت حائض قال نعم فضرب الامير جعفر كف على كف وقال صدق الزاجر وما كذبت الضمائر اعلموا يا معاشر وأصحاب المناصب والرتب ان مثل هذه الحكومة جرت بين يدى جدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حمل اليه مثل هذا الغلام أسود وأمه وأبيه أبيضان فحكم انه ولدها لانه اتى فى زمن الحيض وقال ان الرجل اذا واقع زوجته والدم أسود مختنق فى أول الحيض جاء الولد أحمر اللون وان واقعها عند انتهاء الحيض وصفاء الدم جاء الولد شبيها لابيه وهذا حكم جدى وأنت ياحارث واقعت زوجتك وقد لحقها مايلحق النساء من الحيض والمستحاضه دمها أحمر والحيض أسود والنطفة بيضاء ودم المرأه أغبر فاجتمع أحمر وأبيض وأسود وأغبر وخلق الخالق ودبر وهذا الرجل قد اعترف انه قد استقضى زوجته وهى حائض والولد ولده فان شاء يقربه وان شاء يبعده ثم ان الامام رجع وكرر النظر فى وجه عبد الوهاب وقال والله ليكونن هذا الولد مجاهدا فى سبيل الله تعالى وركنا للأسلام ثم دعا له بالبركه فى حياته والذكر الجميل بعد مماته وشهد للأميرة انها برية من الزنا فعند ذلك فرحت بقوله وأشارت اليه تقول هذه الابيات :

كم للإمام أبو الرضا من قصة ... مشكلة حل لها إشكالها
حتى أقرت ألسن القوم أنه ... لولاه ماحل بها كالها

قد ضعضعت منبرها وكركرت | بشعرها لولاه فى أمالها
قد اضمروا ياصاح قتلى معشرى | وأوعدونى بالردى أقيالها
وعايرونى ان لإبنى أسود | ثم رمونى بالخنا انذالها
ياجعفر الصادق قد نلت المنا | ورد اعداء العدا اضلالها

(قال الراوى) ولما سمع جعفر الصادق رضي الله عنه ما نطقت به الأميره من فصاحة اللسان واللفظ البليغ تعجب منها ومن قوة جنانها ثم دعا اليها ومد يده المباركة على رأس عبد الوهاب ودعا له بالسلامة والنصر على الأعداء وشهد له أن يكون ترس قبر النبي صلى الله عليه وسلم الا أن الحارث لما نظر إلى ذلك الحال الذى جرى قام من المجلس وخرج من المكان الذى كان فيه انثيه وتقطعت مصارينه وخرج أبوه ظالم من خلفه وهو نادم ودمعه دافق ولم ير هذا الكلام له موافق ثم تبعهم عقبة المنافق وكان الأمير مظلوم صافى النيه ففرح بما جرى فى تلك القضية وقال لأخيه ظالم ما بقى من هذه العلائم ايضاح وحق الكريم الفتاح فقال ظالم ما يكون الإ الصلاح الاانهم اخفوا الكمد ولم يعجبهم ما تجدد ولم تطب قلوبهم بهذه الحكومه وقال ظالم وحق من له الملكوت والظلمه ما أجعل أولاد الزنا منا هذا والأميره ذات الهمة قد ودعت جعفر الصادق وخرجت من عنده فوقع كلام الحارث فى مسامعها فجردت سيفها وقالت يامعاشر الحضار ما بقى بعد هذه الأخبار التى تلقنت عن النبي المختار الا الهلاك والدمار والله لان خشتم فى الكلام لامكن منكم الحسام ولما ان سمعوا ذلك الكلام وضعوا ايديهم فى مقابض سيوفهم وأرادوا ان يوقعوا الحرب بينهم واذا بالامير عبد الله قد حضر وقال والله لقد اخطأتم فى ذلك التدبير الآن بعد ان اتضح البرهان وظهر الحق وبان اتريدوا أكثر من هذا البرهان بعد ان نطقت أنت يا حارث امام الأقوام باللسان وأنا بعد ذلك اعلم انكم ما عدتم تجتمعون أبداو أنا كل يوم معكم فى عناء ثم أقبل على ذات الهمة وأبيها وقال لهم الرحيل من أين والمسير إلى أين وأن راعى مكة أرسل معهم جماعة لاجل وداعهم (قال) وصاروا القوم يجدوا فى مسيرهم وذات الهمة فرحانه بما وصل اليها وانعم الله به عليها وهى تقول ياذو الجلال والاكرام يارب السموات والأرضين اتمم هذا الأمر والبرهان فأن التمام بالأحسان ثم انها لكزت جوادها فى مقدمة قومها وأشارت تقول :

الحمد لله كم من غمة كشفت | عنى وزالت بتحقيق وتبيين

الحمـــد لله ربى لاشريك له ... فهو ربى ومعبودى له دينى
الحمـــد لله مظهر الحق على ... أعلا المقـامات تشريفاً وتزيين
سبحانه من عظيم واحـد أحـد ... منزه عن مقالات المـــلاعين
سبحانه من رحيم راحم صمـد ... كريم وجابر جميع المساكين
سبحانه هو المقصود لكل من ... قصده فهو خالق الخلق من طين

(قال الراوى) ورحلوا من مكة طالبين أرض بغداد وعقبة الملعون يوقع الفتنة بين ظالم ومظلوم ويقول ماهذا الحديث والكلام وحق الملك العلام أن هذه تكثر فى حقكم الكلام بين الأنام وهو لايفارق الحارث ولا أبيه وهو بطول الطريق يحرضهم على ذات الهمة ويقول للحارث يا أخى لا تقبل هذه الحكومة ولا تقر قدام الخليفة بهـذا الولد الزنا الذى حكموا به أنه ولدك وأكاوا عليـك الرشا وهـذا شىء لايوافقه شرع لأنى أنا قد قرأت سائر الكتب وحفظت سائر العلوم وهذا الذى قالوه من طريق النجوم وما يمكن الإنسان يتكلم إذا كانت أهل الظلم أكثر من أهل العدل ووالله أن شد الزنار والمقام فى بلاد الكفار خير من الذل والشنار قال وكان قول عقبة بن مصعب طعن فى قول جعفر الصادق حتى يكذبه ولا يصـدقه ويرغب ظالم وولده الحارث فى الزنار ودين الصليب فقال الحارث والله يا فقيه ما أنا رايح بغـداد إلا لأجل هذه العاهرة الفاجرة ولأجل هذا الولد الزنا الذى تنسبه إلى ولعلى أجـد فرصة قبل أن تدركنى الغصة فأقتلها وأقتل ولدها معها أما فى الطريق وأما فى ملطيه وإلا ما كنت سرت أنا وأبى إلا على القسطنطونية قال ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى بغداد وضربوا خيامهم على الدجلة وعلم الخليفة بهم فأخرج لهم الضيافات والعلوفات وأكثر لهم من الإحسان والكرامات ومن الغد ركب الأمير عبد الله فى وجوه بنى سليم وركبت الأميرة وأبوها مظلوم فى وجوه بنى الوحيد وبنى كلاب وإلى جانبها الأمير عبد الوهاب على بغلة هينة الذهاب وركب ظالم والحارث إلى جانب أبيه فى عشرة رجال وساروا جميعهم إلى باب القصر الشريف ثم استأذنوا فى الدخول فأذن لهم فترجلوا عن الخيول ودخلوا على أمير المؤمنين المهـدى وهو جالس على كرسى خلافته والموضع هامد من هيبته والأمراء والوزراء وأرباب الدولة قيام على الأقدام هذا والمجلس قد شملته الهيبة وجللته السكينة والوقار والخليفة مطرقاً برأسه كثير الأفكار قال فتقـدم الأمير عبد الله بعد ما قبـل الأرض وخـدم

وكذلك فعلت ذات الهمة والأمير مظلوم وبعدها تبادرت أمراء بنى كلاب وقبلوا الأرض بين يدى الخليفة ووقفت الأميرة ذات الهمة وبين يديها ولدها عبد الوهاب والمجلس ساكت وكل أحد قد شملته هيبة الخلافة والناموس قال فعندها رفع الخليفة رأسه إلى عبيد الله وقال له يا أمير ما السبب الذى أخرجكم من ملطيه وكيف أنت فى أمارتك فى تلك الأطلال وإيش تجدد عندكم من بلاد الروم وأخبارها فقال عبيد الله وحق أنعامك علينا يا أمير المؤمنين عندى شغل قد أشغلنى عن بلاد الروم وقد عجزت عن هذه الخصوم وما حضرت هذه الحضرة النبوية إلا لأجل أن نفصل هذه القضية فقال الخليفة وما هو الامر فابتدأ الامير عبيد الله على أمير المؤمنين قصته وقصة عبد الوهاب وأبيه الحارث وما جرى له فى مكة فبقى الخليفة حاير وأدار عينه بالوقوف فوقفت عينه على عبد الوهاب فجعل يمعن اليه طويل وبهت اليه غير قليل وقال لعبيد الله اشرح لى قصته فقد سمعت من غيرك قضيته ثم قال لعبد الوهاب أدن منى ياترس قبر ابن عمى فعندها دنا عبدالوهاب بعد ما قبل الارض بين يديه وأخذه وقبله بين عينيه بعد ما أجلسه على ركبتيه والناس قد داخلهم العجب وهم ناظرين اليه فلما فرغ الخليفة من ذلك أقبل من وقته على الحاضرين من العلماء والفقهاء والقضاه والاشراف والامراء وأرباب الدولة وقال لهم فى أى شيء أحضرتكم فقالوا يا أمير المؤمنين أحضرتنا تقول إنك رأيت مناماً وتريد أنك تقصه علينا ثم قلت لنا فى المنام شريك ونحن فى انتظاره وهؤلاء قد دخلوا علينا فقال الخليفة الله أكبر الله أكبر وحق النبى المطهر فخر ربيعة ومضر هذا الصبى الذى كان شريكى البارحة فى المنام وهو كأنه البدر التمام والسبب فى ذلك إننى كنت فى ليلة من الليالى قد صليت العشاء الاخيرة ونمت فرأيت إبن عمى محمد صلى الله عليه وسلم فى المنام وفى يده عرق رطب جنى فقلت يا رسول الله قتلنى الشوق اليك وقد أحببت السلام عليك صلى الله وسلم عليك فقال ها أنا جئت اليك وجئت لك من الجنة بهدية وأريد أوصيك بوصية فقلت وما هى الوصية يا رسول الله فلم يرد على بل صار يلقمنى لقمة ويطعم هذا الغلام أخرى فلما نظرت إلى ذلك قلت يا رسول الله من هذا الغلام الذى تقسم بينى وبينه هذا الرطب وقد سبب الله تعالى هذا السبب فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا غلام مظلوم متهوم بالزور والبهتان والعدوان وقد نظر الله تعالى إلى كسر قلبه فعوضه

من شقاء الدنيا بنعيم الآخرة وهو من يطلب نصرتى وبه تسير فى الدنيا كلمتى يبذل نفسه فى طاعة الله وطاعتى فلما يحضر بين يديك فانصره على عدوه فلما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الكلام ميزت وجه الغلام فعرفته فقلت يا رسول الله ما سبب قهره والعداوة التى بينه وبين أقرباه فقال صلى الله عليه وسلم اعلم أن أباه قد افتض أمه وهى حائض فجاء هذا الولد أسود والنطفة جاءت بما عليها من الدم فخالط الغلام فصار كما ترى عيناك ثم انتبهت فوجدت حلاوة الرطب فى قلبى إلى الآن وهذا الذى قد رأيته فى المنام وقد جمعتكم لاجل تفسير ذلك وقد تفسر منامى وزال كربى وآلامى وهذا الشخص قد حضر وصدق قول سيد البشر الذى من صلى عليه لم يخسر قال فلما سمعوا الحاضرين ذلك الكلام أقشعرت منهم الابدان وتغيرت منهم الالوان ووثبوا فى الحال إلى عند الامير عبد الوهاب ورفعوه على الايدى والرقاب وقبلوه وقد علا فيهم فى ذلك الوقت البكاء والانتحاب وأقبل عبيد الله على الحارث وقال له يا وجه العرب تريد أكثر من هذه الشهادة فاشكر الآن ربك على هذه السعادة وما بقى بعد ذلك إلا أن يخاطبك ربك مثل موسى عليه السلام قال الحارث وذمة العرب لا يميل طبعى إلى هذا السبب (قال الراوى) وقد سمع أمير المؤمنين المشاجرة بين عبيد الله وبين الحارث فقال له ما حالك وقد صح البرهان وقد شهد لعبد الوهاب سيد الاكوان فقال الحارث يا أمير المؤمنين لو قطع جلدى بالحديد ما قربت أولاد الزنا والعبيد قال فلما سمع الخليفة من الحارث هذه الكلمة التى هى غير مرضية قال هذا الكلام كلام من طغى فى الشريعة المحمدية ثم قال خذوهم فوثبوا اليهم الخدام والعبيد وضربوهم بالاعمدة الحديد وقد أمر الخليفة بسجنهم فجروهم على وجوههم فى التراب وعذبوهم بأنواع العذاب فصعب ذلك على الامير عبيد الله أمير بنى كلاب قال ولما نظر عقبة إلى المجلس وقد صفا قام قائماً على قدميه وقال الحمد لله الذى شد أزار المسلمين بمولانا أمير المؤمنين الولى المجاهد المجتهد الماجد من أوقدت به مصابيح الإسلام وأظلمت به ربع الكفرة اللئام ثم حمد سلالة العباس المطهرة من جميع الادناس بالخليفة الإمام أهل العزم والوقار والهيبة والاهتمام من طاعته فرض على جميع الانام ثم أنشد وجعل يقول :

أمير المؤمنين هنـــاك دهراً ... أنارت فى مطالعه السعودا
تدوم ما غدت فى الايك طيراً ... وأورق من رياض المجد عودا

أدام الله عزك فى رضاء أدام لك البقاء وأفنى الحسودا
فأنت مقيم العدل فى الناس حقا وأنت بين الورى أصيل الجدودا

(قال الراوى) ثم نثر بعد نظامه نثراً حسناً فأعجب الخاص والعام وفرح به أمير المؤمنين الإمام وسأل عنه من يكون من العرب الكرام فقال الامير عبيد الله يا أمير المؤمنين هذا ابن عمنا وإمامنا وفقيهنا واليه تلى أحكامنا فقربه الإمام وأدناه وأمر له فى عاجل الحال بخلعة وهى أول خلعة خلعت وأخذت من بنى العباس وطابت منه الانفاس ثم أمر الامام الأمراء بإكرام عقبة بلاه الله بألف نكبة وخلع على الامير عبيد الله وخلع على ذات الهمة وعلى مظلوم وعبد الوهاب ولما هموا بالعودة إلى الخيام أمر الخليفة عبد الوهاب ببغلة النوبة بمركب ذهب مرصع بالجواهر والياقوت الأحمر يأخذ بالبصر ووهبه عشرين عبد سودان من أولاد حام وأوصاهم بخدمة الأمير عبد الوهاب فى الليل والنهار وكانوا عبيد أجلاد شداد أنجاد وفيهم عبدين هائلين أحدهما إسمه نافع والآخر ميمون الجماس وما سمى الجماس إلا أنه كان فى قدر الجاموسة وباقى العبيد كذلك قال وركب عبد الوهاب والسودان فى ركابه وقلبه قد مال اليهم وأمه إلى جانبه بالخلع السنية والتشريف وقد وقع لهم توقيع بالقلاع التى عند ملطية توقيعاً صحيحاً وأمروا عليهم عبد الوهاب على بنى كلاب كما أن الأمير عبيد الله مؤمر على جميع بنى سليم إلا أن الأمير عبيد الله رجع إلى الخليفة وقبل الأرض وخدم ودعا بدوام العز والنعم وشفع فى الأمير ظالم وولده الحارث فقبل الخليفة ذلك وأمر بحضورهم إلى بين يديه وكل منهم حضر وهو خائف وجلان بما جرى عليه من خليفة الزمان من الذل والهوان فأمرهم الأمير عبيد الله فى طاعة عبد الوهاب وأمه الاميرة ذات الهمة فأجابوا الى ذلك ثم عادوا الى الخيام فأمروا الناس بالرحيل فرحلوا من وقتهم طالبين ملطيه ونحن نصلى على خير البرية هذا وقد انفرد ظالم بابنه على العساكر ومعه ألف فارس والفقيه عقبة السلمى وهو يتوجع لهما لما نالهما ويقول لظالم يا أمير على أى شىء قد عولت الساعة أن تعمل قل لى حتى دبر برأيى السعيد الذى هو عن طريق الخير يفيد فقال ظالم والحارث إيش بقينا نعمل يا فقيه هل بقى لنا رأس تشتال بين العرب أو كلمة تسمع بين أهل الحسب بعد ما تم علينا من الخليفة ما تم من الاخراق وقلة الأدب وما بقى بعد اخراقنا بين تلك الامم إلا احنا ومريم والصليب لابد لنا

ما نسوق العرب من الحجاز والروم والاهواز واجعل بلاد الحجاز فى هذا العام كلها دكا وأسفك الدماء سفكا وما أريد منك أيها الشيخ إلا كتمان الحال حتى نبلغ من الأعداء الآمال فقال عقبة لك على ان أكتم حالك وأجتهد فى بلوغ آمالك لأنك لا تلام على ما تفعل ولا ترضى بالذل نفس أبية ونخوة عربية وأما دخولكم إلى بلاد الروم فما هو مذموم فإن أقمتم على دينكم فما يكرهكم أحد وإن شئتم أن تتنصروا فما عليكم جناح بل تكونوا عندهم أعز من الأرواح وبعد ذلك فإن الأديان من بعضها متقاربة كما أن الخلق متناسبة وها أنا لكم فى ملطيه أكاتبكم بما يجرى من الأسباب فشكره الحارث وظالم على ذلك (قال الراوى) كل هذا وهم سائرين فى الطريق يقطعون الأرض فى طولها والعرض إلى أن وصلوا الثغور ووصل الأمير عبيد الله إلى ملطيه فرحانا مسرورا ونزلت الأميرة ذات الهمة إلى خيامها وقد زال عنها المحذور وسار ظالم والحارث وهم راكبين حتى وصلوا قلعة المنجنيق قال وكانت هذه القلعة قريبة من بلاد الروم هذا وقد شاع الخبر فى سائر البلاد بما جرى لذات الهمة وولدها عبد الوهاب فى الحكومة فى بيت الله الحرام مع ظالم والحارث وعودتهم إلى بغداد فعلموا أن القبيلة دخل فيها الشك فدخل مع ظالم الذين يبغون الحرام ويقطعون الطريق حتى اكتمل عنده اثنى عشر ألف زنديق أو يزيدون ففرح بهم ظالم وازدادت فرحته وقص عليهم قصته وقال يا بنى عمى أنا ظالم ابن الصحصاح الضارب بالصفاح الطاعن بالرماح نفسى شريفة وهمتى منيفه وكيف أصبر على الضيم والذل والهوان والاخراق وقد سمعتم ما جرى على فى بلاد العراق وما جرى لى من الاخراق وبعد هذا فما اقعد عن هذه العاهرة وولدها الأسود الزنيم الوغد اللئيم حتى انى اعدمهم الحياة واسقيهم شراب الوبال فهل أنتم لى سامعين ومساعدين على ما أفعل وإلا امضى وارحل عنكم فقالوا كلهم أيها الأمير نحن فى خدمتك وبين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك ونحن إلى خدمتك أسبق من الفرس فى جريانها والطير فى طيرانها فلما ان سمع ظالم منهم ذلك الكلام فرح غاية الفرح وقال لهم اعلموا انى قاصد بلاد الروم إلى القسطنطونية من دون البلاد واجلب العرب من الحجاز وتلك المهاد وابلغ ما أريد من الأعادى والحساد واملك الروم وبلاد العراق وبغداد حتى يعلم الخليفة ان مثلى ما يهان ولا يفعل فى حقه هذا الهوان فقالوا له رجاله أيها الأمير افعل ما تريد فنحن لك مثل العبيد فقال الآن خذوا

الاهبة حتى نسير فى أول الليل بالظعن والمال والحريم ولا يصبح الصباح إلا ونحن فى بلاد بعيدة وأن من لحقنا ضربناه بالسيوف وسقيناه شراب الحتوف فأجابوا بالسمع والطاعة وأخذوا أهبتهم من تلك الساعة وصبروا إلى أن أظلم الظلام وقوضوا المضارب والخيام وشالوا الحريم والعيال والمال واستقبلوا الربا والوهاد ولم يشعر بهم أحد من الخلق والعباد حتى دخلوا فى القفار فاتصلت الاخبار إلى الامير عبيد الله من الرستاق بما عمل ظالم فاغتم غما شديد ما عليه من مزيد وأحضر وجوه بنى سليم وبنى كلاب وأطلعهم على تلك الامور والاسباب وكتب إلى ظالم فى عاجل الوقت كتاب يخوفه من الله تعالى وينهاه عن التنصر واتباع هواه ويسأله العودة إلى بين يديه حتى يوصل احسانه اليه ثم أرسل الكتب مع نجاب من بنى سليم الاخيار وأوصاه أن يجد فى القفار ويرجع سريعا فسار ليلا ونهار وغدوا وابكار حتى انه لحق ظالم وأوصل الكتاب اليه بعد أن قبل الارض بين يديه فأخذ ظالم الكتاب وفكه وقرأه وعلم ما فى بطنه ومعناه ورد الجواب يقول أما بعد فقد وصلنى جوابك أيها الرجل الفاسق الجاهل المنافق لانك صدقت امرأة فاجرة وعاونتها علينا وقد وقفت على كتابك وشقشقة لسانك فإن كنت تريدنى إلى خدمتك ووطىء بساطك فاقبض على ذات الهمة وولدها وأنفذهم إلى حتى أجيب مقالك واسمع كلامك وان لم تفعل ذلك ففى هذه السنة اطمس اسمك وامحى رسمك وادرى عظمك مع لحمك واجعل منازلك خراب يأوى فيها البوم والغراب لانك قد بعت مثلى وأنا ظالم بن الصحصاح ومعى اثنى عشرألف فارس شجعان بامرأة فاجرة عاهرة ما لها قدرولاقيمة ثم انه أعطى الكتاب للرسول فعاد حتى وصل إلى ملطيه وأوصل الكتاب إلىالامير عبد الله فأحضر الناس من بنى سليم وبنى كلاب وقرأ الكتاب على رؤس الاشهاد وما فيه من الخطاب فكانت الاميرة حاضرة بين الخلائق (قال الراوى) فلما سمعت الاميرة ذلك الخطاب نهضت قائمة على الاقدام والمجلس بالناس ملآن ونادت أيها السيد الرئيس والامير النفيس لا تضيق صدرك ولا تشغل سرك من أجلى أنا وولدى فإن كنت ترى فى تسليمنا إلى هذا الظالم اصلاح لشأنك فافعل ما بدالك وأنا طيبة القلب بأفعالك ثم انها بكت حتى أبكت الناس لبكاها وشكروها على فعالها ومقالها فقال الفضولى عقبة قاتله الله وقد قام على قدميه وشخصت الناس اليه ونادى أيتها الاميرة المصونة والجوهرة المكنونة والله ما سلمنا كى إلى أعدا كى أبدا

ولو شربنا الردى وكيف نسلم ولدك وقد بدت نجابته وثبتت على بنى كلاب أمارته وشهد النبي صلى الله عليه وسلم ببراءته وأنه ترس لحجرته بل خدمتكم واجبة على كل أحد لأنكم على المنهج الصحيح والحق المبين الواضح قال فعندها شكرته الاميرة على ذلك وقال له الامير عبد الله جزاك الله خيرا أيها الفقيه الأجل والكهف الاطل الرفيع المحل لأنك ركن الإسلام والمسلمين والعلماء والزهاد والعابدين ولا بد ما ندبر على هلاك ظالم والحارث قبل أن يدخلوا بلاد الروم ويكفروا بالحى القيوم لأنه ماأنفذ لنا هذا الكتاب وخاطبنا بغليظ الجواب إلا وقد عزم على سبب من الأسباب (قال) وأما الفقيه عقبه فما بقى أحد من الحاضرين إلا وشكره على مقاله وتقدم الحصين بن ثعلبة الى بين يدى الأمير عبد الله وقد قال أيها الأمير قد خطر لى كلام وأريد أن أبديه اليك فإن رأيته صواب فافعله وإن كان خطأ فاتركه واهمله فقال الأمير عبد الله قل أيها الأمير الصواب فقال تنادى فى بنى كلاب السادات الأنجاب وبنى سليم الكاشفين الضيم وتأخذوا الأهبة فى المسير فى غداة غد من أول النهار حتى نكبس ظالم ومن معه من الفرسان قبل ما يدخلون بلاد الروم ويعظم الامر والشان وينفروا علينا بلاد الروم وأهل الطغيان فقال عبيد الله والله لقد نظرت فى موضع النظر ومثلك يكون أمير مفتخر وإن لم يقتل ظالم بقينا كل يوم وساعة فى خطر ثم أنه أمر العساكر أن يبرزوا إلى ظاهر ملطية فلما كان عند الصباح رحل بالعساكر فى تلك البطاح ولم يزل سائر إلى أن أشرف على المكان الذى كان نازل فيه ظالم فلم يرى خبر ولم يقع له على أثر قال وكان الخبر قد وصل الى ظالم قبل قدوم العسكر لان عقبة لما نظر إلى تلك الامور انفطرت مرارته وخاف على ظالم أن يكبس وتتلف مهجته ويشفى غليل ذات الهمة منه فدخل فى عاجل الحال الى منزله وكتب كتاب إلى ظالم وشرح فيه جميع ما جرى فى ملطية ويقول إياك ثم إياك أن تبيت فى مكانك فتهلك أنت ومن معك من العساكر ثم استدعى من وقته وساعته بغلام كان عنده يدخره للشدائد وأمره بجد المسير فسار فى عاجل الحال يقطع الارض فى طولها والعرض وطلعت من بعده العساكر وقد ملأت الأرض وكان الامير عبيد الله يسير بهم الليل ويكمن بالنهار حتى لا يعلم بهم ظالم الغدار ثم أنفذ بين يديه جواسيس ثلاثة وكان ظالم لما وصل اليه كتاب عقبة كان ظنه أنهم يرسلوا له ذات الهمة وولدها ليقتلهما فلما وصل اليه كتاب عقبة مع الغلام ففكه وقرأه

وفهم معناه فرحل من وقته وساعته وهو يقسم بأعز الأقسام ليريه من يكبس صاحبه وما زال سائر إلى أن وصل إلى سرج الديباج وبقى بينه وبين القسطنطونية سبع أيام وكان كلما عبر على قرية من قرى الروم يخرج مقدمها اليه وهو فى ذلك العسكر الغزير وهو لا يؤذى أحد وكل من سأله عن حاله يقول أنا سائر الى ملك الروم لنصير فى ديوانه فيخرجون اليه بالإقامات والعلوفات حتى نزل سبعة أيام وعلم أنه قد انقطع عنه الطلب أرسل إلى ملك الروم رسول من عنده يقال له ذو عقل يشرح له قصته واقام ينتظر رد الجواب (فهذا) ماكان من هؤلاء * وأما ما كان من لأمير عبيد الله والعسكر فإنهم ساروا كما ذكرنا فما وجدوا أحد كما وصفنا لأن الجواسيس عادت وأخبرتهم أن ظالم رحل إلى القسطنطينية فاغتم الامير عبيد الله وصعب عليه وكبر لديه وقال والله لقد ضاع تعبنا وما وصلنا إلى طلبنا فقال له الحصين والله ما رحل ظالم إلا والخبر وصل اليه من عندنا فقال الأمير عبيد الله صدقت ولكن الصواب أن نرحل من قبل أن يعلموا بنا بلاد الروم ويملكوا علينا الدروب ثم رجعت العساكر طالبة ملطية (فهذا) ماكان من هؤلاء * وأما ماكان من ظالم فإنه لما وصل اليه الخبر بأن العساكر قد ساروا فى طلبه فقال والله ما أرحل إلى بلاد الروم حتى أؤثر أثر ثم أنه أوصى ولده الحارث بحفظ المال والحريم والعيال وأخذ ألف فارس أبطال قناعس حتى قرب من ملطية فلما وصل الى الدروب أكمن هناك ونظر بعينه وإذا قريب من قلعة المنجنيق خمسين فارس يتراكضون فلما رآهم ظالم ورجاله قال لهم إياكم وهذه الفرقة لا ينجو منهم أحد إلى ملطية فربما يكون منهم ذات الهمة أو ولدها عبد الوهاب وقد قوموا رجاله الأعنة واطلقوا الأسنة وانطبقوا عليهم مثل العقبان وسدوا عليهم الطرقات من كل جانب ومكان فلم تكن إلا ساعة حتى أخذوهم عن بكرة أبيهم ولم ينجو منهم من يخبر بخبر وأخذوهم إلى بين يديه وإذا فيهم عمرو بن عبيد الله وكان له من العمر سبع سنين ومعه خادمه فائق وكان عمرو خرج يتفرج على الصيد والقنص ومعه رجال من بنى سليم فلما رآهم ظالم فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال هذا ولد الذى أراد أن يكبسنى وبه أنال من ملك الروم كل ما أريد ثم شد الكل على خيولهم وسار يطلب ولده الحارث وهو يكد الخيل ويسير سير الخائف الفزعان (قال) فهذا ما جرى هاهنا وأما ماكان من الامير عبيد الله فإنه عن هذا الأمر غافل ولم يدرى ما جرى على ولده حتى جاء

وقت المغيب وصلت اليه الرعيان وأعلموه بهذا الشان فلطم على وجهه وخرق أثوابه وبكا فبكوا الناس لبكاه وانتحبوا لانتحابه وأمر بنى سليم بالركوب والمسير اليه فقال له الحصين لاتتعب سرك أيها الأمير والسيد الخطير لأن الذى أخذ ولدك سار سير الخائف الفزعان وقلبه طائر من الخفقان فبينما هم فى ذلك الكلام وإذا بالأميرة دخلت اليه وسلمت عليه وتوجعت مما جرى عليه وقالت بعد ذلك يا أمير ما بقى غير جمع العساكر والمسير إلى بلاد الروم قبل أن يحثهم ظالم علينا ويأمرهم بالمسير الينا فقال والله يا أميرة ماكنت بالذى أتخلى عن ولدى وهو واحدى ومعتمدى ولا بد فى غد اكتب الى بلاد الحجاز وأسوق كل من فيها من العرب وأغزو بلاد الروم وأخرب الأقاليم والرسوم حتى يخلص ولدى فقالت الاميرة ذات الهمة وأنا والله أكتب إلى بنى كلاب واسيرهم بين يديك وما نرجع ان شاء الله تعالى الا ان يرجع ولدك اليك فشكرها على ذلك واقاموا يجمعون العساكر من كل بر وسبب هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من ظالم فإنه سار بعمرو بن عبيد الله حتى وصل الى ولده الحارث فوجد عنده وزير الملك لاوون لأن كتاب ظالم لما وصل الى الملك لاوون وسمع ان اثنى عشر الف فارس سايرة اليك لتكون من جملة خدمك وجندك ففزع من ذلك وخاف أن تكون هذه حيلة من الحيل فقال لوزيره وكيف ذلك إذا دخل اثنى عشر الف فارس من المسلمين مانؤمن على البلد منهم فقال الوزير اذا تنصروا وخرجوا من دينهم وأكلوا لحم الخنزير فادخلهم حينئذ وأمنهم إذا كانت نياتهم خالصة للدين العتيق فإنهم ما أتوا إلى بلادنا إلا من شدة او ضيم قد نالهم لأنى سمعت ان العرب الذين فى ملطية قد اختلفوا وقد وقع السيف بينهم ولا أظن هؤلاء دخلوا الينا إلا من أمر جرى لهم فقال الملك إذا كان الأمر كذلك فسر أنت أيها الوزير اليهم ولما تبقى عندهم اشرط عليهم ما تريد من الشرط إذا سمعوا كلامك ودخلوا تحت الشرط كان هو الصواب وإن لم يرضوا هذا والا أمرت عساكر القسطنطينية أن تخرج اليهم وأكتب الكتب من عندى الى بطارقه الروم أن تمسك عليهم الدروب ولا تدعهم يخرج منهم أحد (قال الراوى) فقال الوزير السمع والطاعة أنا أسير أيها الملك اليهم فى هذه الساعة ولا تعرف تمام هذا الأمر الا منى ثم أنه قام من وقته وساعته وسار اليهم فى خمسين بطريق من خواص الملك لاوون بالزينة البهية والثياب الرومية والزنانير الابريسمية وأخذ معه عشرين قس وراهب من علماء الملة المسيحية

وسار بهم الوزير الى أن وصل الى بنى كلاب (قال) ولما أن وصل الى عسكر بنى كلاب وسمع الحارث به استقبله أحسن استقبال فقال له الوزير يا ولدى أنت المقــدم على هذا العسكر فقال له أنا ولد المقدم على هـــذا العسكر وان أبى قد سار الى ملطية ليغزى عليها ويقتل ابطالها ثم حدثه بما جرى من أوله الى آخره فطاب قلب الوزير بذلك وقام حتى عاد ظالم كما ذكرنا ومعه عمرو كما وصفنا ورأى الوزير فى انتظاره وان ظالم سأل الوزير عن قدومه فقال أيها الامير ان كتابك قد وصل الينا وفيه شرح ما أنت فيه فقال الملك نخشى أن تكون حيلة علينا من المسلمين ولا نأمن اليهم الا أن يبرؤوا من دينهم ويأكلوا لحم الخنزير ويشربون الخمر العصـــير فإذا فعلوا ذلك أمناهم وادخلناهم فى بلادنا وأقطعنا لهم قطاع من ديارنا وامصار من أمصارنا ما لم يقدر عليه خليفتهم فقال ظالم يا شيخ ما دخلنا إلى هذه الديار الا لشد الزنار وسائر ما قلته نفعـــله ونأكل كما تأكلون ونشرب كما تشربون ونجاهد كما تجاهدون وها أنا كما ترى عدت الى بلاد المسلمين وقد أسرت ابن أمير العرب جمعا ومعه خمسين فارس والكل يحضرون بين يدى الملك وان امرنى بقتلهم ضربت رقابهم بين يديه ولا يضيق صدره على ذلك حتى يعلم الملك أن نيتى خالصة الى دين المسيح وانه الدين الصحيح (قال) ولما سمع الوزير ذلك بان له صحة قوله وورد الرجال الذين معه وقال لهم ارحلوا بارك المسيح فيكم الآن نجوتم من النيران والعذاب الأليم وأبشروا بالغنى من الملك الرحيم فعندها رحل الحارث برجاله وأبطاله وساروا حتى بقى بينهم وبين القسطنطونية يوم واحد وسبقهم الوزير الى البلد واعلم الملك بما جرى وان ظالم عاد وعادوا على بلاد الثغور وأسر ابن امير العرب وخمسين فارس فقال الملك اخرج ارباب الدولة الى لقاهم وطيب قلوبهم لانهم رجال امجاد وابطال شداد فقال الوزير لو اردت ياملك ان تفتح بهم بلاد الإسلام لفعلت ولقد تحدثت مع مقدمهم بكل ما تريد فأجاب فلما سمع الملك ذلك فرح فرحا شديدا وأمر ارباب الدولة أن يخرجوا اليهم فخرجوا ومعهم عالم عظيم من العوام وغيرهم وزينوا البلد لقدومهم حتى عاد كأنه العروس وخرجت بنات البطارقة مثـــل الشموس وقد تفاخروا فى الزينـــة والملبوس وأشرف ظالم على القسطنطونية فرأى البلد قد انقلب لقدومه ففرح فرحا شديدا وقال لولده الحارث مانكون ههنا الا ملوك وأما يا ولدى الاديان فهى متقاربة كما قال عقبـــة مع علمه وخبرته بالاديان انها متقاربة

ببعضها البعض الاانى رأيته يشكر فى دين النصرانية والصليب ويذكر انه هو الدين العتيق ومابقى إلا الدخول فيه فقال الحارث ياأبتاه أفعل ما شئت فأنا ما قصدى سوى قتل ذات الهمة وولدها ودع يجرى ما يجرى (قال) وساروا حتى وصلوا إلى باب البلد فالتقتهم خواص الملك بالخع والنثار والهرج والاستبشار وأنزلوهم ظاهر البلد وأخذوا ظالم والحارث وعشرة من أمراء العرب وأدخلوهم قدام الملك فلما رأوه قبلوا الأرض بين يديه وقد هالهم مارأوا من ذلك الملك العظيم هذا وقد فرح الملك بهم وقربهم وأدناهم وبشرهم ومناهم فقال ظالم أيها الملك ما جئنا ههنا الا لنبذل أنفسنا فى طاعة المسيح وطاعتك وقد علمنا أن دينكم هو الدين العتيق ولا بد لى ما أفتح بين يديك البلاد وأهدم الكعبة الحرام وأخرب الجوامع وأهتك النسوان وأذبح أولاد أهل الإيمان وهذا ولد الأمير عبيد الله أمير العرب ومعه خمسين فارس من وجوه بنى سليم ولو أمرتنى أن أشرب دماهم لشربت حتى يعلم الملك أن نيتى صادقة فسر الملك بذلك وقال ما يحوجك إلى تلك الفعال حتى نبلغك الآمال فبينما هم كذلك وإذا بالبترك قد أقبل عليهم وقال لهم أن المسيح اصطفاكم له أنصار وهداكم إلى الدين العتيق ثم ان الملك خلع على الحارث وظالم ومن معهم من الفرسان وأوعدهم بالمال الجزيل وأمر لعمرو ابن عبيد الله ومن معه من الفرسان أن يرفعوا إلى المطامير بعدان عرض عليهم التنصر فقال عمر وعلى صغر سنه كيف نبيع التوحيد بالاشراك وذاك النعيم بهذا الهلاك فأمر الملك ان يغلوا بالقيود فى أرجلهم وقد غضب من كلامهم وعاد ظالم ومن معه طالب إلى الخيام التى ضربت لهم فى ظاهر البلد ونقلت لهم الاقامات والعلوفات فلما كان من الغد ركب الملك فى خواص البطارقة وخرج فى كبار الأساقفة إلى ظاهر البلد وعمل سماط عظيم وأحضر ظالم وولده الحارث وبنى كلاب ونقل لهم الطعام من سائر الالوان ومن الكباب وغير ذلك والكل من لحم الخنزير فأكلوا ما نقل اليهم من سائر الالوان وأغضبوا الملك الديان وانسلخ من قلوبهم الإيمان اللهم انا نسألك ونعوذبك من نزغات الشيطان من كل عمل يغضب الرحمن فلما فرغوا من الطعام ساقوهم القسوس والرهبان إلى البيعة وقد أمر الملك لهم بالاموال والخلع وانزلوهم فى ماء المعموديه وتبرؤا عن محمد خير البرية وعلقوا فى حلوقهم الصلبان وسجدوا للصور المصوره فى الحيطان وشدوا الزنانير فى الخصور وتكلموا بكلمة الفجور والزور وعادوا إلى بين يدين

الملك المذموم وقد طردوا عن باب الحى القيوم وجلسوا فى مجلسه وهم يتمايلوا فى حلل الفخار وقد نظروا إلى بنات البطارقة وهم مثل البدور وعليهم من الديباج ألوان السرور فافتتنوا بهم غاية الافتتان ونفخ فى معاطفهم الشيطان فأمر الملك أن يدخلوا إلى القسطنطونيه وقد أخلالهم محل فى جانب البلد فلم يجيبوا لذلك وقال ظالم ياملك نحن معودين بالبرارى والقفار والمقام فى الفلوات والخيام ومالنا جـــلد على الحيطان والمكان الذى نحن فيه أريح لقلوبنا فقال الملك افعلوا ما تريدوا ودبروا ماتشتهون ثم رتب لهم الجرايات والعلوفات والقطاعات وفى كل يوم يحضروا فى ديوان ملك الروم ويخلع عليهم ويزيدلهم فى الأكرام والانعام وقد زوجهم من بنات البطارقه فزوج الحارث بنت بطريق من الخواص وكانت أحسن بنات الروم ففرح بها الحارث وسلا بها عن ذات الهمة ولا عاد يذكرها لانه رأى من النعمة والكرامة شىء مارآه قط وأقاموا بظاهر البلد فى خيامهم وقد بلغوا غايه الآمال وجعل الملك يكاتب الأقاليم والجواير وجميع البطارقة والعساكر وقد عولوا أن يعبروا إلى بلاد الإسلام وظالم يوعدهم بفتح بلاد المسلمين وهلاك العباد المؤمنين (قال الراوى) ابن هشام وهو الناقل لهذا الكلام فهذا ماجرى ههنا وأما ما كان من عبيد الله فانه بقى على ولده قلق حيران ولاصبر له ولا جلد لانه ما كان له غيره وكلما رأته ذات الهمة على هذا الحال يزدادبها الغيظ والنكال لان هـذا كله من أجلها وسببها وسبب عبد الوهاب فلما أشتد بها الأمر أرادت التخفيف عن قلب الأمير عبيد الله فركبت فى خمسمائة فارس من أبطال بنى كلاب وأظهرت انها سائره إلى بلاد الحجاز لتجمع العرب ثم أخلفت الطريق وسارت طالبه بلاد الروم وقد أخفت نفسها حتى عبرت الدروب ولم تزل سائرة حتى بقى بينها وبين البلد أربعة أيام وكل من رآها يظن انها من فرسان ظالم والحارث الذين تنصروا وهى ممكنه قريبـة من البلد لعلها تجد ظالم أو ولده تشفى غليل قلبها لاجل ما فعلوا بعمرو بن عبيد الله ولاجل قلب والده (قال) فبينما هى كذلك وإذا بغبره قد طلعت وعجاجه قد ارتفعت فوقفت الأميره تنظر اليها حتى انجلت وظهر من تحتها خمسين فارس بالرماح المقومه والخيول المسومه وعليهم شباك اللؤلؤ المنتظمة وبين أيديهم غلام أمرد كانه حسام مجرد وعلى جسده بدلة من الجوهر وعلى رأسه تاج من الذهب الأحمر وهو أبهى من القمر فلما نظرت ذات الهمة اليه قالت لمن حولها يابنى عمى تفرقوا على هؤلاء

الخمسين فارس فما يخفى انهم من الملك أصحاب (قال الراوى) وكانوا هؤلاء الفرسان والبطارقه من بلاد الروم ومعهم منويل بن نوفيل وكان عليه نذر لبعض الديور يحمله اليه كل قليل وقد رأى من ذلك البركة فسار فى هذه النوبه مع هؤلاء البطارقة على سبيل الفرجه وحمل النذر والتقرب الى الدير وعاد راجع الى القسطنطونيه فالتقت به الاميره كما وصفنا وصاحت فى رجالها فصاحوا فيهم من كل جانب وبذلوا فيهم القنا والقواضب وكان وقت العصر فما أمسى المساء حتى قتلوا منهم عشرين وأسروا ثلاثين واحتوت الاميره على منويل ابن الملك وكان أكبر أولاده وهو الموصى بالملك من بعده ثم قالت لاصحابها سيروا بنا مادام الليل فى أوله حتى اذا طلع علينا النهار نكون فى بلاد بعيدة ثم عادوا راجعين فقال لهم منويل ماقصدكم يا مسلمين فى حملى الى بلادكم بيعونى نفسى بما أردتم من المال حتى أحمله اليكم فقالت له ذات الهمه يا غلام مادخلنا وخاطرنا بأنفسنا لاجل مال أو غنيمة وانما لنا عندكم غلام أسير وهو ابن أميرنا يقال له عمرو مادخلنا بلادكم الا من اجله فقال منويل للاميره وقد علم انها رئيسة هذه الخيل رديني الى بلد القسطنطونيه وانا أحلف لكم وأرهن دينى عندكم واضمن لكم خلاص ابن أميركم وأخلع عليهم الخلع السنية واسيره معكم على أحسن قضية ثم حل الزنار وأعطاه للأمير وقال هاهو رهن على ماذكرت فلما سمعت الاميره مقاله ضحكت على فعاله الا انها اعلمت صدق مقاله فاستوثقت منه باليمين وعادت معه طالبة البلد ومنويل معهم حتى وصلوا اليها فرأوا البلد قد انقلبت والعساكر على ظاهرها قد همت تركب والملك لابس السواد على ولده وقد تفتت لاجله كبده وكان الخبر قد وصل اليه قبل وصول الأميره بيوم فارتج غاية الارتجاج وعولوا على الرحيل والانزعاج وإذا بالأميره ذات الهمة قد أشرفت وابن الملك معها فوقع الفرح والاستبشار وعادوا وأخبروا الملك بسلامة ولده ففرح واتسع صدره وانشرح وخلع ثياب الحزن والترح ولم يكن الا مقدار ساعة حتى حضر منويل والأميرة بين يديه وحدث منويل أبوه وأعلمه أنه رهن عند القوم دينه فقال أبوه ياولدى كله هين بعدان ردك المسيح ثم أمر الملك باحضار عمرو بن عبيد الله والخمسين فارس الذين معه وخلع عليهم ورد عليهم خيلهم وسلاحهم وخلع على الأميرة ذات الهمة وأنزلها فى دار الضيافة وأوعدها

بكل جميل ولما نظر الحارث وأبوه ظالم ما جرى تفتتت كبودهم وتجددت منهم الأحقاد وقال الحارث لأبوه ظالم وحق المسيح ان رجعت هذه العاهرة سالمة انفطرت مرارتى وتفتت كبدى فقال ظالم وأنا كذلك ولا بد من هلاكها ونبلغ من قتلها المراد والصواب نصبر حتى تعزم على المسير وأدبر ما أرى من التدبير (قال الراوى) هذا والأميرة عند الملك فى أحسن عيش وأرغده وفى كل يوم تظهر إلى الميدان وتبارز البطارقة والشجعان قدام ملك الروم وهو ينظر إلى فعالها بالفرسان فى ساحة الميدان ويخلع عليها الخلع الحسان وهى كأنها الأسد الغضبان وينظر الى حلاوة انعطافها وحسن أعطافها وهى لا يقدر أحد يصل اليها بسيف ولا سنان والملك قد فرح بها وفى كل يوم تحضر مجلسه ويخلع عليها ويوهبها فلما كان يوم من الأيام والاميرة جالسة فى مجلسه وقد عولت أن تسأله فى الرحيل واذا ببعض الحجاب قد دخل عليه وقال أيها الملك ان ملك البرغل قد نزل على باب الذهب وقد حلف بالمسيح والصلبان والحواريين والمطران بأنه لابد له أن يملك بلاد الروم بكل مكان ويضيفها الى بلاد الافرنج واليونان وكان هذا ملك البرغل فارس لايطاق وعلقم مر المذاق وليس له فى بلاد الروم مثال وتحت يده من الفرسان مائة ألف من الأبطال وأنه لما قوى سلطانه وكثرت فرسانه وشجعانه حدثته نفسه أن يملك القسطنطينية ويصير ملك على عباد الصلبان ثم أنه جمع عساكره ورجاله ونزل على القسطنطينيه فى تلك الجيوش والفرسان فلما نزل عليها فى عاجل الحال طلب الحرب والقتال ونزل ملك البرغل إلى الميدان ومحل الطعان ونادى بأعلى صوته حتى سمعه كل من فى ذلك المكان وقال اعلموا ياعباد المسيح والصلبان إننى مالى رغبة فى مال ولا فى قتل رجال وما قصدى إلا ملك المملكة لاغير وبعد ذلك أجاهد فى طاعة المسيح ومارى حنا المعمدان فدعوا الملك يخرج إلى ويلتقينى فى الميدان فان قتلنى فهو يأخذ ما فى يدى من البلدان وإن أنا قتلته أكون ملك على جميع الملوك الذين فى كل مكان فدخلوا الحجاب على الملك وأخبروه بذلك الخبر والشان وقد شاع ذلك الخبر فى المدينة فماجت كما يموج البحر العجاج وقد صارت الأميرة حائرة فى نفسها ولم تعلم إيش السبب فلما سمع الملك ذلك خاف على ملكه من الزوال ولما نظرت الأميرة إلى البطارقة وهم يموجون مثل البحار الزواخر وقد صاروا فى أمورهم حائرين أقبلت

على الملك وقالت أيها الملك ما سبب اضطرابكم فقال أيتها الأميرة ان ملك البرغل أتى يريد حربي وما أتى إلا ليقتلني ويأخذ الملك مني لأنه جبـــار عنيد ثم أعاد عليها الحديث من أوله إلى آخره فقالت له الأميرة أيها الملك طب نفسا وقر عينا واشرح خاطرك وارسل إلى ملك البرغل جواب وقل له غد تكون المبارزة وأنا أيها الملك أخرج اليه في زيك ولبسك وتخرج قدامي القسوس والرهبان كما جرت عادة الملوك وأنا أقتله وأريحك منه فلما سمع الملك كلامها .فرح بمقالها وقلع جميع ما كان على جسده وخلعه عليها وبعد ذلك أمر الحجاب أن يخرجوا إلى ملك البرغل ويعلموه أن الملك لاوون أجابك إلى ما تحتاج اليه وما تختار فأعلوه فرجع إلى أصحابه وأمرهم أن يركزوا أعلامه وينصبوا مضاربه وخيامه وأقام ينتظر الصباح (قال الراوى) وكان ظالم وولده الحارث من يوم دخلت الأميرة إلى البلد وجلست في مجلس الملك ما جلس عند الملك من بغضته لها بل مقيم برا في المضارب والخيام التي بظاهر البلد فلما ان كان عند الصباح ركب ملك البرغل الملعون وأما الاميرة فإنها ركبت وسارت إلى قصر الملك لاوون فوجدته قد ركب في حجابه وخواصه فلما رأته الاميرة أقبلت عليـه وقالت له هات لي ما ذكرت لك فأخرج لها عدته التي يدخرها لشدته فلبستها واحترزت على نفسها ثم ان الملك ســـار في حجابه ونوابه والاميرة سائرة قدامه هذا وقددارت بها الهياقرة والقياصرة والبطارقة تمشي بين يديها ورفعوا القساقسة أصواتهم بقراءة الانجيل والخيل قد أقبلت اليهم بالصهيل هـذا وقد ركب ملك البرغل وتقدمت قدامه خواصه والسادات ونشرت على رأسه الرايات ثم انه طلب الميدان وكان راكب على جواد من الخيول الاصال يفوق خيول البحار وعليه درع من الزرد ضيق العدد وبيده سيف مهند وبيده قنطارية سنانها كأنها جمـة عفريت وطلب البراز والنزال فعندها نزلت اليه الاميرة وهي كأنها اللبوة المصممة وهي كما ذكرنا في صـــفة الملك لابسة عدته ولبسه والقسوس بين يديها وظن ملك البرغل انها ملك الروم فحمل عليها كأنه الاسد الهجوم وصاح بها صيحة تقلقلت منها النخوم فصاحت الاميرة عليه صيحة أعظم من صيحته وحملت عليه والتقته ثم جالت عليه بقلب ما فيه إلا ذكر الحي القيوم وأرادت أن تترك أنفه مزعوم وتوقع هيبتها فيقلوب الروم لأنهاسمعت ان مافي بلاد الروم أشجع منه فحملت عليه ومدت رمحها اليه فالتحما لما تهاجما

وطلع عليهما الغبار وحجبهما عن أعين النظار وزاد عليهما الأمر وقل الصبر وضاق الصدر هـذا والأميره حملت عليه وهو قد هـدر وزجر وحمل عليها بقلب أقوى من الحجر فتلقت حملته كما تلتقى الأرض العطشانه اوائل المطر وتصيح عليه كأنها الأسد إذا هدر فكاد قلبهما أن ينفطر وجرى بينهما حرب يؤرخ ويذكر ويبقى من بعدهم سير وكان ظالم الذى كفر حاضر فى ذلك المحضر مع من حضر فرأى ما أبهره وحير بصره والناس كل منهم إلى هـــذين الفارسين قد نظر وإذا بالأميرة هاجمت خصمها وصاحت الله أكبر وزعقت فى وجهه بصوتها المشهور فانذعر من ذلك وتحير ثم أنهـا ضربته بالصارم الذكر فوقعت الضربة على كتفه الأيمن طلعت من تحت أبطه الأيسر فارتفع الصـــياح من بنى الأصفر ووقع الذل على البرغل وما منهم إلا من ولى ونفر وانهزم جيشهم وانـكسر وقتلوا الروم منهم عالم بعدد المطر وغنموا منهم أموال تسد الآفاق وأما الأميرة فإنها رجعت إلى لاوون ففرح واستبشر ونظر ظالم إلى ذلك فتحسر ثم أن الملك دخـل القسطنطينية وقد زال عنـه الخوف والحذر وجلس على سرير ملـكه واستقر وصارت الأميرة عنده أعز من سمعه والبصر (قال الراوى) ولما راى ظالم ذلك زادت حسرته وقال لولده لابد من قتل هذه الفاجرة ولابد ما أدبر على قتلها فقال الحارث وكيف ذلك فقال تأخذ أنت الليلة ألف فارس وتسير تحت الليل وتـكمن فى المضيق فإذا خرجت من القسطنطونية وعولت على المسير خرجت أنا خلفها فى ألف فارس ولا أظهر عليها حتى تشرف عليـك فان أشرفت عليـك أطبق عليها من أمامها وأنا من خلفها ونهبها هى وأصحابها بأطراف الرماح وشفار الصفاح ولـكن يكون أمرنا مكتوم عن ملك الروم لأنها لا تروح من هنا إلا ويعطيها الملك أمانة وإن نحن قتلناها يعتب علينا ونخاف من سطوته فقال الحارث هـــذا هو الصواب ثم صبر إلى الليل وأخذ معه ألف فارس من بنى كلاب المتنصرة وسار بهم فى ضيق الدروب ولم يطلع على أحوالهم أحـــد من الروم وأقام أبوه من بعده ينتظر عودة الأميرة هذا والأميرة ما عندها من ذلك خبر وصاحب الغيب يدبر كيف يشاء وهى مقيمة فى دار الضيافة سبعة أيام وفى اليوم الثامن أتتها التحف والهـــدايا من الملك وأعطاها الاذن فى المسير إلى بلادها وقد طاب أن يسير معها قوم فى خدمتها فأبت وقالت أيها الملك أنا ما أريد غفير وكان معها مائة فارس غير الخمسين الذين صحبوها والخمسين الذين

مع عمرو ولم تزل سائرة إلى أن وصلت الدروب وكان ظالم قد خرج خلفها كما وصفنا ولم يظهر لها إلى أن وصلت الى الدروب والمضيق فظهر عليها الحارث عند الصباح وأمر أصحابه وقد رفعوا الصلبان والرماح ونادوا عيسى ومريم والصليب ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أطبق الى الأميرة وقد نظرت اليهم فقالت لأصحابها هذا ظالم تبعنا بالعرب المتنصرة وما أظن مسيره خلفنا إلا بأمر الملك وقد غدر الملعون معنا وإلا ماكان هذا الشيطان يجسر يتبعنا ومعنا أمان الملك وزمامه والساعه مابقى عندنا غير القتال والاتكال على الملك المتعال فقالوا لها أصحابها من بنى كلاب والله ياأميره ما نسلم أرواحنا وفينا عين تطرف وكذلك قالت بنى سليم الذين كانوا مع عمرو بن عبيد الله وقالت ذات الهمة ياقوم أحموا أنتم ظهرى وأنا ألقى لكم الألف فارس بصدرى فما أحلى القتل فى سبيل الله تعالى ثم عادت تطلب الخيل وانقضت انقضاض السيل وهى تقول خاب والله آمالكم وخابت ظنونكم يامطرودين عن باب الجبار اليوم آخذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالبتار ثم نادت ياظالم نفسه وعادم عقله تبعتنا بغدرك من بعد ماأعطانا الملك الامان وسرنا ومعنا علامه الى سائر الحصون والبلدان فصاح ظالم وقال والله ياعاهرة لوكان الملك بنفسه معك ماتركتك تعودى سالمة فعندها امتزجت الاميرة بالغضب ولحقتها نخوة العرب واشتد الكرب وحمل ظالم والالف فارس وتصايحوا كأنهم الابالس والاميرة تنثر الفرسان بحسامها وقد أضجرتهم بطول فعلها حتى وقعت بظالم فى الميدان فصرخت فى وجهه صرخة الاسد الريبال وصمصمت بالطعنة عليه واذا بالصياح قد علا فى وسط الدروب والصلبان بانت والحارث ينادى هذا اليوم الذى كنت أشتهيه وأنتظره لأشفى فؤادى منك ثم انه أطبق عنانه وقوم سنانه والالف فارس معه وكانت الاميرة قد أشرفت على قتل ظالم فصاح الخارث فى رجاله دونكم واياها فلما نظرت الاميرة الى ذلك الحال رفعت وجهها الى الملك المتعال ثم نادت فى رجالها أتبعونى بجملتكم وأصدقوا فى مقالة ربكم حتى نخرق أصحاب ظالم الذين بين يدينا ونسند ظهرنا الى الجبل ونجعله حصناً ونتوكل على ربنا والا هلكنا (قال) ثم أن الاميرة حملت على ظالم وجعلت تشق الرجال شقاً وتفرق الابطال عنها شرقاً وتدقهم بين أيديها دقاً وأصحابها من وراها يمنعون عنها وقد أقلبوا الدنيا

بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير الى أن وصلوا الى الجبل وقد قتل منهم أربعون فارس وبقى ستين والامير عمرو بن عبيد الله خلف الاميرة لايفارقها وجواده خلف جوادها وهى تحميه بقوة جلادها الى أن صاروا الجميع فى لحف الجبل وباعوا النفوس بجنات النعيم ووصل الحارث الى أبيه وزحفوا الجميع الى الجبل وزاد الخطأ والذال وقصدوهم بالرماح والنبل والمرهفات على أعلا القلل والاميرة رضى الله عنها تبرى الرماح بحسن خبرتها وتحث الرجال على القتال الى أن كات الخيل وقل القوى والحيل وقد فنيت بنى سليم وظنت أنهم الجميع هالكين فنادت يا قوم ترجلوا واصعدوا الى هذا الجبل ودحرجوا عليهم الاحجار من هذا المسلك لانهم مالهم وصول الا منه لانهم اذا منعوا من ههنا امتنعوا عنا ولا يصلوا الينا ونحمى نفوسنا الى أن يفرج الله عنا وقد وجدت لذلك راحة عظيمة وطلبوا الى الجبل وأراحوا أنفسهم ثم صرخت فى وجوه القوم فأرجعتهم بصرختها وجعلت بين يديها الخيل ومن حولها وأرخت رجلها من على الجواد وتعلقت بالجبل وأحمت نفسها الى أن لحقت أصحابها فنظر ظالم الى ذلك فنادى فى الرجال ياويلكم ياويلكم ترجلوا خلفهم واسقوهم كاس الحتوف وقطعوهم بالسيوف فعندها ترجلت الابطال وصعدوا خلفها الرجال فلما رأت الاميرة ذلك صاحت بالرجال ياويلكم ادفعوا عليهم الصخور والاحجار واطلبوا بها صدور الرجال فعندها دفعت الرجال عليهم الصخور من رأس المضيق وقد هشمت أصحاب ظالم هشما وطحنتهم طحناً ولم يرجع مما صعد اليهم أحد وفيهم من نقصت ساقيه من الركب ومنهم من شرب شراب العطب ولم تزل الرجال تصعد إلى الجبل والحجارة تنزل اليهم مثل المطر الى أن ولى النهار وأقبل الليل بالاعتكار ونادى ظالم ياقوم خذوا عليهم الطريق والمذاهب ودوروا حولهم من كل جانب وامسكوا عليهم الطرقات والمذاهب فهذا جرى ههنا ﴿ وأما الأميرة ذات الهمة ﴾ وأصحابها فإنهم رجعوا وهم مثخنين بالجراح وهم من التعب قد خفت منهم الارواح وكانت الأميره أيضاً مجروحة ثلاث جراحات وبها من العطش والظما ماغير زندها فقالت لأصحابها ياقوم لو أن عندى شيء من الزاد والمال لكننا نستعين به لأن المكان حصين وليس لنا طريق إلا أن لابد لنا من الموت إن طالت المدة أو قصرت ومابى موتى مثل مابى على ولدى عبد الوهاب لأننى ماشبعت منه بالنظر

وأنا أعلم أن هذه الموتة التى كتبت لنا وهذه الليله آخر ليالينا من الدنيا فقوموا بنا نقطعها إلى الله تعالى لعند الصباح ونرمى أرواحنا على هؤلاء القوم الكفار ونجاهد إلى ان نموت فى الجهاد ونلقى الله من تحت سيوف الكفار فقالوا لها أصحابها ياأميره وكيف نصلى وما عندنا مانبل به حلوقنا فقالت الأميرة ياقوم تيمموا بالتراب فلما سمعوا كلامها تيمموا بالتراب وصفوا الأقدام قدام الملك العلام وخطت الأميرة لهم فى الأرض محراب ووقفت للصلاه ودموعها تجرى مثل قطر السحاب لاجل ولدها عبد الوهاب ومنهم من كان يصلى وهو جالس مما ناله من التعب والنكال وما منهم الا من أسلم نفسه إلى الكبير المتعال هذا والأميرة تسجد وتركع إلى أن هوى الليل وزاد بها القلق إلى ولدها فبسطت يديها نحو السماء وجعلت على الله تبارك وتعالى معتمدها ونادت يامن بدأ الارواح من العدم وأوجدها فى الأجساد وردها وسطح الأرض ومدها وبالجبال الشامخات ثبتها وعالم وزنها وعدتها ورفع السماء بغير عمد وعلقها ونظر إلى الليالى الدهما بنظر الغضب فأحلك سوادها وكسى الشمس من نور وجهه فزاد توقدها أسئلك يارب القدرة الذى خلقت آدم من تراب من حماسنون وبالعظمة التى نجيب بها ذا النون أن تجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا وكف عنا كيد الأعداء وردعنا الردا فان عنايتك أكثر من كثرة الأعدا ومشيئتك ما يخلو منها مكانا أبدا (قال الراوى) ولم تزل الأميرة تتضرع إلى الله تعالى بالدعاء والابتهال فى هدو الليل وتتوسل اليه بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى ان شق ذيل الدجا وبدأ نور الفجر مبتهجا وقامت إلى أصحابها فوجدتهم من شدة التعب نيام فنادتهم الأميرة وأيقظتهم وإلى قتال الأعداء حثتهم فرأت أكثرهم لايستطيع القيام على قدميه من ألم الجراح التى بردت عليهم فقالت لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم هذا والله يوم اللقاء ثم أخذت معها من فيه نهضه وسارت إلى أسفل الجبل وهى طالبه الأعداء ونظرت إلى ظالم والحارث وأصحابهم وهم صاعدين الجبل وهم فى غاية من العجل وفى أيديهم السيوف تلمع والصياح منهم قد ارتفع فنزلت الأميرة فى خمسه وأربعين نفر وجعلوا يمانعون عن أنفسهم حتى أشرفوا على العطب واسترخت منهم الركب وتوقد الحر فى وجوههم والتهب وطمعت فيهم الأعداء وصاح صايح الكفار علا وقل من المسلمين رمى الأحجار وصعدوا اليهم من سائر الاقطار وداروا بعصابة

الإسلام واذا بغبار من نحو الروم قد تار حتى ملأ الأقطار قدر ساعه بان للنظار وقد اشتغلوا به المؤمنين والكفار واذا هو قد بان عن قنطاريات وأعلام وصلبان والبطارقة على الخيول وهم سائرين على عجل وإلى العساكر قاصدين ولما رأوا القتال بين الطائفتين صاحوا بأصوات منكرات وحملوا على العرب المتنصره وكانو خمسه الآف يقدمهم بطريق طويل فى تقاطيع الفيل فلم تكن الا ساعه حتى قتلوا من اصحاب ظالم جماعة ونظر ظالم إلى ذلك فصاح بولده عد بنا إلى ظهور الخيل حتى نطلب النجاة قبل الليل فلاشك ان هؤلاء البطارقه مع أبو ذات الهمه مظلوم وقد دخلوا هذه البلاد فى زى الروم ووقعوا بنا فى ذلك الوقت المذموم فاركب واطلب بنا العرب الا وقعنا فى العطب (قال الراوى) فعندها رجعوا إلى ظهور الخيل فركبوها وطلبوا الهرب هذا والأميرة إلى فعالهم ناظره وهى باهته حائره وهى تقول يامن يأتى بالفرج بعد الشدة اجعل لنا من أمرنا فرجا فانك أنت المأمول والمرتجى (قال) ولم تتم الاميرة دعاها حتى فرغت البطارقة من قتال العرب المتنصره وعادوا كلهم نحو الأميرة ووقفوا قدامها ونادى المقدم عليهم يا حملة القرآن وعباد الرحمن ابشروا من الله بالجنة والغفران وأورونا من هى فيكم الأميره المجاهده التى باتت لربها قائمه راكعه ساجده وقضت لياليها بالدعاء والابتهال وكان سبب نجاتنا من الضلال قال فعندها نزلت المسلمين من الجبل إلى الواطى وكل منهم لايصدق بالنجاه وتقدمت الأميرة إلى عند المتكلم وقالت له أيها البطريق أنا المرأة التى طلبتها المصره على الطاعه لربها فمن الله سبحانه وتعالى علينا بعد الاياس وفرج الله عنا على يديك دون الناس قال فلما سمع البطريق كلامها ترجل وجعل يقبل صدرها وأقدامها وترجلت البطارقة وجعلوا يفعلون مثل فعاله ويقولون ياأميره بسبب دعاكى وابتهالك عرفتينا الإيمان وأهديتيا إلى عباده الرحمن فأنا ابن بنت الملك لاوون وأسمى يانس المتعرب وهؤلاء الذين تريهم فى آخر الدروب فهى قلعتى أعطاها لى جدى وأما هؤلاء الخمسة آلاف بطاعتى وسبب مجيئى اليكم سبب عجيب وأمر غريب وذلك انى كنت البارح نائم فى الحصن فرأيت فى منامى كان على الحصن رجل قائم وهو يؤذن مثل أذان المسلمين وكلما قال الله أكبر ضجت الاصوار والابراج وقد أجابته بالتكبير سائر الأحجار ولما قال أشهد أن لااله الا الله واشهد أن محمد رسول الله انزعجت الاطيار والابصار من

جميع الديار وصات عليه بلسان الاعتبار ثم نادى من بعد ذلك الاذان يا أهل هذه الديار انتبهوا من سنة الغفله وبادروا إلى الله سبحانه وتعالى قبل النقله فقد بعث اليكم منذر فاتبعوا الدين القويم الصحيح ودعوا عنكم التلويح واركبوا غدا لمن زعجت الليل بدعائها وابتهالها وأبكت السماء لبكائها انصروها على اعدائها الكفار عباد الصليب والزنار واتبعوا دينها تنجو من عذاب النار واعلموا أن الله تعالى قد اصطفاكم من دون سكان هذه الديار فلما أن سمعت من القائل ذلك الخطاب وأنا فى المنام انتبهت وأنا مرعوب وجعلت أدعو أصحابى هؤلاء إلى عندى وقصيت عليهم قصتى وما رأيت من منامى فتعجبوا من كلامى وتبسموا من أحوالى وقالوا ان كنت سمعت أنت فى المنام فنحن سمعنا فى اليقظة ورب الانام فقم بنا الآن نمضى إلى تلك المرأة التى قد ذكرتها لنا ونعينها على أعدائها وننصرها على من سواها وانى لما سمعت كلامهم ركبت بعد ان أيقنت بصحة ما سمعت وأتيت بهم اليكى وهلكت الأعداء وسقيتهم شراب الردا فدلينا الآن ماذا نقول حتى نصير من أهل القبول فان دعاكى عند الله مقبول (قال الراوى) فقالت الأميره بعد ما بكت وانتحبت الحمد لله الذى جعل دعائى مقبول وله الشكر الذى هداكم إلى دين الإسلام بعد الكفر والقتام فأول مايجب عليكم الآن أن تقروا بالكلمتين الخفيفتين الهينتين اللينتين على اللسان الثقيلتين فى الميزان الحبيبين للرحمن المغضبتين للشيطان اشهد ان لاإله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله وصفيه وخليله قال فما استتمت الأميرة كلامها حتى ضجوا البطارقة بالتوحيد للملك المجيد وأوحى الله إلى الملك الموكل بالقلوب ففتح اقفال قلوبهم باذن علام الغيوب فقالت الامير قد ختم الله لكم بالخير ونلتم السعادة والسيادة بكلمة الشهاده ثم سارت من وقتها وساعتها مع القوم إلى خصنهم وركبوا من خيل العرب المتنصره وأخذت جميع ما كان معها الذى أعطاه لها الملك لان ظالم لما انهزم لم يلتفت إلى شيء من ذلك ولما وصات الامير إلى حصن يانس المتعرب اقامت عنده عشرة ايام تعلم القوم حدود الإيمان وشرائع الإسلام وتحفظهم سورة الفاتحة وقل هو الله أحد والمعوذتين والتحيات والقنوات وما تحتاج اليه الصلاة ثم قالت ليانس المتعرب أحب أن تسير معنا إلى بلاد الاسلام وتتعلموا العلوم وتعبدوا الحى القيوم وتستريحوا من بلاد الروم وذلك الاسم المذموم فقال لها يانس ياأميره انى أرى المقام

ها هنـــا أصح وأنجح الاسـلام على طول الايام لأنى كلما يجرى فى بلد القسطنطونية وغيرها من بلاد الروم أعلمكم به لأن جدى لايخفى على أمر من الأمور ومنزلتى عنده عالية ورتبتى غالية لأنى كنت عنده مدة وأنا أشدد فى دين النصرانية وعبادة الصلبان وأيضاً باغض للنسوان وكنت قد عزمت أن أصـير من بعض الرهبان وما تبغى من البطارقة إلا من نيتـه مثل نيتى وبغضته للنسوان مثل بغضتى ولأجل ذلك سمونى يانس المتعرب والآن فإن القلب عن الـكفر قد انقلب ولابد لنـا من الزواج كما أمر محمـد سيد العرب والعجم ومقامنا هذا صواب ولـكل أمر سـبب (قال) فلما سمعت الاميرة من يانس ذلك الـكلام قالت له بلغك الله الـكريم آمالك واستأذنته فى المسير فأذن لهـا بعد أن أعطاها من الهدايا والتحف ما تـكل عنه الواصفون ثم انها ودعته وسارت طالبة بلاد الاسلام وهى سالمة من كل أذية ومعها عمرو بن عبد الله ومن بقى من أصحابها وما زالت سـائرة حتى عبرت الدروب وقربت إلى ملطيه فأرسلت رسول يبشر الأميرعبدالله بولده عمرو فسار البشير يجد فى المسير ليلا ونهار إلى أن وصل إلى البلد وأخبر الأميرعبدالله بذلك فـكاد من الفرح أن يطير وكان قد حزن على الاميرة أكثر من ولده عمرو وكانت الأميرة قد تركت ولدها عبدالوهاب عند الامير عبدالله لمـا أظهرت انها سائرة إلى الحجاز وأخلفت الدروب كما وصفنا فـكان الامير عبد الله يركب كل يوم إلى الميدان والامير عبد الوهاب بين يديه ومعه السودان الذى أعطاه إياهم خليفة الزمان ويطاعن الفرسان مع جملة الابطال والشجعان والامير عبد الله يعلمه الطعن والضرب واختلاف الانداب وهو أفرح به من سـائر الاصحاب فلما أتى البشير اليه وبشره بقـدوم ولده والاميره ركب من وقته وساعته فى سادات بنى سليم وركب الامير عبد الوهاب فى سادات بنى كلاب وميمون الجمـاس ونافع وحوله بقية السودان وما سار غير قليل حتى اشرفت الاميرة عليهم وهى لا تصدق انها ترى ولدها فلمـا رأته ورأت عبد الله ترجلت وترجل الأمير عبد الوهاب وجميـع السودان واعتنق أمه وكذلك عبد الوهاب اعتنق ولده عمرو وتباكوا الجميـع من فرح التلاق وأما الاميرة فإنها ضمت ولدها عبد الوهاب إلى صدرها وهى ما تصدق بسلامته وتشتكى ما لاقت من ألم الفراق فبـكوا الناس لبـكاها ولا بقا أحد من بنى سليم ولا من بنى كلاب إلا وقد تقدم وسـلم عليها وقبل صـدرها ويديها ثم أقبل أبوها مظلوم وكان قد خرج مع القوم من عظم حرقته وهو يقول لها ما يحل لـكى أن تقتلينى بهجرتك

وبعدك عنى عند الكبر وتذيقينى فقدك عند نزول القبر ثم انهم عادوا من ساعتهم على ظهور الخيل ورجعوا طالبين ملطيه والاميرة ذات الهمة والامير عبد الله والامير مظلوم بجانب بعضهم البعض وهى تحدثهم بما جرى لها فى بلاد الروم وكيف أخذت ابن الملك وكيف خاصت عمرو وكيف أكمن لها الحارث فى الدروب وكيف لحقهم ظالم وما جرى عند الجبل وما قاسوا من السوء والوجل وكيف أغاثهم الله تعالى فقال مظلوم يا بنية ما يلتى الانسان إلا على قدر نيته لأن الله تعالى يعلم ما فى الضمائر وما تكن به السرائر قال ولم يزالوا فى حديث حتى وصلوا إلى ملطيه وقد التقوهم بالفرح والاستبشار ونثروا على رؤوس القادمين النثار ونحر الامير عبد الله البقر والنوق والجمال وأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا فلما كان من الغد ركبوا إلى الميدان ومحل الطعان وعبد الوهاب فى عبيده السودان فقالت الاميرة ما ورد عليك أحد من أهل الحجاز وما نفعت الكتب التى أرسلناها للعرب وأنا رأيت ملك الروم عازم على الخروج إلى بلاد الاسلام وقد جمع العساكر والعشائر من سائر اقاليم الروم وما يعيقه إلا ملك الجزائر وهو اسمه جرجيس لأنه أنفذ اليه كتاب يأمره فيه أن يجمع العساكر من الجزائر جميعها ويأتى بها اليه هو فى انتظاره حتى يأتوا اليه من البحر واما عمى ظالم فإنه أيضاً كتب الكتب إلى بلاد الحجاز ويصف لهم ما هو فيه من النعمة ويضمن لهم التحف والاقطاع فى سائر البلاد والضياع فلما سمع الأمير عبد الله من الاميرة ذلك قال لها يا أميرة أما الحجاز فقد تواترت أخباره علينا ووردت علينا الآثار ان الاعراب خربت بهم الديار والحلل وقد تجمعوا من سائر الاقطار وأتوا كالبحر الزخار وعن قريب يكونوا الينا واصلين ومن قبل قدومك بعشرة ايام ارسلت اطلب من الخليفة عساكر وأبطال وأجناد وكان نيتى ادخل بلاد الروم على نية الجهاد وما عوقنى إلا هذين الجهتين فقالت الاميرة إذا كان الامر على ما ذكرت فالصواب ان يكون لنا جواسيس من بلاد الروم يخبرونا بالذى يجرى وقت بعد وقت حتى نكون فى أمورنا على حذر ولا يفوتنا شىء من أمور الكفار فقال عبد الله ما هذا إلا نعم الرأى ثم انه أرسل من يومه جواسيس إلى بلاد الروم تخبرهم بخبر ما يفعلون فى بلادهم ويأتوا له بالخبر فساروا فى زى الارمن طالبين مدينة القسطنطونية ثم ان الاميرة وثبت على رأس الدروب ديار به وان الامير عبد الله صنع وليمة عظيمة وأحضر فيها سادات بنى كلاب وبنى سليم ونقلت لهم الطعامات والحلوات ولما اكتفوا من

الطعام قام على قدميه الامير عبد الله وأخذ بيده ولده عمرو والامير عبد الوهاب ونادى معاشر العرب اشهدوا على انى قد جعلت هؤلاء بمنزلة الاخوة عندى وقد اشركتهما فى نعمتى وفى الامارة من بعدى وما فيكم من يعصى لهما أمرا وما يكتم عليهما سراً فقرعت الناس بالطاعة وشهدت عليهم تلك الجماعة وقد شكرته الاميرة على ذلك شكراً عظيما وصارت الاميرة كل يوم تقصد هى وولدها وعمرو إلى الميدان وهى تفرسهم فى مقام الجولان وتفتح لهم أبواب البحر وتعلمهم الزيادة والنقصان فى حومة الميدان فطلع الأمير عبد الوهاب اجرى جنان وأشد أركان واصبر على ملاقاة الفرسان فحمدت على ذلك الملك المنان ورأى الأمير عبد الله ولده عمرو وهو ما يلحق بعبدالوهاب فظن عبدالله أن الاميرة تعتنى بولدها عن عمرو ولده فأنفذ من وقته وساعته خلف الامير داود النجار بن محمد الذى ألف كتاب الفروسية ولم يكن قط فى ذلك الزمان أفرس منه ولما ان حضر بين يديه ضمن له مالا جزيلا على تعليم ولده عمرو واخلاله دار ملبحة فى ملطيه ونقل له كلما يحتاج اليه من الفرش وغير ذلك من المأكل والمشرب وسلم اليه عمرو بعد ما أحسن اليه احسانا زايداً وصار كل يوم يخرج به إلى الميدان ويعلمه خدائع الحرب وتفرغت الاميرة لولدها وكانت تبعد به عن البلد وتجول معه حتى يتعب ويقل منه الجلد وفى الليل تسأل مولاها الواحد الفرد الصمد أن يشد منه العضد حتى يكون ركناً لدين النبى محمد فاستجاب الله دعاها لما سبق فى أم الكتاب من الارادة وصار كل يوم فى زيادة حتى قوى عزمه واشتد حزمه فقالت له الاميرة يا ولدى والله ما أنت إلا قد كملت فيك الفصاحة والفروسية وهى بضاعة مكتسبة مثل البضاعة وأما الحيل وقوة الساعد فهو هدية من الملك الواحد فقال لها يا أماه والله أنا أحسب نفسى فى طبقتك من الشجاعة فضحكت من قوله وقالت هكذا تكون ان شاء رب العالمين ثم انها ناسته مدة من الايام وتفكرت ما قال لها وكان فى كل ليلة جمعة يزورمسجد يقال له مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت له يا ولدى ان فى الطريق قوم أشرار قطاع الطريق وحرصته على نفسه منهم وتركته وقد أكمنت له فى الطريق إلى أن أقبل ومعه عبده ميمون الجماس فخرجت اليه وهى مغيرة زيها ولبسها ومضيقة النقاب والطيلسان وقد أطلقت لجوادها العنان وقومت بين أذانه السنان وقالت إلى أين يا ابن البدوية اليوم أسقيك شراب المنية ثم هجمت عليه وضايقته ولاصقته وتعلقت

بأذياله وهزته وأرادت أن تقلعه من بحر سرجه فوجدته مثل الصخرة الصماء التى لاتزول ولا تحول من مكانها فلما رأى الامير عبد الوهاب ما حل به ثبت جنانه ومسك على ذراعها وعصر يدها فكشفت عن وجهها وضحكت فلما رآها خجل وقال لها يا عجوز كأنكى أردتى أن تختبرينى تحسبينى كما تعهدينى قبلا فقبلته بين عينيه وتمت معه إلى مسجد الرسول وزاروا ورجعوا الى البلد فتصدقت عنه بمال كثير وأخرجوا النذور لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان من الغد ركبت الاميرة ذات الهمة هى وولدها عبد الوهاب إلى الميدان فوجدت الامير عبيد الله وسائر بنى سليم واقفين قيام والامير عبيد الله ركب يتفرج على عمرو وما جرى له مع أستاذه داوود ابن محمد النجار فتقدمت الاميرة وسلمت عليه وتقدم الامير عبد الوهاب وباس يده ووقف الى جانبه ونظر الى الامير عمرو وداود وهما يتجاولان بالرماح وبالاسنة يتطاعنان وقد أطلقوا الاسنةوقوموا الاعنة (قال الراوى) فلما نظرهم الامير عبد الوهاب قال لامه يا أماه انى اشتهى أن أجرب روحى مع هذا الرجل أستاذ عمرو وأنظر حالى معه فقالت يا ولدى هذا فارس الارض فى طولها والعرض وهو الذى ألف كتاب الفروسية وأخاف أن يجد معك فيؤذيك حتى لا تنقص منزلته عند الفرسان فقال لها يا أماه دعى عنكى هذا الهذيان لأن الانسان اذا خدمه السعد نال المنزلة العالية وأنا لابد لى أن أخرج اليه وأجرب روحى معه (قال الراوى) هذا وقد نظر الامير عبيد الله وقال للأميرة ماحالك أيتها الاميرة فحدثته بالحديث فتبسم ضاحكا وقال لها دعيه يفعل ما يريد لأن الرجل إذا كان فى رأسه نخوة وحمية يطلب المنزلة العلية ثم أرسل وراء ولده عمرو ورده عن المجال وقال لعبد الوهاب دونك يا ولدى وما تطلب (قال) فعندها خرج الأمير عبد الوهاب وكان تحته جواد مثل السحاب أسود فى لون الغراب قوى الأعصاب فجال فى الميدان وتقلب على ظهر الحصان حتى أذهل الفرسان وحير الاذهان ولعب بالرمح وقد قلع السنان وحمل على داود ابن محمد النجار فجال معه وأوسع فى المجال واختبره فى خدائع الطعان والقتال فوجده يفوق الفرسان وصار فى طبقة الشجعان (قال) ثم أن داود حمل عليه وزعق فيه فوجده ثابت الجنان فتعجب منه غاية العجب وحكم له بالفروسية من بين سائر العرب وقال يهنيك يا ذات الهمة بهذا الفارس الأمجد فوالله ليكون له شان وأى شان ولا يوجد مثله

فى هذا الزمان (قال الراوى) فعندها قبلت الاميرة صدره وشكرته وصاحت فى ولدها فترجل وقبل يديه واجتمعوا حوله الفرسان يدعوا له بطول البقاء والنصر على الأعداء وفرح به الامير عبيد الله غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وأطاعته سائر القلاع ومن حولهم من الضياع وكثر ذكره والخبر شاع فى سائر البرارى والبقاع (قال الراوى) وصار الامير عبد الوهاب يركب كل يوم هو ووالدته فى مركب الأمير عبيد الله فى جماعة من بنى كلاب ويتصيدون فى البر والآكام وهم فى الصيد والقنص إلى أن كان يوم من ذات الايام طلعوا الى الصيد والقنص وقد أوسعوا السادات الكرام فى البر والآكام حتى حمى الحر وكان الامير عبد الوهاب مع عبيده السودان واصطادوا من الوحش والغزلان ما عجز عن حمله الخيل والفرسان فبينما هم كذلك وإذا بالخيل قد تفردت وتفرقت ومن تحت ركابها تقهقرت فركض عبد الوهاب بالجواد فما سار غير قليل وتقهقروا الى وراء تأخر فنظر عبد الوهاب أمامه وإذا بأسد عظيم قد ظهر بين تلك الشجر ولونه أغبر وهو أفطس المنخر يطير من عينيه الشرر وتدوى الجبال كلما زجر وهدر يظلم الجو كلما دمدم أبخر الفم له أظافر تفلق الجنادل وأنياب كأنها مناجل وله حنك كأنه قليب وأنياب كأنها كلاليب يمشى يتمختر كأنه ثور كبير وأكبر ولما عاينه الامير عبد الوهاب همز على جواده وحسامه فى يمينه مشتهر ودرقته فى يساره يمنع بها الضرر وتقدم له بقلب أصلب من الحجر فلما رآه الأسد زأر كأنه الرعد اذا هدر وضرب الارض بشدييه وشخر بمنخريه وبان الشرر من عينيه واجتمع حتى عاد كثلثيه وامتد حتى عاد كمثليه وهمز على عبد الوهاب فضربه عند مجيئه بالحسام فشقه من بين عينيه الى عند الاقدام وكانوا السودان من حذرهم عليه ركض بعضهم الى عند الاميرة وأعلموها بالخبر وهم يصيحون بالله يا أميره ادركى ولدك فإنه على غاية الخطر مع سبع غضنفر فلما سمعت الاميرة ذلك أطلقت عنان جوادها أسرع من لمح البصر وأيضا الامير عبيد الله وولده عمرو وباقى الفرسان والشجعان فوصلوا الى عبد الوهاب فوجدوه قد هجم على الأسد وضربه هذه الضربة شقه نصفين فتحيرت الفرسان من تلك الضربة وأيضا من كبر جثة ذلك الاسد وعوذوه من العين وأرادت الاميره أن تشجع ولدها وتشد عظمه فقالت له يا ولدى لا يأخذك العجب مما فعلت فما قتلت إلا كلب من كلاب البر وقتال الفرسان وملاقاة الاقران أشد من قتال السباع فى

الدحال فتعجبوا الناس من تلك اللبوة التى تقوى شبلها وقالوا والله ليكونن له شان وأى شان وليفوقن على الفرسان والاقران وصدقوا ما قال خليفه الزمان أن الامير عبد الوهاب هو ترس النبي الاواب صلى الله عليه وعلى آله والاصحاب (هذا) والامير عبيد الله انكب من على فرسه وقبل الامير عبد الوهاب وكذلك عمرو ترجل اليه وقبله بين عينيه وقال له يا أخى لقد أرعبت قلوبنا عليك فالحمد لله على سلامتك ثم عادوا من وقتهم وساعتهم فرحين مستبشرين ووصل خبر عبد الوهاب الى عند الروم وسمعوا به وبفروسيته فقال ظالم هكذا تكون أولاد الزنا الفجار وكان قد قدم على ظالم أمير من أمراء العرب يقال له حرب بن شيبان أكال الحرام قليل الدين كثير الآثام يقطع الطريق فى كل الفجاج ويأخذ أموال الحجاج قد ربى وسمى على أكل الحرام وكان قد أتى ومعه خمسة آلاف فتاك وما فيهم من يعرف له دين ولا مذهب فلما دخلوا على ظالم دخل على ملك الروم بهم ونصرهم عن بكرة أبيهم وخلع عليهم الخلع السنية وأقطعهم الاقطاعات حتى نسوا ماكانوا عليه واشتد ظهر ظالم بهم وانضافوا اليه وصارت خيامهم فى ظاهر البلد وفيها البيع والشراء والأخذ والعطاء وان ملك الروم قد تعوق عن الخروج الى بلاد الاسلام لأنه وصل اليه خبر العساكر التى خرجت من الجزائر وهم عازمين على ملك النصرانية فتغير معهم الريح وغرق أكثر المراكب وعاد باقيهم الى الجزائر فأقام ملك الروم حتى يجمع عساكر غيرهم من الاقاليم ورأى ظالم الى ذلك فأقام يدبر على هلاك عبد الوهاب وأمه فقام من بين العرب رجل يسمى دويب وكان أتى مع حرب بن شيبان وكان تحت يده ألف فارس موصوفين بالقوة والشجاعة ودويب يعد بألف فارس فى الحرب والقتال فقال يا أمير أنا آتيك بعبد الوهاب وأمه أسرى أو قتلى فقال له ظالم اسرع أيها الفارس الجليل ولك على كل ما تريد فقال له لابد من ذلك وأسير قريب من الدروب وآتيك بهم وحق المسيح وإن فطن بى أحد أقول أنا أتيت من الحجاز أطلب الجهاد فى طاعة رب العباد وفتح البلاد ولما سمعنا ما فى الكتب بادرنا اليكم فلما سمع ظالم كلامه شكره وأثنى عليه وقال له سر بارك المسيح فيك فعندها سار هو والالف فارس الذين معه فى زى عرب الحجاز وطلبوا ملطيه ليدبروا على عبد الوهاب وأمه أمر من الامور (قال الراوى) فهذا جرى ههنا وأما ما كان من أخبار ملطيه والامير عبد الوهاب فإنه ضاق صدره فخرج للصيد

والقنص وأما عبيد الله فإنه قلقان لأجل عرب الحجاز وأيضاً عساكر العراق وقد عول أن يوصى الأميرة على الثغور ويسير بنفسه يجمع الجيوش وهو فزعان من ظالم وملك الروم فبينما هو كذلك وإذا بالنجابة الذين أرسلهم إلى الحجاز قد أتوا وقالوا أيها الأمـــير قم واخرج الآن إلى لقاء العرب فلو أردت أن تفتح بهم بلاد الروم لفعلت وأكثرهم من بنى عمك وأقاربك وهم من بنى سليم وبنى كلاب فعندها فرح الأمير عبيد الله بتلك الأسباب وركبت الأميرة فى بنى كلاب وركب الامير عبد الوهاب فى السودان الأنجاب وساروا فى لقاء من ورد من القبائل وكان قدوصل من بنى سليم وخلافهم ومن يقارب فى الحسب والنسب عشرين الف مع أمير يقال له محمد بن أبان السلمى وأتى أميرين آخرين أحدهم يقال له راشد بن ضمرة والآخر يقال له برد بن الأزهر ومع كل واحد منهم خمسة آلاف فارس أقيال أشاوس سوى من أتى يطلب الجهاد فى طاعة رب العباد والجميع قد عولوا أن يقيموا فى الثغور ويكونوا مع القوم على ممر الأيام والشهور وانهم لم يزالوا سائرين حتى التقى بهم الاميرعبيد الله والأميرة ذات الهمة فسلموا على بعضهم البعض وركبوا وعادوا الى ملطية وضربت لهم الخيام وقر بهم القرار فخلع الامير عبيد الله على بنى سليم وكذلك الامير عبد الوهاب على بنى كلاب (قال) ولما كان من الغد أتى البشير يخبر بقدوم بلاد العراق وعساكره فركب الامير عبيد الله وذات الهمة واستقبلوهم وكانت هـــذه نجدة وصلت وعدتها عشرون الف فارس من كل مدرع ولابس كلهم أشراف مجاهدين مع غلام من أولاد الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وهو أطيب الناس غرساً وأسمحهم نفساً وأكثرهم من الله تعالى خوفا وأحسن الناس وجهاً يقال له هارون العلوى له اتصال بالنبى صلى الله عليه وسلم ومنهم خمسة آلاف أسود من البصرة يحاكوا الأقيال ولهم مقدم عليهم طول قصبه وغلاظ مصطبه غليظ السواعد لا يخشى من الأوائل اسمه سماق كأنه الليل اذا غسق وله صوت كأنه الرعد اذا خفق فاستقبلهم عبد الوهاب أحسن استقبال وأنالهم أحسن منال ونظر الى هارون العلوى وحسن وجهه وذوائب الشرف على أكتافه وصدره فعلم أنه مقدم القوم فترجل عبيد الله اليه وسلم عليه وقال له كيف خلفت أمير المؤمنين المنصور بالله تعالى فقال هارون العلوى ياأمير اعلم ان المنصور بالله انتقل بالوفاة ومالنا خليفة اليوم الا الهادى بالله وهذا هو السبب الذى أبطأ العساكر عنكم هذه المدة الطويلة

حتى تمهدت الأرض بالخلافة واطمأن الهادى بالله وأطاعته العباد فى سائر البلاد وقد أرسل لكم معى منشور بولاية الثغور وللأميرة ذات الهمة أيضاً وصية على عبد الوهاب ولدها لان أبا محمد المهدى أوصى عليه عند مماته للهادى بالله وقال له بهذا أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء معى خلع وتشاريف كما أمرنى وأريد أن تورونى إياه حتى انى أقبل وجهه كما أمرنى لانه قال لى إذا رأيت الأمير عبد الوهاب قبله عوضى كما أوصانى المنصور بالله ولقبه بترس قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وأخلع عليه هذه الخلعة وإذا عدت فائتنى به معك بعد الغزاة حتى إنى أراه وأقلده أمارة بنى كلاب السادات الأنجاب (قال) فلما سمع الامير عبيد الله ذلك فرح فرحاً شديداً وزادت منزلة عبد الوهاب عنده وتقدمت الاميرة اليه وسلمت عليه وقدمت عبد الوهاب بين يديه وأمرته أن يترجل ويقبل ركابه فأقسم هارون العلوى عليه وتقدم وقبله بين عينيه ونشر خلع الخليفة عليه وخلع أيضاً على الاميرة وعلى الأمير عبيد الله وأوصل الكتب اليهم ونظر سملق وسودانه إلى الامير عبد الوهاب فرأى سواد لونه وملاحة كونه ورأى منزلته عالية ورتبته سامية عند الناس وعند الخليفة ونظر الى السودان الذين حوله بثياب الحرير الرومى والديباج الملكى فحن الجنس الى الجنس وانعزل سودانه اليه وقال انى أريد أن أكون مع رجال هذا الامير الهمام والبطل الضرغام أضرب بين يديه بالحسام ولا نبرح من هذه الامصار ونأكل من هذه الثمار ونشرب من هذه الانهار وننهب بنات الكفار ونحظى بالاكفال الثقال وتلك الاخصال فضحك الامير عبيد الله وجميع الحضار وفرح الامير عبدالوهاب وسودانه وخلع عليه الثياب التى كانت عليه ولبس خلعة الخليفة ولما عادوا الى ملطيه خلع عبدالوهاب على باقى السودان الثياب الحسان من سائر الالوان فطارت عقولهم مما رأوا وحلفوا بالايمان أن لايموتوا إلا قدام عبد الوهاب ونزل هارون العلوى فى خيام بنى كلاب وامتلأت بالناس الاقطار والشعاب ونقلت لهم الضيافات والعلوفات والاقامات وأقاموا بعد ذلك يأخذون أهبتهم للمسير الى بلاد الروم والكفار وجميع العساكر والمجاهدين تأتى من سائر الجهات والاقطار وكان الامير عبد الوهاب كل يوم يركب الى الصيد والقنص فى مقدمة السودان وهو أفرح الخلق بهم وأمه قد أمنت عليه لأجل سملق وميمون الجاس والسودان الى أن كان يوم من بعض الايام خرج الى الصيد والقنص ولم يبق معه غير سملق لانه

كان وقع له محبة عظيمة فبينما هم سائرين والى الصـــيد منتظرين واذا قد أتى بين أيديهم ذكر نعام فركض خلفه عبـد الوهاب وتبعه سملق وجعلوا يطردونه الى أن حميت الرمضا وأوهج البر وتوقد الحر وصار بعدالظهر واذا قد خرج عليهم أبو دؤيب فى الالف فارس المتنصرة لأننا ذكرنا أنهم ساروا من عنـد ظالم وكانوا لما خرجوا من القسطنطونية ساروا حتى قربوا من الدروب فرأوهم الديادبه الذين على الدروب فسألوهم عن حالهم قالوا نحن أتينا من الحجاز فى طلب الجهاد فوصلنا الى الحارث وظالم فقالوا لانعطيكم شيء من عندنا إلا إذا دخلتم ديننا وتنصرتم فشق ذلك علينا وما رأينا أن نبيع الآخرة بالدنيا ونحن أتينا الى الامير عبيـد الله ثم ساروا من عند الديادبة وأكمنوا قريبـاً من الثغور وتركوا لهم عيون على عبـد الوهاب حتى يخرج يعلموهم فلما كان ذلك اليوم وقد عاينوه وهو خارج الدروب خلف النعامة خرجوا عليه القوم وفى أوائلهم أبو دؤيب وهو ينادى الى أين تمضى يا ابن مرزوق فى هذه الفلاة اليوم تبقى مجنـدل على الوطاة وقد نفرقت عليـه الفوارس من كل جانب ومكان فلما رأى عبـد الوهاب الى ذلك تمرر مذاقه وانقلبت أحـداقه وضاقت أخلاقه حتى كاد أن يمزق أطواقه والذى ينظره يقول سـبحان خلاقه وامتشق السيف من قرابه وحمـل على الخيـل بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر وتبعه سملق وهـدر وزجر وحمـل مع عبدالوهاب على عجل وقد زعق كان صوته مثـل صوت الحمار اذا نهض وحمل على الخيـل وانطبق ولسيفه امتشق والزبد على أشداقه قد ظهر الا أن عبد الوهاب استقبل أبو دؤيب وعليه طبق وكان أبو دؤيب قد هم عليه بالطعنه من أول ما رآه وقصده فضرب عبـد الوهاب رمحه أبراه مثل ما يبرى البارى القـلم وهجم عليه وضربه بالسيف بكلية يديه فجاءت الضربة فى كتفه الايمن شقته نصفين وعجـل الله بروحه الى النار وبئس القرار وزود آخر بضربة على عاتقه أطلعه يلمع من علائقه وضرب آخر على رأسه نزل السيف الى أضراسه والتقوا الفارسين بالالف فارس وقد تمرمر منهم المذاق وكثر الصياح والزعاق ووصـل الخبر الى ملطيه من الرستاق فركب الامير عبيد الله والاميرة ذات الهمة فى أوائل القوم وقد طار فؤادها والسودان تتجارى خلفها وأمامها الى أن أشرفوا على المعمعة فوجـــدوا الغبار عالى والنقع نامى الا ان الامير عبدالوهاب وسملق قتلوا سبعمائة وسبعين والباقى قدامهم منثبتين وجرح الامير عبد الوهاب

جرحين الا أنهم سالمين وهو يضرب ضربات واصلات وطعنات متداركات والأمير سملق يصيح فى وجوه الخيل فتنفر من بين يديه وتنفر بأصحابها فتوقع الركاب ويهجم على الأبطال ويفرقها يمينا وشمال قال فلما نظرت الأميرة إلى ذلك قالت واولداه وصاحت وحملت وحمل معها السودان فقتلوا من تبقى من الفرسان وشالوهم على أسنة الرماح وأقبلت الأميرة على ولدها وقبلته بين عينيه وكذلك الأمير عبيد الله وما من الأمراء الا وقد هناه بالسلامة وقال له هارون العلوى لله درك أيها الأمير ما أنجبك من بطل نحرير فشكرته الأميرة على ذلك وشدت جراح ولدها وعاد إلى ملطيـة وقد نوت الأميرة أن تزوج عبدالوهاب قبل أن يسير إلى بلادالروم (وقال) فلما برىء من جراحاته خطبت له أخت الأمير راشد ابن ضمرة وكان أجل بنى كلاب وكان من الفرسان المشهورة والأبطال المذكوره وقد نحرت النحاير وأولمت الولائم سبعة أيام ودخل بها الأمير عبد الوهاب فى الليلة الثامنه وبعد أيام قلائل وصلت جواسيس الأمير عبيدالله يخبروه أن ملك الروم برز خارج القسطنطونية بعساكر لا تحصى بعدد الرمل والحصى وظالم وولده وحرب بن شيبان فى ثلاثين ألف من متنصره العربان وأن ظالم قد أوعد الملك بفتح البلاد الإسلامية فعند ذلك جمع الأمير عبيد الله سادات العرب وأهل المنازل والرتب واستشارهم فى هذا الأمر فقال هارون العلوى ما فى الأمر الا اننا نسير اليهم قبل أن يقدموا علينا ويطوون أرضنا وبلادنا فقالوا له والله نعم ما أشرت ياأمير ثم أمر المنادى ينادى فى العسكر وفى ملطية معاشر الناس كل من أكل خير السلطان لا يترك السفر بعد ثلاثة أيام فشرعوا الناس فى أهبتهم إلى الجهاد (قال الراوى) وأن الحصين بن ثلعبة السلمى الذى ذكرنا حديثه فى الأول وسقناه كان له ولد أسمه عبيد الله ولقب بأبى محمد وكان والده الحصين قد كتبه فى ديوان المجاهدين وكان له فى كل سنة خمسمائة دينار على الأمير عبيـد الله وكان هذا عبد الله ما يحضر قط لا حرب ولا طعن ولا ضرب لأنه كثير الفزع والهرع زائد القذارة والكسل مقعد لا يقدر أن يقوم على قدميه وأن أكل يكسل أن يحرك فمه وشفتيه وان بال بال على أدياله وان تكلم سال رياله يفزع من الماء اذا سر ومن الثور إذا هر وكلما زقزق الفار فى الدار يهرب فى ثياب أمه ويقول هذا من العمار ومن جملة كسله أنه اذا كان نصفه فى الظل والنصف الآخر فى الشمس وهو نائم يكسل أن يزحف الشمس إلى الظل وقد

اقتصرنا فى الـكلام فى وصفه والسلام وكان أبوه الحصين ابن ثعلبة من حين نظره على تلك الحالة ضاق صدره وعيل صبره وتحير فى فـكره وكلما رأى الفقيه عقبـة وما قد أعطى من العلوم والمواعظ والآداب وصحــــة النثر والنظام يحسده ويتحسر على ولده وخيبته وكسله (قال) وكان الحصين يقول ما أظن ولدى أن يـكون فارس أبدا ولا له جسارة يحضر قتـال ولا حرب ولا نزال ومالى الا أوديه إلى الفقيه عقبة ابن مصعب لعل أن يعلمه شيئاً من القرآن العظيم ينتفـع به على طول الأيام والسنين (قال) فعزم الحصين على ذلك ثم أنه أحضر للقاضى عقبه من يومه هدية سنية لها قدر وقيمة ومن جملتها خمسمائة دينار وغير ذلك ثم أنه أخذ ولده عبد الله بين يديه وسار إلى الفقية عقبة بن مصعب حتى وقف على بابه وطرق الباب فخرج اليه الخادم وسلم عليه وقال له ما تريد فقال الحصين قول للقاضى عقبة ابن عمك يريد أن يجتمـع بك فدخل الغلام وعادوقال بسم الله ياسيدى فدخل الحصين على الفقية عقبه وسلم عليه وقدم له ما كان معه وحدثه بحديث ولده وما هو عليـه من الـكسل وقال له فى الـكلام افعل من هذا الولد الصغير ما يشكرك عليه الأمير والحقير والصغير والـكبير وعلمه من بعض علومك الفاخرة شيء تنتفـع به أنت وإياه فى الدنيا والآخرة فقال عقبـة سمعا وطاعة وحبا وكرامة فما اسمه ياحصين فقال اسمه عبد الله ويـكنى بابا محمد فتسلمه عقبه منه ورجع الحصين إلى منزله وكان عقبـــة يعنى به ويجتهد فى تعليمه واتقانه والاعتناء به ليلا ونهارا وغدوا وابكارا من دون الأولاد والتلامذه الذين عنده كلما استقضاه فى حاجة أفسدها أو زبدية كسرها ومع هـذا كله زايد القزارة والساخة يمخط فى كمه وان تـكلم سالت ريالته ولا يحب سوى البطالة فسماه البطال وكان الحق سبحانه وتعالى قد أمات نفسه الحيوانية واحيا نفسه الروحانية فـكان كلما لقنه الفقيه عقبة شيء يحفظه والذى يحفظوه الأولاد فى شهر يحفظه هو فى يوم واحد وألقى الله فى ذهنه الفهم والفطنة وكـان يقرأ على القاضى عقبة جماعة من الرجال من سائر الأقطـار فى سائر العلوم فى النحو واللغة والفريضة والتفسير وغير ذلك من جملتهم رجل يقال له قليـح بن قابوس وكان من أرض اليمن وجاء إلى الثغور فى طلب العلم وأيضا كان معه كـتاب يسمى ينبوع الحـكمة لا يوجد الا فى خزائن الملوك وفيه من جميـع الحـكم المشكلات والمسائل الشرعيات والأبواب النارنجيات وفيه لغات مختلفات وكان ذلك الرجل يصحح على القاضى عقبه منه المسائل المشـكلات لأنه كان

فى سائر العلوم ماهر وقيل كان يحفظ اثنى عشر ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواياتها واخبارها وصفاتها لان الله سبحانه وتعالى جعله من أهل الشقاء لما سبق له فى الاراده (ونرجع) لما كنا فيه من حديث قليح بن قابوس وان عقبه دخل يوم من الايام على اخته وقال لها يااختاه لو ملكت الكتاب الذى مع قليح كنت فتحت مطالب العلوم واطلعت على كل امر مكتوم ومن اعجب ما فى هذه السيره كان عبدالله ابن محمد يسمع كلام عقبه لاخته فاسر ذلك الكلام فى خاطره وسره وخرج من وقته وساعته من منزل عقبه وقصد الى بيت ابيه وأخذ ازار بغدادى وتنقب بعد ان التف فى الازار وتشعر وتقصب وخرج من وقته وساعته طالب بيت قليح وكان البطال قبل خروجه فى هذه الصفه اخذ أوراق ومسودات وحكايات واشعار وغير ذلك والكل فشار فى فشار فلما طلع فى زى النساء أخذ معه الكتاب وقصد الى بيت قليح فلما وصل الى باب المنزل طرق الباب فقال قليح من بالباب فخنث البطال كلامه وتوقع لسانه وقال انا كريمة القاضى عقبه فقال قليح وما تريدى فقالت القاضى عقبه يسلم عليك ويقول لك قد تجدد عليه مرض القولنج فان كان عندك شيء من الترياق كما وصفت فى حضرته فقال قليح حبا وكرامه وسمعا وطاعه ثم حط الكتاب فوق المخده وقام الى عند خزانة الترياق وفى دخوله الى الخزانة وتمام الارادة أخرج البطال المجلد الذى كان معه وحطه وأخذ الكتاب أسرع من البرق إذا برق وخرج قليح بالترياق وأعطاه إياه فشكره ودعا له وخرج من بين يديه وهو يهز عطفيه ويقصع ردفيه وكل من رآه لا ينكر عليه ولتمام السعادة وقضاء الارادة عرض لقيــح حاجة من حوائجـه فاخـذ الكتاب وحطـه على الكـتب إلى ثانى يوم (وأما البطال) فانه لما خرج من عند قليـح ونزع ما كان من ثياب النساء ونظر إلى ذلك الكتاب فنظر غوامض العلوم وكل سر مكتوم ففرح البطال بذلك الكتاب حتى كاد عقله أن يطير من الفرح والسرور (قال) لما كـان من اليوم الثانى صلى الأمير قليـح الصبـح وأخذ المجلد وأراد أن يمضى إلى عقبة يصحح عليه المسائل على جارى العادة فوجد أشعار وهزيان فطاش عقله وذهب لبه وعلم أن الحيلة تمت عليه من أخت عقبة فسار من وقته وساعته إلى القاضى عقبه وهو يتعثر فى أذياله إلى أن وصل إليه وهو جالس وحوله جماعة كثيرة يقرؤن عليه فى العلوم من الأخبار والآثار وغير ذلك قال فعندها دخل قليـح وقال ياقاضى لما عملت

هـذه الحيلة حتى أخذت منى الكتاب فهل تكون هـذه فعال الأصحاب كنت قلت لى انك تريد تنسخه وأعجبك فيه شيء تفعله وأنا كنت ما أبخل به اليك وإلى بيتك كنت أحمله اليك فقال عقبة ما هو الكتاب الذى يستحق هذا الجواب قال كتاب ينبوع الحكمة فإن اختك جرى معها كذا وكذا وقت القولنج وجاءت اختك وأخذت منى الترياق فقال عقبة ما هـذا صحيح وهـذا القول منك غير مليح فقال قليح أبصروا اللص المحتال يعمل على الحيلة ويتم على المكيدة وبعدها يكذبنى ثم ان قليح أمر غلمانه أن يضربوا عقبـة فضربوه حتى غاب عن صوابه وأحرقوا طيلسانه وحملوه إلى الأمير عبد الله وكان عنده سائر الأمراء فصاح عقبة هكذا يفعل يا أئمـة الدين وعلماء المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم يقول العلماء ورثة الأنبياء قال فلما نظر هارون العلوى إلى ذلك الحال صعب عليه وكبر لديه وقال ما يحل أن يفعل بالعلماء هذه الفعال واغتاظ الأمير عبد الله وأمر بضرب رقبة قليح ونهب ماله ودياره وما كان لعقبة دأب إلى التفتيش على الكتاب فلم يجده ولم يقع له على أثر فتحير عقبة وتحسر وحس ان مرارته تنفطر ومضى الأمر على ذلك وراحت على من راحت وصح الكتاب للبطال واكتسب من غرائب الفعال حتى كان يتكلم فلا يجبه إلا البطال من دون الذين حوله ويقول هـذه المسئلة باطـلة من ثلاث وجوه كذا وكذا وصحتها من ثلاث وجوه كذا وكذا فتحير عقبة من ذلك واندهش ويقول من أين لك هـــذا يا شيطان فيقول له البطال ان أنا إلا تلميذك وتربيتك وخادمك فيفرح عقبة بذلك الكلام وهو كله ضحك على لحيتـه (قال الراوى) وسنرجع إلى ما كنا فيـه من الحديث وان الجواسيس لما قدموا من بلاد الروم وأخبروا الأمير عبد الله كما ذكرنا بالمسير وشاع الخبر كما وصفنا فما أمكن الأمير الحصين ان يخلى ولده بعد العسكر عن الغزاة وقد أخـذ له ديوان أربع سـنين قبل تلك السفرة فأحضره بين يديه وقال له يا ولدى أنت تعـلم انى كتبت اسمك فى ديوان المجاهدين وأخذت معلومك أربع سنين ولا غنى عن خروجك مع المجاهدين إلى القتال فعند ذلك بكا البطال وقال يا أبتاه ومن قال لك انك تكتب اسمى فى الديوان ومن هو الذى يقدر يركب حمار فضلا عن الجواد وأنا من أيام كنت قد ركبت حمار ورمانى ثلاث مرات قال فأخذه أبوه وأتى به إلى عند عمه يشكو اليه حاله وأعاد عليه كلما جرى فلما سمع عقبة من الحصين ذلك الكلام قال للبطال يا ولدى ما نأخذك فى هذه الغزوة لا لأجل قتال ولا حرب ولا نزال إلا انك

تلبس عدة الحرب وتكون واقف لما نعرف حالك ويكون ما لنا مثل مالك لأنك قد أكلت خير السلطان أربع سنين وغالط بك أبوك ذلك الزمان الطويل فلما سمع البطال ذلك الكلام بكى الى أن غشي عليه وقال يا سيدنا ومن أشار عليك بهذا الشان حتى انكم تأخذوا لى ديوان وتنزلوا اسمي مع جملة الفرسان وأنا إذا سمعت قرقرة الفيران أو صياح أبو قردان فى البرك والغدران أقول قد كبسونا الروم فى ذلك المكان وأنا وحق الملك الديان خالق الإنس والجان الرحيم الرحمن من حين سمعت أن ملطية سكنوها سودان المتشبهين لجن ابن داود سليمان ماعدت خرجت من البيت ولا من الجدران ولا لعبت مع الصبيان فمن هذه الصفة صفته كيف يكون له جنان أو يركب حصان أو ينظر الى فرسان فى معترك الضرب والطعان وكيف حالى يا سيدى إذا اصطفت الفرسان في حومة الميدان وتشابكت الرماح ثم أين أجد رجلان يحملانى فى ذلك المكان أتريدون أن تجعلوا من بول لتيوس خبيص أو تفصلون من الهوى قميص فبالله عليكم لاتدخلون فى خطيتى وتتركون الروم يسبحون بأذيتى ويسمعون الناس زعقاتى فما الحرب من اسمي ولا الطعن والضرب من سيمتى ولا النزال من أخلاقى فلما سمع الفقيه عقبة بلاه الله بكل نكبة من البطال ذلك الكلام ضحك حتى دمعت عيناه واحمرت الآماق والجفون وقال لا تفعل فهذا الحديث لو سمعوه الناس من فيك لضحكوا على أبيك وأنت ما تكون إلا فى موكب الفقهاء والقراء وإذا رأيت الروم انكسروا فكبر فى ذلك الوقت ونفض أكمامك وجنح طيلسانك وان كانت علينا والعياذ بالله فكن أنت أول من يطلب الهرب والهزيمة والرواح فى البر والسبسب وأنت تقول حى على الفلاح فعند ذلك قال البطال يا سيدى ان كانت الكسرة على المسلمين وكنت انا فى أول المنهزمين ويكونوا الروم قدامنا كمين كيف يكون حالى وفى وسطى سراويلى يا مسكين أليس أكون انا أقرب الى الهالكين قال فضحك عقبه من هذه الأقاويل حتى انه بال فى السراويل ثم قال يا نحس الأولاد يا ميشوم الخاطر مالك أسوه بهذه العساكر الحنيفية الذين خرجوا الى الجنود النصرانية فقال البطال يا سيدى لم تكن أسوه الا القعود فى ملطيه وأريح نفسى من تلك القضية وآكل من تلك المقمحيه فدع عنك الكلام الذى لا يسمع والقول الذى لاينفع فإنى لا أبرح من عند الصخور وكلامك فى أذنى

لايجوز ثم أنشد وجعل يقول هذه الأبيات :

يا عم دعنى لا تطيل عتابى ... لا تقصدون بليتى وعذابى
من اين تثبت همتى عند اللقا ... وأنا افزع من صرير الباب
واذا سمعت الباب ارعد خيفة ... وابول من جزعى على اثوابى
وأقول هذا القول يقتل جمعنا ... وتحن آذانى الى الأثقاب
لا تذكرون الطعن فى يوم اللقا ... فأموت من جزعى بغير حساب
أنا لا أحب الطعن الا خلوة ... فى البيت بين كواعب الأتراب
واذا اتى وقت الطعام رأيتنى ... دنيت سحقته بجدة نابى
واذا اردت الطعن صدر دجاجة ... وإذا ضربت ففى رغيف رابى
املا من اللحم السمين ضمائرى ... وادور اكرم بعد ذا أصحابى
هذا هو العيش السليم فلا تكن ... شيخاً قليل العقل ياكذاب
وانى لا اصغى للعدو وقوله ... انى أراه بقوله مرتاب
ان قدم الله العظيم بعزمه ... وبقوته سأكون فى محراب
اتلو الكتاب بحسن صوت جيد ... واسال اله العرش حسن مآب

(قال الراوى) فلما سمع عقبه بلاه الله بكسر الركبه من ابى محمد ذلك الكلام قال ما هذه الا طريق السلامة لاوهبك الله عافية فما والله طلعتك الا واهيه ثم قال للحصين جهز الألفين دينار والذى اخذتهم لولدك من الأمير عبد الله فولدك ما يفلح قط ولا ينصر به على الاعداء كذب والله اللعين عقبه جاء له علة وضربه فقال الحصين يا ولدى لا تفعل وانا احلف لك وحق من مرج البحرين وانار القمرين ما ادعك تباشر حرب ولا قتال بل اركبك جوادى السحاب الذى ادخره للأمور الصعاب ولا تبرح عينى تراعيك وان جرى على الناس امر والعياذ بالله اخذتك ونجوت بك فى اماكن ما تهتدى اليها العرب ولا الروم ولا تحوجنى ابيع ما ورائى وما قدامى من شانك وادفع الذى اخذته على اسمك من الديوان ويضحكون الناس على ويشمتوا بى الحساد ويقولوا الحصين له ولد مطنجر مخنث بين الاولاد وما يحسن اصلا يركب جواد ولا يحسن ينظر بعينه الى مقام الجلاد فعند ذلك قال البطال والله يا ابتاه اعلم انى قد ضاقت على ملطيه وتريدون تخرجونى منها بالكليه فافعلوا ما قد بدا لكم بها انا مطيع لأحوالكم قال فعند

ذلك فرح الحصين بمقاله وأخذه معه وهو يدعو بالفرج ويطلب له من عالى الدرج ويقول يا مفرج فرج المهج ولسان الحال يقول فى سره يا مغير حال بعد حال غير طباع ولدى البطال قيل كانت أبواب السماء مفتحة باتفاق من الله الواحد الخلاق فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاء الحصين لما سبق فى الكتاب المبين وما قد كان من القدم وما قد كتب بالقدم هذا والناس قد أخذوا أهبتهم فى الجهاد الى سبيل الله ورحل بهم الأمير عبد الله طالب بلاد الروم فى خمسين ألف ومائة ألف فارس من كل مدرع ولابس مابين رامح وتارس وكل طائفة صارت خلف مقدمهم والأمير عبد الوهاب دارت به السودان من كل جانب ومكان وهو مسرور فرحان وهم أبطال بنى كلاب والجميع سائرين سير السحاب وهم بالسيوف الضوارب والرماح الكواعب (قال الراوى) وكان الأمير عبد الله فى الساقه وهو سائر تحت الرايات والأعلام وإلى جانبه هارون العلوى مقدم عساكر العراق والفقيه عقبه كلما نظر الى الكعبة وهو راكب على بغله زروريه تساوى من الذهب ألف وميه وقد جنح الطيلسان وأرخى الاردان وتلاميذه من حوله وناس من أرباب المدارس وصدور المجالس وهو يحث الناس على الجهاد فى طاعة رب العباد ويوعدهم بجزيل الاحسان من رب الارباب ويقطع الطريق بقراءة القرآن واحتوى على قلوب الفرسان والاقران بحلاوة اللسان والامير عبيد الله رآه فى ذلك العزم والاجتهاد فقال فى نفسه ما أسعى للقاضى إلا فى قضاية بغداد (قال الراوى) ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى مرج العيون فنظر الامير عبد الله الى مرج واسع منبسط أفيح فيه عيون تجرى ومنابع تسرى وهو يصلح للحرب الطعن والوقائع فنزل فيه الامير بالعساكر وقال هارون العلوى ما نبرح من هذا المرج أيها الامير حتى تصل عساكر الروم الينا ويقدموا علينا ونكون قريب الى بلاد الاسلام ولما نظر الامير عبد الله الى ذلك الكلام نزل وضرب الخيام وركز الاعلام وأقاموا ذلك اليوم وثانى الأيام الى نصف النهار وإذا بالدنيا من صوب بلاد الروم قد اسودت والغبابير قد امتدت والزوابع الى السماء صاعده وعساكر الروم وارده وضجيجهم الى عنان السماء صاعده وقد بدل ضوء النهار بالظلماء فلما رأوا المسلمين ذلك ضجوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وتقدمت الامراء فى أوائل الناس وقد ظنوا أن الروم عند

قدومهم يقاتلون فاصطفوا وترتبوا وما كانت إلا ساعة حتى انكشف الغبار وبان للنظار وأقبـــلوا كأنهم البحر الزخار أو قطرات الامطار وقد لمعت القنطاريات والبيارق وامتلأت المغارب المشارق وتزاحمت الروم حتى بقى على القدم ألف قدم ونظروا الى المسلمين فصاحوا حنا ومريم والصليب ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى ذلك الوقت قامت الدنيا على ساق وقدم وخيـل للناس أن الدنيا تتهدم ولما قربوا ابتدأوا فى ضرب الخيام ولا فيهم من طلب حرب ولا صدام (قال الراوى) ولم تزل طوائف الروم تنزل وتطلب النزول حتى ملأت الارض عرضاً وطول ونزلت العرب المتنصرة ميمنة وميسرة فى جوانب عسكر الروم والمقدم عليهم ظالم وولده الحارث وحرب ابن شيبان فى ستين ألف عنان من متنصرة العربان وأشرف الملك نوفيل وهو كأنه درفيل وعلى رأسه صليب موثوق بحبال الابريسم ولم يزالوا يضربون الخيام ويركزون الاعلام وعساكر الإسلام على ظهور الخيـل قيام وما فيهم إلا من رأى ما أبهره ونظر من طوائف الروم ماحيره ولما أقبل الظلام رجعوا الى المضارب والخيام ورتبوا للحرس ألف فارس همام من كل بطل ضرغام مع الأميرة ذات الهمة لأنها طلبت بذلك الاجر والثواب وأيضاً لأجل ولدها عبد الوهاب هـذا وعساكر الروم متواصله وطوائفه متقاطره والى الخيام نازله هـذا وضجيجهم قد ملأ الاقطار وزاد الليـل اعتكار ولما أقبـل الظلام جلسوا المسلمين لأجـل الطعام فطلب الحصين ولده فلم يجده فضـاق صدره عليـه وسأل عنه فلم أحـد أرشده فمضى الى فقيهه وسأله عنه فقال له والله ما معى منه خبر فضاق صدر الحصين على ولده أبا محمد وتحير وأرسل الغلمان يفتشون عليه وهو كثير الشوق اليه (قال) وكان السبب فى غياب البطال أنه لما رأى عساكر الروم أقبلت والضجات قد علت والابطال قد تزاحمت أيس من الحياه وأيقن بالوفاه وطلعت الى حلقه خصيتاه وصار عبرة لمن يراه ودخل الى الخيام لعله يجد مكان يتخبا فلم يجد إلا خيمة الطباخ فدخل ونزل فى صندوق الزبادى وأطبق عليه الغطاء وهو مثل السعفه فى يوم ريح عاصف (قال الراوى) وأتى الطباخ بعد وقت من الليل وقد فرغ شغله فنام الى جانب الصندوق وكان الطباخ الآخر أذل من البطال فعطس أبو محمد البطال وهو فى الصندوق فقال الحمد لله فقال الطباخ يابه يامه وإيش

القضية بس ياويلكم القطط معنا فى البرية ثم مد يده فى الصندوق فجائت على أبو محمد فصاح الطباخ الآخر ووقع مغشيا عليه فدخلوا الغلمان وجعلوا يدورون حواليه ويقرؤن المعوذتين عليه حتى أفاق وقال ياقوم أن فى الصندوق واحد من العمار فانظروا كيف عينيه تبصبص من الشقوق فقال البطال وقد صاح وعرف أنه الطباخ أذلك الله ياجبان ياذليل يامهان وايش هذا الهزيان فقال الطباخ وأنت يعنى عنتر عبس يخرب بيت الذى جابك انظر الى الذى ملا ثيابك قبل أن تتكلم فقال البطال يامرتاب فزعتنى بذقنك حتى انى بليت الثياب والصندوق وانظر الى الذى نازل من الصندوق فضحكوا الغلمان حتى انقلبوا وصاحوا وجلبوا وقال الطباخ بعد أن أفاق من هو أبوك يامقصوف فقال الحصين بن ثعلبة صاحب الأمير عبد الله أمير الأمراء ووزير الوزراء فنادى الطباخ الأمير الحصين وأعلمه بما جرى من ولده قرة العين فأتى اليه والده وأخرجه بعد أن أخذ بخاطر الطباخ وقال ايش هذه الفعال ياولدى فقال ياأبتاه الذنب للطباخ الذى خوفنى بذقنه ولكن أنا ما قلت لكم خلونى عند أمى ما سمعتم ولم يزل الحصين يترفق بولده حتى أتى الخيام وأطعمه شيئاً من الطعام وجاء وقت المنام وقد طبق وسيع الفلا فى الظلام فنظر الحصين إلى ولده وقد حان حينه وتغير لونه فقال انا لله وانا اليه راجعون الذنب على القاضى عقبه الذى أشار على به ثم أخذه ودخل على القاضى عقبة وقال له ياقاضى لقد أبليتنا بهذا الولد فقد بلينا من أجله بالنكد وقد فرغ منى الصبر والجلد وحدثه بجميع ما جرى فقال عقبة ياولد النحس ما هذا الخوف العظيم والجزع الجسيم ولم لا تنام عندى وتهجع فقال بالله عليك نيمنى عندك فى هذه الليلة فضحك عقبة وقال له نام عندى فدخل البطال الخيمة وتركه أبوه وقام على باب الخيمة وهو مقهور مما جرى وأما البطال فانه نام جنب عقبة على فراشه وكان القاضى عقبة متكىء على مخده وعليه أصوافه التى يتجمل بها فنام وكان عقبة نومه خبيث تكون رأسه للشرق يجعلها للغرب ففى نومه على المخدة انقلب جاءت رأسه عند بطن البطال وكان له شوشة كبيرة وكان البطال قبل ما نام عشاه أبوه خبيص فثار عليه الشغل فانتبه فرأى الخيمة ظلام ويحسب أنه عند أمه فوقف على حيله وحط رجله الواحدة جاءت على رقبته فحسب أنها رجل المرحاض فعمل الشغل فجاءت

على أثوابه وأصوافه ووجهه أيضا والفراش وكانت الخيمة ظلام فبقى المكان كله غائط وجاءت رجله على شوشته فصاح من خوفه وجزعه فنزل ما بقى فى بطنه فملا لحيته وعوارضه وأتلف أصوافه وتركه عبرة لمن نظره فانتبه من نومه فرأى ذلك الحال المهول وكان أول من وصل اليه الحصين أبوه خوفا على البطال فراى هذ الحال ورأى ما حل بعقبة من الامور الصعبة فقال لولده ايش هذا يا ابن الحرام فقال القاضى عقبة ياحصين ما تنظر الى ما فعل ولدك بثيابى وقد عمل أعلى لحيتى العمل ووجهى وأطال فى ذلك عذابى فبالله وتالله ووالله لازم مضى إلى السلطان وأحكى له ما بى أو تقوم بثمنهم ياحصين فقال الحصين لولده ايش هذه الفعال فما أبشعك بين الناس ثم ضربه على نافوخه والرأس وقال له ايش هذه الفعال بقاضى قضاة المسلمين وأهل الدين فبكى البطال وقال يا أبتى الفزع أحوجنى الى هذا لانى حسيت بنفسى كانى فى بيتنا على المرحاض فجلست فجاءت رجلى على شعره فنزل العمل على وجهه مع نحره وأيضاً انى متعجب فى أمرى كيف جاءت رأسه عند رجلى فقال القاضى هذا جزائى وجزاء صبرى وطبعى فقال البطال جاء طبعى فتوفقوا الطبعين فى وجه سيدنا والعين والعنفقة والشاربين فقال له القاضى الساعة أنا الآخر اشيلك وأخبصك تحت الرجلين وأضربك ألف ومائتين فتبسم من ذلك الكلام الحصين وقال له يافقيه أنت كنت السبب فى بجيئه وانا أقول ما ينفع وأنت تقول لعله ينفع فقال البطال وان كنتم ماتريدون أن أرجع أنام كل ليلة عند الفقيه عقبه فى المضجع وتروا ماأفعل وأصنع

(قال الراوى) وهذه أحوال البطال فى بدايته وبعدها تأتى
الشجاعة والبراعة والحيل ويخاف منه الموت
المعجل وأما كفارة الضحك والهزل والمجون
فالصلاة على سيدنا محمد المبعوث للابيض
والاسود وهو سيد العرب والعجم
صلى الله عليه وسلم

﴿ تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن ﴾

سيرة
الأميرة ذات الهمة

ولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانبي وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء الثامن

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى
بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر
مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كلوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) ولما أصبح الصباح نعرت بوقات الروم وخفقت ودنت الجموع وهربت الجن من الاوطان والربوع وصهلت الخيل وطلبت القتال والحرب والنزال وحن السيف إلى القتال وحملت ذلك الوقت الكتائب وحطمت المواكب على المواكب وانقضت السهام مثل النجم الثاقب وحمل الجيش على الجيش وكثر من الجبان الطيش ولم يزل السيف يعمل عمل النار فى الكبريت هذا والبطال قد أخذه الدمع وبقى يقوم ويقع وكان أبوه من أول النهار ألبس صدره زردية مضاعفة العدد وسلمه سيف صقيل وأوقفه على رابية عالية بعيد عن القتال وقال له قف ههنا يا ولدى ولا تخف فها عينى تنظر وتراعيك ولما رأى البطال إلى ذلك اشتبكت اضراسه وعدم حواسه ولا تسأل عما جرى فى لباسه وصار كل من رآه يظن انه اليه قاصد وإذا برجل اقبل على البطال وكان ذلك الرجل اكثر خوف منه وهو يلتفت الى وراه فلما أقبل على البطال قال له نح عنى يا قرنان والا اقطع بهذا الحسام منك الاودان فقال الرجل لا تخاف فأنا الآخر مثلك فزعان فقال البطال من تكون يا جبان وإيش اسمك يا ذليل يا مهان فقال اسمى مضمار ولى ولد شجاع فى الحرب والقراع ولم يخلق الله تعالى أذل منى ولا من يخاف قدرى وانى خفت من الموت وخشيت من الفوت ومن هو القرنان الذى يكره الحياة

فإنى أتيت اليك لأتشاغل أنت وأنا فى هذا المكان لأنى مذ رأيتك عرفت انك مثلى جبان مهان فقال البطال تقرب الى ههنا فأنا وأنت فى المصيبة سواء ثم انه وقف يتحدث هو وإياه فى أمر القتال وتراودوا فى القيل والقال وإذا بسهم جاء من غمض علم الله ودخل بين الإثنين وطش ريشه فى وسط الجبانين القطيعين ودخل من بينهم يطش طشيش ونزل قريب منهم فى الارض وغاص (قال الراوى) وان البطال فى ذلك الوقت غشى عليه وصار لا يعرف ما بين يديه من كثرة الخوف والفزع واما الآخر فانه صاح ووقع وبعد ساعة أفاق وقد أفاق الضمار فقال له البطال ويلك يا أخى انظر ان كنت يا أخى سالم بالله عليك فقال الآخر انظر الى وجهى ان كان صحيح لأنى والله زاد هلوعى ووقعت على ضلوعى وصار البطال واقف ساعه وهو ينظر إلى نفسه ويهز جثته ويقول يا هلترى أنا سالم أم لا ونظر الى الارض بعد ساعة فرأى السهم وهو يتحرك فى الأرض فنظر البطال الى ذلك فتعجب غاية العجب وقال يا هلترى ايش يكون سبب هذه الفعال ثم قال للضمار يا هلترى ايش هذا والله لاسير وانظر حال هذا السهم ثم انه سار البطال وكان ذلك سعادة وإقبال وكل هذا بإرادة مسبب الاسباب (قال الراوى) نرجع لما كنا عليه من الكلام بإذن محى العظام ولما تقدم ابو محمد البطال الى السهم الذى يتحرك فى التراب فجذبه بكلية يديه فلم يقدر فجذب السيف الذى معه وحفر حواليه الى ان وصل الى آخره واذا بذلك السهم قد وقع فى ثعبان عظيم ارتمى وهو ملبط بالدم وذلك الثعبان من حلاوة الروح قد انقلب ودمه قد انسكب ولما رأى البطال إلى ذلك تحير فى امره وقال الله أكبر بان الحق وظهر وزال والله الخوف والحذر وخجل من جعل مع الله إلهاً آخر فلا مفر من الموت ولا مهرب من القوت ثم انه فى ذلك الوقت هاجت به السريرة المخفية الذى أودعها فيه رب البرية وعصفت فى رأسه نخوة العرب أهل المعالى والرتب اهل الحسب والنسب لأنه من أصل قوم مفاخر أطايب معودين بالعطا والجود والمواهب ونزل من على تلك الرابية وجذب الحسام وحمل فى اوائل القوم وهو راكب على جواد من الخيل الجياد فكر على الروم فى المجال وتندم وضرب أول فارس اقلبه وضرب آخر جندله والثالث أهواه والرابع أعدمه الحياه وقد نظر إلى بطريق عظيم راكب على جواد جسيم وفى صدره صليب من الجوهر وهو يجول مثل الغضنفر

فأرمى البطال نفسه عليه وتجاولا ساعة من النهار وقد عـــلا عليهما الغبار ثم أن البطال ضربه بالسيف عل صدره وكان سيف صقيل فطلع من فقار ظهره فوقع على الأرض نصفين وارتمى قطعتين فنهض البطال إلى ذلك الجواد وكان جواد سابق فنظر أبوه اليه وهو فى القتال فبقى بين المصدق والمكـذب ويقول ياهلترى هو والا غيره ولـكن الله على كل شيء قدير فثبت الحصين جنانه وجاء إلى عنده فوجده يقول انتهوا يا أولى الالباب ولاتختلفوا واصطلوا ولا تتفرقوا والزموا تقوى الله تعالى فانه يعـلم سركم وجهركم ونجواكم وعلا نيتـكم ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل إلى ان ولى النهار وأقبل الليل بالاعتـكار ورجع أبو محمد إلى أبيه وقال له ياأبى أنا اليوم اشجع خلق الله تعالى ثم حدثه بحديثه من أوله إلى آخره ففرح الحصين بولده فرحا شديد وقال يا ولدى ان عشت عشت سعيد وان مت مت شهيد وجاءت بنى سليم إلى عند الحصين وقالوا يهنيك هذا البطل الشجاع والقرم المناع والله لقد أرضى الملك الجليل وأشفى القلب العليل ففرح الحصين بمـا قد سمع عن ولده وشـكر الله وأثنى عليه وزال عنه ما كان اعتراه من بلواه ورجعت العساكر وقد لقوا من القتال فى ذلك اليوم كل أمر مهول وباتوا الناس فى خوف شديد من الروم وتلك الجموع التى لاتحصى بعدد الرمل والحصى وقد أقبلت الأميره على الأمير هارون العلوى وقالت له أيها الأمير انى فزعانة من هؤلاء الملاعين على المسلمين وقد رأينا البلاء العظيم فى اليوم الذى مضى ورأيت الناس متفرقين وأريد أجمعهم وأنزل الوعاظ يعظوا الناس لعل الله تعالى ببركـة العلماء وأهل الفضل وبركة القرآن المجيد ينصر المسلمين وأرادوا أن يعقدوا مجلسا واذا بالامير الحصين وقد أقبل ومعه الأمير أبو محمد البطال وكانت الأميرة تعرفه فقالت له أهلا ومرحبا بقرة العين الأمير الـكبير الحصين من هذا الصبى الذى معك فقال لها ولدى وكان قد فقد من أول الليل والساعة قد اتى الى بعد الاياس منه وقال سر بنا الى عند الأميره فانى اقول لهم أمر يفرقون به هذه العساكر قال فلما سمعت الأميرة ذلك قالت ان شاء الله تعالى يـكون فيه نصرة المسلمين قل أيها الفتى ما معك من الكلام فقال أبو محمد أيها الأميرة انى لمـا رجعت وقد رأيت ضعف المسلمين وقوة الروم الملاعين أخـــذتنى الغيرة على الدين واختلطت بعسـكر الملك نوفيل وأنا

ما عندى من خوفهم لا كثير ولا قليل فأتيت الى خيمة الملك والعساكر لا ينكرون على لانني فى صفتهم وزيهم وأعرف بهم وإذ بحرب بن شيبان عند عمك ظالم ومعه ابن عم يقال ثابت بن ربيعة وهم يقولون عن ثابت هذا لم يركب جواد أشجع منه وهم دبروا أن يرسلوه فى ألف فارس من العرب المتنصرة المعودين للقتال والحرب والنزال وهو يقول لكم أنه أسلم وعلى ما فعل ندم فاذا أصبح الله بالصباح يكون هو وأصحابه كل مائه رجل فى خيمة ملاصقين اليها ويكبسوكم عند الصباح ويأخذوكم قبضا باليد وكانكم بهم وقد وصلوا اليكم وانى لما سمعت منهم هذا الكلام أسرعت بالمجيء اليكم والرأى عندى انكم تحسنوا لهم الكلام وتقدموا لهم الطعام فاذا فعلتم ذلك خذوا هذا حطوه لهم فى الطعام ثم انه أعطاهم سما كان قد اصطنعه من قبل أن يخرج من ملطية وكان خارق لو وضع منه خردلة لألف رجل لهلكو من ساعتهم فلما سمعوا الأمراء ذلك الكلام كانوا كانهم أموات وأحياهم الله وصاروا يتحدثون وفى أمورهم يتعجبون فهذا ما جرى ههنا (وأما ما كان) من البطال فانه قال للاميرة هل بقى شيء من الطعام قالت نعم فأمرت أن يرفع اليه الجفان ويوضع فيهم السم الذى كان معه كيف يشاء ويختار وكانوا مائة جفنه فما فرغ من شغله حتى أقبل ثابت بن ربيعه فى ذلك الجحفل العظيم وهو الألف فارس وصاحوا إلى أن وصلوا الى الخيام فزعقت عليهم الحراس (قال الراوى) فعند ذلك قال ثابت بن ربيعه أريد الأميرة لأجل مصلحة فأخذوه الحراس وساروا به إلى الأميرة ذات الهمه والامير عبيد الله والامير هارون العلوى والامير الحصين وكانوا الجميع فى انتظار كلام البطال فلما رأوهم سلموا عليهم وقالوا لهم أهلا وسهلا بالقوم الذين ساقهم الله تعالى للمسلمين وجعلهم من جملة الموحدين ثم أخلعوا على المقدمين وقد نطقوا بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما استقر بهم الجلوس حتى قال هرون العلوى لبنى سليم كل أمير منكم يأخذ مائة رجل من هؤلاء الفرسان القادمين ويكون فى ضيافته هذا والبطال قدم ذلك الطعام المشغول الذى فى الجفان وصار يدخل قوم بعد قوم ويقول لهم اعذروا هارون العلوى وكانوا تسعمائة وثمانين الذين أكلوا من الطعام فماتوا جميعهم وأما العشرين الذين بقوا فإنهم كانوا مقدمين الفرسان فأخذتهم الاميرة الى عزومتها وأشغلتهم بالحديث واذا بسملق قد وثب ولكم واحد على رأسه

طير أضراسه وثانى هشمه وثالث وسطه ورابع لرفيقه أخلطه وأما الأمير عبد الوهاب فانه ضرب واحد وثانى دنى وباله وميمون الجماس كان معود على النطاح فى المراح لأنه كان إذا تعاصى عليه الفحل من الجمال لكمه أتلفه فأرمى السيف من يده وصار كل من لكمه عجل تلفه الى أن قتلوا الجميع وماتوا عن آخرهم وقد أقبل الأمير ابو محمد وقال ما الذى فعلتم من الفعال فقالت الاميرة لا عدمناك ولا عدمنا مشورتك لأن الجميع ما هلكوا الا ببركتك فلا كان من من يشناك وهذه أول حيلة صنعها البطال وبعدها جود الأعمال حتى بقى يضرب به الامثال فقام فى ذلك الوقت الامير عبد الوهاب وقال يا سادات العرب وذوى الرتب اشهدوا على اننى خاويت ابو محمد البطال وانه اخى فى الدنيا والآخرة بعد ما تصالحا وانى اولى به من غيرى لانه والله العظيم وقعت محبته فى قلبى فقال البطال ايها الامير السعيد انت المولى وانا لك من جملة العبيد فقال الامير عبد الوهاب خذ ما تشاء من مالى فقال ما اريد الا سلامتك يا امير وبعدها تعاهدوا وشهدوا عليهم الحضار من العربان فعندها قال الامير ابو محمد الرأى عندى ان تقطعوا رؤوس هؤلاء الملاعين وتجعلوهم على أسنة الرماح فإذا أشرق الصباح وركبت الأبطال وطلبوا الكفاح ارموا لأصحابهم رؤوسهم فيكون ذلك سبباً لقطع ظهورهم (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من امر ملك الروم فإنه بات ينتظر وعد ثابت وما صدق ان يصبح الصباح حتى اعتدل للحرب والكفاح وركبت عساكره وهو يوصيهم عند الحملة أن يكونوا متأهبين وعند الصباح يكونوا حاضرين هذا وقد ركبت ابطال المسلمين وفرسان الموحدين وساروا فى صدور الروم والرؤوس على أسنة الرماح فلما عاينوا الروم إلى ذاك الاثر ولم يعلموا ماكان من الخبر ولوا من الصياح ونكسوا صلبانهم وعادوا راجعين على اعقابهم وعاين ملك الروم وظالم والحارث وحرب بن شيبان إلى ذلك فغابوا وذهلوا وتعجبوا وقال ظالم يا حرب قتلوا بنى عمك وذمة العرب ولحقهم العطب ثم هم أن يحمل وقد أخذه الغيظ والحرد فبينما هو كذلك واذا بالامير مظلوم قد ظهر بين ذلك الجحفل واشتهر وعلى سنانه رأس ثابت بن ربيعه ثم انه همز بالجواد إلى ان صار فى وسط الميدان ومقام الضرب والطعان ونادى وقال ان الحياة ذميمه بغير الطاعه وما جرى به القلم حارت فيه أفكار الامم ثم انه

صال وجال فى حومة الميدان حتى هدى عريكة الحصان وقال ياظالم ماأنت ابن الصحصاح صاحب المقامات الملاح وأنت تعلم مافى بيتى حسب ولانسب غير الحرب والقتال والطعن والنزال فابرز الآن فى الميدان حتى أريح منك الارض أو تقتلنى وتروح على الشهاده وتكون سببا للسعاده وبعد ذلك الكلام سبه وشتمه فلما سمع ظالم كلام أخيه مظلوم أوقد فى باطنه نار السموم وزادت همومه وكثرت غمومه وقفز فى الحال الى حومة الميدان وكان تحته جواد من جياد الخيل ينقض مثل نجم سهيل وعلى رأسه تنورة ذهب أحمر متقلد بسيف أبتر معتقل برمح أسمر سنانه كانه جمة عفريت وعلى ذلك التنور الذى على رأسه ثلاث درر تضىء كانها سراج يتوقد ومن خبثه وغضبه ما تكلم بل حمل عليه واطبق وزاد على بعضهما الحقد وتضاربوا على الجوانب والدرق وطلع عليهما الغبار وتمزق ساعه من النهار وإذا بالغبار قد انكشف وتفرق ونظروا الناس اليهم بالحدق واذا بظالم على صدر مظلوم أخيه وقد ذبحه من الوريد الى الوريد وأخذ رأسه وعاد الى ظهر جواده فصاحوا الناس وبنى كلاب وقع بهم الاياس وأما الاميره فانها غشى عليها وغابت عن الدنيا وهمت ان تحمل على عمها واذا بعبد الوهاب اليه سبقها ونادى وقال اليوم أقتلك ياأخس الاجداد قاتلك الله كما قتلت الزاهد العابد المجاهد فى دين الواحد الماجد ابشر اليوم بالموت والعدم وفى القيامه فى جهنم ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الابيات .

أسرفت فى العصيان ياكلب غبى	حتى طردك الله عن باب النبى
وجعلك فى الاشرار اشقى خلقه	وسلبك من نعــمة لم تسلب
وكساك من نقماته وعذابه	ثوب ذميم مثل ثوب الاجرب
وكفرت بالله العلى ســفاهة	وقتلت فى الهيجاء ليث أغلبى
قد كان قرنا فى الوغاء مبادرا	ولقد ثوى تحت التراب مغيب
ومضى الى جنات عدن زخرفت	ويرى النبى الهاشمى اليثربى
ياظالما وقد هوى فى ظلمه	هاانت من ابليس حقا أقرب
الله ربى والنبى محمد	وهو شفيعى ثم غاية مطلبى

(قال الراوى) ولما سمع ظالم كلام الأمير عبد الوهاب تبعه فى الميدان وشخر ونخر

وطغى وتجبر وفرح بملقاه واستبشر وقال يانسل الاندال وولد غير حلال اليوم ألحقك بمظلوم وأزيل عن قلبي الهموم ثم انه أجابه على عروض شعره يقول

ابشر فهـذا اليوم غاية مطلبي يانسل ندل من عبيد الاعرب
يامن دهتـــه امه بفعـــالها حتى أتى ندل رديء النسب

(قال الراوى) فلما فرغ ظالم من ذلك الشعر والنظام انطبق على عبد الوهاب ولم يمهله ان يجاوبه بجواب فاستقبله عبد الوهاب ولم يمهله الآخر دون ان اخذ معه فى الضراب والطعان والاقبال والابعاد وجرى بينهـما مايشيب الشباب ساعه من النهار وضايقه ولاصقه وطعنه فى صدره أخرج السنان يلمع من ظهره فوقع على الارض قتيل وفى دماه جديل وعجل الله بروحه الى النـار وبئس القرار ونادى فى عقب الضربه الله اكبر فتح الله ونصر وخذل من كفر الا ان الحارث قد اخذه الغضب وصاح واأبتاه يا طلعة الغراب اليوم يفارق الاحباب ثم انه قفز الى الميدان ومحل الطعان وأنشد وقال هذه الابيات . .

فواعجبا قد أشمتوا بى الاعاديا بقتل الامير الفارس الجواد
ومن كان لى حصنا منيعا مشيدا فأضحى ركـنه واهى العمـاد
وقد أبكا الصليب وكل قس عليه ينوح مقروح الفؤاد
وناحت عليه الزنانير جمعا بدمع صيب كثير ازدياد
فدونك ياابن مرزوق قتالى لابلغ بالقتـل منـك المراد

(قال الراوى) فلما فرغ الحارث من شـعره اطبق على عبد الوهاب ولم يمهله أن يجاوبه بجواب دون ان اخذ معه فى الطعان والضراب وجرى بينهـما ما يشيب الشباب ونادى الحارث يا مسيح اعنى على البغل الاسود الذى يزعم انه لى ولد ولما سمع عبد الوهاب ابيه ورأى الكفر والطغيان قد استولى عليه زاد به الغضب ونادى يا من فى ملكه قد احتجب ورفع السماء بغير عمد وأرسى الجبال بغير مسند وليس له صاحب ولا ولد اللهم انى أسألك بحق من ركع لك وسجد جدد لعبدك الحيل والقوه والجلد (قال الراوى) ثم انطبقا بعد ذلك انطباق الغمام وارتفع صياحهم حتى أذهل الانام ثم احتلفت بينهما طعنتان قاتلتان واصلتان صائبتان نافذتان فاما طعنة الحارث فانها وقعت فى خاصرة عبد الوهاب الا انها كانت فى الجلد واما طعنة عبد الوهاب فانها جائت فى صدر الحارث خرجت من ظهره فمال الحارث قتيل

وعاد عبد الوهاب من الميدان ودمه يسيل وقد مسك جرحه بيده فتلقته والدته وقد كاد ان يخرج عقلها واخـذته وعادت الى الخيام وقد طلبت الجرايحى لخيط جرحه فى الحال والأمير عبد الوهاب فى غمرات الموت من ذلك الجرح وصار لا يتكلم إلا بالاشاره هذا وملك الروم صعب عليه قتل ظالم والحارث فصاح فى الابطال فصاحت الاقيال الروميه والفرسان النصرانيه ونادت بالصليب ومريم البهيـه والمسلمين ينادون بالواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد واشتد فى ذلك الوقت القتال وكثر الصدام والانزعاج ولم يزالوا على ذلك الاحتجاج الى ان أقبل الظلام وولى النهار بالابتسام ورجعت الطوايف عن الحرب والصدام ونزلوا فى الخيام وقد وقع النقص فى عساكر الاسلام وتبددوا فى سائر الآكام وكانت هذه الوقعه مشهوره وقعد الامير عبد الله فى ذلك اليوم وأصابه أمر عظيم وخطب جسيم وأما الاميره فانها جاءت الى الامير هارون العلوى لأجل ولدها وقل صبرها وجلدها تشكو اليـه ما أصابها فقال لها يا أميره لا تتخلى عن المسلمين فان الله هو النصـير والمعين فقالت له أى وأبيك أيها الامير فبينما هم فى الكلام وإذا بالامير عبد الوهاب أفاق على نفسه وقال لهم كيف حالكم اليوم فى القتال مع هؤلاء الكفرة الاندال وكيف جرى بين الطائفتين فقالت له يا ولدى كان يوما عبوسا قمطريرا وكان على الفريقين عسيرا فقال عبد الوهاب واأسفاه كيف تخلفت اليوم عن القتال وكيف قعدت عن طاعة الملك المتعال فقالت له يا ولدى عذرك واضح فبينما هم فى الكلام واذا بالحصين بن ثعلبه قد دخل عليهم وهو باكى العين فقالت الاميره لا أبكى الله لك عينا فقال لها يا أميره ولدى البطال كان اليوم عندى فى المضرب الى ان قتل ولدك والده الحارث وجده فخرج فى ذلك الوقت وقد رأيته قبل خروجه من عندى وقد أحضر دواه وورقه وقعد يكتب كتاب لا أعلم ما فيه فقالت الاميره لعله طلب بذلك شغل يسليه عن الهم والغم فقال الحصين أيها الاميره ما أقوله الا انه ركب بعدى الى القتال فقتل من جملة من قتل من الرجال فقالت الاميره يا ابن العم ان كان أجله قد حضره فلا يتقدم ولا يتأخر وان كان فى أجله بقا فما عليه بأس ولا شقا ولا بد من الاجتماع به ولعله فى عسكر الروم يدبر شيء قد خطر بباله لانه قد سبق له بذلك سابقة فلما سمع الحصين كلامها سكنت حرارته (ياساده) ثم ان الاميره ركبت للحرس هى والامير الحصين وهو يبكى على ولده البطال وكان الامير هارون العلوى قد تولى الحرس

بنفسه ولما وصلت سلمت عليه وأرادت ان تقسم عليه وترده الى مكانه واذا بالصيحات من نواحي الروم قد علت والزعقات قد نمت والروم والعرب قد تقاتلت فقالت الاميره للامير هارون العلوي يا شريف النسب ما هؤلاء الكلاب فقال والله ما أدري ما هم فيه ولا أعلم ما السبب وما أرى وصياحهم قد ارتفع وأرى العرب المتنصره والصوارم بينهم مشتهره وما اظن الا انهم قد وقع بينهم وبين الروم حرب ان كان كذلك فهذه ليله الانفصال وفيها نبلغ الآمال ولكن نريد حقيقة الحال (قال الراوى) فبينما هو والاميره فى الكلام واذا بفارس قد أتى من نحو عسكر الروم فتبادرت اليه الخيل ودارت حواليه وقالوا له ايش تكون من الرجال فقال أنا أبو محمد البطال وقد فعلت فعال تعجز عنها الابطال وأتيت ببشارة الى المسلمين تسمر قلوبهم وآمرهم بما يفعلوا من الفعال وأصبحت الدنيا خالية من هؤلاء الملاعين خاويه فعندها أخذوه وأتوا به الى عند الاميره ذات الهمه فقالت له أهلا وسهلا بك يا ابو محمد يا بطال يا من كان بطال وصار اليوم عمال وتقلبت به الاحوال فقال يا أميره دعينا الآن من مقال البطال واسمعى منى المقال فقالت له قل يا أمير وأوجز فى المقال فقال لها أيتها الاميره احملى الآن فى سائر الابطال واقصدى تلك النيران التى فى صدر العسكر الذين للروم فانى فعلت فعلا ما سبقنى اليه أحد وقد ألقيت الفتنه بين العرب المتنصره وبين الروم والبطارقه وما أقول ان يصبح من يحمل منهم طارقه (يا ساده) ولما سمعت الاميره مقالته صاحت فى الابطال وحملت تطلب النار التى وصفها لها أبو محمد البطال (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الامير أبو محمد لما ان رأى الامير عبد الوهاب جرح من بعد ما قتل أبوه وجده وحملت عساكر الروم على عساكر الاسلام ورأى المسلمين معهم تحت النقصان فانفتح اليه شيء ماسبقه اليه أحد وكتب كتاب مزور عن لسان العرب المتنصره الى الاميره ذات الهمه وعبد الوهاب وسائر بنى كلاب وهم يقولون أما بعد فاننا رجعنا الى الله تعالى وقد أسرفنا على أنفسنا وما كان يرضا بهذا الا ظالم وولده الحارث وقد اتفق حرب بين شيبان وسائر العربان ينفرق على عسكر نوفيل وعسكر الروم يمينا وشمال ونحمل اذا وقع العويل على الملك ونقتله فى الحال فكونوا احملوا صوب الملك اذا وقع الصياح وضربات الصفاح وقد أصبحت الدنيا منهم خاليه ثم أخذ الكتاب وتزيا بزى العرب المتنصره وسار طالب عسكر الروم وطالب الملك نوفيل فوجده جالس على كرسى الملك وحوله الملوك والبطارقه

قيام بين يديه بالمناطق والشموع تتوقد فى السرادق والملك جالس على سريره والملوك حوله وهم يتحدثون بما جرى من أمر القتال فقال الملك وحق المسيح ماقلت ان هذا اليوم ما يكون مع المسلمين الا يوم الانفصال الا اننا أخطأنا فى الاول لاننا قضينا نهارنا بين ظالم والحارث الى ان نقلهما المسيح الى دار قدمه واصطفاهم من دوننا لنفسه ومع ذلك فان قلبي خائف من العرب المتنصره ان تتشوش وتعود الى دينها ولا تقيم تحت يد حرب بن شيبان وعولت فى غداة غد أحضرهم واخلع عليهم وأقدم عليهم من يريدون (قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك وافق مراده وشكر الله تعالى وتقدم الى الملك لاوون ابونوفيل وخدم وتكلم بالرومى فقال له الملك ما حاجتك وأراك تعرف بالرومى مليح فمن انت فقال من عباد المسيح وانا من أصحاب الشهيد ظالم والعرب الذين قد عمروا بالمكارم قد تشاوروا الجميع فى غداة غد ان يقتلوك ويبيضوا وجوههم عند الاسلام بهذا الفعل وقد اختارونى ان اكون لهم رسول من دون الفرسان وما ساعنى من المسيح أن أخفى عليك هذا الحال لاجل ماأوليتنى من الانعام وقدمتنا على عبادة الصلبان وهذا الكتاب يصدقنى فى حديثى ويبعدنى عن الملام وقد نصحتك والسلام (قال الراوى) فلما سمع ملك الروم ذلك الكلام أخذه الرعب وقال هذا الذى كنا فيه من ساعة ولولا العنايه من المسيح ماأصبح من الاكل ذبيح ثم رفع الكتاب الى الوزير ففكه وقرأه فلما سمع الملك ذلك عظم عليه وكبر لديه وقامت عيناه فى ام رأسه وقال وحق المسيح ان تقدم أحد من العساكر المتنصره ضربت رقبته وعجلت منيته ثم ان الملك صاح فى البطارقه دونكم وهذه الشرمزه المنافقه ☆ وكنا ذكرنا فيما تقدم ان فى قلوب الروم من أجل العرب المتنصره وتقدمهم عليهم فى القتال النار المضرمة لاسيما يانس المتعرب الذى أسلم على يد الامير مع خمسين الف فارس من كل بطل مداعس وهم على صورهم مثل البطارقه فلما ان كان فى هذه الساعة صاح فى أصحابه وكبس العرب المتنصره فى الخيام ووضع فيهم الحسام ودارت بهم النوائب واخذتهم الصيحه من كل جانب فقاتل كل احد عن نفسه من خوف المعاطب وركبت العرب على ظهور الجنائب فلما نظر البطال الى ذلك ركب هو جواده وجد فى سيره وكانت الداله مظلمه ودخل الى الاميره واعلمها بما جرى من هذه القصه فصاحت الاميره يال سليم يالكلاب وركبت السودان الانجاب وفى مقدمتهم الامير عبد الوهاب فارس

الفرسان والشباب ووصلوا الى مكان الضراب (قال) وكان السيف يعمل فى الروم عمل النار فى الحطب وركب القوم جميعهم وصاروا يضربون فى الروم بعد ان أفنوا العرب المتنصره وصاروا محتاطين بهم من سائر الجهات وقد ضاقت عليهم الطرقات ليلا ونهارا مدة ثلاث أيام حتى ماثت من عساكر الروم الارض فى طولها والعرض والمسلمين مؤيدين بالنصر هذا وقد عولت الروم على الهلاك والهرب فنهم من فات ماله وهرب ومنهم من أسلم ودخل فى حزب المسلمين ومنهم من بقى عشا للعقبان قتيل البرارى والقيعان وأما المسلمين فانهم لموا الاسلاب والنهب والدواب والخيول والدنانير وغير ذلك من العدد والسلاح والملابس الملاح وأقاموا الراحه ثلاث أيام وعولوا على الرحيل الى ملطيه وتركوا مدينة القسطنطونيه وعلموا انهم أخذوا الذخائر المخبيه وتحسرت الروم على ذلك وكفروا بالملك الجليل (وأما المسلمين) فانهم ساروا حتى أقبلوا على ملطيه ونزلوا وضربوا الخيام وأمرت ذات الهمه ان تعمل لمظلوم عزاء وبعد ضرب الخيام جلست الرجال الكرام فقام من بينهم رجل يسمى الحارث بن يوسف وكان فصيح اللسان ثابت الجنان وأنشد يقول

سنتبع من الاولون والاواخر ... الى سفر ماجاء منه مسافر
ونبصر مايقضى الاله ومابنا ... تكابده الايام وتعمى البصائر
ألاهل ترى فى القبر نلقى منازلا ... وناقى قصورا عامرات العساكر
وكل عظيم كان يحلو حديثه ... فصار حديثا راسخا فى الدفاتر
زمامى أرى الدنيا تريح زمامها ... وكل امرىء أضحى له متبادر
ترى هل يرى فيها عزيزا محكما ... على نفسه الا العزيز الصابر
فكم من عزيز خليته برأسه ... على رغمه قد أسلمته البشائر
وشخص أطاعته الملوك ولم يدع ... لهن كلام عند كثر العساكر
ولا تأته فى عامر الشيخ مثلها ... ولا رامه فى غابر الجو طائر
لهفى على مظلوم ذو الفخر والسنا ... ومن هو من أهل العلا بالمفاخر
سأقسم بالبيت العتيق ومن سعى ... وطاف ولبى فى منى والعشائر
لقد جزعت أهل الديار جميعهم ... عليه وتبكيه السيوف البواتر

(قال الراوى) ولما ان فرغ الحارث بن يوسف من ذلك الشعر والنظام حزن كل من كان حاضر فى ذلك المكان ثم انه قال ان فى الاوائل معتبر وفى الاواخر عبر

ولا يعتبر الا أولى الابصار ونحن فى أثره لاحقون فانيبوا الى ربكم واسلموا له أيها السامعون واعلموا أنكم اليه راجعون واياكم بغير الله تشتغلون ولم يكن أجل قدرا فى الدنيا ولا فى الآخره من سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ولقد أنزل الله تعالى فى كتابه المبين المنزل على خاتم النبيين انك ميت وانهم ميتون ولما قال ذلك القول الحارث بن يوسف اقشعرت من قوله الابدان وخضعوا جميعا للملك الديان وصدقوا قوله جميع الاخوان وآمنوا وامتثل كل من كان حاضر قوله من الفرسان وقام أبو محمد البطال من بين الرجال وقرأ الخطبه وذكر فيها الوعظ وأمور الآخره وحمد الله واثنى عليه وعرفهم بالصبر على اليقين ثم قام عقبه بن مصعب وحمد الله واثنى عليه وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس عزوا الاميره ذات الهمه بموت السيد الطاهر الذى نور الله ضريحه بين المقابر ثم قرأ قوله لقد كان فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ثم أنشد يقول

لهفى على مظلوم ويا أسفى عليه ... قلبى وأكبادى لقد حنت اليه
لقد كان فارسا بطلا شجاعا ... يبيد العدا اذا مالت عليه
ولا يبالى فى الحروب بكل قرم ... وينصر المظلوم اذا اشكى اليه
فيا ويلاه على من أضحا قتيلا ... قلبى لقد كان شفوقا عليه
فرحمة الله على قبره ... والنور والاحسان فى جانبيه

(قال الراوى) ثم جلس عقبه بين السادات الكرام بعد ما فرغ من الكلام وتفرقوا الناس بعد ذلك فى الخيام التى للعزاء وأقبل هارون العلوى على جميع الاموال وأحضروا المال والبغال والاحمال وذخائر ملك الروم مع الجوار الحسان وأخرجوا الخمس لبيت المال فكان ثلثمائة ألف دينار غير الثياب والخيل والجوار وأقبل هارون العلوى على الناس وقال يا معاشر المسلمين ما كسرت عساكر النصرانيه الا ببركة البطال وحيله فالواجب ان نجعل له عشرة أسهم فقالوا الحاضرين يستاهل أكثر من ذلك ثم أخرج له من المال شيء كثير وأصبح البطال غنى كثير المال ذو درهم ودينار وأما عقبه فانه من المال ماصح له ولا حبه سوى أن الاميره خلعت عليه وعلى من كان فى القرى وأما البطال فانه اشترى له دار فى ملطيه بعشرة آلاف دينار وأخذ عشرين صغار من الارمن واستلمهم واركبهم الخيل بمناطق الذهب والقصب والديباج وسار له حجاب ونواب وأصبح يخاطب بالامير الاجل وعقبه كلما

رأى ذلك زادت حسرته وعظمت بليته وقال أنا ما بقالى مقام بعد إرتفاع الاميره ذات الهمه والبطال * وأما عبد الوهاب فانه لما جاء السبى أخذ زوجة والده وزوجة جده وكانت كل واحده رزقت ولد وسمته باسم النصرانيه وكان اسم أخيه عبد المسيح والآخر عبد السيد وكان هارون العلوى سمع بحديثهم من وقت ماسباهم وفا كرمهم بطول الطريق ولما وصل إلى ملطيه سلمهم للامير عبد الوهاب ففرح الامير عبد الوهاب وسمى أخيه عبد الله وعمه سماه مدركه ورتب لهما من يعلمهما القرآن بعد ما فرق بينهما وبين أمهاتهما (قال الراوى) هـــذا وقد اعتنت ذات الهمه بالبطال وأعطته مال جزيل وأعطته ثلاثة أسهم فحبها حبـا كثيرا وصار لا يحلف إلا بحياتها وحياة ولدها وأما الأمير هارون العلوى فانه أقبل على ذات الهمه وقال لها أريد أمضى إلى العراق وآتى بمالى وأهلى وأقيم عندكم باقى عمرى فقالت له الأميره ان أتيت عندنا فلك مالنا وعليك ماعلينا ونحن لك غلمان ولا نخالف أمرك فقال لها والله أنا لم اطلب المقام إلا لاجلك ولأجل ولدك لأن النظر لكم عباده والمقام عندكم سعاده ولأجل عبد الوهاب يكون القتل بين أيديكم شهادة ولى أخت اسمها علويه وقد طلبوها الطلاب وأنا أريد أن أزوجها لعبد الوهاب فقالت الاميره أيها الأمير ان فعلت ذلك فعلى سبيل الانعام فاننا باسمك نتوسل إلى الملك العلام فى وقت الحاجات والأمور والمهمات فشكرها الأمير هارون العلوى وسار يطلب العراق ومازال سائر إلى أن وصل إلى بغداد فالتقته أرباب الدولة ودخل على الخليفه بتلك الأموال فاندهش واندهشت أرباب الدولة وحدث الخليفة بما جرى وبمن قتل من الكفار وأخبره بموت عبيدالله وكيف جعلوا ولده مكانه وموت مظلوم وكيف ولد بنته الأمير عبد الوهاب وكيف قتل أبوه وجده الافيال وما ظهر من البطال من الاحتيال وما عمل من الأعمال ففرح المهدي بذلك وأخرج الخلع للأمراء ولقب الاميره بأم المجاهـــدين وأخرج للبطال خلعه مكلله بالذهب مثمنه مرصعـــه معلمه وطلب الأمـــير هارون العلوى الاذن بالنقله هو وأهله والقيام فى ملطية حتى يكون قريبا للجهاد فى طاعة رب العباد فأذن له الخليفة بعدما أوصاه أن يكون على حذر فأخذ أهله وسار إلى الثغور ومعه أخته علوى نزهة العاشقين فى السر والنجوى وســـار إلى أن وصل إلى ملطيه وخرجت الناس إلى لقاه وأخرج الخلع للأمراء وكانت خلعة البطال أحسنهم فلحق عقبه هم عظيم وغم وسقى كؤوس من السم ولما وصلت الخلعه

إلى البطال فرح بها فرحا شديد ما عليه من مزيد وفرح بوصول خبره إلى الخليفة وكيف ساد على أبناء جنسه وركب المماليك الحسان بجنبه وكثر منه الكلام وحسده عقبة وبعد أيام خطبت الاميرة ذات الهمة أخت الأمير هرون لولدها عبد الوهاب وعملت الولائم ودخل عليها الأمير عبد الوهاب فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت وأقام فى عمل المهرجان وهو مع علوى فى سرور وهجر زوجته أخت راشد واستولد منها ولدين ذكور سماهما ضيغم والآخر قشعم ولما تزوج بعلوى فهجرها وكانت حاملى بصيغم فولدته وماتت من شدة الغيرة وتأسف عبد الوهاب على هجرها لكنه تسلى بعلوى عن ذلك (فهذا ما كان) من أمر هؤلاء (وأما ما كان) من أمر خليفة الله فى أرضه رابع دولة بنى العباس فإنه لما انكسرت الروم ودانت له البلاد وكان له وزير يقال له الربيع بن سهيل وكان رجلا عاقلا ففى يوم من الأيام استدعى بالربيع بن سهيل وقال له يا ابن سهيل أريد أن أتزوج بامرأة ذات حسن وجمال وقد واعتدال فقال له يا مولاى قد جعل لك والدك أربعمائة جارية أو يزيدون فاستحضى منهم بواحدة أو أكثر من ذلك فعند ذلك أمر بإحضار الجوار فأعرضوهم عليه فلم يعجبه منهم واحدة فقال الربيع يا أمير المؤمنين ان كان ولابد فأسير إلى جميع البلدان والوديان وأدور فى كل مكان فقال يا ربيع أخاف ما يأتى الغرض ويتولد على المرض فقال يا أمير المؤمنين مالك الا أن ترسل إلى المدن الكبار ويكون رجل نحرير وبالموقف خبير ما يدخل عليه الزلل ولا يعتريه خبل (قال الراوى) فعندها سكت ساعة وقال والله ما رأيت لهذا الشغل إلا رجل يقال له عبيد الله بن جرير فقال الوزير افعل ما تريد فقال المهدى على به فأسرعوا الغلمان وأحضروه فلما حضر بين يديه قال له يا عبيد الله انى أريد ان أرسلك فى حاجة تنظر فيها بعين عقلك ورأيك وميزانك فقال عبيد الله قل ما تريد يا أمير المؤمنين فقال أريد ان تشترى لى جارية ما على وجه الأرض مثلها ولا أحسن منها فقال سمعاً وطاعة سوف أبصر وإلى بين يديك أحضر وأنا لى نظر فقال المهدى جزاك الله خيراً وفرح بقوله وأعطاه عشرة آلاف دينار برسم الجارية ومثلها برسم النفقة ورتب له غلمان برسم خدمته وكتب له الكتب بالمراعاة فى جميع البلاد والاماكن وأخذ عبيد الله الأموال والكتب وسار إلى أن وصل إلى حلب فدخل وسأل عن محل الجلب

فأرشدوه اليه فسأل السمسار عن ما عنده من الجوار الحسان فأعرضهم عليه فلم يعجبه منهم أحد فأقام فى حلب ثلاثة أيام وسار إلى دمشق ولم يزل إلى أن وصل إلى مدينة بالقرب من دمياط يقال لها تنيس فلما وصل اليها دخل على دار المتولى عليها وسلم عليه وناوله كتاب الخليفه فأخذه وقرأه وباسه ووضعه على رأسه وأمر له بدار حسنة وأرسل له الضيافات والإقامة مدة أيام وأراد عبد الله يتفرج على تنيس ويلتمس الأخبار فأشرف على سوق الجوار ووصل إلى دار المتولى على الجوار وخرج بعد ذلك وسار فى البلد فرأى بحيرة وفيها شموع كثيرة فسأل عن ذلك من غلام فقال له يا مولاى هذا يوم النيروز تقيد أهل البلد هذه البحيرة بالشموع ثلاثة أيام فقال عبد الله أريد أتفرج فيها وأجول بعينى فى نواحيها فقال الغلام سمعاً وطاعة ثم انه أخذه وفرجه عليها فانقضت مدة البحيرة وبعد ذلك أتى عبد الله إلى والى البلد وقال له انى أريد اتفرج على البلد والشوارع والأسواق والدروب لعلى أقع بالمرغوب وأظفر بالمحبوب ثم انه سار من شارع إلى شارع إلى أن نظر إلى دار عالية البناء واسعة الفناء بمساطب عاليه وأركان ناميه فنظر اليها وإلى ارتفاعها وحسن صفاتها وقد ظهرت من تلك الدار روايح طيبه فايحه كرائحة المسك والعنبر والند والكافور ونظر للدهليز وإذا من داخله مخدتين وشورتين من الذهب والشمع المكوكب والدار بتلك الروايح قد فاحت والقلوب اليها قد ارتاحت كأنها روضه من رياض الجنان قد لاحت فتقدم عبد الله إلى الباب وإذا بخادم جالس فقال له أيها الأستاذ لمن هذه الدار فقال له للغلام الذى كان معك بالأمس فى البحيرة فبينما هم فى الكلام وإذا بالغلام خارج من داخل الدار فنظر إلى عبد الله وقال مرحباً بالضيف الوارد من أتى من غير ميعاد ولنا قاصد فتأمله عبد الله وإذا هو الغلام الذى كان معه فى البحيرة وعلى رأسه منديل وعمامة شرب وقميص دمياطى مطرز فقال له مرحباً باسم الله على الرحب والسعة والكرامة فدخل عبد الله فرأى دار الاقبال فيها قد دار وحالت عنها النقم وحلت بها النعم بأبواب وخرسانات تقصر عن وصفها الواصفات وفى المجلس الوسطانى عشر ندامى مثل الاقمار فى ليل الاعتكار بين يدى كل نديم باطيه من ذهب وكأس من بلور وأمير مجلس قائم فملا وشرب وسقى الندمان وأقبل عبد الله فقام سريعاً اليه وملأ ستة أقداح بلور وقال له

أيها السيد الظريف هذا حاضر فى ذلك الوقت بلا تكليف واعذرنا فى التكايف فقال عبد الله ما هو إلا غاية ونهايه وقد دارت الاقداح وزادت الأفراح فقال عبد الله يا أمير السعاده تقول الشرب بلا سماع الدن أولى به فان كان عندكم سماع فلينعم المولى به فقال سمعا وطاعة ثم أنه أخذ قضيب بين يديه وضرب به بجانبه وإذا بستر ديباج أخضر معلق بحبال ابريسم ببكر صندل فجذبه فارتفع فدخل الفتى رأسه وقال قد سمعتى ما قال هذا الضيف النازل صاحب المحل الشامل هات ما عندك فما تم الفتى كلامه حتى سمع عبد الله من داخل الستاره صوت بنغمة وترخيم ألذ من النعيم وأحلى من النسيم وأنشدت تقول

أقول وقد ساقت من الدار نوقها ... وجرى السرى من لوم بختى سوقها
ترفق بها يا حادى العيس ساعة ... على لمحة لم يبق إلا بروقها
وعد بالمطايا نحو رملة عالج ... فالشوق فيها مطلق وبروقها
وبين ضلوعى من فراق أحبتى ... جحيم تلظى حرها لا أطيقها
عليكم سلام الله ما دام بارق ... وما لمعت فى الخافقين بروقها

(قال الراوى) فقال عبد الله لقد تخيل لى من حلاوه الايقاع والطلب أن المكان قد مال بى واضطرب ولم نزل على ما نحن عليه إلى أن نام كل واحد منا مكانه ولم ينتبه إلا على صوت الجارية وهى ترد الروح فى الجسد وهى تغنى وتقول

لم أنس يوم فراقكم ما نالنى ... وجرى دمعى لفقد من أحبته
لا تطلبوا قلبى فما قلبى معى ... القلب عند خيامكم خلفته

(قال الراوى) فلما سمع عبد الله منها هذين البيتين حفظهم من شدة لذة العود وأقام عندهم ثلاثة أيام وبعد ذلك انصرفت الندمان فقال عبد الله وبقيت أنا واياه وحدنا فقال الغلام لعبد الله من أين أنت وما سبب مجيئك فقال له أنا يقال لى عبد الله بن جرير صاحب أمير المؤمنين المهدى بالله فقال له وفى ماذا قدمت إلى مدينتنا فقال قدمت فى طلب شراء جارية لأمير المؤمنين المهدى بالله تكون لفراشه وقد درت سائر البلاد فما وجدت شيئا يصلح لفراشه إلا هذه الجاريه وبهذا ما يتم شيء يروعك فانى أصفح عنها لأجل دخولى منزلك فقال الغلام ومن أين علمت أنها ظريفة وأنها تصلح للخليفة فقال عبد الله انى استدليت على ذلك بحسن صناعتها واستماع نغمتها تدل على ملاحتها فقال الغلام يا مولاى قد

يمكن أنها تكون سوداء وتغنى مليح فقال عبد الله اقصر كلامك ولا تطيل على فقد صح عندى وفى معرفتى وفراستى انها مليحه ولا على وجه الأرض أفصح منها ولا أحسن ولا أجمل من طلعتها فضحك الفتى وقال والله لقد صدقت فيما قلت وأحسنت فيما تكلمت ثم أن عبد الله شال الستارة ونظر إلى الجارية. فرأى الجارية مثل القمر وقد صاح الفتى يا غادره أبرزى من الخبا حتى ينظر هذا المولى فخرجت كانها غزال عطشان أو غصن بان أو بدر طالع من السماء ساطع فقال الغلام يا غادر وحق الذى على كل شيء قدير وهو رب العالمين انكى هبة منى لأمير المؤمنين وانكى يا غادر تعلمى غاية محبتى لكى فانك غاية مرادى من كل الأنام وانما يقول القائل كل من يصلح للمولى فهو على العبد حرام فقال عبد الله اهتدى وتأنى على أمرك فانى دخلت منزلك وأكلت خيرك وان كنت تخاف منى أن أذكرها لأمير المؤمنين فانى وحق أسماء الله الحسنى لا أذكرها لأحد من خلق الله فقال الفتى وحق رب العالمين اننى بها مغرم وضنين ولكن أنت لا تشدد فى اليمين فانى وهبتها لامير المؤمنين وان لم تأخذها وتكون أنت عليها أمين وإلا ارسلتها لامير المؤمنين وانى نظرت بعين المعرفة واليقين فلم وجدت لها سواك أمين فقال عبد الله فلما سمعت منه هذا القول والتمكين أخذتها إلى الدار التى كنت فيها فى تنيس واذا بالمتولى قد أتى كما جرت له العاده بالتقدمة والطعام والاموال فحدثه عبد الله بحديث الجاريه والفتى وما رأى من حسن شأنه وسيمته فقال المتولى يا سيدى لا تعجب فى هذا الحديث فما جرى لك معه إلا القليل والله لقد غمر هذا الفتى أهل تنيس بجميله وكرمه لانه ورث الكرم من أبيه وجدوده وهم أكابر وأكارم من أكارم ثم أن عبد الله جهز له المتولى مركب حسن ونزل فيها هو والجارية وجميع ما معها من الاموال والمصاغ والجواهر والتحف وكان الفتى أعطاه أقمشه وهديه وساروا والريح طيب إلى أن وصلوا إلى ترابلس وقصدوا إلى حلب وانحدروا فى الفرات وقربوا إلى البلاد ودخلوا بغداد ودخل عبد الله على الربيع بن سهيل فلما رآه فرح به فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال ايش معك من الاخبار وهل وصلت إلى غرض الامير فقال نعم فقام الربيع من وقته وساعته ودخل على المهدى بالله وكان فى البستان محل نزهه وقد بنى فيه قبه على ثمانية أساطين يصعد عليها باربعة درج والقبة اربعة ابواب من الأربع جهات

باب إلى الجنوب وباب إلى الشمال وباب إلى الدبور وباب إلى الصبا وهذا التبيان موجود الى يومنا هذا وكان المهدى فى تلك القبــه جالس فدخل عبد الله بن جرير الربيع بن سهيل عليه وقبل الأرض وقال يا مولانا قد وصــل عبد الله بن جرير بغرض أمير المؤمنين فقال بسم الله يحضرها فلم تكن إلا ساعة حتى أحضر عبد الله الجارية فلما قدمها بين يديه ونظر صـــورة الجاريه فافتتن بها وبحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فقـال الخليفة يا بن جرير من أى صوب هذه الجاريه فقال يا سيدى من تنيس بعد ما حصل لى مع سيدها كذا وكذا وحدثه بما جرى له مع الفتى من أوله الى آخره ومن جملة ما قال لى ان لم تأخذها من وقتك هذا والا أرسلتها لأمير المؤمنين فقال المهدى لولا أرسلها كنت ضربت رقبته وجعل الخليفة ينظر اليها فرآها ذات حسن وجمـال فقال يا بن جرير لقد سمحت نفس هــذا الفتى الذى رفع لنا هذه الدرة اليتيمه التى لا لها قدر ولا قيمه وقد زرع زرعه فى أرض طيبه ثم التفت الى الربيع وقال له اكتب لهذا الفتى تنيس زرع وحرث وخراج فقال الربيع كل هذا من أجل هذه الجاريه فقـال الخليفه نعم لأنه تفضــل علينـا والفضل للمتقدم ولو كان قدم علينا لـكان له مالنا وعليه ما علينا (قال) ثم أن الجاريه أنشدت للخليفه بعض أبيات فتخيل له أن المـكان الذى كان جالس فيه يرقص ويميل ذات اليمين وذات الشمال وخرج من حال إلى حال وتعجب من اتفـاق حالها وقال للخدام فضوا لها مقصوره فى القصر تكون مرخمه بالذهب واللازورد ومن الفراش والآلات ما يناسبها فامتثلوا ما أمرهم به الخليفه ثم أن الجاريه صارت نزهة للخليفه وهو يجتمع بها شهرا كاملا وبعد ذلك قال للفراشين افرشوا لى البستان وزينــوا الشجر بشقائق النعمان والديباج الاحمر وسائر الألوان ففعلت الفراشين ما أمر به الخليفه ودخل هو والجاريه وجلسوا فى تلك القبه وشرعت شبابيكها وأشعلت الشموع ثم أمر الخليفه بالشراب وآنيــة المدام فوضعت الأوانى والقنانى على الألوان المختلفه ثم قال الخليفه يا نزهــة النفوس ما تريدى من يكون معنا ثالث فقالت يا مولاى كنت أسمع فى بغــداد قديما رجل يقال له اسحاق لا يوجد مثله فى سائر الآفاق ولا يطيب وقتنا إلا إذا كان ثالثنا فقال الخليفه والله لقد خطر ذلك فى خاطرى وان كان هذا غاية أملى ثم أن الخليفة أرسل خلفه فحضر فى الحال بين يديه وقبل الأرض وخدم فأمره بالجلوس فجلس

وجعل ظهره الى الجاريه فقال له الخليفه يا بن ابراهيم أنا ما حضرتك فى هذا الوقت لتعطى ظهرك لجاريتى وما أحضرتك إلا حتى تسمع نغمتها فلما سمع ذلك اسحاق باس الأرض وخدم واعتذر وقدم له الخليفه شيء من الطعام فأكل وقدم له شيء من الشراب فشرب وتناول العود وضرب وأنشد يقول

أبيت ونجم الليل أقلق مقلتى ... وجسمى وطرفى للسهام نديم
وما ناظر ينظر الى برحمة ... أما شفق أشكو اليه كريم
وقائلة لى لم تنام أجبتها ... بعينى وهل قد ينام سقيم
ألا منصف أشكو اليه صبابتى ... أما شفق أبكى اليه رحيم

(قال الراوى) فغابت الجاريه من الطرب ومالت وأخذها العجب وقالت له وحياتك أن هذا صوت مليح يا سيدى طيب الله أوقاتك ودامت لذاتك ثم أنها أخذت العود وحنت وأنشدت تقول

اسمعانى وبلغا التسليما ... لديار بها الحبيب مقيما
كان قلبي يهواه ثم عيونى ... يا نسيم ان حزته يا نسيما
بلغ السلام منى اليه ... فعلى العهد لا أزال مقيما
قل له يا نسيم ما بال قلبك ... قاسيا وأنت مشفق رحيما
فارحم محب قد عارضه التجافى ... وأضحى سقيما بعد أن كان سليما
فأنت حبيبي وبغيتى ومرادى ... وضيا عيونى فكن لى رحيما

(قال الراوى) ولما فرغت الجارية من هذه الأبيات اهتز اسحق النديم طربا ولعب بيده ورجله تعجبا من قوة السماع والطرب وأخذه العجب وقال يا أمير المؤمنين ما هذه الا ست دهرها ووحيدة عصرها وفريدة وقتها فى الغناء وأنا أقسم وحق آبائك الطاهرين واتصالك بحمزة وعقيل ومحمدا صلى الله عليه وسلم سيد النبيين أنى أعجب من ادراك ضربها وحسن نغمتها ولم يزالوا كذلك إلى أن هوى الليل وطاب لهم السهر فأخرج الخليفه رأسه من الطاقه فرأى أشباك الشجر ولمعان القمر وجرى الماء من تحت الشجر وقد ترفرف ودب والنسيم قد سرى وهب فقال الخليفه فى نفسه وا أسفاه على هذه النعمة لو كانت تدوم فانما كل ما فيها معدوم والرزق مقسوم والأجل معلوم ولا يبقى إلا الحى القيوم (قال الراوى) وكان أبو موسى الهادى قد أوصى بالخلافه من بعد المهدى للرشيد

أخيه وكان معه فى القصر فخاف ان يعمل عليه فى الخلافه ويأخذها منه ويسلبه هذه النعمة ويحتوى على المملكة دونه ووسوس له الشيطان ذلك وكان قبل هذا الحديث بأيام رأى المهدى منام كان الرشيد جالس فى هذه القبه وهو واقف فى خدمته من خارج القبة فخيل له فى قلبه أشياء شتى من أجل هذه الرؤيا (قال الراوى) ثم أنه صاح بمسرور وكان سياف نقمته وقال له امضى من وقتك هذا وساعتك إلى مقصورة الرشيد وأتنى برأسه فلما سمع مسرور ذلك ارتعدت فرائصه وقال إنا لله وانا اليه راجعون وصار فى نفسه حاير لا يدرى ما يعمل وما يصنع فما كان منه إلا أنه قصد إلى الست خيزران وهو حيران فزعان فلما أبصرته قالت له ويلك ما بالك وما الذى نالك وقد أتيت فى هذا الوقت فقل لى ما شأنك فقال يا مولاتى سيدى المهدى قال لى كذا وكذا وقد أرسلنى أن أقتل سيدى الرشيد فلما سمعت ذلك الكلام هاجت واصفرت واضطربت وضاقت عليها الدنيا وقالت يامسرور امضى الى ولدى الرشيد وأتنى به فقال سمعا وطاعة ومضى مسرور إلى حضرة الرشيد فوجده يطلب ينام فقال له يا سيدى ان مولاتى خيزران تدعوك اليها قال وكان الرشيد خلع ثيابه ودس رجليه فى الفراش لينام فقام ولبس ثيابه وسار مع الخادم الى دار الست خيزران فلما أبصرته قالت ادخل الى هذه الخزنة فدخل واغلقت عليه الباب وأرسلت الى كبار الدوله فحضروا الى بين يديها فقالت لهم من وراء الستاره سألتكم بالله العظيم وبنبيه الكريم هل سمعتم ان الرشيد كاتب أحدا من الخوارج أو أحدث حادث فى الدولة فقالوا لا فقالت لماذا أرسل المهدى يقتل أخاه الرشيد فعندها قال الربيع بن سهل امضى أنت الساعة يا مسرور وادخل على أمير المؤمنين فاذا ابصرك وقال لك ما صنعت فقول له يا سيدى ان الست خيزران أبصرتنى وأنا طالب الهجوم على الرشيد فمنعتنى عنه واهانتنى فمضى مسرور ودخل على المهدى فلما رآه قال ويلك أين الذى قلت لك عليه فقال مسرور يا مولاى الست خيزران أبصرتنى وأنا هاجم عليه فمنعتنى (قال الراوى) فلما سمع كلامه قال لاسحاق النديم كن أنت مقامك حتى أعود اليك ثم خرج من القبه يتوكأ على مسرور حتى أتى إلى دار الخيزران فلما أبصرته قامت له وقاموا أرباب الدولة فقال لها الهادى لأى شىء اذا أردت أمرا تمنعينى منه فقالت حاشا يا أمير المؤمنين ان أمنعك بل أشتهى منك أن توقفنى على السبب الذى طلبت فيه قتل أخيك الذى هو

قطعة من كبد أبيك قال لأجل منام رأيته أهالنى وأزعجنى فى دست الخلافه وهو مع جاريتى يشرب المدام وأنا أحبها فاشتهيت قتله ولا يفعل هذه الفعلة فقالت له الست خيزران يا مولاى هذه أضغاث أحلام وفى النادر أيها الامام أن يصح لأحد منام من بخارات الطعام وكل أحد من الجماعة تكلم بكلام فسكن عن المهدى روعه وجزعه وأتوه بالرشيد واستحلفوه ان هذا ما كان فى حسابه ولا يفعله فهدأ من المهدى غضبه ومضى إلى قبته واختلى مع جاريته ومضى الرشيد إلى فراشه وهو خائف وجلان لهفان حيران (قال الراوى) وجلس المهدى على مرتبته مع غادر فى شربهم ولهوهم وطربهم وهم فى أطيب عيش وأهنئه واذا بالمهدى قد التدع فى رجله من تحت بطن قدميه فى رجله وصارت مثل البندقة وقد صار مولع فيها وفى حكها حتى صارت قدر الجوزه واتسعت ثم انفقعت فوقع ميتا لوقته وساعته وقيل أنه شرق بقدح خمر وقيل ان الست خيزران أشغلته (قال الراوى) فعاد مسرور من وقته وساعته الى الست خيزران وهو يقول يا مولاتى يطيل الله عمرك قد مات سيدى فقالت يا مسرور دونك الساعة هذا القول والغرور امضى وأتنى بالرشيد المذكور فمضى مسرور وهو مسرور فرأى الرشيد قد انضجع لينام فدخل عليه مسرور وقال يا مولاى ستى خيزران تدعوك فقال والله ان أخى المهدى تكلم بشيء ما كان لى حساب ولا خطر لى على بال فقال مسرور ولا بد من قيامك معى وهو خير وان شاء الله تجد السرور فيه فلبس ثيابه وقام عند ذلك قبل الأرض مسرور بين يديه وقال السلام عليك ياأمير المؤمنين وامام الراشدين ومن هو خليفة الله فى أرضه القائم بسنته وفرضه فقال الرشيد مالى اراك يا مسرور من ساعة تنادينى ياهارون والآن تنادينى يا أمير المؤمنين ان هذا العجب عجيب فقال يا مولاى لا تعجب كل شيء له وقت وسبب يطيل الله عمرك فى اخيك توفى الى رحمة الله تعالى فلما سمع الرشيد ذلك أسرع فى مشيته وقد زالت عنه جميع الأحزان ودخل على الست خيزران فقالت له أهلا وسهلا بالخليفة النجيب ثم ناولته البرده والقضيب والخاتم وألبسته خلعة الخلافة وعند الصباح جلس على سرير الملك وقد علت الأفراح ودخلت عليه أرباب الدولة وهم يظنون أنه المهدى فرأوه وقد قضى نحبه فبايعوا الرشيد وبينما هم فى المبايعة واذا بخادم قد أقبل وقال أيها الخليفة النفيس ابشر بالولد الانيس من سريتك مراحيل فى هذه الليله التى مات فيها المولى فقال

سموه عبد الله ولقبوه بالمأمون ولما تعالى النهار شاع فى المدينه موت المهدى وخلافة الرشيد وجلس فى دست الخلافة ودانت له الناس كافة وأستوزر جعفر بن يحيي البرمكى وأخوه الفضل وقد دانت له البلاد وطاعته جميع العباد من العرب والعجم والترك والديلم وكانت له أمة زاهرة وسمعت به الامراء فى ملطية فأتت إليه وعزوه فى أخيه وهنوه بالخلافه فشرفهم وأعطاهم وخلع عليهم وردهم الى مكانهم واستقر الرشيد فى ملكه وعزه وبعد مده اراد الرشيد ان يتفرج فى بستان أخيه فخرج وخرجت الغلمان وراه وورد الى البستان فرأوه بالديباج الملون وأرسل خلف غادر وقال لها أريدك أتفرج أنا وانتى واعلمى ان بنى العباس كالنجوم كلما ذهب كوكب بدا كوكب فعند ذلك لبست ثياب الافراح وخلعت ثياب الاحزان والاتراح وخرجت مع الخادم الى الرشيد وجلست فى القبة فدخل الرشيد عليها فقامت له وقبلت الارض بين يديه فنظر إليها وتعجب من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها وظرفها وكمالها وفرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وأكلوا الطعام وقدموا المدام فكان الرشيد يشرب المطبوخ من الشراب فأراد ان يسقيها فامتنعت فقال لها لماذا فقالت أريد ان يحضر فى مجلسنا اسحاق النديم فأمر الرشيد مسرور فأحضره فلما حضر قبل الارض وسلم وجلس ودارت بينهم الكاسات وفصلوا الاقداح الى ان تهور الليل وراح فعندها قال اسحاق ابن ابراهيم سبحان مغير الحالات الذى حكم على خلقه بالممات فقال الرشيد يابن ابراهيم ايش تذكرت فى هذه الساعة فقال يامولاى فى مثل هذه الساعة طاب أخيك قتلك وسفك دمك وكان قد أخرج رأسه من طاقة القبة ونظر الى القمر وقد رأى نوره على الاشجار وتشعشع ضياءه حتى بقى كانه فى نهار وقد فاحت رائحة الازهار وتصور له ضوء القمر كانه الفضة البيضاء وعاد ونظر الى جريان الماء مثل أصوات الغانيات ورأى أشجار البستان وعليها نسيم فنظر الى هذا اللذيذ وخاف من نوائب الزمان وأراد ان يسقيك كاس الهوان وما كان الا ما أراده الملك الحنان فسبحان الحى الذى كل يوم هو فى شأن فعندها قال الرشيد يابن ابراهيم يحق لاخى ان يخاف على هذا العيش والنعيم لكنه لايدوم ولايقيم فلما سمعت الجاريه ذلك الكلام أخذت العود وأنشدت تقول بعد الصلاة على طه الرسول :

الدهر يوما ذا من وذا قـدر ... والعيش عيشان ذا صفو وذا كدر
قل للذى بصروف الدهر عايرنى ... هل عاند الدهر إلا من له قدر
أما ترى البحر تعلو فوقه جيف ... وتستقر بأعلا قاعه الدرر
وكم على الأرض من خضراء مورقة ... وليس يرجم إلا من له ثمر
كذلك الريح إذ هبت عواصفها ... فليس تقصف إلا عالى الشجر
وفى السماء نجوما لا عداد لها ... وليس يخسف إلا الشمس والقمر
لا تأمنن إلى الدنيا وزينتها ... فعند صفو الليالى يحدث الكدر

(قال الراوى) وان الجارية لما فرغت من هذه الأبيات غشى عليها وقد انكبت برأسها إلى الأرض ووقع العود من يدها وخبطت برجليها واندفعت تهبط الأرض بيديها ورجليها فاشتغل قلب الرشيد عليها وصار لها ناظر ساعة وما زالت حتى أفاقت ورأت الرشيد جالس عند رأسها فاستحت منه فسألها عن حالها فقالت يا أمير المؤمنين اعلم انى لما تناولت العود وقلت انى أغنى أبيات فغمى على ووقع العود من يدى وقد صرت غائبة الصواب فأخذتني سنة من المنام فرأيت سيدى المهدى وهو داخل على من باب هذه القبة وهو يعاتبنى وأنشدنى هذه الأبيات :

أنسيت عهدى بعد ما ... جاورت سكان المقابر
عودتنى وحلفت لى ... إيمانك الكذب الفواجر
وأقل ما تبقى المود ... ة عند ربات المحاجر
وعلمت أن أخى الرشيـ ... ـد معانقاً منك الضفاير
لا يلهك الإلف الجديـ ... ـد عن الذى فى الترب داثر
وتفكرى ما قد جرى ... من حكم رب الخلق قادر
لا يهنك العيش الهنى ... فالدهر حقاً غير صابر
وعن قليل ينقضى ... دولاب هذا الدهر داير
بل تلتقى بين الملا ... مثلى وسرتى للمقابر
وسقيت بالكاس الذى ... أسقيت منه بإذن قادر
وغدرت بى بعد الوفا ... صدق الذى سماك غادر

(قال الراوى) ولما وصلت الجارية إلى هذين البيتين الأخيرين شهقت شهقة وغشى عليها فحركوها وإذا قد ماتت وفارقت الدنيا فحزن عليها الرشيد حزناً زائداً

وأمر بغسلها ودفنها فى قبر أخيه المهدى (قال الراوى) هذا ما جرى للرشيد والجارية (وأما ما جرى) من حديث ملطية فإن بنى كلاب وبنى سليم قد فرحوا بدولة الرشيد وصارت الأميرة ذات الهمة والأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال فى غاية السعادة والقاضى عقبة كلما بصر ذلك زادهما وغماً وحسد وتفتت منه الكبد فلما زاد به الأمر كفر بالواحد الأحد فجمع أولاده كلهم اليه وأحضرهم بين يديه وكانت أولاده ذكور وأناث فأما الذكور معقب وقصليب ورقيم وحصيصه وكليب ومصعب والوليد وكان الوليد مسلم زاهد دين عابد فتنصروا الجميع إلا الوليد لم يتنصر وصاروا الكل من حزب الشيطان ومن عبدة الصليب والأوثان إلا الوليد فإنه كان أعلاهما عقلا وأوفرهما ذهنا فلما دعاه لم يحضر فلما تنصر خشى عليه أن يطلع على حاله فيكون سبباً لوباله وهذا الوليد يكون سبب صلبه بعد ما يجرى له من العجائب وفنون الغرائب (ثم ان عقبة) عمل له بيعة تحت الأرض وكان صح له من المهدى جملة من المال فاتفق الجميع على البيعة وصار ينزل اليها كل أحد مع نهار الأحد هو وأولاده وغلمانه ويعلق فى طوقهم الصلبان ويكفرون بالرحمن وأقام على ذلك سنة من الزمان وهو يحكم بين بنى سليم وبنى كلاب وقد علت عندهم كلمته وارتفعت درجته فقال فى نفسه يوم من الأيام لابد ان أمضى إلى القسطنطونية واعبر على الملك منويل واطلعه على اعتقادى وأسير به إلى أعدائى وحسادى وإلا فما أبلغ مرادى ثم انه رجع نفسه وقال قبل ما أسير وأقدم بين يديه أرسل له كتاب ثم انه كتب كتاب يقول فيه أيها الملك الرحيم والسيد الكريم اعلمك انى رجل حفظت الأخبار وعرفت الأنشار وقرأت الكتب اليونانية والصحف العبرانية فلم أرى أصح من دينكم ولا أحسن من نيتكم فدخلت فيه من غير ان يدعونى أحد اليه ولا أحد عرفنى الطريق لا قس ولا راهب ولا بطريق ولا جاثليق ولا افعل ذلك رغبة فى مال ولا جاه ولا نوال لانى قاض المسلمين وعالم الموحدين ولى من المال ورفعة المكان ما لا يقدر عليه أحد فى هذا الزمان وما فعلت ذلك الا حتى أملكك البلاد أذل لك العباد وأملكك الامصار وأطلعك على ما يكون من الاخبار وأبلغك المراد ومن خليفة بنى العباس وأترك الرهبان تدق النواقيس فى جميع البلاد (قال الراوى) وسلم الكتاب إلى بعض غلمانه وقال له أريدك أن تسير بهذا الكتاب إلى بلاد الروم ولا تسلمه إلا الملك منويل من يدك إلى يده وتعود إلى بالجواب فقال

الغلام السمع والطاعة وأخذ الكتاب وسار يقطع البرارى والقفار والسهول والأوعار بنية قوية إلى أن وصل إلى القسطنطونية ثم استأذن وقال رسول من بلاد الاسلام ومعى نصيحة وما هى بالقليل فحمل إلى بين يدى الملك منويل وقدم له الكتاب ففضه وقرأه وعرف رموزه ومعناه وخلع على الغلام وقد أظهر الفرح والسرور والابتسام ثم كتب جواب الكتاب بحضور البترك وهو يقول وصل كتابك أيها الشيخ الصالح لجهنم ومن هداه المسيح الناصح فعجل بالحضور فالدولة دولتك والمملكة مملكتك ولا تفعل شىء إلا بمشورتك ورد الجواب إلى عقبة فلما قرأه فرح الفرح الشديد واتسع صدره وانشرح وقال الآن بلغت مرادى ونلت مسرة فؤادى ثم انه أقام لعنة الله عليه يدبر أمره إلى دخول القسطنطينية وقد علم أولاده الانجيل وأخرجهم عن الحق إلى دين الأباطيل وقد ذكرنا ان الأمير عبدالوهاب فى قلعة الكوكب وكان الأمير أبو محمد البطال الفه لا ينام إلا عنده ليوم من بعض الأيام ورد عليهم جاسوس من بلاد الروم وجلس يحدث الأمير عبدالوهاب على ما جرى عند ملك الروم وما اتفق من الأموال للبطارقه والعمالقة وما جمع من الأبطال والرجال ومن جملة ما قال ان ملك الروم جمع الحكماء وقال لهم أريد ان تصنعوا لى شىء أفتخر به على طوايف الروم والملوك من بعدى فصنعوا له باب بيعه من الصندل بباب مرمر ولها باب سر من بيته يدخل اليها من يريد وصنعوا لها قنديل من الجوهر مركب فيه ثلثمائة ستة وستين فتيلة تقاد يوم بعد يوم عدد أيام السنة بنور عجيب كل نور لا يشابه الآخر وعلق ذلك القنديل فى البيعة وصار مغرم به وأوصى عليه جميع القسوس والرهبان ينوروه فى الليل والنهار وقد أقسم بالمسيح انه ان عدم أو جرى عليه أمر من الأمور حلق دقن البترك والرهبان ولا يبقى على قس ولا على مطران وليس للناس اليوم فى القسطنطينية حديث فى ذلك القنديل (قال) فلما سمع الأمير عبد الوهاب ذلك الخطاب قال والله ان هذا الشىء عجيب ولابد ان شاء الله تعالى فى ذلك العام من التوجه إلى القسطنطينية وأعلق هذا القنديل فى بيت الله الحرام وكان البطال يسمع الحديث مع جملة الناس فدخل فى قلبه من ذلك القنديل وسواس وقال فى نفسه ان قدرت على أخذ هذا القنديل صار لى الذكر الجميل هذا والأميرة تقول والله ما هذه إلا حكمة عجيبة ما لها ثمن ولا قيمة وما كنت اشتهى إلا أن الله تبارك وتعالى يكرمه بوقعه فى أيدينا ونحظى به من بين الأنام ونعلقه فى البيت

الحرام (قال) وأما البطال لما سمع هذا المقال رجع الى بيته وتفكر طويل وقال وحق الملك الجليل لا بد من الوصول الى هذا القنديل ثم انه عزم على المسير والدخول الى بلاد الروم ولم يكن له فى ذلك الوقت مساعد ولا معين وكان له عشرة غلمان رباهم صغار فكانت اسماهم لؤلؤ وسيك ونافع وبديع وأبو الليل وسعد وسعيد ولكن ليس لهم جسارة على شىء وكان أصغرهم لؤلؤ واكبرهم أبو الليل إلا ان البطال أخذ معه كتاب ينبوع الحكمة وطالع فيه ثلاثة ايام ثم أخذ له برنس طويل اسود كبير ولم يعلم بقصته أحد وركب على وجهه لحية بيضاء كبيرة نقيه وأخذ عكازا اسود وجعل فيه صليب من الفضه وصار فى الأرض سايح يقصد الرهبان فى الصوامع وفى كل مكان ويباحث كل قس ومطران ويسألهم عن علومهم ولم يزل سائر بلا تطويل لما وجد نفسه أعلم من كل من يحفظ الانجيل ثم صار الى ان وصل الى القسطنطينيه وكان وصوله ضحوة نهار فعول على الدخول واذا هو برجل جليل المقدار وحوله جماعة من أولاد الروم الكبار وعليه بدله من الجوهر تأخذ بالنظر فلما ان رآه البطال هابه وداراه واذا بذلك البطريق قال لغلمانه ائتونى بذلك الراهب فاحضروا البطال الى بين يديه فنظر اليه ساعة زمانية ثم قال لغلمانه امضوا به الى الدار الى ان أعود اليكم آخر النهار فداروا بالبطال فى عاجل فى الحال فقال البطال طيب لا طيب الله لكم أوقات هذا من فعل ابليس وهفواته فقد قالوا فى المثل السائر من أول غزاته كسروا عصاته ثم قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم متنا كمدا لم يدر بموتنا أحد ومابقى الأمر من حيله ثم سار مع الغلمان الى ان وصلوا به الى الدار وقد ضيقوا عليه ومازال الى أن أقبل البطريق ودخل من باب الدار وجلس فى ايوان كانه ايوان كسرى وجلس على كرسى من الذهب وأقبل على البطال وقال له من أين أقبلت وأى شىء تريد فبكا البطال وسالت دموعه على خدوده وقال أيها البطريق أنا من رهبان نجران خرجت أزور بيعة من الأطراف وما قصدت هذه إلا لأجل بيعة سوفيا ومالها عندنا من الذكر الرفيع فوقعت بى أنت وأنا فى الباب واحرمتنى من الزيارة والثواب فضحك البطريق من كلامه وقال له يا ابا محمد لولا انك تقول هذا المقال ما كنت تعرف تحتال ويلك قل لى فى أى شىء أقبلت الى بلادنا وعلى ماذا عولت ولا تكثر كلام ولا تطيل على ملام فلما سمع البطال منه ذلك الكلام حار ووقع به الانبهار وكيف وهو فى بلاد الروم فقال أيها السيد ومن هو أبو محمد البطال وكيف بان لك ذلك انى

محتال فزاد تعجب البطريق وقال له بحق الملك المتعال أنت أبو محمد البطال فقال نعم أيها السيد المفضال أنا البطال وافعل بى ما شئت من الفعال فما انتهى من كلامه لما زاد بالبطريق ضحكه وابتسامه وقام وخلع عليه وقبل عينيه والبطال قد حار وأخذه الانبهار والبطريق يقول لبعض غلمانه امضى واسرع بحضور أختى وأخى وقد صح المنام وبقينا من عسكر الاسلام فقال له البطال أيها السيد المفضال ان حالك حال عجيب فبحق الذى عرفك طريق الإيمان وأنت فى بلاد الشرك والطغيان ألا ما أخبرتنى وأطلعتنى على سريرتك فقال يا أخى أنا يقال لى مارس وأنا صاحب الحجاب عند الملك ولى أخ يقال له دارس ومنزلته عند الملك بمنزلتى ورتبته مثل رتبتى وكذلك أختى أيضا هى محضية الملك وصاحبة أسراره وركبت اليوم لباب الذهب حتى أنظر صحة المنام وما رأيت فى الأحلام والسبب فى ذلك أننى رأيت البارحة كأننى أصلى صلاة الإسلام وفى هذه البيعة التى فى الدار واذا أنا بشخص قد مسكنى وهزنى حتى كدت أن أقع وقال قد هداك الملك العلام فحول وجهك نحو البيت الحرام ودع عنك الاشراك وكن موحدا تنجو من الهلاك فقلت وقد خشع قلبى من هيبته وكلامه ورأيت الأنوار تلمع بين يديه وأمامه فقلت له ياسيدى من أنت الذى تأمرنى بما يغضب المسيح بن مريم ويعاتبنى اذا حشرت الأمم فقال لى يا هذا دع عنك المحاججة والجهالة وقر لى بالرسالة فانا شفيع الأمه ونبى الرحمة وسراج الظلمة محمد صلى الله عليه وسلم وان كان فزعك من المسيح فدع عنك الجهل وعد إلى الدين الصحيح ثم أومأ بيده إلى وراه فرأيت شخصا من وراه أزرق العينين وعليه حلل الأنوار وهو يقول ويلك اتبع هذا النبي المختار فأنا عيسى بن مريم وهذا النبي المكرم ولو أدركت زمانه ما كنت إلا معه فقلت يا سيدى كيف أقول حتى أكون من جملة اتباعه وأرضا بما يرضاه فقال افتح فاك لأن الله قد هداك فعند ذلك أعلنت بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال لى قد فزت مع الفائزين وما فتح الله عليك بهذا الدين إلا وقد أضل عالما من المسلمين ليظهر الله قدرته فى عباده لأنه يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وفى غداة غد يقبل عليك رجل من أمتى وهو ممن تشمله عنايتى ويدخل فى حاجة لله تعالى فيها رضا فعاونه عليها فانها بك تقضى وبها يتم لك البرهان ومنها تتعلم حقيقة الإيمان وقد خلانى ومضى بعد ما وصف لى صفتك وعين لى رسمك وصورتك وسمى لى

اسمك فانتبهت وأنا مرعوب متفكر وما صدقت بالفجر ان ينفجر حتى ادعيت بأخي مارس وأعدت عليه جميع ما جرى وما سمعت من رســـول الله صلى الله عليه وسلم فضحك في وجهي وقال لى والله يا أخي ما جئت اليك إلا وقد شرح الله صدرى للاسلام وملأ قلبي بالإيمان وكلما حدثتني به أنت رأيته أنا الآخر في المنام ومابقي إلا أن يقبل هذا الرجل المسمى بأبي محمد البطال إلى هذا المكان وقد صح المنام ونحن يا أبا محمد في الكلام وأختي قد دخلت علينا وهي تبكي فسألتها عن حالها فقالت يا أخي رأيت البارحه كأن القيامة قد قامت واجتمعت الأمم بين يدي الملك الأعظم فقضى بينهم وحكم وسار فريق الى الجنة وفريق الى النار وقد رأيتكم أنتم من الفريق الذي سار الى الجنة وأنا مع أهل النار وعلى وسطى زنار وعلى صدرى صليب فجعلت استغيث بكما وأبكي على فراقكما واذ أنت يا اخي يا مارس قد أتيت إلى وقطعت الزنار من وسطى وألقيت الصليب من صدرى وقلت لى قولى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمد رسول الله حتى تخطري مع الحور العين في الجنان فقلت له تلك الكلمة بلساني ولم أنتبه حتى حفظتها بقلبي ومن شدة ما صحت لا إله إلا الله محمد رسول الله انتبهت وأنا أقولها في اليقظة كما كنت أقولها في المنام فلما سمعت ذلك قلت سبحان الذي إذا فتح باب الهداية لا يغلقه في وجه أحد ثم كتمنا ما نحن فيه ولا أمكننا أن نقصه على أحد وقد أسلمت مثل اسلامنا وقالت لنا قوموا بنا الساعة على الأبواب وكل واحد منكم يركب في جماعة من الأصحاب ونتفرق وانظروا لنا هذا الرجل البدوى حتى أنه يوضح لنا البرهان فركبنا وقد أسلم معنا ثلاثون من الغلمان وحلا لهم دين الإسلام وتفرقنا على أبواب القسطنطينيه في انتظارك إلى ان وقعت أعيننا عليك في هذا اليوم ونظرت الى صورتك وصدقت قول النبي صلى الله عليه وسلم وقوى ديني وها أنا قد قصصت عليك قصتي وسوف ترى أخي وأختي قد أتوا اليك وحضروا بين يديك (قال) فلما فرغ مارس من كلامه إلا وقد غشى على البطال وفاضت دموعه والعبرات وانتبه من وقته وساعته وهو يقول اللهم لك الحمد والشكر الذى ارتضاني من جملة الاسلام والمسلمين وجعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين وامام المتقين ورســـول رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الراوى) ثم قال الحاجب مارس ايش الحاجه التي جئت فيها فقال له ماقال الجاسوس في القنديل وأعاد الكلام عليه فقال مارس ياأبامحمد هذا أمر صعب لابد فيه من التعب

لأن البيعة فى دار الملك وعليها حراس اشرار يحرسونها بالليل والنهار ولا يغفلون عنها ساعة واحدة والقنديل له سلاسل معلقة بكلاليب من الحديد وهم فى الحائط فى زرد معقود من أسفل الأساس الى فوق فقال البطال وحق الملك العلام الذى هداك الى دين الاسلام وجعلك من أمة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ان هذا الأمر عندى أقرب من ذلك وأسهل من ضحكة الضاحك فهل تقدرون يدخلون بى الى البيعة فقال مارس لو شئت لأدخل بك دار الملك فقال البطال انا أدخل معكم مرة أو مرتين فقال مارس وان رآك الملك وسألنا عنك ما الذى نقول فقال لهم قولوا له ان هذا راهب كنا نعرفه من قديم الزمان وأتانا زائر من قامه وان سألكم عن اسمى فأنا أسمى بطلون الراهب (قال الراوى) فضحك مارس وأخيه دارس فقال البطال وذمة النبي المنتخب لا بد ما أسرقه وترون العجيب لانكم ما عرفتمونى بهذا السبب فقالوا بارك الله فيك ثم قدموا له ما راج من الطعام وأكلوا هم وإياه بقدر الكفايه وبعد ذلك سار يقريهم الفاتحة وقل هو الله أحد والمعوذتين ولما كان يوم الأحد خرج مارس ودارس والبطال معهم إلى ان وصلوا البيعة والبطال لابس زى رهبان الشام فدخل مارس ودارس وهم البطال بالدخول فمنعه البواب وقال قف حتى يأتى الملك فقال الحاجب يا ويلك أنت تمنع ضيفى بطلون وأنتم الساعة بين يديه تتقربون فاعتذر البواب من ذلك وقبل يديه ودخل البطال ونظر إلى البيعة والتماثيل وفيها من الصور والقناديل من اللؤلؤ والبلخش واليواقيت ونظر إلى القنديل الذهب ونوره ألوان مختلفة من تلك الجواهر المؤتلفه والمكان قد التهب من أنواره وتجاب عليهم بدائع أسراره والرهبان والقسوس مكشوفين الرؤوس وهم يقرؤون الانجيل باختلاف الألحان وقد طاب لهم الوقت مع الزمان فرفع البطال صوته بقراءة الانجيل وكان له صوت حنون يوقف الطير عند ترسيله ويبكى كل من يسمعه من حسن تنغيمه قال فأقبل الملك منويل وهو بدمع يسيل وكشف رأسه ووقف بين يديه فجعل البطال يمسح عينيه ويقول له المسيح يبارك فيك وما زال يقرأ حتى وقع من هناك بالدهشة وأخذت القوم الرعشة فهنالك حسن البطال صوته وحن وأن وأسبل الدمع وصار يقرأ ويرجع الى التفسير الى ان أبكى الصغير والكبير ووقع كل من هناك برأسه يمرغها على قدميه ويتبرك به ويميل اليه

والقسوس يقولون له اغفرلنـــا وارحمنا وهو معرض عنهم ولا يلتفت لهم بل ينظر إلى منويل ويقول له المسيح جعلك من خيار أمنه وتقوى بك كلمته ثم رفع صوته وتلا فصلا من الانجيل والبطارقة والرهبان ينصتون له إذا تكلم وهو معهـم مبجل مكرم وقد عظم فى أعين الملك وقال للبترك يا أبونا ما تقول فى هـذا الراهب فقال وحق المسيح ما هو إلا أعجوبة الدنيا وأريد منك تدعوه أن يقيم فى بلادنا قدر شهر من الزمان يعلمنا الانجيل وعبادة المسيح فقال الملك على به فأتوا اليه به وهو فى وجـد وحال فصبر الملك عليه إلى ان أفاق وقال يا أبونا أريد منك أن تقيم عندنا ولو شهر حتى تعم بركتك علينا سراً وجهراً وأنا أسلم اليك البيعة وما فيها من الأموال فقال له البطال ان الدنيا دنيه والدنيا جيفه وطالبها أحقر البرية وأما القيام عندكم فأنا أقيم لكن بشرط قال وما هو الشرط قال له تدعنى أقيم عند الحاجب مارس لانى من قديم الزمان عرفته وقبل اليوم أبصرته فبكا الملك من الفرح وقال سمعاً وطاعة الا انى أريدك أن تنزل بنا إلى نحو هؤلاء الشهداء ونبصرهم فقال البطال سمعاً وطاعـة وقام الملك وســـار هو والبطال إلى نحو النواقيس ونظر إلى أموال وجواهر غوال ونواقيس طوال ونظر جيـــدن كبير من الرخام الأحمر وعند رجليه قنديل من الجوهر يقاد فيه الشمع المكوفر مسكوب فيه دهن بنفسج وعند رأسـه مصورين بيت المقـدس لأجل البركة فضمه البطال إلى صدره وبكا بكاء شـــديد ما عليه من مزيد وجعل يتلو الانجيل بترجيع وترتيل وبين أحوال الشهداء والحواريون حتى أدهش العقول وانسكبت الدموع وأكثروا الهلوع والركوع وبكى البترك والملك والبترك يقول لا شك ان هذا من حوارى المسيح هذا والبطال نظر إلى العظام وقال طوبى لأرواح نقلت من العالم السفلى إلى العالم العلوى فى روضـة التقى مع حواريين المسيح المخلص من التبعات المطهر من الخناوخيل ما جرى لمريم وانتقل إلى ذكر هرون وموسى فأخذ بالمسامع والبصر وغشى على كل من حضر ثم خرج البطال والناس بين يديه يهرعون اليه وهم يقبلون بين يديه ورجليه والملك يود لو ان يكون عنده زمانا طويلا وقد قال لمارس اسأل لنا صاحبك يدعو لى ويقبلنى ويذكرنى عنده صلاته ولا ينسانى وسار بعد ذلك البطال راكب والناس منكبة عليه وجميع من فى المدينة يترامو عليه وأما مارس ودارس فعجبا عجباً عظيما وقالوا لو لم يكن له شأن عند

الله لما نال هذه المنزلة الرفيعة فى الأديان وما زالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى منازلهم وقضوا ما عليهم من الصلوات ثم قال مارس للبطال هل عندك شيء من التدبير أو وجدت سبيل إلى أخذ القنديل فقال البطال وسيلتى محمد بن عبد الله النبى المفضل صاحب القـــدر الجليل المبجل الممدوح فى القرآن والتوراة والانجيل صلى الله عليه وسلم فقال مارس ودارس والله يا أبا محمـد لو قلت لنا خوضوا البحار لخضناها أو اقتلوا أولادكم لقتلناها فقال البطال الأمر أقرب من هذا وأنا ما فعلت هذه الفعال إلا حتى احتوى على قلب الملك ويوم الأربع نفعل مثل ذلك فإذا كان يوم السبت ادخـلوا أنتم على المـلك منويل وقولوا له أحسن الله عزاك فى الراهب بطلون فإنه شرب كأس المنون ولا تدخلوا عليـه إلا وأنتم تبكون فإذا رأيتموه قد صعبت عليه وسألـكم عن سـبب موتى فقولوا له أيها المـلك اننا لما فارقناك البارحه ما زال الراهب يتلو فى الانجيل إلى وقت السحر فقمنا اليـه فرأينا النور قد تغشاه فقلنا له ما حالك وإذا قد وقع على قفاه مقـــابل الشرق وقـــد شخص ببصره إلى السماء وفتح عيناه وهو يقول السماء الرابعة السماء السابعة ويقدس ويهلل وينادى وا فرحاه وا طرباه فبكينا عليه وقلنا له يا أبونا مالك وما الذى أصابك فقال ان المسيح قد أرسل خلفى فى هـذه الساعة وقد نقل روحى إلى أعلا عليين فاقرأوا عنى المـلك السلام ويقول لك ادفنه فى بعض النواقيس حتى يكون بجاور الشهيد بركيس لعله ينال بركته وينتفع بمجاورته هنا لك أدبر على خلاص القنديل وأقلعه من مكانه (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع مارس تعجب من ذلك وقال وحق من أرسى الجبال هذه حيلة ما يهتدى اليها إلا ابليس وأقام البطال يبرم حبال الاحتيال وينظـر ما يتجـدد من الأحوال إلى ان كان يوم الأربع وقد خرجت القسوس وأيضاً الرهبان واجتمع كل قس ومطران فى بيعة الملك وما جسر أحد ان يفتح فاه ولا ينطق بحرف واحد إلى ان دخل البطال والناس دونه من كل مكان فتبادروا اليه القسوس والرهبان وصـار كل منهم يقبل منه الاقدام إلى ان صعد المنبر وانتصب للقيام وجعل يقرأ لهم الفصول ويبين لهم الأمور والملك يتعجب من ذلك التكرار ويبكى بالدموع الغزار إلى ان انقضى النهار وقدموا للملك البغلة وركب وسار إلى قصره وسار البطال مع أخيه مارس ودارس هـذا والملك يقول لخواص مملكته وكبراء دولته

وحق المسيح لو كان لهذه الرعية والمملكة من يسوسهم لكنت انقطعت أنا وهذا الراهب بطلون فى البيعة إلى أن كان يوم السبت وإذا بمارس ودارس أقبلوا على الملك وهم يبكون فقال الملك ما حالكم فقالوا أيها الملك أحسن المسيح عزاك فى الراهب بطلون (قال الراوى) فبكا الملك وتحسر وجرت دموعه مثل المطر وقال لقد وقع بنا النكال ونحن فى كسب المال ثم قال وحق المسيح لا أدفنه إلا عند توكيس وأخذ معه كل راهب وقسيس ثم قال الملك وبين يديه الحجاب والبطارقه لدار الحاجب مارس وطل فى وجه البطال وكان الامير أبو محمد البطال قد حسن نفسه ولزم حسه وكان معه دهن يقال له دهن بارق فدهن به وجهه الى ان صار يلمع مثل الحسام فلما رأى الملك ذلك رمى نفسه عليه وصار يقبل يديه ويقول طوبى لهذه الطلعة التى نالت بها الناس الرحمة واشتغلت بالمسيح عن أهلها ومالها حتى كشفت عنها الغمة وكان أفرح الخلق فى موت البطال البترك لأنه رأى الملك قد مال اليه فخاف ان يقلعه من بين يديه وتقدموا الناس إلى تابوت البطال فمنعهم مارس ودارس وقالوا نحن أحق بضيفنا هذا وقد اوقدوا الشموع وبطلت ذلك اليوم أهل القسطنطينيه من البيع والشراء والاخذ والعطاء وكان عندهم ذلك اليوم يوم عظيم ما رأى أحد مثله الى ان خرجت البنت من خدرها وصاروا يشيلون التراب من تحت مواطىء الأقدام إلى ان أدخلوا البطال إلى الكنيسة وتقدم مارس ودارس واطبقوا عليه طابق صغير وقد خافوا ان يكون قد خفى حسه وقل حيله من كثرة العالم عليه فداروا به وقد أمر الملك ان يغلقوا باب البيعه وأخرجوا الناس فعند ذلك تحرك البطال فى صندوقه وخرج بعد الى خروجهم الى باب المذبح وإذا به مغلوق وبالأقفال الفضه موثوق فأخرج البطال مبارد كانت معه مدخرة لوقت الحاجه اليها وبرد القفل فى أقل من لمح البصر وميز بعينه إلى داير الحائط وكان مارس قد قال له على بلاط تحت الدرج فاذا قلعه يطلع فى سرادق وسلالم من الحائط الى الهيكل وهى سلاسل القنديل فأول ما رفع البطال البلاطه وطلع فى السرداب فرأى بطريق المعرفة صناعة أرق من الشعر فأدخل يده فى حق هناك واذا هو بلولب فى الحائط فغلقه فانفتح له باب فدخل فيه الى أواخر سلاسل القنديل فى أعلا ذلك البيت فتساق الحائط وطلع على خشبة من الصندل وقعد عليها كأنه فار من بعض الفيران وأراد ان يخص القنديل واذا بالباب قد انفتح ومشاعل

وشموع أقبلت والملك داخل بين يديه الحجاب والنواب والبطارقه والشموع توقد بين أيديهم فى أنوار الفضة وكان أول من دخل قدام الملك مارس ودارس فلما رأى البطال إلى ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا اليه راجعون ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ثم ان البطال مد بصره فرأى عقبه بن مصعب ويده فى يد الملك منويل وعليه خلعة تشعل بالذهب والفضة وفى وسطه زنار من حرير أصفر ليس له مثيل وفى حلقه صليب من خالص الذهب والجوهر الذى لا يعادله مثيل فلما رأى البطال ذلك وحققه بالنظر بهت وتخبل وتحير من ذلك الأمر وتفكر ونادى فى سره وضميره لمن يعلم ما فى صدور البشر والحكم بالقضاء والقدر على هذه الصورة يا من يسبل الستر اسبل على سترك واسترنى من بنى الأصفر هذا وقد كثر الشمع المكوفر وصار الليل أضوأ من النهار وأزهر (قال الراوى) يا سادة ياكرام ومارس لما رأى البطال على تلك الخشبة بهت وتحير وصار يقف فى ضوء الشمع والإنسان فى هذا الوقت لو وقعت منه ابرة لرآها هذا والبطال قوى جنانه والتصق بالخشبة وقال اللهم انى أعوذ بك من كشف الستر والغلبة ثم قال فى نفسه يالله العجب ايش الذى جاب هذا الملعون عقبة بن مصعب إلى ههنا وحصل فى هذا المكان ويا ترى ايش السبب والشأن وما دخل ههنا إلا لأحد الحالتين أما أنه قد أتى يأخذ القنديل واما نه كفر بالملك الجليل ويكتب من الغافلين أهل الأباطيل ثم أنه بهت ينظر ما الخبر واذا بالكلب عقبة يقول أيها الملك أنا ما فعلت ذلك وأكلت لحم الخنزير وشربت الخمر العصير وغسلت به مصحف المسلمين إلا لأجل ما أبلغ عزمى وأشفى مرضى من أعداء الدين ولا بد ما أولهم اليك واضيفهم الى خدمتك وأولهم عبد الوهاب والثانى البطال ولا بد ما أشفى فؤادى بقتله سرا وأشفى فؤادى منه وافجع فيه أمه فقال الملك طب نفسا وقر عينا فأنت تكون لنا عمدة فى بلاد الاسلام فقال يا ملك ان طول المسيح فى عمرى لا أبقى منهم باقية فلما سمع البطال من عقبه ذلك صح عنده الخبر وعرف ان عقبة ما دخل القسطنطونية إلا ليثبت تنصره وكان الملعون عقبة من شقاوته لما يريده الله تعالى قال للملك منويل أعدائى جماعة منهم ذات الهمه وولدها عبد الوهاب والمسمى بأبى محمد البطال اللص المحتال فلما سمع الملك ذلك المقال قال للبترك ما تقول يا أبونا فى ذلك الأمر والحال

فقال البترك وما عسى أن أقول والمسك يقذف من أماكنه والذهب يدل على معادنه فظاهر هذا الرجل يدل على باطنه ثم أقبل على عقبة وقال له أنا أعلم أن قلب الملك نافر منك ويقول لك ما أنت صادق فى المقال وما فعلت هذه الفعال إلا لأجل حال من الأحوال فقال عقبة لعنه الله هاتولى لحم الخنزير حتى آكله والخمر حتى أشربه وإن كان عندكم أسير موحد أقتله فلما قال ذلك زال الشك من قلب الملك منويل وأمر بمد السماط فمدوه وأكل عقبة وجعل يفسخ لحم الخنزير ويأكل ويقول ما أقل عقول المسلمين لأنهم لا يأكلون هذه الشحوم ويتركون لحم الخنزير وهو الذى يؤكل وبعد أن أكل شرب باطية من الخمر حتى سكر وصاح وزادت به الأفراح وقال أنا أريد أن أحرق هذه الثياب بالنار لأنى كنت البسها وأحكم بين اهل التوحيد هذا والملك يقول له لاتفعل وأنت عندنا مكرم مبجل فقال وحق المسيح لا بد من ذلك وقام من وقته وساعته وأمر أن يحضروا له النار فحرق ثيابه وطيلسانه وغضب عليه الجبار وأعد له عذاب النار (قال الراوى) فهجم الظلام وطلبت الأعين المنام وأراد الملك يقوم ويستريح فقال عقبة لا وحق المسيح ما أقوم هذه الليلة حتى أغطس فى جرن ماء المعمودية ويتبرأ عقبة من دين الحنيفية فعندها أمر الملك أن يفتحوا له الباب الذى فى الكنيسة ففتحوا بابها ودخلوا إلى المذبح الكبير والبطارقة من حوله وغطس عقبة فى جرن ماء المعمودية سبع مرات وهو يقول حنا ومريم والصليب ومارس ودارس قدام الملك وكانوا أعز أصحابه وحجابه وعادوا إلى أن حصل الملك باب حجرته ورجع مارس ودارس وقلوبهما عند البطال ودخل البيعة هو وأخيه وإذا هم وجدوا البيعة مفتوحة والحراس فيها يفتحون على الاقفال التى بردها البطال فهموا أن يدخلوا وإذا هم بشيخ من صدر البيعة قد أقبل وهو يمشى على عجل فقال مارس وحق النبي المنتخب ما هو إلا أبو محمد البطال فقال البطال من تكونوا فقال مارس أبشر بالسلامة من المعاطب فأنا مارس الحاجب فقال البطال سر قدامى فما هو وقت كلام فتعجب منه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن البطال لما نظر إلى عقبة وهو يتنصر بكى عليه وقد علم أن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذا وقد اشتغلوا بعقبة لما غطس فى ماء المعمودية فخرج البطال وقد ستر عليه الستار الكريم المتعال وزحف قليل قليل الى أن أمسك سلسلة القنديل

وصارت فى يده وركب عليها خنجر أمضى من القضاء والقدر فقطع السلاسل أسرع من لمح البصر وحط رجله فى أرض الحائط ونزل الى ان وصل الى الراهب الذى عنده المفاتيح واخذهم وكان ذلك الراهب شيخ كبير قد ربى الملك وهو صغير واذا بالرهبان قد أتوا اليه وطلبوا المفاتيح وقال لهم أنا ههنا وضعتهما وقد اشتغلنا لما تنصر هذا الرجل فى الليل وما عرفت أين وضعتهما وكان البطال هو الذى أخذهم ففتح الباب وإذا بمارس قد أقبل كما ذكرنا وسار معه الى ان وصل الى الدار كما وصفنا وأخبره بالخبر وقال اريد الساعة ان تخرجنى الى خارج القسطنطينية قبل أن يعرف الملك بأخذ القنديل فأمر مارس بعض الغلمان يشدوا له بغلة وخرج أبو محمد فى زى مكارى من باب الذهب وكان البطال جعل القنديل فى عدل سنجارى وشد وسطه مثل المكارى وخرج إلى أن نفذ من القسطنطونية وطلب طريق ملطية (فهذا ما كان) من البطال (وأما ما كان) من الحراس والأمناء الذين على البيعة فانهم قاموا يفتشون على المفاتيح إلى أن أصبح الصباح فقال بعضهم أظن الأقفال قد سرقت لا أحد يظهر للملك هذا الأمر الوبيل فانه اذا سمع بذلك يقول إلى أين أخذت منكم المفاتيح فكيف كنتم تحرسون القنديل الذى هو روحى التى بين الجنبين ونور عينى والذى أظن أن الذى أخذ المفاتيح نسى أخذ القنديل ولا بد للملك ما يبلغه ذلك ويسأل عن القنديل ثم أن القوم ناموا من كثرة السهر إلى وقت الاصفرار مما حل بهم من التعب وهجم عليهم سلطان المنام وكان أول من انتبه المقدم على القوم فقال وحق الصليب والزنار أخذنا المساء ونحن نيام إلى آخر النهار ثم قال لهم قوموا الآن وقدموا الزيت والأدهان فان الملك ما أعاقه اليوم عن المجىء إلا ما حصل له من السهر ثم أنهم قاموا وشرعوا فى وقد الشموع وتعمير القناديل ودخلوا بالشموع يفتشوا على المفاتيح والقنديل فما وجدوه وما رأوا له أثر فسأل مريح لعبد المسيح وسأل عبد المسيح لجرجيس وسأل جرجيس لشمعون وسأل شمعون لسرجون وسأل سرجون لحزقيل وسأل حزقيل لميخائيل فقال ميخائيل ما لكم يا مهابيل قالوا قد عدم القنديل فقال لهم اسألوا عليه عبد المسيح فقال عبد المسيح يا بارد الطبع يا قبيح بحق المذبح والذبيح أنا كنت واياك نشخر مثل الذبيح فقال اسألوا جرجيس فقال جرجيس يا تعيس أنا مخاوى ابليس اسألوا عنه شمعون فقال شمعون هذا أمر لا يكون وكثر بينهم الكلام

والخصام فقال مقدمهم ما لكم فى أمر وبيل وقال وقيل فقالوا له قد سرق القنديل فوقع مغشياً عليه ولم بقى يعرف ما بين يديه ولما أفاق قال وحق الانجيل المطهر ان وما سرقه إلا الذى جاءنا البارحة وتنصر (قال الراوى) يا سادة يا كرام وكان عقبة لعنه الله قد طلب العودة لبلاد الحجاز فجهزه الملك مع تاجر طالب الديار المصرية وأتحفه بالهدية وأجزل له العطيه فسار من أول النهار وطاب له الريح فى البحار وقد كفر بالخالق الجبار ومحى من ديوان الأبرار ولما أفاق الراهب قال لهم وحق المسيح قد راحت أرواحكم وانقطعت رؤوسكم ثم دخل المذبح فرأى البلاطة مقلوعة والستور مرفوعة فقال يا ويلكم ما أخذ القنديل إلا الذى تنصر البارحة وهذه دلائله علينا لائحة ثم انهم دخلوا على الملك وهم صارخون فقال لهم ما حالكم فقالوا له اقبض على الذى تنصر البارحة فإنه سرق القنديل فلما سمع الملك ذلك اسودت الدنيا فى وجهه ولم بقى يعرف ما بين يديه ومن شدة الغيظ قال والله ما جاءنا هذا القرنان إلا ليخرب المكان فوحق المسيح لأقطعن لحمه وأسفكن دمه وأجعله قربان فى البيع ثم انه قدم عريف المراكب وقال له أريدك تأتينى به أينما كان فإنه قد مضى إلى مصر وأوسع فعندها رفعت البطارقة القلوع إلى رؤوس الصوارى وخرجت الحرائق من المدينة مثل البروق وما زالوا إلى الصباح وإذا بمركب قدامهم لطيف فأدركوه مثل لمح البصر وأشرفوا عليه وقربوا الحرائق اليه وانقضوا على عقبه قبضوه وما كلموه حتى صكوه على عينيه ورأسه ويديه حتى أعموه ونتفوا شعر رأسه ولحيته حتى أعدموه حواسه وقد انذهل مما رأى وطار قلبه وتخيل فى نفسه وزاد به الخوف والوجل ولم يعلم ماذا يكون الخبر فمن وهرته بال فى ثيابه وبقى عبرة لمن اعتبر وهو يقول يا ويلكم ما الخبر اكشفوا لى عن هذا الحال فقالوا له يا ديوس يا قرنان أنت تظن أن حيلتك تتم علينا وانك تنجو من بين أيدينا وتأخذ القنديل وما هذا عمل قليل ثم أنهم فتشوا فى المركب فما وجدوه فعادوا وعقبة معهم وقد بقت رقبته مثل الطبل مما لطموه حتى كادوا ان يهلكوه (قال) وما أمسى المساء حتى وصلوا المينة وأرسلوا يعلموا الملك منويل وهو لا يصدق أن يراه من شدة قلقه على القنديل فلما رآه قال له يا قرنان يا قرد أسلمت أغضبت ابن مريم حتى أوقعك فى العدم يا كلب العربان ما لقيت لك حيلة تنال بها غرضك إلا تلاعبك بالأديان وهزوك بعباد الصلبان رد القنديل يا قرنان وإلا عذبناك عذاب ما نظره انسان

فلما سمع عقبة من الملك ذلك الكلام علم انه دهى بشىء ما كان له فى حساب وعلم انه إذا لم يتراجع عن نفسه ويدبر أمره وإلا ضرب عنقه وأتلف مهجته فقال أيها الملك تأنى على روحك ولا تريع أمرك ولا تشغل سرك ولا تضيق صدرك واعلنى بما تم عليك حتى أدبر لك تدبير يعود نفعه عليك ولا تجهل بأرباب القدر والتعظيم ولا تأخذ البرى بالسليم يضيع مالك ويسوء حالك فقال الملك أقول لك انه قد سرق القنديل وكان هذا القنديل عندى أعز من مهجتى وما سرق إلا عند دخولك عندى لأن خبره قد شاع فى البلاد مع الأقطار وما له سارق إلا أنت يا غدار وأنت ما وصلت إلى هذه الديار ولا تنصرت ولا علقت صليب ولا زنار إلا لأخذ القنديل فقال عقبة يا ملك المسيح يعلم ما فى صدرى من التلويح انى ما دخلت دينكم إلا باعتقاد صحيح وأما هذا القنديل فما أخذ إلا بتدبير عجيب وسبب غريب والذى أخذه فما خطابه إلا إلى بلاد الاسلام فإنه يقول انه ما يصلح إلا للبيت الحرام وان صدقنى حذرى فى هذا الحال ما فعل هذه الفعال إلا غلام يسمى أبا محمد البطال لانه خرج أقدر أهل الأرض فى المجال وما أشك إلا وهو الذى أخـــذ القنديل وان صح حذرى فهو قد حمله إلى عبد الوهاب ليأخذ عنده المنزلة العليا فاقبل رأيي أيها الملك الجليل واقنع منى باليمين وحلفنى بدين النصرانية ودين المسلمين حتى تعلم انى صادق أمين واتركنى أسير إلى بلاد الثغور وأدبر لك على هذا الأمر المذكور ولا تحس بهم إلا وهم عندك أجمعين اما فى الصناديق محمولين أو بالحبال مكتفين ومعهم القنديل الذى ذكرته وإلا فها أنا بين يديك مثل العبد افعل بى ما تريد فهذا أمر ما اطلعت عليه إلا فى هذه الساعة فإذا وافقتنى دبرته بمعرفتى وخبرتى فلما سمع الملك هـــذا الكلام الذى حسبه خاف من فواته وبقى متفكر فيما يفعل فقال مارس أيها الملك ما بقى هذا الرجل الصالح يلام وما قوله إلا صحيح والرجل ليس له مكان يخبىء فيه القنديل وهم قد قصدوا المركب وفتشوه فاطلقه أيها الملك لعل أن يكون لخلاصه سبب لأن العرب تعرف حيل العرب وقد قال القول الذى عليه وجب وان كنت تقبل نصيحتى فأنا أضمنه بعد اليمين فطاب قلب الملك بهذا الكلام الذى سمعه من مارس وأطلق عقبه بعد ان خلع عليه وحلفه وأرسله فى بعض المراكب إلى اسكندرية فلما وصل عقبة رأى الناس طالبين الحجاز فأكرى بمائة دينار لمن يلحقه بالحجاز إلى مكة فلما وصل اليها بذل المال وكسى عريان من الارامل والايتام هـــذا والناس يدعون له من كل جانب ومكانه

ويظنون انه على بصيرة من الإيمان وما كل من حج واعتمر وقد خاب عقبة فيما اضمر وأعماله لاتقبل لأن الله تبارك وتعالى يطلع على مافى الضمائر ويعلم ما تكنه السرائر وإنما هو حليم لا يعجل ثم رجع اليهم من الحج وهو كما قال حج اللئيم فقبحت أوزاره * وازداد سوأ للأنام بما فعل وقد ظن ان الحج يغفر ذنبه والكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل ولم يزل سائر إلى أن وصل إلى ملطيه والثغور العراقيه ولما علمت الناس بوصوله خرجوا يهرعون اليه ويقبلون قدميه وهو يبكى والدموع تتحادر من عينيه وهو يقول والله ما قدرت أن أفارق تلك الاماكن فيا فوز من يكون بها قاطن (قال الراوى) ومن جملة من خرج اليه عمرو بن عبيد الله وهو يقول ادع لنا يا أخينا فى الله وأما أبا محمد البطال لما رأى الناس يهرعون سأل عن ذلك فقال له بعض الأخوان فاز بالسعادة من فاز هذا القاضى قد قدم من أرض الحجاز فسار أبو محمد البطال من جملة الناس إلى ان وصل اليه فرآهم يقبلون قدميه والشاطر من يصل اليه وهو يبكى فما زال البطال يضحك إلى ان قرب منه ووقعت عينه عليه فقال عقبة يا ولد يا بطال العاقبة اليك تزور البيت العتيق وتزول عنك الذنوب ويصل اليك التوفيق وتعاين ذاك المكان تحقيق فقال البطال والله يا قاضى ما أنا إلا زرت البيت الذى كنت فيه لكن ما غطست فى جرن البركة الذى أنت غطست فيه فقال عقبة وقد عدم رشاده وخفق من ذلك فؤاده ويلك يا بطال ايش هذا الكلام وهذا الفضول الذى تقوله وإذا بالأمير عمرو بن عبيد الله قد وصل فقال يا ولدى يا عمرو والله يوصل اليك ما دعوت لك فى صحيفتك من الدعاء فى البيت الحرام وزمزم والمقام ثم ركب على ظهر بغلته بعد السلام والناس من وراه منقلبه وكان البطال لما وقع بالقنديل قدمه للأمير عبد الوهاب ففرح به فرحا شديدا ما عليه من مزيد وكان البطال كره المقام بين بنى سليم وقال وحق المصطفى لا أقمت فى مكان فيه عقبة بعد ان رأيت بعينى ما فعله ولا بد ان أكون لهلاكه سبب وأنحره كما أنحر الغنم ثم طلع الى قلعة الكوكب وأطلع الأميرة على القنديل وقال هذا الذى تأسفتى عليه وطلبتيه من الملك العلام بأن يكون معاق فى البيت الحرام ثم حدثهم بحديث عقبة وما جرى له فقالت الأميرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصعب على الأمير عبد الوهاب وقال للبطال على ماذا عولت ان تفعل فقال انتقل من عندكم وأجعل معولى على الله ثم عليكم وأنحر هذا اللعين فانى سمعته يوعد كلب الروم بهلاكك ويجعل بلاد الإسلام للروم الكفرة

الشام ويملك البيت الحرام فقال عبد الوهاب ساءت ظنونه وأعماله وقطعت أوصاله ولا بد لى ان شاء الله ان أصابه على باب الذهب الذى تنصر فيه ولو احتمى بكل من كفر وايش قدر هذا الكلب إلا كاب حتى يذكر بيت الله الحرام وزمزم والمقام وأنت أخى من الدنيا والآخرة لك ما لى وعليك ما على ثم أنه أمرغلما نه انهم ينقلون أسباب البطال من ملطيه إلى قلعة الكوكب وكانت ثلاثة جوار روميات وعشر غلمان والكل علمهم الاحتيال والخداع وجرأهم على الأهوال وأقام البطال فى قلعة الكوكب وأعلم الأمراء باسلام مارس ودارس وأختهم أرمانوسة ففرحوا بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقالت الأميرة سبحان الله من أيقظ هؤلاء من سنة الغفلة وأضل عقبة مع علمه وفضله ولكن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولم يزل البطال فى قلعة الكوكب الى ان سمع وصول عقبة فقال لا بد لى من الخروج اليه ثم أنه خرج كما ذكرنا وكلم عقبة بما وصفنا وعاد البطال الى قلعة الكوكب وأعلم الأمير بقدوم عقبة وكيف وصل من الحجاز فقالت الأميرة انقتله عندالله أعظم أجرا من فتح القسطنطونية لأنه يلعب بالأديان ويكفر بالرحمن ثم أقاموا إلى أن أصبح الله بالصباح وإذا برسول الأمير عمرو وصل اليهم يطلب الأمير أبو محمد البطال وأيضا يطلب القنديل ويأخذ من البطال حق القصاص بما يتكلم فى حق عقبة ويقابله بما يستحقه وأما القنديل يوصله إلى الامام فانه ولى الأحكام (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الملعون عقبة لأنه لما وصل إلى ملطيه وعلم أن البطال شنع عليه بهذه الأقوال الرديئة وأيضا بالغ فى تشديد هذهالقضية وانه اطلع على تنصره فقال أناأعلم أن هذا الصبى يكشف سرى بما رأى منى فلم تنم تلك الليلة حتى ملأ قلب عمرو بن عبيد الله وقال له يا ولدى أنت ههنا ملك العربان وأمير الثغور فى كل مكان وما نريد يتم أمر إلا ونعلم به الخليفة أمير المؤمنين وإلا ان دمت هكذا انقصت منزلتك عند الأمراء وعند الخاص والعام وأيضا تستطيل بنى عامر وبنى كلاب على بنى سليم وما ينبغى أن تكون بنى سليم تحت الذل والضيم وينبغى انك ترسل تطلب القنديل لأن البطال دخل الى القسطنطونية وسرق مالا جزيلا ومن جملته ذلك القنديل وهو من الصواب انك تطلبه وتطلب أيضا البطال حتى أنه يقوم إلى ذليل وأفبح بما قال فى حق لأنه رمانى بالزور والبهتان وتكلم فى حق بالكفر والطغيان وسوف يكون هلاكه سبب وإذا لم نقيم ناموس الامارةوإلا حلت بناكل الخسارة (قال الراوى)

فلما سمع عمرو ذلك الكلام امتلا غيظا واشرار وما صدق ان يطلع النهار ويصبح الصباح حتى أرسل ذلك الرسول كما قد ذكرنا وخاطب الامير بما وصفنا عندها قال الامير عبد الوهاب للرسول يأخى عود الى عمرو وقل له يلزم ناموسه ويترك ذلك الامر ولايسلكه ولا يسمع تلك الاقوال وينطلى عليه المحال ولايترك الحق ويتبع الضلال فنحن قد ثبت عندنا كفر عقبة ولابد ما ننكبه فى نفسه نكبه واى نكبه وقل له يسلمه الينا حتى نقيم عليه الدليل قبل ان يصلب ويصير قتيل وروحه تسلب وهذا ما عندنا فلما ان سمع الرسول ذلك الجواب رجع واعلم عمرو وعقبة بجواب الرسالة ومابدوه من المقاله فقال عقبة يابن العم كنت انا من هذا فزعا عليك وقلت لك لا تخفض منزلتك بين الكبير والصغير وان الاماره لها شروط وان لم تقيم الهيبه والحرمه والاصار قدرك مهبوط قم ايها الامير انتخى نخوة العرب واركب فى سادات بنى سليم الى قلعة الكوكب واضرب فيمن حولها من السودان والعرب ولا تترك احدا يهرب حتى مايبقى فى الثغور الا أنت وحدك وانا آخذ لك منشور من الخليفه بأنك أمير الامراء من الكبير منهم والصغير وتبقى كبير الكبراء من حد الشام الى حد العراق وجميع الآفاق فلما سمع الامير عمرو كلام عقبه اللعين الغدار قام ركب من ساعته وتعمد الى قلعة الكوكب وترك السودان السيف يعمل فيهم ويضرب ولا ترك احدا يهرب الا وسقاه كاس العطب ولما ان رأى سملق الى ذلك صاح فى سودانه وميمون الجماس فى أقرانه وصاحوا يا آل عامر يا آل كلاب يالون الظلام فحملوا بأجمعهم على القوم وهم مكشوفين الرؤس ومكنوا من بنى سليم السيوف وسقوهم كاسات الحتوف ولولا سادات الاعراب ماتركوا منهم لاطفل ولا شاب وركبت الاميره ذات الهمه والامير عبد الوهاب سحب سيفه وأراد ان يبطش فيهم فتعلقت به الاميره وقالت ياولدى بالله عليك ترفق على نفسك ولا تعجل ولا تسفك دماء المسلمين واصبر على قليل وكانت بنو سليم لما وصلت طرحت السيف فى السودان قبل ماتركب واوردوهم موارد العطب لأجل ما فى قلوبهم من الاحقاد فقال عبد الوهاب يااميره كيف أتخلى عن سودانى حتى يخرجوا من تحت طاعتى فقالت يا ولدى اصبر قليل وتسأل الله ان يفصل بينهم بجميل فوقف الاميروهو مثل الاسد اذا هدر فبينما هم كذلك واذا بغبار من ناحية العراق قد ثار وكثر وزاد حتى طبق الآفاق وبعد ساعة انكشف الغبار وبان عن بيارق اسلاميه ورايات حنيفيه

واعلام عباسيه وجيوش يوحدون رب البريه وهى طالبة الى صوب ملطية ورجال ينادون من تحت الغبار ياويلكم كفوا عن الشر والقتال والعناد وعودوا الى طاعة خليفة الله فى البلاد فهذا الرشيد بالله القائم بحدود الله (قال الراوى) وكان هذا الرشيد هارون احسن بنى العباس خلقا واطيبهم خلقا وانما لما تولى الخلافة وجد توقيعا صحيحا بيد أخيه المهدى بالله بالوصية على عقبة القاضى بلاه الله بكل نكبة وان جميع ما يفعله ماض وتؤخذ جميع افعاله واحكامه بالقبول والرضا وان لا أحد يغير عليه ماهو فيه من القضاء وهو صاحب مكارم واحكام وعلوم وانه لايعزل عن القضاء طول الأيام فلما قرأ الرشيد ذلك التوقيع أحضر العلماء والقضاة وأهل الدين والزهد واليقين واشهدهم على نفسه ان عقبه قاضى قضاة الاسلام وهو نائبه فى بغداد وهو على حاله فى ملطيه مقيم وحكمه نافذ وامره سارى على جميع العباد (قال الراوى) وكان الرشيد اشجع بنى العباس وأقواهم قلبا وأوفرهم فهما واستوزر جعفر ابن يحي البرمكى والفضل ابن الربيع وأمر بجميع العساكر والاجناد وقال أنا أريد بنفسى ان أتولى الجهاد لان ابن عمى محمدا صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لاإله الا الله محمد رسول الله وانا لا بد ما ادخل بلاد الروم واحثهم على القتال حتى يزنو الجزيه والمال كما امر الملك المتعال فعندها جمع العساكر والاجناد وقامت الدنيا على ساق وقدم وسار الرشيد بعزم ونيه الى ان وصل الى ملطيه (وعدنا) الى سياق الحديث العجيب بعد الصلاة على النبي الحبيب ولما انكشف للفرسان الحال انكفوا عن القتال وترجلت الأمراء والرجال وكان اول من تقدم كان عقبه الغدار ابن مصعب اللعين المكار ولما تقرب من الامام قال السلام على الحضرة الشديدة العزة الحميدة السعيدة والسلالة الهاشميه والروح العلوية والطلعة البهيه أدام الله على الخافقين فضلك ونشر فى المشرقين والمغربين علم مجدك ورفع قدرك وأهلك ضدك واظهر فيه عدلك وعلا اسمك ولا زالت سيوفك فى رقاب الأعداء أجمع الأعداء بين يديك تخضع فانت الحجة الواضحة والشريعة الصالحة الناجحة وانوار أعلام النبوة عليك لائحة وأنت الباب الذى فى أعلى عليين مفتوح ونجم سعدك على جميع الناس يلوح ومازال الملعون ينشر من جواهر الكلام حتى تعجبت جميع الأنام فقال الامام للفضل بن الربيع من يكون هذا الرجل الفصيح اللسان القوى الجنان صاحب الكلام البديع فلا شك ان قدره رفيع فقال الربيع ياأمير المؤمنين هذا

القاضى عقبه فقربه الإمام وأدناه وأكرمه وأرضاه وحادثه وفى موكبه سراه وصاح الرشيد للفضل بن الربيع قل لهؤلاء القوم يركبون الخيول وأعرف هذه الفتنة المتحددة ومن سبب هذه ومن سل هذه السيوف الهندية فتقدم الفضل بن الربيع إلى بنى عامر وكلاب وبنى سليم وأمرهم أن يركبوا الخيول وسألهم عن سبب هذه الفتنة وما أصل هذه المحنة فتقدم الامير عمرو بن عبيد الله وقال اعلم أيها المولى أن هذا القاضى عقبة ابن عمنا واليه ترجع أحكامنا وهذه الفتنة من أجله والسبب فى ذلك انه ربى غلام وعلمه وأحسن اليه وعلمه فنون العلوم وكان عنده عزيز فحسده حتى قال انه تنصروا كل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير لأنه رباه ولما كبر وانتشا صار يحسد القاضى عقبة وقال فى حقه ماقال بما لا يرضاه مخلوق ولا يصبر عليه صغير ولا كبير ولا جليل ولا حقير ومن جملة ماقال أنه مضى الى القسطنطينيه ودخل إلى دين النصرانية وهو كان مع جماعة فى بيت الله الحرام وكسى الارامل والايتام ولما رآه عاد سالم التجأ إلى بنى عامر وكلاب فأرسلنا خلفه ننهاه عن ذلك الكلام الشنيع فى حق القاضى فحموه بنى عامر وذات الهمة وولدها عبد الوهاب فجرى بيننا الذى تراه (قال) ولما علم الفضل بن الربيع بذلك الأمر وعرف ما قال الأمير عمرو وعاد الى الرشيد وأعلمه بذلك الأمر فقال الرشيد هؤلاء القوم ما كان لهم خليفه ثم أنه نزل على نهر الدنول وجلس فى السرادق الأعظم ودارت به الغلمان والخدم والترك والديلم ودعا بعقبة اليه واجلسه الى جانبه ورفع شأنه وعلا مكانه فلما رأى البطال إلى ذلك وذات الهمة وعبد الوهاب وسمعوا ذلك الخطاب ما أحد منهم أبدا جواب وفى عاجل الحال أحضر الإمام مقدمين الاعراب من بنى سليم وبنى كلاب وأصلح بينهم ونهاهم عن العناد وقال أنتم فى أرض واحدة وما يصلح منكم الفساد وقال أنتم من الواجب عليكم أن تكونوا مثل الاهل وتتركون المكر والجهل وتتأهبوا للقتال والجهاد فى طاعة رب العباد ولا يعود أحد منكم يحاب مضرة أكون أنا خصمه وأهلكه فى كره وأما الشيخ عقبه يجب عليكم أن تكرموه لأجل علمه وما هو فيه من العلم وحسن الشيم والفضل والأدب والعمل وان كان تكلم البطال بكلام او نطق بحرف واحد وقال مقال الحاسد قطعت رأسه واخمدت أنفاسه فتأهبوا الآن إلى بلاد الروم حتى يؤدوا الجزية وهم صاغرين (قال) فقام القاضى عقبة بن مصعب على قدميه وأشار بيديه وقال يا أمير المؤمنين ان ابن عمك النبى المختار ما كان يطرق بلاد قوم الا بعد الإعذار والإنذار ومن الرأى الصائب أن مولانا يرسل إلى

الروم ويحذرهم وينذرهم فإن اجابوا والا فليقاتلهم ويحاربهم فقال الرشيد ان كلامك سديد يا أخى لأنك لا تتكلم الا من الكتاب والسنة ثم أمر الوزير جعفر أن يكتب الكتب بالتهديد والوعد والوعيد ويأمرهم بالجواب ففعل ذلك وأخذ الفضل بن الربيع الكتب وأرسلهم مع نجاب وأمرهم برد الجواب وأعطاهم للنجاب ومعه رجل كبير وجملة من الغلمان والدواب (قال الراوى) فهذا جرى ههنا اسمع ماجرى من القاضى عقبة المرتاب فإنه من يومه اختلى بنفسه وكتب الى ملك الروم يقول فيه كلمة كفرهم ونحن وأنتم نقول لا إله الا الله محمد رسول الله ﷺ أما بعد اياك ثم اياك ان تحرك ساكن او يلحقك توان فى حمل المال وتسرع به فى عاجل الحال فإن خليفة الإسلام فى تلك النوبة لا يقابل بمن معه من الجيش العظيم فارسل المال فى عاجل الحال ولا تندم فسوف أملكك البلاد بعد أن ارسل اليك الابطال وهم فى القيود والاصفاد واما القنديل فقد وجدته عندنا والذى سرقه ابو محمد البطال ولا بد أن أرسله اليكم فى القيود والاغلال فى عاجل الحال ثم ان عقبة طوى الكتاب وارسله مع بعض غلمانه وامره بسرعة العودة والجواب وأقام عقبة فى مجلس الخليفة وهو فى كل يوم يقرأ الآيات فى كتاب الله ويشرحها ويجيب عليها دلائل وبرهان ويتكلم فى الغوامض بكلام احسن من الجوهر والبطال كلما رأى ذلك يتحير ويقول فى نفسه لا بد لى من إعدام مهجته وبعد قليل اتت الأموال من ملك الروم وكان مالا جزيلا فلما رأى الرشيد ذلك فرح فرحا شديد وقرأ كتاب منويل واذا فيه بالسمع والطاعه وفى آخره يقول أيها الامير والملك الافخم والسلطان الأعظم ان الشرط بيننا على الهدنة والمصالحة على حفظ الدماء وصيانة الاموال وان ما أحد يسطو علينا منكم ولا أحد منا يسطو عليكم بسوء ابدا ونعلمك قد نشأ عندكم عيار يسمى ابا محمد البطال أتى الى ارضنا وعمل علينا حيله واتقن المكيده واخذ من كنيستنا قنديل من الجوهر ولا يقدر عليه احد من البشر لانه لا يقاوم عليه مال ولا نوال فلما سمع الرشيد ذلك ادعى بالأمير عبد الوهاب وقال له أين البطال قال يحضر ياامير المؤمنين ففى عاجل الحال مثل بين يديه وخدم ودعا بدوام العز والبقاء قال خلد الله ملك مولانا الامام الذى أنار الظلام فقال الرشيد يا ابا محمد اين القنديل الذى سمعت بخبره وارسل ملك الروم يقول أنه عندك وارسل يعاتبنا عليه من أجلك فقال يا أمير المؤمنين القنديل عندى ولا أعيد فيه ولا أبدى فقال الخليفة لماذا عندك فقال الأمير عبد الوهاب نحن أردنا أن نعلقه فى البيت الحرام ونطلب بذلك الثواب من الملك العلام فعند ذلك

قام القاضى عقبة من الجلسة قائما على الأقدام وقال وحق الملك العلام ما أردتم بذلك إلا افساخ الصلح والهدنة فقال الرشيد على به فقال البطال السمع والطاعة ومضى يأتى به من بيت الأمير عبد الوهاب فلم يجد له خبر ولا جلية فانقادت فى أعضائه النار فرجع وهو يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (قال) وكان عقبة لما مضى البطال ان يجيب القنديل قال للرشيد وحياة مولانا الساعة لم يجيبه إلا أنه يأتى ويقول أنه سرق لأنه عيار محتال وأنا أخبر به من كل انسان لأنى ربيته وأعرف صفته فقال ولا على كل الناس يا قاضى وحق اتصالى بحمزة وعقيل لئن أتى بلاه لأقتلنه وبينما هو وإياه فى الكلام وإذا بأبا محمد قد أتى لم يكن معه شىء وقد أيقن بالبلا فقال الرشيد أين القنديل يا أبا محمد فقال يا مولانا كان فى دار الأمير عبد الوهاب ولما طلبه مولانا رفيع الجناب طلبناه ما وجدناه فتبسم الرشيد تبسم الغيظ وقال على أنا الآخر يتم محالك والله لقد ذكر لى عقبة ذلك وأنت قو زادت فيه أطماعك وان حلفت فما تصدق فى إيمانك ثم سكت الرشيد ساعة وقال وحق آبائى الطاهرين الكرام واتصالى بالنبى عليه الصلاة وأتم السلام لئن لم تأتينى بالقنديل لآخذن رأسك من بين كتفيك فقال الأمير عبد الوهاب يا مولانا يحضر القنديل ويأتى بين به يديك بعد قليل ثم خرج ويده فى يد البطال وقد زاد بهما الانذهال وساروا إلى الدار وأقلبوها غاية الانقلاب فما وجدوا له أثر ولا وقعوا له على خبر فقال البطال للأمير عبد الوهاب لا شك أن عقبة أخذه والدليل على ذلك أنه قال للخليفة ما يأتى به وأنا والله ما بقيت أقع فى يد الخليفة فى ذلك النهار حتى يزول غضبه ويرضى على ثم أن البطال غطس فى بحر الافكار ودخل إلى بعض الاماكن ورجع الأمير إلى الرشيد فوجد عقبة قد ملأ قلب الامام غيظا وحنقا فقال يا مولانا القنديل عدم وأنا وحق الله الذى لا إله إلا هو ولا معبود سواه كان القنديل عندى فى دارى ولما طلبه مولانا أقلبنا عليه الأرض فما وجدناه ولا وقعنا له على أثر من منذ ثلاثة أيام فقال الرشيد وأين البطال فقال الأمير يا مولانا من الخوف أوسع فى الهرب من قدام الملوك طاعة ولا تدعه هيبة مولانا يحضر إلا بالغرض وقد مضى يفتش فى أشغاله وينهض والمطلوب لمولانا يحضر بين يديك بعد ما أعدم وعليه الأمان فشد الرشيد فى طلبه فما وجده وقد خفى وكان هرب فى بعض الاماكن لأنه خبير بكل أرض ولما ايس منه عبد الوهاب أعلم الرشيد فاغتاظ غيظا شديد وناله أمر جسيم وقام وقعد وارغا وازبدوا برق وارعد ولم تزل الوزراء والنواب وعبد الوهاب مع الرشيد حتى سكن روعه وغيظه الذى

هو فيه فقال عبد الوهاب أمهلني فى هذه الأشغال حتى آتيك بالقنديل والبطال ولو تعلق فى السماء ولعله قد سار فى طلبه وطلب اللص الذى قد أخذه وسوف يحضروا الكل بين يديك يامولانا من غير تطويل فقال الرشيد قد أمهلتك سبعة أيام فقال الأمير لاسبعة ولا عشرة وحق المصطفى ما تقع يدى عليه إلا وقدأحضرته بين يديك ولعل بسعادة مولانا يأتى والقنديل معه ونأتى اليك ثم أقام الرشيد بعد ذلك سبعة أيام وهو على مقالى النار ولم تظهر لأبى محمد أخبار ولا وقع له أحد على آثار وبعد ذلك أمر الرشيد بالرحيل إلى بغداد وقال لعبد الوهاب والأمير عمرو أى وقت وقع البطال أرسلوه إلى فى الاعتقال فقالوا سمعا وطاعة ثم رحل الرشيد وعقبة صحبته وودعوه الأمراء ورجعوا وهو سائر طالب العراق (قال) وكان لعدم القنديل سبب عجيب نحب أن نسوقه على الترتيب حتى ان المستمع يلذ ويطيب بعد أن نصلى على النبى الحبيب وذلك ان الملعون عقبة وهو الذى دبر ذلك التدبير ورتب تلك الحيلة وجعلها لأخذ القنديل وسيله وذلك انه كان له جاريه من جواره وعلمها الخط بالأقلام والحساب والغناء وجميع الآداب وسائر الأشياء التى تصلح وكان يقول فى نفسه أنه يقتل بها بعض الخلفاء اذا ألجأه الأمر الى ذلك فلما حصلت تلك الكائنه قال مالهذا الأمر الاهذه الجارية وكانت تسمى نرجس وكانت تحب مصعب بن عقبة فقال لها عقبة تريدى ان أزوجك بولدى وتصيرى أحظى من عندى فقالت وتريدمنى فقال تأخذى لى القنديل الذى عندعبدالوهاب فقالت يا سيدى وأين الوصول اليه وهو من خلف الأبواب وعليه الأقفال فقال لها أنا أعطيكى للدلال وآمره أن يبعك ولا يبيعك الا لعبد الوهاب فاذا هو اشتراكى وشاهد أعطافك فلا بد ان تصيرى عنده أحظى الناس ولا بد ان يسلم اليك امواله وذخائره وما تحتويه يده فاذا صرتى عنده فى تلك المرتبة أرسل اليكى عجوزكبيره فتأخذى القنديل وتجعليه فى طشت وغطيه بشيء من القماش وسلميه اليها وهى توصله الى وبعد ذلك اظهرى الجنون فيردكى الى الدلال ويأتى بكى الى وانا بعد ذلك أزوجك لولدى وتبقى أعز الناس عندى فقالت حبا وكرامة ثم أرسل الى دلال من بعض الدلالين وقال له بيع هذه الجارية ولاتقول انها من عندى فقال سمعا وطاعة وأخذ الجارية ونادى عليها وعرضها على الأمراء واصحاب الأقدار وايضا عرضها على الأمير عبد الوهاب فنظر فى محاسنها ودلالها فاشتراها بخمسمائة دينار ولما صارت عنده ونظر الى جمالها وكمالها وعطفها الرجيح فجعلها خازنه ويسلمها المفاتيح وجميع الأموال فلما صارت حاكمة على الذخائر

وبقيت عنده الى ان جرت هذه الفتنة بين بنى عامر وبنى سليم وحضر الرشيد ففى تلك الأيام تم لها ما تريد ووصلت لها العجوز وكانت حصلت القنديل كما علمها عقبة وجعلته فى طشت وغطته بشيء من القماش وسلمته الى العجوز فاخذته وخرجت وتم لها ما تريد ولما صار القنديل فى يد عقبة بلغ ما يريد وجعله فى حق والحق فى صندوق وانزلهم فى سرداب واطبق عليهم طابق من الرخام ثم ان الجارية اقامت بعد ذلك ثلاثة أيام وأظهرت الجنون وصارت تتكلم بكلام قبيح وتفرش طرحتها وتبول عليها وتشتم الناس وتلعن والديها وتخرق اثوابها وزاد مصابها فاعلموا بذلك الأمير عبد الوهاب فأرسل خلف الدلال وامره ان يردها على صاحبها فأخذها الدلال وردها الى عقبة وتمت الحيله ووصل الرشيد الى ملطيه كما ذكرنا واشتغل عنها عقبة بالرشيد وطلب ايضا القنديل والبطال فلم يجدهم وهرب البطال وهو فى ملطية مختفى كما ذكرنا وتوجه الامام الى أرض العراق ومعه عقبة يسامره ثم بعد ذلك خرج البطال من المكان الذى كان مختفى فيه وأتى الى عبد الوهاب سرا وقال يا أمير ما تعلمنى بهذا وتخبرنى ان كان حدث عندك حادث ودخلت اليك امرأة غريبة فهو سبب تلك المصيبه فلما سمع الأمير عبد الوهاب كلام البطال تذكر فى ذلك الوقت الجاريه التى اشتراها فقال مادخل الى عندنا الا الجارية التى كنت اشتريتها ومادخل غيرها وأعلمه بماجرى لها وما أصابها وكيف أمن اليها وسلمها المفاتيح وجعلها أمينة على الجواهر واللؤلؤ فقال البطال وحق النبي المنتخب ان كان هذا الا شغل عقبة الغدار وان هذه الصفة صفة جاريته لا أعقبه الله خير وساط عليه كل هم وضير ولا دبر هذا التدبير الا هو وهو الذى علم الجارية سرقة القنديل وقال لها اذا تم لكى ما اريد اظهرى الجنون حتى انها ترجع اليه ولا يكون فى تجارته مغبون فاذا خرج عن الاثنين ما أكون أنا البطال بن الحصين ثم أنه جعل يقصد دار عقبة مرة بعد مرة وهو يدبر الحيل فى موضع يصعد منه الى دار عقبه فما وجد لذلك سبيلا الى ان كان فى بعض الليالى تسلق فى موضع احتكره ونزل الى دار عقبه وأخذ حذره ونظر فى الدار واذا هو بطاقة فتحت منها جارية وقالت من اين أتيت فى ظلام الليل أيها اللص فقال لها البطال أنا حقيق اللص المحتال أبو محمد البطال وأنت أخبر بى من كل الناس وماأعمل من الأعمال فقالت له وفيماذا أتيت ياصاحب التفضيل فقال لها جئت فى طلب القنديل وأنا أطلب من أنعامك وفضلك واحسانك الى تقضى لى حاجتى وتبلغينى أمنيتى حتى أعزك أنا الآخر باقى عمرى فقالت الجارية

وحياتك يا أبا محمد ما أنا الا فى انتظارك فاقصد الباب واسمع منى ما أبدى لك من الخطاب فأتى البطال الى تلك الطبقة واذا بها قد فتحت الباب وقالت يا بطال أنا نرجس التى كنت عند الأمير عبدالوهاب الأمير النجيب وأنا التى دبرت على أخذ القنديل وكان عقبة قد وعدنى بوعد ولم يوف بقوله ولم يبلغ قلبى مأموله وانه لما أخذ القنديل جعله فى حق والحق فى صندوق وجعلهم تحت ذلك الطابق المطبوق فامض اليه وخذ منه حاجتك فانها فيه وقد وصلت الى أمنيتك واعمل معى بعد مروءتك فى ردى الى مولاى الأمير عبد الوهاب فخاف البطال أن تكون حيلة وتبلغ بها عند عقبة الوسيلة وتكون عليه ليلة طويلة فقال لها يا نرجس أنا محتال الشرق والغرب ولى فى اللصوصية أوفى قسم وقد غلبت كثير من الناس وانتى تريدى ان تغلبينى فقالت لا وحق الفضيل محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ومن هو صفوة الملك الجليل ليس الأمر كما خطر ببالك الا أننى لما رأيت حرقتك وشغل قلبك بما قد جئت فيه ولا بقى لى نية فيه وأريد أن أشغل قلبه كما اشغل قلبى وزاد على همى وغمى وجعلنى فى هذا الليل فى كربى وغمى وان كنت فى شك من قولى ها أنت أخبر الناس من كل أحد بدار عقبة وها أنا بين يديك أوثقنى كتاف وادخل أنت واقضى حاجتك كرامة لخاطرى وخاطر الأمير عبد الوهاب الذى كنت عنده أعز الخدم والأصحاب وأنا دليتك على الموضع بحسن الطوية فاذهب اليه وابلغ الامنيه وقد نصحتك وحق دين الحنيفية ومحمد خير البرية فعند ذلك علم البطال ان كلامها حق ونطقها صدق فدخل الى الدار وهى معه وأورته الطابق فشاله ودخل فيه واخرج الصندوق واذا فيه أربعة أكياس كل كيس فيه ألف دينار كانوا لعقبة الغدار فأخذهم البطال وأراد ان يعطى للجارية شيء من المال فقالت له أنا مالى حاجة بمال ولا نوال بل اشتهى منك ان تردنى الى خدمه الأمير عبدالوهاب فأخذها وأخذ المال وقد خرج من الدار وقد بلغ ما يتمناه وما يختار وأتى الى الأمير عبدالوهاب وأعلمه بالخبر وان الجاريه كانت لعقبة وما باعها الا أنه دبر الحيلة فى أخذ القنديل وها أنا قد أخذته وأخذت أربعة أكياس كل كيس فيه الف دينار حق طريقى واوقعت عقبة فى بحر ماله قرار (قال) فتقدمت الجارية وقبلت يد الأمير عبدالوهاب واعتذرت اليه فقبل عذرها وتركها بين جواريه ولم يعلم عقبة ما ناله (أما البطال) فانه ودع الأمير والاميره والرجال والأصحاب وأخذ القنديل وعول على الرحيل وصار يقطع الآفاق حتى وصل الى أرض العراق ودار السلام بغداد وطلب الى دار الخليفه وأمن

من كل خيفة فاول من التقاه كان القاضى عقبة فقال له يا شيطان تتكلم قدام الخليفة بالزور والكذب والمحال فقال يا قاضى قد عدم القنديل وفتشت عليه فما وجدته وقاسيت من أجله كل أمر جسيم فقال عقبة ومع هذه الغيبة وتدويرك الأقاليم ما وقعت به ولا بمن أخذه وان كان الأمر كذلك فانا أنصحك لا تدخل على الخليفة فيحل بك العذاب الأليم فقال البطال ها إنا متوكل على الله ومهما قضاه امضاه وما للعبد مفر من حكم مولاه فتقدم القاضى عقبة الى البطال كانه يصالحه وقال له يا قرد لوادرت عليه مشارق الارض ومغاربها ما تقع له على خبر وهو معلق على كنيسة سوفيا وسوف يظهر خبره وقد حلف الامير عبد الوهاب أنه سرق من داره ولم يعلم له خبر فعند ذلك سمع البطال من عقبة ذلك المقال قال له يا شيخ الفسقة والزنادقة ما حل لك تصل الى هذه الطبقة وأما عبد الوهاب فان يمينه صادق غير كذاب وأما القنديل فقد وقع فى يد من هو أسرق منك وأمكر وأحيل من الذى سرقه وقد أخذه وتمت القضية وأخذ نرجس البهية الانوار وأخذ معها أربعة آلاف دينار فلما سمع عقبة ذلك من ابو محمد البطال ارتعدت فرائصه وانخفض علوه ودهش لبه وأخذته الحمة الباردة وقال فى نفسه ان كان صادق فى قوله فما هو الا شيطان فى صورة انسان وسوف يجرى لى معه أمور عجيبة وتكون أعجوبة الى آخر الزمان ثم سبقه وجلس عند الخليفة قريب من السدة بعد ما سلم فما استقر به الجلوس واذا بالخادم يستأذن على البطال فى الدخول فقال الخليفه على به فلما دخل خدم وسلم وللأرض قبل ودعا له بدوام العز والنعم فقال الخليفة أين القنديل الذى فقدته فما وجدته فسرت فى طلبه فما عدت به أو عرفت الذى سرقة بعد طول هذه الغيبة فقال البطال أنا عرفت الذى سرقه وها أنا بسعادتك قد احضرته فقال الرشيد على به فاخرجه البطال وقدمه بين يديه فما زال الخليفة ينظر فى جواهره وهو فيه باهت لأنه من جوهر شفاف مركب فى ذهب أحمر فتعجب من صناعته لأنه من العجب وبعد ان تأمل فيه ناوله للخازن وقال له احتفظ عليه الى أيام الموسم نأخذه ونجعله على البيت الحرام والا نجعله على قبر المظلل بالغمام (قال الراوى) فهذا ما جرى ههنا اسمع أنت ما جرى من القاضى عقبة لانه لما رأى القنديل فى يد الخليفة علم ان الامر قد تم عليه وان الجارية راحت والاربعة آلاف دينار التى كانت فى الدار فأتى الى ناحية البطال وأخذه بعيد من الناس وقال له يا أخى كيف كان الامر فقد كويت قلبى وتركتنى ميت فى صفة حى

فتبسم أبا محمد البطال من كلامه وأخبره بالحديث على كماله فقال له يا ولدى أعطينى الأربعة آلاف دينار ولا يسمع أحد ولا يرى ولا يدرى (قال الراوى) ثم قال البطال وحق صاحب العظمة والقدرة ما بقيت تنظر من الأربعة آلاف دينار ولا درهم ولا غيره فذوب كمدا وحسرة وان كنت تموت موت ودع تنفطر مرارتك وتذوب بحسرتك ثم زاد بينهم الحديث فقال الخليفة للقاضى مالى أراك مع أبا محمد البطال فى حديث طويل من حين أتى بالقنديل فقال عقبة للبطال انصفنى من نفسك وإلا ادعى عليك دعوة قدام أمير المؤمنين فقال له البطال أى معاملة بينى وبينك تدعى بها وأى دين لك على تطالبنى به فقال الخليفة ايش القضية فقال عقبة يا أمير المؤمنين استحق بذمة ولدى البطال أربعة آلاف دينار اقرضته إياها وقد أنكرنى فيها فقال الرشيد هل معك بينة تشهد عليه قال يا مولانا ولى عليه دعوة أخرى وأراد ان يتكلم واذا بخادم تقدم من الخليفة أتاه من عند الست زبيده بنت القاسم فتركهم وانتهى الى القصر فقال عقبه ويلك يا بطال هذه حق التربية عليك تسرق القنديل وتأخذ مالى وتحسرنى على جاريتى (قال) وكثر بينهم الكلام والخصام فقام البطال وخلع فردة خف قديم ونزل بها على قفاه حتى أعماه وأورم قفاه ولم يكن عندهم أحد حاضر غير شخص واحد كان أبغض الخلق فى عقبه الجاحد الفاجر ويحب أبا محمد البطال الزاهد المجاهد الفاضل العابد فدخلت الخدم وفرقوا بينهما ونهوهما عن الخصام ولما عاد الرشيد من عند زبيدة وسمع بقصتهما أحضرهما بين يديه وأعطى لعقبة أربعة آلاف دينار من ماله وصح المال لأبى محمد البطال ثم ان الرشيد قال بالله يا أبا محمد من سرق القنديل قال يا مولانا سرقه بعض اللصوص الذى يتشبهون لى فى شغلى فقال عقبة يامولانا ما سرقه غيره وما كان قصده إلا ان يكسره ويبيعه للجوهريين فقال ياقاضى ما يكفيك منى السكوت فقال عقبة يا مولاى لولا أنى عندك فى العراق لكان يقول أنا الذى سرقته كما كذب على وقال تنصرت وأنا كنت فى بيت الله الحرام فقال الرشيد حاشاك ياقاضى من ذلك الكلام ثم أنه أصلح بينه وبين أبا محمد البطال وأبا محمد ساكت على مضض إلا أنه فرحان بما وصل اليه وأما عقبة فانه تفتت كبده من الغيظ وزادت حسرته من شدة الحسد وصار يعمل على القنديل وأخذ بكل سبب (قال) ومضى على هذا الحديث مدة من الزمان وسافر أبا محمد الى ملطيه بعد ما خلع عليه الرشيد وأكثر العطية (قال) ومن الأمر العجيب ان زبيدة رأت للرشيد مناما أراعها ثم أنه لحقه مرض شديد

وعافاه الله منه وكانت زبيدة قد نذرت نذورا كثيرة ومن جملتها اطلاق المحابيس فلما عوفى الرشيد قال للقاضى يا قاضى اعلم أنه جرى من الأمر ما هو كذا وكذا فلما سمع عقبة ذلك الكلام بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وأجرى الدموع الغزار وقرأ قوله تعالى يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ولما فرغ من قراءة الآية أمره الرشيد ان يمضى الى السجن ويطلق المحابيس ففعل ذلك وصار يطلق المحابيس واحد بعد واحد حتى لم يبق فى السجن أحد فقال عقبة للسجان هل بقى عندك أحد فقال يا مولاى عندى واحد من الجبابرة الكبار وهو عيار مكار غدار لا يصطلى له بنار وهو للناس ألهب ويسمى الباز الأشهب يسرق الكحل من العين نقاب فوقانى ويتعلق تحتانى ويأخذ أموال الناس غصبا وينهبهم نهبا فقال عقبة للسجان أخرجه فقال ما أقدر أيها القاضى على ذلك فقال له لماذا فقال لأن مولانا السلطان أمير المؤمنين قد أوصانى عليه ولا أقدر أخرجه إلا باذنه فعاد عقبة واعلم زبيدة بذلك وقال مايسوى ماعملتيه شيء لأننا قد أخرجنا الذين كانوا فى السجن وما بقى إلا شيخ كبير وهو رجل فانى عريان جائع الكبد وهو أمر ما يرضى أحد وأردت ان اطلقه من وثاقه ما رضى السجان بل ضيق على خناقه وأنا والله خائف على أمير المؤمنين ان يدعى عليه هذا الرجل دعوه فى غسق الليل وداجى الظلام فقالت زبيدة لما سمعت ذلك الكلام هذا والله الجور فى ملة الاسلام وقامت ودخلت على الخليفة وسألته فى الباز الأشهب فقال لها لا سبيل الى خروجه لأنه ان خرج ما بقى لأحد قرار ولا مقام ولا يلتذ أحدا بمنام ولا بطعام فقالت يا أمير المؤمنين وكم جهد هذا ان يفعل وقد بقى شيخ كبير وهو معتقل ولم يبق له نهوض ولعله يكون قد تاب ورجع عن هذه الأمور الصعاب وقد تاب عن ما كان عليه لكبر سنه ولم تزل زبيدة تراود الخليفة وهو معرض عنها وهى تلح عليه الى ان أمر بخروجه فأخذت ختام الملك وأعطته للقاضى عقبة وقالت له يا قاضى خذ هذا الختام وامضى به الى السجان ودعه يخرج الباز الأشهب فعند ذلك خرج القاضى عقبة وأتى الى السجان وأرمى له خاتم الرشيد فلم يمكنه المخالفة ثم ان عقبة أقبل مع السجان الى المطموره ودلى له حبل وقال له قم يا باز اصعد فقد آن أوان خروجك يا آفة على عباد الله فطلع من تلك المطموره رجل قد طالت أظافره وحاجبيه وقد نزل شعره على عينيه والوسخ قد علاه والقمل والذل اعتراه

وعيناه تدور فى رأسه كأنهما كوكبان ولما خرج هم بقتل السجان فأخذه عقبـــة فى حضنه وخرج وسلمه الى الغلمان وقال لهم امضوا به الى الدار واحتفظوا عليـه الى ان أعود اليكم ثم أنه عاد الى الرشيد وزبيده وكان يدخل عليهما بلا استئذان وقال أيها السيدة لو رأيتيه لرحمتيه وجرت دمعتك عليه لما هو فيه فاعطت له شىء من المال وقالت له يا قاضى خذ هذا واكسيه ببعضه واعطيه الباقى ردعـه يخرج من البلد الى حال سبيله فخرج من عندها ومضى الى داره فوجد الغلمان فى انتظاره والباز الأشهب معهم فقال عقبة أيها الشيخ أتعرفنى قال لا فقال له انا القاضى عقبـة قاضى المسلمين وقد سعيت فى خلاصك من سجن أمير المؤمنين ولى اليك حاجة واريد منك أن تقضيها لى ولك على فيها خمسمائة دينار من مالى ويكون لك على اليد البيضـاء ما أظلم الظلام وأضـــاء النهار فقال انى والله أقضيها لك يا مولانا ولو تكون فى خزانة السلطان أمير المؤمنين أتيتك بها ولو كانت الجن والشياطين تحرسها فقال عقبة اعلم يا أخى انى رجل مؤمن مسلم أقر لله بالوحدانيه ولمحمد بالرسالة ولى رجل صاحب فى بلادالروم وهو لى صديق وخل ورفيق وهو يهادينى بالتحف والدنانير وأنا الآخر كذلك أهاديه وان كانت له حاجة سارعت اليها ولو كان فيها اتلاف روحى لما له على من الاحسان المتدارك وأناله عونا له فى بلاد الأسلام أطالعه بالاخبار على التمام وجملة الأمر انه كان له فى كنيسة سوفيا قنديل وذلك القنديل يساوى ملك كسرى وقيصر فسلط عليه الرشيد أبا محمد البطال العيار المحتال فسرقه وجاء به اليه وتركه فى خزانة الجوهر وغرضى ان تأخذه من خزانة الجوهر وتأتينى به فان كنت تقدر على ذلك والا اكتمه عنى فقال الأشهب وهذه حاجتك لاغير قال نعم فوثب من بين يديه وعمد الى مكان فى ظاهر بغداد وحفر حفيره وأخرج منها عدة كانت له فيها مخبيه من قديم الزمان وهى منقبين وسلم تسليق ومعول وعقله وصدره لباد وكلما يحتاج إليه ثم انه لبس الصدره اللباد وقصد الى دار الخليفه وأتى الى جانب البدنه التى على بيت المال وخزانة الجوهر وأخرج مخلاة العده ورفعها بين يديه وأخرج السلم وفكه على يديه ورمى به فى الهوى فتعلقت الـكلاليب ودق السكك من أسفله بعد ما هزه فرآه قوى وحط رجله فيه بعد ما لبس الـكفين فكان أسفل بقى أعلى المكان ونزل من أعلى المكان صار فى القصر ومشى الى ان أتى الى خزانه الجوهر ثم أخرج العقله ونقب ففتح نقب يسع الجمل الـكبير وعبر الى الصناديق وجعل يفتح واحد بعد واحد الى ان أتى الى صندوق وفتحه فوجد القنديل

فيه فى صفط من أديم محلى بالذهب الأحمر ففكه وفتحه واذا بالقنديل من داخله وثلاث ستور من الحرير فأخذ الصفط وعاد على أثره خارجا واذا بخادم الخزنه نائم على الباب ففتح عينيه فرأى الباز الأشهب واذا به رجل طويل ورأسه مكشوفه وكانت ليلة مقمره فلما رآه الخادم تغير لونه واضطرب كونه وقال بسم الله الرحمن الرحيم ياعمار هذه الدار لاتؤذونا ولا نؤذيكم فلما سمع الباز الاشهب كلامه علم انه فزع من الجن العمار فسار حتى وصل اليه وبرك على صدره ونفش لحيته على وجهه فغشى على الخادم فكتفه وسد فمه وتركه ورجع الى موضع طلع منه ونزل وقلع السلم وأتى الى دار القاضى عقبه فلما رآه قام قائما على الأقدام وهناه بالسلامه فوضع الباز الاشهب الصفط بين يديه ففتحه فرأى القنديل بالستور فبهت عقبه الى تلك الاعمال وحار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح ثم أخرج له ثلاثة اكياس من الذهب الأحمر تلتهب وسلمها الى الباز الأشهب فلمااخذها عول على الخروج فقال له القاضى عقبه يا أخى من الواجب ان لاتخرج من عندى وما أكلت طعامى فامر بقدوم مائدة من الطعام وقال له كل على سبيل الأكرام (قال الراوى) فلم يأكل الا لقمة واحدة واراد ان ياخذ الثانيه واذا بالحمه وقعت فى عظمه فمات فى وقته فوثب عقبه وغلمانه وأرموه فى سرداب كان فى داره وخفيت آثاره وأخذ القنديل عقبه وجعله فى مزود لطيف طايفى وحط الثلاث عقود وأوثقه وأحكمه وكتب كتاب الى ملك الروم يذكر فيه ما قد صنع وقال لولده مصعب ياولدى خذ هذا القنديل معك وهذا الكتاب صحبتك واسرع به الى القسطنطينيه وادخل على ملك الروم وسلمهم اليه من يدك الى يده فقال السمع والطاعه وشد الجميع على بغل كما يعرف واركبه بعد ما ودعه والى بعض الطرق شيعه وسار مصعب الى القسطنطينيه ولم يزل سائر ليل نهار حتى وصل اليها واستأذن على الملك فى الدخول عليه فاذن له فدخل والارض قبل ففرح به الملك وأدناه وقربه وحياه وسأله عن احوال أبيه الشيخ النجيح فاخرج اليه الكتاب فلماقرأه وقع مغشى عليه من الفرح ولما أفاق قال له واين القنديل والستور فأخرجهم فلما رآهم فرح فرحا شديد ماعليه من مزيد وقال وحق المسيح ما فى الوجود مثل الشيخ النجيح ثم انه جهز مصعب بعد ما خلع عليه وأحسن اليه ففرح بما أعطاه (قال الراوى) هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من الرشيد فأنه لما أصبح الله بالصباح وقع الصوت بعدم القنديل والستور فعظم ذلك عليه وكبر لديه وأحضر أرباب دولته وقال لهم ماعندكم من الرأى فقال الوزير جعفر يامولاى ما فى الامر الا انك تكتب كتاب الى ملطيه الى عبد الوهاب والأميره

ذات الهمه تأمرهم ان يرسلوا اليك أبا محمد البطال أو يرسلوه الى القسطنطينيه فان ما يكشف خبره غيره فلما سمع ذلك انكشف عن قلب الرشيد الهموم والغموم وأمر ان يكتب كتاب الى الأمير والأميره بما ذكرنا ففى ذلك الوقت كتبوا الكتاب وأرسلوه مع نجاب فأخذه وسار الى ان وصل الى الامير عبدالوهاب والأميره ذات الهمة فلما وقفوا عليه أحضروا الأمير ابو محمد البطال وأوقفوه على تلك الأهوال فقالت الأميره ما تقول يا ابا محمد فى تلك القصة فقال لها وماذا اقول ومالى الا ان اسير واتوكل على اللطيف الخبير فو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهاده وهو الرحمن الرحيم ان كانت هذه النصبه الا من القاضى عقبه ولا بد لى ان أسير فى طلبه ولا ادع عقبه يبلغ امله فجهز روحه وسار وكان عقبه قد سمع بتلك الأخبار فكتب الى ولده حصيصه كتاب يذكر فيه ساعة خروج البطال من ملطية فسافر وراه والكتاب الذى أرسله اليك تأخذه وتسير إلى القسطنطينية وتسلمه للملك وقل له هذا الكتاب من عقبة يسلم عليك والملعون كاتب له فيه يعلمه بما جرى فى بغداد ويحرصه على نفسه وعلى تغييب القنديل عن أعين الناس وعن عين البطال لأن البطال واصل إلى تلك الديار فلما وصل الكتاب كان حصيصه من حرصه سار قبل البطال بأيام يقطع القفار وأبامحمد سائر يقطع البرارى والسهول والأوعار وهو يوصل سير الليل بسير النهار ليوم من بعض الأيام وصل إلى دير عالى البناء واسع الفناء ففرح البطال بذلك الدير حين رآه وتقدم اليه وطرق الباب فطل راهب اليه من ذلك الدير وقال له من الطارق فقال عابر سبيل من عباد المسيح أمرت بالسياحة فلما وصلت إلى هذه الساحة أتيت اليك لأجل التبرك بك وبديرك فنزل له الراهب وقال له ادخل يا بطال يا كثير المكر والاحتيال حاشاك أن تكون عابد المسيح فقال له وكيف فقال له اعلم انى صديق مارس ودارس وكلما أتوا عندى يوصونى عليك لأنهما أسلما على يديك بأمارة كذا وكذا وأنا أشهد أن لا إله الا الله محمد رسول الله فطاب قلب البطال وتقدم اليه وقبله بين عينيه فقال له الراهب يا مولاى لو كنت تقدر على ما اقول لك عليه لكان فيه الصلاح فقال وما هو يا أخى فقال اعلم أن وراء هذا الجبل حصن منيع عالى وفيه جارية اسمها مارية وفيه أموال كثيرة فلو قدرت عليها بحيلة أو توصلت اليها بمكيدة كنت تنال منها منال عظيم مع مساعدتى لك فإن الستور والقنديل فاتوك والمثل يقول أين البادى من الغادى ولو أنك تطير مع الأطيار ما بقيت تلحق له آثار فقال البطال للراهب سوف أوريك ما أفعل

وما توفيقى الا بالله ومع ذلك فوالله لقد أطلقت فى قلبي نيران من اجل هذه الجارية التى وصفتها لى وإنى ان اشتغلت بها فاتنى القنديل والستور ولكن فى الرجعة إن شاء الله تعالى أعود اليـــك وأوريك ما تقر به عينيك ثم ودع الراهب وسار طالب القسطنطينية وهو يسير الليل ويكمن بالنهار (هذا) وحصيصه سبق البطال ودخل على ملك الروم وسلم له الكتاب وأعلمه بما أوصاه أباه وأمره أن يحترز من البطال فلما سمع الملك ذلك خاف على الستور والقنديل من البطال أن يدبر عليهم ويأخذهم بالاحتيال فأمر أن يجعلوهم فى الخزنة من داخل قصره ويرموا عليهم أقفال كبار فقال له الحاجب أيها الملك إذا أنت شلتهم فبأى شيء تفتخر على ملوك الأرض فى طولها والعرض فالصواب أنك تعلقهم فى الكنيسة كما كانوا فقال اخاف يرجعوا كما رجعوا أول ويروحوا فقال مارس ومن يأخذهما فقال الملك يأخذهم اللص المحتال أبا محمد البطال لأنه بدعت له الحيلة علينا ويصل بعيارته الينا فقال له الوزير أيها الملك المسيح ينقذنا منه ومن شره ومكره ولكن الرأى عندى أن تعلقهم على رأسك فى مجلسك لأن هذا المكان لايصل اليه إنسان لا من الإنس ولا من الجان فقال الملك هذا هو الصواب ثم أمر الفراشين فجعلوا الستور فى مجلسه والقنديل على رأسه فوق السرير موضع مايدخلو للسلام عليه ويقبلون الأرض بين يديه (فهذا ماجرى لملك الروم) اسمع أنت ماجرى من أبى محمد البطال رضى الله عنه فإنه لما ودع الراهب كما ذكرنا وسار الى بلاد الروم من أجل القنديل والستور فلقيه قوم من الروم فى ظلمة الديجور فسلم عليهم وسلموا عليه وسألهم عن طريقهم فقالوا نحن من القسطنطينية فقال لهم وكيف تركتم البلد وأهله فقالوا وحق المسيح ماهى إلا طيبة إلا أن الملك أوثق الأبواب بالرجال وأوصاهم عليها ونادى بالحرس فقال البطال ولم ذاك فقالوا لأجل محتال يقال له البطال وهو من أجله قد طرد الغريب وأبعد كل محب عن حبيبه وقبضوا على كل غريب ولم يدعوا من راهب يدخل عندهم الا ان أن له عندهم سند فإن كنت طالب البلد وأنت غريب فارجع من قريب فقال البطال ما أنا غريب أنا رجل قريب وودعهم وسار وهو متوكل على الملك الجبار فوجد جماعة من الثغور فاختلط بهم وتزيا بزيهم وعبر بجملتهم فلم ينكروه ولا سأل أحداً عنه ولا فتشوه ثم أنه سار الى بعض الكنايس واجتمع براهب كان بينه وبينه أنس من زمان فلما دخل عليه سلم عليه فرد عليه السلام ورحب به ولما ان كان

ثانى ليله ودعه وسار من عنده إلى أن دخل إلى بيت مارس وسلم ففرح به فرحا شديداً وسأله كيف كان سبب قدومه فأخبره بالستور والقنديل وما جرى عليهم من الأمور فقال مارس يا أخى تغر بروحك وتحملها على الأهوال وترميها فى البلاء والنكال فقال ما بقى بعد هذه النوبة لاشر ولا ضرر فقال له مالك وصول الى القنديل والستور إلا ان كنت طير تطير مع الطيور وتقعد مع العقبان والنسور فربما ذاك الوقت تقدر على القنديل والستور فقال البطال ماأعرف ماتقول ولكن أريد أن تشاركنى فى تلك النوبة وتساعدنى فى هذه المرة فقال حباً وكرامة ولو ذهبت روحى بسببك ياأخى ما كان الملك معول إلا على دخولهم الى خزنة الجوهر وأنا الذى أشرت عليه أن يعلقه فى مجلسه على رأسه (قال الراوى) وكان للحاجب أخت كما ذكرنا سابقاً وكانت بدار الملك كما وصفنا وكانا مؤتلفان عليها ولا يقدران على فراقها وكانوا ينادونها الست ارمانوسه لكونها وافقتهم على الاسلام فلأجل ذلك كانوا يعزونها ويوقرونها فأرسل لها مارس أخيها فأتت اليه فأعلمها بوصول أبا محمد البطال فقامت اليــــه وسلمت عليه فقال لها أخوها اعلمى أيتها الملكة ان أبا محمد أخينا فى الاسلام وانتى تعلمى محبتنا له وقد أتى من بلاد الاسلام فى طلب حاجته ولم نعلم قضاها إلا منك فقالت يا أخى وما تكون الحاجة فوحق من هدانى إلى دين الاسلام وعرفنى الحلال من الحرام وجعلنى من أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لو أن حاجته التى يطلبها حدقة الملك التى بين جبينه قدرت بعون الله أوصلها اليه (قال الراوى) فلما سمع البطال كلامها قال لها أيتها الاخت المحفوظة جئت فى طلب القنديل والستور كيف يكون فيهم التدبير حتى آخذهما فقال مارس لاخته ان من الواجب علينا مساعدة أخينا فى كل الأمور فقالت أختـه سلمه أنت إلى ولا تعرفه إلا منى فقال سلمته اليكى واتكلت فى أمره على الله ثم عليكى فعند ذلك أخذته الست أرمانوسه وزيرته فى زى النسوان وأدخلته القصر ولم يزل عنـدها إلى المساء فلما جن الليل وأرخى على الآفاق طنبا وذيل قام البطال ولبس اللبس الذى يعتـــد به إلى هذه الأشغال ثم لبس على رأسه زرساتة من الوبر وهو وبر الجمال وأخرج من على وسطه خنجر ينفذ من الحديد والزرد النضيد وخرجت أرمانوسه تجرى قدامه وهو خلفها فقال يا أختى إلى أين تريدى تمضى فقالت إلى المكان الذى فيه الستور والقنديل الذى طلبته وان ما كان فيك لأخذهم قوة اخرج وامضى وأنا آتيك بهم ثم أنها صارت إلى مكان عالى وأوقفته هناك وأخبرته ان خلف ذلك المكان باب

وان حاجتك فيه وأمرته بالتسلق وهى تسأل الله العناية له والستر والتوفيق (قال) فما كانت إلا ساعة وقد تسلق أبا محمد البطال ودخل المكان الذى وصفته أرمانوسه واذا بالستور والقنديل وتاج الملك وثلاثة عقود من الجوهر المثمن يساوى اخراج بلاد الروم وبلاد الاسلام عشر مرات فلما نظرهم وهم أن يتقدم يأخذهم واذا هو بحس خطيط فتأمله وإذا هو بشخف نائم تحت الستور وهو يخور كأنه ثور وكان تركه الملك برسم حراسة ذلك المكان فدنا البطال اليه كأنه الأسد الغضبان وأقلب الخنجر الذى فى يده وقال باسم الله وذبحه من الوريد إلى الوريد ثم شق جوفه حتى لا يخور وأخذ القنديل والستور والعقود وعزم على الخروج من ذلك المكان الذى نزل منه فما هو إلا أن وصل إلى الباب ويد مسكت فى يده فبادر بالخنجر وأراد أن يقطعها فقالت له امسك يدك أنا أرمانوسه فلا زالت مهجتك محروسة فقال لها وما الذى حملك على ذلك ولقد غررتى بنفسك ولولا أنى حسيت بنعومة يدك كنت قضيت عليكى ولقد عرضتى نفسك على مركب الخطر ولكن الحمد لله على السلامة من الضرر فقالت والله يا أخى ما حملنى قلبى أقعد بعدك ساعة ولم يطيب خاطرى بعد مضيك لأنى خفت فرميت روحى على الأهوال وأتيت اليك ثم أنها دخلت به إلى مكان تعرفه قريب من الطريق وأخرجته منه وسار إلى مارس فلما نظر ما معه أخذهم الجميع وحطهم فى مطموره وبلط عليهم بالبلاط وفرش فوقهم بساط وأقام أبا محمد البطال مخفى فى مكان آخر (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا جرى لمارس والبطال وأرمانوسه (وأما ما كان) من الملك منويل فانه لما أصبح الصباح دخل عليه متولى القصر وأخبره ان الحارس الذى برسم خدامة القصير قد ذبح ذبح الفرود وأخذت الستور والقنديل والتاج والعقود وقد انتقب نقب يساع الجمل الكبير فلما سمع الملك ذلك صاح ولطم على وجهه وخرق لباسه وعظم مصابه وتقدم إلى الخادم فرآه مذبوح وهو مشقوق المناخير لئلا يعلموا منه الخبر فقال وحق المسيح ما فعل هذه الفعال إلا أبو محمد البطال ثم أنه جمع البطارقة وأولاد العمالقة وقال لهم ويلكم دونكم لا يفوتكم الغريم فخرج منهم ثلاثمائة بطريق وتفرقوا فى سائر الطرقات وأيضا اقلعت المراكب فى البحر وأرسل الملك إلى سائر الاماكن وبعد ذلك بايام رجعوا وهم خائبين هذا وملك الروم قد أضرمت أحشاه بالنار لأجل ذلك الحال الناكث (وأما البطال) ومارس فانه صبر لما خف الطلب من هذا الأمر وجهز له مارس بغل مكارى وحملها له كما فعل فى

الطريق الأول وخرج معه ذلك البغل والستور والقنديل والتاج والعقود وهو فى فرح كثير وطلب الطريق يسير الليل ويكمن النهار ولم يزل سائر إلى ان وصل إلى دير الراهب ونزل فى الامن إلا ان قلبه مشغول بالحصن والجارية ماريه والدير ولما دخل هناك هناه بالسلامة وساله عن حاجته فقال قضيت بحمد الله تعالى وعونه ثم أعطاه من الهدايا التى أتحفه بها مارس ثم قال له هل جاز عليك ابن القاضى عقبة أم لا فقال له مر على منذ خمسة أيام وهو فرحان مسرور بوصول القنديل والستور إلى الملك لاوون وقد كنت والله يا أخى حامل همك فما الذى تم عليك فقال أخذتهم من تحت رأس الملك وها هم فى الخرج الذى تحتى وببركتك قد قضيت الحاجة وبلغت أمنيتى فاتركهم عندك فى مكان محفوظ حتى أمضى إلى الجارية التى أخبرتنى عنها وأعود فإن قلبى متولع بها من منذ وصفتها لى وفى فؤادى لهيب لا يطفأ ثم ان الراهب أخذ القنديل والستور والتاج والعقود وأتى بهم إلى مطموره فيها ذخائر الدير لا يعرفها أحد غيره وقعد البطال لما أخذ له راحه وغير حيلته وقال للراهب دلنى على الطريق الذى للحصن قال له لك على ذلك وعلى ان أساعدك على ما تريد من الأحوال ثم انه غلق باب الدير وخرج مع البطال ونزلوا من ذروة الجبل وساروا إلى أن وصلوا بطن مرج الوادى فنظر البطال إلى وادى فسيح كثير الأشجار جزير الانهار مليح النبات والأثمار والأزهار قد فرش فيه من الزهر ألوان وتدبجت ربواته والكثبان تحن اليه النفوس وتصبو اليه القلوب ويباح لدحب والمحبوب فلما رآه أبا محمد البطال قال للراهب والله ان هذا المكان مليح فقال له الراهب أى والله مليح لكن الحصن أحسن وها هو بين يديك وبينما هم كذلك وإذا هم بصهيل الخيل فى ظلام الليل فقال البطال للراهب كن هنا إلى ان أعود اليك (قال الراوى) يا سادة وكان ذلك المرج يعرف بمرج الأسقف فجلس هناك الراهب مكانه وسار البطال حتى أبعد عن عينه ونظر إلى أمامه فما رأى شىء فنزل عن جواده وتوضأ وصلى ركعتين على قارعة الطريق وصبر قليل وإذا هو بشبح يلوح فتأمله وإذا هو فارس على جواد أشهب عالى بمركب ذهب وعليه ديباجة قسطنطينى وعلى رأسه برنس وهو سائر على عجل فقال البطال وعزة ربى ما هذا إلا رسول ولم يزل مكمناً إلى ان قرب منه فوثب اليه وقد استقبله وجذبه من سرجه وجلد به الأرض وجلس على صدره فقال الرومى يا أخى من أنت فقال له ويلك أنا

الأسد الهجام والليث القمقام أنا أبا محمد البطال فلما علم البطريق ذلك وعلم انه البطال ارتعدت فرائصه وأعضاه وغاب فى ذلك الوقت عن دنياه وأيقن بمماته وحرمانه وقلت همته وبطلت حركته حتى أيقن انه قد مات وانقضى أمره وفات وكان البطال فى خاطره أن يسأله عن أمور مخفيات فلما أيقن بموته وفناه أخذ قليلا من الماء ورشه على وجهه ويداه ورجلاه فعادت اليه روحه وفتح عيناه وقال له يا أبا محمد لا يغرك ما رأيت منى فكل من على وجه الأرض من رومى وأفرنجى وأرمنى وكل من يحمل الصليب ويركب الخيل ويضرب ويطعن بالرمح الكل يخافون منك ويهيبوك حتى ان الصغير إذا كان فى حجر أمه وعيط تقول له اسكت والا يجيك أبا محمد البطال فيسكت من وقته وساعته ويلحقه الانذهال فلما سمع أبا محمد البطال كلام البطريق ضحك وقال له دع عنك كلام المحال والكفر والضلال وأطعنى وقول لا إله إلا الله محمد رسول الله تنجى بها من النيران فلما سمع كلامه غمض عيناه وأشبك يداه وقال له يا بطال ان كنت تقتل اقتل وان كنت تبقى ابقى ولا أقول تلك الكلمة أبدا ولو سقيت كأس الردا وان كنت عزمت على قتلى فابقنى حتى أقول لك على ما جئت به فقال البطال يا هذا ان قلت ذلك فقد أمنت من الهلاك وهذه يدى لك بالوفاء فقال اعلم انى أرسلنى الملك إلى الملكة صاحبة هذا القصر والحصن الفسيح ومعى اليها كتاب وشرحه لها إذا أنت أتيت تقبض عليك أنت ومن معك من الأصحاب ثم تعذبك أشد العذاب وبعدها يوصلوك اليه وقد ضمن لمن يأتيه بك يعطيه قونيه وأعمالها ويقربه اليه ويبلغ نفسه آمالها فقال له البطال ومتى خرجت من القسطنطينية فقال من خمسة أيام بهذا النهار فقال البطال وهذه الملكة التى أنت واصل اليها قوية السلطان فقال نعم وشديدة الأركان وهى التى أخذت ذلك الحصن قوة واقتدار بقوتها وشجاعتها ولها أربعين جارية يحجبوها ولا يقدر أحد يدخل اليها إلا بإذنها وذلك خائفة على مطموره عندها ملآنة من التحف والأموال والجواهر الغوال لأنها ما هى قليل وأبوها كان ملك قبلها وله فى هذا الاقليم دير عظيم وكان يأتيه من الصلبان الذهب والفضة شيء كثير ولما مات أبوها ملكت الجميع وتحصنت فى ذلك الحصن المنيع وكل الملوك يكرموها لأجل أبوها لأنه كان فيه خير ومعروف إلا ان ابنته تعلقت بالقوة لأنها كل من قدرت عليه أصبح هالك فإن كنت تريد الدخول عليها فأنا ما أشير عليك بذلك لأنها جبارة ملعونة وبقتل الرجال مفتونة فلما سمع البطال كلامه أوثقه كتاف وقوى منه

السواعد والأطراف وعارضه على جواده وركب وسار به يطلب الراهب صاحبه إلى ان وصل اليه وسلم عليه فقال يا أبا محمد ما هذا العلج فقال يا أخى هذا دلنى على أموال كثيرة وأمور غزيرة وان أصدقنى أطلقته وان كان كاذبا قتلته ثم انه التفت اليه وقال له ويلك اخلع هذه الثياب التى عليك وخذ ثيابى البسهم فقال له سمعاً وطاعة ومن هو الذى يقدر يخالفك ثم انه نزع ثيابه ودفعهم اليه ثم انه أعطاه الكتاب الذى كان معه وقال أبو محمد لصاحبه انتظرنى حتى أعود اليك فإن سلمت فهو المقصود وان كانت الأخرى فخذ هذا العلج واضرب رقبته وعجل منيته وخذ ما كان معى من الأسباب وامض إلى ملطيه وسلم الجميع للأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب وأقريهما منى السلام وكذلك سائر الأمراء الكرام وكذلك المسلمين الأجواد أهل الأدب والاحتشام (قال) وودع البطال الراهب وسار إلى ان وصل إلى الوادى وانتهى إلى الحصن فى الليل الدامس فبينما هو سائر وإذا قد استقبله ثلاثين فارس كلهم بالدروع الداودية والخود العادية والخيول العربية والجواشن الرومية والسيوف الهندية فلما رأوا البطال تبادروا إلى نحوه الجميع وكلموه بالرومية وقالوا له من أنت ومن أين أتيت وإلى أين تريد قل وأوجز وإلا هلكت فقال لهم أنا رسول الملك فقالوا له وما تريد قال أريد الملكة مارية فقالوا له مالك وصول اليها ولا تقدر على الدخول عليها إلا بأمرها لاننا ما نقدر نخالفها وما نأمن من شرها فقال يا قوم أيهما أحب اليكم مارية أو الملك فقالوا له الملك أحب الينا لكن نحن الآن بحكمها ونأكل من خيرها وما ندعك تدخل حتى نستأذنها عليك ثم انهم أرسلوا اليها من يطلب منها الإذن فذهب منهم خمسة وصاروا الباقين عنده يحفظونه وعن عودته يمنعونه وعن أخبار الملك يسألونه ويجيبهم عن كل ما سألوه وهم يظنون انه حقاً وان كلامه صدقاً ثم بعد ذلك أتاه الإذن بالدخول عليها والوصول اليها فدخل إلى ان انتهى إلى الحصن فأبصره حصناً عالى البناء رفيع الجدران قوى الحيطان وحوله خندق وهو بالحصن محدق وعملت على بابه العرادات والمنجنيقات وحوله حرسا عظيما فلما قرب البطال من باب الحصن التقته أربعة من الغلمان فإثنين أخذوا بيده وإثنان مشوا خلفه ودخل من باب حديد وعليها الخدم والحشم والعبيد ولما بقى فى وسط القصر ابصر إيوان كسرى انوشروان وفى صدر ذلك الإيوان سرير عليه فرش من الحرير وهو من المرمر يلمع بالذهب الأحمر والملكة على يمينها وعلى شمالها أربعين جارية كل واحدة

منهن كانها البدر المنير وهن مختلفات الملابس كأنهن عرائس وفى زهر ورد خدودهن البديع وملابسهن كانها زهر الربيع وقدامها عشرين صينية من الذهب الأحمر فيها صلبان من الجوهر شعاعهم ياخذ بالبصر وحولها أوانى بلور ووجهها يحاكى الدر بين البدور فالتفت اليه وأشارت بطرفها عليه وقالت له من أنت أيها الانسان ومن أين أتيت إلى هـذا المكان فقال لها يا ملكة ما تعرفينى من أنا فقالت لا وحق المذبح والذبيح والسيد المسيح ومن أين لى علم بك الرجال لا يعرفها إلا الرجال والنساء لا يعرفها إلا النساء ولكن من أنت فقال لها أنا مطاطم رسول الملك فقالت وفيما قصدت الينا وقدمت علينا فقال اعلمى أيتها الملكة ان الملك الرحيم دخل يوم الأحد إلى الكنيسة ورفعت اليه سبعين قصة فى رجل قد انتشا فى ثغور الموحدين يقال له أبا محمد البطال وقد قتل الرجال وأباد الأبطال وأخذ الأموال وأخرب الكنائس والصوامع وعمر بأموالهم مساجد وجوامع فعظم ذلك على الملك وكتب الكتب إلى جميع القلاع والمداين ان ظفروا بالبطال يوصلوه اليه ذليل حقير فى ثياب الذل والتعبير وأنفذنى اليكى بهذا الكتاب ولا تعلمى ما فيه من الخطاب إلا انى أقول انه أوصاكى كما أوصى غيرك من النصرانية وأهل ماء المعمودية (قال) فلما سمعت الجارية بذكر أبا محمد البطال وما فعل بأهل النصرانية من الأهوال قالت وا أسفاه على قطعة من لحمه أو شربة من دمه ولا أغسل فمى منها إلا بالخمر إذا قدرت على ذلك الأمر فقال لها وأنا الآخر وحق المسيح قصدى لو نظرته كنت أذبحه بأسنانى وألحس دمه بلسانى وأنا أرجو ان يغضب عليه الصليب ويرميه فى الكلاليب حتى نقطع لحمه فى الأطباق ونجعله مثلا فى الآفاق ثم قالت لبعض الجوار خذى منه الكتاب حتى أقف عليه وأبصر معانيه فتقدمت اليه الجارية وأخذت من البطال الكتاب وقبلته وفكت ختمه وقرأته فلما قرأت الرسالة وعرفت ما فيها وعلمت معانيها أقبلت على البطال وقالت له كم لك منذ خرجت من القسطنطينية فقال منذ خمسة أيام فأمرت الملكة باحضار الطعام فحضرت الجوار بمائدة من الطعام وعليها خنزير مشوى وقالت الجارية لا بامحمد هلم إلى الطعام فلما رأى البطال إلى ذلك كادت أمعاه أن تنقطع وبقا حائر لا يدرى ما يصنع وان امتنع انكرت عليه وان هـذا مما حرمه الله عليه فقال مالى إلا الحيلة فبينما هو كذلك إذ نظرت اليه وقالت مالى أراك ساهى متفكر فى نفسك فقال اعلمى أيتها الملكة انى شرطت على

نفسي وجماعتي من الرسل أننا لا نأكل طعام ولا نشرب مدام بالايمان والأقسام إلا أن ظفرنا بالبطال ونحن عشرين بطريق أنذرنا على ذلك الحال واتفقنا أننا لا نأكل لحم إلا لحم البطال ولانشرب خمر قبل دم البطال صاحب المكر والاحتيال (قال) فلما سمعت الجارية منه ذلك الكلام أمرت الجوار برفع الموائد وأمرتهم أن يأتوا بغيرها فرفعوها وأتوا بمائدة غيرها واذا عليها بوارد الزيتون وعسل وخبز وليمون فأكل البطال من ذلك وملا بطنه فقالت له الجارية ان كنت تريد النوم فقم الى بعض هذه البيوت ونام فقال سمعا وطاعة وهذا مرادي ومسرة فؤادي لأني تعبان من السفر ثم تقدم الى خابيه الماء كانه يشرب ورمى فيها قطعة من البنج الأقريطيشي الأزرق الذي لو شربوا منه أهل بغداد جرعة لناموا جميعا ثم دخل الى مقصورة فرأى فيها ما يقصر عن وصفه اللسان فعند ذلك سمى ونام وبقيت الجارية مع جواريها في أكل وطعام وشرب مدام الى ان اعتراهم الظمأ فشربوا جميعا من ذلك الماء فما وصل الى بطونهم حتى طرقوا الأرض برؤوسهم فلما علم البطال بذلك فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقام قائما على قدميه وأخذ في يده خنجر أحد من البولاد وقصد أبواب الحصن فوجد البوابين نائمين فطاف عليهم البطال طوفان المسحر في ليالي رمضان وعزل رؤوسهم عن الأبدان ثم أنه طلب مفاتيح الحصن فوجدهم تحت راس أحدهم فأخذهم وفتح الباب وقصد الى الراهب الذي ترك عنده البطريق ومازال الى أن وصل اليه وقال له قم فهذا وقت الفرصة والامكان فقام بعد مارمى عنق البطريق الذي دله على الطريق وأتى الى الحصن واذا به مفتوح فدخلا اليه واذا بالبوابين مطروحين شمالا ويمين فكشف البطال وجه الجارية وسد فمها وأخرج البغال وحمل عليها من تلك الاموال وسفط الجارية على بغل من بعض الدواب وهي مغطية بعد أن ألفمها الاكره وسار في الليل طالب الدير وقد وقع بيده كل خير وأما الراهب فانه خر ساجد لله تعالى وقال للبطال الحمد لله على سلامتك أيها الأمير وأشكر الله الذي سهل عليك كل أمر عسير وجعله عليك يسير وسارا مجدين الى ان وصلوا الى الدير فوجد لؤلؤ غلام البطال هناك لأننا ذكرنا أن البطال له عشرة غلمان اشتراهم صغار من أولاد الأرمن واسلمهم ورباهم فخرج كل منهم مثل النار المحرقة أو الصاعقة المبرقة وكان لؤلؤ هذا اشطرهم فلما طالت عليه غيبة البطال خرج طالب القسطنطونيه فلما وصل اليها سأل عن دار مارس ودارس فارشدوه اليها فلما وصل اليها دخل وسلم

وقال لمارس يامولاى أنا من غلمان أبا محمد البطال وقد صار عيشنا من بعده متكدرا وكان قصد اليك من أجل الستور والقنديل ولا نعلم ما كان منه فهل عندك منه علم أو خبر أو عليه أثر فقال مارس نعم أمس رحل من عندى عشيه وبلغ من أخذ القنديل الامنية ففرح لؤلؤ بهذه القضية فقال له مارس أطلبه فى طريقك الى الدير الفلانى فرجع لؤلؤ الى الدير وعند وصوله اليه نظر مولاه فسلم عليه وفرح بلقياه وقال يا مولاى الامراء كلهم مشتاقين اليك فلما دخل البطال الى الدير قال للراهب اعلم يا أخى ان غيبتى قد طالت ولا شك الامراء فى الثغور ضاقت صدورهم ولولا ذلك ما أرسلوا إلى غلامى ثم أوصى له بشىء من المال فلم يقبله بل قال يا أبا محمد أنا عندى من المال مالا أعيش ان انفقه وقصدى انفقه على المجاهدين من الرجال يوم الحرب والنزال والحمد لله الذى ملكت هذه الملعونة الكافرة المفتونة وكان البطال قلع الاكرة من فمها ليطعمها من الزاد ما يمسك رمق الفؤاد فلما سمعت الكلام من الراهب قالت الذى ارمانى فى يده قادر على خلاصى منه فقال الراهب والله لقد أراد الله بكى خيرا بخروجك من بلادك إلى بلاد المؤمنين الأبرار ثم أن البطال ألقمها الاكره بعد ما أكلت وأخذ الستور والقنديل والعقود والتاج وسار مع السلامة فى زى المكاريه الذين يدخلون إلى بلاد الروميه إلى أن وصل إلى ملطيه فكان الأمير عبدالوهاب عند الأمير عمرو بن عبيد الله فى ذلك الوقت فدخلوا المبشرين يبشروا بقدوم الأمير أبا محمد البطال فخرج وهو فرحان وكذلك الأميره وجميع بنى كلاب والسودان الانجاب وسلموا عليه وفرحوا بما وصل اليه وحدث الأمراء بما جرى عليه وأما الأمير عمرو لما صحت عنده الأخبار بوصول البطال وما وصل اليه من الأموال كتب إلى الخليفة كتاب بشرح الحال وعرفه بجميع القصة وعلقه على جناح طائر من الطيور وأطلقه من ملطيه لما قد دخل على قلبه من البليه (قال) وكان عند الرشيد عقبة فلما سمع هذا الخبر أكادت روحه ان تخرج وانفطرت مرارته وصار فى نفسه متفكر ويقول يا ترى الكلب العقور رجع وأخذ القنديل والستور فاذا فعلها فقد زادت همومى وطالت غمومى (قال الراوى) ولما كان من الغد وصل الجواب بان الخليفة طلب البطال فتجهز من يومه وسار إلى ان وصل إلى بغداد فزينت لقدومه المدينة ولما دخل البطال إلى المدينة ودخل على الخليفة قدم الستور والقنديل والتاج وأخفى العقود وذلك المال الممدود فلما رآهم الرشيد فرح بما

وصل اليه وكسر القنديل واخذ منه جواهر عظيمه لها قدر وقيمة ثم انه فرق بقيته على الأمراء واما التاج مع الستور فانه تركهم فى خزانته وعقبه يقول اذ لم ارجع بلاد الروم مرة اخرى والا ما أكون عقبه بن مصعب قال ثم ان البطال قدم ماريه الى بين يدى الرشيد فلما ان رأى الى حسنها وجمالها وقدها واعتدالها افتتن بها وأمر فى عاجل الحال ان يمضى بها الى دار الحريم وقلبه بها مغرم والقاضى يقول فى نفسه لا بد لى ان اتقن الحيله وآخذها والى بلاد الروم أوصلها ثم ان الرشيد سأل البطال وقال له يا أبا محمد ماعلمت ما كان السبب فى وصولهم الى بلاد الروم فقال البطال يا أمير المؤمنين أخذهم بعض اللصوص الذين لا يعتقدون لا فى الدنيا ولا فى الدين ولا لهم مذهب فعليهم لعنة رب رب العالمين ولم يقدر البطال ان يذكر عقبه خوف ان تقع الفتنه بين بنى سليم وبنى كلاب وكان ذلك من الأميره ذات الهمه لأنها أوصته بذلك هذا وأرباب الدوله كلهم متعجبين من البطال وماحواه من المكر والاحتيال وبعد ذلك أصلح الامام بين البطال وبين عقبه وخرجوا الاثنين من عنده عليهم الخلع الحسان ثم ان البطال ودع الرشيد ورجع طالب ملطيه حتى وصل اليها ودخل على الأمير عبد الوهاب وذات الهمه وسادات بنى كلاب واخبرهم ان عقبه عند الرشيد فى المرتبه العاليه فصعب ذلك على الأمير عبد الوهاب بما سمع فى حق عقبه ولام الرشيد وأما الاميره ذات الهمه فانها قالت أنا والله كرهت المقام هاهنا وأنا أقسم بمن انشأ الأنام وفرض الحج والصيام لولا خوفى على ثغور الاسلام من الكفرة اللئام لرحلت الى اى موضع كان ولا أصبر على الذل والهوان فقد قال بعضهم

واذا الديار تنكرت من أهلها	فدع المقام وأسرع الترحيلا
ليس المقام عليك فرض لازم	فى بلدة تدع العزيز ذليـــلا

(قال الراوى) فقال البطال ان البعد عن الأوطان شماته للأعدا فعليكى بالصبر تنجى من الردا وتفوزى بالذكر الجميل عند كل أحد واما الذى هو سبب كل فتنه وسبب هذه المحنه فهو القاضى عقبه وانا والله لابد لى من طلبه ولو نزل الى التخوم او تعلق بالنجوم فقالت الأميره اذا كان الأمر كذلك فنحن نسير من هاهنا الى ملطيه ونجمع من نقدر عليه ونصعد الى بعض الأبراج التى للثغور واتسلق انا الى دار عقبه ونكبس عليـه ونقتله ونستريـح مما ياتى منه ومن شره فقالوا جـميع القوم لقد قلتى الصواب ثم انهم صبروا حتى قدم عقبه من بغداد وأتى عند أهله والأولاد فعندها طلبت الأميره لسعيد بن الفرج وكان له فى ملطيه دار وهو ساكن فيها وهى على حافة الصور

فسارت الأميرة هى والبطال والامير عبد الوهاب ومن معهم من الرجال الأنجاب وما زالت إلى أن وصلت إلى دار سعيد بن الفرج وطرقت الباب فخرج إليها الخادم وأمرته أن يأخذ لها الاذن فدخل الخادم إلى مولاه سعيد فأخبره بالحال فأذن لهم بالدخول فعاد الخادم وأمرهم بالدخول فدخلوا عليه وتقدمت الاميرة وشرحت له القصة من الاول إلى الآخر وأقاموا عنده إلى أن دخل الليل فساروا هم واياه إلى دار عقبة فعند ذلك تسلق أبا محمد ونزل الدار وفتح لهم الباب وقال لهم ادخلوا وتوكلوا على الله فدخلوا الجميع ولما توسطوا الدهاليز وإذا هم بالواح مسندين إلى الحائط من خلف الباب فوقف البطال على لوح منهم وإذا به يتحرك فقال البطال لأصحابه تعالوا فان هنا شيء يتحرك فاتوا اليه وتعاونوا الجميع فى تلك الخشبة وشالوها من مكانها فنظروا خلفها باب لطيف فقالوا ربما يكون ها هنا الخبيث وفتحوا الباب فرأوا درج فاوقد الشمعة ونزل البطال والاميرة خلفه وولدها عبد الوهاب إلى ان انتهوا إلى قاعة حسنة وفيها بيعة وصلبان وأناجيل وهياكل ومباخر وكراسى منقوشة وحصر مفروشة وفى تلك البيعة ملك عظيم فقالت الاميرة لاتحركوا ساكن فان هذه البيعة سبب ضرب رقبة اللعين عقبة وأولاده بين يدى الرشيد فقال البطال والله لقد قلتى والصحيح ثم انهم لم يغيروا شيئا مما رأوه وخرجوا ولم أخذوا معهم شيء وكان فيها أموار جواهر غوال وردوا الباب والاخشاب وصفوها كما كانت وخرجوا من دار عقبة طلعوا الصور ونزلوا من موضع طلوع البطال وساروا حتى وصلوا قلعة المنجنيق عند الصباح ولم يبدوا خبر (قال) وكان عقبة ساعة ما ودع الرشيد أبا محمد البطال وسار خرج عقبة خلفه يقص الآثار ويقتفى منه الاخبار لعله يظفر به ويطفى ما بقلبه من النار وكان أبا محمد يسير بالليل ويكمن بالنهار فلم وقع له عقبة على أثر ووصل إلى ملطيه ودخل على الامير عمرو وسلم عليه وتحدث عنده ساعة وأتى إلى داره فلم يقر قراره لانه علم ان الاميره ذات الهمة والامير عبد الوهاب علموا انه تنصر فلم يجسران يقيم فى داره خوفا أن يتم عليه أمر من الامور من قبلهم فبات فى مكان يخفيه لانه لا يعلم أحد بدواهيه ولما جرى الامر فى داره كما ذكرنا ركبوا من الغد وركبت الاميرة فى بنى كلاب والامير عبد الوهاب فى سودانه وأبا محمد البطال وهو يقول لهم والله لابد لى من الانحدار إلى بغداد لا علم الخليفة بما رأيت فقالت الأميرة يا أبا محمد أنا كنت أوصيك فى ابتداء الأمر ان لا تعلم الخليفة ولا تطلعه على شيء من أمر عقبة مخافة ان

ينكر عليك بسببه إلا فى هذه النوبة أنا آمرك ان تعلمه بكلما رأيت وتشرح له الجميع عيان من غير زيادة ولا نقصان وهى تكون نوبته صعبة مع الرشيد لأنه إذا ثبت عنده قولك فهو يضرب رقبته فقال البطال السمع والطاعة لله ولرسوله ولكى يا أميرة وركب من وقته وساعته فى خيل البريد وقصد العراق ولم يزل يقطع الآفاق إلى أن وصل إلى دار السلام بغداد ودخل على جوهر وسلم عليه وقال له استأذن لى أمير المؤمنين بالدخول عليه فدخل جوهر واستاذن للبطال فاذن له فلما وصل بين يديه قبل الأرض وسلم عليه فقربه الخليفة اليه وأمره بالجلوس فجلس بين يديه فلما استقر به المقام سأله عن حاله وما سبب مجيئه فاخبره أبو محمد البطال باخبار السادات الصالحين وصار يجيب له النوادر والحكايات إلى ان صار الرشيد متبسم وانبسط معه فقال له يا مولاى كنت ذكرت لك عن عقبة انه كافر مرتد فلم تصدقنى والآن فقد أتى الملوك بحجة واضحة فقال له وكيف ذلك فشرح له البطال حديث البيعة فقال الرشيد لجعفر انى أريد السنة ادخل بلاد الروم وأغزوها وانظر ما ذكر البطال فإن كان حق ضربت رقبة عقبة وان كان كذب ضربت رقبة البطال فقال أبو محمد رضيت يا مولاى فامر الرشيد جعفر أن يكتب الكتب إلى سائر الآفاق فكتب الوزير جعفر إلى سائر الآفاق (قال الراوى) فجاءت العساكر كانها السحاب الزاخر وكتب إلى الامير عمرو أن يرسل له عقبة على خيل البريد فلما وصل الكتاب إلى الامير عمرو أمر القاضى بالمسير الى الخليفة فاجاب بالسمع والطاعة ثم ركب خيل البريد وسار عقبة فكان البطال قد قال للرشيد لما ياتى القاضى عقبة قيدنى أنا واياه (قال الراوى) فلما وصل عقبة الى حضرة الرشيد أمر بتقييده وكذلك أبو محمد البطال ووضعوهم الاثنين فى قيد وحملوهم فى محفة وسار الخليفة الى ان وصل الى ملطيه فنزل بها الرشيد ومعه عقبة والبطال فى القيود والاغلال (قال الراوى) ولما كان عند الصباح ركب الرشيد وقصد الى دار القاضى عقبة وقصد الى المكان الذى وصفه له البطال وفتحه ونظر الى سرداب فنزلوا فيه فوجده مسجد قد فرشت أرضه بالحصر الشامية وقناديل من الذهب والفضة وهم معلقين وقنديل من الذهب معلق فى وسط القبة وقبلة مليحة محررة المحراب مزينة بالرخام الابيض (قال الراوى) فلما نظر الرشيد الى ذلك رآه ضد مقالة أبو محمد البطال فالتفت الى جعفر وقال ما ترى ما وقع لهذا الشيخ العالم المسكين كيف يتهموه بالكفر وهو مظلوم ويكذبون عليه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم استغفر الله العظيم مما سمعته فى حق هذا الشيخ

العالم الزاهـــد فقال جعفر البرمكي والله ما سمعت قط ان مسجد تحت الارض فى سرداب فى بلاد الاسلام إلا فى هذا المكان فقال الرشيد لمسرور امضى اقلع القيد الذى فى رجل عقبة وضعه فى رجل البطال وتوكل أنت بحفظه فخرج مسرور وهو غير مسرور بهذا الكلام وخاف على البطال وفعل ما أمر به أمير المؤمنين الرشيد (قال الراوى) ولما وصل عقبة الى قدام الخليفة قال يا أمير المؤمنين بتربة آبائك الطاهرين ألا ما أخذت حق ممن ظلمنى فقال الخليفة ارجو ذلك ثم انه التفت الى جعفر البرمكى وقال له ما تريد فى هذا الامر فقال له الرأى عندى ان نرسله الى العراق حتى نعود من الغزاة فعندها قام الامير عبد الوهاب وسال فى حال البطال وتشفع فيه ثم قال يا أمير المؤمنين ان أبا محمد ما لنا رواح بلاد الروم إلا به يتحايل على أخذ القلاع والبلاد فقال الخليفة يا عبد الوهاب ما يكفيك منى ان تركت البطال بالحياة وأرسلته إلى العراق وحبسته وما قتلته وقد وقع فى حق القاضى عقبة ويذكر لى أنه تنصر من زمان وما كفاك ان تسألنى حتى أطلقه فقال عبد الوهاب يا أمير المؤمنين وأنا ما أسافر وأحضر هذه السفرة والغزاة إلا وأبو محمد البطال معنا فعندها صاح على الحجاب ان اخرجوا هذا الأسود الذميم من وجهى (قال) فخرج الامير عبد الوهاب ودموعه تجرى على خديه واجتمع بالاميرة ذات الهمه وحكى لها ماوقع وقال لها انى عولت ان أمضى إلى ارض غير هذه الأرض ولا اقعد فى القهر والذل أبدا فقالت ان كلامك ولا بد يا بنى فاصبر حتى يدخل الليل ونسيروما يصبح الصباح إلا وقد قطعنا بلاد بعيدة (قال الراوى) هذا ما جرى ههنا وأما ما كان من عمر المسجد وسببه من بعد ان كان بيعة وذلك ان عقبة لما نزلوا إلى داره ليقتلوه فما وجدوه فلما وصل من الغدإلى داره ونزل إلى البيعة فنظر أثر الشمع على الحصير وقد قطر قطرات متداركات فقال فى نفسه الذين نزلوا هنا ما كانوا قصدوا إلا قتلى ولو كان قصدهم مال كانوا أخذوا من هذه مهما أرادوا وما أخشى إلا من الأميره ذات الهمة والأمير أبو محمد البطال وانهم قصدوا قتلى فارأونى ورأوا هذه البيعة فقصدوا هتك سترى عند الرشيد ثم أتى بقوم نصارى وبذل لهم الأموال وجددوها مسجد وأقام ينتظر إلى أن أتاهم كتاب الرشيد فانحدر اليه وهو مطمئن القلب وقبض الرشيد عليه وأتى إلى ماطيه وهجم على داره ونزل البيعة ونظر إليها وقد صارت مسجد أو جرى ماذكرنا (قال الراوى) فهذا جرى هاهنا وأما ما كان من الأمير عبد الوهاب وذات الهمة وبنى كلاب فانهم لما دخل الليل رحلوا بمن معهم

من العساكر فقال عبد الوهاب للاميرة أين تذهبين بنا فقالت له إلى حيث أردت وكان عبد الوهاب متعلق القلب بأبو محمد البطال وطلب يمضى إلى بغداد ويخلصه فقالت له الأميرة فى ذلك كسر حرمة الامام الخليفة (قال الراوى) فلما سمع هذا الكلام رجع عنه وأمر الناس بالرحيل إلى ناحية حصن يانس المتعرب (قال) وكان الرشيد وثق بكثرة العدد والروم قد تزايد عليهم المدد وكثر عليهم العدد ونادى فى العسكر بأخذ الأهبة والرحيل من اليوم إلى مثله وعرفت بنى سليم برحيل عبدالوهاب وأصحابه فكادوا يطيرون من الفرح وأقبل الرشيد على الأمير عمرو بن عبيدالله وقال له أيها الأمير إلى أين تقصد بهذه الغزاه فقال له يامولاى نطلب عموريه إلىمرطادس ابن عفر الملك الأكبر نوفيل فقال نعم ماأشرت به أيها الأمير (قال الراوى) فتأهب الجيش إلى المسير (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من عقبة فانه انفرد بنفسه وقال لابنه مصعب ياولدى إن الخليفة طرد الأسود وأمه وذات الهمة وكذلك البطال الميشوم الناصية وبنى كلاب والسودان الأنجاب ولم يبق إلا بنى سليم وجملتهم خمسين ألف فارس وعساكر الخليفة وخمسمائة ألف وأنا عزمت أن أعلم الملك منويل وأكاتبه وأعلمه بهذه النوبة وبركتها على النصرانية وشؤمها على الخليفة فقال مصعب افعل ما بدالك يا ابتاه وما تراه فكتب عقبه إلى منويل كتاب يعلمه يقول فيه الذى أعرف به الملك منويل أن ملك الإسلام قد نهض بعسكره وجيوشه يريد عمورية والذى تخشى جانبهم وهم عبد الوهاب وأمه ذات الهمة وأبو محمد البطال العيار المحتال وجملة السودان وبنى كلاب الأنجاب قد وقع بينهم وبين الرشيد والمسيح فرق بينهم لينصر النصرانية وساق الباقون إليكم لاتخشون منهم الصدود وليس مع عسكر الإسلام أحدا من الأنجاب غير عسكر العراق وبنى سليم الذين لم يرفعوا ضيم فلا تخشاهم واخرج بعساكرك والقاهم فهم طعاما لسيوفكم وقد ساقهم المسيح إليكم فإنى قد عرفت الملك بالحال على التمام والكمال وعليك من المسيح السلام وبعث الكتاب مع غلامه خالد وأمره بالجد فسار يجد فى سيره (قال الراوى) فهذا ما جرى هنا وأما عسكر الرشيد فإنها لم تزل سايرة حتىوصلت مضيق الجبل وكان هذا الجبل جبل عظيم وهناك ضرب آخر يخرج عن الجبل ويلتقون فى عمورية فلما دنت العساكر من ذلك الجبل قال الرشيد للأمير عمرو بن عبيد الله الرأى أن تسير أنت أيها الأمير فى مضيق درب الجبل ومعك مقدمة الجيش وأسير أنا خلفك فتكون أنت أسبق

للروم وأخرج أنا من ورائهم ونطلب النصر من الله فقال الأمير عمرو نعم ما رأيت يا أمير المؤمنين ثم إنه توجه نحو الدرب إلى مضيق فى أربعين ألف من بنى سليم وعساكر العراق ومضى الرشيد إلى الضرب الأيمن وكانت الأخبار وصلت إلى مرطاووس فارسل كتاب إلى الملك منويل يعرفه بذلك فاتفق كتاب مرطاووس وكتاب عقبة سوى فلما وقف منويل على الكتب أمر العسكر بالرحيل فرحل فى عساكر لا تحصى وأقبل منويل على أخيه الغيطفور فقال له يا أخى إن سرنا على الدروب ومضيق الجبل تخالفنا المسلمين على الطريق الأخرى والرأى عندى أن تأخذ أنت بعض العسكر وتسير على المضيق وأسير أنا ببقية العساكر على هذه الطريق الأخرى فقال نعم ما أشرت به من رأيك وها أنا أفعل ما بدالك وأخذ الغيطفور من العرب المتنصرة عالم عظيم وسار إلى مضيق الجبل فلم يجد حس العساكر ولا يشاهد لهم خيام ولا سرادقات ولا أعلام فعلم أنهم لم يصل منهم أحد فأمر العسكر بالنزول على رأس المضيق ويمسكوا رأس الطريق فأرسل يعلم الملك منويل بذلك وأقاموا ينتظرون وصول المسلمين فى ذلك الطريق ومضيق الجبل هذا وعمر وسائر فى أربعين ألف فارس من بنى سليم لابسين عليهم الزرود والدروع الداودية والخلود العادية حتى وصلوا إلى المضيق ودخلوا فيه ونزلوا بين الجبلين ورأوهم اللئام فاطبقوا عليهم وأوصلوا القنطاريات اليهم ولما رأت المسلمين إلى حملة الكفرة الملاعين كبروا وحملوا واستغاثوا برب العالمين وقاتلوا قتال شديد وكان لهم مع الروم وقعة شابت فيها اللمم وعاد وجود القوم عدم وقد سقط الرامى تحت القدم وجار السيف فى حكمه وظلم وانصبغت الأرض بالدم واستوفوا بنى سليم ماخط عليهم بالقلم من القدم على القمم هذا والأمير عمرو يحمل ويجول ويزعق على بنى سليم الرجعة الرجعة لمثل هذا فليعمل العاملون فبينما الامير عمرو يحرض أصحابه للقتال وإذا بالغيتفورس أخو الملك منويل هجم على عمرو خطفه من سرجه أسير وأخذوا اثنى عشر أمير وأحاط بهم الغم والهم فتشتتوا طالبين ملطيه (هذا ماكان من هؤلاء) وأما ماكان من الرشيد أمير المؤمنين فانه لما سار من الطريق بعساكر العراق فبينما هو كذلك واذا بالملك منويل أطبق عليه وكان فى مقدة الجيش مائة ألف من الافرنج كبار الاجساد كأنهم ن بقايا قوم عاد بالقنطاريات المداد والسيوف الحداد ومائة ألف من الدوقس ومائة ألف من الارمن يرمون بالقسى والنبال ومائة ألف من البنجاك ومائة ألف

من الزغاورة وأشرف الملك منويل على رأسه الصليب الجوهر وتبعته بقية الملوك والروم ولا يعلم عددها إلا الحى القيوم فحملت على عساكر الرشيد طحنتها طحن الحصيد ولم تزل تقتل وتأسر إلى أبواب ملطيه وكان عسكر الرشيد سبقوه بنى سليم بنصف يوم فثار غبار القوم فعلموا انه الرشيد أتى مكسور فنزل فتح الباب ودخل الناس وكان أول من دخل الرشيد وهو يعض كفيه ندما على الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب وهو يقول ما كانت دولتنا إلا بعبد الوهاب وبنى كلاب وأمر الرشيد بغلق الأبواب والقتال من وراء الاستار والاصوار والحصار إلى ان الامر قد ضاق وأقام القتال ثلاثة أيام ورأوا المسلمين ما لا رأوه منهم فى القتال قديم الزمان لأنهم نقبوا أكثر الاصوار وانزلوا بعسكر العراق البوار وما بقى إلا أخذهم وأموالهم وعيالهم واذا بضجة عظيمة قد وقعت فى عسكر الروم ورجعوا عن حصار ملطيه باذن الحى القيوم وبطلوا القتال بقية النهار وقد زادت الافكار وعند دخول الظلام رحلوا طالبين بلادهم فلما رأوا المسلمين ذلك الحال اندهلوا غاية الاندهال وفرحت النساء والرجال وأما الرشيد فانه زاد به الفرح وزال عنه الترح ثم تصدق وأوهب وفرق الفضة والذهب وقال لله على نذر ان أحج الى بيت الله الحرام وأتصدق هناك بعشرة الاف دينار على الفقراء والارامل والايتام لأجل ما فرج الله عن الاسلام وبقى يشتهى ان يعرف السبب الذى رحل الروم من الثغور وجلب به الفرح والسرور وكان السبب فى ذلك سبب عجيب وأمر غريب وذلك ان ذات الهمه وعبد الوهاب لما رحلوا من قدام الرشيد تشاوروا أين ينزلون فقالت الاميرة ان من الرأى الصواب اننا نتمهل قبل رحيلنا إلى ان ننظر ما يجرى بعد رحيلنا وبعد ذلك نعمل على الصلاح لامورنا فقال الامير عبد الوهاب هذا هو الرأى الصواب ثم انهم وصلوا وعلى الدخول الى بلاد الروم عولوا الا انهم انعزلوا عن الطريق السالكة الى بلد القسطنطينيه وأقاموا ينظرون ما يكون من اتمام الامر فما مر عليهم إلا أيام قلائل ووصلت اليهم الاخبار بما جرى على عسكر الرشيد ثم رجعوا من قدام الروم منهزمين بعد ما أسروا الأمير عمرو ومن ذكرناه من بنى سليم وغيرهم من عساكر العراق فكثرت عليهم الأحزان وخافوا على المسلمين فقالت الأميرة ذات الهمه لولدها عبد الوهاب يا ولدى ان غفلنا عن الثغور أخذت وتملكها الروم فقال لها يا أماه وكيف الحيلة ان من الرأى الصواب أن نسير قبل كل شىء ونقصد بلاد الروم ما دام انها خالية من العساكر ونجزر كل

من عارض بالسيف الكبير والصغير واذا فعلنا هذه الفعال يسمعوابذلك أهل الضلال فيرجعوا كلهم عن الثغور وقد بلغنا أحسن الأمور ويخف الجمع عن الاسلام وربما سلم بذلك الامام ونسير من ههنا على طريق خرشنه ونقاتل أهلها ولو أقمنا عليها سنة والصواب أننا نرحل من ههنا ونسير إلى القسطنطينيه فلعل نقع بأحد من الماسورين فنكون لخلاصهم سبب وننال بذلك الأجر ونغزى بهم على القتال ففرحت الأميرة بكلام عبد الوهاب ورحلوا طالبين القسطنطينيه حتى لحقوا البطريق الذى معه الأسارى الذين من بنى سليم وعمرو بن عبيد الله ومن معه فقتلوا البطريق وخلصوا الأسارى وعانق الأمير عمرو الأمير عبد الوهاب واعتذر اليه وأقاموا هناك للراحة ثلاثه أيام ثم انهم ساروا فى مائة وعشرين الف عرب وأكراد وسودان وساروا إلى أن نزلوا على بحيرة خرشنه وامتدت العساكر على سواحلها فلما رأى صاحب خرشنه الى العساكر وهم على السواحل أنفذ إلى الملك منويل يعلمه بهذا الأمر ليكون عنده من ذلك علم ويقين وقال له ان لم تاتى الينا وإلا تنفذ لنا نجدة تعيننا على قتال الموحدين وأعطى الكتاب لبطاريق من أصحابه الكبار وقد أخذه الانبهار وخرج من خرشنه وسار إلى ان وصل إلى الملك منويل وأعلمه بهذا الخبر وأعطاه الكتاب فلما تحقق الأمر اصفر لونه وتغير كونه وقال وحق المسيح لقد تعجبت من هذا الزمان الخوان ثم أساء الملوك والوزراء وقال لهم أما ترون لهذا الامر الذى قد جرى فقالوا أيها الملك ما لنا أصوب من الرجوع إلى بلادنا لئلا تخرب البلاد ولولا رجوع ذات الهمه كنا أهلكنا المسلمين وقتلناهم أجمعين فارجع اليها لعل المسيح قد ينصرنا ونقتلها هى وابنها فلما سمع الملك كلامهم رحل وعند الصباح أشرفت عساكر المسلمين من على الاصوار فلم يروا لعسكر الروم خبر فعرفوا الرشيد عن ذلك فقال هل تعلمون لهذا سبب فقالوا لا والله يا أمير المؤمنين فتعجب الرشيد من ذلك وفتحت ابواب ملطية وخرجوا المسلمين ونزلوا موضع المشركين وسار منويل طالب الأميرة ووصلت إليها الجواسيس فأعلموها بأخباره فادعت بمرزوق ونافع وميمون وطحاطم ودينار وجماعة من السودان أولى الشدة والبأس وقالت لهم أنتم تعلمون مواضعكم عندى وعند ولدى عبد الوهاب وتعلمون أن بنى كلاب وبنى عامر يريدون أن يأخذوا عليكم الطبقة فى القتال وأنا أريد فى هذه النوبة أن الذكر لكم فماذا أنتم قائلون فقالوا أيتها الأميرة جميع ماتأمرى به نفعله فقالت لهم الأميرة بارك الله فيكم وعليكم ثم ان الأميرة ادعت ببنى

كلاب وقالت لهم معاشر المسلمين من بنى كلاب أنتم بنى عمنا وأمركم أمرى وعاركم عارى وما يلزمكم يلزمنى فقالوا لها ما يكون إلا ما يسرك ففرحت بذلك وقالت ان ملك الروم قصد الينا فكونوا على أهبة من أمركم وادعت بسعيد بن الفرج وبرد بن الأزهر وراشد بن ضمرة وهرون العلوى وقالت لهم مثل ذلك فأجابوها إلى ما طلبت وعادت كل فرقة وعولت ان ترمى روحها فى الهلاك لأجل كلام الأميرة وأقاموا ينتظرون عسكر الروم (قال الراوى) يا سادة يا كرام فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الملك منويل فإنه سار إلى ان قارب عسكر الأميرة ذات الهمة وبقى بينه وبينها ثلاثة أيام وصح عند الأميرة قدومه فقالت الأميرة لسعيد بن الفرج خذ عشرة آلاف فارس واطلب وادى البنت وأقم فيه إلى أن يصلوا الكفار الملاعين فإذا وقع بيننا وبينهم القتال أخرجوا عليهم من اليمين ثم أدعت بسماق وقالت له خذ معك عشرة آلاف فارس من العرب والسودان وكونوا خلف الجبل وشعاب التلال وإذا رأيتمونا وقد التحم القتال بيننا اخرجوا عليهم من الشمال ثم أدعت بسنان بن حوران وأضافت اليه عشرة آلاف من بنى كلاب وقالت لهم اقصدوا ضرب الحصى وأوصى أصحابك باليقظة فى أموركم وإذا رأيتمونا التحمنا فى الحرب نحن والكفار احملوا من خلف ظهورهم ورتبت العساكر على هذا الترتيب وتوكلت على من هو حاضر لايغيب وسار الملعون بعسكره حتى وصل وعلمت الأميرة بوصوله فصاحت بأصحابها اركبوا الخيل يا أرباب الخيل فركبت الفرسان ولبسوا الدروع ووصلوا وطلبت كل فرقة مكانها الذى عينته لها ولم يزالوا كذلك حتى طلعت الصلبان ونشرت المسلمين الأعلام وعبوا صفوفهم وأشهروا سيوفهم فما صبروا دون ان حملوا على الروم وحمل الأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة ومالك بن طوق وهارون العلوى وراشد بن ضمره ومن معهم من أصحابهم وكبروا بأعلا أصواتهم وغاصوا فى أوساطهم فعندها خرجوا السودان من أماكنهم واشتهروا مثل مردة الجان وتعصبوا بعصائب القطن والكتان وضربوا بالفريد من كل جانب ومكان وبربر طمطم وطماطم ومرزوق وزقزوق وأبو القرون وميمون وأبو الزلازل وأبو المغازل وأبو نازل والقاتل وناب الفيل وتم الزبيل وكاره الحياة وعفريت الغلمان وحملوا على الروم ودعسوا فيهم دعس الفحول وخرج كمين سعيد بن الفرج وسنان حوزان واختلط الجمعان وتصايحت الفتيان وتصاولت الأقران وتقدمت الشجعان وتأخر الجبان وسال العرق وازور الحدق وزاد القلق وأظلم الأفق وتعلقت

الجماجم وتقطعت المعاصم واسودت العمائم وتثلمت الصوارم واستوى فى الحرب المظلوم والظالم فما كنت ترى إلا فارس طريح أو بطل جريح وظهرت عساكر الاسلام على الروم اللئام وحلت بهم الرزية وأخرجوهم من الديار بالكلية بفضل رب البرية وتدبير المشيئة فولوا منهزمين ولعبت فى أقفيتهم سيوف المسلمين فأول من انهزم كان الملك منويل وأخوه ومارس ودارس وأسروا المسلمين من الروم خلق كثير ولعبت فيهم سيوف المسلمين ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع عادوا إلى المواضع والمضارب وملكوا من الأموال ما لا يعد ولا يحصى له عدد بقدرة الواحد الأحد الفرد الصمد الذى بسط الأرض على ماء جمد (قال الراوى) وقتلوا جميع ما أسر من الروم فكانت عدتهم خمسة عشر ألف وخمسمائة ثم قالت الأميرة معاشر المسلمين اقطعوا رؤوسهم وعلقوها على الرماح فإنى ما أجد شيئاً اتحف به الرشيد إلا هذه الفعلة ففعلوا ما قالت الأميرة فقطعوا الرءوس وعلقوها على أعلا الرماح وجمعوا الغنائم والاسلاب وسارت العساكر تطلب ملطية ووصلت الاخبار للخليفة بذلك فلم يصدق من شدة الفرح وأرسل نجاب وأقام فى الانتظار لرجوع النجاب ليسمع منه صحة الاخبار حتى أشرف العسكر وأبصر الرؤوس فرجع وأعلم الرشيد بذلك فقال جعفر لقد سعد جيشاً يكون فيه الأميرة وولدها يا أمير المؤمنين والرأى عندى ان نركب نلتقى القوم فقال الرشيد نعم ما رأيت (قال الراوى) وأما القاضى عقبة لما ان نظر إلى ذلك انفطرت مرارته وزادت حسرته وأبدى لوعته وقال آه آه آه ما أظن المسيح إلا انه يحب المسلمين أو يخاف منهم أو هو أسلم لانه ما نصر أهل شريعته ثم ان الرشيد سار حتى أشرف على القوم ونظر رؤوس القتلى كانها رؤوس الشياطين والرماح مثل آجام القصب فسجد شكراً لله تعالى وهو على جواده وأما الأمير عبد الوهاب والأمراء لما نظروا إلى الرشيد ترجلوا ونزلوا إلى خدمته فلما قربوا منه ترجل لهم الرشيد وفرح بهم الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد ونزلوا فى ذلك المكان للراحة أربعة أيام ثم قالت الأميرة يا أمير المؤمنين نحن نريد تنزل على باب القسطنطينية ونوقع الرعب فى قلوب النصرانية فقال الرشيد نعم ملوا أيتى وأشرتى ثم انهم فى اليوم الخامس رحلوا يطلبون الروم والعساكر تتبعهم وكان الملك منويل لما انهزم ووصل إلى القسطنطينية فوجد مضارب وخيام وصلبان وأعلام فقال لواحد من البطارقة امضى وأتنى بخبرها فمضى وعاد قال أيها الملك لما سرت تطلب الاسلام وصل إلى هنا ثمانية ملوك من ملوك النصرانية يطلبون نصرتك فوجدوك رحلت فأقاموا

هنا حتى يعلموا أى مكان أنت فيه فلما سمع الملك ذلك فرح فرحاً شديد ما عليه من مزيد وركبوا ملوك الروم لخدمته ولما قربوا منه ترجلوا اليه وقبلوا الأرض بين يديه وسلموا عليه فرحب بهم ودخل إلى القسطنطينية وجلس على سرير ملكه وكانوا أهل البلد سمعوا بما جرى على أهلهم فبكوا وعلا صياحهم فأمر الملك فارس أن يدور على المملكة ويمنع الناس من البكا ثم اجتمع بالوزير والبترك الكبير وقال لهم إيش ترون من الرأى فقال الوزير أيها الملك ان تمنعوا المسلمين بما جرى وعادوا عنا فهو المراد وان دخلوا الينا قتلناهم ورددنا عن الحريم والأولاد فقال الملك هذا هو الرأى الصواب والأمر الذى لا يعاب (قال الراوى) فهذا ما جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من المسلمين فإنهم جدوا المسير حتى وصلوا إلى مرج الأسقف فنزلوا هناك وبقى بينهم وبين القسطنطينية مرحلة واحدة فاخذوا الراحة من التعب وساروا حتى طلع غبارهم وظهرت للناس أخبارهم فعلت الضجات وارتفعت الأصوات وجعلوا كانهم الدبابير هذا والمسلمين ضربت الكاسات ونعرت البوقات واصطفت السادات وترتبوا ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وضجت الموحدين وجعلوا يقرؤون القرآن ويعلنون باسم الديان ووقفت الروم وعلى رؤوسهم الصلبان وضجوا الشمامسة والرهبان ساعة من النهار واذا قد خرج من صفوف المسلمين فارس على فرس أدهم كانه شعلة نار وعليه درع منسوج بالذهب مقلد بسيف بجوهر وفى يده رمح معقب وهو يقول هذه الأبيات

لقد علموا الكتائب بافتخارى ... ولا خيل تدوم ولا سلاح
وانى من أناس فى المعالى ... لهم شرف على كل النواحى
بحار عندهم بذل العطايا ... ليوث عند مختلف الكفاح

(قال الراوى) فطلع اليه فارس من الروم وكان الذى برز توفيل ابن منويل والفارس الذى من المسلمين اسمه ابراهيم الخصيب وكانوا الاثنين فى الصف سواء وفى القد أيضاً فلما نظر توفيل الى وجه ابراهيم أعجبه حسن خصمه ونظر ابراهيم الى وجه خصمه أعجبه لأنه لم يكن فى بلاد الكفر أحسن منه فقال له ياويلك بين لى حسبك ونسبك فانا قوما لا نقاتل ولا نقاوم إلا كريما فقال له الرومى أنا من لا تخفى شمائله ولا تنكر غائلته أنا توفيل ابن منويل ابن لاوون ملك القسطنطونيه فمن أنت من المسلمين فان كان لك نسب مثلى وإلا عدت أيضاعنك فقال أيها الملك أنا من لا يفزع إذا قال ولا يخشى إذا جال أما الصدق فى المقال واجابة السؤال فأنا البطل النجيب ابراهيم ابن الخصيب صاحب

مصر والصعيد فقال توفيل سيد كريم وأمر عظيم وبطل مشهور وملك مذكور فحمل كل واحد منهم على صاحبه وأظهر أهواله وعجائبه وتطاعنا بالرمحين حتى تكسرت وبالسيفين إلى ان تثلمت وتقاربا وتطابقا بالأطواق وزاد بينهما الأمر حتى وقع الجوادين من تحت الاثنين وجد الأمير ابراهيم على توفيل أرماه الى الأرض وجلس على صدره وأراد ان يذبحه فنظر الى حسنه وجماله وصورته فاستحى ان يفسدها فقام عنه وقال له قم اذهب الى أهلك فقد وهبتك نفسك فقام توفيل وقد علاه الخجل وطلب عسكر أبيه فلما رآه فرح بسلامته وقال له يا ولدى من هذا الفارس الذى فعل معك هذه الفعال وجاد عليك بالاطلاق بعد الاعتقال فلقد غمرنا بجميله والاحسان والافضال فقال ابنه يا أبتاه هذا ابراهيم ابن الخصيب صاحب الديار المصرية (قال الراوى) ياسادة يا كرام وكان الرشيد راكب فى القلب فقال لخادمه ائتنى بهذا الفارس أبصر من هو فعندذلك مضى الخادم وأحضره بين يديه فلما رآه الخليفة عرفه فقال أيها الأمير من هذا الفارس الذى أسرته وأطلقته فقال يا أمير المؤمنين هذا توفيل ابن منويل فقال ولم أطلقته فقال أطلقته لحسن صورته (قال الراوى) فبينما كذلك واذا بفارس الروم قد أقبل بالحديد مسربل على جواد أشقر عالى المنظر إلا أنه فى زى الملوك مليح القوام له هيبه وهندام فوقف قدام عساكر الاسلام وطلب الامام وقال أنا رسول الملك منويل فاحملونى الى الرشيد فعند ذلك أحضروه الى أمير المؤمنين فلما صار بين يديه سلم وترجم وأحسن فيما تكلم فقال له الرشيد أظنك وزير الملك فقال نعم ولك معى رساله فقال الرشيد تكلم ولا تخف فقال له ان الملك لما رجع له ولده سالم نوى أنه لايحارب المسلمين فى هذه النوبة ويفعل كل ما تريدون وطلب الصلح منكم فما أنتم قائلون (قال الراوى) فأطرق الرشيد رأسه ساعة وقال للجماعة ما تقولون فقال عبدالوهاب إذا كان طلب الصلح والهدنة فيحمل الينا دية من قتل من المسلمين فى مضيق الجبل فقال الامام نعم ما أشرت به من الكلام ورجع الرسول إلى الملك وأعلمه بما اتفق عليه الحال وما أبدوا من المقال فقال سمعا وطاعة ثم أنه حمل للرشيد المال والنوال والتحف والهدايا ورجع الخليفه الى ملطيه وهو مؤيد منصور متوجا محبور وفرق الأموال على الرجال وأنفذ الى بغداد وأحضر أبو محمد البطال وخلع عليه بالعطايا وأراد الرشيد الرحيل الى بغداد وفى قلب الأمير أبو محمد البطال الحرارات والأحقاد وكذلك الأمير عبدالوهاب فى قلوبهما الغدر للقاضى عقبة وأضمروا له على كل نكبة وعلم عقبة بذلك فرفع صوته وقرأ عشر قرآن وقال يا أمير المؤمنين أما

تنظر إلى بعين الرحمة لتحل بي كل نعمة فان البطال نقل عنى حديثا زور ومحال ووقع بيني وبين الأمير عبد الوهاب وبين عمرو بن عبيد الله الخصام وهذا آخر الكلام فلما سمع الرشيد ذلك الكلام من القاضي عقبة قال للجماعة ما تقولون فقال الأمير عبد الوهاب وما تقول ياأمير المؤمنين فان الأمر لله ولك ياأمير المؤمنين فقال له الرشيد طب نفسا وقر عيناً وطيب قلبك يا قاضي فما أرحل إلا والبطال عنك راضي وكذلك عبد الوهاب وأصلح بينهم وخلع على البطال وعقبة وعبدالوهاب وأوصاهم على بعضهم البعض وودعهم وسار الى بغداد فزينت البلد ونثروا عليه النثار وأقام فى مدينة بغداد دار السلام وأطاعته العرب والأعجام (قال الراوى) فهذا ما كان من الرشيد وأما ما كان من بنى سليم و بنى كلاب والأمير عبدالوهاب والبطال فانهم كانوا يخرجون الى الميدان ويلاعبون بين أيديهم الصبيان ليوم من بعض الايام خرج الأمير أبو محمد وهو بجانب الامير عبد الوهاب والأمراء من بنى كلاب بين يديه وجميع السودان حواليه وكذلك الأمير عمرو بن عبيدالله فى بنى سليم وعقبة بازائه فتقدم عقبة الى الأمير عبد الوهاب وقال أهلا وسهلا ومرحبا بحامية المسلمين وسيد المجاهدين وعمدة الدين أدام الله لك النصر والتمكين وحشرك فى زمرة محمد خاتم النبيين ولا ينبغى الدعاء إلا لفارس هذه الأمة وحاميها والمحامى عن كمامها وأبيها فقال له الأمير أبو محمد لا بد لنا يا قاضى ما نستحق من بركة دعاك ثم سلمك الله يا قاضى وخزاك ومن النار لا نجاك ونعلم نحن والحاضرين ان دعاك مقبول وكلامك محمول وأنت مقبول فيما تقول فسمعه الأمير عبدالوهاب فضحك عليه ضحكا عاليا وبينما هم كذلك واذا قد أقبل رجل من صدر البرية وعليه أثر السفر وهو طويل القامه عظيم الهامه وما زال يخترق الصفوف صفا صفا حتى وصل الى الامير أبو محمد البطال وأسر اليه كلام فتغير وجهه وأقبل على الامير عبد الوهاب وأعلمه بالخطاب فهمهم وهمدم ودخل البلد وأظهر الجلد وأمر حامية من الرجال فأخذوا الأهبة للقتال واعتد الاربعه آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيول السوابق والسيوف المواحق والرماح الحوادق والرايات والبوارق والرجال الانجاد المعمودين للطراد ورحلوا القوم والامير أبو محمد البطال أمامهم ودليلهم (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما ما كان من القاضى عقبة فانه لما رأى ذلك الحال المنكر تحير ولم يعلم ما الخبر وأقبل على غلام له اسمه ديار وقال له ويلك ديار اتبع من القوم الآثار واسلك أى طريق يسلكون وأى موضع يمضون وعود الى بالخبر فسار ديار حتى لحق بالقوم فقال واحد من بعض السودان ان

الامير سائر الى أرض حوران الى بنى تميم وبنى النضير فقد وقع بينهم الشر فرجع ديار وأخبر مولاه عقبة بذلك فقال أرجو ان ينقلب الدست عليه ولا يرجع الى الثغور ويلحق به البطال العيار المحتال (قال الراوى) فهذا جرى لعقبة وأما ما كان من الامير عبد الوهاب والبطال ومن معهم من الرجال فانهم ساروا الى طريق حوران حتى تنصف النهار وعادوا من ذلك الطريق الى بلاد الروم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك الرجل الذى أتى الى أبو محمد البطال وساره فى أذنه كان من غلمان البطال وأرباب الاحتيال وكان يقال له أبو الليل وكانت غيبته فى بلاد الروم لانه أقبل يعلم مولاه بأخبار الروم فى البلدان وكان له عليه اقطاع وديوان ولما وصل اليه فى هذه النوبة أعلمه بأن بنت البترك الكبير تزوجت ابن ملك البرغل وانقلبت لذلك بلاد الروم والجاريه اسمها جبرونه وهى كانها الدره المضيئه المكنونه وقد خرجت من القسطنطينيه فى أكمل زينه وفى أفخر هيبه واحسن جمال وكان جهازها على أربعمائة بغل محمله من أنواع المصاغ والحلى والحلل والديباج ومعهم من الجواهر مايقصر عن وصفه اللسان ومن الهدايا التى كانت تحمل للكنائس وكان أبو هادق لها جهاز جميع ذلك وأخرج معها مائة جاريه ملك يدها مثل الأقمار ومعها من بنات البطارقه أكثر من الف جاريه مثل الأقمار لطاف الأقدام ظراف الأجسام كل واحده منهن تكسف بدر التمام ومانى الكل مثل ميرونه لانها درة الغواص أو ظبية القناص وكانها الشمس الضاحيه فى السماء الصاحيه وانضاف الى حسنها من الشجاعه مالا يصفه لسان ولا يحصره انسان قد هابتها الأقران وخافتها الشجعان وخرج بين يديها ألف بطريق مع القسوس والرهبان وخرج الجالوت وبين يديه ابن ملك البرغل وهو العريس فى خمسمائة فارس لانه لها عاشق وفيها محب ورامق وملوك الروم تفزع من شره وكان يصطاد حول مدينته السباع فشردوا منه الى جميع البقاع (قال الراوى) وأن البطال لم يزل سائر الى ان وصل الى أرض تعرف بالعيون واذا بجبرونه ومن معها هناك نازلون فامر أصحابه بالحمله عليها فلما حملوا المسلمين وكبروا والأمير عبد الوهاب صاح وحمل والغبار قد اشتد ونار الحرب تشعل فحملت الروم وبينما الأمير عبد الوهاب فى تلك الوقعه مثل الجمل الهايج اذ لقيه عامر بن طلحه وهو طائر العقل حائر فقال له ماوراك ومن بشره رماك فقال له ورائى الموت الأحمر والأسد الغضنفر وقد لقينى المقدم على هذه الطائفة وهو مثل الأسد العبوس ولولا الأمير ضيغم كنت هلكت فادركه ايها الأمير واذا بضيغم أقبل مصفر اللون فقال له الأمير ماوراك

قال ورائى الليث الطالب والأسد الغالب لانى حملت على فارس فحمل على كاد يقتلنى ولولا أدركنى مالك ابن طوق كان قضى على فادركه أيها الأمير واذا بمالك بن طوق أقبل وهو مجروح فناداه الأمير ماوراءك فقال أيها الامير ورائى الموت الاحمر والاسد الغضنفر حمل على فكاد ان يقتلنى لولا طمطم وغيدم والا كنت لبست ثوب الهوان فحمل طمطم وغيدم وعامر وشاهر وكاره الحياة وحامض الحلق وأسمج الخلق وطماطم وملاطم وملاكم وشراكم وحملوا من كل جانب فادركهم ايها الامير والا ماندركهم والعجل العجل فقد لقاهم بطل وأى بطل فسار الامير الى ان وصل الى السودان فلما وصل اليهم خف عنهم أنواع العذاب ونظر الى الفارس وهو تاره يجمعهم وتاره يفرقهم فلما رأى الامير عبدالوهاب الى ذلك الفارس رأى غلام مليح القوام رائق الكلام حلو الانقسام فحملا على بعضهما البعض واخذا فى الابرام والنقض وحجبهما الغبار عن اعين النظار ورأى ذلك البطريق الى الامير عبد الوهاب واذا به رجل لا كالرجال وبطل لا كالابطال فعند ذلك صلب على وجهه وقال وحق المسيح والدين الصحيح ما كنت أقول ان فى الملة الاسلاميه والعصابه المحمديه مثل الامير عبد الوهاب وكنت اتمنى أراه واشتهى لقاه فقال الامير عبدالوهاب ياغلام اذا رأيت الاسود تعرفه فقال له لا لانى قط ما رايته ولكن سمعت به وليس لى به معرفه فقال الامير عبدالوهاب ياغلام أنا هو عبدالوهاب وترس قبر النبى الاواب فلما سمع الغلام بانه الامير عاد الى وراه وخفف لباسه بعد ان غاب عن حواسه فبان له نهدان مثل احقاق العاج وهما معلقان فى أعلى صدر كالمرمر على طيات الحرير الابيض فى أعاليه خصر نحيل هذا والفارس أشهر سيفه وحمل على الامير عبد الوهاب بقلب اقوى من الصخر وجنان أجرى من تيار البحر فلم يعتنى به الامير عبدالوهاب فلما رأى البطريق الى ثبات الامير عبدالوهاب بهت وانبهر ووقف وتحير ورمى ما كان عليه من اللباس وصار فى غلاله بندقى رقيقه فبان من تحتها الاعطاف تنطوى بخصر نحيل وأشياء تذهل عقول الناظرين وتترك الخلق باهتين فتعجب الامير من ذلك واذا بالفارس هاج وصاح وقال أيها البطل المعروف والفارس الموصوف أما تستحى ان تكون فارس الزمان وجبار الاقران واوحد الشجعان ويأخذك التعب من ربات الحجال

﴿ تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال
وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)
وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين
جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر
والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الافرنج
وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

علي بن موسى المقاني وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن
عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد
الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى
وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء التاسع

يطلب من
مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي
بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨ : بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقصية كلوت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فضحك الأمير عبـــد الوهاب من ذلك الكلام العذب الذى كأنه الماء الزلال ونظر إلى أربعة عشر ذؤابة مطرزة بالجوهر منظومة فرجع إلى وراه فقال أبو محمد البطال ما هذه المحاورة فابتدأ يحـــدثه بما جرى وقال يا أبا محمد انى أخاف من الله سبحانه وتعالى أن يرانى وقد قاتلت لأجل شهوة من شهوات الدنيا وقد كنت فى الأول أقاتل لوجه الله فتعجب أبو محمد من اصلاح نيته وحسن سريرته وبينما هو فى حيرته وإذا بفارس قد شق الصفوف وفرق الالوف من بنى كلاب وهو مثل الأسد الوثاب وما زال حتى وصـــل الى الميدان وحمل على الفارس المقدم ذكره حملة الغضب وقبض على ذراعه وهزه كاد أن يخلع قلبه وجذبه أقلعه من سرجه وأخذه أسير وقاده ذليل حقير وسار به الى بعض الجهات فقال الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد اذهب الى هذا الفارس فإنه نعم الصاحب والخليل عندها تقدم أبو محمد وقال أيها البطل الحلاحل والفارس المنازل قد أرضيت الملك الجليل وفعلت الفعل الجميـل فانت من أى العرب أصحاب الحسب والنسب فقال الفارس ايش فى الفضول لك خلى فضولك عليك قبل أن أرجع اليك آخذ روحك من بين جنبيك فقال البطال أنا رجل مؤمن موحد بالله ولا أكلمك الا بالتواضع وقد جئت اليك أبشرك من الأمير بالخلع الجزيلة والأموال الجليلة والجواهر التى

غير قليلة والخيل والمهارة فقال الفارس ما أسرع ما نسيتني يا أبا محمد أنا فاطمه بنت مظلوم أمة الحي القيوم (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك وهو أن الأميرة كان لما فارقها ولدها الأمير عبد الوهاب وسار إلى عساكر الروم فكانت هي تزور المسجد الذى بازاء ملطيه الذى كل من بات فيه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فلما عادت فلم تجد عبد الوهاب فالتهب قلبها عليه وطلبته كما تطلب اللبوة شبلها وكانت غابت من ملطيه فسارت تقفو أثر القوم وقد علمت أنه مايخطىء أرض الروم وما زالت إلى أن وصلت أرض العيون فوجدت القوم هناك والأمير عبد الوهاب قد وقف عن قتال ميرونه فحملت هي عليها وأخذتها كما ذكرنا فعندها رجع الامير أبو محمد البطال واعلم الأمير عبد الوهاب بذلك فاطمأن قلبه وحمل وأثار الغبار وضرب بحساهه فى قمم الكفار فولوا الأدبار وركنوا إلى الفرار وغنموا المسلمين الأموال والجوار النهد الابكار وأرادوا أن يرحلوا إلى الديار وإذا بجالوت قد حمل فى خمسمائة بطل من كل ليث أغلب وفارس شهلب وكان السبب فى ذلك أن الروم لما طلبوا الأمير عبد الوهاب وقد حمل عليهم انهزم منهم جماعة وكانوا عرفوا أنهم لا يفلحوا معه فمضوا إلى الديار ديار جالوت ونادوا بالصياح فعلم جالوت فسار له فى الخيل والعبيد والبطارقه فى الحديد إلى أن أشرف على موضع القتال ورأى محبوبته فى أيدى المسلمين فخشى عليها من التلف وأمر الابطال أن تدور بالموضع الذى فيه الفرسان والاقيال إلى أن أصبح الصباح فركب الامير عبد الوهاب وأمه والسودان الانجاب ونادى يا آل حام يا شبه الظلام بادروا إلى ضرب الحسام وابشروا بالآخرة فى الجنان والحور الحسان فعندها ركبوا السودان الأنجاب وطلع الغبار وسارت الرؤس بلا أبدان وقد تقاتل الجيشان وهاج الشوق بجالوت فحمل مثل الأسد وشق بسيفه أبطال العرب وما زال كذلك إلى أن أتى وقت النخير ووقع فى طائفة الروم التعتير وهموا أن يولوا الأدبار وإذا بغبار قد ثار وسد الأقطار وانكشف وبان عن ألف فارس كرار من أبطال القليط فشنوا الروم وقاتلوا قتال الخصوم وافترقوا عند القدوم وصاح الأمير عبد الوهاب معاشر المسلمين الاجواد أن الله فرض عليكم الجهاد والجنة تحت ظلال السيوف وها أنتم الساعة صفوف فاعتدل الصفين وتأهب الفريقين وإذا بفارس من عسكر الروم ظهر على جواد أصفر وعليه درع داودى ضيق العيون كعيون الحدد مضايق العدد لا يعمل فيه الصارم المهند

فبرز اليه الأمير ضيغم ابن الامير عبد الوهاب فأشار عليه الاميران يرجع فلم يردولم يسمع وحمل على الفارس ومازال فى عراك وشباك إلى أن ضاقت الصدور وعظمت الأمور واختلف بينهما طعنتان هائلتان وكان السابق بالطعنة الامير ضيغم فوقعت فى صدر البطريق مرقت تلمع من ظهره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وانشد يقول صلوا على طه الرسول .

أناضيغم المعروف فى حومة الوغى واضرب فى أعدائنا بحسامى

أقاتل عن دين النبي محمد وأبلغ من أعداه كل مرامى

فان نلت ماأرجوه غدت مسلما وان كانت الأخرى عليه سلامى

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فخرج اليه ثانى قتله وثالث ما أمهله والرابع زمله والخامس عجل مرتحله وما زال إلى أن فنى عشر فوارس فصلبت الروم على وجوهها وحملت تطلب ضيغم فصاحت الاميرة فى أصحابها وحملت وحمل الأمير عبد الوهاب وزاد الطعان والضراب وحمى الوطيس وقل الانيس ونفخ اللعين ابليس وقل الصبر وعظم الأمر وأدار الامير عبد الوهاب عينيه فرأى حصان البطال خالى منه فى وسط المعمعة فبكى واشتد به الخوف وعدل عول أن يحمل على الملك جالوت ويأخذه فداء أبو محمد فكبا به الجواد باذن رب العباد وانكشف عليه الجياد ومدت اليه المداد فما قولكم يا أجواد فى خمسه آلاف فارس تحمل بجملتهم على رجل واحد أخذوه أسير وكانت الاميرة نظرت اليه فاحترق قلبها عليه وحملت تطلبه فما وجدت اليه سبيل ولا وصلت إلى موضع المعمعة إلا وقد حمل الى الخيام هذا والسودان قد قتلت منهم جماعة وقد قلت هممهم لفقده وانحلت عزائم بنى كلاب والسودان الانجاب وقالت لهم ان الله سبحانه وتعالى يبلى المؤمن لينظر الى صبره ويأتيه بعدذلك بالفرج عند الشدة ويرزقه بعد العسر باليسر (قال الراوى) يا ساده يا كرام وصبرت الناس على ماهم فيه ورجع جالوت الى قومه وأحضر الامير عبد الوهاب وسبه وشتمه وقال له الى كم يمهلك المسيح وأنت تتجبر فى البلاد وتقتل العباد ولا بد لى أن أقتلك يا كلب العرب فقال عبد الوهاب ان الله اذا أحب عبدا ابتلاه وان الله ابتلانى وكبا بى حصانى والا ما كان أحدا يقمعنى من طول سنانى (قال الراوى) يا ساده يا كرام فصاحت البطارقة وشتموه وهموا ان يضربوا رقبته واذا ببطريق دخل على جالوت ومعه عشر غلمان بالمناطق الذهب والثياب الاطلس

فتعجبوا القوم من زيهم وهموا أن يسألوهم عن حالهم واذا بالبطريق أطلق لسانه بالشكر والدعاء وقال أيها الملك قد أرضيت المسيح ووصل الخبر الى الملك والبترك وقد خرج الملك الى مساعدتك بنفسه فاركب الى الملك والبترك صهرك وهذا خاتم الملك والبترك وأرى خاتمين بفصين جوهر فلما رآهم جالوت قبلهم ووضعهم على رأسه وأقبل على البطريق وقال له يا أبونا هاأنا قد بلغت المنى بأسر هذا الأسود فقال هذا أسرته قال نعم قال على به فلم تكن إلا ساعة واحضر عبد الوهاب فقبض عليه البطاريق وجعل الوهق فى حلقه وقال اعزم على المسير حتى تلتقى بالملك قبل أن يقدم فعند ذلك ركب جالوت فى مائة بطريق وأوصى أصحابه يحفظون ارواحهم وساروا وتخلف البطاريق يحفظ الامير عبد الوهاب فلما علم البطريق ان الملك غاب عن الخيام تقدم الى الامير عبد الوهاب وقد أيقن بالعطب وقبض على أطواقه وقال له يا أمير اعلم انى أنا الامير أبو محمد البطال وقد تركت ضيغم وهو فى مائة فارس على طريق جالوت فاركب على بعض هذه الخيل التى للملك والحقهم على عجل فقال الامير عبد الوهاب عجل بنا يا أخى لحل كتافه وأعطاه أبو محمد سيف قاطع وساروا خلف الملك ركد وخبب فوجدوا ضيغم خرج على الملك فى مائة فارس من بنى كلاب والسودان الانجاب فلكوه وكان جالوت سائر وهو على غير أهبة واذا بالخيل خرجوا عليه وداروا به وبمن معه ولحق بهم الامير عبدالوهاب وحمل على الملك جالوت وقبض على أطواقه وجلد به الارض وجذبه أرماه على وجهه وأخذ أصحابه كلهم أسارى حتى وصل الى الخيام فالتقته الاميره ذات الهمه وضمته الى صدرها وفرحت بنى كلاب واطمأنت قلوبهم وباتوا الى ان اصبح الصباح وركب الامير عبد الوهاب ووقف فى وجوه الروم وأمر ان يحضرجالوت فأحضروه بين يديه فاعرض عليه الاسلام فابى فضربت رقبته ولما رأت الروم الى عبد الوهاب قد خلص من قبضته فولوا الادبار وركنوا الى الفرار وتركوا الخيام والاثقال والرجال وتفرقوا فى القفار وأخذوا المسلمين الخيل والاسلاب والخيام شىء يقصر عن وصفه اللسان وفرح الامير عبد الوهاب بسببه لبنت البترك وزاد طمعه فيها وسار الى نحو ملطيه هو وعساكره (قال الراوى) يا ساده ياكرام فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من اللعين القاضى عقبه بن مصعب فانه لما أبطأ عليه خبر الامير عبد الوهاب والامير أبو محمد البطال فقال وحق المسيح

ما خبرهم خير أبدا وما ساروا إلا ليفسدوا فى بلاد الروم ثم أنه كتب كتاب وسلمه الى غلامه دينار وقال له أريدك تمضى بهذا الكتاب الى بلاد الروم وتعطيه للملك منويل وتعجل بالجواب وكان الكتاب فيه أما بعد أيها الملك ان البطال وعبد الوهاب وامه عدموا من الثغور وما عدموا الا ليدبروا بعض الحيل على الروم فالملك يحفظ بلاد المسيح وتجلب العساكر والاجناد الى ان اقول لك ما تفعل فى البلاد (قال الراوى) فاخذ الكتاب الغلام دينار وسار الى ان وصل الى منويل واعطاه الكتاب فلما قرأه وعلم ما فيه قال لا عدمنا بركة الشيخ النجيح وحجة المسيح وكانت القسطنطونيه فى ذلك الوقت مقلوبة بوصول الخبر وأسر ميرونه واما البترك فانه انهتك ستره لأجل أسر بنته فان قوله مسموع أكثر من ملك الروم فبلغ ذلك الامر عنده مبلغ عظيم وقال الملك لدينا ربلغ سلامنا على الشيخ النجيح وقل له ان الملك اقسم بالمسيح والمذبح والذبيح ومزمار السليح لا بد فى هذه السنة ان يجمع عباد الصلبان من البر والبحر لغزو المسلمين ثم خلع على دينار ورده بالرسالة واما الغدار رأس الفجار وحطب النار فانه ما زال يرتقب الاخبار واذا برايات قد اشرفت واعلام ظهرت ورجال اقبلت فسأل عقبة عن الحال فقالوا له قد اقبل الامير عبد الوهاب ومعه الغنائم والاموال من بلاد الروم الكفار فكادت روح عقبة ان تزهق ومرارته ان تنفطر وخرج الى لقاه الامير عمرو بن عبيد الله والى جانبه عقبه واذا بالامير عبد الوهاب اقبل فترجل عمرو وكذلك عبد الوهاب واعتنقا وركبا الاميرين واقبل القاضى عقبه على الامير عبد الوهاب وقال مرحبا بالسيد المسعود والامير المقصود واشجع من قاد العسكر والجنود فقال البطال كيف لا يكون مؤيد مسعود وبركات القاضى عقبه عليه تعود فتبسم الامير من بلاغة أبو محمد البطال ولطف خطابه ونظرت الابطال من بنى سليم الى ما وصل مع بنى كلاب من الاموال فثارت فيهم الاحقاد وعمل بينهم الحسد والفساد وحل بهم البلا والهم والغم ولما اصبح الله بالصباح واضاء الله بنوره ولاح ركب الامير عبد الوهاب الى الميدان ودارت به الشجعان وقدموا تلك الاموال والتحف والجواهر ونادوا على كل شىء بقيمة بعد ما اخرج الخمس لبيت مال المسلمين الى ان وصلوا الى ميرونه فاحضروها هى والجوار الذين معها وكانوا اربعمائة جارية نهود أبكار مثال الاقمار فقال القاضى عقبه

عن ميرونه هذه الجاريه ما تصلح الا للخليفه لأن القائل يقول لا تقاس الرتبة العليا بامثال العوام كل ما يصلح للمولى فعلى العبد حرام فلما سمع أبو محمد البطال التفت الى الامير عبد الوهاب فرآه قد تغير لونه فقال له يا عقبة ما كلامك كلام من يصطلى الهياج والخليفة ادام الله ايامه الى هذه الجارية غير محتاج ولا يظلم من بذل نفسه فى الدين وقاتل عن المسلمين كما فرض رب العالمين واما من جحد وكفر وعصى وما شكر واستولى على قلبه العجب والبطر أخذه الله أخذ عزيز مقتدر وان من الرأى ان تباع هذه الجارية فى موقف الهوان ويعود ثمنها على اهل الجهاد والطعان وان كان احدا منكم يشترى للخليفة فليتقدم فاستصوب كل من حضر رأيه وما ابدى من كلامه وقالوا صدق أبو محمد فيما نظر ونادوا اكابر السودان اين كان الخليفة عن وقت ضرب الحسام والطعن بالرماح الطوال فنادى المنادى على الجاريه فقال ابو محمد بألف دينار فقال عقبة بألف ومائة قال عمرو وخمسمائة فقال البطال بستة آلاف فقال عقبة ومائتين قال عمرو واربعمائة قال البطال اقصروا الكلام فنادى عليها بعشرة آلاف فظن عقبة انه ينشرح فى هذا المقال فقال عقبة خذها ياابا محمد بارك الله لك فيها فقال حتى تبارك لى المسلمين فقالوا عن آخرهم بارك الله لك فيها ياأبا محمد فعند ذلك اخذها ابو محمد وحملها الى دار الامير عبد الوهاب ووزن المال فكادت مرارة عقبه ان تنفطر والناس يتعجبون من كرمه وكيف حملها ابو محمد البطال الى دار الامير عبد الوهاب (قال الراوى) يا ساده واما عقبة فانه كتب الى الخليفة كتاب وفى اوله (بسم الله الرحمن الرحيم) اما بعد فانى بادرت بهذه المكاتبة الى امير المؤمنين وخليفة المسلمين لأمر لا ينبغى كتمانه وهو ان الامير عبد الوهاب سمع بخبر بنت البترك ميرونه فخرج اليها فى العسكر واسرها وجرى من القصة ما هو كذا وكذا وقد اخذ الغنائم واخفى الذى استحسنه وميرونه هى القسم وان جميع الغنائم كلها ما تساوى قلامة ظفرها ولما رأيتها قلت هذه ما تصلح إلا لأمير المؤمنين فصاح على البطال واخرق بى فى المجلس بين الناس واشار ببيعها فبلغت عشرة آلاف دينار فاشتراها البطال ووزن المال واخذها اوصلها الى دار عبد الوهاب وهى منية القلوب والنفوس فطوبى لمن كان لها بعلا وكانت له اهلا ومولاى امير المؤمنين يجتهد فى طلبها من الأمير عبدالوهاب امير المجاهدين فانها غاية القلب والسلام

على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وعلقه على جناح طائر وأطلقه فما مضى النهار الا والخبر عند أمير المؤمنين فتشوش خاطره وغاب رشده وتعلق بالجارية فؤاده وغاب رشاده وما زال الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أرسل الخليفة خلف الفضل بن الربيع وكان حاجب الحجاب وكان الفضل يتعصب لعقبة وعمرو بن عبيد الله نكاية فى جعفر البرمكى لأنه كان يحب عبد الوهاب وبنى كلاب وكان الفضل أبخل أهل الارض فى طولها والعرض والبخل أكبر عيب فى الانسان لان بعض السادات قال كل عيب الكرم يغطيه وقال بعضهم الكرم شجرة فى الجنة يتظلل بها اهل الكرم والكرم اسم من أسماء الله وقيل الكريم مكروم والبخيل مذموم والرزق مقسوم والنعمة لا تدوم والاجل محتوم ولا يدوم الا الحى القيوم وقال بعضهم :

كن كريماً وكيساً وكتوما   واكتسب مكرمات كل كريم

(قال الراوى) يا سادة فلما قرأ الفضل كتاب عقبة قال والله يا أمير المؤمنين لقد ظهر من عبد الوهاب ما لم يكن فى الحساب وانا أخاف أن يخرج على الدولة العباسية خارجا ويتجرأ عليها أمثاله فقال الرشيد دع عنك يا فضل هذا الكلام واكتب له كتاب بلطف و حتشام وأمره ان يرسل الجارية ويكون له علينا الفضل والانعام واكتب كتاب لعمرو بن عبيد الله بانه ان تاخر عن ارسالها تقبض عليه وترسله الينا هو واللعين ابو محمد البطال وان عجزوا عن ذلك الامر والشان سرت أنا بنفسى اليه واجعله كامس مضى ماله عوضاً فقال الفضل يا مولانا المثل يقول :

لا يخرج الانسان عن طبعه   حتى يعود الدر فى ضرعه

(قال الراوى) فقال الرشيد دع عنك هذه الامثال واكتب الكتاب فكتب الفضل كتاب بما ذكرنا وكان البطال قبل ما يسير عقبة ذلك الكتاب قال لعبد الوهاب يا أبا ضيغم انا اعرف ان عقبة فى هذه النوبة يكاتب الرشيد من أمير مؤمنة ولا بد للخليفة ما يرسل يطلبها ولا يغفل عنها أبدا وان من الرأى الصواب والامر الذى لا يعاب انك تقوم تدخل عليها من ليلتك هذه من كل بد وسبب واذا بعث الخليفة اليك بعد ذلك يطلبها يبقى لك عذر واضح وتقول له أنا ما علمت ان الخليفة يرسل يطلبها ولا له مراد فيها وها أنا قد دخلت بها ولا أدرى ان كانت علقت أم لا فقال الأمير عبد الوهاب والله ياابا محمد لقد قلت الصواب واتيت بالامر الذى لا يعاب ثم

قام من وقته وساعته ودخل على ميرونة وافتضها وبات تلك الليلة عندها فى أطيب عيش وأهناه وأرغده وأسناه (قال الراوى) ولما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أتت الكتب إلى عمرو على جناح الطائر فلما رأى الكتب أنفذ وراء عقبة وأوقفه على ذلك الأمر وعرفه بمطالعة الامام فضحك عقبه وقال سبحان الله ما أظن أن يخفى عليه شيء فى الدنيا من الأمور ومن هذا والله كنت خائف على عبد الوهاب وقد أشرت عليه فأخذنى فى عين العداوة ولقد نهرنى البطال فقال عمرو وكيف العمل يا قاضى فقال له عقبة وأى شيء تعمل إذا لم يسيرها وإلا اقبض عليه ولا تدع أمر الخليفة يضيع سدا ويبقى يراك بعين النقص والهوان ثم أن عمرو أرسل كتاب إلى عبد الوهاب فى الحال وكان عنده فى ذلك الوقت أبا محمد البطال فلما قرأ الكتاب قطب حاجبه بالغضب وغضب وجهه وعبس وقال لله درك يا أبا محمد ما أبصرك بالأمور وأنا لا بدلى من الرحيل من هذه البلاد ثم أنشد يقول هذه الأبيات :

ألا أنه عار على وشـــنعة أسلم من أهواه وهو بمنزلى
نفيت من القوم الكرام ولم يكن لنا شرف فى كل ربع ومنزل

(قال الراوى) ياساده ياكرام فتعجب البطال لحدة قلبه وقريحته فقال له يا أميره ما يكون إلا الخير أنا أمضى إلى بغداد وأسرق الخليفة وأضيعه اربعين يوم وأضع فى رجليه القيود ولا يعود حتى يحلف لى أنه لا يتعرض إلى ميرونه فقال الأمير عبد الوهاب وقد ضحك والله يا أبا محمد يقع فى ذلك وهن فى الدين وا أسفاه فى حرمة أمير المؤمنين ثم قال ما الأمر إلا أنى أعاتبه واذكر له أنى دخلت بالجارية فان هو رجع عنى وإلا دبرت أمر آخر ثم أن الأمير كتب كتاب يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين إنى دخلت بالجارية وما كنت أقول أن أمير المؤمنين يطلبها ولا ينظر إلى مثلها وإلا ما كنت دخلت بها وأنا أسأل أمير المؤمنين لا يسقط حرمتى ولا يحقر ذمتى فانى عبد هذه الدولة ولى عليها حق الخدمة وأمير المؤمنين أولى من عفى وإن كان مولانا يكره أن نقيم فى البلاد فالمملوك يرحل والسلام ثم قرأ الكتاب على البطال وربطه على جناح طائر قبل طلوع الشمس فما بات إلا فى بغداد فأخذه البراج وأخذ الكتاب ودخل على الرشيد فلما قرأه غضب ووقع به الغضب وصاح على الفضل وقال وأى قدر لهذا العبد الأسود الذميم حتى أنه يقابلنى بمثل هذا الكلام أكتب إلى العساكر

تأتى من كل جانب حتى أخرج اليه واجعل دياره خراب ينوح عليها البوم والغراب فقال الفضل وما تقول ملوك الزمان إذا أنت سرت بنفسك إلى واحد من رعيتك ولكن أكتب إلى عمرو ودعه يسير اليه ويقبض عليه ليسيره اليك وقد انفصل الحال فقال انظر ما تريد وإن عجز عمرو لا بد لى من المسير فعند ذلك كتب الفضل كتاب يقول له أما بعد يا عمرو فان أمير المؤمنين قد أنكر عليك فى قصة عبد الوهاب وأفضى به الأمر إلى نقل الركاب فان كنت عجزت عن الامارة فدعنا نولها خلافك ممن يكون ناهض فى مكانتك ولاجواب هذا الكتاب إلا عبد الوهاب وأبو محمد البطال والسلام (قال الراوى) فهذا جرى هاهنا وأما حديث الفضل فانه كتب للأمير عبد الوهاب كتاب يقول فيه أن الجارية لك وقد أنعمنا بها عليك وما قدرهذه الجارية حتى نبخل بها لديك وقد أنعمنا بها عليك ومن هذا الكلام ولما وصل الكتاب إلى الأمير عمرو أحضر القاضى عقبة وقال له أنظر كيف ترى فى هذا الأمر فقال وكيف ذلك تسير اليه الكتاب يطيب خاطره من جهة الكتاب الذى زوره الفضل وبعد ذلك أصبر ليلتين وسير خلفه فى الليل وتقول له انه وصل الينا رسول من عند الملك منويل ومعه كتاب وما ندرى ما فيه فاحضر حتى تقف عليه فاذا دخل عليك تكون أنت قد أكمنت له خمسين غلام بالسيوف الصقال فيأخذوه قبضا باليد فلما سمع عمرو هذا الكلام قال هذا هو الصواب والامر الذى لايعاب ثم بعث إلى عبد الوهاب الكتاب ففرح وبعث إلى أبو محمد البطال اعلمه بذلك فقال له يا أمير أحذرهم فكل هذا نصب ومحال (قال الراوى) وأقام الأمير عمرو بعد ذلك أربعة أيام وفى الليلة الخامسة أكمن القوم خلف الأبواب وإذا بالقاضى عقبة قد دخل فأعلمه بما فعل فقال عقبة أرسل إليه بعض الغلمان فقال عمرو لواحد من أصحابه اذهب إلى عبد الوهاب والبطال وقل لهما أن عمروقد وصلت إليه مكاتبه من ملك الروم ولا يعلم مافيها ويريد أن تقف عليها فلما وصل الرسول بهذه الرسالة قال الأمير عبد الوهاب السمع والطاعة وأما البطال فانه قال أنا والله نفرقلبي من هذا الحديث وأنا أسأل الله تعالى أن ينجينا من هذه النوبة إننى خائف من تدبير هذا الملعون عقبة فقال عبد الوهاب اتق الله يا أبا محمد ودع هذا الخطاب فان الخليفة قد صفح وبكل خير سمح فعند ذلك ركب الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وهو فى سيره مقدم ومؤخر وأحسن قلبه بالبلا ولكنه لأجل عبد الوهاب ساكت وساروا إلى أن وصلوا إلى الأمير عمرو بن عبيد

الله فقام لهم الأمير قائما واذا بالغلمان خرجوا بالسيوف المجذبه فقبضوا على
الأميرين فقال ابو محمد البطال يا عمرو ماهذا الحال وما هذه الفعال فقال أتعتب على
ياأبا محمد فهذا كتاب أمير المؤمنين أولا وهذا كتابه ثانيا فقال أبو محمد ولم لا أعلمتنا
كنا رحلنا من ملطيه وقصدنا بلد غيرها فقال الامير عمرو والامر أقرب من هذا
وسوف أتلطف بأمير المؤمنين وأسأله وبكى فقام القاضى عقبه قائما على الأقدام
قال يا أبامحمد أعزر الأمير عمرو فى هذه النوبه وهذه الحاله فان يد الخلافه لا يطاولها
يدوها أنا أكتب كتاب لأمير المؤمنين أخوفه من الله سبحانه وتعالى فيكما فنظر له
الأمير عبد الوهاب شذرا وقال يا معاشر الاصحاب ألا تنظروا الى اعز من هم أعدائى
فى الظاهر والباطن والله لم أعدم الحزم ولكنى دهيت (قال الراوى) ثم ان
عمرو دعا بصندوقين وجعل كل واحد منهما فى صندوق وكان ذلك تدبير عقبه اللعين
وكانت الأميره ذات الهمه فى قلعة الكوكب هى وضيغم والسودان وكانت بنى سليم
كلما صح لهم شيء ينقلوه الى ملطيه ولم يشعر بهم أحد وهجموا دار الامير عبد
الوهاب وأخذوا ميرونه وجعل عقبه يلاطفها حتى اطمأنت فقال لها بالرومى
أبشرى فانى انا الشيخ النجيح وحجة المسيح وانا الذى عملت على خلاصك فقالت
وكيف الخلاص وانا أحمل الى الخليفه فقال ادعك تمضى الى الخليفه وقد رتبت
لك خمسة آلاف فارس ياخذوك ويقتلوا اعداك اللئام وسوف يصل اليك ملك
المغلبيط فى خمسة آلاف فارس إلى ارض سجستان ووعدته ان يكون لكى بعلا
وتكونى له أهلا فطاوعيه على هذه الفعال ولاتخالفيه فى المقال وياخذ معك الاسود
الذميم والوغد اللئيم واللص المحتال ابو محمد البطال (قال الراوى) فلما سمعت ميرونه
ذلك المقال طاب قلبها وزادتعجبها ثم انهم حملوها على البغال وسيروها مع خمسة آلاف
فارس من بنى سليم والاميرين فى الصندوقين وقد أيسوا من الحياه فقال عمرو أى
طريق ياخذون قال عقبه ياخذون على ملق وشمشا الى سجستان الى ان يخرجوا
الى آمد لانى لاآمن من ذات الهمه ان تلحق بالقوم ومعها سماع بنى كلاب وسملق فى
فرسانه الذى كل واحد منهم يعد بالف من بنى سليم فهو فى الكلام واذا بنجاب قد
وصل من عند الفضل بن الربيع لانه كان يشد من عقبه والسبب فى ذلك انه قال
للرشيد يا مولانا لانامن ان يخرجوا بنى كلاب وياخذوهم ولانرجع نراهم أبدا فقال
الرشيد افعل مابدالك فسار فى الف فارس على الموصل ونصيبين لانها اكثر عمارة

ويكون الملتقا على ارض سجستان وكان ذلك كله تدبير القاضى عقبه لان الرسائل كانت تختلف بينهم على أجنحة الطيور وسار الفضل بذلك الجيش فصعب على جعفر وعلى مسرور وقالوا والله ان ظفر بهما لم يبقهما وينهدم ركن الدين وهذا كله بتدبير القاضى عقبه ودخل مسرور على الست زبيده وقال لها هذه هدية عقبه ومشورته على الخليفه فقالت يا مسرور هذا كتاب عقبه يتوجع من أمر الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وانه يسير فى كل وقت جاريه ويهديها لامير المؤمنين وان عدمهم أحسن من بقاهم واريح لقلوب السلاطين فلما سمع مسرور ذلك الكلام قال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ذهبوا والله الامراء (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الأميره ذات الهمة فانها لما سمعت بخبر الاميرين أتت كانها اللبوه مهمهمه فرأت الديار بلاقع كما قال القائل

أحب منازل الاحباب ان غابوا وان حضروا
وأسقيها بماء الدمع اذا لم يسقها المطر
ولولا كثرة السلوى لكان القلب ينفطر
وانى انتظر فرجا بامر الله والقدر

(قال الراوى) فعند ذلك صاحت الأميره ذات الهمه وقالت يال كلاب يال حام فاجابها عشرة آلاف من بنى كلاب وخمسة آلاف من السودان يقدمهم سملق ونافع وميمون الجاس وارسلت خلف عمرو بن عبيد الله وقالت له ياعمرو هذه فعالك مع ولدى مرة بعد أخرى فقال أيتها الأميرة انا مالى ذنب وهذه كتب الخليفه فقالت له يا عمرو والله إن ولدى لا يضيع أبدا ثم تمثلت تقول هذه الابيات

ستعلم ليلى أى دين تداينت وأى غريم للتقاضى غنيها
ومن قال ان الدهر يبقى بحالة سيلقى من الايام اردى سمومها

(قال الراوى) ثم قالت لاصحابها وحق عالم الأسرار ومن احتجب عن الأبصار لاطلبن ولدى ولو كان فى حجر الخليفه ولاأصبر عنه الا ان أعدم القوى وبعد ذلك أنشدت

ترحلتموا عنى وأنتم مهجتى وخلفتمونى فى الديار رهينا
تركتم عيونى لاتمل عن البكا لفرقتكم أضحى الفؤاد حزينا
أيا غائبا عنا ملكت قيادنا وأسقيتنا كاس الفراق مهينا
وصار فؤادى للفراق معذب يذوب من الهجران وهو حزينا

وعاد اشتياقي والغرام مع الحشا مفاداة قلبي فيه مجتمعينا
تحالفت الهجران والصد والجفا على مقلتي ووفوا بذاك ضمينا

(قال الراوى) وبعد ذلك أجرت الدموع وأفاضت فوات موقوع حتى أبكت القلوب وتركت القلب مكروب وأنشدت تقول :

لقد صرت مضنا وقلبي رهينا ودمعي سفوحا على الغائبينا
يهان الأمير على ذلة سوى أن يجاهد فى الكافرينا
واقبل فى أرضكم غازيا وإن كنتمو عنه لا تصبرونا
سأبذل روحى فداء له كذا الأمهات تفادى البنينا
وإن شئتمو نصرة فاعزموا فلا زلتمو أبدا ناصرينا
وان خفتمو من نكال الرشيد فانكم عندنا غادرينا

(قال الراوى) فصاحت بنى كلاب لما سمعت من الأميرة هذا النظام وقالت ماهذا المقال أيتها الأميرة أرواحنا فداء الأمير عبد الوهاب ولو أمرتينا بخوض البحار خضناها أو النار ولجناها وقالت السودان وما نصنع نحن بالحياة بعد مولانا فاجازتهم الأميرة خيرا وسارت بهم وهى تحثهم فى المسير (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمر الأمير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فان الفضل بن الربيع التقا بهما وأخذهما وسار الى ان وصل إلى سجستان وهم ان يحط بالرجال وإذا بغبرة طلعت وعجاجة قد ارتفعت وتزوبعت وظهر من تحتها أعلام روم القسطنطونية ولهم ضجيج وعجيج مثل البحر العجاج الواسع الفجاج وأقبلوا على عجل وتدارك الطعن بالاسل وقل من الفضل الحيل واتته الابطال بلا مهل ولم يكن الا مثل لمح البصر حتى أخذوا الفضل بن الربيع ووقع القتال فى الجميع فقال البطال للأمير عبد الوهاب اتسمع ماتسمع قال نعم ثم قال البطال هلكوا والله الجميع فقال البطال لاسلم الله منهم وقت قال الأمير عبد الوهاب وأنت يا أبا محمد أنجس منهم فضحك من كلامه (قال الراوى) وأما ما كان من بنى سليم فإنه قتل أكثرهم وأسر أشهرهم وهرب باقيهم وأخذوا الفضل بن الربيع والامراء ورجعوا طالبين القسطنطينية وهم يجدون السير والفضل مقيد فقال له البطال من حفر لأخيه المسلم قليبا أوقعه الله فيه قريبا وسارت البريد تعلم ملك الروم وخرج ومعه أرباب دولته وهو راكب والروم فى خدمته والبترك افرح الخلق بابنه وخرج الخاص والعام ووصل إلى الملك المغليبط

فترجل له وقبل رجله فى الركاب فخلع عليه وأعطاه أقطاع مثل بلاده وكذلك ميرونه ترجلت لأبيهـا والملك منويل ثم اخرجوا الاميرين وأركبوهما على جملين عرى وألبسوا كل واحد طرطور بجلاجل فصار البطال يضحك والأمير عبد الوهاب يقول ماهـذا وقت الضحك يا قليل المروءة فقال البطال يا قليل العقل وإيش نجد للضـحك أحسن من هذا الوقت ونحن راكبين والناس فى خدمتنا ماشـيين فقال عبد الوهاب ولعله خير إن شـاء الله تعـالى وجعلوا الناس يبصـقون عليهما من كل جانب إلى أن وصلوا إلى باب الذهب فأمر الملك أن ينزلوا بهما إلى دار البلاء ووصل إلى قصره بعد ما كتب إلى سـائر بلاد النصـارى يأمرهم بالحضـور وعول على صـلب الأميرين بحضور الناس (فهـذا ما كان) من هؤلاء وأما ما كان من أم المجاهـدين ومن معها فانها سارت إلى آمد ومن هناك علمت بخبر الوقعة التى جرت بسـجستان فقالت والله مابقى لى قلب يطا عنى على الرجوع إلا ملطيه لأن الديار بسكانها والأحباب بخلانها ولقد أحسن القائل حيث يقول :

أمر عن الريار ديار ليـلى أقبل ذا الجـدار وذا الجـدار
وما حب الديار شغفن قلبي ولـكن حب من سكن الديارا
ولولا حبهم ما كنت يوما أسائل أربع أضحت قفارى

(قال الراوى) ثم أن الأميره قالت أنا لا بدلى من الاقامة هاهنا حتى أسمع خبر ولدى وأعمل على خلاصه وان تكن الأخرى رحلت إلى أرض الحجاز فمن أراد منكم أن يوافقنى ويرافقنى يوافق ومن اشتهى الفراق فلا ألومه فقالوا والله مافينا من يفارقك وقال الأمير ضيغم معلوم انك لم تعـدمى من الأمير غير النظر وأنا أقسم بسيد البشر فخر ربيعـة ومضر ما أدع دم والدى وأبو محمـد البطال هـدر ولا بد ما أمضى الى ملطيه وانزل بكل من فيها الرزيه وأسقى عقبة كاس المنيه وأخرج بنى سليم من البلد بالكلية وأضرب فى وجه الخليفه بالسـيف ولا أدع لأهل العراق نومة هنية ثم انه بكى وأنشد يقول :

لئن صبرت نفسى وصارت جليدة على الضيم أنى لست أرضا مقالها
سـأهـدم دار المجـد من ملطيه وأخرج منهـا أهلهـا ورجالها
وأشـفى فؤادى بعـد قتلى لعقبة وأقتـل عمرو ثم أنهب مالهـا
وأضرب أرض الروم من بعد والدى وأفنى بسـيفى من يروم نزالها

وأتلف اعمال الرشيد بأسرها ويطلب منها ذرة لا ينالها
كذا عمى البطال آخذ بثاره ولو فنيت ارماحنا ونصالها

(قال الراوى) فبكت الأميرة ذات الهمة وقالت كانى أسمع همهمة الاميرعبدالوهاب وأما ما ذكرت من قتل عقبة فإن أبوك وابو محمد البطال فى أرض الروم سالمين ومتى ما تحققت الروم قتل عقبة قلوهم لأجله فلا تؤثر أمراً حتى أبصر ما يكون وها أنا أدع الثغور لأجل اليمين الذى أقسمته وأقصد أرض حلب والطائفية واعمل على قدر ما أرى ثم قالت لبنى كلاب وأنتم تمضون إلى أماكنكم إلى وقت الحاجة اليكم ولا ينبغى إلا من ليس له زوجة ولا أولاد وهؤلاء الأربعة آلاف السود عليهم بعد الله المعتمد فشق ذلك على القوم وأخذهم البكاء والنحيب فقالت الأميرة أنا أؤمل من الله الفرج القريب فأنا ما أقيم فى أرض الشام إلا بقدر ما أسمع أخبار ولدى والبطال ان كانوا بالحياة وإلا هلكوا فإن كانوا هالكين أخذت ثارهم وان كانوا بالحيا اسعى فى خلاصهم (قال الراوى) فعند ذلك انفصل معها خمسمائة فارس من بنى كلاب الأنجاب برماح مداد وسيوف حداد وسواعد شداد ويقدمهم ضيغم ومالك بن طوق راشد وبقى الثغر متوحشا وتفرقت سادات بنى عامر وكلاب كأنهما غنم بلا راعى وعلمت الناس برحيلها وفرحوا السفهاء واغتموا العقلاء ووصلت الأخبار إلى أرض العراق فقامت الدنيا على قدم وساق وعظم على الرشيد وأرسل إلى ملك الروم مع خيل البريد أعلمه بذلك وكتب الكتب وعلقها على أجنحة الطيور إلى سائر الاقاليم والامصار وأمر ان يخرج الخيام والسرادقات ونادى فى بغداد بالغزاة والجهاد فهو كذلك وإذا بالأخبار وصلت اليه من خراسان انه خرج عليها خارج اسمه جرهم بن جرهمان وقتل هرمز ملك البطام واحتوى على البلاد وأكثر الفساد وغزا على العجم وقتل اسماعيل وملك غزته وأهل تلك النواحى أقر عن حمل الخراج وكان الإمام قد سمع بأخباره قبل تاريخه ولم يحتفل به وترك أمره وأمر الولاة ان تقصده وتقبض عليه فلم يقدروا على ذلك حتى زاد شره وكثر مكره وقوى أمره وأوى اليه كل جبار وقليل الدين وملك الديار واحتوى على الامصار واتصل الخبر إلى الخليفة لما بعث يطلب العساكر فرجع اليه الجواب ان ما بقى للعجم والديلم ملك غيره وقد طرح عن الناس الخراج واستمال القلوب من سائر الأقطار وعنده ناس كثير

من الترك وصاروا له أجناد ولا يحمل الخراج إلا اليه ولما سمع الرشيد تلك الاخبار صعب عليه وكبر لديه (قال الراوى) فبينما هو كذلك إذ دخل عليه البراج بطير حمام قال من أين هذا قال هذا يا مولانا من ملطية فأخذ الكتاب وفتحه وإذا فيه العجل العجل فإن ملك الروم نزل علينا بألف ألف وأربعمائة ألف والبلد أشرف على الاخذ فأدركنا قبل فوات الأمل وخيبة العمل فارحم النساء والاطفال فقد انقطعت بنا الأسباب وغلقت الأبواب لان ما عندنا أحد من بنى كلاب ولا من السادات الأنجاب فعند ذلك ندم الرشيد حيث لا ينفعه الندم وقال لعنك الله يا عقبة ولعن تلك الجارية الميشومة وبقى الرشيد كانه طير مقصوص الجناح لا يدرى ما يعمل والسبب فى ذلك ان الأميرين لما دخلوا البلد وهم مشهورين على الجمال حبسهم ملك الروم وكتب الكتب إلى سائر الأقاليم وملوكها وقال لابد من صلبهم وإذا بكتاب عقبة وصل عنده يقول أما بعد أنا أريد أحضر صلب الاسود والبطال حتى أشفى منهم غليل قلبي وابلغ غاية مرادى فكف ملك الروم عنهم وجعل ينتظر قدومه (وأما) القاضى عقبة فإنه جهز أمره وهيأ أشغاله وأظهر انه سائر إلى بيت المقدس وكل من رآه يقول له أنا ماضى أقيم هناك سنة وودع عمرو وسار إلى ان وصل إلى وادى الحجل إلى ان قرب من أرض قونيه وهو يسير الليل ويكمن بالنهار وإذا هو بجماعة من الروم وهم يقولون لبعضهم جدوا فى مسيركم حتى نصل إلى القسطنطونية حتى نحضر صلب الاثنين ونشتفى من الكلبين لا سيما الذئب الأمعط والثعبان الأرقط والبلاء المسلط صاحب الاحتيال أبو محمد البطال والأسود الزنيم والوغد اللئيم فإن المسيح قد أوقعهم فى يد الملك وما وقعوا إلا بتدبير الشيخ النجيح وحجة المسيح وكان عقبة قريب منهم فقال لغلامه إصحا يا ولدى ألم أقل لك ان ذكرى سار إلى سائر الامصار ولكن امضى إلى هؤلاء وقل لهم لا تستعجلون فإن الملك ما يقدر يمضى فيهم أمر من الأمور حتى يصل اليه أبى الشيخ النجيح فعند ذلك مضى الغلام إلى ان وصل اليهم وقال لهم تمهلوا على أنفسكم فإن الملك ما يقدر يمضى فيهم أمر من الامور إلا بحضورنا فقال له واحد من الجماعة اننا ما نعرف من هو بهذه الصفة إلا الشيخ النجيح وحجة المسيح فقال الغلام هو أستاذى بركة المسيح فى بلاده فقالوا الجماعة ها نحن معكم لاننا أشوق الناس اليه وأعظام لديه وكانت هذه هى ذات الهمة وهى

عليه مصممة وهذا ضيغم وهو على قتله مصمم وهــذا لؤلؤ غلام البطال وهو مشتاق إلى صفعه بالنعال وهذا جوهر وهو عليه يدور وهذا بقيع وهو قد أتاه سريع فعند ذلك صاحت الأميرة ذات الهمه ومسكته من عظمة قفاه كادت ان تعدمه الحياة وقالت وقعت يا ملعون يا كافر يا مفتون قد حل بك البلاء ولا بد ما أسقيك من الموت جرعة ووثب لؤلؤ غلام البطال وقبضــوه الاثنين وأوثقوه كتاف وقوروا منه السواعد والاطراف وقالت الأميره ياقاضى من يقلب الدول ويتقن الحيــل يمشى هكذا فى السهل والجبــل فقال لها ما علمت يا عاهرة انك فى كل مكان حاضره فقالت يا مرتاب يا كلب ياغدار أنا أعقل عن أبا محمد البطال وعن ولدى الأمير عبد الوهاب وحق رب الارباب سوف تظر منى عذاب ما تطيقه الكلاب من الطعان والضراب ولكن ما هذا موضــع كلام ولا عتاب (قال الراوى) يا ساده يا كرام وكان السبب فى مجىء الأمــيرة إلى تلك الأرض والمكان وأخــذ عقبة شيخ الكفر والضلال كان لؤلؤ غلام البطال لأن لما جرى ما جرى على الأميرين سارسبك ويانس وبديع غلمان البطال ســاروا دائرين يلتمسون الأخبار لعلهم أن يقدروا على فرج أو يسمعوا أخبارهم من السفار فتنكروا فى زى البطارقة وتوصــلوا إلى القسطنطونية وصاروا فى كل يوم يحضروا بمجلس الروم إلى يوم من بعض الأيام وإذا بغلام عقبة دخل على ملك الروم ومعه كتاب يأمر الملك لا يحدث فيهم أمر حتى يأتى القاضى عقبة فخرج لؤلؤ وجميع الغلمان وقصدوا إلى الأميرة وما زالوا ســائرين الليل والنهار حتى وصلوا إلى أطراف السويدية فرأوا هناك الأميرة فاطمة العامرية فاعلموها بالقضية وقال لها لؤلؤ أيتها الأميرة سيرى بنا على عجل بلا تعويق لعلنا ندرك عقبة فى الطريق واغتنمى الوصية قبل حلول القضية وأنا أسير بكى فى أماكن لا تهتدى اليها الجن فقال ضيغم وأنا أكون معكما فمعاذ الله ان اتخلف أنا بعدكما فى الديار والأميرة داخلة الى بلاد الكفار ولا بد لى ان أكون بين يديها أضرب بالصارم البتار فقال راشد بن حمزة وأنا ثالثكما فى تلك المرة ولاحول ولاقوةإلابالله العلى العظيم (قال الراوى) فصلت الأميرة فى تلك الليلة صلاتها وقرأت وردها وقضت ما عليها من حقوق ربها وقدمت على بنى كلاب مالك بن طوق وعلى السودان سمق ونافع وسارت الاميرة وقد ألبسها لؤلؤ لبس الصقالبة وساروا يكمنون

النهار ويسيروا بالليل إلى ان وصلوا إلى وادى صفوان والتحقوا بالشيخ القرنان ثم مسكته الاميرة كما ذكرنا وقدموه قدام السودان وصار الصك يأتيه من كل جانب ومكان ثم قالت له الاميرة اكتب الآن إلى الملك واعلمه بأنك قد وقعت فى قبضتى وان أصاب أحدا من الامراء مكروه عذبتك العذاب الاليم واصطنع لك العقاب واسلمك الى بنى كلاب والسودان الانجاب وان اردت سلامة نفسك فأمر الملك لا يبدى فى الامراء أمر من الامور ومهما أمرتك افعل وإلا تكون أنت فداهما فعندها أمر عقبة أنهم يحضروا له دواة وقرطاس فأتاه لؤلؤ بذلك فكتب الى الملك كتاب أما بعد أيها الملك فان المسلمين قد مسكونى وحل بى منهم ما حل من العذاب الاليم والفعل الذميم وسبب ذلك انى كنت متوجه اليك أقطع الفيافى والقفار وأسير الليل وأكمن بالنهار إلى ان وصلت الى وادى صفوان فما علمت حتى تواثبوا الى غلمان البطال وذات الهمه وضيغم فى زى صعاليك الرهبان فمسكونى وسقونى من العذاب ألوان وأنا على ذلك فى الذل والهوان والذى أريد منك لا تمكن أحدا من عذاب البطال ولا عبد الوهاب واذا علمت ما فى كتابى عجل برد جوابى وتحلفهم لا يتعرضوا الى بسوء أبدا ويحضرونى الى عندك سالم وتحلف الامير عبد الوهاب فانه إذا حلف لا يحنث أبدا ولا يصعب عليك اطلاقهما فان جميع الآفاق وملطيه والعراق لا بد لى ان اسلمهم اليك فى هذه السنة من غير ضرب ولا ضراب فتجاوز عن السيئة والحسنة لأن عندك حماة الاسلام وأبطال أهل الايمان وقد أوقعت بينهم وبين خليفتهم وشتتهم عن الاوطان كلهم والخليفه قد خرج عليه خارجى من خراسان يقال له جرهم المجوسى وسمعت انه من بلاد العجم وانه على دين عيسى بن مريم وقد احتوى على بلاد الخليفة وهو لم يجد له نجدة ولا انسان وسير أنت والعساكر واطلب النصره من المسيح فى هذه الغفلة على بلاد الاسلام ما دامت الامور تواتيك ولا يصعب عليك اطلاق ما فى يدك من الاصفاد فانى لهما بالمرصاد ثم سلم الكتاب للأميره ذات الهمه وقال لها ان شئتى ان تقريه وتعرفى معانيه وتظهر لكى الاخبار فقرأته الاميرة وعلمت ما فيه فقالت قاتلك الله ما أخبرك بالمكر والحيل وما يهتدى أحدا الى ما تعمل فقال وأنتم حاشاكم من هذا الآن مافيكم شيطان ولا عيار ولا محتال وبعد مايخلص ولدك من الاسر وشدة التعب دع الدنيا بعده تنقلب ولولا

إنى أطمع الملك بهذه الأمانى لكان فى أيديكم خلانى فضحكت الأميرة منه وأرمت الكتاب إلى غلامه وقالت له يا شيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهاله ما أحكم حيلك وما أخبث عملك فمسك الملعون لحيته وقال أيتها الأميرة أما تستحى من شيبتى كم توبخينى فقالت الأميرة يا كلب يا غدار والله لابد أن الله يعذبك بالنار ويعقبك سوء الدار لأنك كلما طال عمرك زاد كفرك ثم قالت هذه الأبيات صلوا على سيد السادات :

كلما عاقبه واعظ الشيب على دينه عصى واستمرا
فهو كالطفل من بنات الأفاعى كلما طال عمره زاد شرا
وكذا أنت كلما عشت يوما زدت شرا ولعنة ثم كفرا

(قال الراوى) فتأسف الملعون عقبة وقال آه آه آه ما المسيح إلا مسلم , كادت مرارته ان تنفطر فعند ذلك زعق على غلامه أتى اليه فأسر اليه كلاما وقال له قل للملك لا يخرجهما من حبسه حتى يحضرونى اليه ولا يحلف إلا عبد الوهاب ولا يغتر بكلام البطال لأنه لايضبط على إيمان فأخذ غلام عقبة الكتاب وسار يقطع البرارى والقفار حتى وصل إلى القسطنطينية ودخل على الملك بغير استئذانه وهذه عادته لأن الملك يعلم أنه ما يبعث أحدا فى رسالة الا تكون نصيحة للروم فأوصى البوابين اذا وصل أحد من عند عقبه يخلوه يعبر من غير استئذان (قال الراوى) فلما دخل غلام عقبة فى ذلك اليوم قبل الارض قدام الملك وسلم الكتاب اليه وحدثه بما جرى عليه وعلى مولاه فى الطريق وكيف قبضت عليه الأميرة ذات الهمه فعندها التفت الملك منويل إلى الملوك الذين بين يديه ووردوا عليه لينفرجوا على صلب البطال وعبد الوهاب فحدثهم بما جرى على الشيخ النجيح وقرأ الوزير على الملوك كتاب عقبة فقال الملك لهم ماذا تشيرون قالوا أيها الملك نشير عليك بصلب الرجلين وتريح النصرانية من ذلك الشيطانين ونسير نخلص الشيخ النجيح وحجة المسيح بسيوفنا فقال الملك ما هذا صواب لأن فى هذا يغضب المسيح علينا لأن ما فى ملتنا أكبر خدمة للمسيح من الشيخ النجيح عقبه وإن فعلتم ذلك قتل بلا محالة وتعمى أخبار بلاد الاسلام علينا الى أبد الابد ولا يقوم مقامه أحد فقالوا ان جميع النصرانيه قد اجتمعت لتشفى غليلها من قتل أبو محمد البطال الذى تفزع منه الرجال ثم الأطفال ولا يؤثر فيه أثر حتى يعرف فى بلاد

الروم فانه متى عرف فى بلاد الروم مسك وقد اتفقوا الجميع على قطع يد البطال وقطع ابهام عبد الوهاب حتى يبطل عن ضرب السيف واتفقوا على ذلك وغصبوا الملك على ذلك وأمروا البطارقة أن تظهر النداء وجميع أجناس الروم فلم يقدر الملك أن يمنعهم وأمر باخراج الأميرين فصعب على مارس ودارس وقالوا لنا أسوة بهما واذا رأينا الملك عول على أذاهم أظهرنا دين الاسلام ونموت كرام ولا نموت لئام فلا بد لنا من الموت بعد الأميرين ولا نريد الحياه بعدهم أبدا ثم تقدم مارس ودارس الى الملك وقالوا له أيها الملك انا نخاف أن كل شىء فعلناه فيهما فعلوا فى الشيخ النجيح مثله ويطالبنا المسيح بسببه وهؤلاء العرب لهم عوض والشيخ النجيح ماله عندنا عوض فقال الملك وحق المسيح لقد نطقتم بالصحيح ولكن لابد من احضارهما حتى أسمع كلامهما (قال الراوى) يا سادة فوثب خمسين بطريق بالسيوف المجذبة والعمد المذهبة حتى أتوا الى دار البلاط وقالوا للسجان ارفع الطابق فان الملك أمر باحضارهما فقال نعم فقام لهم الطابق وقال لهم دونكم وما تريدون فنزلوا الجماعة يخرجوا الاميرين من السجن (قال الراوى) لما نزلوا البطارقه الى السجن يخرجوا أبو محمد البطال والامير عبد الوهاب فلم يجدوهم ولم يجدوا سوى القيود مكسورة ومرمية وما ثم أحد فى المطمورة من المحابيس أبدا فعند ذلك اندهشت البطارقة وصلبوا على وجوههم ورجعوا الى الملك وهم صارخين فقال الملك ما حالكم وما الذى أصابكم أخبرونى بما جرى لكم فاطلعوه على الخبر فقامت عليه القيامة وقال وحق المسيح ما بنا خلاص المسلمين وانما خوفنا على الشيخ النجيح من العذاب المهين ثم قام الملك بنفسه والملوك بين يديه وجاءوا الى المطمورة ما وجدوا فيها نقب ولا تسليق فسأل السجان فقال أيها الملك وحق المسيح ما نعلم سبب هروبهم فأمر الملك بضرب رقابهم فقام السياف وأراد أن يرمى رقابهم واذا بعجوز قد أقبلت وقالت أيها الملك ان اذنت لى أخبرتك وأوقفتك على جلية الاثر وعلى جميع السبب وعلى الهارب كيف هرب فقال لها الملك قولى وأوجزى فقالت أيها الملك أعلم أن ميرونه بنت البترك لما تخلصت دخل اليها بنات الملوك وهنوها بالسلامة وسألوها كيف كان أخذها وخلاصها وما لقيت فى بلاد الاسلام فحدثتهم بحديث البطال وكيف يعمل بالرجال والابطال فقالوا كنا نشتهى نراه حتى تصوره كل واحدة منا عندها فى مجلسها فقالت لهن مليكه ابنتك قوموا بنا

إلى دار البلاط حتى تنظر اليها فقامت معها بنات البطارقة وما أعلم بعد ذلك ماجرى (قال الراوى) فقامت على الملك القيامة ورجع على نفسه بالملامة فقالوا له الملوك أيها الملك دع عنك التعب والملام فقد كان الذى كان واطلب الغزاة واخرب بلاد الاسلام واغزو بنا على العراق وجميع الآفاق فان العرب وقع بينهم وبين السلطان وسمعنا أنه خرج عليه خارجى من خراسان فاستدرك الفرصة ما دام الأمر كذلك فعند ذلك أمر المنادى أن ينادى فى الروم بالغزو فلم يتخلف غير النسوان والشيوخ والرهبان واجتمع على باب القسطنطونية ألف ألف وثمانمائة ألف ورحل طالب ملطية فتزلزت الارض من شدة الركض والملك متفكر فى هروب الاثنين ولم يزل يجد المسير ويسرع التشمير إلى أن وصل إلى ملطية ونظرت الديادبة اليهم فاعلموا عمرو فركب فى سبعين ألف من بنى سليم وقال يا بنى العم اليوم أريد تبيضوا وجوهكم عند الخليفة وتنصروا دين الاسلام حتى لايقولوا الناس إن ماكان يمسك الثغور إلا الأمير عبد الوهاب وبنى كلاب فقالوا كلهم طب نفسا وقر عينا وسوف تنظر منا رجال وأى رجال فبينما هم فى الكلام وإذا بالدنيا اغتمت وأظلمت جنباتها ونفرت الطيور من أوكارها والوحوش من فلواتها وأظلم الجو من غبارها وأظلمت الارض من أقطارها وأقبل الجيش مثل السيل المتحادر والمطر المتواتر فوقعت العين على العين وزال الشك والمين وتقابل الاعلان وظهر الكتمان وفى أوائل الجيش أربعين ألف من الافرنج وهم كبار الاجساد كانهم من بقايا قوم عاد وقد حلقوا اللحاء ونشروا النشور وكفروا بالملك الغفور وأقبل الصليب الاخضر وعلى رأسه رمانة من الجوهر وأشرف الملك منويل وعلى رأسه الاكليل ويحجبه ألف غلام أجرد مرد بمناطق الذهب وبين يديه ألف من الشمامسة والقساوسة ونظروا بنى سليم إلى هذا الامر العظيم فقالوا لعمرو الصواب أننا ندخل البلد ونغلق الابواب ونجعل القتال من فوق الاصوار ونكاتب الخليفة على أجنحة الطاير لعله أن يلحق البلد قبل أن يأخذوها فما لنا بهذا العدو طاقه ولا نجد فيهم استطاعة فقال عمرو لا يمكن أن ندخل البلد بلا قتال بل إننا نقاتل فقالوا له الجماعة افعل ما بدالك فلا نخالف مقالك وها نحن بين يديك ولا نبخل بأرواحنا عليك (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا بالملك الغيطفور حمل فى أربعين ألف فارس وتبعه ملك البرغل فى عشرين ألف وهو لابس السواد على ولده الجالوت وتبعه ملك المغليط فى خمسين

ألف وتتابعت العساكر مثل البحر الزاخر وارتفع القسطل وحمى الموجل وغلت نار الحرب لغليان المرجل وكثر الخطا والزال وبطلت الحيل وكلت من الرجال عزائمها ولبست الأرض حلل أرجوانها من دماء الفرسان وانقطع طمع المسلمين من الحياة وانتظروا الفرج من عند الله ورمت الافرنج فى أعناق بنى سليم الارهاق وقامت الحرب على قدم وساق وعقر الجواد بعمرو بن عبيد الله فانقضوا عليه وأخذوه أسير وقادوه دليل حقير ودام على القوم شراب التعتير فولوا يطلبون الثغور بالصدور والطعن يعمل فى الظهور وتراجعوا فى الابواب فقتل منهم خلق بعدد التراب وقد حمت الاعداء والحساد من الكفار وندمت الاعداء والاحباب على فقد الامير عبدالوهاب وعلا منهم البكاء والانتحاب وأرسلوا الطيور إلى بغداد فدخل البراج على الرشيد واعطاه الكتاب فلما قرأه كاد أن يغشى عليه وقال لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم لا إله إلا الله لقد انقضت ايام خلافتى وهذا كله من تدبير القاضى عقبة ثم امر ان يكتب إلى مصر والصعيد والى حلب ودمشق الشام واعمالها وآمد ونصيبين وميافارقين واستنجد بجميع الناس واهل سبأ وحضرموت وقبائل العرب وتضمن لهم الفضة والذهب وامر ان يكتب لاهل مكة كتاب يطلبون منهم الدعاء وان يكتبوا فى الكتب اين اهل الدين والحمية للمسلمين فالعجل العجل قبل فوات الامل (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من اهل الثغور من بنى سليم فانهم باتوا على الاصوار وصار ليلهم مثل النهار وبات اللطم يعمل فى دار عمرو وامه تنعى على ولدها وأسره وعلى حصار البلد وقالت هيهات ان عاد يسمح الزمان بمثل الامير عبد الوهاب فياليت شعرى كيف حالنا لفقد عزنا ولقلة صبرنا على هذا البلاء وانشدت تقول :

الا يا دموع العين فيضى بحرقة	فان حماة الثغر عنـــا تولت
وأصبح جيش الروم من حولنا غدا	مقيما ففاضت من عيونى عبرتى
ومضى اميرا كان انجح ديارنا	اذا تعبت ابطالها واستـــقلت
امير كلاب غاب عنا فأصبحت	جيوش الاعادى تستطيل بقسوة
وكان لنا حصنا منيعا وناصرا	اذ ما عناقيـــد المنايا تدلت
غدرنا به من جهلنا فتملكت	واعدائه قد اعطيت ماتمنت
فأصبح مأسورا بأرض بعيدة	ومن بعد هذا امه قد تخلت

(قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وجردت الصفاح وأحدق الروم بالبلد كما يحدق البياض بسواد الحدق وتقدم البترك والجاثليق الحليق ونصبوا العرادات والمناجيق وركب الملك بنفسه وزحف الى البلد فى الف الف وثمانمائة الف وصاحوا صيحة واحدة فى أهل ملطية فخيل لأهلها ان السماء انطبقت على الأرض وزادت الأهوال واشتد القتال وتقدمت الشعابين والروم بجمعهم من خلفهم وما أمسى المساء حتى أرموا برجين وبدنه فصاحت الأطفال وايتماه والنساء وافضيحتاه والسادات واسلاماه وأشرفوا ذلك اليوم على الأخذ وإذا بغبار علا وثار وسد الأقطار وعلا غتامه وتزوبع بعد ان تعلق الى كل موضع فبطلت الكفار عن القتال وأمنت العرب الخلاص من الوبال وكانت أم عمرو هتكت الستور وخرجت وقالت لبعض العرب خذ لنا الخبر فنزل من الصور الغربى فى زى أصحاب حرب بن شيبان وسارت أيضا الطلائع ساعة وعادوا للملك يبشروه بالفرح والسرور وقالوا أيها الملك قد أتى رجل ما أطاعك قط لا أنت ولا أبوك ولا أجدادك ولاوطىء بساطكم وهو الدغموس بن حرطاوس صاحب جزيرة الصخر وقلعة العمد وهو قادم عليك فى جيش عظيم وما نعلم أى سبب أخرجه من بلاده وأتى به الى هنا ففرح الملك بذلك وركب الى لقاه فى خمسين ألف فارس (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما التقاه منويل ترجل الدغموس وقبل رجله فى الركاب فقبل رأسه وسار إلى ان وصل إلى الخيام فأقبل عليه الملك غاية الاقبال وجعل الدغموس يحدثه بسبب خروجه من بلاده ثم قال أيها الملك ولكن عندى بشارة أبشرك بها فقال الملك وما هى فقال قبضت على أمراء المسلمين الذين هربوا وأهدموا ركن الدين وهما أبو محمد البطال والأمير عبد الوهاب أمير بنى كلاب (قال الراوى) فلما سمع منويل بذلك كاد أن يغشى عليه فقال كيف كان السبب فى قبضهما وكان من قضاء الله وقدره ان الأمير أبو محمد والأمير عبد الوهاب لما تخلصوا من القسطنطونية ساروا فى بعض المراكب حتى توسطوا بحر الروم وأشرفوا على الجزاير وعلى جزيرة الصخر وعلى جزيرة فى وسط البحر وهى اثنى عشر فرسخا طولا وعرض وهو من الصخر الاملس الصوان وهى على جبل فى وسط البحر وفى وسط الجزيرة أربعة عيون ماؤها أحلى من الشهد وأشجار عليها من سائر الأثمار وأهل الجزيرة فى قلعة مربعة على أربعة أبراج من النحاس قواعده من الرصاص منزل فى الحديد ولكل برج أربعة أعمدة

والأبواب من البرج الى البرج واذا قعد الإنسان على برج من أبراج القلعة ينظر فى البحر مسيرة أربعة أيام ومن السنة الى السنة يرسل الله تعالى طيرا على صفة الأوز يخزنوه من السنة الى السنة ولا يروح وكل أهل بلاد الى أهــل هذه الجزيرة يتجرون والى أهلها يحتاجون واذا دخلوا الى عندهم التجار يربحــون فى الدرهم دينار (قال الراوى) وكان خلاص الأمراء من القسطنطونية وسبب وصولهم الى هذه الجزيرة لؤلؤ غلام البطال وذلك أنه أتى الى القسطنطونية ومعه بقية الغلمان فى أثر غلام عقبة وقصد الى دار مارس ودارس وسأله عن أخبار مولاه البطال فأخبره أنه مسجون هو والأمير عبد الوهاب فى دار البلاط فقال له أريد منك أن ترسل معى من يورينى المكان من بعيد فأمر مارس بعض غلمانه أن يريه دار البلاط ويرجع فلما وصل لؤلؤ الى ذلك المكان كان وصوله مع وصول ابنة الملك وميرونه بنت البترك وجماعة من النسوان فتزيا لؤلؤ فى زيهم وتبعهم الى المطموره وتخبأ فيها فى مكان مظلم وما زال الى أن خرجوا فتقدم لؤلؤ وفك قيودهم بعد ما سلم عليهم وصبر حتى نامت العيون وخرج الى باب المطمورة ولم يزل يبرد الحلق واللوالب الى أن خلعوا الطابق ثم خرجوا فى ظلام الليل وقد سكنت الأصوات وقد وصلوا إلى دار مارس ودارس وطرقوا الباب فقال البواب من بالباب قال بعض الاصحاب فاستأذن عليهم البواب ودخلوا فلما رآهم مارس ودارس فرحوا بهم الفرح الشديد وسألوهم كيف خلاصهم فقالوا لهم ما هو وقت كلام أخرجنا من باب المينا وافتحه لنا ونزلنا فى مركب فنظر لهم مارس ما أشاروا وساروا ولو كان لهم أجنحة لطاروا ولؤلؤ يحدث الأمراء بان عقبة عندهم تحت الضرب والهوان مع الأميرة ذات الهمه فى أرض السويديه يتنسموا الاخبار يوم بعد يوم ففرح أبو محمد وقال وحق النبي المنتخب سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم لقد نسيت الذى جرى علينا من فرحى ببلوغ أملى ووقوع هذا اللعين عقبة ثم انهم ساروا والريح طيبة ثلاثة أيام واذا قد خرج عليهم من صــــدر البحر مركب مشحونة بالرجال وكانوا حراميه وهم من جزيرة الصخر وقلعة العمد وكانوا خمسين مركب فى كل مركب ثلاثمائة بطريق وكل مركب يخرج من بلاد الروم يأخذوه ان كان فيه غلة أو غيره وكان الدمروس أراد أن يأخذهم فلم يقدر على ذلك فصانعهم حتى دخلوا فى طاعته وكلما أتوا بشىء يعطوه الثلث فبينماهم على جرى عادتهم إذ وقعوا بالمركب الذى

فيها الامير عبد الوهاب والبطال فأحالوا بهم فابتدر الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وغلمانه وقاتلوهم ساعة وأطبقت عليهم المراكب من كل جانب وغمرتهم الرجال وتكاثرت عليهم الأهوال فأخذوهم أسارى بعدما قتل منهم الأمير جماعة وساروا بهم أربعين يوم فشق ذلك على الأمير عبد الوهاب وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فلما وصلوا إلى الجزيرة ورأوها فلم يرون أحسن منها ولا أحصن ولا يطالع لها انسان إلا بالحبال فصعدوا بالامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال وأصحابه وغلمانه وأوصلوهم إلى الملك الدمروس فلما مثلوهم بين يديه قال لهم الملك المسيح أمركم أن تسيروا بالبضائع إلى بلاد الاسلام وتقووهم على الآثام وتعملوا على عباد الصلبان فبكى الامير أبو محمد البطال وقرأ الانجيل بصوته الشجى الذى أعطاه له وجعل لؤلؤ بجاربه والغلمان تراسله حتى أبكى الملك وأبكى كل من حوله من الرهبان والقساقسه والبتاركة والبطارقة وأقبل الملك على أبو محمد البطال وقال له من أنت أيها الراهب فلما سمع البطال ذلك الكلام قال أنا راهب كنيسة قمامه المتولى على القيامة تركت موضعى الذى أعلم فيه عباد المسيح الانجيل فلما سمعت ان ميرونه بنت البترك قد خاصت أتيت الى تهنئتها لأن المسيح فرض علينا طاعة أبيها فعاقبنى المسيح الذى أديت حقوق المخلوقين وتركت موضعه فأردت ان أسير بعد التعويق فأتانى منكم مالا أطيق فقال له الملك أيها الاب الشفيق اغفرلى ذنوبى فانى ما عرفت مكانك ولكنى أسألك فى شىء واحد فقال البطال وما هو قال الملك اسألك ان تقيم عندنا اربعة ايام وترحل فانى قد اجتمعت عندى نذور للقيامة مقدار عشرة آلاف دينار خلاف الستور والقناديل الفضة والذهب واريد ان اعطيها لك فشكره البطال وقال ايها الملك انا لا ارضى الدنيا لغيرى فكيف ارضاها لى والمسيح يقول ان الدنيا جيفة وطلابها كلاب (قال الراوى) ثم قال البطال ولكن ايها الملك ان كان ولا بد آخذ هذه النذور منك لاجل تلاميذى والباقى الذى خلفتهم ولولا هذا ما كنت أخذت شىء من هذه النذور ولكن نفرقهم على فقراء القيامه والذين يقيمون فيها فشكره الملك على ذلك واقام ابو محمد عند القوم ويعظهم ويذكرهم ايام المسيح حتى عزم الملك ان يترهب ويخرج الى بلاد الشام ويدع الملك والدنيا واذا بالهواء قد طاب باذن رب الارباب فتقدم البطال الى الملك فقام له قائما على الاقدام وقبل يده واجلسه الى جانبه وأخذ يسأله

عن احواله وقال له يعز علينا فراقك ايها الراهب ولكن ماتقدر نشق عليك فنشتهى لاتخلينا من الدعاء فى تلك المواقف الكريمة فقال سوف ادعو لك على ممر الايام وصاح على الرجال ان ينقلوا لمركبهم الاموال فقال الملك لبعض الحجاب ازعق لنا على أبونا الراهب لوقا بترك البلاد وبركة العباد فعندها ذهب البطريق واتاه ومعه شيخ اعور ازفر كانه عفريت من عفاريت الجان وقد اعطاه الشيطان ولايته واقبل عليه الشيطان بكليته فلما رآه الملك قال له يا ابونا هذا راهب قمامه المتولى على القيامه وهو نائب المسيح على عباده وجعل يصف له زهد ابو محمد ودينه وحسن يقينه وظرف قراءته وترتيله فبقى الشيخ ينظر إلى وجه ابو محمد ساعة زمانية ثم انه صاح صيحة تخيل للملك ان المجلس انقلب وقال ايها الملك اما تعرف هذا الذى وصل اليك واقبل عليك هذا مخرب الكنائس والبيع ومعمر الجوامع بالجمع ومهزم العساكر ومبيد العشائر وممزق الجماعات وسراق البنات الذى ما دخل مدينة إلا وسرق صاحبها ولا بلد إلا واهرق دماء اهلها الذى غلب الشيخ النجيح وحجة المسيح هذا اللص المحتال ابو محمد البطال والتفت إلى عبد الوهاب وقال له وهذا سيف الإسلام والاسد الضرغام البطل الهمام سيد بنى كلاب الفارس المهاب الامير عبد الوهاب فقال الملك بحق المسيح هؤلاء مسلمين قال نعم ايها الملك فالتفت الملك الى ابو محمد البطال فرآه يضحك فقال له مم تضحك فقال ايها الملك اضحك على قلة عقل هذا الراهب المسكين ولكن صدق المسيح فيما قال ما خلى جسد من حسد وهذا الشيخ المسكين نظر الى ما اعطيتنا من النذور والمال فكذب علينا بهذا القول المحال والصواب انك تمكنى منه حتى انى ابين لك صدق هذا المقال ولاى شيء يكذب وابدى هذا السبب فقال الملك دونك وما تريد من هذا الاعور العنيد فقال لوقا ايها الملك ان كنت ما تسمع منى فمدينتك تخرب وتؤخذ نعمتك وتسلب وانا ابين لك ذلك وهو ان تأتى بكتاب المسلمين الذى عندك الى هؤلاء فان غسلوه ومزقوه فهم كما يقولون فقال البطال ايها الملك لا تسمع مقال هذا الرجل ودعنا عندك وارسل الى القمامة فان كنت كما اقول والا افعل معى ما تريد فقال الملك لا بل هات المصحف الذى عندك ياابونا فعند ذلك ارسل لوقا فأتوه بمصحف مذهب بخط واضح فقدمه إلى القوم فلما نظره ابو محمد البطال اصفر لونه وتغير كونه فقال الامير عبد الوهاب على ماذا عولت يا ابا محمد هل تجسر على كلام الواحد الاحد الفرد الصمد تمزقه فقال الملك دونكم

والذى قال عليه البترك لوقا والا أنتم كما قال فقال أبو محمد أيها الملك إن هـذا كلام الملك المالك الماجد العظيم الواحد وهذا عندنا هو والإنجيل سواء ونعلم أن فيـــه التحليل والتحريم فقال الدمروس دع عنك هذا الكلام وهذه الأمانة وخلى طريق الإهانة وصاح على البطارقة خذوهم فأقبلوا عليهم من كل جانب ومكان وقامت القيامة والدنيا على قدم وساق وكثر حولهم الصراخ والزعاق وضربوهم الضرب الشديد الذى ما عليه من مزيد هذا والأمير عبد الوهاب يقول ما أطيب الضرب فى طاعة الله تعالى فقال أبو محمد ان الضرب يعمى القلب ويحير اللب ويضيع العقل ويغم المسامع ويصير الإنسان ذاهل فقال الأمير عبد الوهاب اتق الله يابطال والله انى أفرح بذلك وأعلم بان الله يجزى الصابرين فقال البطال والله انى أشتهى أن تحمل هـذا الأجر وحدك فضحك الأمير عبد الوهاب ثم أنه تذكر الأميرة وأولاده وأهله وأصحابه فانشد يقول بعد الصلاة على طه الرسول :

أيها العذال كم تعزلانى	قل صبرى على خطوب الزمان
أوجعونى ضرباً فلست أبالى	بعد ضربى بطارق الخذلان
اقتلونى ولا أهين كتاب	الله ربى المهيمن الديان
فلى الأجر عند ضربى وصبرى	وبه أرتجى خلود الجنان
آه لو كنت ماسكا لحسامى	ما ثبت فارس إلى ميـدانى
كم بلى من رجال قبـلى بهذا	من ذوى الدين والتقى والأمانى
فجزاهم بصـــبرهم كل خير	ثم أعطاهم جزيل التهانى
فاستمع ياأخى وكن صبورا	للقضايا تفوز بالغفران

(قال الراوى) فلما سمع البطال ذلك الكلام النثر والنظام غضب غضباً شـديداً ما عليه من مزيد وقال للبطريق اضربه فإنه آفة النصرانية وهو الذى جرأنى على هذه القضية وعلمنى الحرام واللصوصـــية فقام البطريق إلى عبد الوهاب وما زال يضربه إلى أن غشى عليـه ثم أمر الملك بإحراقهم فأتوا بالأخشاب والنار وارتفع الدخان وسحبوهم على وجوههم وأرادوا أن يلقوهم فى النـار وإذا بمركب أقبلت وقلوعها كأنها أجنحة النسور فقال الملك اصطبروا حتى يصلوا هؤلاء القادمين وينظرون اليهم فما مضى إلا القليل ووصلت المراكب الى المينـاء وإذا بهم تجار ومعهم أدنى بضاعة وفيهم بطارقة وشمامسة ورهبان فقصدوا الملك وسلموا

عليه وسألوه ما الخبر فأخبرهم بالامر الذى هم فيه ففرحوا وقالوا أيها الملك لك البشرى فان هؤلاء هربوا من سجن الملك منويل وسار الملك الى بلاد الأسلام فى طلبهم وسبب أسرهم انه وقع بهم لما غضب عليهم الخليفه وأعادوا عليه جميع الامر من الأول الى الآخر وان الملك سار الى بلاد الاسلام فى ألف ألف فارس وثمانمائه ألف فارس وان حرقهم ليس بصواب لان الملك سار الى الغزاة وربما وقع أحدهم فى أيدى المسلمين والشيخ النجيح وحجة المسيح فى أسرهم فقال الملك ان كان ولا بد من ذلك فأنا لابد لى من الغزو الى بلاد الاسلام وأنجد الملك منويل فى هذا العام لان البترك على غضبان ثم انه أمر بالقوم الى السجن وجعل فى أرجلهم القيود والاغلال وأعاد بولده بولص وكان جبار عنيد وشيطان مريد فقال له أبوه احفظ من فى يدك فان غفلت عنهم قبضوا عليك فقال وحق المسيح انى أتعجب من قولك ولو كانوا بغير قيود ماقدروا أن يخرجوا من هذه الجزيره فقال له يا بنى انى قيل لى عن هذا الأشقر الأزرق العينين ان له اعمال أخف من دبيب النمل على جبل الرمل وأخاف عليك منه فأمر بهم ان يكونوا فى برج الرصاص ثم قال لولده ان انا سلمت ورجعت قتلتهم أشر قتله وان أنا قتلت خذ لى الثأر منهم وان انا أسرت افدنى بهم فقبل بولس رجل ابيه (واما) الامراء فانهم فرحوا بخلاصهم من حريق النار ثم رموهم فى السجن وكان السجن بعيد القرار وحيطانه من الصخر الاملس واخذ الملك الاهبه وأرمى المراكب فى البحر وهم مائتين وخمسين مركب فخلى فى كل مركب ثلثمائة فارس ورفع القلوع وسار طالب بلاد الاسلام الى ان وصل الى ملطيه كما ذكرنا واجتمع الدمروس بالملك منويل كما وصفنا (ورجعنا الى سياق الحديث) وعاد الجاسوس الى أم الامير عمرو وحدثها بما سمع فضاقت عليها الارض بما رحبت ثم دارت بهم العساكر كما يدور البياض بالسواد فقال الملك الدمروس لابد لنا ان ناخذ البلد غدا فانها فى ايدينا وأنا أقسم بما ربحنا المعمدان وأصحابه الذين مال عليهم عامود الكنيسه فماتوا شهداء لا رجعت حتى أملك بغداد واخرب الحرم فظن الملك انه يبلغ آماله واما المسلمين فان كل واحد منهم بات يودع أهله واولاده (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (واما ما كان) من الاميره ذات الهمه فانه قد اشتغل قلبها برحيل الملك وما ورد لعقبه حواب كتابه وجاءت اليها رجال بنى كلاب حتى انها سارت فى عشرة آلاف

مارس أبطال فبينما هى متفكرة فى أمرها وإذا بجاسوس وصل اليها وقبل يديها وقال لها يا أميرة عقبة عندكم قالت نعم فقال لها احتفظى به فإن الأمراء هربوا من القسطنطينية فلما سمعت الأميرة بذلك المقال كاد قلبها ان يطير من الفرح ثم أنها قالت لعقبة يالعين أبشر فقد أمكن الله منك فقال لها سوف يأتى من العرضيات مالم يكن لكى فى حساب فهم الأمير ضيغم أن يقتله ويعجل من الدنيا مرتحله فقالت له الأميرة اصبر يا ولدى فما هذا صواب حتى أننا ننظر ما يحل بالأمراء وأقامت الأميرة تنتظر الأخبار وكان غلام عقبة حل عليه مارس وقتله بعد هروب الأمراء وصار عقبة مع السودان فى أسوأ حال ولا وقفوا لهم على أثر وذكروا أنهم ما تركوا موضع إلا ودخلوه ولا راهب إلا وسألوه وبعد قليل وصل اليها الخبر أن الثغور قد أخذت وملطية قد ملكت بالسيف وسبيت أم عمرو وهى تنادى واذلاه بعد عزاه وافقراه بعد غناه فبكت الأميرة عند ذلك وأنشدت تقول :

ألا يا أمير الثغور لو كنت عالما ... بما قد جرى من بعدنا كنت باكيا
ولو نظرت عيناك عمرو وأمه ... وقد ملكتهم يا بنى الأعاديا
تنادى الينا يا بنى العم مالكم ... تخليتمو عنا وكنتم حماتيا
وإن غبتم عنا فيا شوم بختنا ... وإن عبيد الله كان موافيا
وكنت إذا ناديت أسرع ناطق ... فأصبحت عنا لا تجيب المناديا
بعدت عن الأوطان من غدر أهلها ... وحاشاك أن تدعى لأمك جافيا
ستبكى عليك الخيل حزناً مع القنا ... كذاك يبكيك الحسام اليمانيا
وكنت أرجى أن تعود مسلما ... فعاجلنى دهرى وخاب رجائيا
وكنت حماة الدين طرا فأصبحت ... خيول الأعادى رايحات غواديا
وكنت كسيف المسلمين وركنهم ... فاصبح ذاك الركن مذ غبت واهيا
وقد كنت تحمى ثغرنا وحريمنا ... ببيض حداد قد صقلن عواليا
فيا ولدى أخربت ما كان عامرا ... وكدرت عيشى بعدما كان صافيا
ألا يا حماة الحى أروى مدامعى ... شراب ومن أصواتكن عنائيا
ألا ياحمام إن كان فى الأسر خبرى ... بأحواله من قبل يوم وفاتيا
حمام اللوى جاءت حمامة خبرت ... بأنى مقتول وأكشف راسيا
وإن خبرت أن العدا أسرونه ... فطرفى مشتاق وقلبى راجيا

وإن طلبوا فيه الفداء فديته ... بخيلي وغلماني وأهلي وماليا
وما تركي البطال زهدا وانني ... تجنبت في غير الحبيب مقاليا
سأبكيكما مالاح في الجو لائح ... وماغرد القمري بصوت غواديا

(قال الراوي) يا سادة ياكرام ثم رفعت صوتها بالبكاء فلم تدع قلباً إلا صدعته ولا كبدا الاجرحته ثم صاحت النار النار في كبدي والله لا أتركن ثار ولدي ولا ركبت بعد ولدي فرس لأني كلما سمعت الخيل تبدو الصهيل أقول عبد الوهاب يريد الركوب وتذكرت بني كلاب أميرها ففاضت عيونها ورفعت أصواتها وقالوا لقد جرى علينا من فراقك يا أميرنا أمر مصاب وما جرى على أهل ملطيه قالوا واشوقاه اليه عند الطعان والضراب فقال مالك بن طوق والله يا أميرة لو عرفنا أين الملك منويل لكنا قتلنا هذا الملعون عقبه وسرنا اليه وأرمينا أرواحنا عليه ودع القيل والقال فقال القاضي عقبة وهو في أسوأ حال ليس ذلك بصواب لأن القوم في ألف ألف وثمانمائة ألف ولو رموا عليكم حجرا حجر ما قدرتم أن تمنعوا عن أنفسكم ضرر فقالت الأميرة يا ملعون أنت أشفقت علينا من الموت والباري جل وعلا لا يفوته فوت وأنا أقسم بالله تعالى لإن عدم ولدي لما أوفي نذره غيري وأصلبك على باب الذهب فقال عقبة أنا أسأل الله تعالى أن يجمع بينكم ويصلح حالي معكم لأنه كريم إذا وعد وفا وإذا أخطأ الإنسان عفا فأقامت الاميرة تتنسم الاخبار وهي بالسويدية (قال الراوي) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من الاميرين والغلمان فإن بولص كان إذا أراد أن يشرب ياتي إلى الجب ويشرب ويقلب فائض النبيذ على الامراء وابو محمد يسامره ويغني له بلسانه وهو يضحك ويقول اجعلوا بالكم مني لا يسرقني فقد ملك قلبي بحلاوة كلامه ثم يرجع عنهم إلى منزله وكان إذا جن الليل يقول عبد الوهاب لابو محمد البطال يا أبو محمد اقرأ لنا شيء من القرآن فيقرأ بصوت شجي فلا يدع للأمير دمعا إلا سفحه فإذا غلب النوم عليه يقوم ابو محمد يصلي مع عبد الوهاب وكان أبا محمد يقول لغلامه صافي يا ولدي اقرأ أنت في النهار وأنا أقرأ في الليل وكان صافي أحسن صوت اهل ذاك الزمان وكان شاب مليح أكحل العينين مورد الخدين بديع الصفات وكان فاضل دين لان أبو محمد البطال كان اعتنى به واجتهد في تعليمه وكان لدمروس بنت من احسن البنات فاتفق لها يوم من بعض الايام

جازت بباب السجن وإذا بالناس واقفين يسمعون لقراءة صافى وإذا بها قصدت اليه ومعها الجوار فسمعته وهو يقرأ فالقى الله تبارك وتعالى محبـــة صافى فى قلبها وصارت تردد بالنظر اليه فقال ابو محمد وقد عرف بالحال اقرأ يا ولدى جعلت من الأســـواء فداك فقرأ صافى وترنم فبكى البطال وتغرغرت عيناه بالدموع والجارية تنظر اليه وقد زاد بها الامر فبكت وصارت تكرر الحضور الى عندهم ليوم من بعض الايام فنظروا وإذا بها قد جاءت فقال ابو محمد لصافى اسكت فسكت فلما سكت قالت لغلمانها قولوا لهذا الصبى يقرأ فتنهد ابو محمد فقالت يا مسلم مالك تتنهد فقال اسفاً على هذا الولد الذى نقص حسنه وجماله وبهائه وكماله وانتم كل يوم تعطوا لكل واحد قرصه فينطلق الواحد منا على صاحبه ويا كل قرصته فتأسفت على هذا الولد كيف يمضى تالف من الجوع فضحكت وقالت المسيح يفرج عنكم ما انتم فيه من الضيق ومضت من عندهم وارسلت مع جاريتها خبز ودجاج محمر وسمك مقلى وصحن حلو فاكلوا الجميع واقامت لهم على ذلك الراتب عشرة ايام تمام حتى انتعشت ارواحهم وحييت نفوسهم وفى اليـــوم الحادى عشر اتت اليهم بنت الملك ومعها الجارية التى كانت تحمل اليهم الاكل فوجدت صافى يقرأ قوله تعالى فناداها من تحتها ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا إلى قوله ويوم ابعث حياً فقالت الجارية ما معنى ذلك الكلام فقال ابو محمد هذا قول المسيح انى عبد الله حتى يعلم الخلق انه عبد وليس بولد الله لأن الله سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقوله آتانى الكتاب معناه اعلمنى بالحلال والحرام والاحكام والقيام بما فيه وقوله تعالى وواوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا اى ندبنى إلى خدمتة فى دار الدنيا بالصلاة والزكاة يعنى يعلمهم ان فى المال حق معلوم والسلام على يوم ولدت يعنى انه مولود لا معبود ويوم اموت يعنى ان الأنام تموت ويوم أبعث حيا يعنى انه يبعث يوم القيامة ولو كان إلهين لكانت إرادتين وبطل الحكم ونحن نرى ان الحكم واحد وان الخالق واحد وجميع ما خلق على وحدانيته شاهد كما قال القائل هذه الابيات :

فواعجبا كيف يعصى الإله ام كيف يجحده الجاحد
وفى كل شيء له آية تدل على انه واحد

(قال الراوى) فقالت بنت الملك اقسم بالله قسما صادقا ان هذا هو الاعتقاد

الصحيح فقال صافى لكن أشتهى شىء قالت وما هو قال ان تسلمى فقالت وكيف الاسلام فقال تقولى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأتزوج بكى فى الحلال وتمضى معنا إلى بلاد الاسلام ولو أسلمت تلك الجارية كنت زوجتها بابن أخى هذا وأشار إلى لؤلؤ فقالت الجاريه أنا أرضى بما ترضى به مولاتى فعند ذلك أسلموا الاثنين وأقروا بالشهادتين ثم قالت كيف بقى الخلاص من ههنا قال البطال ان طاوعتينا أيها الملكة فالخلاص حاصل فقالت ابشر ايش تريد تعمل فقال أريد مبرد وحبال فأتته بما طلب وقالت له ما تصنع بالمبارد والحبال فقال المبارد أبرد بها القيود والحبال تنشلى أنتى وجاريتك وولدى صافى حتى يساعدك فى طلوعنا وتجهزى لنا عده ونركب فى مركب حربى من هذه المراكب ونسير إلى بلاد الاسلام ان شاء الله تعالى فقالت ابنة الملك ان هذا العمل ما يعمل فى يوم ولا فى يومين ولكن هذه المبارد حصلت لكم هذه الليله وليلة غد ان شاء الله تعالى نحمل اليكم العدد والثياب لكن الخلق كثير وأخشى عليكم منهم فقال أبو محمد لا تحزنى فان الله عودنا بالنصر وهذا الاسود الذى تريه فانه يرد برأسه ألف فارس اذا اشتد المجال فقالت ان كان ولابد فأنا أفتح لكم باب المينا الذى لم يخرج منه الا ان كان أبى وفيه المراكب الحربية ففكوا القيود وانصرفت تقضى باقى الاشغال فلما كانت الليلة الثانية جاءت اليهم فوجدتهم قد أطلقوا بعضهم بعضا فأول من رفعوه كان صافى وقد تمكن حبه من قلبها وبعده لؤلؤ وبديع وجوهر ويانس وأبو محمد البطال وتعاونوا الجميع على رفع الامير عبد الوهاب ثم قال اشغلوا أياديكم بالسيوف والعدد ونقلت لهم الرماح والعدد والعمد وعشرة أكياس ذهب وبدنة أبيها الدمروس وكانت كلها جوهر وكان ورثها من جدوده وما كان الملك منويل عنده مثلها وعشرين ألف ثوب أطلس وما تنصف الليل حتى فتحت لهم الباب الذى للمينا ولا كان عندهم من يمنع ولا من يدفع ولا بحرية ولا نواتية لأن القوم ما عندهم خوف لأنهم فى الليل فمدوا سقاله وطلعوا من المينا فوجدوا مركب حربى مجهز بالعدد والآلات لأمر يحصل الملك فوجدوا فى المركب خمسين رجل نيام فقال أبو محمد لغلمانه دونكم واياهم فصار الواحد منهم ينام جنب الرجل ويذبحه ويحدفه فى البحر الى أن أرموا الخمسين ثم صعدوا إلى المركب وكان المركب جيد القلع والصارى فطلعوا فيه وأرادوا أن

يسيروا وإذا بصوت حنون فقال أبو محمد من هذا فقالت الجارية هذا قس هذه الجزيرة واسمه لوقا عالم النصرانية الكثير الاسفار البعيد عن العمار فقال أبو محمد لا عمر الله له ديار هذا القرنان ابن القرنان الذى كان السبب فى وقوعنا فى الذل والهوان ولابد من قتله فى هذه الليلة ثم انه أتى إلى البر وطلع وصعد إلى نحو الصومعة فطرق عليه فقال الراهب لوقا من الطارق فى الليل الغاسق فقال أبو محمد للجارية وكانت معه قولى له ان ستى زنانير بنت الملك سمعت صوتك أرسلت لك قصعة خبيص قد طبختها لك بسكر تعينك على القراءة فقال لوقا وحق المسيح صدقتى لأن المسيح يقول من أطعم راهب لقمة حلوة كفاه الله فى الموقف حر جهنم فقال أبو محمد فى نفسه انزل يا ملعون فإن هذه اللقمة توديك جهنم وإذا بالراهب فتح الباب فانقض عليه الأمير أبو محمد مثل العقاب ولقمه فى فمه أكره وشده كتاف وحمله الأمير أبو محمد وابنة الملك فتعجب من فعالهم وطلعوا المركب وشالوا آلات المركب والقلوع وكانوا أخذوا من الزاد ما يكفيهم وطاب لهم الريح وساروا بعيد وإذا بالنفير زعق عليهم وأقلب الجزيرة وكان السبب فى ذلك بولص لأنه افتقد الأسارى لاجل وصية أبيه فرأى المكان خالى فطلب المينا فوجد مقتله وغرق بعضهم فعمر المراكب وصاح فى الرجال وطلب المركب (قال الراوى) يا سادة وكان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وجاءت المراكب وكثر الصياح ولبست بنت الملك ثوب من الزرد وجعلت على رأسها خودة وتسلمت حسام أبتر وصاحت يا كلاب النصرانية أنا زنانير بنت الملك الدمروس قد ظهرت الحقائق فإن بيننا وبينكم القتال فصاحت عليها البطارقة وتقاتلوا قتالا شديد وكذلك عبد الوهاب قاتل قتال الجبابرة الأول وكان يأخذ الحربة من الهوى ويردها اليهم فلما رأوا البطارقة هذا الأمر المهول الذى حصل من الأمير عبد الوهاب من الحرب والقتال صلبوا على وجوههم وارتعدت أبدانهم وكان مركب آخر من صوب أبو محمد البطال وزنانير فقاتلوا جماعة منهم فضايقوهم وصار معهم فى المركب من البطارقة خلق كثير فصاح أبو محمد يا أبا ضيغم قد ملكت منا المركب وأشرفت على العطب فعطف عليه الامير عبد الوهاب مثل القضاء إذا نزل وقد أزبد وأرعد فضرب ضرب من لا يخاف الفوت ولا يفزع فتساقطت الرجال فى البحر كما يتساقط الورق من أعلى الشجر وحمى مركب أبو محمد البطال

كما يحمى الأسد فريسته ووقف عرق الغضب بين عينيه وهانت المصائب عليه وأنشد يقول

أيا سائرا نحو الخليفة قل له | بانى ليث الحرب فى البحر والبر
وأخبر بفعل الروم ثم مواقفى | بسيفى وترسى للعلوج على الظهر
وتحتى أمواج من الموج جمة | وامواج ما فوق مركبنا يجرى
وأرديتهم ست وعشر وخمسة | وباقيهم فى البحر يهوى الى القعر

(قال الراوى) فلما سمع ابو محمد شعره والنظام قال لله درك ايها الامير أنت والله الامير الكبير والسيد الخطير فقال الامير عبد الوهاب لو كان جنانك يمضى كما يمضى لسانك ما كان أحدا طاقك فقال ابو محمد وقد غضب من كلامه أنت اليوم قاتل فى النهار وان ما هزمت القوم انا الليله أفعل فعال تتحدث بها الناس دول بعد دول وأوريك الليله الشجاع من الجبان فضحك الامير ثم انه تاخر الى المركب واخذ رؤس بلحاكبار وسلخ اللحا على وجهه ووجوه غلمانه وكان الريح اهتدى والليل هجم والروم يتحدثون مع بولص فى أمر الأمير عبد الوهاب وهم يقولون وحق المسيح لو أن للنصرانية أربعة مثلهم لملكوا الارض هذا وأبو محمد أقبل على الامير مفروش بلحية كبيرة وشعره على صدره وكذلك غلمانه فلولا يعرفه الامير لاخذته الدهشة فقال يا أبا محمد على ماذا عولت فقال سوف ترى العجب ثم انه ارمى العشارى الذى للمركب وركب قلعه والمقاديف ثم لبس من الثياب الذى أخذتها الملكة وألبس غلمانه كذلك فحارت زنانير من فعله ثم قلع حبل العشارى من المركب وطلب البحر العجاج ولم يعلم احد ولما ابعد عن المركب حط القلع وعاد يستقبل المراكب بالمقاديف ورفع صوته بالرومية يغنى وغلمانه يصفقوا من حواليه حتى ازعجوا البحر فلما قربوا من المراكب سمعتهم الروم واللغة بلسانهم ولم يزالوا وإذا هو عشارى لطيف فى وسط البحر فنادوه من كل جانب فصاح أبو محمد ايش أنتم إن كنتم حرامية فنحن رسل الملك إلى جزيرة الصخر فلا تعوقونا عن أشغال الملك فصاحت بهم البطارقة عن صوت واحد قد وصلتم إلى ما طلبتم ها هو معنا وهو بولص بن الملك الدمروس فقال أبو محمد الآن ظفرنا وحق المسيح البشارة لنا فقال بولص وقد خفق فؤاده ان كان لكم البشارة تستاهلون المال الذى يغنيكم إلى الابد فقال أبو محمد وحق الانجيل

معنا بشارة تقر عينه فأين بولص فقال أنا فقال أيها الملك اعلم ان ملك الروم أخذ بغداد وملك الثغور وقبض على خليفة المسلمين وأحب الملك الدمروس على شجاعته ومن محبته فيه زوجك ابنته مليكه من دون ملوك النصرانية واختارك على أهل ماء المعمودية فابشر أيها الملك فقد أرسلني خفية وأعطاني هذا السيف وأخرج سيف خزانتي الذى أعطته زنانير لصافى ثم قال ساعه وصول الراهب اليكم سلمهم البطال حتى نفادى بهم الشيخ النجيح عقبة فقال بولص وقد فرح أيها الانسان الذى أوصاك بهم قد هربوا وقص عليه القصة فقال البطال هيهات إلى أين يهربون ونحن لهم بالمرصاد ثم ان البطال غافل القوم وأرمى فى الماء الذين يشربون منه مثقال بنج أقريطيش فما شرب أحد إلا وقع على الأرض فعندها قام البطال وغلمانه وذبحوهم مثل لمح البصر وحملوا بولص وهو مثل القتيل وأرموه فى العشارى التى لهم وساروا إلى أن وصلوا إلى مركب الأمير عبد الوهاب وهو فى حديث البطال مع زنانير وهى تقول والله لقد فعل أبو محمد معنا ما لا ينبغى أن يفعل فقال لها الأمير ما يسعه فى دينه ان يفعل ما لا يخلصه من الله تعالى وانما يريد يدبر أمر يؤجر عليه فلا يكن خاطرك إلا طيب فإنه ما يختار نفسه علينا فلما سمع أبو محمد البطال كلام الأمير نادى أيها الأمير جاك غلامك البطال أدن منى فعندها تقدم الأمير عبد الوهاب اليه فناوله بولص وهو مثل القتيل وأصبح الله بالصباح وقصدوا الروم إلى مركب بولص وإذا بالبطارقة مذبوحين وبولص مفقود فصاحوا وقصدوا مركب المسلمين فأطلق البطال دخان فى أنف بولص فنقايا البنج مثل قالب الجبن ورأى نفسه على تلك الحاله فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجرت دموعه مثل السحاب فقال له الأمير عبدالوهاب يا ملعون أيما أحب اليك تقول لهؤلاء العلوج يرجعون وإلا أضربك مثل هذه الضربة ثم ضرب بعض الأسارى على رأسه فلقه نصفين فأيقن بولص بالهلاك فوثب قائما ونادى عودوا على أعقابكم وارسلوا إلى أبى لعله يجد فى خلاصى (قال الراوى) ونظروا الروم إلى أبو محمد وهو على ظهر العشارى يرقص وكذلك غلمانه فنادوا وا ايماه وا ايماه وعادوا راجعين يستغيثون من فعال البطال وسار الأمير بمراكبهم والأمير أبو محمد يدير المركب بمعرفته حتى أقبل على السويدية فلما رأوا مركب الأمير كثر الزعاق وقامت الدنيا على ساق ومركب الأمير سائر حتى وصل الميناء فزعقت الناس وركب ضيغم وبنى كلاب وركب ميمون الجاس فى السودان وثار العجاج من كل جانب

فقالت الاميرة أين عينيك يا صاحب الهمم وا أسفاه عليك يا أبا ضيغم ثم ان الاميرة صرخت بصاحب السويدية قدم مركب لطيف وخذ معك مائة أسود واقصد هذه المركب وخذ الخبر (قال الراوى) فعندها قام الامير سملق بمائة من رجاله وركب وخرج فلما نظر الامير عبدالوهاب إلى ذلك قال يا أبا محمد المسلمين دخلهم منا الفزع فقال أبو محمد اسمع أيها الامير الذى أقول لك القوم يعلمون انك فارس البر وأريد أعرفهم انك فارس البحر فتنكر وتطلب القتال معهم فعندها تلثم الامير والبس زى الروم ووقف على جانب الحربى إلى ان أتته المركب فنزل عليها نزول السيل الساكب فسار مع القوم وحمل فى أوسطهم فلم تكن إلا ساعة حتى أخذ ولده ضيغم وسملق أسير والباقى رموا أنفسهم فى البحر فازورت من المسلمين الحدق ورأوا رجلا ما سمع أحد بمثله ورأوا شكله فلما رأت الاميرة ما جرى على المسلمين قالت ان هذ رجل لا يسمح بمثله الزمان ثم أخذت سيفها وسارت حتى وصلت إلى مراكب الامير فلما رآها صعبت عليه وخانه الجلد وقل منه الصبر فرمى السيف من يده وكشف لثامه وقال يا أميرة هكذا تفعل الامهات فى حق أولادها (قال الراوى) فلما رأته الاميرة وتحققته صاحت ورمت نفسها عليه وقالت الحمد لله الذى جمع الشمل بعد الفراق فصاح ضيغم وبالدى ورب الكعبة وتمطى فى الكتاف قطعه واقبل بوجهه على أقدام والده ونادى سملق افسحوا عن مولاى هذا والامير عبد الوهاب يضحك وجاءت بنو كلاب والسودان واتتهم الابطال من كل جانب وكادت أرواح بنى كلاب تطير من الفرح وفرحت الاميرة وسجدت لله الواحد القهار وتمثلت تقول

ما اظن الزمان يأتى بهذا غير انى رأيته فى المنام

(قال الراوى) واتصل الخبر لعقبة الملعون المفتون فمات من الخوف وخرج صاحب السويدية ومعه رجاله ونقل اليهم العلوفات والاقامات والخيل المسومات وكان يوم عظيم وسأل الامير أبو محمد عن عقبة فقالت الاميرة عندنا فى أنحس الاحوال فقال البطال وا برداه على كبدى ثم قال أريد أعطيه الهدية وهى خمسمائة سوط بالسوية وأقرنه إلى هذا القرنان لوقا أنحس الرهبان الذى أشار بنا إلى برج الرصاص ثم صاح لغلمانه على به فأتوه ومدوه وضربوه خمسمائة سوط وكذلك لوقا حتى وقع لحمهم عن عظمهم وعقبة يقول ويلك يا أبو محمد ولا تستعجل كما تدين تدان واعلم انه لابد أن تقع فى يدى فلم يلتفت اليه بل جود الضرب عليه فتسالوتما قلعة الصخر وأقبل الامير

عبد الوهاب وقال يا أبو محمد كف عنه ياأخي لئلا يهلك من الضرب وأنا قصدى اصلبه على باب الذهب فقال أبو محمد الله يبلغك نيتك وأنا قصدى ذلك النهار والصواب ننظر فى أمورنا وما يجرى لنا مع الخليفة (ياساده ياكرام) فقالت ذات الهمة الله يصلح أحوال الخليفة والمسلمين ثم أعادت ما جرى على ملطية وأسر الناس من النساء والرجال فقال الأمير هذا كله بتدبير عقبة لا أحسن الله له عاقبة وأراد الأمير عبدالوهاب أن يسرع فى المسير إلى بلاد الروم وإذا ببعض الجواسيس وصل متنكر وإلى الأميرة تقدم وأراد أن يسلم واذا به صاح ووقع مغشياً عليه فلما أفاق جعل يقبل أقدام الأمير عبد الوهاب فقال له الأمير قل ما عندك فقال الجاسوس أيها الأمير ان ملك الروم اخذ ملطية وجمع مافيها من الأموال والعيال وانحدر الى نصيبين وهو طالب الموصل ولا يشك أنه أخذها وقد ضم السبي إلى شمعون بن لاوون وكانوا يزيدون عن تسعين الف من ذكر وأنثى من فرسان بنى سليم وحولهم ثلاثين الف بطريق فقال لهم وصلوهم الى القسطنطينية وعودوا إلى من ساعتكم فقالوا سمعاً وطاعة وساروا بالسبي وجئت أنا اعلم الأميرة بهذا الحال فوجدتكم قد جمع الله شملكم فقال الأمير عبد الوهاب ووصل السبي إلى القسطنطينية فقال لا ولا بعد عشرين يوماً لأن معهم خلق كثير ومال غزير وجوارهم ينادون وا إسلاماه وامحمداه ورأيت فيهم أيها الأمير عربية جميلة الصورة وقد لطمت على وجهها وحثها بطريق على المشى فأخذها التعب فرفعت رأسها إلى السماء ونادت يامولاى اذا تسلطت المشركين فمن يكن الموحدين وإذا كان حلمك على المشركين فماذا تصنع بالمسلمين وبعد هذا الكل اصنع ما شئت فما نعبد غيرك وما نطلب الخلاص الا منك فسألت عنها فقيل لى هذه أم عمرو بن عبيد الله ثم رفعت صوتها وأنشدت تقول هذه الأبيات ·

اليوم يرحمنا من كان يبغضنا	اليوم نتبع من كان لنا تبعا
أين الأمير الذى قد كان عمدتنا	هو الحسام اذا نبهته قطعا
يا أبيض الفعل يا من ليس يشبهه	يوم الحروب اذا برق لها لمعا
مذ غاب قد ظفرت ايدى العداه بنا	وقطع الخوف أكباداً لنا قطعا
ان كنت تؤخذ عمرو من جريمته	فلا يضيع عبيد الله ما صنعا
ان الجميل مقيم عنـــد معدنه	ولا يضيع جميلا أين ما وضعا
هيهات لو كان حيا ما أحيط بنا	أيدى العدو ولا فى أمرنا طمعا

(قال الراوى) فبكى الأمير عبد الوهاب حتى كاد ان يغشى عليه ونادى فى الناس بالرحيل

فى عشرة آلاف من بنى كلاب وأربعة آلاف من السودان والأميرة ذات الهمة الى جانبه وترك بولس ولوقا وعقبة مودوعين فى السويدية مع جملة الثقل وساروا الليل والنهار مدة عشر أيام وقطعوا ارضا بعيدة حتى وصلوا مرج فى مضيق الجبل بينه وبين القسطنطنية ثلاثة أيام فنزلوا فى المرج وكان واسع الفضا يصلح للجولان فنظرت الأميرة وإذا على رأس الجبل هناك صومعة راهب فقالت لأبى محمد أنا فى قلبى نار من أجل السبي وحمية الدين واخاف أن يفوتنى وأريد أن تمضى الى هذا الراهب وتسأله هل جاز السبي أم لا فقال السمع والطاعة فخرج فى زى شماس وفى يده عكاز وسار حتى وقف على باب القلاية ونادى بالراهب فطل عليه فقال له ماحالك فقال له البطال كيف ترى الدنيا فقال تخلق الناس وتقرب المنية فقال ماحال اهلها فقال من نال منها شيء حسرته فقال البطال فما خير الأصحاب فقال التقوى والعمل الصالح فقال وما شر الأصحاب قال اتباع الهوى قال فما أحسن هذا الاجتهاد لو كان فى دين الاسلام والتوحيد فقال وأنا لم أعتقد غيره وقال فما تقول فى محمد بن عبد الله قال سيد المرسلين فقال جاز بك سبي المسلمين فقال لا ولكن مر بى البارحة بطريق واستقا منى الماء وسألته من أين أتى فذكر أنه وصل من ملطية وهو طالب القسطنطينية يبشر أهلها بقدوم السبي والغنيمة ثم قال انصرف عنى فقد شغلتنى عن محبوبى فانصرف البطال وجاء للأمير وعليه أثر البكا فحدثه بحديث الراهب فقال اشتهى أكن عنده اسمع حديثه وأرجو العفو عن تقصيرى ثم قال سر بنا اليه فسارا حتى وصلا اليه وسلما عليه فرد أحسن سلام وقال ماذا تريدون فقالا الوصية فقال اللهم ان كان كما تحب فزدهم وأنت مزيد الشاكرين (ياسادة ياكرام) ثم قال ولى اليكما حاجة عجيبة لله فيها رضى ولكم فيها الثواب وقد رأيت فى المنام محمد المصطفى ﷺ فهل لكما من قضاءها وتفوزون بالأجر فما يخفى على أنكما مسلمان فكاد قلب الأمير عبد الوهاب أن يطير فرحا لما قال له هو شيء فيه الثواب فقال له الأمير أيها الشيخ قل ماتريد فقال الراهب ان فى وسط هذا الجبل رجل جبار فى قرية اسمها دير المسيح وعنده رجل مسلم أسير من أربعة عشرة سنة وفى رقبته حبل مربوط الى شجرة وقد نبت العشب من دموعه حزناً على مايفوته من الجهاد وربط معه كلب وكل يوم يطلع فيه الشمس لا ياكل ولا يشرب حتى يضربه مائة سوط يهرى بها لحمه وصار كانه الخلال من طول السنين ويقول له ماأخليك حتى ترتد عن دينك وهو يقول أحد أحد فرد صمد فقال له وحق المسيح لاقطعن أعضاك فقال له دونك وماتريد اذا كان مولاى يقطعنى فلا أبالى بمن قطعنى فلا

زال يقطع منه شيئا بعد شيء حتى قطع أصابع أيديه ورجليه وقطع أنفه وأذنيه وقلع احدى عينيه وهو مع ذلك لا يزداد الا احتراما وتنزيها وإعظاما وقد ضربه اليوم الضرب الوجيع وأقسم بالمسيح انه يقطع فى العشاء لسانه ورجليه فصعب عليه الأمر فقال إلهى وسيدى ومولاى كل الاعضاء قد صبرت عليها فلا تسلبنى لسانى فإنى أتمتع به بحلاوة ذكرك وبه استعين على تضرعى اليك عند نزول البلاء وانى كنت فى هذه الساعة نائم فرأيت النبى ﷺ وقد أتانى وأعاد حديث الرجل على فقلت يا رسول الله فما الحيلة ان أذنت لى فنزلت اليه وجعلت روحى لروحه فداء فقال لا ولكن الساعة يصل اليك رجلان أحدهما أسود اللون مليح الكون وهو يتعصب لله ورسوله وفيه حمية للملة الحنيفية فقل له ان النبى ﷺ يقول لك قد عرضت اليك حاجة وما خصصنا بها سواك وان الملائكة اعلمتنى بعذاب هذا الرجل وصياحه باسمى وأردت أن يكون شريكى فى هذا الفوز بالثواب والرجل ينفعك لجاه يوم القيامة (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك كادت روحه تزهق فرحا برسالة النبى ﷺ وحنق على البطريق ثم التفت الى أبو محمد وقال سر بنا فقال ابو محمد عد بنا الى العسكر نأخذ معنا مائة رجل لأن هذا الدير أنا أعرف الناس به وفيه جماعة من بطارقة الروم فقال الامير عبد الوهاب أنا لا أرجع لأنى أخاف أن يقطع البطريق لسانه واكون فرطت فى حاجة رسول الله ﷺ فعندها صعدوا الجبل وتوسطوا واذا بأرض واسعة كثيرة الشجر والعيون كانها البحار ودير عالى ووسطه رجال كانهم النخيل فقال ابو محمد للأمير الم اقل لك ان الجمع كثير فقال يا أبا محمد من أراد نفيس خاطر بنفيس فهما فى الكلام واذا بالبطريق اقبل من صدر غابة ومعه أسد عظيم ثم أتى الى شجرة هائلة تظل مائة فارس وتحتها صخرة يجرى فيها عين فترجل الملعون هناك ورمى الاسد وصاح فخرجت اليه الغلمان من كل جانب ومكان فأخذوا منه الاسد وسلخوه واضرموا النيران وجعلوا يشوون له وهو يأكل ثم أمر بالخمر فشرب حتى عمل فيه ثم صاح بالرومى هاتوا العربى فاصفر وجه الامير أبو محمد البطال فقال أيها الامير على ماذا عولت فقال الأمير عبد الوهاب إنى ساكت حتى ينكشف لى خبر المسلم ثم أن بعض الغلمان أتى بالرجل بين يديه وهو على تلك الصفة فقال الملعون وحق المسيح لئن لم ترتد عن دينك وتكفر بمعبودك لاقطعن لسانك وان كنت تظن أن عسكر الاسلام يصل اليك يخلصك مما أنت فيه فهذا أمل باطل لأن عسكر الروم بعدد النجوم وان عجزت فأنا أسير اليهم وأهلكهم عن آخرهم فقال له المسلم أما ذكرك من رجوعى عن دينى فوالله لافعلت ذلك ولو شربت كاس

الردى وأما ما ذكرت من عساكر الاسلام فساعدك أقصر وأنت أذل وأحقر وقد قال رب العالمين وكان حقا علينا نصر المؤمنين فغضب عند ذلك اللعين وطلب قطع لسان المسكين وإذا بالنداء من خلفه الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر فالتفت البطريق ينظر ماالخبر وإذا بالأمير عبد الوهاب قد هدر وزجر وهو يقول حل عنه ياكلب النصرانية وأنجس من غمس فى جرن ماء المعمودية وأبو محمد يقول أدركه قبل أن يهلكه فوثب البطريق وظن أنه دهمه خلق كثير فلم يرى غيرهما فطمع فيهما وثار فى الدير النفير فخرج منهم مائة فارس فداروا بالأمير فلقيهم بصدره وأول من لقاه البطريق المقدم ذكره سافنطاس صاحب الدير المتولى عقوبة العبد الصالح فعندهما تجاولا واختلف بينهما ضربتان كان الرومى أسبق فبطلها الأمير عبد الوهاب وخرج عنها سالما وعطف عليه وقال خذها وأنا أسود بنى كلاب فوقع السيف فى أعلاه نزل الى صدره وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر الامير وكبر المسلم فى قيده وهو يقول صدق الله العظيم ورسوله وفى دون ساعة ثار العجاج وقتلت الأبطال خمسة وعشرة وأتوا اليه العالم من الجبل ونزلت الأحجار من الكفار ميمنة ويسار والبطال واقف من بعيد وهو يقول له شد حيلك يا أبا ضيغم الله يعطيك الصحة والسلامة ويكفيك شر الندامة هذا وقد ارتفع الصياح وجاء الحق وذهب المزاح واقتمحت الرجال لرؤسها وسمحت بنفوسها وكلت يد الأمير مما يضرب بالسيف وجعل الجحفة بين كتفيه وامتلأ بالدماء منكبيه وقد هانت المصايب عليه وتأخرت الرجال عنه (قال الراوى) هذا وأبو محمد قصد الى الرجل المسلم وكسر قيده وحل كتافه وقبل رأسه وأزال الغل عن عنقه وعاد الى المعركة والقتال لينظر مافعل الامير بالرجال الأنذال عصبة الشرك والضلال فوجده قد ملأ الارض من القتلى وأزال الهم والبلى وقد كلت الروم من القتال وبليوا برجل ما مثله فى الرجال واذا بأصوات عاليات وصرخات ناميات حتى خيل لهم أن الارض تزلزت والجبال تدكدكت فأحدقوا اليهم الأمراء بالأبصار واذا هم بالسودان الأنجاب قد أقبلت وفى أوائلهم سملق فى مائه فارس كأنه الأسد وفى كفه صارم مهند فصاح عليه أبو محمد أدركنا يافارس الوقايع وقاطع الأوصال دونك وهؤلاء الانذال وانهبوا بعد ذلك الاموال فقال له سمعا وطاعة لله ولك يابطال (قال الراوى) وكان السبب فى وصول هؤلاء الرجال الأميرة ذات الهمه لان الأميرين لما ساروا ولا أعلموها فلما علمت بها وقد طالت غيبتهما وانهما قد مضيا الى الدين وسألوا الراهب فأخبرهم بالخبر وأطلعهم على جلية الاثر فساروا

على عجل الى ان تقربوا منهم ورآهم البطال وحثهم على النزال والحرب والقتال هذا وقد عمل السيف فى الهام وكثر الزحام والروم قد هد منهم الجلد والحيل فطلعوا على الأصوار ورموا على المسلمين الاحجار وكان فى الدير أموال وقناديل وصلبان ذهب أحمر وجوار نهد أبكار كانهن الاقمار فى ظلام الاعتكار ثم التفت الى الأمير سملق وقال له يامبارك دونك والدير فانك من أهل الخير قال سملق بالسودان وأحدقوا بالدير من كل مكان وقد تقدم الأمير الى الرجل الاسير فوجده يبكى فضمه الى صدره وقبله بين عينيه وقال له ماأبكاك لا ابكا الله عيناك ان كان من أجل أعضاك فان الله تعالى يضاعف لك الثواب فقال الرجل للأمير عبدالوهاب والله مابكائى من أجل ذلك وانما بكايا من قدوم الراحة فى بدنى فى هذه الساعة وصفت لى الدنيا لأنى شبعان ريان مستريح على المنهج الصحيح وماصفت أكثر من هذا الزمان وولى النهار وأقبل الليل وقدم شيئا من الزاد الذى مع سملق فقال له الأمير بسم الله كل من زادنا فانه طعام أهل الجهاد فكل قدر ماتسد به رمق الفؤاد فقال دعنى ياأمير فان نفسى طالبتنى بشهوة فمنعتها عنها عشرين سنة فلحت على حق أطعمها اياها فطعمتها فسلط الله على هذا العلج الجبار العنيد فلقيت منه مالقيت فقال له الامير أيها الفقير بحق اللطيف الخبير هل كانت بشهوتك التى هى سبب عقوبتك فقال ما كنت آكل غير الخبز عشرين سنه فطلبت منى الزيادة وأنا امنعها من ذلك ولا أطعمها ولم تزل معى النفس حتى بلغتها هواها ثم جمعت لها بين الخبز والملح المطيب بالابزار ففى ذلك الشهر وقعت فى يد ذلك الجبار فبكى الامير عبد الوهاب وقال له زلة الاحباب صعبه وقام الرجل الى ورده وكذلك الامير عبد الوهاب ساعة فغلبه النوم فنام مما لاقاه من القتال والصدام فلم يشعر الامير الا والرجل انتبه وهو يقول له اقعد أيها الامير حتى أبلغك رسالة البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم فقعد عبد الوهاب وهو متعوب مرعوب يتأمل من ايقظه وأذا به الزاهد وقد رد الله عليه اصابع يديه ورجليه وانفه واذنيه وتراكمت الانوار عليه فلما نظر الامير الى ذلك بقى ينتفض مثل السعفه فى الريح العاصف وصار عقله طاير وقلبه راجف فقال الزاهد يهدأ روعك انكشف الغطاء والذى أخذ أعطى وانى لما نمت انت جعلت أصلى ما على واتضرع الى الله تعالى فغشيت عينى النوم فنمت فرايت النبى صلى الله عليه وسلم وقد مد يده الشريفه على صدرى وعلى كل عضو عدمته فرجع احسن ما كان وذهب ما كان بجسمى من الالم ببركة سيد الامم صلى الله عليه

وسلم وهو يقول لى اقرىء عبد الوهاب منى السلام وقل له جزاك الله خيرا ولا لقيت سوء ولاضير لأنك حامى المسلمين واذب عن المؤمنين وانصرف عنى فلم أره والسلام فجعل الأمير يبكى وقال ما أحسن مقامات الأولياء وما أروح قلوب الاصفياء وانتبه أبو محمد البطال على بكاء عبد الوهاب وبادر اليه وقعد بين يديه وقال له ما يبكيك أيها الامير فقص عليه القصه فنهض البطال يتبارك بالعبد الصالح فلم يجده فعظم عليه وكبر لديه وكذلك الأمير عبد الوهاب وعلا منهما البكاء والانتحاب فقال البطال وددت والله أيها الأمير لو أنى سألته كم بقى لعقبه من الحياة وهل ينهتك ستره أم لا فقال الامير يا أبا محمد ماهذا وقت المزاح فاعتبر بأهل الصلاح وبعدها قال يا أبو محمد قلبى مشغول لئلا يعبر السبي ومانحن حاضرين فقال أبو محمد أن فى هذا الدير أموال تقاوم فتح القسطنطونية وإذا عبر السبي فالأميرة فيها الكفاية إذا حققوا ضرباتها تذل حماتها وتزهق أرواح عبيدها وساداتها فقال الأمير اعلم يا أخى أن الخلق كثير والجم غفير والحرب سجال يوم لك ويوم عليك فقال أبو محمد لاتطيل الخطاب فوحق النبي الأواب صلى الله عليه وسلم مانعود من ههنا حتى نفتح الباب ونقتل هؤلاء الكلاب ونسبي الكواعب الاتراب فقال عبد الوهاب وإن تعسر علينا الباب ماذا يكون الجواب فقال أبو محمد وكأنى أخليها أكثر من هذه الليلة وعند الصباح تبصر فى الدير الصياح ووثب من قدامه ودار حول الدير فلم يجد فيه حيلة لمحتال ولا تعمل فيه المعاول ولا فيه طمع لنايل فلما أيس منه قال ترى الماء من أين يأتى وجعل ينظر ويقول وهو داير شرقا وغربا وبعدا وقربا فوجد فى بعض الوداه ماء جارى يأتى من الدير فتبعه البطال الى أن قرب من الدير واذا هو ببلاطه على وجه الأرض والماء من تحتها له هدير كأنها رحاة دائرة فعاد البطال إلى الأمير عبد الوهاب وأمره بالقتال والزحف للدير فتقدمت الابطال وزجرت الافيال ورموهم الكفار بالاحجار وأخذ أبو محمد غلمانه وأتى إلى البلاطة وتعاونوا عليها وقلعوها من مكانها وإذا هم بماء يجرى من تحتها وتيارة يفلق المسمار من قوته ويدحرج الصخور من حدته ففرح أبو محمد البطال واستبشر وأيقن بالظفر وأمر بعض غلمانه بالنزول فقرأ لؤلؤ ونزل وفتش المكان واذا فيه شباك حديد ضيق العيون فادعى أبو محمد بغلامه صافى وكان رفيق رشيق ممشوق القامة لطيف الصوره فسلم اليه البطال كلما يحتاج اليه وأتى به الى الموضع الذى يخرج منه الماء وهو الشباك فقال صافى يا مولاى كيف يكون الدخول من قوة الماء فقال له امسك نفسك وأنا أدفعك من رجليك فتدخل أسرع من طبق الجفن على العين ولو كنت انا فى رقة جسمك ما كان

عبر أحد غيرى فقال له صافى ما بقى فى الأمر إلا شىء واحد وهو أن عبرت عريان أو مسلوب الثياب انفسد الأمر فأخذ أبو محمد جراب أديم طائفى وعمل فيه مزود لطيف ملآن من ثياب الرهبان وعشرين قرص من القربات وقد عفنت ولها زمان ثم جعل على فمه الشمع بعد أن أوثق رباطه حتى لا ينفذ الماء منه إلى الثياب فعبر صافى فى بعض العيون الذى للشباك وهجم بقوته على الماء ودفعه أبو محمد فسار داخل الشباك قبل أن يبلع ريقه ولا رأى شىء يعيقه وذلك من سعد البطال وتوفيقه ثم دفع الجراب اليه فأخذه ورجع أبو محمد الى قدام الدير والرجال فى قتال شديد وحرب أكيد والبطال بلغ مايريد وورد الطابق مثل ما كان واعلم الامير بما قد صنع (وأما) صافى فانه طلع من الماء والتجأ إلى مكان خراب وأخرج الجراب ولبس الثياب وركب على وجهه لحية بيضاء وقصد بيعة الدير والناس كلهم مشتغلين بالقتال لا يعقل الاخ على أخيه ولا الوالد على أبيه وبعدها رفع صوته وتنحنح وجعل يتلو الانجيل بصوته الذى يشفى العليل فقصد كل من فى الدير اليه فأبصروا شيخ ضوى الوجه وعليه آثار العبادة واستولى عليه الكبر وله شيبه كانها بياض اللبن مفروقة فرقتين كانها قضبان اللجين وهو يتلو الانجيل بالسريانى ويفسره بالرومى فحار كل من فى الدير وجعلوا يقولون طلع هذا من الارض أو نزل هذا من السماء ولم يجسر احد ان ينظر اليه ولا يسأله والقس الذى للبيعة والمطران كثرت همومهم والاحزان ودهشوا من حسن خلقته وبياض لحيته وطيب رائحته ونغمته وحسن تلاوته وتفسيره الانجيل ومعرفته بالتحريم والتحليل ثم سكت عليهم ساعة وسلم عليهم فجعلوا يقعون عليه ويقبلون رجليه وهو يمنعهم من ذلك ويقول لهم إنى من الذين استخلفهم المسيح فى الارض والهمهم الدوران فى طولها والعرض وكنت فى هذه الليلة فى القمامة نائم فأبصرت مريم المقدسة وهى تقول لى حالكم وتحدثنى بما تم عليكم ونالكم وكيف قتل مقدمكم ورجالكم وامرتنى أن اسير اليكم واقدم عليكم واصرف عنكم الاعداء وإلا اسقوكم كاسات الرداء فشكوت للسيدة بعد الطريق فقالت ما حملك مالا تطيق فاخذت بيدى من القمامة ووضعتنى ههنا ولى سبب اقضيه الليلة وبعد ذلك أخرج اليهم وأحرقهم بالنار فقالوا يا أبونا وما هو السبب فقال اعلموا يا أولادى إننى أنا اقعد أربعين يوم لا آكل ولا أشرب الامرة واحدة حتى تظهر المعونة وفى هذه الليلة افطارى فقالوا يا ابونا نأتيك بما تأكل فقال يا اولادى لو كانت من زادكم لانفسد حالكم وخاب من المسيح آمالى وكنت أطلب الطعام على ممر الليالى والايام ولكن هذا طعامى وفتح مزوده ويده ترتعد واخرج منه عشرين قربانة وقال هذا خبز ختم عليه الانجيل بقمامة مائة مرة وكذلك بكنيسه سوفيا وكنيسة نصيبين

وحنطته من جبال بيت المقدس من قوت الحواريون وكل من أكل منه لقمة ذهب عنه الالم وكفى جميع السقم وكفته اللقمه أربعين يوما فبقى قس البيعة ينظره لعله يطعمه لقمة فعلم صافى مافى قلبه ومافى باله فقال للقس نحن نقضى مافى بالك فقال القس وكان هذا فى خاطرى يا أبونا وحق المسيح ان تطعمنى لقمة البركة آمن بها من كل هلكة فقال صافى ما كنت بالذى اطعمك من دون أهل الدير بل أطعمهم الكل لأن الرحمة إذا نزلت عمت الخلق ثم جعل يكسر القربان ويتقدم إلى واحد بعد واحد ويضع اللقمة فى فمه ويعكها فيه حتى لايقع منها شيء ولم يبق أحد فى الدير إلا أكل من القربان وخرج يتمايل كالسكران وكان كل من أكل لقمة يقول له صافى طوف حول المذبح سبع مرات حتى تنزل البركة فى سائر جسدك وتعود على أهلك ومالك وولدك فجعلوا يأكلون وهم يطوفون فلما استقربهم الاكل أتاهم المنام ولم يبق فى الدير من يخشى منه إلا الأطفال والنساء والعجايز فقال صافى هذه نومة القبول والمسيح أعانهم على المحصول وجعل يفتش على مفاتيح الدير فوجدهم فى اسكفة الباب فأخذهم وفتح الباب والنساء تظن انه خارج إلى العدو كما أوعدهم ولم يعرفوا ما عليه عزم ففتح الباب ونادى برفيع صوته يا عبدالوهاب دونك والباب فقد وقعت الخدمة على هؤلاء الكلاب شيوخا وشباب فلم يتم الخطاب حتى سار الامير ومعه جماعة من الأصحاب حداه وكان البطال أعلمهم بما فعل فهجموا الدير وملكوه بما فيه وأخذوا منه الاموال والاوانى والديباج ما يقصر عن وصفه اللسان وكل من أكل من القربان لقمة حلت به النقمة وخرجوا والامير يقول سيروا بنا قبل الصباح فما تعلم ما جرى بعدنا ثم حازوا الغنائم بأسرها وخلوا الدير خراب وساروا طالبين عسكر الاسلام فالتقوا بالراهب وكان على أعلى الدير ينظر إلى عسكر المسلمين فتقدم اليه الأمير عبدالوهاب وقال له فعلت ما أمرتنى به ورأيت من أمر الرجل عجب وأخذنى من حديثه الطرب فقال الراهب سمعت كلما جرى فقال الامير من أعلمك فقال العابد الذى أخبرنى انى أموت بعد الظهر واريد منك أيها الامير تمكث عندى حتى تغسلنى وتكفنى وتجهزنى لدار الآخرة لان من زهد فى الدنيا عرف وقت سفره لمولاه فقال له الامير طب نفسا فإنى أقيم عندك حتى يقضى الله ما هو قاض وإنما كانت عجلتى خوفا على سبي الاسلام أن يجوز وأنا غير حاضر ثم نزل الامير عند الصومعة وأمر سملق ان يمضى بالغنيمة إلى الاميرة ويعلمها بقصة الراهب وما تم من أوله إلى آخره لتحضر الصلاة عليه فأخذ سملق الغنيمة وسار إلى الاميرة وأخبرها بسلامة ولدها وانقطاعه

عنها لهذا السبب فقالت الاميرة ما أنا بالتى تاركة عسكر الاسلام بلا مقدم بل فى غد أسير إلى الامير وأقضى حاجتى منه (قال الراوى) ولما ان أصبح الصباح ادعت الاميرة براشد بن ضمرة وأوصته باليقظة وطلبت الصومعة وقلبها على ولدها عبد الوهاب حتى وصلت اليه فجعل يحدثها بما قاسوا وقصة العابد والاميرة تبكى ثم قالت الحمد لله الذى وفقك لما يرضيه ولم يزالوا فى حديث الصالحين وأخبار المجاهدين حتى صار وقت الظهر فتغير وجه الراهب وعرق جبينه فوقف الامير عبد الوهاب عند رأسه فسمعه يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وجعل الامير يقرأ القرآن ويمجد الرحمن ثم أخرج الراهب رقعة فيها مكتوب وناولها للأمير عبد الوهاب وقال له اعلم أيها الامير انى عبد مذنب فإذا أنامت وأخذت فى أهبتى وأنزلتنى فى حفرتى فضع هذه الرقعة فى يدى اليمنى فإنها رساله منى إلى ربى عساه يغفر لى ذنبى ويكشف كربى فلما ان صار وقت الظهر فتح الراهب عينيه وغمضها وبسط يديه ونادى إلهى وسيدى عبدك سلم اليك هذه النفس الخاطئة ثم قضى نحبه ولحق بربه رحمة الله عليه وعلى اموات المسلمين فوثب الأمير وهو باكى العين واخذوا فى اهبته وغسله وتكفينه والصلاة عليه وحفر له قبر ودفنه فيه ونسى ان يضع الورقه فى يده (قال الراوى) ياساده ياكرام فقال الأمير عبد الوهاب والله ثم والله لقد رأيته فى المنام وقد بسط يده الى كانه يطالبنى بحاجته فتذكرت الرقعة فأخذتها ونظرت ما فيها وإذا هى ثلاثة اسطر أولها ياعدتى فى شدتى والثانى يامؤنسى فى وحدتى (والثالث) ياذخيرتى يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فوضعت الرقعة فى يده وصعدت من الحفرة ورديت عليه التراب وانصرفت وكانت الأميرة صلت مع الامير على الراهب ورجعت من خوفها على المسلمين ورجع الامير بعدها واجتمع الامراء بالأمير عبد الوهاب وصاروا يحدثوا بعضهم بحديث الاولياء وقصص الأنبياء وهم قاعدين فى انتظار السبي واقبل الليل وولى النهار وطلبت الأعين حظها من المنام فرأت الاميرة ذات الهمة الراهب فى المنام وهو فى احسن زى وعليه ثياب خضر وعمامة خضراء فقالت له مافعل الله بك فقال غفر لى وفعل بى مايليق بكرمه وقد اوقفنى بين يديه وقال لى ياعبد اقرأ مافى رقعتك وانا عالم الغيب والشهادة فقلت ياعدتى عند شدتى فقال لبيك ياعبدى ما كنت عدتك فى شدتك قلت نعم ثم قلت يامؤنسى فى وحدتى قال لبيك ياعبدى ماكنت مؤنسك فى وحدتك قلت نعم ثم قلت ياذخيرتى يوم القيامة فقال لبيك ياعبدى انا ذخيرتك يوم القيامة ابشر فقد زال عنك البؤس والندامة هذه جنتى فاسكن وهذا وجهى فانظر وأنا الغفور الرحيم

(قال الراوى) وكذلك رأى الامير عبدالوهاب ثم انتبه وهو يبكى وقد بلت دموعه لحيته فاحضر الامير أبو محمد البطال وايضا والدته الاميرة ذات الهمة وقص عليها المنام فجعلوا يبكون وعلى ربهم يتوكلون وإلى الله يتضرعون فبينما هم كذلك وإذا هم باصـــوات صهيل الخيل وقعقعة اللجم واصطفاف الرماح وضجيج الابطال وصياح المأسورات وعويل العربيات وبكاء المسلمات وندب العلويات وصـــياح الروم عليهم من خلفهم ومن بين ايديهم وهـــدير الفرسان وزمجرة الشجعان والبنات الابكار ينادون بالذل والهوان وتكاثروا الناس فى ذلك المرج حتى امتـــلأ بهم من كل فج والارض من كثرتهم ترتج والاميره ام عمرو فى اوئل السبي وهى مكشوفه الراس عادمة الحواس مأسوره مع الارجاس وقد هزمها التعب ووقع بها النصب وتمنت العطب وهى محمولة على جمل وهى تنادى بالويل والعطب وسوء المنقلب وتقول واذل فرسان العرب واذل البنات العربيات أين من يرعى الحسب والنسب فى هذا اليوم ويزيل عنا العناء والتعب واللوم ثم انها أوجزت بالشعر تقول هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

حل المصاب وحل البؤس والحرب ... وكل دمع على الخدين ينسكب
وماجت الأرض عما قد بليت به ... حتى توهمت ان الأرض تنقلب
واستملك الثغر لما غاب ناصره ... واستحكم الروم لما ذلت العرب
لهفى على بطل من نسل ذلهمة ... فيه العفاف وفيه الدين والحسب
قد كان عدتنا فى وقت شدتنا ... لكن فعلنا به غير الذى يجب
لو كان حيا لما شقت منازلنا ... عنا ولو صده عن نصرنا الغضب
فيه الحمية والاحسان عادته ... فيه التعصب والانصاف والادب
فيه السماح وفيه الجود قد جمعا ... وطيب أصل زكا قد زانه الادب
أقسمت بالله لو كان الامير يرى ... ذلى لكان على الانذال ينسحب
أو كان يسمع صوتى صاح لى عجلا ... مهلا فقد زال عنك البؤس والتعب

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فو الله ما فرغت ام عمرو من نظامها وما ابدت من كلامها حتى صاح بها الامير مهلا رويدك فقد زال عنكى البؤس والتعب والهم والنصب (قال الراوى) فقالت من الصايح فقال أسود بنى كلاب وصاحب الوقائع العجاب المعروف فى المعامع والضراب عبد الوهاب ترس قبر النبى الاواب عليه من الله أفضل الصلاة واتم السلام صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم المآب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما

ان سمعت الكلام عرفت انه الاسد الضرغام فنادت كرعايهم يابن الكرام وخاص من الأسر بنات الأعمام وخذ حقنا من الروم اللئام الذين انتقموا مناغاية الانتقام عندها نادى الامير عبد الوهاب يال كلاب يال كلاب يا أصحاب الطعان والضراب فأجابته عشرة آلاف عن صوت واحد فخيل للروم ان الدنيا قد انقلبت وانطبقت الارض وتزلزلت وفى ذلك الوقت طلع كوكب الصباح وارتفع الصياح من الطائفتين وعملت الصفاح وسلبت الارواح من الاشباح ونادى الفارس الجحجاح لا براح وجاء الجد وذهب المزاح وتلقت الروم بوجوه وقاح وأيقن السبي بالنجاح ونفذت فى الصدور الرماح وتقدم البطل الجحجاح وانقص من الجبان الجناح فلم يستطيع الرواح وسمحت الابطال بالنفوس بعد ما كانت بها شحاح وضاقت بهم الاماكن الفساح وخاف الشجاع من الافتضاح وانهرق الدم وساح فكم من رأس من بدنه طاح وزاد الغبار فلم تعرف الوجوه السماح من القباح وامتلات الارض من الجثث والاشباح وخرصت الالسن الفصاح وبدت العقبان فى أكل المقل الصحاح ودام الصدام ودقت الطبول وصهلت الخيول وكان يوما مهول ودمدم كل ليث ضجور وحامت النسور وكان كيوم نفخ الصور وخروج الخلق من القبور وجرى عليهم القضاء المقدور وصارت الدما منهم تفور فكم مجندل فى دمه يخور وكان نهار مذموم على عصابة الروم وقتلت الابطال فى المجال وخاصوا الاسارى والاموال وقتل مقدم الروم وهو ملك الانجبار وكان القاتل له الامير عبد الوهاب لانه مازال يقرع بالحسام فى الروم الى أن وصل إليه وصار بين يديه وضربه بالحسام بين وريديه طير رأسه من بين منكبيه ولما قتل ورأوه الروم ولوا منهزمين والى النجاة طالبين ورجعت المسلمين بالنصر المبين وهم الى الغنائم حايزين وفى تلك الساعه طلب الامير عبد الوهاب أبو محمد البطال فلم يجده ولا وقع له على أثر ولا جلية خبر فقلق عليه غاية القلق وامر الغلمان ان تفتش عليه بين القتلى ففتشوا عليه فلم يجدوه فبقى عليه مثل المجنون أو مثل الحيه على المقلا وبعدها حصر بنى كلاب فوجد قد فقد منهم مائة أمير من كل بطل نحرير مثل الامير مالك بن طوق وراشد بن ضمره وطاحه بن خزرجة وعامر بن عرفجه وصالح بن مدركة وتمام المائه أمير وهم أعيان بنى كلاب فخرج عقله وقلق الامير لفقدهم وبعدها سال عن الامير عمرو فقيل له انه مكتوف على ذاك الجمل الاحمر فامر باحضاره فحضر وهو فى أسوأ حال وكذلك محمد بن ابان والعزيز بن بكار فقطع الامير كتافهم وفك قيودهم وقبل رأس عمرو وقال له لا كان يوما يصيبك فيه سوء وأنا فى دار الدنيا وتقدم الى ام عمرو وقبل رأسها وقال لها يعز على خادمك ما وصل اليك من الهوان ولولا كنت ماسور ما وصل كلبه

الروم الى الثغور فالحمد لله الذى كانت العاقبه الى خير فبكت ام عمرو وقالت انك لم تزل كاشف الكروب ودافع العطب وناصر العرب وأنت الأمير المنتخب صاحب الحسب والنسب الذى لا يمنعك عن فعل الخير مانع الغضب ولا يردك عن الموت سبب ثم أنشدت وجعلت تقول

أيا فارس الهيجاء فى كل معرك ... سموت على كل الخليقة بالفخر
ولولاك كان الثغر قد هد ركنه ... وأضحت جيوش المسلمين بلا نصر
شرفت على فرسان عصرك مثلما ... على الف شهر فضلت ليلة القدر
وتعفو عن الجانى ولو كان مسرفا ... تقابل بالغفران من كان ذو غدر
ولولاك كان الجود قد مات شخصه ... ومات ذوى الأعلام من طلعة البدر
ولولاك يا مولاى كنا بأسرنا ... أقمنا بطول الدهر فى بلد الكفر
فعش سالما بطول عمرك مغنما ... متى صاح طير أو بدا كوكب يسرى

(قال الراوى) فلما فرغت أم عمرو من شعرها شكرها الأمير عبد الوهاب على نظمها ونثرها وجاءتها الأميرة ذات الهمة وعانقتها وبالسلامة هنتها هذا والأمير فى قلبه الخرف وفى فؤاده الحنق لفقد الامير ابو محمد البطال لأنه فقد ومعه مائة أمير وظن أنه لحق بهم التعتير فبينما هو كذلك وإذا بالغبار قد علا وانكشف وبان من تحته الامير أبو محمد البطال والأمراء المذكورين وبين أيديهم خيل بلا ركاب وهى خالية من الأصحاب وكل فارس يجنب فرسين أو ثلاثة حتى ادرك الأمير عبد الوهاب وسلم عليه وأوقف الخيل بين يديه فقال من أين هذه الخيل يا أبا محمد قال هذه خيول المنهزمين الذين طلعوا الى القسطنطينيه فقال الامير كيف اتبعت هؤلاء دون الذين طلبوا ملطية وقد علموا أننا لا نرجع عن طلب البلاد من أجل الحريم والأولاد فقال أبو محمد وهذا عقلك أيها الأمير وما الذى تصنع فى ملطيه وقد صارت عبرة لمن يراها وقد جرى علينا من الرشيد ما جرى وحالنا معه مفسود وقد أراد هلاكنا فى بلاد الكفر والطغيان وكيف نقدر نصل إلى ملطية وبين أيدينا الف الف وثمانمائة الف وقد ملكوا البلاد وأفنوا العباد وإن كان ولا بد فابعث نجاب بخبر سلامتك فيأتون اليك من كل جانب ومكان فإذا صرت فى جيش جرار سرنا الى ملطية ونلتقى جيوش الكفار ونمكن من الأعداء الصارم البتار وإن كان حالنا عند الخليفة مفسود فيكون قتالنا ناحية للواحد المعبود القادر الودود مخرج الأشياء من العدم إلى الوجود وإن كانت علينا فما نحن بأول من عطب وخرج من بلده ونهب وان كانت لنا فهو المقصود ونرد الناس إلى ثغورهم ونجمع الاخوان مع إخوانهم ولا نطيع أمره ولو كان مهما كان فقال الأمير دع

هذا الكلام كل شيء له رقت وقل لي كيف اتبعت المنهزمين دون غيرهم فقال أبو محمد لامر يدخل على قلبك منه الفرح والسرور ويكشف عن بلاد الاسلام المضرة والشرور فقال الامير وماهو يا أبا محمد فقال اعلم أيها الاميرانى مااتبعتهم إلا لما رأيت المعمعة والرؤس مقطعة وأخذت المائة فارس وسبقت بهم قبل أن ينظرونا وينظرهم أحد ومسكت رأس المضيق فما أتى قس ولا بطريق إلا وحملته من البلاء مالا يطيق وكسوته حلل كالعقيق ولم ينفلت منهم أحد من خوفى أن يصل أحد منهم إلى القسطنطونية ويخبرهم وينادى فيهم الحذر ويوقفهم على جلية الاثر وفى القسطنطونية عالم بعدد الرمل وورق الشجر قال عبد الوهاب فهل خفت أن يلحقنا منهم ضرر أو يخرج لنا منها عسكر فقال لا ولكن فى نيتى أن أفتح البلد وأملك سرير الملك وأخرب بيت منويل إلى الابد وأشوش قلوب الروم جمعا ويخافون أن تعمل بلادهم كما عملت الروم ملطية وينفذ الملك خوفا على الاولاد والبلاد فقال الامير فبأى شيء تقدر على القسطنطونية وأنت تعلم أن ماعلى وجه الارض اعصى منها فقال البطال اقسم بمن نظر إلى الجبال فتطايرت أحجارها وإلى الصخور فتفجرت انهارها وإلى القلوب فتشعشعت أنوارها وصفت أكدارها لاتركتك تدخل القسطنطونية إلا برضا كل من فيها والبوقات تنفر بين يديك وأبوابها مفتحة والتجار مربحة فقال وكيف ذلك يا أبا محمد قال لأن معنا ثياب البطارقة التى أخذناها من دير المسيح وثياب هذه الوقعة فتفرقها على بنى كلاب وهم خمسة عشر ألف رجل ونأخذ الاعلام التى كسبناها ونعلق عليها الصليب وأنانى أوانهم على صفة المطران واذا وصلنا البلد يظنون أن السبى وصل فان عندهم خبر وصولهم من أيام فيعتقدون ذلك حقا فاذا دخلنا من باب البلد مكنا منهم الصارم المهند ونجعل أيضا مع المأسورين العدد فاذا سمعوا الصياح يرفعوا أيديهم فيمن قدامهم بالسيوف ونتوكل على من بيده مقاليد الامور فقال الامير لاشك أن بنى كلاب تلبس ثياب الروم وجماعة السودان كيف نفعل فيهم فقال تكون أنت والسودان من بعيد عن اعين الناس مقدار فرسخ من البلد ومعك نسوة مأسورات فلايشك أحد إلا أنك من الجماعة فاذا سمعت الصياح تجىء الينا وتقدم علينا فيحسبوا أهل البلدان الجيش يتأصل فتقع بهم الخزلة ويتخلى كل أحد عن ماله وأهله فقال الامير عبد الوهاب ماأبردها على كبدى والله يا أبا محمد إن فتحت القسطنطونية ماكنت أبرح منها حتى إننى أجيب القاضى عقبة وأصلبه على باب الذهب وأبرقسمى وأبلغ مرادى فهو أكبر اغراضى مادامت هذه الفتنة قائمة بينى وبين الخليفة وبعد ذلك نرجع إذا أخلى لنا المكان الى طاعة ملك الزمان

وخليفة الرحمن فقال أبو محمد طب نفسا وقر عينا فهذا أمر قربه الله تعالى فى يدك مادام أن هذه الفتنة قائمة فاغتنم هذه الفرصة فقال الأمير الآن وقع بى القلق وأنت تعلم أنه على ايمان مغلظة بأن لابد لى من صلب عقبة على باب الذهب لأن الملعون فى قبضتنا وعساكر الروم غير حاضره وهم على أرض الموصل ثم نادى بضيغم فأجابه بالتلبية نعم فقال له ياولدى شد عزمك وامض الى السويدية واقصد المطمورة التى لأبو محمد وخذ منها عقبه ولوقه وبولص ابن الملك الدمريس وأتنى بهم فان مرادى أن أقيم ههنا شهر وامضى الى ماأمرنى به أبو محمد البطال وأرمى روحى فى البحر الزخار وأدخل القسطنطونية أتوكل على الله وأنا أعلم أن مافتحها أحد بعد جدى الصحصاح ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون فتحها على يدى إن شاء الله تعالى ويذكرونى الناس من بعدى وعلى ماتمضى وتأتى تكون بنى كلاب اجتمعت عندنا فانى أرسلت الى الحجاز الشريف أعرفهم بسلامتى فسير وأوجز فقال سمعا وطاعة ثم أخذ مائة فارس وسار طالب السويدية وأقام عبد الوهاب وكل من وصل اليه من مدينة القسطنطونية أخذه فما بقى مخلوق وكل من مر عليه يأخذه الا أنه كان يقصد بذلك قطع أخباره (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ماكان) من الملك منويل فانه لما ملك ملطيه وبلادها ورأس العين بأعمالها ونصيبين ونزل على الموصل واجتمع عسكر الموصل وأوين والبوابيج وتركيت ومزاكر والجبال وكان عدتهم مائه وعشرين ألف والمقدم عليهم أمير يقال له غارب بن الهيجاء وكان وجهه الخليفة وكان فارس عصره ونتيجة دهره وكان يقول وددت لو وقع الخليفه بعبدالوهاب وينذبنى الى لقاه حتى أبارزه فى حومة الميدان ومقام الضرب والطعان حتى يرى فارس لا كالفرسان صعب اللقا نحرير الملتقى وكان يطلب بذلك اظهار فروسته على عبدالوهاب من غير كراهية لأن كل واحد يريد أن يكون فارس زمانه ونتيجة عصره وأوانه والمقدم على أقرانه فلما نزل الروم بهذا العدد خاف كل أحد من كثرة العدد وتزايد المدد وان غارب جمع من العساكر الأمراء وقال لهم اعلموا أن الخليفة خرج عليه خارجى من أرض خراسان يقال له جرهم وان هربتم سبيت الحريم والاولاد ومافى الأمر الا أن نقاتل عن دين الله وندفع عن ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله سبحانه وتعالى أعطى الخلق خلعة المدح واعطى المجاهدين خلعة المحبة فقال تعالى كانوا قليلا من الليل مايهجعون وقال تعالى فى حق المجاهدين ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وايضا فانكم تدافعوا عن اطفالكم ونسائكم فان العدو كثير وقد مدح الله

القليل فقال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقال تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج واعلموا أنى لا بد لى ان اضرب فى الروم بالسيف وأستعين بالله فان المثل يقول :

أموت بعز لا أموت بذلة وعند الملوك القتل أعفا من الأسر

(قال الراوى) وكان الأمير غارب فارس لا يطاق علقم مر المذاق فلما ساروا قومه وعساكره قالوا أن الخليفة قدمك علينا وأنت أميرنا فاذا عزمت على الجهاد فنحن أول من يبادر فى طاعة رب العباد فلما سمع قولهم فرح وقال الحمد لله الذى لم يطرح فى قلوبهم حب الدنيا على الآخرة والرأى أن أكتب إلى الخليفة كتاب وأخبره بهذا الحال ثم أنه كتب للخليفة كتاب فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين اعلم أنه قد وصل الينا عساكر سدت الفضا وملئت المستوى وملكت البلدان والقرى وانهدمت الجسور والقناطر وانخسفت الأرض من وقع الحوافر وبلغنى أن العدو فى ألف ألف وثمانمائه ألف فلا يأخذك توانى فتأخذ الموصل وان أخذك عليها تقصير صار أطول أعمارها قصير وجملة ما عندنا مائة وعشرين ألف فارس وقد عولت أن أصافف القوم وأقاتلهم يوم بعد يوم فان أدركتنا بالعسكر رجونا النصر من الملك القادر وهذا ما عندنا والسلام وطوى الكتاب وعلقه على جناح طائر وباتوا الناس وهم متفكرين وكل واحد حائر فلما أصبح على الرشيد الصباح دخل عليه البراج بالطير والكتاب فاخذه الخليفة وقرأه وفهم معناه فقامت عليه القيامة ورجع على نفسه بالملامة وأحضر أرباب دولته وقال لهم اعلموا أن الثغور أخذت وملكت والرجال قتلت وأسرت والدما سفكت وقصد العدو إلى الموصل وأحدق بها من الأمم ما لا يحد ولا يوصف وأرسل إلى الأمير غارب يطلب منى العساكر وقد بقيت حائر لأن خراسان فى يد غيرى وكان عليها معتمدى والحجاز ظهر فيه رجل يطلب الخلافة ويظهر لنا كل آفة وان أخذت الموصل قامت الدنيا على ساق وتملك العراق ثم انه أمر ان ينادى فى شوارع بغداد بالجهاد فى طاعة رب العباد واكتساب الثواب فهرعت البلاد فى ثلاثة أيام وبعد ذلك اجتمعت العساكر فكانت مائة وخمسون ألف عجم وديلم واكراد وعرب وغير ذلك ثم دعا الرشيد برجل اسمه عامر بن الحجاج المازنى وهو رجل وصل اليه من بلاد البصرة فى ألف فارس وكان جبار من الجبابرة تخافه العرب على صغر سنه وحسن همته شديد البأس صعب المراس وكان يطلب الغزاة فى بلاد الروم فيمنعه أبوه عن ذلك فلما مات أبوه تجهز وطلب الرشيد وقدم عليه فى تلك السنة لطلب

الجهاد فتقدمه الرشيد على جميع العساكر ثم اتبعه بالرايات والاعلام والبوقات والكاسات وتقدم الأمير عامر بن الحجاج على العساكر وصار يجد السير ليلا ونهارا وهو يترنم بهذه الابيات

سيعلم كلب الروم انى همامها ... أبيد الاعادى بالسيوف القواضب
وأنصر دين الله منى حمية ... وأحمى الوغا يوما بفعل العجائب
وابذل نفسى عند كل كريهة ... وافعل فعل الاكرمين الاطايب
وابذل روحا ليس أملك غيرها ... وابغى جنان الخلد أعلا المراتب

(قال الراوى) وسار عامر يقطع المراحل وهو فى أمره حائر وقال لقد قدمنى الرشيد على هذا العسكر وأما الرشيد فإنه كان حامل هم لا يدرى ما يقضى الله على العسكر وبقى فى أمره حائر وقال لقد أفسد ملكنا بتدبير الفضل بن الربيع وكان الفضل أسروه الروم مع الأمير عبد الوهاب كما ذكرنا وهو مسجون فى مدينة القسطنطينية فى دار البلاط وطال حبسه وندم على فعله وحلف ان عاد يخلص لم بقى يدخل بين اثنين هذا والرشيد أيس من الحياة وضاقت عليه الارض بما رحبت وقال سبحان الله ما رجعت الاميرة حنت علينا وتطيعنا كما كانت تطيع عبد الوهاب فقال مسرور على وجه المزاح وإيش فعلت أنت يا أمير المؤمنين مع ذات الهمة من الجميل حتى انها تأتى إلى الخدمة ولا شك انها مشغوله القلب على ولدها لانه ما طلع له خبر ولاشك انه هلك وانه اندثر ولا يقوم مقامه بشر فقال الرشيد والله ان كان هلك لا نشأ لنا مثله قط ولا من يفعل فعله ولقد كان له علينا خدم وأيادى جميلة ومواقف حميدة وكذلك والدته ولقد ندمت على ما كان منى وان ركن الاسلام بعده انهدم ولولا انه مات ما طلع كلب الروم إلى بلاد الاسلام وبالله اقسم انى ما أمرت بالقبض عليه إلا بتدبير عقبة لا أحسن الله له عاقبة فما كان رأيه إلا ميشوم وطالعه نحس مذموم ثم انى لم أعلم ان كانوا أخذوه الروم فى الطريق أسير أو قتيل وإذا صح انه قتل لاقعدن له سبعة أيام فى العزاء وأطلب القاضى عقبة واضرب رقبته وأطيب قلب الاميرة والدته عسى ان تعود إلى الطاعة وأقيم العذر فى عبدالوهاب فقال مسرور يا مولاى والله ان كان الأمير عبدالوهاب هلك لاطاب قلب الاميرة أبدا وقد كان عقبة سبب هلاك المسلمين ورأيه سخط على جميع الانام فقالت الست زبيده يا مسرور كم تحمل قلب أمير المؤمنين ما لا يطيق وتصف عبد الوهاب وتقسى قلبه على القاضى عقبة وان كان وصل لامير المؤمنين كتاب عقبة بأخذ الجارية ما كان وقع هذا (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمر الموصل

والأمير غارب فإنه زحف إلى قتال كلب الروم وصففت الصفوف واشهرت السيوف وأيقن الناس بالحتوف ورفعت الناس من الروم أصواتها وبربرت باختلاف لغاتها وارتجت الأرض عن جنباتها وأيست الاسلام من حياتها والأمير غارب بن الهيجا يطيب قلوبهم وأمرهم بالحملة والمبادرة فقالوا أيها السيد ان هذا عسكر عظيم وان نحن حملنا عليهم طبقوا علينا وأوصلوا الأذية الينا ولكن نحن بالامس كاتبنا الخليفة بأن ينفذ الينا العساكر ولكن نطاول بالمبارزة فارس لفارس إلى أن تصل النجدة من عند الخليفة فقال بعضهم هذا هو الرأى السديد دونكم وما عزمتم فهم فى الكلام وإذا بفارس قد ظهر من عسكر الروم فتطاولوا اليه بالأعناق وشخصوا نحوه بالاحداق إلى أن قرب من عسكر المسلمين وجيش الموحدين بحيث يسمعون كلامه ونادى يا معاشر المسلمين ان الملك نظر إلى قلتكم وأخذته عليكم الرحمة وأرسلنى اليكم يعلمكم انه ملك البلاد وأذل العباد وانه ما خرج من بلاده إلا حتى يجعل كرسى مملكته فى بغداد واعلموا ان الملك يقول لكم وهبت لكم نفوسكم وأولادكم ونساءكم فارحلوا عن البلاد واحقنوا دماكم والسلام وان أبيتم ذلك أمر العساكر تطبق عليكم فلا تبقى منكم أحد وتترك المنازل خالية والاطلال خاوية والأوطان واهية وأجسامكم بالية وقد اعذر من أنذر وأنصف من حذر فأجيبوا للرحيل والاهلكتم عن قريب وان شئتم الدخول فى دين النصرانيه فينعم عليكم الملك ويوصل الكرامه اليكم ويتركم فى أوطانكم وتصيروا من اخواننا ونصير من اخوانكم فماذا أنتم قائلون وعلى ماذا أنتم معولون فكان الجاوب للقاصد الامير غارب مقدم جيش الموصل وقال له اسكت يا كلب الروم أما قول الملك رحمكم فدعه يرحم روحه اذ هو من اهل النار وذلك جزاء الكفار واما قولك فى عسكرنا قله فقد قال ربنا جلا وعلا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وأما قولك دعوا البلاد وارحلوا عنها فان من دون ذلك قتال يشيب الاطفال واما قولك تدخلون فى دين النصرانيه فهذا هو الجهل العظيم لانه يدعونا الى النار وكيف نشرك وربنا هدانا وفضلنا على كثير من عباده تفضيلا ولكن نقاتل فى سبيل الله تعالى فان قتلنا فلنا الجنه ونظفر بالحياة السرمديه فدونكم والقتال والحرب والنزال لتروا رجال واى رجال يرون الموت مغنما والحياه مندما ثم أنشد وجعل يقول

ألا قل لكلب الروم ان سيوفنا ... حدادا وانا لا نكل من الضرب
وانا نرجى الموت فى حومة الوغا ... نبيد الاعادى فى مجاولة الحرب

ونتصر دين الله ثم محمد نبي الهدى بل سيد العجم والعرب
فان خصنا الرحمن منه بنصره فذلك معروف من الخالق الرب
وان كانت الأخرى وطالت سيوفكم علينا ظفرنا بالجنان وبالقرب

(قال الراوى) فلما سمع رسول ملك الروم ذلك الخطاب ألوى عنانه ورجع الى الملك واعاد عليه ماسمع فلما سمع الملك ذلك أمر الروم بالحمله على المسلمين جملة واحده فما قولكم يا اخوان فى الف الف وثمانمائه الف فكانت المسلمين كالشامه البيضاء فى الثور الاسود واظلمت الاقطار والجوانب من الارض ومالت وانخسفت الاشباح واختطفت الارواح ورياح الموت عصفت والكتائب بالكتائب تلاحمت والصفوف بالصفوف اختلطت والمنيه من فوقهم اشرفت وصار النهار كالليل وجرى دم الطائفتين كالسيل وغرقوا المسلمين فى كثرة الكافرين وبان منهم التقصير وجرت المقادير بما أراد الملك القدير وذهل الشجاع النحرير وطلع الغبار من المناخير ولم يزالوا الى ان اقبل الظلام وقد انفصلت الطائفتين عن ضرب الحسام وعادوا الى منازلهم والخيام وافتقدوا المسلمين اصحابهم فرأوا المعدوم منهم اثنى عشر ألف فارس ممن كان يعد فى القتال فصعب عليهم وايقنوا بالعطب واعتد الجبان للهرب ووقف الامير غارب قاتل ذلك اليوم قتال يعجز كل انسان فقالوا أصحاب المشوره اعلموا ان الامر عظيم والخطب جسيم وان العسكر كثير وان قاتلناهم غدا سقونا كاسات الردا والمنيه واحاطت بنا الرزيه ونحن مؤملين ان تاتينا عسكر العراق على الخيول العتاق والصواب نطاولهم بالبراز حتى ياتينا العسكر فقالوا هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب وباتوا على غاية الحذر الى ان طلع الصباح وتواثبت الرجال الى خيولهم وتقلدوا بسيوفهم واعتقلوا برماحهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وترتبت المسلمين وتقلدت وايقنت النفوس بالعطب وركبت عساكر الروم وركب منويل وسائر الملوك حوله ووقفوا ورفعوا الصليب الاخضر على العلم الأكبر وكان له مائة حبل من الابريسم وكل حبل فى يد رجل وكان أول من برز رجل من المسلمين على جواد عالى نبيل وبيده رمح طويل وغصب صقيل فصال وجال وقصد صفوف الروم بقلب أقوى من الجلمود وأنشد :

ألا يا كلاب الروم هل من مبارز فيبرز نحوى بالحسام المهند
لكيما يرون الناس حربى وحربه ويوصف منا الليث فى كل مشهد
سانصر دين الله حقا وطاعة وأحمى لشرع الهاشمى محمد

(قال الراوى) وكان ذلك الفارس اسمه ثابت بن قيس العلوى فلم يتم نظامه حتى برز اليه فارس من الروم على حصان أشقر عالى من الخيل مضمر جيد المخبر وفى كف الكافر قنطاريه مذهبه

على رأسها لسان كانه كوكب وحمل كل واحد منهما على صاحبه وجالا طويلا واعتركا مليا واختلفت بينهما طعنتان سبقه المسلم بالضربه نزلت على عاتقه طلع السيف يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعندها صلبت الروم على وجوهها وطلب المسلم البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس آخر فعاجله المسلم بطعنه فى صدره طلع السيف يلمع من ظهره ثم برز اليه فارس يونانى فقتله بلا توانى فخرج اليه فارس من الكفار أوصله الى النار وخرج اليه فارس من الدوقس أباده الى ان قتل منهم سبعة عشر فارس فخارت الروم وبطلت البراز وصلبت على وجوهها فحمل على الميمنه قتل فارس وعلى الميسره قتل اثنين وطلب القلب وقصد البراز وأنشد وقال

أنا ابن حماة الدين من آل غالب أبيد الاعادى بالسيوف القواضب

أبى فارس البيداء فى حومة الوغا على المرتضى فاق الورى بالعجائب

وجدى رسـول الله أعنى محمد وخير الورى ما بين ماشى وراكب

فهل فارس منكم يكن لى مبارزا لينظر طعنى ثم وقع مضاربى

(قال الراوى) فما فرغ من شعره حتى هاج عسكر الروم وترجل منهم الف فارس مشاة وخرجوا يطلبون ثابت العلوى وبينهم فارس على حصان أشقر وعلى الفارس تنور فولاذ محلى وتحته كبر حديد محشى زرد وعليه بيضة عادية كانها الفضة المجلية وفى يده عامود لو وقع على جبل لتدكدك فارتاعوا المسلمين من خلقته وجميع ما عليه يشرق بالذهب الاحمر وكان هذا الفارس هو الدمروس ملك جزيرة الصخر وقلعة العمد وذلك انه لما رأى فعال العلوى تقدم الى ملك الروم وقال له أنا قد عولت على الخروج لهذا المسلم فقال الملك نحن ندخرك لغير هذا الأمر فقال الدمروس ماثم أمر اعظم من هذا ولا أكبر ولا بد من الخروج اليه والقدوم عليه فانا ماخرجت من بلادى الا لأجل الجهاد فقال له الملك افعل ما بدا لك فخرج كما ذكرنا حتى ساوى العلوى فى الميدان هنالك رجعت الالف فارس الى أماكنها وبقى عدو الله مع ثابت وحده فجردوا السيوف فعندها هاجوا المسلمين وصاحوا على ثابت ان يرجع فقال معاذ الله أن أفعل ذلك فصاح به الرومى دونك والقتال ان كنت من الابطال فقد قتلت الناس واليوم آخذ منك بالثار وأكشف العار هذا وهو يقول له بالعربى بصوت كانه الرعد القاصف فلما سمع العلوى مقاله قال له ويلك يا كلب الروم من يبارز الابطال يخرج بين يديه الف من الرجال فقال الدمروس يامسلم هذا شأن الملوك عندنا اذا خرجوا للقتال يترجل قدامهم الابطال خدمة لهم وحق المسيح مافيهم من يقاتلك حتى

أنفصل أنا وإياك فدونك والقتال فحمل كل واحد منهما على صاحبه وتكالحا حتى علاهما الغبار وغابا عن الأبصار ساعة من النهار واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة ثابت العلوى وقع سيفه على ترس الرومى فانقصف نصفين فرماه من يده وأخذ الرمح فعاجله الدمروس وهجم عليه وضربه بالعامود فى صدره فوقع الى الأرض صريع وعجل الله بروحه الى الجنة فتصايحت الروم فرحا وبكوا المسلمين ثم أن الملعون طلب البراز فما تم كلامه حتى برز له شاب مليح له ذؤابتين على صدره ووجهه مثل القمر فتأملوه المسلمين فرأوه أخو المقتول واسمه ظاهر وقد فاضت دموعه على خده ولم يجد الصبر فوقف على مصرعه وقد سلبه الرومى ثيابه ولم يرحم شبابه فأن واشتكا وزاد فى البكا وأنشد يقول :

رياح الصبا بالله بالله بلغى ... سلامى الى أمى وعظم مصابيا
ويا طائرا للجو بالله تلقين ... رسالة مشتاق قتيل الأعاديا
وإن سألت عنى فقولى تركته ... يحوم عليه الطير بين الروابيا
جريح طريح فى التراب معفر ... قتيل جديل لا يجيب المناديا
سلام على الدنيا إذا كان قد هوى ... أخى بسيوف الروم هانت حياتيا

(قال الراوى) ياساده يا كرام فلما فرغ من شعره حمل على دمروس بدمع مستبق وحمل عدو الله عليه وتناضلا ساعة زمانية ثم أن عدو الله طبق على العلوى وضربه بالعامود عفره بالتراب بجانب أخيه فضجت المسلمين بالنحيب وجعل عدو الله كلما خرج اليه فارس قتله فتأخرت المسلمين عن القتال وإذا قد خرج اليه شيخ كبير منحنى الظهر قوى العمر وكأنه جلمود إلا أنه فاته الزمان حتى ظهرت الحدثان وهو متلثم معمم وقد شد وسطه بفوطه حمراء والشجاعة عليه لايحة وخرج من بعده من المسلمين فارس آخر وإذا هى امرأة تنادى بالعويل فقالوا لها المسلمين ماوراءك ياعجوز فقالت اعلموا أن فقد أولاد السادات يدل على الخبثات وضرب الأوتاد على الفؤاد ولا فقد الأولاد وهذا شيخى أبو أولادى ظهور وقيس بن عامر العلوى وهو رجل كبير فصاحت الناس به ليرجع فلم يسمع وقال معاذ الله أن أكون خرجت للجهاد لله تعالى ولا أقاتل وسار حتى وقف على مصرع ولديه وأنشد يقول

لقد أظلمت أطلالهم ثم أصبحت ... منازلهم من بعد رحلتهم قفرا
لقد قصما ظهرى وضاقت مذاهبى ... وبعض الذى قد نالنى يقصم الظهرا
ومن خلفهم مثلى عجوز كبيرة ... وما وجدت من بعد قتلهم صبرا
وقد كنت أيام الشبيبة فارس ... أجول ولا أخشى العدو مدى الدهرا

وعمرى وبيت الله تسعين حجه ... ومن قبلها قضيت من مدتى عشرا
وما هـــدنى الا فراق أحبتى ... وصير حلو العيش من بعدهم مرا

(قال الراوى) ثم نزل الى أولاده وجعـــل يأخذ الدم ويضـــعه على فؤاده ويرفع رؤوسهم ويقبل وجوههم والدمروس يتعجب منه ورق له قلبه وركب الشيخ الى جواده كانه البرق الخاطف أو السحاب الواكف وحمل على الدمروس وقال دونك والقتال يا ابن الأرذال فضحك الدمروس منه وقال وحق المسيح انك معذور لانك شيخ كبير وقد عدمت ولديك ولو كنت علمت أنهما أولادك لكنت أسرتهم حتى كنت أعطيهم لك لأنى رحمتك لكبرك ولأجل مصابك بولديك وأعز الناس عليك فقال الشيخ لابد أن آخذ الثار وأكشف العار بالصارم البتار وأبذل النفس فى طاعة الملك الجبار فغضب الدمروس وقال ارجع ياشيخ والا خضبت شيبك بالدما فقال الشيخ خلى عنك المحال يا عدو الله حتى أموت فى سبيل الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم جال على الدمروس فلما نظر عدو الله انه لابد من القتال حمل عليه وتجاولا حتى عقد على رؤوسهما الغبار وغابا عن أعين النظار ثم أن الشيخ قارب عدو الله ولاصقه وسد عليه طرائقه وقام فى ركابه وضربه فأخذها الملعون فى جحفته وكانت من الحديد الصينى فطار منها قطعة وانكسر السيف من شدة الضربة فعلم ان الشيخ بطل همام ثم وثب الإفرنجى على الشيخ وضربه بالعامود فخرج الشيخ عنها واختطف العمود من الهوى وعطف عليه أسرع من البرق ومد العمود بكلية يديه فلما نظر الأمير غارب الى ذلك حمل وحملت المسلمين وأشار الملك للروم فحملت وجالت الخيل وهجمت وبربرت الليوث وغمغمت حتى كلت السيوف وتثلمت وحميت الأبطال فى الهيجاء وامتلأت الأرض بالقتلى ولم يزالوا كذلك حتى ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار هنالك افترقت المسلمين وقد قتل منهم اربعة آلاف وخلصوا الروم الدمروس ثم خلصوا المسلمين قيس والعامود الحديد معه لم يخلص من يده وباتوا الناس على وجل عظيم جسيم حتى برق الفجر وركبت الفرسان وطلبوا الطعان وكان اول من فتح باب الحرب الدمروس وهو على حصان اسود أسبق من الريح وله غرة كالصباح وعلى صدره زرد مضايقة العدد لايعمل فيها الصارم المهند ولا الرمح المسدد وطلب البراز فبرز اليه فارس قتله والثانى جندله والثالث والرابع فوقفت الناس عن برازه وكاوا من قتاله وإذا بفارس ظهر فى الميدان واشتهر لكنه أضناه الكبر وضعف منه البصر وإذا به قيس العلوى وقد

غلب الحزن على فؤاده وأكثر البكا على أولاده فأنشد وقال هذه الأبيات :

لو كان ما بي هين لكتمته ... لكن ما بي جل عن كتمانى
يالائمى عن الخروج الى الروا ... كفا فبعض مصيبتى تكفانى
ماذا أزيد من الحياة وقد مضى ... ولداى قتلا من ذوى الطغيان
فلأحملن على العدو بصارمى ... نفساى آخذ تارهم بسنانى

(قال الراوى) ثم حمل على الدمروس وتضاربا ضربا أحد من الجمر وأمر من الصبر واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة الشيخ فوقع السيف على عاتقه على المرآة المصقولة فلم يعمل السيف ثم عطف الملعون بضربه فوقع السيف على ساعده الأيمن براه كما يبرى القلم وثنا عليه بأخرى فوقع الشيخ صريع فأتت العجوز اليه وقالت ياقتيل الغربة وياصريع الوحدة يا أبو الأيتام العلويات هذا الفراق ومتى يكون التلاق وأنشدت تقول :

لو كنت أدرى ما الفراق وطعمه ... ما كنت فارقت الذى أهواه
حتى رمانى الدهر منه بأسهم ... أواه منها أسهم أواه

(قال الراوى) فما تمت كلامها حتى سمعت أنين الشيخ والروح تتردد فى جسده ودموعه تميل على وجناته وأومأ مخاطبا للعجوز بلحظاته يقول :

عليكى سلام الله انى مودع ... وقلبى ما يرتاح الا إليكم
فإن نحن عشنا يجمع الله بيننا ... وإن نحن متنا فالسلام عليكم

(قال الراوى) ثم قال اسمعى كلامى وافهمى نظامى قبل شرب حمامى فقالت العجوز يا ابن بنت رسول الله ﷺ يعز على أن أراك مقتولا فليت روحى كانت لك الفداء ثم نادت واغربتاه فقال لاتقولى واغربتاه فالغريب من تغرب عن باب الحبيب وطرد من خدمة القريب الحبيب المجيب وأما من قتل فى طاعة الله فليس بغريب واعلمى انه ضربنى طير يدى من الزند فرأيت تحت سيف الرومى جارية عليها تاج من الذهب الأحمر لو أقبلت بوجهها على أهل الدنيا لأغنتهم عن الشمس والقمر وهى تقول لى ارفع رأسك فهذه الجنة ولما ضربنى الضربة الثانية فوقعت الى الأرض فرأيت قبة نزلت من السماء بسلاسل ذهب والقبة من الزمرد الأخضر وفيها اولادى ثابت وظاهر وهما يقولان العجل العجل يا أبتاه فهذا الكاس اذا شربت منه فلا تظمأ بعدها ابدا ثم أن الشيخ دمعت عيناه فقالت العجوز ما يبكيك فقال ذل البنات بعدى ولكن استودعتهم الله يكن لهم حافظا وعليهم رقيبا وها أنا سائر لأولادى وأجتمع بآبائى وأجدادى الاشراف

من بنى عبد مناف ثم قال السلام عليكى أيتها العجوز عليكى بتقوى الله وطاعته وأوصيكى بالبنات خيرا وفارقت الروح الجسد رحمة الله تعالى عليه وعلى أموات المسلمين وعلينا أجمعين فعندها قبلت العجوز شيبته وولت لعسكر المسلمين وعدو الله يجول ويطلب البراز وليس أحد من المسلمين يخرج اليه ولا يقدم عليه خوفا منه فعندذلك أقبل على الميمنة قتل فارس وحمل على الميسرة قتل فارس فجالت عليه الكتائب وقصدته الفرسان من كل جانب ومكان وثبت الملعون لما عليه من الحديد والزرد النضيد ونظرت عساكر الروم إلى حملة المسلمين فحملت عن بكرة أبيهم وضربت البوقات ودقت الكؤسات وحملت القواضب وظهر الذل مع الأعزاز وفاز بالسلامة من فاز ولم يبق براز وتمتمت الأبطال وطار الغبار وشخصت الابصار وجرت الأقدام بالأقدام فكم من رأس قد طار ودم قد فار وفاضت المدامع وقطعت الاصابع وعمل الصارم القاطع وعاد النهار كالليل وقل القوى والحيل وجرت الدما مثل السيل حتى ذهب النهار وأقبل الليل بالاعتكار فرفع الحسام ورجعت العساكر إلى الخيام وفقد من الخلق مالا يعد ولا يحصى وباتت الناس يتحارسان إلى أن أصبح الصباح واصطفت الصفوف وتقدمت الألوف وقد تضعضعت عساكر الاسلام وخرجوا العوام من الموصل حتى يكثر السواد فكان أول من فتح باب الحرب الدمروس الملعون المفتون وقد خرج على جواد أبلق وصال وجال وطلب البراز فصار كل من خرج اليه يقتله حتى قتل سبعة من الأبطال فتوقفت عنه الفرسان فعظم الأمر على الأمير غارب وعامر بن طالحة فقال له اعلم ياأميرانى عزمت أن أخرج إلى هذا الفارس الذى أباد المسلمين وأهلك الموحدين وماقعدت عن الخروج خوفا منه وإنما خفت أن يجرى على المسلمين أمر من الامور وربما أخذت الموصل والآن ولابد من الخروج اليه والقدوم عليه لكن أنت مكانى ولك الامارة من بعدى فان شئت طيب قلوب الناس وصبرهم وطول فى المبارزة فقد بلغنى أن عسكر المسلمين وصل إلى قونيا ثم أنه خرج إلى الميدان وتحته جواد كريم كالليل البهيم فجال وصال وأشار إلى عدو الله وأنشد يقول هذه الأبيات .

ألا أيها الكلب الذى زاد كفره ... علينا كما قد زاد فى الخلق شره
ستلقى غلاما للقتال معودا ... وليس قتال الروم أمرا يضره
إذا طال عمر المرء زادت ذنوبه ... ولا خير فى عبد إذا زاد شره

(قال الراوى) ثم حمل كل واحد إلى صاحبه والتقيا الخصمان وتصادما كانهما جبلان وأخذهما الدعاء من كل جانب ومكان وزاد بينهما الجولان حتى كلت الجوادان وخدلت

الميدان وتقصفت الرماح وكانا كأنهما بحرين التطما أوجبلين اصطدما وحمل كل واحد على صاحبه واختلف بينهما ضربتان واصلتان فخرجا منها الاثنين ثم تضاربا حتى وقع الجوادين من تحتهما وتقاربا إلى بعضهما فقال دمروس يامسلم هل لك أن تقلع عنا آلة الحرب لأن الرومى كان أثقله ما كان عليه من آلة الحرب فقال له غارب ذلك اليك فرميا ما كان عليهما من اللباس وكان دمروس جبار جافى الخلقة لبيد الجثة مربع القامة كبير الهامة كأنه طود أو بعير حل من قيوده وكان الأمير غارب بخلاف ذلك رشيق القد وقد أعطى حيل شديد ولم يكن فى الموصل أحد فى شدته فلما قلع ما كان عليهما قال دمروس ماتقول فى الصراع فقال غارب دونك وماتريد فعند ذلك تصادما وتعاركا فهمز الرومى على غارب وهزه فلم يقدر عليه ووجده كان قوائمه من حديد فندم على مصارعته وبان لغارب شدة حيله فمسك الرومى وهزه وقال ياقوى لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم أنه حمله ومشى به فضحكت عساكر الروم من كل جانب ومكان لما نظروا إلى ذلك وحملوا على الأمير غارب يطلبون خلاص حاجبهم فلم يقدرون على ذلك وحملت المسلمين على الروم واشتهرت الصوارم وأبرق المعاصم ثم ازدادت الروم وتكاثروا على غارب فخلصوا دمروس من يده وأخذوا غارب أسير ووصل المنهزمون إلى الموصل ودخلوا البلد إلى أن أصبح الله بالصباح وثارت الروم كأنها الجراد المنتشر أو السيل المنحدر وهم بالسيوف الحداد والرماح المداد والسواعد الشداد هذا وقد أيقنت الروم بأخذ البلاد وانهتكت المخدرات وشابت ذوائب البنات وسمع الصراخ فى الموصل من سائر الجهات وأحدق بالبلد الصياح من كل مكان وفى ذلك الوقت لما يريده الله تعالى من انفاذ المشيئة وتمام إرادته أشرفت عساكر العراق على الخيل العتاق فى مائتى ألف وخمسين ألف ترك وعرب ديلم واكراد وغير ذلك فعند ذلك رجعت الروم الى مضاربها ونزل الأمير عامر بن الحجاج المازنى فى كتائبه وعساكره ومواكبه وراح عليه ذلك اليوم عسكر الموصل فسار فى تلك مائة ألف وخمسين الف واضرمت النيران وتحارس الفريقان إلى ان ذهب الليل واتى الصباح وركبت الرجال على ظهور الخيل وركب ملك الروم وتقدم ذلك اليوم بنفسه وتقدمت بين يديه الأرمن فى مائة الف كلهم يرمون بالقوس فأمرهم أن يقفوا فى وجوه الاتراك وتقدم البترك وفتح الانجيل وجعل يحثهم على القتال ويصف لهم فضائل قتالهم فى المسلمين ويشددهم فى الدين ثم بعد ذلك صلى عليهم صلاة الموت وزحف الملك بنفسه وقد ترجل بين يديه خمسين الف بطريق وقس وجاثليق حتى سدوا كل طريق وامتلأ بالخلائق كل

فج عميق وركب الأمير عامر وحمل وحملت المسلمين وكبروا الموحدون وكفرت الملحدون واشتهرت البطارقة بشرها وأعلمت العباسية بكفرها وحمى الحديد على الأبدان وتغيرت الالوان وطلع العرق على الأذقان وقضى بينهم السيف والسنان وتبرأت منهم الا كف والبنان وطارت الرؤس على الأبدان وأبصرت الروم قتالا بخلاف الذى كان وانطبق الجمعان حتى بقى لا يعرف الأخ أخيه إلا إذا قال انا اخاك وتمايل الفارس من شرجه كتمايل السكران وتقلص من العطش اللسان ثم استبشرت ارواح المجاهدين بالفوز والغفران وخرج لهم توقيع الأمان من الملك الديان ياعبادى هل جزاء الاحسان إلا الاحسان واشتهر الأمر فلم يبق كتمان وعادت زيادة العدد إلى نقصان وطلع الغبار إلى العنان واحتجبت الشمس فلم تدرك بالعيان وباتت الفئتان وما بلوا المسلمون فى ذلك اليوم مثل ما بلوا بالافرنج فى ساحة الميدان من شدة الضرب والطعان وكانوا يومئذ مائة ألف عنان ولم يزالوا على هذه الحالة وكل منهم يطلب من خصمه الاقالة حتى ذهب النهار وامتد الظلام وانقشع الغبار (قال الراوى) وفقد من عسكر العراق خلق كثير وجم غفير وكذلك من الروم الانجاس وطار النعاس وتصايح الحراس وقلق الناس وعظم المراس فهذا ما كان من هؤلاء من الأمر الجليل (وأما ما كان) من الملك منويل فانه لما نزل قال على بالملك المدروس فاحضر بين يديه نخلع عليه ما كان عليه من الملبوس وأقطعه ثلاث جزائر فى البحر من قرب بلده وأوعده بانه يزوجه بنته وقال على بالمسلم الذى أسرته فى ذلك اليوم فانى رأيته فارس لايطاق علقم مر المذاق فاحضروا غارب بين يديه وقد قال الملك للترجمان قل له ويحك كم لك من الخليفة فى الديوان فقال له الترجمان ذلك الكلام فقال الأمير غارب لى عليه جهة الضياع العامرة فقال ملك الروم وحق دينى لو دخلت فى ديننا وقاتلت بين أيدينا لكنت أعطيك عمورية فى بلاد الروم والموصل فى بلاد العراق فقال غارب ما كنت بالذى أبيع الآخرة بالدنيا الغادرة ولا أبغى دينا يدخلنى النار (قال الراوى) ياسادة ياكرام فلما سمع الملك ذلك أمر بحبسه وهوانه فهذا ما كان منهم (وأما ما كان) من الامير عامر وهو المقدم على عساكر العراق فانه تقدم وافتقد رجاله فوجد قد فقد منهم خلق كثير فعظم ذلك عليه وكبر لديه وقال ما لهذا القوم إلا المبارزة والمنازلة وبات على هذه النية فلما أصبح الصباح جردت الصفاح وركب الأمير عامر فى مركبه وركب منويل فى كتائبه وترتبت الصفوف وتقاتلت الجيوش وكان أول من فتح باب الحرب الأمير عامر وقد ظهر على حصان ضامر كانه الليل العاكر ثم اشتهر بين الصفين

ووقف بين الفريقين وطلب البراز وسأل الانجاز فما استتم كلامه حتى برز اليه فارس فما لبث بين يديه دون أن طعنه عامر فى صدره أطلع اللسان يلمع من ظهره وخرج اليه ثانى قتله من غير توانى فخرج اليه ثالث تركه على الأرض ناكث ومازال إلى أن قتل عشرة من البطارقة فبرز اليه من الافرنج فارس يقال له قرقياس ابن ملك أفرنجة وكان من الابطال المعروفين والاقيال الموصوفين تهابه ملوك الروم جميعا لأنه كان يقتنص الأسد من الغابات ويأخذ القوافل من الفلوات وقد خافته الأمم وخلفه مائة الف فارس يسمعوا كلامه ويطيعوه وكان قد خطب بنت ملك الدوقس وكانت كاملة الملاحة والظرف والرجاحة وقد خطبها كثير من الروم فلم ينعم أبوها لأحد فلما ان خطبها ذلك الملعون لم قدر ان يرده خيفة منه أن يخرب دياره ويهد اطلاله ويمحو آثاره فما كان إلا أنه قال له اعلم أنى قد أقسمت لا آخذ لبنتى مهر لا ذهب ولا فضه ولا أريد إلا مائه مسلم تأتينى بهم أسارى حتى تفتخر بنتى على سائر بلاد الروم من البنات وكل ذلك طلبا لهلاكه لأنه كان سميا لخلقه كريه الرائحة بخيل النفس شجاع فى الحرب شديد الكفر وقد أسر فى وقعات الحرب سبعين رجلا وهو متوقف على الباقين (قال الراوى) فلما نظر ملك الدوقس الأمير عامر علم انه فارس خبير بالطعن والضرب فقال لقرقياس وحق المسيح قد اشتهيت ان يكون هذا من جملة الثلاثين الباقين فقال قرقياس سمعا وطاعة (يا ساده) وما قولكم فى أسد جبار وليث مغوار وعاشق ورامق وقد طلب منه صهره هذا الفارس فخرج اليه كانه الاسد الزائد والقى نفسه على الامير عامر وكان عامر أكثر أيامه صائم وله كل ليله مائة ركعه غير الصلاة المكتوبه وأمانى الشجاعة فقد ثبت فى عساكر العراق والبصره الى ارض عمان وقد تجنبت قتاله الابطال والفرسان فلما برز اليه تطاولت اليهما الاعناق وشخصت نحوهما الاحداق وقام الروم على قدم وساق وبلغت الارواح التلاق والفارسين تارة يأخذان فى الانطلاق وتارة فى السباق وتارة فى الطلب واللحاق وتارة يعتمدا على السيوف الرقاق وتارة يظهران الزعاق والابراق وجرى بينهما ماتكل عن وصفه ألسنة الحذاق ثم تقاربا الى ان قربا من الالتصاق واختلف بينهما ضربتان وكان السابق بالضربة الأمير عامر ضربه ضربة واصلة قاطعة وقع السيف على رأسه نزل يهوى الى صدره فوقع صريعا فكبر الأمير عامر وأنشد

أنا الهمام البطل المداعس ... ليث الحروب فارسا ممارس
قتلت كلبا اسمه قرياقس ... حتى بكته الروم والقساقس
تفزع منه الجن والابالس ... وليس لى فى الحرب من منافس

(قال الراوى) فلما نظرت الروم الى قتل ابن ملكها همت بالحملة فمنعهم الملك منويل وخرج ناشر ملك الافرنج وقال أنا آخذ بثار ولدى وحشاشة كبدى ولا بد لى أن آكل من كبد هذا المسلم قطعه والا كلت لحم الجمل فى عيد الشعانين ثم حمل على الامير عامر ولم يمده بحسام دون ان هز الحربه بيمينه وكان فيها حلق كثير فسمع لها جلبة عظيمه وسقط منها حلقتان من شدة الهزه ثم رفع يده حتى بان بياض ابطيه وزرق بها عامر وان عامر لما رآها أيقن بالبلاء لانها ماهى رمح يقصفه بسيفه ولا سيف حتى انه يلتقيه بترسه بل هى حربة نحاس وماللخصم منها خلاص ولا يجد منها مناص غير ان الامير عامر ثبت لها ووقف وقفة الكريم للاضياف وقد أعطاها له عدو الله بكل ما استطاع من الحيل فخرجت من يده ولها هفيف حتى انها وصلت الى الامير عامر فمال عنها أسرع من البرق وخطفها من الهواء وهزها حتى انه طير طرفاها من حلقها وارماه بها وقال خذها يا عدو الله وعدو رسوله فلم يشعر عدو الله ملك الافرنج الا وقد وقعت فى لبته أخرقت قفاه وخرجت من نقرته (قال) فعظم ذلك على الافرنج وحملت عن بكرة أبيها وحمل المسلمون ولم يزل السيف يعمل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى ذهب النهار وأقبل الليل وافترق الجمعان وكانوا المسلمين فى يومهم رابحين وباتوا وهم مسرورين (قال الراوى) وان الملك منويل جلس من ليلته وأعطى مملكة الافرنج لرجل من أكابرهم يقال له القمص الكبير وكان كافر شرير وله زمجره وهدير وهو كانه خنزير وهو كافر باللطيف الخبير وانه بعد ذلك خلع على مقدمين الافرنج وطيب قلوبهم فقالوا أيها الملك طب نفسا وقر عينا فنحن فى غداة غد نصطلى نار الحرب بنفوسنا وترى قتالنا ونكون كل يوم يقاتل فيه ملك بعسكره ليبان الفارس من الناعس فقال الملك هذا هو الصواب ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح اصطفت عساكر المسلمين ورفعوا أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ولم يركب فى ذلك اليوم منويل ولا احد من الروم بل ركبت الافرنج وفى أوائلهم القمص الكبير فما فوالكم يا اخوان فى مائة الف عنان من الافرنج حملت بالقنطاريات الخلنجيات حملة واحدة فصاروا كانهم سد من حديد ونظر الامير عامر الى فعلهم فقدم الاتراك بين يديه وجعل الاكراد ميمنة وميسرة والعرب فى الميسره ثم برز بنفسه يطلب يكسرهم عن الحملة (قال الراوى) ولما نظرت الافرنج الى الامير عامر وقد خرج وبرز وابتدر فخرج اليه فارس أشقر من بنى الاصفر على جواد مضمر بحسام أبتر يطلب للامير عامر وتجاولا فما لبث دون ان طعنه الامير عامر فى فاه أطلع الرمح من نقرة قفاه فلم يصبر القمص دون ان حمل وكذلك العسكر بأسره (قال الراوى) فاندقت الاعراب والاكراد بين ايديهم وثبتت لهم الاتراك

وقد أشرفوا على الهلاك وقاتل الامير عامر قتالا شديدا يكل عن وصفه اللسان ويدهش من نعته الانام وطلبته الرجال والاعداء من كل جانب ومكان وجاءت لجواده طعنه فى جانبه الايمن طلعت من جانبه الايسر فوقع الى الارض قائما وترجلت من حوله العلوج فجعل يضرب ميمنه وميسره وقلب وجناحين وحرض المسلمين على الوصول اليه فلم يقدروا عليه ثم رميت عليه الطوارق والسيوف حتى لطموه وتكاثرت عليه الرجال حتى أخذوه أسيرا وعلمت المسلمين باسره فولوا الادبار وركنوا الى الفرار ورموا أنفسهم على جدران البلد وتحصنوا بها وأحاطت بهم الأعداء من كل جانب وندبت النوادب وأيقنوا الناس بالعطب وعزموا على الهرب وأطلقت الطيور إلى بغداد وطلبوا الفرج لانهم وقعوا فى الحجج وبات الناس فى تلك الليلة موقنين انهم فى غداة غد مأخوذين فلم كنت تسمع إلا بكاء وأنين ودعاء إلى رب العالمين وباتت على الناس حملة الانكسار ومذلة الحصار وخوف العار وهتك الأسرار وقتل الأطفال والصغار وذبح الشيوخ فلم يزالوا على ذلك حتى أضاء الله بالصباح ومضا الظلام وراح واستبشروا الفجار واستسلم الأخيار وقاتل المسلمون على الجدران رأيقن الناس بالذل والهوان وفتحت الموصل فتحا وتعلقوا باللحا وامتثلت الامم وطبقت الفم وصبروا لما قضاه الله عليهم وحكم وبقيت الأجسام فى الأزقة مطرحة وجرت المزاريب بالدما وعضت الأنامل ندما وعلقت العلوج بذوائب المخدرات وضرب فيهم بوق الشتات وتمنوا شراب كاسات الفوات وهرب من أراد الله سلامته (قال الراوى) ووصل الخبر إلى بغداد بأخذ الموصل فقامت القيامة على الرشيد وقال هذا أمر غير سعيد كثر والله الفساد وقتلت العباد وخرجت من يدى البلاد وشمتت بى الأعداء والحساد وما كان الاسلام إلا بعبد الوهاب فوا شوقاه إلى ذلك الوجه لقد كان الثغر به معمور والعدو به مكمود مدحور والآن بغيابه أصبحت رايات الشر مشرقة على زمن السرور والأعداء قد تسلطوا علينا بعد تمام الأمور ولكن كان ذلك فى الكتاب مسطورا ثم جمع أرباب دولته وعقلاء السادات وقال لهم أما تنظروا إلى ما قد نزل بالاسلام والمسلمين فقالوا ما الخبر يا أمير المؤمنين فقال قد أخذت الموصل فعظم ذلك على الناس وقالوا مولانا لقد فرطت فى العساكر الذين أرسلتهم مع عامر فلو كانوا أقاموا فى بغداد ووقفوا فى وجوه الأعداء ما كان جاء إلى هذه الأرض فقال الرشيد لقد أخطأنا فى حق عبدالوهاب لعن الله عقبة (قال الراوى) ثم ان الرشيد أمر بأن يحفروا الخنادق ويدربوا الدروب وقال كأن الأمور ضاقت من كل جانب ومكان حتى كان الدولة

ما كانت إلا بعبد الوهاب فغابت من منذ غاب وأرجو من الله سبحانه وتعالى انى ما أموت حتى أسمع بخبره ان كان فى الحياة أو أدركته الوفاة فما كان أشرق أيامه وأوقاته وأحسن موافاته فلعن الله من أشار علينا بمعاداته فهو فى الكلام وكتاب الطاير وصل من قيد وهى نصف الطريق من مكة إلى بغداد يخبر فيه ان الرجل الذى ظهر بالحجاز يزعم انه المهدى وقد رفع عن الناس صلاة الصبح وصلاة المغرب وطرح عن الناس الزكاة وقد مالت العرب اليه وانه قد سار فى ثلثمائه ألف من العرب ومعه خمسة آلاف أسود قد صحبته ترغب فى النهب من بلاد العراق ولهم مقدم يقال له أبو الهزاهز كأنه الجمل الهائج وهو جبار من الجبابرة أسود من الليل الدامس يقتنص السباع بيديه ويخلع من الأسد قلبه ولم يحمل قط حديد وانما يأتى إلى الشجرة ويعلقها من أغصانها بيديه ويضرب بها الفارس يطحنه وقد أهلك بهذا الفعل ناس كثير هذا وقد اتبعه من فى بلاد الحجاز حتى صار فى عالم عظيم فقوم يتبعوه فى طلب المكسب وقوم يتبعوه خوفا من شره وانه قد وصل إلى قيد وهو طالب بغداد يريد الخلافة وان يصير موضع أمير المؤمنين الرشيد بالله (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقام وقعد وقال على هذه الدنيا السلام فإن الخليلة سوء لا يدوم خليلها ثم قال الأمر لله من قبل ومن بعد يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريدها نحن مقيمين وقد قصد الينا الكفار والخوارج الأشرار ونحن نستعين عليهم بالواحد القهار العزيز الجبار الذى لا يخلى أمة نبيه من أنصار ثم قال هذا ملك الروم يريد الخلافة وهذا الآخر يريدها وأنا بقيت من الهالكين وما بقى إلا الفرار هذا ثم خنقته العبرات فدخل إلى عند زبيده باكيا فقالت له ما الذى يبكيك يا أمير المؤمنين فأعاد عليها الخبر وقال والله ما كان رأى عقبة إلا ميشوم وما زال يبحث على هذا الرجل الذى كان سيف الاسلام أعنى عبدالوهاب حتى ترك منازله بعده خراب وانقطعت بنا الاسباب فقالت زبيده اعلم يا أمير المؤمنين ان الأمور مقدرة والأحوال مدبرة وعندى من الأمر ما ليس عندك وان فعلت ما أقول لك عليه ذهبت النكبة وانكشفت عنك الكربة فقال لها قولى وأوجزى فقالت فى الأمر شيآن أحدهما انك تنفذ إلى هذا الرجل الذى يدعى انه المهدى وتقول له اعلم اننى فى هذا الأمر من قبلك وهذه الأموال التى كسبتها وجمعتها فهى لك فإذا وصلت فالموضع بحكمك ولا أخرج لك من خلاف أبداً وأكاتب لك البلاد بأن يسلموها لك وأنا أخلع نفسى من هذا الأمر الذى هو الخلافة وانسبنى اليك فيكون أروح لقلبك

واسرع لبلوغ أمرك ولكن بقى فى الأمر شىء واحد وهو ان الروم جاءت وملكت البلاد والامصار كلها ومكنوا من المسلمين الصارم البتار فإذا وقعت على هذا المنشور فسر من وقتك والتى هذا العدو وخذ الغنائم منه فإنها مثل ملك العراق ألف ضعف واطرح الكلب على الخنزير فكل من قتل منهما فيه ربح كثير وإذا التقا الجمعان وتقاتل الخصمان كل من ظفر منهما بصاحبه استراح قلبك منه وانت الى أحد الجهتين والفرج من الله قريب وسيأتى فى الأمور مالم يكن فى الحساب (قال الراوى) فلما سمع الرشيد ذلك الكلام قال هذا هو الصواب ثم قال لها وما الرأى الثانى قالت أخرج ومعى مسرور وجوهر ومائة من الغلمان فانى سمعت أن الأمير فى عمل انطاكيه ومعها بنوكلاب والسودان الأنجاب وهى امرأة مطاعة عند العرب وأيضا لها خبرة بقتال الأعراب والروم وهى أفرس من ولدها عبد الوهاب وأعتذر عنك اليها فلو إننا ذبحنا ابنها بأيدينا تجاوزت عن ذلك الذنب بمشي اليها وقدومى عليها فانظر الآن أيها الأمير من شئت فقال لها أما ماذكرتى من ذات الهمة فهيهات ان ترجع إلى الطاعة أبدا فقالت زبيدة اعلم ياأمير المؤمنين أن هذه المرأة فيها دين ويقين ولا يسعها فى دينها أن تقعد عن نصرة الاسلام فقال لها لقد قلتى حقا لكن قال بعضهم : لا تقاتل بواحد أهل بيت فضعيفان يغلبان قويا

وذات الهمة أكثر مايكون معها اليوم خمسة الاف فارس والعدو فى بحر زاخر ليس له أول يعرف ولا آخر يوصف ولكن ننفذ الى ذلك الخارجى كما ذكرتى فى الأول (قال الراوى) ثم خرج إلى ديوانه واجتمع بارباب دولته والقضاة والعلماء واستشارهم فى هذا الأمر فلم يجبه أحد فأعاد عليهم ماقالت زبيدة فقالوا هذا هو الصواب والأمر الذى لا يعاب فعندها كتب كتاب إلى الخارجى بالوصف الذى ذكرناه وحمل له المال والهدايا والأطعمة والملابس وكذلك حمل أيضا لابو الهزاهز كبير السودان هو والذين معه وختم كتابه وبقى منتظر قدوم الخارجى (قال الراوى) وأما ملك الروم فانه رحل من الموصل طالب بغداد وسير السبي مع البطارقة إلى ملطيه وقال سيروا به إلى القسطنطونية وجد فى طلب بغداد وقد انقلبت الدنيا على ساق لكثره الخلائق والمواكب والرجال والجنائب المعدة (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء من الأسباب (وأما ما كان) من الأمير عبدالوهاب فانه لما ملك السبي قال لابو محمد البطال ماذا نصنع ياأبا محمد قال عندى رأى أريد أن أفعله وهو أن نحضر الغنائم ونلبس ثياب الروم ونرفع الصلبان كما ذكرنا وها هو قد مضى الأمير ضيغم يأتى بعقبة ونصلبه على باب الذهب فى القسطنطونية ونأخذ سبيها

كما فعل هو بملطية ونأخذ الفضل بن الربيع من السجن ونشتفى منه حتى لا يرجع يفسد حالنا مع السلطان فقال الامير عبد الوهاب لقد قلت الصواب ولكن أقم بنا هاهنا عشرة أيام عسى أن تأتى بنى كلاب ويكثر الجيش فان القسطنطونية فيها عالم عظيم لا يحصى عددهم إلا الذى خلقهم سبحانه وتعالى فقال أبو محمد ان الف من العوام ما يساوون كف تراب فاقاموا هنالك سبعه أيام وفى اليوم الثامن وصل صابر المرعشى وأخبر أن بنى كلاب قد سمعوا بأن الامير عبد الوهاب سليم العواقب فجمعوا بعضهم وهم متوجهين اليه وعدتهم ستين الف عنان وفى غداة غد يكونوا عندكم ففرحوا القوم واستبشروا بقدوم الاحباب وباتوا مسرورين حتى برق ضياء الفجر وإذا بالرايات أقبلت والاعلام قد ارتفعت فركبت القوم والامراء إلى لقائهم فلما رأوا الامير عبد الوهاب مقبل اليهم ترجلوا أجميع وقبلوا الارض بين يديه فأخذهم بالترحيب والاكرام ونحر لهم النحاير وأوقفهم على ما هو معول عليه من المسير للقسطنطونية بالحيلة التى دبرها البطال فقالوا كلهم سمعا وطاعة ثم أن الامير أخذ من عدد الروم وأسلاب البطارقة وصلبان القساقسة وخيل البنادقة ما لا يقع عليه أحد بعدد الرمل والحصا وقال للعرب اخلعوا ملابسكم والبسوا ملابس الروم ففعلوا ذلك (قال الراوى) فلما لبسوا العرب كما أمرهم الامير عبد الوهاب بقوا كانهم البدور الطوالع ورفعوا الصلبان وساروا إلى القسطنطونية يقطعون الارض ذات الطول والعرض حتى وصلوا إلى مرج الملكة وهو مرج فسيح كثير المرعى غزير الماء واسع الفضاء دأبه الغزلان ونباته الزعفران وهو من القسطنطينية على خمسة أيام ووصل الخبر إلى البلد فزينت الاسواق وخرجت أرباب الاموال أموالها وقعدوا يطلبون البيع والشراء من السبى والعدد والخيل العربية ولبسوا البطارقة بأنواع الديباج من الرومى والملكى والمراشى المذهبة وعلى رؤسهم وصدورهم صلبان الجوهر وفى أوساطهم زنانير الحرير الاخضر ولم يبق مخدره من بنات الروم إلا وطلعت على الاصوار لينظروا أسارى المسلمين ويتفرجوا على حريم الموحدين وضربت الطبول والزمور وسكبت الخمور وفتحت الكنيسة وهى كنيسة صوفيا وعلقوا فيها قناديل الذهب المرصعة بالجوهر وصلبان الذهب الاحمر وألف ستر من الحرير الاخضر والاصفر وخرجت القساقسه والشمامسة والبطارقة والرهبان بمباخر الذهب والفضة (قال الراوى) ياسادة وهى تزيد على ألف مبخرة وفيها العود القمارى وأمروا القس الكبير أن يطلع يخطب لهم خطبة الشكر والنصر وكان يوم لا يرى مثله فى القسطنطينية وفتح باب البلد الاكبر وهو من النحاس الاندلسى كانه ذهب أحمر يتوقد من

عادة الروم نساءهم لا يسترون وجوههم وقد كحلوا أعينهم فبقوا كأنهم الشموس الطوالع (قال الراوى) وكانت جملة البنات الابكار ثمانون ألف ومن النساء مالايقع عليه عدد كل واحدة منهن تسوى ملك الارض وركب أوسطاليس ابن جرجيس الحبيس وكان نائب منويل على القسطنطينية فى عشرين الف بطريق فوارس لأنه كان شديد البأس صعب المراس صاحب رأى جيد التدبير بعواقب الأمور وخبير فركب فى ألفين فارس وخرج يلتقى السبي وأودع باقى الفرسان فى البلد لزعمه إنه السبي حقا وكان لأبو محمد فى البلد جواسيس فأتى لؤلؤ إلى مولاه أبا محمد وأخبره أن أوسطاليس خرج يلتقى السبي فى ألفين فارس فقال أبو محمد للأمير عبد الوهاب يقولون فى الأمثال من لم ينظر فى العواقب ما الدهر له بصاحب وأصحابنا على كل حال عرب لاتخفى من الروم والساعة يجيء هذا الملعون وأنا أخبر الناس به وبحيله ومن جملة حيلة انه ماأنفذ الينا من يستقبلنا حتى ركب الينا بنفسه والملك منويل قد استخلفه على البلد فى عشرين ألف فارس والرأى عندى ننصب سرادق عظيم ونوقف فيه خمسمائة من السودان بزى البطارقة ويضربوا هؤلاء السرادق ويقف خارج السرادق أربعة آلاف بطل وألتقى الرجل أنا وأعرفه بنفسى وإسمى وأخاطبه بلسانى وأرجله مع الالفين بطريق ويتوكل بكل واحد منهم اثنين أوثلاثة وادخل أنا والبطريق وكل من دخل معه فاذا وقعت عينه عليك قم له قائما واعتنقه وادن منه كانك تعانقه واقبض عليه ثم يقبض كل واحد من المسلمين على من يليه من الروم قال الامير لله درك ياأبا محمد وإذا قبضنا عليهم مانصنع بهم قال نضرب رقابهم بعد أن نعريهم ثيابهم ونلبس ثيابهم وأنا ألبس ثياب أوسطاليس وأتكلم بلسانه وندخل من وقتنا فى أبواب البلد وارفعوا أصواتكم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشر النذير ونتوكل على اللطيف الخبير فقال له الامير ارمينى أنا إلى البلاء وانظر العجب (قال) فعندها ضرب سرادق كبير كان سرادق عمرو قد أخذه من ملطيه ونصب فيه الكراسى وقعدوا الرجل وعلمهم البطال مايعملون من المحال ولم يكن الاساعة حتى أقبل أوسطاليس فى ألفين بطريق كأنهم الصوارى وركب أبو محمد وسعى حتى قبل فخذه وقال له لك البشارة أيها الملك فتحت البلاد وملكت رقاب العباد وقد أتى معنا ملك يسد الفضا ويملأ المستوى فقال ومن يكون هذا صاحبك فقال أبو محمد هذا ملك الانجار وإن الملك منويل لم يثق بأحد غيره يرسله مع الغنيمة وقد وصل معه من المال ألفين ألف وخمسمائة ألف دينار ترفعها إلى خزانة الملك فلما سمع أوسطاليس ذلك الكلام فرح الفرح الشديد وقال وحق المسيح أنى عارف بملك الانجار وبينى وبينه

صداقة قديمة وتم أبو محمد سائر وأرسطاليس صحبته حتى وصلوا إلى سرادق الامير وقد وقف الناس صفوف والبطريق وأصحابه يسلموا بالرومى على العرب والعرب تصفع لهم برؤسها لاغير حتى وصل البطال إلى السرادق وترجل وكذلك ترجل أرسطاليس ورجاله ودخل من معه من الخواص وبقى الباقون بين يديه قيام صفوفا وقد توكل بكل منهم اثنين ودخل الامير أبو محمد يحجب البطريق حتى وقعت عينه على عبد الوهاب فوثب الامير قائما على قدميه ونزل يمشى إليه حتى وصل كل واحد منهما إلى صاحبه واعتنقا وكذلك الرجال الذين دخلوا معه قد أحدق بهم رجال الامير عبد الوهاب ونظر الامير إلى البطريق والبطريق نظر للامير وكان عارفا بملك الانجار فأنكر ذلك واراد أن يخلص نفسه فلم يقدر لانه لما اعتنقه قبض على زنديه كادأن يطير ذراعيه وعصر عليه فصاح البطاريق بملو بطنه قتلتنى وحق المسيح وما هذا مزح مليح وكشف الامير عن وجهه فلما نظر البطريق إلى سواده عرفه حق المعرفة لانه كان رآه لما أسره الملك فلما عرفه ايس من الحياة وايقن بالوفاة فصاح أبو محمد على الرجال فقبضوا على البطارقة أسرع من طبق الجفن على الجفن وخلعت ثيابهم وضربت رقابهم وكانوا عشرين ألف فهذه القيمة منهم ألفين والباقى فى البلد فامر الامير للعبيد ان يحفروا لهم حفرة ويطرحوهم فيها ففعلوهم ذلك ودفنوا عن بكرة أبيهم فقال الامير أبو محمد بسم الله الآن البسوا ثياب الالفين فلبسوا القوم ولبس أبو محمد ثياب أوسطاليس وأخرج ذقن كأنها ذقنه وركبها على وجهه حتى قال الامير عبد الوهاب وذمة العرب لولم تفعل هذا بين يدى لم عرفتك فقال أبو محمد دعنا من هذا فان الوقت سبق إذا لم تقطعه قطعك فوثب الامير وركب وركبت معه السودان من وراء الناس والسبى بين أيديهم وأبو محمد والالفين فارس من بنى كلاب فى ثياب البطارقه (قال الراوى) فهذا جرى هاهنا (وأما ما كان) من الامير ضيغم فانه سار طالب السويدية فى طلب عقبه وجعل يسير الليل ويكمن النهار حتى وصل إلى البلد سالما وخرج أهل البلد إلى لقاه وسألوه عن الامير فأخبرهم بسلامته وإنه قد التقى بسبى المسلمين وخلصهم من أيدى المشركين فدعوا له الناس ولم يكن للامير ضيغم دأب إلا المطمورة التى فيها عقبة فمضى اليها فلم رأى للسجان خبر فخفق قلبه ونزل فوجد الديار بلاقع ولم يجد لعقبة خبر ولا لبولص ولا الراهب لوقا ولا وقع لهم على أثر وإذا فيها السجان مقتول فعظم عليه وكبر لديه (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك وفى هروب هؤلاء من السجن وقتل السجان لانه كان رجل دين فلما رأى عقبة الى ذلك جعل يصوم النهار ويقوم الليل على

قدميه ويقرأ القرآن بطيب نغمه وحسن صوت ثم يبكى عند آيات الوعد والوعيد والخوف والتهديد فرق له السجان وقال ياشيخ إيش بينك وبين الامير حتى حبسك ههنا فقال مابيننا شيء أبدا ومابيننا الا كل خبز ولولا أبو محمد يرمى فى ماكنت ههنا ولاوقعت هذه الوقعة وإنما كلما أنا فيه من البطال لانى ربيته وعلمته ولما كبر نظر الى بعين الحسد لانى رجل قد أعطانى الله الدين والدنيا وأبو محمد واسع البطن لايشبع أبدا وهو من الحسد يريد قتلى وقد سلطه الله على حتى أنه يكدر على قلب الامير عبد الوهاب حتى لو أمكنه يقول أنى نصرانى لفعل وها قد حبسونى عندك معانى ما أفتكر فى هذا الامر أبدا لانه ورد فى الخبر عن سيد البشر أنه قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ومن يكن فى الدنيا فلا يطمع فى الراحة لانه معدوم من الدنيا ثلاث خصال الاولى لاراحة فى الدنيا والثانية لاحيلة فى الرزق والثالثة لاشفاعة فى الموت وكلما يقضى به خالقى فأنا به راض ولاحكامه صابر لعلى أموت وهو راض عنى وما أريد الا مايريد لانه السيد ونحن العبيد فلا اعتراض عليه لان الامور كلها بيديه وقد قيل فى هذا المعنى

إن كان جيران الفضا رضوا بقتلى فرضا

هم قلبوا قلبى على الهجران فى نار الغضا

أنا لهم عبدا وما للعبد أن يتعرضا

(قال الراوى) ياساده ياكرام ثم قال ياولدى مادام العبد فى دار الدنيا فلا يحدث نفسه براحة أبدا لانها دار المحن والبلاء والمرء فيها كثير الاعداء فهى إن أعطت أخذت وإن خلت خلت وإن أقبلت أقبلت وإن أدبرت قتلت فبالله عليك ياولدى لايوجعك قلبك من أجلى فأنت عبد مأجور وما للعبد أن يعترض على السيد فقال الشيخ والله يعز على أن يكون مثلك محبوس وما يحبسك إلا كل قليل الدين فقال عقبة ياولدى اعلم أن لى غدا مع هؤلاء وقفة طويلة بين يدى ديان يوم الدين يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وان الله أحكم الحاكمين يقتص لى منهم ويخلص تارى وأما أنت ففى حل من قبلى بلى لى اليك حاجة صغيرة وأريدك أن تقضيها لى قال وماهى ياأخى قال اعلم انى قد كبرت وقد وجعنى ظهرى من أكل الخبز المشوى ولى فى انطاكية مقارض لى معه خمسين الف دينار وأشتهى منك أن تمضى بنفسك اليه لانه لايطيب قلبى أن يمضى أحدا غيرك يأخذ منه شيء لانه مابقى فى الدنيا أمانة أبدا وأنا أكتب اليك كتاب وأرسله معك وآمره فيه أن يسلم اليك الف دينار ذهب فإن جئت بها فلك نصفها وكتب كتاب فيه لاتسلم حامله بأنى نصرانى فإنه يوقعنى لامحاله وكنت قد دخلت الى بلد الروم طالب الملك منويل لما أسر الامير عبد الوهاب والبطال فسكت من

الطريق وانتهى بى الامر بعد الضرب الشديد إلى الحبس وأنا كل يوم أنتظر الأوقات فاذا قرأت كتابى هذا فسلم لحامل الكتاب الف دينار ذهب ولا تعلمه بأنى نصرانى فإنى ماخدعته إلا بقراءة القرآن وسلم له كسوة ولى كسوة وتكون كسوتى مطوية محزومة وفى وسطها مبرد قاطع وإذا سار من عندك من مالى ثلاث بغال وتخرج أنت وغلامك ومن معك حتى تصل الى المزرعة وهى الضيعة التى بظاهر السويدية تجدنى هناك ومعى بولص ابن الملك دمروس والقس لوقا والسلام (قال الراوى) وكان عقبة قد كتب الكتاب بالقبطى حتى لا يقرأه أحد إلا القبط وكان العامل الذى له فى انطاكية قبطى ثم سلم السجان الكتاب وسار به يقطع الارض حتى وصل إلى انطاكية ورفع الكتاب الى القبطى فأضافه الرجل أحسن ضيافة وسلم اليه الكسوة والمال وخرج السجان من عنده طالب السويدية فدخل على عقبة (ياسادة يا كرام) وخرج العامل أيضا بالكتاب والثلاث بغال فى أثره وان السجان سلم المال لعقبة فاخذه وقسمه نصفين وأعطى السجان خمسمائة دينار فلعب بعقله وأعطاه مائة دينار وقال له هذه تكون معك برسم النفقة ثم ان عقبة أخذ المبرد وبقى يبرد قيده وقيود أصحابه وهم بولص ولوقا حتى فكهم أجمعين وقال لهم عقبة الى متى هذا القعود اطلبوا بنا الهرب فقالوا كيف نعمل فى السجان فقال عقبة اعلموا أنى عولت على قتله لانى أراه شديدا فى دين الحنيفية فقالوا كيف تقتله فقال أشتهى عليه أن يطبخ لى لحم فإذا أتى به فلابد ما يأتى معه بسكين وينزل الى عندى ويقطع ويطعمنى وهو يظن أنى فى القيود فعندها تقوموا عليه وتهجموا وتقتلوه بالسكين ونقيم الى المساء ونخرج متنكرين إلى المزرعة وهى على فرسخ من البلد وقد تخلصنا من الاسر فقالوا هذا هو الصواب ثم أنه صنع الذى ذكرنا ونزل السجان وهو لا يعلم ما خبىء له فى الغيب (قال الراوى) فما استقر به الجلوس حتى وصل اليه بولس وقد ذكرنا أنه بطل شديد فقبض على فمه فلم يستطع الخلاص منه وأخذ لوقا السكين ولم يزل يضربه حتى قضى عليه وأقاموا فى المطمورة الى المساء ولبسوا الثياب التى وردت من انطاكية مع السجان وخرجوا من البلد ووصلوا المزرعة فوجد عقبه عامله هناك فركبوا وساروا حتى دخلوا أنطاكية وان الامير ضيغم لما وجد الحبس بلاقع رجع إلى أبيه مهموما مغموما (قال الراوى) ياساده يا كرام فهذا ماجرى ههنا من الكلام (وأما ماجرى) من الأمير عبد الوهاب فإنه لما قبض على أوسطاليس ومن معه وضرب رقابهم وسار الى القسطنطوبيه وأبو محمد بين يديه حتى وصل الى باب الذهب ضربت البوقات ودقت الطبول وجعلوا أهل الاصوار يسلموا على البطال وهم يظنون أنه صاحبهم وهو يرد عليهم وقدم الامير والكتائب والسبى والرجال مكتفين والامير

عمرو وأم عبيد الله فى أوائل الناس على جمل والروم يضحكون عليهم وأبو محمد فى ألفين فارس فى أوائل أصحابه والروم يسلمون عليه ويقبلون الارض بين يديه وهم فى أمان والناس فى جلبة عظيمة إلى أن دخل السبي من باب البلد ودخل أبو محمد البطال وخلفه عبد الوهاب والسودان الأنجاب وقد صاروا داخل البلد سبعين الف مقاتل فعطف أبو محمد اليه وقال أيها الأمير ماتنتظر فاعلن بالتكبير وتوكل على اللطيف الخبير فعندها نادى الامير عبد الوهاب الله أكبر الله أكبر فجاوبه كل غلام ذكر من تحت الجدران والشجر وجاء الحق وزهق الباطل واندثر (هذا) وأهل القسطنطونية سمعوا التكبير فما منهم إلا من تحير وعلموا ان الحيلة قد تمت عليهم للقضاء والقدر فرأوا أيديهم إلى السلاح المشهر (قال الراوى) وهذا البلد بلد عظيم اثنى عشر فرسخ طوله فى عرضه والعالم بعدد الرمل والحصى (قال الراوى) ثم ان الامير عبد الوهاب صاح فى رجاله السودان والابطال الشجعان فجرت الدماء مثل السيل وقل الجلد الحيل وعاد النهار مثل الليل وضربت الرقاب وعملت السيوف عمل النار فى الاحطاب ودعست السودان فى الروم كانها أسود الغاب وطاشت من ذلك اليوم العقول وجرى على القوم سحائب العذاب وتساوى فى ذلك اليوم الاعداء والاحباب وجرت الدماء من أعالى الجدران كجرى السحاب وطلع من الازقة إلى العنان الضباب واجادت الضرب بنو كلاب وتواثبت السودان الانجاب وأوصلوا الى الروم ضربات السيوف المشرفيات وسقوهم شراب المنيات من الحراب المسنونات وعلت من القوم الصيحات وجاء الموت وذهبت الحياة وطلب بنو حام من الغيظ الممات ونادى عبد الوهاب يا آل كلاب فاجابوه مثل السباع الضاريات وأقام القتال يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع نادت الروم لورك لورك يعنى الامان الامان فأمر الأمير ان يرفع عنهم السيف فرفعوا عنهم الحسام وأراد الامير أبو محمد ان يفتح باب الكنيسة الكبيرة وإذا بها قد غلقت وطلعوا الرهبان على أبراجها وجعلوا يرمون الناس بالحجارة والسهام فنظر أبو محمد يمين وشمال فلم يجد فى فتحها احتيال وزاد بالقوم البوار وعاد الليل مثل النهار وازداد الامر حتى عيل صبر الشجاع وحار ودفع الروم السودان من أعالى الجدران بالاحجار ولما رأى الأمير عبد الوهاب ذلك حار وأمر السودان يرجعوا إلى خلفهم ثم قال يا أبا محمد كيف العمل فقال أيها الأمير عليك بالصبر ولا تعجل وعليك بالتأنى فى الامور تنال الفرح والسرور وأريد أنك تمهلنى فى ثلاثة أيام حتى أتقن الحيل فعندها أمر الأمير ان تبعد السودان الانجاب عن القصر ودار أبو محمد حول القصر ثلاثة أيام وإذا به قصر منيع عالى مشيد ما لاحد

فيه مسند ولا فيه منقب ولا حيلة لمن ينصب وجعل يدور حوله وإذا بكتاب فى سهم نشاب قد وقع فأخذه أبو محمد وقرأه وأقبل إلى عبد الوهاب وقال أيها الأمير هذا كتاب مارس وأخيه دارس قد وقع فى هذه الساعة وهما يقولان انهما ما أمكنتهما الفرصة إلا فى هذه الساعة حتى رميا الكتاب وهما يقولان لنا لو أقمنا على هذا القصر مائة عام ما نلنا مراد ولا شفينا فؤاد ولكن الروم قد وقع عليهم بطاقة على جناح طائر من جزيرة أويس ان تسير إلى قرية صافورا وهى على خمسة فراسخ من البلد وفيها خمس مراكب كبار حربية تركب فيها وتمنع من يدخل إلى القوم حتى تضعف نفوسهم ويسلمون على طول الحصار (قال الراوى) فلما سمع الأمير ذلك قال والله لقد أشار مارس بالصواب والأمر الذى لا يعاب فماذا تقول يا أبا محمد قال الرأى ان تأخذ ثلثمائة من بنى كلاب والسودان الانجاب وآخذ المراكب واعمل على القوم حيلة يتحدثون بها جيلا بعد جيل ثم إن أبا محمد أخذ معه الرجال الانجاد الاجلاد بالسيوف المداد والسواعد الشداد وقال أيها الامير اشغل القوم بالقتال حتى لا يطلعوا لنا على حال قال فعندها زحف الاميرعبدالوهاب للقتال وسار أبو محمدالبطال إلى أن وصل إلى الضيعة فوجد المركب فى الميناء تلعب فى مواسيها كما تمرح الخيل فى مقاودها فنقلوا لها العدد والآلات وركب ابو محمد البطال فى مركب لطيف واؤاؤ فى آخر وصافى فى آخر وضيغم فى الرابع وسملق فى الخامس ثم ساروا ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع أشرفوا على موضع يقال له الصباغ لأنه كان أسود فنظروا وإذا بالمراكب العشرة الذين هم من جزيرة أويس وكان المقدم عليهم بطال يقال أشمونين وكان شيطان مريد وجبار عنيد ليس فى الروم من يقدر أن يقاتله ولا يناصله وقد قيل أنه كان إذا ركب فى مركب واحد وخرج على عشر مراكب أخذها لانه فارس البحر وكان أوحد أهل زمانه ووحيد عصره وأوانه وكان معه الف رجل من المعودين بالقتال لانه كان لا يركب ظهر فرس أصلا وكذلك الذين كانوا معه أجمعين وانه لما رأى المراكب علم أن القوم مسلمين فأرخى اللبود ورفع الدوارق وقدم الكباشى فى مقدم المراكب واستضعف مركب ابو محمد (هذا) والرجال قد رفعوا أصواتهم بالصياح وكبروا وأجابوا سملق وضيغم معه الف بطل ما فيهم إلا من همهم ودمدم وإلى القتال تقدم وصار اشمونين المقدم على الروم وهو للقتال مهموم ووقع القتال واشتد النزال وبطل القيل والقال وحمل أشمونين على مركب أبو محمد البطال

وصدمه وهو مثل الجبل العظيم فهشم المركب والقدافة وكلب الكلاليب وطلعوا أخذوا القوم أخذاً بالكف ونظر ضيغم إلى أسر البطال فصعب عليه وكبر لديه ومال له وكذلك سملق وأما صافى فانهم لما تكاثروا عليه أخذوه بعد أن القوا عليه الكلاليب والنفط فى كل جانب وأحرقوا اللبابيد والطوارق وأخذوهم بالكف وكذلك مركب لؤلؤ ونظر ضيغم وسملق إلى ذلك فأيقنا بالموت وقاتلاهما ومن معهما قتال من طلب القوت وعملوا على ذهاب الارواح وتلاف الاشباح وجرى الدم وساح وتقطعت الهياكل بالصفاح وقاتلوا ذلك اليوم والثانى وقد دارت بهم المراكب من كل جانب وفى اليوم الثالث طلعت عليهم القلوع من جزيرة أريس وكانوا قد تأهبوا لمساعدة أشمونين ورأوا القتال يعمل فداروا بمركب المسلمين والقوا النفط على الموحدين وأحرقوا الستاير والطوارق وشابت من الهول المفارق وعمل الالتهاب فى الاجسام والثياب ونادى أشمونين برفيع صوته يامسلمين وحق الانجيل انا لكم من الناصحين ولو اردت اخذتكم وانتم فى عدد قليل ولكن اريد ان افادى بكم اسارى الروم من بلاد الاسلام فاستسلموا تسلموا وإلا تندموا فصاح أبو محمد ياضيغم استسلم ويا ولدى لا تلق بيدك إلى التهلكة ولعل الله تعالى يجعل لنا فرجا ومن هذا الضيق مخرجا فعندها استسلم ضيغم وسملق ومن معهم من الاصحاب والغلمان وثقلوا فى ارجلهم القيود الثقال وقد نفذ فيهم امر الملك المتعال وفرح الروم الفرح الشديد الذى ماعليه مزيد وسار الملعون اشمونين طالب القصر إلى ان وصلوا وامسى المساء وحندس الظلام وقبل الملعون اشمونين على الروم لقد انفتح لى باب انال به من المسلمين المراد فقالوا وماهو قال اعلموا ان القوم ماخرجوا فى المراكب الا انهم يتصرون علينا ويدخلون فى القصر الذى لنا وانا وحق المسيح افعل بهم الذى كانوا يريدون أن يفعلوه بنا ثم انه قصد إلى ابو محمد وقال يامسلم بحق النبى العربى اليس كنتم تريدون ان تفعلوا من الاسر كذا وكذا فقال ابو محمد بلى والله وتعجب من فصاحته وحذقه (قال الراوى) وقد ذكروا أن هذا الملعون كان فى الحرب بطل من الابطال وفى الحيل شاكل البطال وكان قد سكن بلاد الاسلام زمان وقرأ من الحكمة كتب كثيرة ومن الهندسة شيء كثير وكان يتكلم بسائر اللغات وانه عرى أبو محمد من أثوابه وصاح فى الروم ففعلوا امثل فعاله وقفز هو وثلثمائه رجل فى مركب آخر من مراكب المسلمين وأبو محمد قد تحير من فعله وجعل أشمونين يكبر ويهلل ويشاكل كلام البطال والليل قد أسبل على الانام سار بالمراكب إلى ان حصل كنيسة على مقدار خمسين قامة وجعل يتشهد

ويرفع صوته بالتهليل والتكبير (قال الراوى) وكان أهل القصر قد نظروا الى المراكب ففرحوا وايقنوا بالخلاص وكذلك الامير عبد الوهاب ظن فى نفسه ان القصر يكون غداة غد فى قبضته وأن أبو محمد يتقن الحيلة ولم يدرى ماجرى من الأحكام وان الامير سمع الصوت والتكبير فقال يوشك أبا محمد قد قارب البر لأمر يريد أن يوقفنا عليه ثم حرك جواده وتبعته الأميرة ذات الهمة والامير مالك بن طوق وطارق الحجازى وعمرو بن عبيد الله وتمام المائة فارس أجلاد المسلمين فنادى عبد الوهاب والبحر قد ارتفع بالهدير فى ظلام الليل يا أبا محمد فأجابه الملعون اشمونين لبيك أيها الامير قال ماشأنك قال اعلم أيها الامير انا قد نصرنا الله على الكفرة الملاعين وملكنا المراكب إلا مركب واحد ونخشى أن ينفر القوم علينا وقد قال القائل .

وما غلظت وغاب الاسد حتى بأنفسها تولت ماعناها

فلا تبعث رسولك فى مهم فما للنفس ناصحة سوها

(قال الراوى) وقد قيل فى المثل من لم ينظر فى العواقب ماالدهر له بصاحب وقد رايت من الرأى أن ترتموا لنا مائة رجل أجواد من فتاك الابطال يكونوا فى المراكب يحفظوها إذا دخلنا نحن القصر وقد انبرم الامر وبلغنا غاية المراد فقال الامير وقد توهم ان الملعون هو أبو محمد فقال يا أبا محمد أنا الاول و والدتى والامير مالك وبقية المائتين بطل فقال الملعون أشمونين وقد عرف أنه الامير عبد الوهاب وكان عارفا به لله درك أيها الامير الاجل فمالها سواك فعندها قرب المراكب من الساحل وقد أرمى حبال الاطراف إلى الامير وجذبوها الى قريب من البر وأقبل الامير على عمرو بن عبيد الله وقال له أيها الامير إننى عازم أن أسير مع أبو محمد فاذا سمعت أنت غدا ان شاء الله تعالى التكبير فازحف الى القصر ودعنا نفرغ من هؤلاء الملاعين ونملك سرير الملك منويل وننقل مافيه من الجواهر والمال الى بلاد الاسلام والله تعالى خليفتى عليك فقال الامير عمرو هذا هو الصواب لا أخلى الله المسلمين من هذه الطلعة السعيدة والاحوال الحميدة فجزاك الله خيرا وأوسعه شكرا وتجهز الامير فى الصعود الى المراكب وقد قربت من الميناء وقفز الامير عبد الوهاب وقد أخذ عدته وأسلمها لاشمونين وكذلك الاميره ذات الهمه ومالك بن طرق وتمام الرجال وتقدم الباقون لينقلون العدد الى الروم الى ان لم يبق مع أحد من القوم شىء من العدد وخرج عليهم أشمونين الى ان توسط المينا ودق الطبل وكانت اشاره بينه وبين المراكب فدقوا الطبول وداروا حول مركب الامير عبد الوهاب وأدخلوهم بالنفط فاندهش الامير ولم يبق

يدرى ما يصنع وعلم ان الحيلة تمت عليه فقال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم وتقدم الملعون الى المسلمين وقال لهم ياشيوخ العرب ويا حمالين الحطب قد أمكن المسيح منكم وأريد ان أفعل بكم ما أردتم تفعلون بنا وحق الرهبان والصلبان لان لم تستسلموا والا احرقتكم بالنار فعندها سلم الامير عبد الوهاب نفسه هو ومن معه للقضاء والقدر وأخذوا الامراء بالرضا وأخذوا الجميع عن يد واحده واخذوا باليد وقيدوا الامير عبد الوهاب ومن معه من الاصحاب وسمع أبو محمد الصياح فقال ذهب والله المسلمون ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ثم انه التفت الى لؤلؤ يريد ان يحدثه واذا بعبد الوهاب قد طلع اليه فى قيد حديد وبعده ذات الهمه وتمام الرجال فقال أبو محمد كيف تمت عليك هذه النكبة ووصلت اليك النصبه فقال يا أبا محمد اذا نزل القضاء عمى البصر والذى جرى علينا كله بسببك وذلك انك قلت تلبس لباس الرهبان وتسوق القوم الى الذل والهوان وأتانى هذا الملعون بكلام الهذيان الى ان أخذ ما كان معنا من السلاح وأرسلنا فى الذل والخبال ثم خاطبنى هذا الملعون بكلام حتى توهمت انه كلامك على التمام وجرت هذه الامور والاحكام فقال أبو محمد لا مفر من القضا فنسأل الله الرضا ولا شك ان نكون نحن عوض كل من فى القسطنطينيه فقال عبد الوهاب قد استخلفت على المسلمين عمرو بن عبيد الله (قال الراوى) ولما أصبح الصباح دق اشمونين النوبه فى المراكب ورفع الصلبان ودخل الميناء وفتح باب القصر ونزل اليه الخدام الذين للملك منويل وراء معه الامير عبد الوهاب وأبو محمد البطال فتعجبوا من ذلك غاية العجب وسألوه عن القصه فحدثهم بما جرى فطاشوا طربا وتمت أفراحهم عجبا وعلا صياحهم وطلعوا على الاسوار وأرموا المسلمين بالاحجار وطلع أشمونين مثل الجمل الهايج وقال يا كلاب العرب ويا حمالين الحطب لقد اخذ المسيح منكم بالنار وكشف عن عباده العار وحق المسيح لئن لم ترحلوا عن القسطنطينيه وتتركوا ما فى أيديكم لاقتلن كل من عندى من المسلمين

﴿ تم الجزء التاسع ويليه الجزء العاشر ﴾

سيرة الأميرة ذات الهمة

وولدها الأمير عبد الوهاب والأمير أبو محمد البطال

وعقبه شيخ الضلال وشومدرس المحتال

(أكبر تاريخ للعرب)

وخلفاء بنى أمية والخلفاء العباسيين

جمعت هذه السيرة أخبار العرب وحروبهم وأخبار ملك مصر

والشام وبغداد وغيرها من بلاد الإسلام وبلاد الأفرنج

وفيها من الفتوحات مايبهر العقول

تأليف

على بن موسى المقانى وابن بكر المازنى وصالح الجعفرى ويزيد بن عمار المزنى وعبد الله بن وهب اليمانى وعرف بن فهد الفزارى وسعد بن مالك التميمى وأحمد الشمشاطى وصابر المرعشى ونجد بن هشام العامرى

الجزء العاشر

يطلب من

مكتبة عبد الحميد أحمد حنفى

بشارع المشهد الحسينى رقم ١٨ : بمصر

مطبعة دار التعاون : ٣٠ ش المرقعصيه ١٠٤ وت بك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

(قال الراوى) فلما سمع الأمير عمرو بن عبيد الله ذلك الكلام ذهب إلى القصر بالنشاب ونصب السلالم إلى الأصوار وصاح ومن معه من السودان الأنجاب وبنى سليم وبنى كلاب فقاتلوا قتال عظيم وقتلوا من الخلق كثير ونظر أشمونين الى ذلك فغضب غضباً شديد وقال لأصحابه ائتونى بالمسلمين فعندها سحبوا الأمير عبد الوهاب وأبو محمد وضيغم وجماعة السودان وصعدوا الروم على شراريف القصر وأمر بضرب رقابهم فضربت رقاب أربعة من السودان فقال أبو محمد لا تعجل على ضرب رقابنا فتندم فان الملك يهمه أن يقع بواحد منا وربما يقع واحد من ملوك الروم فى الأسر فتكون له الفداء فقال أشمونين وحق المسيح لو وقع ملك الروم بكم لضرب رقابكم فقال أبو محمد يا ويلك قدمنى إلى رأس الصور حتى أتحدث مع القوم فقدمه إلى شراريف الصور فقال معاشر المسلمين اسمعوا ان الحرب سجال يوم لكم ويوم عليكم ونحن قد وقعنا فى ذلة الأسر ومتى ما تقدمتم الى القتال يكون سبب لهلاكنا وهلاك الأمير عبد الوهاب والآن تخلوا عن البلد ولا تأخذوا منها ذرة واحدة وإلا نهلك عن آخرنا فلما سمعوا بنى كلاب والسودان ذلك بكوا وقالوا يا أبا محمد ما نقبل إلا من الامير عبد الوهاب هذا الكلام فعندها قال عبد الوهاب يا معاشر المسلمين اعلموا أننا نحن قد أسرنا بالحيلة وقد حصلنا فى يد هؤلاء وهم كلاب ما لهم رأس يرجعون اليه ولا يخافون من الملك منويل فاتركوا

الغنائم واخرجوا إلى ظاهر البلد وان كسرت الروم فالرشيد يعمل على الخلاص وان كانت الأخرى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فعندها بكوا الناس وبكى الأمير عمرو بن عبيد الله وقال يعز علينا والله يا ركن الاسلام والمسلمين ان تنالك يد الزمان ونادت أم عمرو وا عمرو وا أميراه وا ركناه وا سنداه والله لا رجعنا عن مدينة القسطنطينية الا ان نأخذ لكم بالثار ونسمع الأخبار (قال الراوى) يا سادة يا كرام وخرج الناس من القسطنطونية ولم يأخذ أحد من المسلمين من مال الروم ما يساوى ذرة واحدة ولما رأى أشمونين ذلك فتح باب القصر وخرج إلى المدينة وغلق الأبواب ورجع إلى القصر وقعد وأمر بسكب الخمور واصلاح الزمور وأقبلوا على الفرح والسرور وأقبل مارس على أخيه دارس وقال له يا أخى والله لقد أشرنا على المسلمين بغير الصواب لأن هؤلاء أبطال الحرب وما لهم خبرة بقتال البحر والمثل يقول ان لكل موته سبب ونخشى أن نكون سبباً لقتل أركان المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ولابد من بذل المجهود فى خلاصهم وإذا لم نقدر على ذلك وإلا بذلنا المجهود فى القتال فى أهل الجحود ونكشف القناع ونقاتل أهل الابداع ونعيش فى بلاد الاسلام ونحن كرام ثم ان مارس وأخيه دارس دخلا على البطال فناداهم الأمير و محمد من الداخل علينا فى جنح الليل فقال مارس أنا وأخى يا أمير فقال أبو محمد عسى مشورة أخرى تشيرون بها علينا تضرب رقابنا قبل نصف الليل فقال الأمير عبد الوهاب يا أبا محمد دع عنك هذا الظن فما كان لهؤلاء القوم ذنب وانما أرادوا اصلاح المسلمين وقد قيل فى المعنى هذه الابيات

المرء ليس له علم بخيرته ... وليس ينجو من الأشيا بحذقته
يسعى لنفع ولا يدرى منافعه ... جهلا لأن عماه فى بصيرته

(قال الراوى) يا سادة يا كرام فقال مارس والله ما أردنا إلا المصلحة للمسلمين وأن يملكوا القصر الذى فى أيدى المشركين وكانت الأقدار بخلاف ما فى الضمير ولم نعلم ان هذا الملعون اشمونين فى البحر ولو علمنا انه فى البحر ما كنا أشرنا عليكم إلا بالصلاح فكيف أسرتم وأنتم الموحدين سيما وفيكم أسد الغاب مثل الأمير عبد الوهاب فقال الأمير عبد الوهاب يا أخى ما وقعنا إلا بالحيلة وقد خدعنا ونحن اليوم فى ذلة الاسر فقال مارس والله ما نعرف هذه الحيلة إلا من أبو محمد البطال فقال أبو محمد يا مارس أنت الذى أوقعتنا فى هذه النوبة وان لم تعمل على خلاصنا وإلا فبيننا وبينك ديان يوم الدين إذا تعلق الظالم بالمظلوم وحكم الحى القيوم فقال عبد الوهاب

ويحك يا أبا محمد خلى الماضى واعمل على المستقبل واعلم ان الله عز وجل لايحاسب إلا على النية ولا يجزى إلا على الطويه والرجل ما له ذنب فقال مارس وكيف العمل قال الأمير اعمل على فك القيود وسلم الينا العدة وتوكل على الله تعالى فقال مارس أيها الأمير أما العدة فهذه عدتنا نسلمها اليكم ونعمل على خلاصكم فقالوا وباقى أصحابنا قال فى بيوت من حول اشمونين فلا نقدر لهم على خلاص لانه لو رآنا أحد ندخل إلى البيوت ونخرج لكان يسوء بنا الظنون فقال أبو محمد وأين هو اشمونين فقال فى وسط القصر قال إيش يعمل قال يشرب الخمر فقال أبو محمد البطال فلا تفك القيود حتى أعرفك الذى تعمل فقال خلف أذنى خرقة فيها مثقالين من البنج فإذا وقعت فى البحر وشرب منه مائة ألف وقعوا لوقتهم فقال مارس أيها الأمير ان الملعون عنده باطيتين الواحدة له وللخواص والثانية لسائر الناس فقال صافى خلف أذنى خمس مثاقيل بنج لو وقع منها وزن درهم فى بطن فيل رقد من وقته وساعته عندها أخذ مارس من البنج وخرج من عند القوم وهم مستبشرين وسار إلى أن وصل إلى قدام الملعون اشمونين فلما رآهما فرح بهما ووقف لهما وحلف على مارس ودارس أن يجلسا معه على الشراب فقال مارس لا وحق المسيح لا وقفت إلا فى الخدمة وقال وأنت أيضاً حفظت القصر وبنات البطارقة فقال مارس وحق الانجيل وما فيه من التحريم والتحليل لولاك أنت لأصبحنا فى العذاب الوبيل فأعجبه مدح مارس له ووجد مارس فرصة فوضع البنج فى بواطى الشراب وكذلك أخيه دارس فلا وأبيك ما تهنوا سوى شىء يسير حتى وقعوا إلى الأرض مثل الأموات فعندها وثب مارس وأتى إلى الاسراء إلى ان وصل إلى القصر ففتحوه وأخرجوا الأسارى عن بكرة أبيهم وفكوا قيودهم وأتوا إلى خزانة السلاح فكسروها ولبسوا العدد وتكاملوا ثلاثة آلاف بطل مثل السباع الضاريات والأسود القاتلات وصاحوا الجميع الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر ومنحنا بالظفر على رغم أنف من نكر وضربنا رقاب من فجر هذا وقد وثب الأمير أبو محمد البطال مثل الأسد الديال إلى ان وصل إلى اشمونين فلما رآه كذلك أمر ان يطرح فى خزانة من بعض الخزاين ورسم أن يضربوه بالسوط إلى ان يصيح فرصدوه غلمان البطال الى ان أفاق من الصفع وصلبوه واعتمدوا على ضربه (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما عبد الوهاب فانه صاح وجرد حسامه المهند وضرب الرقاب وأرمى الاجساد

على التراب ووقعت الخذلة على من جحد وكفر وصاحت عليهم السودان فخيل لهم أن الارض قد انقلبت وقد أحاط بالقوم الرداور بحت السودان الانجاب على الروم الكلاب فان سواد الليل وافق أجسادهم وكان ذلك من أجل مرادهم فضربوا بصوارمهم من الاعداء جماجمهم وما أصبح الله بالصباح وأصبح السالم من الروم مثخون بالجراح وطلع على القوم عسكر العكس ولاح وطلب الامير عبد الوهاب أبو محمد البطال فلم يجده فضاق صدره وعيل صبره وإذا به قد أقبل على الامير وهو يضحك فقال الامير عبد الوهاب ماحالك يا أبا محمد فقال اعلم ايها الامير انى ما كنت إلا فى شغل اشمونين فانى ضربته الا ان صحى وهو يقول ماالمسيح إلا مسلم وهوالذى خلصكم وإلا ما كنتم تصلون إلى هذا وان الامير عبد الوهاب قام هو والامير أبو محمد البطال وساروا إلى البيت الذى فيه اشمونين واذا هو على حاله ميشومة وقد اخذه القيء وهو نازل على لحيته والدم سائل من سائر جسده وهو عبرة لمن يراه وفرحة لمن ينظره فضحك الامير عليه ورجع الى خزان المال والسلاح واخرج منها شيء كثير واخرج من الذهب والفضة والجوهر مال غزير الى ان وصل إلى خزاين منويل وخزائن توفيل وجده قسطين ومناجيل وكان مال جزيل واخذ من الجوار الابكار والنساء الاقمار والبنات الاحرار وبنات البطارقه الانوار والولدان والشباب الملكى حتى ان العرب ماعاد فيها فقير واما الاطلس والديباج والملكى والمدثر فى القسطنطونية وغير ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت (قال الراوى) يا سادة ففرح الامير عبد الوهاب بذلك وحمد الله تعالى اذ كان مملوك فعاد مالك وفتح باب القصر وخرج الى العوام فثارت اليه العوام يطلبون قتال الامير واصحابه فغضب وعند ذلك صاحت السودان وتواثبوا يطلبون قتال الروم مثل افراخ الجان كل واحد كانه مارد شيطان وصدموا العوام (يا سادة يا كرام) وهذا تفاوت كثير الا ان الروم ثبتوا ساعة وحمل الامير عبد الوهاب فاندقت العوام قدامه مثل الكلاب والذئاب قدام اسود الغاب وكثر فيهم القتل ووصل الامير إلى باب الذهب وقطع السلاسل والاقفال وحرق الباب وخرج راشد بن ضمرة وهو ينادى يال سليم يال كلاب فسمعه عمرو بن عبيد الله وكان فى الميدان الا حضر وأمه على الامير تتحسر وهو يقول والله لاخرجت حتى آخذ خبر الامير عبد الوهاب فهما فى مثل هذا الكلام واذا بالنداء قد علا والصياح قد نما فنادى الامير عمرو بن عبيد الله اكبر

الله أكبر فتح الله ونصر وأخذل من كفر وركب من وقته وساعته وقد تبعته بنى سليم وبنو كلاب ودخل البلد ووقع النهب فى أولاد النصرانية وتغيرت منهم النية ونادوا الروم فى ذلك اليوم بورك بورك يعنى الامان الامان واستسلموا للعرب والسودان ونهبت الناس تلك الأموال وأخذت الحريم والاطفال وسبوا حريم الملك منويل وقد جمعوا الاموال وحملوها على ظهور البغال من الخزاين والثياب والذخائر الغوال فكان شيء لا يحصيه إلا الملك المتعال والتقى الأمير عمرو ابن عبيد الله بالأمير عبد الوهاب واعتنقا اعتناق اللقا بعد الفراق والشقا وقال له الامير عمرو بن عبيد الله لاأخلى الله منك البيوت فشكره الامير عبد الوهاب على ذلك ورجع إلى أمه وقد تلقته الاميرة ذات الهمه ثم اعتنقا وبكيا مما جرى عليهما وصارت تدعى للأميرة ذات الهمة وتثنى عليها والاميرة ذات الهمة فرحانة بسلامتها وسلامة ولدها الامير عبد الوهاب . (قال الراوى) يا سادة يا كرام وقد نزل الامير عبد الوهاب على باب الذهب وقد نصبوا له سرادق الملك منويل والدهليز ونصبوا للأمير عمرو بن عبيد الله مثل ذلك وأتت اليه الاموال ودخل الامير أبو محمد البطال إلى كنيسه سوفيا فرأى ستور وقناديل معلقين فى الهياكل وعليهم مكتوب هذا ماعمل الا بأمر الشيخ التجيج وحجة المسيح القاضى عقبة بن مصعب السلمى عين المسيح فى بلاد المسلمين ورحمة على الروم أجمعين فعند ذلك نقلهم وفرح بهم وأطلع الأمير عبد الوهاب على ذلك فقال بهؤلاء ان شاء الله تعالى نهتك ستر الملعون عقبة (قال الراوى) هذا وقد أقام الامير عبد الوهاب عشرة أيام تنقل اليه الأموال وكان قد أمن عليها التجار وفرد عليهم الاموال وقد سلم أمرهم الى الامير أبو محمد البطال فأحضرهم وسلم الاكابر الى السودان الانجاب حتى يستخلصوا المال واستخرج من الأموال مالم يصل اليه أحد ولا يحصيه الا الله الفرد الصمد (قال الراوى) ورحل الأمير عبد الوهاب بالمال والنوال وهو حامد الله شاكرا لما أولاه الله الى أن وصل الى مرج الديباج وهو مفكر فى المسلمين وماهم فيه من الامر العظيم فقال له الامير أبو محمد البطال أيها الامير اشكر الله تعالى على هذه النعمة الضخمة فقد وصلت الى مالم يصل اليه أحد فى زمانه فعليك بالشكر حتى يعطيك الله مرادك فقال الأمير عبد الوهاب للأمير أبو محمد البطال أنا بحمد الله شاكر وفضله على متواتر وأنا قد عولت على الاقامة ههنا الى أن تصل الى الجواسيس من بلاد العراق واعمل على ذلك فقال الامير

عبد الوهاب ما عندك من الرأى فقال الامير أبو محمد الرأى عندى أنك ترحل الى ملطية وتنظر من ملكها من الروم ومن فيها من البطارقة فتعمل على أخذ البلد و نترك هذه الأموال وراء ظهورنا وننفذالى أرض الحجاز وملطيةوديار بنى سليم وتأتى العرب الينا من كل مكان ونهب ونخلع ونعطى الرجال والابطال فما يعود عسكر الروم إلا وأنت فى عسكر بعدد النجوم فلا يقدر عليك ولايصل اليك ويرجع اليك ويحمل لك الخراج ويستنقذ بناته وعياله بالأموال وتستغنى أنت والمسلمين غنىلافقر بعده فقالت ذات الهمة والله أن هذا هو الصواب وان لم يأتى الينا من العرب أحد أتينا من وراء كلب الروم ونصبحه صباح ميشوم فقال الأمير اذا كان الأمر على ماذكرت والحال على ماقد وصفت فان الرحيل فى غداة غد (قال الراوى) ثم أن الأمير قام هناك طول نهاره الى أن أمسى المساء وصلى صلاة العشاء الاخيرة وغفلت عيناه ونام فرأى فى منامه سيد المرسلين وخاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين وهو يقول يا سيف المجاهدين ابشر بالثواب من رب الارباب فقال له الأمير عبد الوهاب يا سيدى يا رسول الله مافى قلبى حسرة الا من هذا الملعون عقبه الذى اختار دين النصرانية على الشريعة المحمدية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم طب نفسا وقر عينا فقد قرب ما تباعد فإذا أنت أصبحت فخذ أصحابك وارحل بهم من موضعك الى وادى السنديان فانك ترى العجب فاستيقظ الامير عبد الوهاب من نومه باكيا من فرحته برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم البشير النذير وأعاد ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم على أبو محمد البطال وعلى الاميرة ذات الهمة ففرحت الاميرة بذلك لولدها وقالت الحمد لله يا ولدى على ذلك الفضل من الله ثم أن الأمير عبد الوهاب أمر الناس بالرحيل فرحلوا ولم يزلوا سائرين الى أن وصلوا الى وادى يسمى وادى السندبان فأمر الناس بالنزول فنزلوا فى ذلك المكان وبالقضاء والقدر نزل الامير تحت شجرة كبيرة ظليلة لها أغصان متفرقات عن بعضها البعض وكل غصن منها يظل الفارس والمائة فنام الامير عبد الوهاب تحتها وقد غرق فى نومة فسمع للشجرة أنين كانين الثكلى وهى تقول أيها الامير صدق الله ورسوله فاذا قمت من نومك قل لأصحابك يقطعونى وبهذا حكم الله تعالى فلا مرد لحكمه ولا دافع لقضائه ثم أنك تقطع أغصانى واحملنى من مكانى فعلى يكون صلب عقبه الملعون على باب الذهب بعد أن يقتل ثلثمائة ألف

على صلبه من سائر الامم فانتبه الامير عبد الوهاب من نومه وهو فزعان مرعوب وسمع أنين الشجرة فى يقظته كما سمعها فى نومه فلما سمع ذلك قال الله أكبر الله أكبر فقال الامير أبو محمد البطال ماالخبر فأعاد عليه القصة ففرح الامير أبو محمد البطال بذلك والاميرة ذات الهمة وقالوا والله هذا أحب الينا من فتح القسطنطينية لان مايجرى على المسلمين شيء أشد مما يجرى عليهم من عقبة فدونكم وقطع هذه الشجرة فقطعت ونجرت وأمر الامير أن تحمل على جمل شديد الى حصن الكوكب الى حين ينجز الله وعده ويستوفى عقبة أجله وأقام الامير هناك ينتظر قدوم ملك الروم ويشم أخبار الاسلام وما يكون من خبر الرشيد (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء (وأما ما كان) من أخبار ملك الروم فانه لما ملك الموصل واحتوى على أعمالها وقبض على عيالها ورفع الخزائن بأموالها وملكت الروم ملكا عظيما لأنها ديار ماطرقت قط ولم يزال ملك الروم سائر الى ان وصل الى ازيل واحدق بها كما يحدق السواد بالبياض (قال) وكان عليها امير يقال له هياج الكردى وهو فارس لايطاق وعلقم مر المذاق واسع الحيلة كثير اليقظة وان هياج الكردى كان بينه وبين ابو محمد البطال صداقة عظيمة من الصغر ثم وقع بينهما المشاحنة وعمل عليه الامير ابو محمد البطال واخذه وقد ضربه الضرب الوجيع ثم باعه نفسه بألف دينار ولما خلص هياج الكردى من البطال لم يزل ينصب له الاشراك حتى اخذ البطال بحيلة عجيبه وسرقه وحمله الى ارض الموصل وبلاد الهلاربة من الاكراد لأن الامير هياج الكردى كان مقيما بها وكان أكثر ايامه بأرض الثغور وله ديوان جيد على الرشيد بالله فلما سار الامير ابو محمد البطال معه فى البلد عند الاكراد جعل القيد فى رجليه وتركه يخض اللبن ويطحن له الشعير ثلاثة اشهر حتى اشترى نفسه بألف دينار وجارية من بنات الروم بعدمادرى به الامير عبدالوهاب وسأل هياج الكرى فيه فعند ذلك اطلق سبيله خوفا من الامير عبد الوهاب وزاد أمر هياج الكردى فى بلاد الاكراد حتى صار معه ألف بطل من الابطال الشداد ثم قطع الطريق وخان السبيل فأرسل اليه الخليفة الرشيد عسكر فكسره ولم يكن له يدالا ان يداريه فأرسل اليه المال والخلع واقطعه اربل وأعمالها فقويت شوكته وتضاعفت عشيرته حتى صار فى ثلاثة آلاف فارس ونزل عليه كلب الروم فى ذلك العسكر العظيم فعندها جمع هياج الكردى عساكره اليه وقال لهم ماذا عوائم فقالوا له أيها الامير إذا أردت أن تطاع فاسأل ما يستطاع وأنت تعلم أن هؤلاء خلق كثير

مايحصى لهم عدد ونحن بينهم كالعدم فقال أنا مايسعنى عنهم الإدبار ولا أنا ممن يختار الدنيا بدخول النار ولا بد لى أن ألقى روحى لهؤلاء القوم والتى نفسى عليهم فماذا تقولون فقالوا إذا كان لابد من ذلك فلنا أسوة بك (قال الراوى) لهذا الكلام (ياساده) فلما مضى الليل وأقبل النهار هنالك خرج الأمير هياج وصف عساكره وهم ثلاثه آلاف فنظر ملك الروم اليهم وصلب على وجهه وقال وحق المسيح والبيعة والمذبح ان هؤلاء ما يخافون الموت فقال البترك الكبير يا مولانا فكانك تعجب من هذا فقال أى وحق دينى فقال البترك إنى سمعت من أبى عن جدى أن نبى المسلمين كان فقيرا لامال له يتيم لاأب له فآمن ثلاثمائة وثلاثه عشر رجل ففتح بهم البلاد وأذل بهم العباد وهؤلاء القوم يفعلون مثل نبيهم فأمر بعض الملوك بقتالهم فلما سمع الملك ذلك قال يا أبونا اعلم انى على عجل من أمرى على بغداد ولا يمكننى المقام ههنا فى هذه البلاد ولا بد لى أن أحمل عليهم فى العساكر كلها وأطحنهم طحن الحصيد وأبلغ منهم ماأريد فقالت البطارقة صدقت أيها الملك فيما قلت ولكن حتى لا يطول مقامنا وتنقضى أشغالنا ثم ركب الملك وركبت العساكر على خيولها فى طلب مأمولها وأشار الملك الى الروم بالحملة فرفعت الروم أصواتها وتكلمت باختلاف لغاتها وأرخت الأعنة وقومت الأسنة وضربت بقنطارياتها وجردت مشرفياتها وملأت الجو بالبيارق والرايات وارتجت الدنيا وأظلمت الأقطار بجنباتها وهمهمت كانها وزمجرت الليوث بهدراتها ونفرت الوحوش من فلواتها والطيور من أوكارها وأكنافها وكذلك الأرض من جنباتها وحجب الغبار بين الأرض وسمواتها وحملت الأكراد على قلتها بشرف حماتها والأمير هياج فى عسكر الكفار حار لما اصطفت موجاتها فلم يجد سبيلا لكثرة الخيول التى سدت طرقاتها وصبروا المسلمين صبر الكرام على المقادير وبلياتها وثبتت فى مقام الحرب والطعان والمكافحة والضراب ورفعوا أصواتهم بالدعاء لعالم الأسرار وشكوا أمورهم الى الرحمن العلى الأعلى ما حل بهم من البليات فخرج الأمر من الرحيم جل جلاله يا ملائكتى انزلوا على معونة هذه الطائفة التى قد بذلت أنفسها فى طاعتى يطلبون الأمان من فزع يوم القيامة وروعاتها والدخول إلى طيب جناتها ومجاورة محمد خير الأنبياء وسيد ساداتها (قال الراوى) ياساده ياكرام ولم تزال الرجال تقتل والدم يبذل ونار الحرب تشعل على مثل هذه الصفة حتى أقبلت عساكر الليل وكتائب ظلماتها وولت جيوش الضياء فى غيوب مكاناتها وعادت الروم

إلى مضاربها وخيامها والملوك الى قبابها وسرادقاتها وقد رجعت الأكراد الى حصنها وهى فرحانة بنجاتها ورجع ملك الروم وقد أيس مما طلب ولم يبلغ من أخذ الحصن أرب وقد قتل من الاكراد سبعمائة رجل وقتل من الروم ستة آلاف بطل (قال الراوى) ولما رجعت المسلمين الى حصن اربل فعنــدها طلبوا الامير هياج الكردى فما وجدوه فأيقنوا بالهلاك من اجله وعولوا ان يطلبوا من الملك منويل فى غداة غد الأمان ويسلموا الحصن اليه ويذهبون بأهلهم ومالهم وعيالهم ويتركوه (قال الراوى) يا سادة ياكرام وكان من قضاء الله وقدره ان الامير هياج الكردى لما أن رأى الظلام قد حجز بين العسكرين ورجع كل منهم الى منازله من التعب وسوء المنقلب فترجل عن فرسه وجعل يدور بين القتلى حتى لقى بطريق قد قطعت رجليه وهو ملقى وله أنين وقد وطئته الخيل وهب عليه نسيم الليل وزاد به الويل فسلبه هياج الكردى ثيابه ولباسه وضربه بسيفه قضى عليه وعدل نحو عسكر الروم وقد حدث نفسه بأمر عظيم وقال لها يانفس اعلمى بان فى غداة غد تهتك الحرائر وتملك البلد وما يسلم منا أحد فهل لك أن تشترى الجنة وتطلبين من الله المنة وأنا قد هولت أن أفدى الكل بمهجتى وأزهد فى روحى وجثتى فإن ظفرت وسلمت فقد بلغت روحى مرادتى وان لم أسلم ادخل الجنة ببغيتى قال وهو أنى أتوصل الى السرادق الذى فيه ملك الروم لعلى أفوز بخلوة وأهجم عليه وأمكن خنجرى منه وبعد ما يهلك ما يبقى من عسكره ثبات ويرحلون فى غداة غد من هـذا المكان وان لم أصل فما أنا بأول من منع عن مراده (قال الراوى) ثم أن الامير هيــاج سار حتى اختلط بعساكر الروم وجعل يتخطى المضارب والسرادقات حتى وصل الى السرادق الاعظم فرآه رفيع العماد يسع خلق كثير وله ستة أبواب على كل باب منهما بواب لا يقدر أحد يدخل الا باذن الملك وقد نصب للملك سرير من الذهب والملك جالس عليه والبطارقة قيام بين يديه والملك يقول ما رأيت قط مثل ثبات هؤلاء القوم فى هـذا اليوم فقالت البطارقة أيها الملك اعلم ان الآجال مقدرة وان كانوا قد تحصنوا اليوم فما يتحصنوا فى غداة غد (قال الراوى) ياسادة ياكرام وأما الامير هياج الكردى فإنه طاف على الستة ابواب فلم يمكنوه من الدخول فعند ذلك أتى الى الباب السادس وهو محترق القلب ودمعه مستديق فالقى نفسه على الرجل البواب كأنه يخبره بشىء فقبض بيده على رقبته ثم كبس عليه فخرجت روحه فعند ذلك سلبه ثيابه ولبسها وسحبه برجله

حتى أبعده عن الموضع الذى كان فيه وقعد بنفسه على باب السرادق وقد ستر عليه الملك الرازق (قال الراوى) ياساده ياكرام صلوا على البدر التمام عليه من الله افضل الصلاة وأتم السلام قال فبينما هو كذلك واذا هو بجلبة عظيمة وقد اقبلت وتزايدت وعلت وطبول قد ضربت وشموع قد اشتعلت وقد أتت خلق كثير الى السرادق فعندها انكر الامير هياج الكردى وخاف على نفسه وقال معلوم اننى ما دخلت ههنا الا وقد بذلت نفسى لله تعالى ومن اراد عظيم خاطر بعظيم ثم انه قد صبر واذا هو بالقوم قد اقبلوا وهم محدقين بشخص منحنى ضعيف ومعه شخصان يفدون من حول ذلك الشيخ والناس أيضا يقبلون يديه ويرمون ارواحهم على يديه وقدميه حتى انهم وصلوا الى باب السرادق وقد حققت الحقائق ودخلوا هؤلاء الرجال وأعلموا الملك منويل بدخول ذلك الشيخ فوثب الملك بنفسه قائما على قدميه وخرج اليه مهرولا وجعل يضمه الى صدره وأخذه ودخل ويده فى يده (قال الراوى) فعندها ترك هياج الكردى الباب فى هذه الزحمة ودخل فى الجملة مع الناس ثم ان الملك منويل أجلس ذلك الشيخ بجانبه على السرير وهى منزلة عالية ما نالها أحد من ملوكهم ولا البترك الكبير أيضا قال فنظر الامير هياج الكردى فى ضوء الشمع الى وجهه واذا به اللعين عقبة لعنه الله وخزاه قال وكان الامير هياج الكردى عارفا به لانه كان اقام فى ملطية وكان يتعصب له فى مكايدته لابو محمد البطال واذا قال ابو محمد البطال انه نصرانى كان يكذبه الأمير هياج الكردى ويوبخه (قال) وكان يكاتب الخليفة يشكو اليه شر الأمير أبو محمد البطال وتعديه على الشيخ عقبة الملعون المفتون نسل الأنذال فلما ان رآه فى هذه النوبة وعرفه عظم عليه ثم ان الملك منويل قال له من قبل ان يسأله عن حاله وعن غيبته ائتونا ويلكم بالطعام فعندها أتوه الخدام بخنزير مشوى فأكل منه الملعون عقبة والذين معه وأتوا أيضاً بالخمر فشربوا جميعا ثم ان الملك منويل أقبل على الملعون عقبة وقال له اعلمنى الآن أيها الشيخ النجيح كيف كان القدوم وكيف كان طريقك وأى شىء قطعك عنا (قال الراوى) فعند ذلك ابتدأ يحدثه بما جرى له وما تم عليه ثم انه كشف له عن بدنه وجعل يورى الملك منويل الضرب الذى أكله من الأمير أبو محمد البطال بالسياط وجعل يبكى فقالت له البطارقة والملوك أيها الشيخ أنت مجاهد فى سبيل المسيح وقد أطعته بنفسك ومالك وسوف نأخذ بثارك ونخرب المساجد ونهدم الجوامع ولا يبقى على وجه الارض رجل محمدى (قال الراوى)

ثم حدثه الملك منويل بحديث فتح الموصن وسأل عن الأمير عبد الوهاب وأخبره بقصته وهروبه من جزيرة الصخر وكيف أسر بولص ابن الملك الدمروس ولوقا فلما سمع الملك الدمروس ذلك الكلام قام من بين يدين الملوك قائما وأتى إلى ولده وصار يوبخه وقد عظم عليه ذلك الأمر وقال له ألم أقل لك عليك بالحذر ثم انه جرد سيفه ليضربه فمنعه الملك منويل من ذلك وقد اشتغل قلبه جهة خلاص الأمير عبد الوهاب وقال وحق المسيح لابد أن يؤثر فى بلاد الروم أثر ويأتينا عنـــها أيشم خبر فقال له الملعون عقبة وماعسى أن يفعل والقلاع والحصون محفوظة (قال الراوى) فلما سمع الملك هذا الكلام شكا الى الملعون عقبة أيضا مايجده من الآلام وقال يا أبونا لقد لقينا هذا اليوم من هؤلاء الأكراد غاية الهم والعناد وماأقول انهم بقوا يباشرون الحرب لانهم اليوم قد قتل أكثرهم وبقى منهم القليل وأنا أخاف أن يطول مقامى فى هذا الحصن وأنا على عجل من أمر العراق لاننى قد أقسمت أنى لابد لى أن أضرب بالناقوس على قبة الرشيد بالله وليس ذلك على ببعيد وبعد ذلك أنفذ العساكر والدساكر الى أرض مكة وجعل كل من فيها هالك فلما أن سمع الملعون عقبة بذلك قال له أيها الملك طب نفسا وقر عينا فبعد أن وصلت أنا الى عندك لسوف أخرب ملك بنى العباس وأملك رقاب جميع الناس وتأخذ أيضا بتدبير أرض خراسان ومايبقى من أمة محمد إنسان ممن يعبد الملك الديان ثم بعد ذلك تكون بأرض بغداد وهى سرة البلاد وتجعل فيها سرير ملكك ولايبقى على وجه الارض ملك غيرك ولادين سوى دينك وتسير أيضا فى أمان واطمئنان وتسير الى مكة وتهدم البيت العتيق وتسير الى يثرب بألف بطريق وتخرب جدرانها حتى انهم يدخلوا فى الدين العتيق (قال الراوى) فلما سمع الملك منويل كلام الملعون عقبه قال أيها الشيخ اعلم ان قلبي مشغول بهؤلاء الاكراد الذين هم فى الحصن وأنا أخاف ان يطول مقامى عليهم وكل يوم يمضى على نفقة خمسين ألف دينار وأنا ان رحلت عنهم تنكر الهيبة ويقولوا الذى لم يقدر على حصن أربل وهو قليل الرجال فكيف يقدر على أخذ العراق من كثرة الخلائق الذين فيها فقال له الملعون عقبه فعلى ماذا عولت قال أنا أزحف عليهم فى غداة غد بروحى ويكون قدامى عشرة آلاف نقاب ومن خلفهم عشرة آلاف رامى فما أقول يقدر يقف قدامنا أحد فقال له الملعون عقبه انى أخاف ان يقتل رجال ويجندل أبطال ومايسوى بلد الاسلام بواحد من بلاد النصرانيه فقال له فما الرأى عندك فقال له طب نفسا وقر عينا أنا آخذ لك الحصن فى هذه الليله بلاسيف ولا نصاله

فقال له الملك منويل وكيف تعمل فقال له اعلم أيها الملك ان بيني وبين هذا الرجل المقدم على الاكراد صداقه قديمة لانه كان عندنا فى ملطيه وكان يتعصب لى فى كيد الامير أبو محمد البطال فعندها صلب الملك على وجهه عند ذكر الأمير أبو محمد البطال وقال لاتذكره يا قاضى عقبه فانه اذا ذكر حضر قال فضحك الملعون عقبه من قوله وقال له وحياتك أيها الملك لو بقى من عمرى يوم واحد لابد ان اشفى قلبك منه ومن الاسود الزنيم عبد الوهاب ومن أمه العاهره ذات الهمة فقال الملك منويل على سبيل المزاح فان لم تفعل يا قاضى فقال له وان لم أوف بما قلته والا حشرت مع محمد بن عبد الله ولاشكر لى أيضا المسيح فعلى فقال له الملك منويل حاشاك من هذا الكلام فانت المدخر للامور ولا سيما ان انت فعلت ذلك وفتحت القلعه فى هذه الليله فقال له الملعون عقبه مايصبح عليك الصباح الا وهى فى يدك لان صاحبها يعرف مالى من المنزله عند الرشيد وعند الناس وكان الأمير أبو محمد البطال اذا قال أنى نصرانى يعارضه فيما يقول ولايثبت عنده وكان أبد الدهر واقع بينهم المعاداه من أجلى فقال له الملك منويل فما الذى عولت عليه فقال له انتخب لى من العسكر قدر ألفين بطريق بالدروع الموانع وتخرج بالثياب الذى نهبت من الموصل وتفرق على الألفين بطريق فيلبسوها ولا يكر أيضا عليهما أحد وأنا أسير معهم حتى يقفوا بازاء الحصن ثم أناديهم وأعرفهم بنفسى وأخبرهم بشأنى وقدرى وانى قد وصلت اليهم بنجده من عند الخليفه الرشيد وهم ألفين بطل من أبطال المسلمين فاذا عرفونى ماتمالك عقولهم دون ان يفتحوا لنا الباب وادخل أنا والبطارقه فنملك الحصن بكل مافيه لكن على شرط أيها الملك أن تذبح الكل وأول ماتبتدى بالذبح لمقدمهم المسمى بهياج الكردى لان القوم ساعة ماتصبح فى حصنهم حنا ومريم والصليب فأيضا يعلمون ان هذه حيله منى عليهم وأنا لا آمن منهم على نفسى ولاسيما فى نفس هياج من أبو محمد البطال أمر عظيم وان لم يقتل صغيرهم وكبيرهم لا نأمن أن ينقل أحدا منهم الخبر انى نصرانى وانى اذا فعلت هذه الفعلة لا أعلم لمن يكون النصر والظافر وكان أيضا يفسد حالى عند جميع المسلمين ويصل الى طائفة النصرانيه فيحصل من ذلك مضرة عظيمة فقال له الملك نعم مارأيت أيها الشيخ النجيح وانى ان لم أقتلهم ماينستر ذلك الأمر لانى الى قتلهم أشوق من العطشان الى بارد الماء الزلال ولا نبلغ ذلك الا ان فتحت لنا ذلك الحصن قال عقبه هذا الحصن مايصبح الصباح الا وهو فى يدك لانى الليلة أسير اليه فى جميع

من البطارقه منهم فلان وفلان وجمل يعدهم كانهم كانوا مكتوبين فى قايمه وهو يقرأها لانه كان كثير الحفظ وكان يحفظ التوراه والانجيل والزبور والفرقان العظيم الا ان الله سبحانه وتعالى طرده عن بابه وما هو باكثر علم من ابليس اذجعله الله من المبعودين اللهم احفظ علينا الايمان ببركة محمد والقرآن يا حنان يا منان يا عظيم السلطان يا ديان يا ذا الجلال والاكرام يا ذا الفضل العظيم (قال الراوى) فقال الملك لاعدمت هذه الهمه وهذه الشفقه يا أبونا ثم ان عقبه قال على بالقماش الابيض لبس أهل السلام مثل العمائم وغيرهم من القباطى فألبس البطارقة القباطى الطوال وقلدهم بالسيوف الصقال وقام عقبه تعمم وعمل له طيلسان وتحزم وخرج فخرج الملك من السرادق يودعه وكذلك ملوك الروم خرجوا كلهم الى وداعه وأما هياج الكردى فانه قال الحمد لله الذى ألهمنى أن أجىء الى ههنا وجعلنى فرجا للمسلمين ثم انه خرج من بين السرادق كانه يقضى حاجة وركب جواد سابق وسار الى ان وصل الى الحصن فرمقوه الحراس ورموا عليه الاحجار فكلم بعضهم فعرفه وفتح له باب الحصن وعبر وقد كانوا أيسوا منه فلما دخل غلق الباب وأعلم هياج أكابر الاكراد وأعاد عليهم أمر عقبة فقالوا وكيف العمل فقال هياج الساعه يأتى شيخ الضلال الذى كنت أعادى من أجله أبو محمد البطال ولابد لى من قتله ثم انه ادعى بجبابرة الاكراد واختار منهم ألف وخمسمائة انسان وفرقهم فى دهاليز الحصن ودوكانه وجنباته وأوصاهم بالقبض على كل من دخل وصعد هياج وباقى الرجال إلى فوق الاسوار وإذا بالخيل فى ظلام الليل وقدامهم شيخ الضلالة ومعدن الكفر والجهالة شيخ الفجار وحطب النار القاضى عقبة بن مصعب المكار (قال الراوى) فلما رآى اليه هياج صاح عليه فجاوبه عقبة بن مصعب وقال له لا بأس عليك أيها الامير المجاهد والبطل الماجد ابشر بما يسرك فإن الواصل اليك الامير عبد الوهاب وترس قبر النبى الاواب وأنا قد أتيت ومعى هذه الخيل طائعة لانى قاضى الثغور وخطيب الحضور صاحب العلم البالغ الذى كأنه القمر الطالع سيد العلماء وفصيح الفصحاء والبلغاء عقبة بن مصعب صاحبك والمنتصب لى فى كل محفل (قال) فقال له هياج أهلا وسهلا ومرحبا والله انى كنت مشتاق اليك والى لقاك وأنا أسأل الله آناء الليل واطراف النهار ان يجمعنى أنا واياك فمن هؤلاء الذين معك فقال هؤلاء فرسان من بنى كلاب وأسود الغاب أصحاب الطعان والضراب وقد أتيتك بهذه الخيل حتى يعينوك على

الحصار وعند الصباح يأتى الأمير عبد الوهاب ويكبس خيام الكفار وأنت من أمامهم فقال هياج اذا افتح لك الحصن فقال عقبة والآن إيش الفائدة انزل حتى ندبر أمرنا قبل أن يرتفع الضباب فنزل هياج وهو يوصى أصحابه باليقظة ثم فتح الباب وقال ادخل أيها القاضى فدخل عقبة وهو يقول ان الله مع الصابرين فالتقاه هياج واعتنقه وعصر عليه كاد أن يخنقه وعقبة يقول فى سره لاوحق المسيح ان جعلت عوضا عن هذه الخصرة الا ضرب رقبتك ثم بعـــد السلام عليه دخل بين يديه حتى صار فى وسط الحصن هو ومن معه وأغلق باب الحصن فدنا هياج من الروم وقبض على واحد وشاله وجلد به الأرض أدخل بعضه فى بعض ورض عظمه رض وعكس طوله فى العرض وصاح خذوا هؤلاء الملاعين الكلاب فتصايحت الأكراد وحملوا على الروم كانهم قطع الغيوم فما كانت الا ساعة حتى قبضوا أيسرهم وقطعوا أكثرهم والذى قبضوا عليه قيدوه بالقيود الثقال وأقسم هياج لا بد من قتل عقبة الفاجر الجاحد ثم طلع من فوق الأسوار وقد طلعت غرة الصباح وقعد هياج على برج الباب وكان ملك الروم منويل قد ركب فى خواصه يطلب تسليم الحصن من عقبه كما وعده (قال الراوى) فعند ذلك يا كرام صاح هياج الكردى على أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بلااله الا الله محمد رسول الله ﷺ ثم أن هياج دنا من ملك الروم ونادى يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية لقد حدثتك نفسك يا كلب الروم بالمحال وعجزت فى أقل الأشغال أما تعلم أن الله ينصر المؤمنين على القوم الكافرين وأن حيلتكم ردت عليكم ورموهم من فوق بالأحجار الكبار والصغار وقتلوا من عندهم من الروم ورموهم برؤوسهم ورموا بالنبال فأصابوا بها مقاتل الرجال فقال ملك الروم على بالنقابين وكانوا عشرين ألف نقاب لو أحاطوا بجبل لنقبوه وأزالوه من مكانه فكيف الجدران وتقدموا النقابين الى الصور وقد حملوا الستاير والمنجنيقات وتقدمت الرماة من سائر الجهات ولما رأى هياج الى تلك البليات أقبل على الأكراد ومن عنده من الرجال وقال لهم ياقوم اعلموا ان الله وعد بالجنة المجاهدين والثواب للصابرين والأجر للعاملين ونحن قد قاتلنا بالأمس وأخذنا بالثار لانفسنا وما بقى إلا الموت والشهادة وقد عزمت على قتل هذا الكلب المرتد عقبة فأتونى به على أقبح صورة فعندها مضوا وأقبلوا بعقبة وفى رقبته حبل من الليف وعلى رأسه طرطور لان بعض الأكراد أعجبه الذى على رأس عقبة فاخذه من على رأسه ولبس لعقبة ذلك الطرطور (قال الراوى) فلما رآه

هياج قام اليه ولطمه على رأسه أول كف وثانى كف على وجهه فسال الدم من أنفه وفاه وأرمى له أربعة أضراس من أضراسه فايقن عقبة بحلول رمسه وخمد أنفاسه وقال هياج لعقبة ياويلك تكفر بعد الإيمان وتشك بعد الإيقان فقال عقبة اتق الله يا هياج فأنا ما فعلت ذلك إلا أن الروم عذبونى بأشد العذاب ففعلت من العقوبة هذه الأسباب (قال الراوى) فقال هياج ياكلب النصرانية أنا كنت واقف على رأسك وأكلت لحم الخنزير وشربت الخمر العصير وكفرت بالملك القدير فلما سمع عقبة ذلك الكلام تحقق أنه رآه ولا بقى ينطلى عليه قوله وشكواه فقال عقبة دعنى من هذا الاحتجاج واعلم انى أنا أخبر منك بالأديان ولو كان لى غرض مع علمى ومعرفتى لما اخترت غيره لى بدلا ولا أردت غيره لى طوية فقال هياج تكذب ياملعون وما الله إلا واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فوا أسفاه لو كان لى فى الحياة مطمع حتى كنت أحملك إلى الأمراء الأكابر وهم الأمير أبو محمد البطال والأمير عبد الوهاب ولكن لابد من قتلك فى هذا الوقت والحين (قال الراوى) فقال عقبه لا تفعل ياهياج تندم واعلم أنك ان سلمت من ملك الروم فما تسلم من الرشيد لأنك ماتنجو منه من أجلى ولامقامك عنده مثلى فقال هياج ياملعون وأين الرشيد لأنك ماتنجو بها منى أبدا وجرد الحسام وهزه إلى أن سطع ولمع وأراد أن يضرب عنقه فصاح عليه ملك الروم وكان قد فزع على عقبة وقال ان قتلت الشيخ النجيح ماتاتى النصرانيه بعده شيخ مليح وصاح فى الروم فترجلت فى الف الف وثمانمائة الف ورأى هياج إلى ذلك فأعرض عن قتل عقبة وعاد إلى القتال وأراد أن ينظر فلم يقدر من كثرة السهام والنبال وتقدمت النقابة فى أقل من ساعة علقوا أركان الحصن على الاخشاب ولطخوها بالنفط ومشاق الكتان المنقوعة فى الزيت والقطران ورموا فيها النار ففى دون ساعة طلع الدخان والنار إلى العنان فلطمت النسوان وبكوا الاطفال ونادوا المؤمنين الامان الامان اللهم أجرنا من النار وعذاب النار ومن كل عمل يقربنا إلى النار انك على ماتشاء قدير (قال الراوى) فلما رأى عقبة الى تلك الاعمال وصاح على هياج وقال له قدمنى الى رأس البرج حتى آخذ لك الامان من ملك الروم على العيال والاولاد والاموال فقدمه هياج فصاح عقبة اللعين على الملك فاقبل عليه فامر أن يعطى الامان على اموالهم والعيال فعند ذلك خاطب الملك إلى هياج وحلف له أربعين يمين وأعطاه الامان على الحريم والعيال والاموال وبعد ذلك نزل هياج من على الاصوار ومن معه من الاولاد

وأخذوا اموالهم وعيالهم وخرجوا من الحصن بعد أن أخذوا ماخف حمله وغلى ثمنه وسلموا عقبه الى منويل ففرح به وكان عند الروم أخير من الحصن وغيره وقدفتحوا لهياج ومن معه طريق واستقاموا على الطريق بالاموال والعيال هذا وعقبة أقبل على ملك الروم منويل بعد أن هدأت روحه وقال على ماذا عولت أيها الملك قال وماعسى أن افعل وقد حلفت وأزمت وأعطيتهم الامان والدنيا يا شيخ خوانه ومالها أمان والعواقب غير مأمونة وما عسى أن يقال عنى انى أزمت لقوم وخنتهم فى الامانة ولا بدلى أن أدرك القوم وأوفى لهم بالذمام والامان (قال الراوى) فقال عقبة يا شيخ أليس قد قيل اغدروا أعداء الصليب فإنهم ليس لهم عندنا أمان فقال البترك قم أيها القاضى الاجل ولم يقدر ان يكذبه ولايخالف له مقال فقال ملك الروم وأنا ماأدخل فى شىء من هذا واما أنتم علماء الدين افعلوا ماتشتهون فقال عقبة ياملك افعل ما شئت واجعله فى رقبة عقبة ثم أنه أخذ ملك الافرنج فى مائة الف فارس وسار يقتفى أثر هياج الكردى الى أن لحق به بين البورنج وأريل فالتفت هياج وراءه فرأى الغبار والقنطريات والسيوف المشرفيات فقال لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم (قال الراوى) ثم أقبل على بناته وأصحابه وقال أن الله عز وجل خالق العباد وابتلاهم ببعضهم بعض وكل ذلك أجرا للعاملين ويزيدفى ثواب المحسنين فقال تعالى وبشر الصابرين والدنيا فانية والآخره باقية فاياكم أن تغتروا بالدنيا واجعلوا الجنة امامكم (قال الراوى) فقالت زوجته الغيداء ياابن العم لابد لنا أن نقاتل حتى تطير منا الرؤس ونذل كل بطل همو س فقال هياج والله يعز على ان اراكم فى ايدى الاعداء ويلم بكم رداء ولكن لنا اسوة بمن مضى من المسلمين مالى حسرة الاان اموت وعقبة فى الدنيا ثم ان هياج الكردى رضى الله عنه تحسر وانشد يقول

وحق النبي الهاشمى محمد ومن خص بالآيات فى كل مشهد
يهون على قلبي انكسارى ولوعتى وضرب عدوى بالحسام المهند
ولا يهتك الاعدا بناتى ونسوتى ويبقوا اسارى فى يدى كل معتدى
وما كنت ادرى ان عقبة كافرا ظلوما ويلقانى بحسن تودد
عليه من الرحمن خزيا ولعنة ومن بعدها تأتى على كل ملحد
واما بناتى اسأل الله صونهم بمن يأتنا باقوم ذلك اليوم اوغد

(قال الراوى) فقالت زوجته الغيداء يا ابن العم طب نفسا وقر عينا فاننا لانطلب من بعدك الحياة وانت فى عداد الاموات ثم ان ابنته الكبرى انشدت تقول .

لقد اصبحت اطلالهم تشبه السما ولكنها مفجوعة بالكواكب
ابعد احبابى وامى ووالدى اروم حياة او انال مآربى
سأبذل روحى للرماح جمية واضرب اعدائى بحد القواضب
ولا انى اصبح مع الروم فى الاسى ولا امى فى حال يضر حبايبى

(قال الراوى) ياسادة ياكرام ثم انها لما تكاملت تلك الابيات بكت بكاء شديد فقالت امها لاحياة لى بعدك وانشدت تقول .

سلام علام الدنيا اذا كان سيدى قتيلا جديلا لا يحجب المنايا
لقد كان هياجا اذا هاج فى الوغا يبيد الاعادى بالحسام اليمانيا

(قال الراوى) ولما تكاملوا بنات هياج وزوجته حلوا وحملت الاكراد وطاب لهياج وبناته وزوجته الطعان والضراب فى طاعة رب الأرباب حتى علا عليهم الغبار وكان غبار بلا اطناب فلم يرى الابريق الحسام وطعن الرمح الهندام وتجريع الموت للذمام وداروا بهم الافرنج وانحطوا عليهم كانهم الغمام ففى دون ساعة ملكوا الاموال والبنات وشالوا الرجال على أسنة القنطاريات ووقع بالقوم الصياح والشتات ولم يبق إلا هياج وقد طار به الانزعاج وخاض فى الهياج وهو يضرب بحسامه فى اللئام وقتل من الروم جماعة وأعجب الروم فعاله وهو يهول ويجول ويأخذ المعمعة عرضا وطول وهو يريد أن ينظر أحدا من أولاده يودعه فلم ينظر أحدا فمات كمدا وتنفس صعدا فبينما هو فى حيرته وإذا قد كبا به الجواد فوقع الى الأرض ومن شرف نفسه قام قائما على قدميه ونظرت البنات إلى ماحل بوالدهم فصاحوا على بعضهم البعض دونكم وسيدكم وصاحبكم وترجلوا من حوله البنات وقاتلوا قتالا شديد ما عليه من مزيد حتى اسود النهار من كثرة الغبار وصار كالغسق وغاب الشفق وكثر القلق وزاد العرق وازور الحدق وصارت الأرواح كأنها عاق وإذا بصياح من وسط الروم قد زعق وكان الصائح القاضى عقبة بلاه الله بكل نكبة أو بنار من داخل الثقبة وهو يحث الروم على القتال فما كانت إلا ساعة حتى أخذوهم عن آخرهم قبضا بالكف والأموال والنساء والصبيان وعادوا راجعين والى ملك الروم طالبين وعقبة بينهم مختفيا والفيداء زوجة هياج باكية العين حزينة الفؤاد تنظر الى بناتها وزوجها يساقون فى جملة الأسارى فبكت وأنت واشتكت وأنشدت تقول :

أما يعلموا الجيرة الغادرونا بأن قلبي حزينا رهينا

وجار الزمان بنا بعـــدما جمعنا ليال ودهراً وحينا
وصاح الغراب بنا بعـدهم وسار الظعون بهم راحلينا
ولم يبق لى بعدهم مستقر وسرن شمالا بهم مع يمينا
فنوحى بنا يا حمام الأراك وزيدى العويل بهم والحنينا
عسى مخبرا يا حمام الاراك وان مر عارف بهم عرفينا
أجاب الحمام بصوت حنون وقلب حزين وأبدى الأنينا
وقال غدوا كلهم راحلين سكون اللحود وهم خامدينا
وان كنت تصبر على بعدهم والا فأنت من التابعينا

(قال الراوى) ولم يزالوا سائرين بهم الى ان دخلوا الى ملك الروم وقدموا هياج وبناته بين يديه فقال ملك الأفرنج يحدث على ما فعل هياج فى حق عقبه فقال هياج أنا ما فعلت فى هذا اللعين الا الصواب وكان مرادى ان أقتله وأما أنت فعلت فعل ماسبقك به أحد من الناس لانك آمنتنا وخنت ولكن سيمتك الغدر لانك من أهل الكفر والضلال فلم يلتفت الملك الى كلامه بل قال لعقبه أنظر برأيك فى هؤلاء فقال عقبه ان من الرأى عندى لا نبقى منهم لا صغير ولا كبير ونذبح الجميع ونذبح بعدهم هياج بعدما نهتك بناته قدامه لانى قد انكشف منى القناع بينهم ان بقى منهم أحد ما يكون لى مقام فى الثغور وان سفك دماءهم يكون قربانا عند المسيح فقال الملك دونك وما تريد فما نخالف لك قولا ولا نعصى لك أمرا فعند ذلك ذبح الاكراد الجميع الكبار والصغار وهم يشاهدون وينظرون الى بعضهم البعض وعقبه لا يرحم كبير لكبره ولا صغير لصغره حتى صارت الأرض كانها حلة أرجوان مما سال عليها من الادميه من الرجال والفرسان والاولاد والصبيان (قال الراوى) وكان عقبه أحضر هياج وزوجته وبناته وأمر بذبحهم فنظر ملك الروم الى وجوه كالاقمار فى ظلام الاعتكار فقال الملك أيها الشيخ النجيب بحق المسيح اترك هؤلاء البنات كلهم فما فى قصور الملك مثلهم فقال عقبه لابد من ذبحهم لئلا يتكلموا بحديثى ويفشون سرى فقال الملك وحق المسيح ما بقوا هؤلاء ينظرون بلاد الاسلام فقال عقبه نقتل هذا الكلب هياج الذى لطم راسى وأرمى أضراسى فقال الملك هذا اليك افعل به ماتريد (قال الراوى) ياساده فاراد عقبه ان يقول اقطعوا رأسه وأخمدوا أنفاسه واذا بضجة وقعت فى وسط العسكر فسال الملك عن الخبر فاخبروه أن الطلائع قد بانت من نحو بلاد الاسلام وأخبروه بانه

قد وصلت عساكر تسد الفضا وتملا المستوى وهم عرب حفاة عراه كانهم الرماح الطوال كبار الاجسام غلاظ الاقدام ومعهم خمسة آلاف أسود مثل سواد الليل اذا اعتكر وأظلم مثل سودان عبد الوهاب وعيونهم حمر مثل الجمر واذا نظر الانسان اليهم ياخذه القلق وعلى كل واحد منهم خلق وعلى رأسه عويه كانها طبق ومعهم ثلاثمائة ألف بدوى على خيول تسبق الرياح ويقدمهم شخص هائل المنظر مهول شجاعة بهلول وقد سمعنا من الجاسوس يقول انه مهدى الزمان وصاحب الوقت والاوان وهو يريد الخلافه ويقول أنا أحق بها من بنى العباس وان الرشيد قد وجهه اليك فان كانت له سلم اليه الخلافه وان كانت عليه اكتفى شره (قال الراوى) فقال منويل مانحن ممن يخاف من ثلاثمائة الف ونحن ضعافهم عشر مرات فارحلوا اليهم واقدموا عليهم فالبيد لمن بدر (قال الراوى) ياسادة ثم أمر بهياج الكردى أن يعقلوه بالحديد وقال إذا نصرنا المسيح فنحن نقتله وان أسر لنا أحد من الملوك نفادى به فلم يقدر عقبة ان يتكلم وسكت على مضض منه وقد امتلا قلبه غيظ وحنق حتى كادأن ينفلق لانه ماتمكن من قتل هياج (قال الراوى) هذا وملك الروم سار وهو قاصد إلى صوب العراق للقاء ذلك الخارجى وعقبة قدأخفى أمره وغير زيه وسار فى الخدمة فى المقدمة حتى عبر الجيش عن البوارنج وأشرف على أرض تعرف بالخيام ومن هناك لاحت لهم خيام الخارجى (قال الراوى) يا سادة وكان ذلك الخارجى كره المنظر كانه الجمل الهايج وصوته مثل الرعد القاصف تفزع منه الجن والابالس وتخاف منه الابطال وصناديد الرجال وكان لما وصلت اليه أخباره أرسل اليه الكتب والهدايا كما ذكرنا وكان برأى زبيدة بنت القاسم كما وصفنا وكان لما قرب من بغداد قامت الدنيا على قدم وساق وغلقت الاسواق ودربوا الدروب وحفروا الخنادق ودفنوا أهل بغداد أموالهم وخابت آمالهم ووجلت أهل البدو وازدحموا على الابواب وأشرفت الناس على النفاذ وقال الخليفة وا أسفاه على الامير عبد الوهاب فارس الجلاد ومن كان معه من الاصحاب حاميين الثغور وا أسفاه على زمان كنت فيه مسرور وكان الثغر معمور والعدو مقهور والدين منصور وعلم الخلافة على الخافقين منشور وسيف السلطنة على العدو مشهور فأصبح بعد عبد الوهاب الجيش مكسور وجيش الكفر مجبور وأقام الحرس من حول القصر وأقام الرشيد يتجرع الغصص نفس بعد نفس وإذا بثانى الجواسيس أقبل

الى بغداد وأخبر أن الخارجى بقى بينه وبين بغداد عشرة أيام وذكر الجاسوس انه قاصد إلى بغداد ويجعلها محل ملكه وتأتى البلاد بحكمه ومعه عرب وعجم وترك وديلم وسودان وشىء كثير من الفرسان فقال الرشيد فما أبقى الله نحس فى الدنيا إلا وساقه الينا وسلطه علينا ثم شال طرفه إلى السماء وتضرع إلى العلى الأعلى متوسلا إلى الله بحياة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم ثم قال فى عقب كلامه يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه (قال الراوى) هذا جرى للرشيد (وأما ماكان) من ملك الروم منويل فان عقبه قال له أيها الامير والملك النحرير انى أريد ان أتنكر وأكون برسم التدبير فانى قد قربت من العراق وأنا معروف فى سائر الآفاق فقال الملك الذى تفعله هو عين الصواب (قال الراوى) يا سادة ولما أن وقعت عين الملك على عسكر الخارجى استقلوهم واستضعفوهم وقال الملك وحق المسيح لو أمرت أحد الملوك لكفانا شرهم وكذلك العرب لما نظرت الى الروم وأجناسها وقد تظاهرت بأحسن لباسها فصاحوا على المقدم عليهم وهو الخارجى مياس ماانتظارك فى القتال (قال الراوى) وكان هذا مياس فارس شديد وبطلا صنديد فقال ياقوم دونكم والغنيمة المباح فانى قد أبحتكم هؤلاء الاقوام المذوقين وها أنا أقاتل قدامكم فأنا ما اشتهى إلا القتال فحملت العرب والديلم ومياس فى أوائلهم وحمل أبو الهزاهز قدام سودانه (قال الراوى) وكان هذا أبو الهزاهز مايقاتل إلا بالأشجار وكان اذا ضرب الفارس يخلطه فى بعضه البعض ويخلط فرسه معه فيعجن لحمه على عظمه والويل كل الويل لمن يقف قدامه وحملت القوم على القوم وتعلقت الخصوم بالخصوم وجردت السيوف القواطع وعاد الجبان هالع وكانت طوالع عسكر المشركين عشرة آلاف وكان طوالع مياس ثلاثة آلاف ومعها أبوا الهزاهز فجرى بينهم القتال الشديد والحرب الاكيد والروم قد صلبت على وجوهها لانها رأت أقوام حفاة عراة لايضجرون من القتال ولا يملون من النزال ومقصودهم مصادمة الأبطال وظهر من العرب على الروم الأهوال فأمر منويل أن يردفوا أصحابه بخمسة آلاف فصاح مياس على أصحابه وقال عينوا أصحابكم فحملت فرقة من العرب فردها أبو الهزاهز وقال وذمة العرب لا يأتينا أحد ثم أنه خلع من على جسده أطماره حتى بقى بالسروال وحمل على الروم كانه جمل من الجمال وهدر وزمجر وطار من عينيه الشرر وعلى أنيابه كسر وحمل على الروم حملات منكرات فعلمت الروم أنه فارس الملتقى

ولا يخشى من موت ولا شقا فتضاربوا القوم طول النهار بالمرهف البتار وتطاعنوا بالرماح الخطار ولم يزالوا كذلك حتى ذهبت الارواح من الاشباح وتفرقت الوحوش من كثرة الجيوش وزاد عليهم الأمر وقل الصبر فاردف منويل قومه بعشرة آلاف أخر ومياس أردف قومه بخمسة آلاف فالتقت العرب بالروم وكان طالعهم طالع مذموم وأما السودان الذين مع أبو الهزاهز فانهم وما تركوا جواد الاوعرقبوه ولا انسان على الأرض إلا طرحوه ولا رأس إلا وطيروه وأبو الهزاهز فى أوائلهم وفى يده سيف صقيل طويل عريض وكان ما يثبت قدامه إنسان وكان إذا ضرب بحسامه الصخرة قطعها نصفين وإذا ضرب بطل تركه شطارين فلما رأى ملك الروم أصحابه من تحت الغبار أشار إلى الروم جملا لحماة عن بكرة أبيهم وأمر للجنائب فجنبت وإلى الطبول فضربت وإلى البوقات فنعرت والسيوف جذبت والأبطال تأهبت والاعلام لشرت والعدد الجلية قد ظهرت والقسى أوترت ونار الحرب أشملت والبطارقة أخذت أهبتها والعمالقة أظهرت زينتها والانجار تأهبت لحماتها والبرغل افتخرت بشدتها والنفليط والأرمن والابلك والزغاورة والملاطية والبنادقة وحمات القوم لفرط سرعتها واعتمدت الأبطال على مضارب عدتها وتلقتهم الاعراب بحسن صنعتها وصاحت على خيولها فخرجت كأنها الرياح واظلم الجو من اشتباك الرماح بعد ما عدموا سلامتها وطحنت طاحون الحرب الأرواح فأضنتها وشربت الأسنة من دماء القلوب فأروتها هذه وابو الهزاهز كشر على أنيابه وأبهر الأبطال بطعانه وضرابه وهاج كما يهيج الجمل وصاح على القوم وحمل فما ابث قدامه بطريق إلا واعدمه السعادة والتوفيق (قال الراوى) وقد ذكر لى القائل الذى رأى وعاين وهو من الثقة الأخيار أصحاب الروايات والأخبار ان أبو الهزاهز هذا عبد أسود كأنه قطعة من حجر جلمد واسع ما بين المنكبين شديد الزندين كبيرالرأس واسع المنخرين غليظ الشفتين عميق سواد الجبهتين كأنه نحت من جلمود وطوله كأنه عامود وبه نال مياس ما اشتهاه ومما ذكروا الرواة الصادقين فى المقال انه ما خرج من أرض الحجاز أشجع ولا أقوى ولا أفرس ولا أصبر منه فى الحرب والقتال لأنه كان فى قدر الجمل وكان قد حل فى أرض الحجاز فى أربعة آلاف فارس وخرج منها سالم وأسر جماعة وقتل جماعة (قال الراوى) ونرجع إلى قتال الروم وقتال العرب الذين مع مياس الخارجى بانهم

قاتلوا إلى ان أمسى المساء وافترقوا الجيشين ولم أحد منهم يعرف أحسن الدهر عليه أم أساء وأضرمت النيران وتحارسوا الفريقان وكان أكثرهم حرس الروم لان أبو الهزاهز نكل بالابطال وأهلك الاقيال ولما عادوا إلى مضاربهم والخيام اجتمع مياس بأبو الهزاهز والمقدمين فقال أبو الهزاهز اسمع والحديث للجماعة باننا قد بلينا بعساكر كثيرة وجيوش غزيرة وأما أنا وان كنت مهدى الزمان وحاجب الوقت والاوان فما أنا إلا كواحد منكم ولا أريد أن أخرج عنكم وان رزقنا النصر وكسرت من قدامنا رجعنا إلى بغداد لان فيها مال يسد الفضاء ويملا المستوى ولكم فيها الغنا الاكبر إلى أبد الابد وأنا ما لى رغبة فى مال ولا نوال وما غرضى غير الخلافة فإن ملكت الخلافة أعطيتكم الاقطاعات واول ما أعطى لابو الهزاهز أعطيه ملطية وأعمالها التى كانت مع حاجب زبيده عبد الوهاب ولعمرى انه موصوف بالشجاعة والقوة والبراعة فقال أبو الهزاهز سوف ألقاه وألقا أمثاله فقال مياس ما أنت إلا صادق فى مقالك ولكن كل شىء فى وقته مليح ونحن الآن قدام الروم وهو عسكر كالبحر الزاخر وقد عولت فى غداة غد ان أقصد إلى ملك الروم ولو كان حوله عسكر بعدد النجوم ولا أرجع حتى أقطع أوداجه والحلقوم ويصبح عزه مهدوم وبعده تفرق عساكره وجيوشه ودساكره والجنود وتنهب أمواله وذخائره (قال الراوى) فهذا ما كان من مياس المذموم (وأما ما كان) من ملك الروم فإنه لما عاد من الحرب وموقف الطعن والضرب جلس على سرير من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وقوائمه من المرمر واجتمعت الملوك والخواص بين يديه وجعلوا يصفون ما لقوا اليه وقالوا كلما أهلك المسيح أسود أتانا غيره وحق المسيح انا كنا نلقا عبد الوهاب وسودانه فما هم مثل هؤلاء فقال الملك وحق المسيح لو ان هذا الاسود يدخل فى دينى ويضرب بالسيف قدامى لاقطعه بلاد ورستاق يصل اليه منها كل يوم ألف دينار وهى عموريا فلما سمعت الروم ذلك الكلام صلبت على وجوهها وصغرت عندها نفوسها فوثب من بين الجميع بطريق جبار يقال له قرياقس بن افلاطون بن مداس الافرنجى وكان يعد بالف فارس فى الميدان وكان تحت يده ثلثمائة ألف فارس وكان ولده قرياقس أكثر منه شر ولعنة ولما تكلم ووصف الملك منويل فى حق أبو الهزاهز ذلك الكلام وقال أنا أعطيه عمورية وهى أعظم اقليم فى بلاد الروم لان على ظاهرها ألف نهر تجرى وكل نهر على بساتين وهذه المدينة أهلها أحسن الناس وجوها فقال قرياقس أيها الملك هذا القول

الذى قلته استخفافا أو احتقارا بامرنا فلو أوعدت واحد منا بهذه العطية لأهلك هـذا الأسود فقال الملك وان فعلت أنعم بما تقول كانت عموريا لك على أبد الأبد وكان الملك فى نفسه ان كل من قتل فيه ربح زايد ويأتوا الناس على مثل ذلك الحال ومياس الخارجى طيب القلب بوعد أبو المزاهز ولم يزالوا إلى ان أصبح الصباح وتواثبوا الرجال لضرب الصفاح ونشرت الاعلام والرايات وأخذوا الملوك فى الاهتمام وشاب من هول ذلك رأس الغلام وركبت العرب على اعناقها وتقلدت بدرقاتها واعتقلت بدقاقها وأقبلت الروم بابراقها وعليهم الكسور المجلية من أصفر مثل شمس النهار وأسود كلون الاعتكار وذهبى لون الدينار وازرق لون السماء وقت الاسحار ولازوردى مذهل العقول والابصار وبنفسجى كانه لون المحب إذا عدم الاهـــل والديار وعلى صـدر كل واحد صـليب جوهر بياضه ساطع يأخذ بالبصر وقنطاريات مذهبه وعلى رؤسهما تيجان نورهما يخطف الابصار وأتت الخيل بعدد الجولان وأطلقوا أعنتها الفرسان والتفت الملك إلى قرقياس وكذلك مياس الخارجى إلى ابو المزاهز يطلبون منهم الوعد الذى كان فلم يظهر أحد منهم إلى الخروج إلى الميدان بل تنكست الخاطر والأذهان وعثرت الخيل من شدة الجولان وفتك أبو المزاهز بالفرسان والعرب فرحانة بما صنع من أهل الكفر والطغيان وقرقياس قال كيف الوصول إلى هذا الأسود القرنان (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذا بفارس قد اعتدل فى وسط المعمعة بعـد ماترك الرؤس مقطعة وهو ينادى أنا أبو المزاهز والبطل المناهز لايقعد عن قتالى إلا كل جبان عاجز فبينما هو كذلك وإذ هو بزعقة وقائل يقول دونك ياأسود وماذكرت ووقعت العين على العين وكان ذلك الفارس قرقياس وعليه عدة ماملك مثلها انسان وتحته حصان كانه من جن سليمان ثم حمل على ظهر حصانه وتكلم بكلمة كفره وطغيانه ونادى ياأكالين خبز الدره وياجماعين الجله اليوم أعدمكم جملكم الهايج وأسودكم المعالج لتعلموا أنى أنا الفارس المبارز والبطل المناجز وسوف أترك الأرض من أبطالكم فسيحة ولا أترك فيها من يقول أنا خليفة ثم مال بحملته إلى أبو المزاهز وعليه جبة من الصوف وثوب خام ضيق الاكمام وعلى رأسه بيضة من خشب وعليها عمامة قطن وهو راكب حافى الاقدام ومعه سيف غير مصقول ورمح بالعصب موصول إلا أنه تحته حجره دهما عالية شماء كانها الليلة المظلمة اسمها بين الخيول سلما أن طلب منها الجرى عرقت وان حبسها وقفت وان هزها طارت وعليها سرج من خشب مشدود بحبل من الليف وهو على ظهرها كانه طود أو بعير

حل من القيود وكذلك الحجرة كانها ثعبان لا تمل من الجولان ثم انهم امتشقوا السيفين ورموا من أيديهم الرمحين وتضاربوا بالمشرفين فصاروا كانهما كبشين تناطحا أو جبلين تشامخا أو بحرين تلاطما ثم أن أبو المزاهز طمع فيه قرقياس لقلة عدته وألقى نفسه عليه وضربه بكلتا يديه فبطل أبو المزاهز ضربته وعلم قرقياس أنه محترز لنفسه ثابت لمواقع المضارب فمال الرومى إلى الوهق وأبو المزاهز يدوى ما يعرف الوهق ايش فخاق الرومى وهقه فى الهوى فجعلوا الناس يصيحون على أبو المزاهز وهو لا يدرى ما يرى فلم يشعر إلا والوهق وقع فى رقبته وجذبه قرقياس وأراد أن يقتلعه من سرجه وإذا به كانه صخرة صماء وطلب أبو المزاهز أن يتخاص فلم يقدر لأن الوهق قد تمكن من عنقه ثم انهما تجاذبا فلم يقدر أحد منهما على صاحبه وشخصت لهما الأعيان ناظرة وبقت العقول من الناس حائرة وبينما الناس لهما متطلعة بالأحداق وإذا بصيحة من تحت العجاج فتأملوا الناس من الصائح وإذا به أبو المزاهز وذلك انه لما تعسر عليه الوهق فى عنقه فوقع من على ظهر حجرته صار على وجه الأرض ودخل تحت الجواد الذى تحت خصمه ومسك قوائمه بكلتا يديه صار على قفاه فطلب قرقياس أن يضربه بالسيف فلم يقدر لأن حبل الوهق مشدود فى وسطه ثم ان أبو المزاهز سار بالفارس والفرس قاصد إلى عسكر المسلمين (قال الراوى) فلما خبرنى من أثق به واعتمد عليه فى كلام الصدق أنه قال لى يا محمد عددت لأبو المزاهز خمسه وثمانون خطوة خطاها بالفارس والفرس وهما على اكتافه وهو سائر وقد زاد نشاطه وقوته ونظرت البطارقه إلى ما حل بملكهم فحملوا فى ثلثمائة ألف بطريق فارتجت لهم الدنيا وتبدل النور بالظلام وحملت العرب وفى أولها مياس وان الملك لما نظر إلى ذلك حمل فى سائر عسكره وأشار إلى البرغل والمغليط فحملوا هذا وعقبه إلى جانب العلم وهو متنكر غاية التنكر وكل ذلك من أجل قربه من بغداد لأنه كان كثير الحذر واليقظة هذا والدنيا قد قامت على ساق وعملت السيوف الرقاق والرماح الرشاق وملت الخيل من السباق إلى أن حميت الشمس واحدق الأحداق وقطعت الأيادى والأعناق وتمكنت الروم من العرب بالأوهاق وبليت العرب بما لا يطلق فهذا قتيل بسيف براق وهذا جديل برمح فراق وهذا طريح بضرب المزارق وهذا جريح بسهم رشاق (قال الراوى) لهذا الكلام صلوا على بدر التمام ونظر ملك الروم إلى صبر العرب وثباتهم فصاح على البطارقة وعلا الصياح من كل مكان وجانب وصاح مقدم العرب وقال مكنوا منهم القواضب لتفوزوا بالمنا والمطالب وتملكوا البنات الكواعب فقال له رجل

من العرب وكان قد قطعت يده وعدم صبره وجلده ونزل يريق الماء ذهب فرسه فقال له أما انك تقول انك المهدى فى هذا الزمان وخليفة العصر والأوان وكل شىء طلبته نلته فلم لا تأمر الأرض تنخسف بعبدة الصلبان وتلقى عليهم الذل والهوان وترد على يدى والحصان ليكون لك بذلك برهان وتكون المهدى على الحقيقة والبيان واذا لم تفعل ذلك فقولك كله زور ومحال وبهتان وافك وعدوان فلما سمع كلامه غضب غضبا شديدا ماعليه من مزيد وهجم على الرجل وصار يضربه ضربا غير قاتل فلما تيقن البدوى أنه هالك ولا له مجير ناداه أتركنى وأنت المهدى من غير أن ترد على حصانى ولا زندى فخلاه من بعد ماجرحه فى ثلاث مواضع غير قاتلات وخرج من المعمعة وعاد إلى الخيام وأضمر فى نفسه انه ان سلم وبرىء يقتل الخارجى ويسقيه كاس الحمام (قال الراوى) ولما طلبت الروم خلاص قرقياس من على أكتاف أبو الهزاهز صار راكلما ضربوه ضربة يلقاها به وقد تركه مثل الطارقة لملتقى السيوف فصار كلما آلمه الضرب يصيح ياويلكم خذوه قبضا بالكف وإلا قتلت أنا على هذا الحال فترجل اليه جماعة من البطارقة وبلى أبو الهزاهز بما لا يطيق وسواعده من حمل الفارس والفرس قد كلت ومناكبه انحلت وعزائمه انحطت ومنابع المنايا اليه تدلت وهجموا عليه الابطال ومدوا اليه عوامل الرماح فترجل من أجله مياس فى ألفين من السودان ولم يكن فى العرب أفرس من الخارجى مياس إلا انه كان عنده جنون فتارة يقول انه نبي وتاره يقول انه ولى ولم يزل الخارجى يقاتل حتى كشف الروم عن أبو الهزاهز ونظر أبو الهزاهز إلى السودان وقد داروا به من كل جانب ومكان فناداهم ياويلكم قد اندقت قامتى من هذا القرنان وأيضا من ذلك الحبل فخلصوه من الوهق الذى كان فى عنقه فلما عرف قرقياس أن الوهق خلص منه قفز صار على وجه الأرض وركب على بعض الخيل الشاردة وكان قد وجد الراحة وهو على أكتافه وكان الملعون فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق فطلبه السودان فصار فيهم يمين وشمال فارمى أبو الهزاهز الجراد من على أكتافه فوقع ميت من وقته وقصد إلى قرقياس والآخر قد قصد اليه وقال له ماالعجب فى حملك وإنما فى خلاصى من يدك بعدما كنت موثوق فى قبضتك فدونك الساعة والحرب وموقف الطعن والضرب (قال الراوى) وفى تلك الساعة وصل ابن قرقياس وكان اسمه حنا إلا انه فارس شجاع وقرم مناع وكان الملعون عارف بصنعة الدقاف سريع الانعطاف والانحراف فعطف على أبو الهزاهز يضربه على قوائمه فسطر عنها فعاجله الملعون بضربة فجاءت على هامته قطع الرفادة

مع عمامته والبطانة ونزل السيف إلى قته فجرحه جرح وثيق وأسال دمه على وجهه ولو لم تكن الضربة قصيرة لكان قضى عليه ونظر أبوا المزاهز إلى الدم وقد صبغ ثيابه فعظم عليه مصابه والأسد لايكسر حتى يجرح ويعقر فصار عينيه كالعلق وأرعد وأبرق وصاح وقال وكان فى الأرض من يقدر يجرحنى ثم هجم على قرقياس وضربه ضربة رجل غير عاجز بذلك السيف الخفيف والساعد اللطيف وقال خذها من أبو الهزاهز لأمر تعب ولاعاجز فوقعت الضربه على نافوخه نزل السيف يهوى إلى فخذيه وقطع السرج ونزل إلى ظهر الفرس شبرين فوقع الفارس وصار شطرين وعطف على الآخر وضربه قطعه نصفين وتركه قطعتين وكان قاربه ملك من الملوك وحمل على أبو الهزاهز فعطف عليه وأنكب عليه أخذه أسير وداره فى يده مثل العصفور ولوح به إلى عسكر الروم فوقع على ملك يقال له ملك قرطموس فاتا الاثنين وتهشمت عظامهما وخرجت أرواحهما وعجل الله بأرواحهما الى النار وبئس القرار فعندذلك حنقت الروم على ملوكها وصلبت على وجوههم وحملت على أبو الهزاهز ومالت عليه بكليتها وقد هاجت فهاج عليهم لما سالت دماه وتقلصت شفتاه وصار عبرة لمن يراه (قال) ولم يزل السيف يعمل والدم ينزل والرجال تقتل والسؤال لايقبل ونار الحرب تشعل حتى ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل وأمسا المساء وافترقوا عن ضرب البتار فلما استقربهم القرار فى وسط الخيام قال لهم الخارجى لقد بلينا بجيش كبير وعسكر غزير فقال أبو الهزاهز لولا أنى اشتغلت بهذا البطريق الملعون واشتغلت به عن غيره وإلا كنت عملت شىء فى خاطرى فقال له مياس وما هو قال فى غداة غد ترى العجب وقد عولت أن أحمل على الصليب الذى على رأس ملك الروم ولو كان عسكره بعدد النجوم لأنه متى وقع العلم ومال صاحبه للعطب لم يبق للروم باقية بعد ذلك ومالهم إلا الهرب ولا بد ماأرمى روحى على ملك الروم واصبحه صباح ميشوم ولاأرجع عنه حتى أقطع منه الودج والحلقوم ويصير بيت عزه مهدوم وتقل عساكره وتنهقر دساكره وتنهب أمواله وذخائره (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء (وأما ما كان) من ملك الروم فانه جلس على سريره وكان من الذهب مرصع بالدر والجوهر واجتمعت حوله البطارقة وملوك الافرنج والعمالقة والبطارقة وجعلوا يصفوا مالاقوا من الفرسان ولاسيما من أبو الهزاهز والسودان وقالوا أيها الملك وحق المسيح لو كنا لاقينا عبد الوهاب وسادات بنى كلاب وغيرهم كان أهون علينا من هؤلاء الحاضرين لاسيما هذا الأسود أبو

الهزاهز الشيطان فقال الملك وحق ديني لو أن في عسكري مثل هذا الأسود لأعطيته من البلاد مالم يقدر عليه أحد قال فلم نطق من الجماعة الحاضرين أحد بكلام لأنهم عرفوا حربه فقال عقبة أيها الملك وحق المسيح ما أرى هذا الأسود إلا قد فتت الأكباد وأشمت فينا الأعداء والحساد ولكن أن طول المسيح في عمري أورينك العجب من أمري وقد أضمرت لهم رأى خبير يزيد عندك في قدري وان أعمل شيء يتحدثوا به الناس جيل بعد جيل فقال الملك وماهو الرأي أيها القاضي قال انا في غداة غد أسلم اليك هذا الأسد بحيله عجيبه فقال له أيها الشيخ بحق المسيح وماهي الحيله فقال عقبه أريد أيها الملك تحضر لي النقابين في هذه الساعه فما أسرع كان بما حضروا بين يدي عقبه لا أعقبه الله خير وكانوا خلق كثير وغلمان العسكر جميعا فأمرهم أن يحفروا خندقا عميقا ويسقفوه بقصب البوص ويضعوا من فوقه التراب القليل وباقي التراب يخرجوه الى خلف الخيام ثم قال عقبة للملك اذا كان في غداة غد تأمر ان يبرز من عسكرنا عشرة فرسان شداد يطلبون البراز والجلاد والعرب طماعه ولاغرضهم الا البراز فاذ أشعلت بينهم نار الحرب تهج أصحابنا بين أيديهم هاربين فلا بد أن تتبعهم العرب طالبين ويكون في جملتهم الاسود الذي فتت الاكباد وأحل الاجساد ونكون قد عرفنا أصحابنا الطريق السالم فاذا لقوهم العرب على قوة حملتهم فيقعون في الخندق فنأخذوهم قبضا باليد فقال له الملك أيها الشيخ النجيح المسيح يطيل عمرك ثم قعد الملك على مرتبته وأمر النقابين أن يفعلوا ماأمر به القاضي عقبه فقالوا سمعا وطاعة أيها الملك لو أمرتنا أن ننقب من ههنا الى عسكرهم لفعلنا ثم أخرجوا المعاول والغلمان والاتباع من خلفهم يشيلون التراب (قال الراوي) يا ساده يا كرام فما قولكم ياساده في عشرة آلاف نقاب غير الاتباع وأرض لينه فما كانت الا ساعة من الليل حتى حفروا خندق يساع أهل الأرض وماتنصف الليل حتى حفروه وسقفوه وغطوه بالتراب وماتركوا في وسطه طريقه للذهاب فلما كان من الغد وأصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبوا على متون الخيل القداح واستقبلوا الطائفتين بالرماح وجردوا البيض الصفاح فارتجت الارض في طولها والعرض وجال بعضهم على بعض وتقدم أبو الهزاهز امام السودان وبرز الى ساحة الميدان ونادى يا أهل الكفر والطغيان دونكم ومبارزة أهل الايمان ثم انه حمل على الاقران وجال وصال وأنشد وقال هذه الابيات

الا يا كلاب الروم دونكم حربي ... سأسقيكم كاسا من الموت بالقضب
ودونكم الليث الذي ليس مثله ... شبيه ليوم الحرب في الشرق و الغرب
أنا الاسود المعروف في معرك الوغا ... اذا ما جبان القوم فر من الضرب

رضيت وبيت الله أن يبرزن لى ثلاثة آلاف الى ساحة الحرب
وان زدتموا ألفا فانى لجمعكم مبيد وانى طالب النصر من ربى

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فما تم كلامه حتى برز اليه الدمريوس على حصان أصفر حسن المنظر وكان الملك الدمريوس قد تزين بأحسن الزينه ثم نادى يا أسود يا حجام تكثر فى الكلام وتطيل النثر والنظام وأنت تطلب الفارس الهمام دونك الآن وضرب الحسام حتى ترى من أصدق فى الكلام وسوف أجعلك لوحش البر طعام ثم انه اراد ان يحمل عليه واذا بفارس قد ظهر من وسط عسكر الروم كانه البدر بين النجوم وتحته جواد كانه ظلوم وفى كفه صارم ذكر معتقل برمح أحمر وعليه درع مذهب ثم نادى يا عساكر المسلمين وأبطال الموحدين هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز ثم لعب برمحه فى الميدان وهز سيفه وأرعد وأزبد وأبرق وزعق وأطلق لرأس جواده العنان وصال وجال وورد الى الميدان فبرز اليه فارس من العرب شريف النسب مليح العينين نابت العارضين وعليه ثوب خام والفارس جانى الاقدام ثم نادى أيها الفارس الضال عن طريق الهدى ودين محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم دونك الحرب والقتال وهم بالحملة واذا بفارس من الروم قد برز كبير القدر عظيم الخطر على جواد أغر أشقر وطلب البراز وسأل الانجاز فخرج اليه فارس من السودان ولم يزالوا كذلك الى ان برز من هؤلاء مائه ومن هؤلاء مائه وهموا بالحملة على بعضهم البعض واذا بالبترك خرج وعلى رأسه تنور من الذهب الاحمر وهو لابس أحسن ملبوس وله هيبه وناموس وترجل بين يديه ألف ألف وثمانمائه ألف ولم يبق راكب غير الملك فعظم ذلك الامر فى عيون المسلمين وانه خرج بذلك التنور الذهب فأشغل قلوب العرب ومن فوق ذلك برنس اسود من صوف متقلد بسيف من صاعقة وتحته جواد كالليل شديد القوى والحيل ولما خرج بين الصفين نادى برفيع صوته يا أهل الملة الاسلامية والشريعة المحمدية اعلموا ان الجهاد فرض على كل انسان ولا بد لى أن أجاهد فلم يبرز لى إلى المقدم عليكم الذى يزعم انه المهدى الجديد ويزعم انه أحق بالخلافة من الرشيد فما استتم كلامه حتى برز اليه فارس تام الطول كأنه غول أو بهلول بساعد مفتول فتأملوه الناس وإذا به مياس ومن تحته جواد عالى مضمر يمانى وفى يده سيف صقيل فترجلت العرب اجلالا له كما فعلوا الروم بالبترك ثم انه صاح بالبترك وهو يقول له يا شيخ الضلالة ومعدن الجهالة ها

قد خرج اليك مهدى الزمان دونك ومقام الحرب لحمل البترك على مياس وحمل مياس عليه وكذلك المائة فارس من العرب حملت على الروم المائة وأشار الملك الدمروس إلى أبو المزاهز دونك والقتال والحرب والنزال وحمل بعضهما على بعض فتطاولت اليهما الأعناق وشخصت الاحداق وقام الحرب على ســـاق وبلغت الأرواح التراق وكان أول من انهزم البترك فطمع فيه مياس لأجل التنور الذهب وتبعه وجد وراءه فى الطلب وانهزم من بعده الدمروس فطلبه أبو المزاهز لأجل ماعليه من الزينة والملبوس وبعدهم البطارقة وتبعتهم العرب وقد ارتجت الأرض بزلزالها من شدة الركض الذى نالها حتى وصلوا إلى الخندق وقصدوا إلى طريق السلامه ولم يبق لهم طريق إلا على الخندق فما هم إلا ان سارت العرب والسودان عليه وداسوه حتى وقعوا جميعهم فى الخندق فلما رأت الروم ذلك صاحت عليهم بلغاتها وأيقنت العرب بشؤم فلاحها وحملت العربان تطلب خلاص ساداتها ورشقت بحرابها وصاح عليهم بومها وغرابها وتفطرت المرائر وأصبح الجبان حائر وبان الرابح من الخاسر ودارت على الناس الدوائر وأحاط بهم جيش الروم وأطبق وفرحوا الروم بوقوع المسلمين فى الخندق ولم يزالوا على تلك الصفة إلى وقت المساء ورجعت العرب إلى مواضعها وقد خسرت فى ذلك اليوم بضاعتها وأما الروم فإنهم أضرموا النيران حول الخندق وصاحوا على المسلمين ارموا ما فى أيديكم من العدة وإلا حرقناكم بالنار وأذقناكم لهيب الشرار وكان هذا كله تدبير عقبة رأس الفجار وحطب النار وعلموا القوم انهم ان لم يسلموا أنفسهم أحرقوهم بالنار فسلموا أنفسهم إلا أبو الهزاهز فإنه صاح احرقونى بالنار ولا أرمى عدتى وصارت الروم كل من أرمى عدته دلوا له حبل وشالوه وكتفوه ولا بقى إلا أبو الهزاهز قالوا له ارمى من يدك السلاح فلم يقدروا عليه بل قال احرقونى بالنار ولا أرمى عدتى فصاروا يرمون عليه بشرار النار وهو شديد الاصطبار فلما نظر الملك إلى فعاله وشرف نفسه وعلو همته وحسن صبره قال لهم خلوه بحق عليكم لا تحرقوه فإن مثل هذا لا يفرط فيه واحتالوا عليه عسى ان تنصروه واطلعوه واعطوه المال والذهب فقال عقبة انه ما يطلع إلا بما أقول لكم عليه فقالوا له قل ايها الرحمة الشاملة فقال تقدموا أصحابه وتقولوا له وحق المسيح ان لم ترمى ما فى يدك وتسلم نفسك وإلا رميناك برؤوس أصحابك بعد ان توعدوه بالأمان والمال (قال الراوى) ففعلوا ما أمرهم به عقبة

وقدموهم اليه فقال له مياس الخارجي يا أبا الهزاهز لا تقف فى موضع الغلبة وارحم من قدموهم إلى ضرب الرقبة فقال أبو الهزاهز لو كنت المهدى محقق لما وقعت فى هذا الخندق فقال دع عنك هذا الكلام وارمى عدتك والسلام وإلا مكنوا منا الحسام فلما سمع كلامه أرمى ما فى يده من العدة وتقدم إلى الطلوع ومسك الحبل وشالوه الرجال ولما خلص من شفير الخندق تقدم اليه واحد وأراد ان يكتفه فاعتدل اليه ولكمه لكمة طير بها قحفه لوقته وآخر طير راسه بكفه فنفرت الرجال من حواليه فنادى الملك يا ويلكم خذوه وكتفوه فهذا فعلكم وهو بلا عدة فكيف لو كان معه شيء من السلاح فتكاثروا عليه الرجال ولطموه بالدرق وأخذوه وبين يدين الملك أوقفوه وأتوا بالمال فأروه إياه ثم أتوا بالماء فغسلوا بدنه وأمر له الملك بثياب فاخرة فألبسوه إياها وأحضرت الخلع فخلع عليه وأتوا بالمال وقد أخرجوه من الصناديق فسكبوه عليه حتى انه وصل إلى صدره ووضعوا بين يديه خزانة من خزاين الملك منويل وقدموا اليه عشر جوار نهد أبكار كأنهن الأقمار وقال له الملك تمنى على أى بلد فى بلاد الروم أعطيك إياها على شرط ان تدخل فى ديننا وتقول بكلمتنا ثم تعقد على رأسك الرايات والأعلام والبنود وتركب لركوبك مائة ألف ويعطيهم الملك المال فقال أبو الهزاهز وما هى الكلمة التى تقولوا عليها قال تتبرأ من دين الاسلام وتترك دين الموحدين وتنزل فى جرن ماء المعمودية فقال لهم وإذا لم أفعل ذلك قالوا نأخذ الثياب التى عليك قال أنا أقول مهما قلتم قالوا ونحن نريد ذلك قل كذا وكذا فقال أبو الهزاهز ما قالوا ونحن وأنتم نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم تنصر ودخل فى دينهم وقال لهم لابد لى أفتكر رفيقى محمد فى كل شهر مرة وأقول لا إله الا الله محمد رسول الله فضحكوا من قوله وقالوا له يا ويلك لا ترجع تقول هذه الكلمة فإن محمد مايدخل فى ديننا فقال لهم لما ذكرتم عيسى ماحددت فعند ذكر محمد صلى الله عليه وسلم حددتم وأنا دخلت فى دينكم ولكن يكون معى رفيقا أفتقده فى كل شهر مرة أو مرتين وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فضحك الملك منويل حتى وقع على قفاه وقال لهم دعوه حتى يعود وينظر إلى عبادتكم ويدخل إلى كنائسكم فقالوا سمعا وطاعه وما نصنع بباقى المأسورين فقال عقبة احتفظوا عليهم إلى غداة غد تضرب رقابهم ونرمى برؤسهم إلى أصحابهم فقالوا هذا هو الصواب ثم جعلوا القيود فى أرجلهم وبعدها أمروا لأبو الهزاهز أن يجلس فجلس لأنه جاهل بالاديان فخافوا عليه أن يهرب وقدموا اليه أطيب

المأكول من الطعام ونظر إلى الأطعمة التى مارأى مثلها ولا أكل شكلها فأكل أكل زائد لأنه رجل بدوى وجاهل على كل حال وقد ألبسوه بعد الخشن من الصوف ألوان الحرير الناعم من الديباج المدثر وتاج من الذهب الأحمر ونظر إلى تلك الجوارى التى بين يديه لأن نساء الروم وبناتهم لا يحتجبون عن الرجال وتلك الجوار كانهن الاقمار فطار عقل أبو الهزاهز ومال اليهن وقال ماعلى من بأس إذا كنت نصرانيا فى النهار ومسلم فى الليل فيوم القيامة من كان معه الحق تبعته (قال الراوى) فلما أصبح الصباح ضربت الكاسات ونعرت البوقات ونشرت الرايات وركبوا الخيل العربيات واعتقلوا بالرماح السمهريات وانكسرت نفوس العرب لغيبة السادات وبربرت السودان كانها السباع الضاريات وهموا بالحملة لخلاص أمراءهم بالرماح الخطيات وانفكاك ساداتهم ذوى الرتب العاليات وإذا بالروم قد خرجوا وبين أيديهم المائة بطل المأسورين إلى بين الصفين وهم مقيدين مكتفين وضربوا رقابهم عن بكرة أبيهم وبعد ذلك خرج أبو الهزاهز ونادى أصحابه الأربعه آلاف اسود يا آل حام يا آل حام من رغب فيكم فى القماش المفتخر والأموال فليبادر إلى ويدخل فى دين النصرانية وإلا ضربته بالسيف اليمانى فلما رأت السودان أن أبوا الهزاهز على تلك الصفة مالوا بأسرهم اليه إلا باقى العرب فانهم قالوا لا كفر بعد ايمان ولا شك بعد ايقان مالنا دين الادين الاسلام ونجاهد فى دين الملك العلام ونموت كرام ولا نعيش لئام فحملوا الروم على العرب منهزمين طالبين بغداد وأما ملك الروم فانه خلع على السودان وأركبهم الخيل العربيات الذى كان أخذهم من الموصل وأعطى لكل واحد جارية كانها القمر فقال عقبه وحق المسيح مافى الاسلام أفرس من أبو الهزاهز ولكن نرجوا من المسيح أن يقتل لنا عبدالوهاب اسود بنى كلاب وأبو محمد اللعين الكذاب فقال الملك ببركتك أيها الشيخ النجيح ولكن ايش تقول فى رحيلنا الى بغداد فقال رحيلنا مبارك وصواب ثم انهم أحضروا امياس الخارجى وأعرض عليه التنصر فأبى وقال لا أكفر بمن خلق الأرض ودحاها وجعل الجبال أوتادا وجعل من فوقها سبعا شدادا (قال الراوى) ياساده ياكرام فلما سمع عقبة كلامه وكان كما ذكرنا الى جانب الملك وهو فى زى راهب فصاح اضربوا رقبته والا شوش قلوب أصحابه الذين تنصروا وردهم الى الاسلام فضربت رقبته فى سبيل الله وقال الملك ارحلوا بنا الى لقاء المسلمين فقال عقبة هذا هو الرأى ولكن احضروا هياج الكردى واضربوا رقبته حتى أكون قد أخذت بثارى منه وبردت بقتله غليل كبدى فقال الملك دونك وماتريد فأمروا باحضار هياج هنالك فمضوا الغلمان اليه فلم يجدوه فعادوا بالخيبة والنواح وقد رفعوا أصواتهم بالصياح فقال لهم الملك

ما وراءكم فقالوا رأينا القيود مفتحه والموكلين به مذبحة وهياج وبناته وامرأته مالهم خبر ولا جلية أثر فقالت الملوك نحن قد فرطنا فى أمره فقامت على الملك القيامة ورجع على نفسه بالملامة فقال عقبة أيها الملك قد رأيت ماسبق منه فى الحرب ومقام الطعن والضرب ولكن ماقبلت منى فقال الملك مضى مامضى ثم أن الملك رحل طالب بغداد (قال الراوى) وكان السبب فى خلاص هياج وذلك أن هياج كان له ابن أخ وكان مقيم فى جبل الكهاربة وكان متعود بخوض الليل وسل الخيل وكان كثير الاحتيال وكان لا يأوى فى الديار وانه كان قد بلغه صفة جواد فمضى اليه وأخذه وعاد إلى حصن أربل فوجد الديار بلاقع فسأل عن الامير هياج فأخبروه بالخبر فسار إلى عسكر الروم ودخل فى زى الأرمن وكان اسم ذلك الغلام الهجام فأتى إلى المضرب الذى فيه هياج فوجد عنده عشرة موكلين به فجعل يرصدهم إلى ان تنصف الليل وهجم عليهم سلطان المنام فعند ذلك انقض عليهم وذبحهم عن آخرهم ودخل على الأمير هياج فى قلب الخيمة التى هو فيها وعالج قيده حتى فكه من رجليه لاننا ذكرنا ان صنعته سل الخيول وفك القيود ولما فتح قيد هياج وثب إلى قيد زوجته الغيداء وبناته وأخذوا خيل الموكلين وركبوا واختلطوا بالعسكر لأنه مثل البحر الزاخر فتاهوا فى جنباته ولم يزالوا حتى خرجوا من ذلك العسكر وعرجوا عن الطريق ولم يسلكوا درب سالك وساروا فى السهول والاوعار يسيروا فى الليل ويكمنوا بالنهار إلى أن وصلوا إلى بغداد فى يوم وصول العسكر وقد نزلت عساكر الروم وضربت مضاربها وخيامها وأركزت أعلامها وعلقت صلبانها وصففت رجالها وعدلت أبطالها وطمع ملك الروم فى أخذ العراق وقامت الدنيا على قدم وساق وأقبلت عوام البلد وأخذت السلاح خوفا من الانفضاح وطاعة للملك الفتاح الذى انشأ الرياح وأسكن الأرواح فى الأشباح (قال الراوى) فبينما هم كذلك وإذاهم بخيول تركض فى صدر السريه وهم عشر فوارس إلا انهم مثل الأسود العوابس فلما قربوا من الخيام تأملهم ملك الروم وقال لمن حوله على بهؤلاء وامنعوهم عن المسلمين وأتونى بهم أجمعين فألفت الروم نحوهم الاعنه وقومت الأسنة وكانوا هؤلاء الفرسان العشرة هم هياج الكردى وزوجته وبناته وابن عمه لأن أولاده سبعه وزوجته وابن عمه فلما نظر هياج إلى من أقبل اليه مال عن الروم وقصد عسكر المسلمين وجيوش الموحدين فرجعت الروم عنه خائبين وعن ماأتوا اليه طالبين (قال الراوى) يا ساده ياكرام وكان النهار قد مضى بأنواره وأقبل الليل بدياجى اعتكاره فقال عقبة اللعين ائتونى

بالسودان فى عاجل الحال حضروا بين يديه فقال لهم اعلموا أن ملك الروم أحضر أربعة آلاف قارورة نفط طيار وأنتم أربعة آلاف والمقدم عليكم أبوا الهزاهز يعد برجال كثيرة فيأخذ كل واحد منكم قارورة وتخرجون عند المساء وتختفوا وراء عسكر المسلمين فاذا أصـــبح الصباح فاخرجوا من خلف عسكر الرشيد وتصيحوا بالتهليل والتكبير فاذا وصلتم إلى المضارب والخيام اضربوا بالنار التى معكم كل جانب ومكان فقال أبو الهزاهز ماأبصرك بالدواهى والبليات (قال الراوى) وأما ماكان من الرشيد فانه قال على بالخيل التى أقبلت فى آخر النهار فقيل ياأمير المؤمنين انه هياج الكردى فقال على به فأحضر بين يديه فقال له أهلا بك فقبل الارض وأعاد عليه كلما جرى عليه ولا فائده فى الاعادة وقال يا أمير المؤمنين أنت تعلم تعصبى لعقبة فى كل الاوقات وهو وحق محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم أمر الملك منويل بضرب رقبتى بعد ماجرى من أخذ الحصن ماجرى وغيره فلما سمع الرشيد تنفس صعدا وأبدا كمدا وقال لقد صح ماقال البطال وعبد الوهاب وبات الرشيد إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت الكتائب وارتجت من صهيل الخيل الارض وتبادرت الابطال وتناخت الاقيال والرشيد ضربت بوقاته وخفقت راياته ودقت كؤساته وماجت تلك الارض بالامم من وقوع الحافر والقدم وهم الامير هياج الكردى أن يفتح باب الحرب وإذا بالكتائب قدمالت والعساكر قدجالت فصعد الرشيد والبرامكة والفقهاء والعلماء على نشر عالى وأعلنوا بالدعاء للمسلمين فحانت من هياج التفاته فنظر إلى عقبة وهو تحت العلم الاخضر وهو إلى جانب ملك الروم فالتفت هياج الكردى إلى ابن عم له يقال هجام وقال له ماتنظر إلى هذا الشيخ الضال ومعدن الجهال وهو متنكر إلى جانب الملك والله لارمين روحى عليه ولا أرجع عنه ولو كان من حوله أهل الارض وآخذ للمسلمين بالثار لان فؤادى فيه لهيب النار لانه هتك الحريم وقتل الامم فقال هجام لابن عمه والله ماكنت بالذى أتخلى عنك ولا أطلب بعدك البقاء فسر بنا اليه عسى أن نأخذ روحه من بين جنبيه فجزاه خيرا وأوسعه شكرا وأرادوا أن يركضون نحو العلم وإذا بالصياح قد علا والصراخ قد نمى وقد امتلأت الارض بالقتلى وخيام المسلمين احترقت بالنار والعالم يشكى إلى الملك الجبار ويقولون يا ربنا أجرنا من النار ومن عذاب النار ومن كل عمل يقربنا إلى النار وكان ذلك من السودان المنتصرة وتناخت الجيشان وقاتلوا قتال من لايخاف إنسان وأوعد ملك الروم بحريق النار وصدقوا ومن خلف الخيام أطبقوا (قال الراوى) فرأيت الناس منهزمين

والرجال مندقين والفرسان مطروحين والنار قد عملت فى الخيام والمضارب ووقعت الشعلة بالاطراف وبربرت السودان وتناخت الجيشان وقاتلوا قتال من لا يخاف عواقب الزمان فلم يكن للمسلمين ثبات لأن الروم عملت بما فعلت السودان وقد رأته عيان فحملت بجملتها وصدموا الأبرار بكثرتها والسودان من خلف القوم نعرت بوقاتها وحملت بوقاحتها فرجعوا الناس مندقين وإلى نحو بغداد منهزمين وطالبين ورجع الرشيد وهو لايلوى على أحد ودخل البلد ووقع بالناس الأرجاف ودربت الدروب وعظمت الخطوب وبان من الرشيد الفزع وقد أيقن بالأخذ والناس كل منهم يودع صاحبه ودفنوا مايعز عليهم من الأموال وعظم عليهم ذلك الأمر والحال وباتوا المسلمين على ماهم عليه من الوجل وزحف ملك الروم إلى بغداد وزحف السودان بعدمانهبوا مابقى من خيامهم وأثقالهم وكانوا المسلمين قد انهزموا على ظهور الخيل فنهبوا الروم سائر مالهم وقماشهم وأثقالهم ونزل ملك الروم على جانب بغداد وأحاطوا بالبلد كما يحيط البياض بالسواد وزاد الأمر والقلق وتزايد من الرشيد الحرق وعند الصباح أراد ملك الروم أن يزحف إلى البلد وإذا بغبار من نحو ملطيه فأرسل من يكشف له الخبر فغابوا وعادوا بالبكاء والنحيب ومعهم ألف بطريق عليهم آثار السفر زائدين التعس محلقين الشعور ومخرقين الجيوب من على الصدور والملك يقول ياويلكم ما وراكم ومن بشره رماكم فقالوا أيها الملك أخذت البلاد وهلكت العباد وقتلت الرجال الاجواد وهدمت الصوامع وبنيت الجوامع وفتحت القسطنطونية نهارا جهارا وقبضت البطارقة باللحى فالعجل العجل الواحا الواحا فقد نهبت القناديل والستور وأخذ سرير مملكتك ووقع بالناس الذل والهلكة وما أخوفنا أيها الملك على أقاليم الروم ان تكون أخذت فقال لهم الملك والدنيا قد أسودت فى عينيه يا ويلكم ومن فعل هذه الفعال فقالوا له اسود بنى كلاب المسمى بعبد الوهاب فقلق الملك غاية القلق والتفت الى الملوك وقال لهم ماعندكم من الرأى فقالوا الرحيل من ساعتنا هذه فمابقى لنا مقام وعبد الوهاب فى بلادنا يسبى حريمنا ويقتل أولادنا وينهب أموالنا ويتحصن فى القسطنطونيه ويجعلها له دار ومقام وتشتفى منا العرب ويمضى كرسى الملك منك الذهب فلما سمع الملك منهم ذلك قال مابقى غير الرحيل ورحل منويل وهو لايلوى على أحد ولا يعقل على سند خوفا من الاعداء على الاهل والاولاد واخبروا الرشيد بذلك عن رحيل منويل فلم يعرف السبب ولا الموجب لذلك وبقى من ذلك متعجب وخرجت الناس تخطف من أطراف عسكر الروم فنهبوا القوم الطماعين

ورجعت الجواسيس إلى الرشيد يخبروا بأن البطارقة أتوا إلى منويل يخبروا أن عبد الوهاب قد عمل فى بلاد الروم كل عمل وبين كيف أخرب البلاد وكيف خلص الأسارى والسبي الذى أخذوه فأدار الرشيد وجهه إلى القبلة وسجد شكرا لله تعالى وقال والله ما سرنى فتح القسطنطونية مثل ما سرنى من سلامة عبد الوهاب وان كل من فى بغداد عتيق سيفه وطليق خوفه ثم أن الرشيد أدعى بالنجابة وأرسلهم يكشفون الخبر من ساعتهم (قال الراوى) هذا جرى ههنا وأما ما كان من الملك منويل فانه مازال إلى أن قطع أرض سجستان وأخبروه بان عبد الوهاب أخذ الأسارى وهو فى ملطيه بعدما قتل كل من فيها من الروم وعادت أحسن ما كانت وعمر ماخرب من الصور والدور وجد فى تخليص ملكك وأهلك من يده فلما سمع الملك ذلك أحضر الملوك وأخبرهم بالخبر وقال لهم ما أصيب إلا أنا وأهل القسطنطينية وقد عولت أن أنزل على ملطيه وأخلص منها أهلى ومالى من يد عبد الوهاب فلما سمعوا ذلك الكلام قالوا أيها الملك لو أضرمت لنا نارا لولجناها وأمرتنا أن نخوض البحار لخضناها وقالت أيضا كافة الملوك والبطارقة ونحن أيها الملك نخاف على بلادنا وأهالينا وأموالنا والتفت إلى أمير السودان أبو الهزاهز وأمير العرب المتنصرة وهو الديال وقال لهم المسيح قد فرج عنا غمه بخروج عبد الوهاب من بلادنا لأنه لو تحصن فى القسطنطونية لصعب علينا ذلك وان الجاسوس أخبرنى أن معه من السبايا بعدد التراب وقطر السحاب وقد عولت على النزول على ملطيه فما أنتم قائلون فقال أبو الهزاهز لاتحمل قلبك هم ولا غم فما كان معهم فما هو إلا عيرة مستردة ولابد أيها الملك من خراب ملطيه وهدجدرانها واخذ نسوانها وأقتل رجالها وأنهب أموالها وأسبى أطفالها وأقتل هذا الذى اسمه عبد الوهاب وأبو محمد اللص الكذاب الذى أخبرنى به عقبة قبل رواحه من عندنا وكان عقبة ملاقابه عليهم وأنا لابد الساعة ما أسير اليهم وأقدم عليهم وحق المسيح لا أرمى أحدا منكم بسهم ولا حجر حتى آخذ الأسود ومن معه من كبير وصغير فسر قلب الملك بذلك وقال له المسيح يطيل عمرك وكان عقبة لما انفصل من بغداد صبغ لحيته بعد الحمرة سوداء وطلب البصرة يعمل شىء يحله ويخلصه عند الرشيد لأنه علم لابد لهياج ما يتحدث عند الرشيد بما جرى وبما نظر (قال الراوى) ياسادة ياكرام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من كلب الروم فانه سار إلى ملطيه بجد السير ليلا ونهار وتقدمت الديادبة بين يديه وارتفع الغبار مثل الدخان وصعد نقع العساكر إلى العنان وانزعجت أهل ملطية وعلموا أن كلب الروم قد رجع خوفا على دياره والبلاد وارتجت القلوب من الفزع وبكوا الصبيان مما

قد حل بهم من الاسر والهلع وعلموا أن الروم عسكر مالهم به طاقة ولا لهم علم بأبو الهزاهز ولا من السودان الذين معه ولا من العرب المتنصرة الذين مع الديال وكان هذا الديال فارس لا يطاق علقم مر المذاق فعندها ركب الأمير عبدالوهاب والأميرة ذات الهمة والأمير أبو محمد البطال وعمرو بن عبيد الله وقد قال لهم اعلموا ان الأمر عظيم والخطب جسيم وهذا ملك الروم فى جميع الطوائف ومعه جمع كثير وهم عسكر جرار ليس له عدد ولا مقدار وأنتم تعلموا انه ما يتخلى عن زوجته ولا عن أولاده وعشيرته فإن رأيتم ان تصالحوه عليهم فافعلوا واعلموا ان النجدة ما تأتيكم من عند الرشيد لاننا سمعنا ان العساكر قد ملكت خراسان وهلكت جميع العساكر الذى فيها من قبله وأنا أعلم ان لو لم يعلم ملك الروم بخبر عبد الوهاب وما فعل فى بلاد الروم لما كان رجع عن بغداد حتى يأخذها فما أنتم قائلون فقال الأمير عبد الوهاب هذا الملعون فى جيوش بعدد النجوم لابد ان نقاتله ونتوكل على الحى القيوم فقال الأمير هذا هو الصواب فقالت الأميرة ذات الهمة أما أنا لو لم يكن فى البلد غيرى ووصل هذا الملعون لما خرج اليه غيرى ولاقعدت عن الجهاد وأطلب الثواب من الملك التواب فلما سمع الأمير كلامهم قال فأنا على هذا الأمر وخذوا أهبتكم للنزول فنادى الأمير عبد الوهاب يا خيل الله اركبوا وابشروا بالجنة واستبشروا وأعرض الناس فكانوا ستين ألف من بنى سليم الكاشفين الضيم وكانوا من القراء أتوا خدمة للأمير عمرو بن عبيد الله لانهم سمعوا انه قد قلت رجاله فأتوا اليه طاعة ورغبة فى الجهاد وطاعة رب الأرباب وأربعة آلاف أسود مع سملق وألفين مع ميمون الجاس وجاءت أربعين ألف من بنى كلاب أصحاب الطعان والضراب طاعة للأمير عبد الوهاب فلما نظر الأمير عبد الوهاب إلى ذلك قال وذمة العرب انى أقدر بإذن الله تعالى ألقى بهؤلاء العرب كل رومى وأفرنجى شرقا وغربا وكان الأمير إذا رأى أسود يفرح به وان كان رقيق يبالغ فى شراه أو حر يحرص أن يجعله من أصحابه . فتحت الخزائن وفرقت العدد والسلاح وارتجت الدنيا من كثرة الصياح وخرج عمرو فى بنى سليم شاكين فى السلاح متقلدين بالسيوف الصقال والرماح الطوال وكذلك الأميرة ذات الهمة فى بنى كلاب والأمير عبد الوهاب فى السودان الانجاب وهم يلعبون ويمرحون ويتفاخرون وكان بوقاتهم القرون والأمير يتعجب من فعلهم ويصلح بين رجالهم إلى أن أتوا إلى موضع الجولان والحرب والطعان ثم جعل الأمير عمرو يصف الرجال ويرتب الابطال من

بنى سليم يمين وشمال والأميرة ذات الهمة تصف بنى كلاب والأمير عبد الوهاب يصف السودان وأمر الرجال بالحرب والنزال ونظر ملك الروم إلى ذلك فأمر البطارقة أن ترفع الصليب الأكبر فرفع وركبت الروم من كل جانب وتدكدكت المشارق والمغارب وضربت السودان أبو الهزاهز بالقرون فى عسكر الروم ورفعوا رايات صفر وخضر وحمر من جميع الألوان قد طلعت , السيوف اشتهرت وأربعة آلاف أسود مثل النخيل الطوال أو كأنهم فحول الجمال وعليهم ثياب الديباج الملونة والصلبان على صدورهم والأمير أبو الهزاهز فى أوائلهم كأنه طور أو بعير حل من قيوده وفى يده رمح طويل الكعوب طوله أربعة وعشرون أنبوب وهو من رماح اليمن كثير الثمن إذا وضع فى عسكر كثير العدد ما يقدر على حمله أحد من الروم يقاتل به وهو راكب على جواد فى لون الغراب وأسرع من السحاب ثم قصد إلى ملك الروم وخدم وعظم وقال يا ملك سألتك بالمسيح لا تمكن أحداً من الروم يقاتل معنا وانظر إلى فعالى التى تعجز عنها البشر فسر الملك وفرح واستبشر وقال وحق الكنائس والصور والرب الأكبر ونحن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله لئن قتلت أسود بنى كلاب المسمى بعبد الوهاب لاصبن عليك المال صبا وأملكك الأرض شرقا وغربا فقال له طب نفسا وقر عينا ثم ان أبو الهزاهز عاد إلى مكان الحرب وموقف الطعن والضرب وجعل يصف السودان ويرتب الجيشان فى مقابلة الأمير عبد الوهاب وهو ما عنده خبر ولا يبالى بأهل الأرض من البشر (قال الراوى) يا سادة يا كرام وأما الديال أمير العرب المتنصرة فإنه صعب عليه لما قدم الملك أبو الهزاهز فتقدم الديال إلى ملك الروم وقال أيها الملك قد ظهر لك منا عجز حتى لا تبدأ بنا فى أمر من الأمور أو ما علمت ان ذكرنا فى جميع القبائل مشهور وحق المسيح لان انفرد أبو الهزاهز فى هذه الخدمة دوننا لأقطعن الزنار وأهج فى هذه الديار فلما سمع الملك ذلك الكلام أحسن اليه وخلع عليه وأمره أن يخرج من ألف فارس من المتنصرة وكان الديال من فرسان العرب المشهورة وشجعانهم المخبورة وقد هموا الفريقين على بعضهم بالحملة وإذا قد حمل من العرب المتنصرة فارس من الفرسان ثابت الأركان كأنه شيطان وكان ذلك الفارس الديال فحمل على عسكر بنى سليم فقتل فارس من خيارهم وحمل على بنى كلاب قتل فارس وحمل على السودان فصاحت عليه الأميرة ارجع يا كلب النصرانية وأخس من غمس فى جرن ماء المعمودية فرجع إلى وسط الميدان وصال وجال وطلب البراز والنزال

ورفع صوته وأنشد وقال

أنا ابن كماة المجد من آل عامر ... إذا صهلت خيل وزاد قتامها
أبيد الأعادى بالسيوف وأسمر ... وأثبت لما ان يفر جبانها
واحمى عن الدين القويم لانه ... عزيز على كل النصارى وزانها

(قال الراوى) فما استتم كلامه حتى برز اليه فارس من بنى سليم كاشف الضيم وأنشد وقال

الا أيها الذى قد بان كفره ... وأصبح ماهون كثير التماديا
تركت مقال الهاشمى محمد ... كفى بك يا ماهون بالله قاضيا
فدونك حربى واعلم اليوم انى ... ابيد الأعادى بالسيوف اليمانيا
ولا دين إلا للنبى محمد ... نبى الهدى ما زال للخلق هاديا

(قال الراوى) وحمل كل منهما على صاحبه واحترز من طعنه ومضاربه فاختلف بينهما ضربتان قاطعتان كان السابق بالطعنة الديال حتى إذا فاجأ الرمح فى صدره لفه وطعنه بعقبه فوقع المسلم إلى الأرض فانكب عليه أخذه أسير وسلمه إلى أصحابه وعاد الديال إلى الميدان طالب القتال والنزال فلم يخرج اليه أحد فحمل على بنو سليم قتل فارس وعلى بنى كلاب قتل فارس وأراد أن يحمل على السودان وإذا بالأميرة عارضته وصاحت على جوادها فخرج من تحتها كانه ريح سليمان ونظرت الروم الى ذات الهمة فصاحوا الى الديال ارجع فرجع اليهم وقال ما الخبر فقالوا أما تنظر الى الداهية الدهما والمصيبة العظمى أم الأسود الذميم فقال الديال سوف تنظرون مايجرى بينى وبينها (قال الراوى) وكان الديال فارس عظيم فتجاول هو والأميرة فى حومة الميدان واعتركا اعتراك شديد فرأى الديال من الأميرة ماحيره فخاف على نفسه من شجاعتها وفروسيتها وكان صاحب خديعة ومكر ولما قاربها زادت عليه الدرهم فنظار فرجع الى الخديعة والمكر وقال أيتها الأميرة أنا اقاتل فى طاعة الملك الغفور عمل كلامك فى قلبى وذكرتنى دينى الأول ولقد لعب المال بقلبى وعقلى والشيطان بمعاطفى بما حصل لى من الكرامة والمال والأنعام فكفرت بالرحمن ولو علمت أن الله يقبلنى ويعفو عنى لرجعت الى دين الاسلام لأنى ندمان على ما كان منى فقالت له الأميره ياهذا ان رجعت الى ربك عن قريب فانه هو التواب المجيب لقوله تعالى قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف فقال اعلمى أيتها الأميرة أن الذى ذكرتيه صحيح لاشك فيه ولكن فى الأمر شىء واحد قالت وماهو قال معى ألف فارس وملك الروم أنعم عليهم وأوصل اليهم مال كثير فاذا تركناهم وجئناكم فنكون قد أفقرنا أنفسنا لأننا

جئنامن بلاد بعيدة لأجل المكسب وإذا جئنا اليكم مايصل الينا فقالت له طب نفسا وقر عينا لكم مالنا وعليكم ماعلينا ولكم علينا البلاد والاقطاع والانعام وفى الآخرة الغفران وتجاور سيدنا محمد سيد ولد عدنان فقال أيتها الاميرة اعطنى يدك لكى توفينى بما قلتى حتى أرجع إلى أصحابى وأستميل قلوبهم فلما سمعت الاميرة ذلك فرحت فرحا شديدا وأغمدت سيفها وأغمد الآخر سيفه ودنا كل واحد منهما إلى صاحبه فعند ذلك اختطف الديال سيف الركاب أسرع من البرق البارق وضربها فى مفرق رأسها قطع البيضة والعمامه والرفادة والوطاه وشق رأسها ولولا كانت الضربة قصيرة لكانت قضى عليها فوقعت إلى الارض وانقض عليها وأراد أن يقضى عليها وكان الامير لما رأى ذلك ضرب بكعبيه إلى جانب الجواد وكان من الخيول الجياد مدخر ليوم الجهاد فقفز إلى نحو الاميرة فرأى الديال الى ذلك تأخر عن الاميرة من خوفه على نفسه وحملت السودان والعرب ورأى ملك الروم ماجرى وقالوا انها قتلت فاهتز على جواده مرحا وفرحا وقال شكرا للمسيح لقد مات ثلث الاسلام وبقى ثلثان وهو عبد الوهاب وأبو محمد البطال وأشار إلى الملوك بالحملة فحملت الروم عن بكرة أبيهم وخاضت الخيل فى الدما وارملت النسا وزاد البلا والألم وامتلأت الارض بالقتلا وعاد النهار مثل الظلام ولعبت أصوار ملطية من ركض الخيل وحمل الامير عمرو بن عبيد الله فى فرسان بنى سليم الكاشفين الكرب والضيم وقد بلغت الارواح التلاق واحمرت الأحداق وحامت العقبان بروم العيون والذئاب تروم قطع البطون والديال يصيح بالعرب المتنصرة وأبو الهزاهز صاح فى سودانه ويقول خذوا رأس هذه العاهرة ذات الهمة لأن الملك أوعدنا بوزنها ذهبا فقصدتها الابطال وتزاحمت عليها الافيال وصاروا عليها كراديس وكان السابق اليها الأمير عبدالوهاب وترسوقبر النبي الأواب هو وسودانه أقبلت بعده ونظروهم سودان أبو الهزاهز فاختلف بينهم الحرب وحملوا السودان على بعضهم البعض وزاد عند الاميرة الطعان والضرب ونادى بينهم المنادى وقطعت من الطائفتين الايادى وبريت المعاصم وقطعت الجماجم وجال الضجاج الحازم وترجل الأمير عن جواده يحامى عن والدته وهى مرمية تحت حوافر الخيل وصار يصيح على الخيل ترد على اعقابها وترمى من على ظورها من عظم صرخته وصار يضرب بحسامه عرضا وطولا فانكشف عنها الفرسان فانحنا عليها أخذها من على وجه الأرض فصارت على أكتافه وقبض عليها بيده اليسرى وحسامه فى يده اليمنى وصار كأنه ولهان وبقى كأنه شقيقة أرجوان بما صار عليه من دم والدته ودم الفرسان وإذا بصائح يقول خذ حذرك

أيها الأمير فالتفت الأمير أسرع من البرق وإذا هو بشخص مثل الفيل وله هدير وصهيل فصاح الأمير فى وجه الفارس الذى مقبل عليه صوت مهول يفلق الحجر ويملخ الشجر فمن ذلك الصرخة تقهقر الجواد الذى تحت الفارس وكان ذلك أبو الهزاهز فترجل من عليه أسرع من البرق الخاطف وكان ذلك الفارس ما يحتاج إلى جواد لأنه كان كأنه شجرة باسقة يحاذى الفارس وهو راكب على أعلا الخيل وكان ضيغم بن عبد الوهاب مشتغل فى القتال فلما سمع ذلك الصوت الذى صرخه أبوه نادى ياويلكم أدركوا الامير والسيد الخطير هذا وقد أحدقت بالامير الروم والعرب من كل جانب ومكان فظهرت العجائب وندبت النوادب وتخلت الاحباب عن الحبائب وحمل سماق وأبو الهول وجبر الملكى وجميع السودان وحملت السودان أبو الهزاهز وهو قدامهم وصار يكرس الابطال عرضا وطول ونطحت الفرسان العجول فلله در الامير عبد الوهاب فى ذلك النهار وصبره فى ذلك اليوم على القتال وهو يكر على الفرسان ووالدته على أكتافه وتزاحمت حواليه الرجال وتناحت الابطال مثل الامير ضيغم وبرد بن الازهر وراشد بن ضمرة وسعيد بن المفرج وفرسان بنى كلاب وأبطال السودان وكانت الكل رجاله لاخياله لاجل الامير والاميرة وأبوا الهزاهز هاجم عليه وجميع الفرسان حاطة عليه وكان فى يده درقة كأنها قارب صغير وهو منحنى تحتها على طول قامته وكبر جثته والزبد على أشداقه وازدحمت على الامير الامم وصار وجود القوم عدم ولم يزالوا على ماهم عليه إلى آخر النهار وخرج الامير والاميرة من الميدان ويده اليسرى ماتت وهى على أكتافه وازد بزاقه ورعاده والاميرة لاتعقل على نفسها ولاتدرى مايراد بها ودخلوا إلى ملطيه وطرحوا الاميرة وهى غايبه عن الوجود وأدعى الامير بالجرايحى فحضر وتقدم إلى الاميرة وقال أيها الامير لك البشرى فان الاميرة خافته النفس إلا ان فيها الروح ففرح الامير بذلك وقلب فى فمها مرق اللحم المصلوق والشراب بعد ما حشا جرحها بما يناسبه وقطبه فافاقت الاميرة وأحضر لها اللحم المصلوق فاكلت وقويت نفسها فكلمت من حضر عندها فكان أول ماقالت لا إله إلا الله محمد رسول الله لكل أجل كتاب اعلموا أننى والله مايسرنى تشقيق الثياب ولا البكا والانتحاب بل تحرمون بذلك الثواب واعلموا أن الآجال محتومة والارزاق مقسومة وبالله العظيم إن هذا الكلب المرتد ما وصل إلى إلا بالخديعة لما علم أنى قد استظهرت عليه وغرنى كلامه وقلت لعل أن يكون قريب العهد بالإسلام وحلاوة الإيمان ماخرجت عن قلبه فايش عندكم من أخباره فقالوا لها انه سالم وقتل من الناس خلق كثير حتى خلصنا كى ومن على وجه الارض شلنا كى

وحملنا من المسلمين ستمائة قتيل فقالت ياقوم عليكم بالصبر تنالوا الأجر ثم قالت هل قتل من الروم مثل ما قتل من المسلمين فقالوا لها أيتها الأميرة أضعافا مضاعفة فطاب قلبها (قال الراوى) هذا ما جرى لهؤلاء وأما ما كان من ملك الروم فانه أحضر الديال المتنصر وأخلع عليه الخلع السنية وأجازه جائزه هنيه وقال لو أعطيناك ملك القسطنطينية لكان فى حقك قليل لأنك أرحت النصرانية من الحية الرقطا واللبوة الشمطا ومن أتانا غد برأس ولدها عبد الوهاب فله على فى كل يوم ألف دينار وأقضى له فى كل يوم ثلاث حوائج فقال أبو الهزاهز أنا أسلمه اليك فبات الملك قرير العين إلى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح خرجت الروم بالصفاح وعيطت بالصياح واعتقلوا بالرماح وأظهروا الأفراح واعتقلوا بالنطاريات الملاح وقد فتحت أبواب ملطيه وخرجت الأعلام الإسلامية والريات المحمدية وخرج الامير عمرو بن عبيدالله فى جميع فرسان بنى سليم والامير عبدالوهاب فى السودان وبنى كلاب وأصبحت الاميرة فى عافية وقال لها الامير قبل خروجها يا أماه لا تخرجى فى هذا اليوم فقالت يا بنى ما أشتهى أن ألقى الله إلا من تحت حوافر الخيل وبالله أقسم لابد من خروجى إلى خصمى ثم خرجت مع من خرج كما ذكرنا واصطفت الصفوف واشتهرت السيوف وتعبت المياه والالوف وتدانت الحتوف والامير أبو الهزاهز راكب فى أوائل الناس وكذلك الديال وقد زادت منزلته وارتفعت عند الناس مرتبته والعرب من خلفه فحانت منه التفاتة فرأى الاميرة فشك فيها وحانت أيضا من الاميرة التفاتة فرأته فقالت لولدها يا بنى بالله لا تعارضنى فلا بد لى اليوم من خروجى إلى ذلك المرتد فقال لها يا أماه ما كنت بالذى أمنعك إلا على سبيل الاشفاق لانك قد جرى عليكى بالامس ماجرى فالساعة أنا أحمل عليه وأنا عوضك وآتيك به إن شئتى قتيل أو أسير فقالت يا ولدى أقسم بالله لابد لى من خصمى ولا يمكن أن أشفى قلبى بيد غيرى فهم فى الكلام وإذا بالديال برز على حصان أصفر عالى من الخيل مضمر وقال من عرفنى فقد اكتفى ومن لا يعرفنى فأبى خفا يا مسلمين ابرزوا للقتال وصاح ابن اسود بنى كلاب ابن الاسد الوثاب الامير عبد الوهاب دعوه يبرز إلى حومة الميدان حتى ارغم انفه والوح قحفه والحقه بأمه فهم الامير يخرج اليه فقالت الاميرة يا ولدى أناله ولامثاله ثم انها صاحت بجوادها خرج من تحتها كانه البرق الخاطف والسحاب الواكف فلما نظر اليها الديال على بعد فلم عرفها فلما قاربته عرف ركبتها وشمائلها ونظر إلى المصابة وهى على الجرح ومشدودة من تحت حنكها فجعل يمسح عينيه ويقول هى ام لا فصاحت به ويلك يالعين لقد طالت يدك ان تصل إلى لولا انك خدعتنى فقال لها اليس قال

ابيكم الحرب خدعة هذا وصفوف الروم قد ظهرت فلما نظروا إلى الاميرة قالوا ان ملك الموت ماله قدره ان يدنو اليها ونظر الديال وقد حملت عليه ومدت سنانها اليه فتطاعنا بالرمحين وشخصت نحوهما الطائفتين ولم تكن إلا ساعة حتى تقصف الرمحين وتكسرت السيفين وسمع بينهما حمحمة الاسود وصيحات يدوب منها الجلمود ورأى الملعون انه اشرف على العطب فناداها ياذات الهمة الغدر قبيح والانصاف مليح اليس المبارزة فارس لفارس قالت بلى قال ولما اقبل ولدك ومعه عشرة فرسان ولو أشرت إلى اصحابى ليأتى منهم عشرين فمن حرص الاميرة ان ينفلت منها التفتت على عجل تنظر من اتى فلم ترى احداً فعلمت انها خديعة فعادت سرعة اليه وكان عند انحرافها هجم عليها وقد ذكرنا ان السيفين تكسروا والرمحين تقصفوا فهجم عليها كانه برق بارق وارمى نفسه عليها وعلى كتفيها وجذب بيده البيضه عن راسها فأرمها واراد ان ينقلها من على جوادها ويمنعها من التفاوت اليه فدقت الاميرة بيدها على مرافقه كادت ان تكسرها وصاحت كانها الرعد القاصف واخرجت رجلها من الركاب ورفصت الجواد وقالت ياقوى يامتين وتعلقت به فخرج الجواد من تحته وبقى معلق فى يدها كالعصفور الباشق فى يد الكسور ولكزت جوادها فربها كالبرق وفى يدها إلى ان دخلت إلى العسكر فحملت العرب المتنصرة تريد خلاصه فلم يقدروا على ذلك وحمل عبد الوهاب فى بنى كلاب وعمرو فى بنى سليم وكذلك حملت الروم وحمل أبو الهزاهز فى السودان وحملوا جميع الطوائف وارتفع الصياح وضربت الرقاب وحارت الالباب واحاطت بهم الامور الصعاب ولم يلتفت الصاحب إلى الاصحاب وحام عليهم العقاب وشربوا من أمر شراب وظهرت الابطال الانجاب فبينما هم فى القتال والحرب والنزال وإذا قد برز شخص من السودان الاقيال عظيم المنظر على جواد أصفر وبيده صارم ذكر فجال وصال واجتمعت الاميرة بالامير وقالت له دعنى لك الفدا وأنا أبرز إلى ذلك الفارس المعجب بنفسه ففى محاورة الاميرة مع ولدها تسابقوا اليه ثلاث فوارس كأنهم عقبان وكانوا الثلاث ضيغم وسملق ومالك بن طوق فالتقاهم وكان السابق من الميمنة ضيغم وسملق من على اليسار وكان مع ذلك الفارس سيف عرضه شبرين وطوله باعين فضرب ضيغم على رأسه بذلك الحسام ورد الضربة على سملق فسقطوا الاثنين ولو كانت صفح لقضى عليهم واستقبل مالك وخلع رجله من ركابه ورفص فرس مالك فوقع الجواد ميت وعاد مالك يعدو من الميدان راجلا (قال الراوى) يا سادة ياكرام وكان هذا الفارس أبو الهزاهز وانفصل الجمعان وأصبح الله بالصباح وتصففوا للحرب والطعن

والضرب ونادى ملك الروم يا أبو الهزاهز أريد الوعد الذى قد وعدتنى به وهو قتل عبد الوهاب فقال أبو الهزاهز لقد وقع فى قلبكم من الأسود أمر عظيم وها أنا خارج اليه وهاجم عليه وبعد ذلك خرج على جواد يصلح للوقائع وفى يده حسام لامع واعتقل برمح من أعالى الرماح فأحضر الملك البترك والقساقسة والرهبان وصاروا يقسقسوا من حواليه فقال أبو الهزاهز إيش هذا الذى تفعلون فقالوا نحن نصلى عليك صلاة الموت فقال أبو الهزاهز ولم لا تصلوا على صلاة الأحياء أحب إلى فقال الملك أيها الأمير ان هذا الشيخ يعنى البترك يتلو عليك الانجيل حتى ينعقد عنك الحديد فقال أبو الهزاهز ان كان الأمر كذلك وهو يعقد عنى الحديد فإنى أريد أضربه بهذا السيف الذى فى يدى فإن عقد الحديد عن نفسه فهو يعقده عنى ثم انه أهوى بيده إلى السيف وهزه إلى ان برق ولمع وأراد ان يضرب البترك وإذا به ولى من قدامه وقال يا ويلك جرب فى غيرى فخرج ابو الهزاهز (قال الراوى) يا سادة يا كرام ثم انه سار بين الصفين وقال يامعاشر المسلمين أخرجوا الى أميركم وقائد جيوشكم الذى تصفوه بالليث المهاب الامير عبد الوهاب حتى أتركه معفر فى التراب وان أردتم أن يساعده منكم أحد أو ألف أوعشره فما ذلك عندى هائل ولو برزتم الى جميعا كان عندى ساهل ومن كان منكم ينكر لمواقفى يبرز لكى ينظر لمناصفى ثم انه أشار يقول

ألا فاخرجوا الى الهمام الغضنفرا ... لأتركه فى القاع ماقى معفرا
وينظر منى اليوم شيئاً يهوله ... وأتركه فى الترب وعظا لمن يرى
ولا أنثنى فى الحرب عنكم لو أنكم ... برزتم جميعا كان عندى أيسرا
ومن كان منكم منكرا لمواقفى ... فيبرز كيما ينظر اليوم قسورا

(قال الراوى) يا ساده يا كرام ولما فرغ من شعره صال وجال ونادى هل من مبارز هل من مناجز فلم يبرز اليه أحد فحمل على الميمنه ورجع الى الميسره مثل البرق وعاد الى وسط الميدان وقد قتل سبعة من الفرسان ثم عطف أسرع من تردد النفس على صاحب العلم الذى لأمير بنى سليم فقتله بعد ان صاح فى وجهه عمرو صيحة عظيمة فأدهشه وأخذ العلم من يد صاحبه ورجع فى وسط الميدان ثانيا فصاح عسكر المسلمين وجيش الموحدين وهم الامير عبد الوهاب ان يحمل عليه فتعلقت به الاميره ذات الهمه من شفقتها عليه وقالت يا ولدى روحى لك الفداء فلا يخرج اليه غيرى أبدا فقال هيهات ان يخرج اليه غيرى أبدا وذلك من أكبر العار ان أسمح بوالدتى وأشفق على مهجتى

وأيضا لايجوزان يطلبنى رجل الى القتال ويخرج اليه غيرى فلا يغرك ياأماه زجرته وصولته فلو كان هو ومن معه من السودان لطاب على قلبي ان ابرز اليهم فقالت الاميره هذا أمر لايتم أبدا وان كان ولابد نتقارع انا وانت فتقارع هو وامه ثلاث والقرعه تقع على الأمير عبد الوهاب فلما حققت الاميره ذلك قالت الآن اخرج على بركة الله فلقد جهدت ان اكون لك الفداء فأبى الله ذلك ولا يكون الا ماأراده الله فخرج الأمير عبد الوهاب على جواد كالسحاب مكتمل بالعده والمقرؤن يقرؤن بين يديه اقبل ولا تخف انك من الآمنين ولم يزل الى ان وصل الى ابو الهزاهز وصاح به دونك يا لعين وما طابت فها انا قد خرجت اليك وأنشد يقول

أيا أرذل السودان دونك اسود ... يبيد الاعادى بالسيوف الصوارم
أنا ترس قبر الهاشمى محمد ... نبى الهدى فاق الورى والعوالم
ستعلم انى لا أبالى بجمعكم ... ومثلى لايخشى الوغا من ضراغم
وما أنت الا مثل أضعف حرمة ... يروح اليها بعلها بالغنائم
فدونك منى ضربة لا يردها ... دروع ولا زالت تبرى الغلاصم
أما سمعت أذناك انى همامها ... اذا عثرت خيل الوغا بالجماجم
أنا قاتل الاهلين فى الله عنوة ... قتلت بسيفى حارث ثم ظالم
وما أخذتنى رحمة عند قتلهم ... لتركهم الدين الذى هو قائم
فدونك حربى سوف تاتى منية ... معجلة من كف اسود ساجم
وما طلبت نفسى على الدين رشوة ... ولا نابنى فى الله لومة لائم

(قال الراوى) لهذا الكلام فلما سمع أبو الهزاهز ذلك الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وحمل عليه مثل الاسد وقال له يا أسود يا حجام لمثلى أنا يقال هذا المقال وسوف ترى عقب هذا الكلام وأجابه على عروض شعره يقول

الا يا ابن مرزوق لقد قلت منكرا ... وما أنت عندى من شداد العزائم
وبل أنت عندى مثل أضعف حرمة ... يروح اليها بعلها بالغنائم
تفاخرنى لما قتلت لظالم ... وما الفخر عندى ويلاك قتل لظالم
أرى لك ذكرا فى المحافل طالعا ... وما أنت الا من لئام العوالم
فدونك وما قد قلت ليس بمانع ... وان شئت ان تلقى سنانى وصارمى

وما أنت الا عاجز عن كفاحنا ... ولا تلتقي يوما لضرب الصوارم
ومثلك لايرجى لدفع ملمة ... ولا يرتجى يوما اذا جار ظالم

(قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع الأمير ذلك الكلام عظم عليه وكبر لديه وأجابه وأنشد يقول

أيا عبد سوء قد تجاوز حده ... وأمسى وأضحى كالعدو المياشم
ستعلم انى فارس أى فارس ... وانى أنا المذكور عند المواسم
وانى لكشاف الكروب اذا بدت ... خيول الاعادى عند رمى العظائم
فوالله يا عبد اللئام ونسلهم ... ستعلم انى من سلال الاكارم

(قال الراوى) ولما فرغ من نظمه ونثره انطبق عليه فكانوا كانهما جبلين التطما أو بحرين تصادما وطاع عليهما الغبار وغابوا عن الابصار وتطاولت اليهما الأعناق وشخصت نحوهما الاحداق وقامت الحرب ومالت النفوس الى الفراق وفتحا فى الارض ميدانا وأجادا ضربا وطعانا وقلقت الاميره على ولدها ورمقت بطرفها الى السماء ونادت يا كاشف الضر والبلوى يا من نجا أيوب من الأسواء يا دافع الكرب والأذى انصر ولدى عبد الوهاب على الاعداء وكذلك قلقوا الروم والسودان على أبو الهزاهز هذا وقد حجبهما الغبار عن أعين النظار والقساقسه والبطارقه والرهبان يضجون له بالدعاء وتقضى عليهما أكثر النهار ولما كان غروب الشمس وقفت الجوادين من تحتهما وكلت السواعد من الطعان والضراب وصاح لهما العسكران حتى انهما يرجعان وأقسما أن لايرجعان الا ببلوغ الآمال فرأى الأمير عبد الوهاب من أبو الهزاهز مالم يكن له فى حساب من شدة الطعن والضراب وعلم انه اذا لم يأخذ لنفسه الحذر مانال منه ظفر وكذلك أبو الهزاهز رأى من الامير أنه فارس عظيم وبطل جسيم فلما كان عند المساء صاح أبو الهزاهز يا ابن ذات الهمه ما أحسب قط أن يظهر منك هذا ولقد أعجبتنى شمائلك عند النزال وموقف الحرب والقتال لان العساكر الينا ناظرين والى ما يكون منا متطلعين فقال الامير عبد الوهاب ما تريد منى فقال يا أمير ان الخيل قد كلت تحتنا وملت ونريد ننزل فى الميدان ونكون متقابلان فقال الامير عبد الوهاب يا أبو الهزاهز لايكون بيننا انفصال الا ببلوغ الآمال قال أبو الهزاهز اعلم ان الليل اسود ونحن سود ولا يسلك الاسود الا كل بطل أمجد قال صدقت وجعل الامير يلاطفه ويرجو من الله ان يكون يسعى فى ركابه يقاتل فى الكفار ثم قال له يا أبو الهزاهز اعلم ان

الشجاع اذا لم يكن فيه مروءه وذمام وصدق فى المقال والكلام والا يعد من اللئام قال له صدقت ولماذا هذا الكلام قال له اعلم ان لى ورد لابد لى منه فى الشده والرخاء وهى مائه ركعة وأريد منك تجوز لى حتى أقضى وردى وأعود اليك كما تحب وترضى من القتال فاجابه الى ما طلب وما أجابه الا ظنا منه أنه يتعب فى الصلاه وجعل له فى الارض محرابا وصلى ورده وهى مائه ركعه ودعا الى الله وختم الدعاء وكان قد تهور الليل وقال يا أبا الهزاهز هل لك فى القتال فنهض أبو الهزاهز من مكانه كانه جمل هايج حل من عقال وامتشقوا السيفين وتضاربا على الدرقتين فسمع العسكرين حس السيوف على الدرق لها أصوات كالرعد اذا خفق فأوقدوا النيران وارتفع الدخان والتهبت المشاعل والشموع قد أضاءت الاطلال والربوع ومن كثرة اللهيب أضاءت سائر الافق والسيوف تلمع فى ظلام الليل الغسق ولم ينتقل أحد عن صاحبه حتى ذهب الليل بغياهبه وهم فى أشد قتال وأقوى نزال الى أن طلع الفجر الثانى وهم فى الحرب من غير توانى وطلع عليهما الغبار حتى غابا عن الابصار ونظر كل منهما الى صاحبه وحار ولحقه الانبهار وأبعدوا عن بعض للراحة وقد طلبوا لانفسهم راحة وقدم لابو الهزاهز طعام وشراب وكذلك الامير عبد الوهاب ولما أكلوا الطعام وأخذوا الراحة للاجسام عادوا الى ضرب الحسام وتغليق الهام وتجريع الموت الزؤام الى أن اختلط الظلام وقد أكدوا من الايمان والاقسام انهما لا يرجعان الا ببلوغ الآمال الى آخر النهار ودخل الليل فأوقدوا لهم المشاعل والنيران ثانى ليله الى أن أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وقد زاد بينهما الحرب والكفاح ودام الصدام والعراك الى الليل وقل منهما القوى والحيل الى أن اصبح الصباح وكان جملة القتال بينهما ثلاثة أيام وثلاث ليال وزاد بينهما القتال والصدام حتى تزلزت الارض وزاد الحرب وقل الصبر وجرعوا بعضهم كاسات أمر من الصبر واذا بأبو الهزاهز سمع فى عسكر الروم الصياح فأقبل على الامير وقال أيها الامير ان فى سودانى صياح وما أدرى ماهو وأريد أذهب أنظر ماهو وأعود فقال الامير لا وحق من أمر الغيث فهمع والبرق فلمع ونظر الى الحجر فانصدع وكلم موسى فسمع والجبل من هيبته انصدع الذى ان شاء أعطى وان شاء منع وان شاء وصل وان شاء قطع وان شاء ضر وان شاء نفع الذى أحصى عدد الرمال ويعلم وزن الجبال كم مثقال فاغتاظ أبو الهزاهز لما سمع تلك الاقسام وقال يا أسود يا حجام ثم أنه هجم عليه كالاسد الضرغام وتقاتلا قتالا تعجز عنه الاسود فى الآجام وهان على كل واحد منهما نفسه فى بلوغ المرام (قال الراوى) ياساده يا كرام

وكان السبب فى ذلك الصياح أن السودان الذين لابو الهزاهز فإن أبو محمد البطال أقبل على سودان الأمير عبد الوهاب وقال لهم ان هؤلاء السودان من جنسكم وأريد منكم أربع رجال أجلاد بسواعد شداد فأخذهم ودخل على بعض البيوت وأوقفهم على الباب ودخل البيت وخرج كانه عبد أسود مثل السودان فتعجبوا منه جميع السودان وكان قد غلا جوجل وعمل فيه عقاقير يعرفها وتلطخ بها فسار عبدا نوبى ثم أنه أخذهم ومضى من وراء عسكر الروم واختلط بسودان أبو الهزاهز فى وقت السحر وصار يدور حول المضارب والخيام حتى عرف موضع الأسارى وصبر إلى أن جن الليل وفك قيودهم ونقلوهم السودان الذين معه إلى برا الخيام بعدماذبح الموكلين بهم وأوصلوا الجميع إلى عسكر المسلمين فلمارأتهم الاميرة فرحت بخلاص المسلمين من الاعتقال وشكرت البطال على تلك الفعال وأن سودان أبو الهزاهز لما طلع النهار طلبوا الاسارى فلم يجدوهم فوقع الصايح وهذا كان السبب (وأما الفارسين) فانهم مع بعضهم فى صدام ولزام وعراك وخصام وترجيع الموت الزؤام إلى أن كلت من تحتهم الخيل وقل منهم القوى والحيل وقد علا صياحهم وكثر همیرهم وزاد شرهم وقل صبرهم فقال الأمير عبد الوهاب لأبو الهزاهز تثبت لى ساعة وانظر العجب وسوف يأتيك سوء المنقلب فصار لهما همزات وقفزات ووثبات وعطفات وزعقات وانحراف وانعطاف وخصام ولزام وافتراق وانطباق حتى كل الساعد والساق وبلغت أرواحهم إلى التراق وافترقا بعد ذلك عن بعضهما بعض فقال أبو الهزاهز أيها الامير ان الخيل من تحتنا قد كلت وملت ومن العرق قد ابتلت ووهن عزمها واضمحلت ولا بقى لها نشاط للجولان فهل لك فى الصراع وقوة الزند والباع وكان أبو الهزاهز مدل بشجاعته وقوته وبراعته وعظم هيكله لانه كان يأتى للشجرة الكبيرة ويمسكها بكلتا يديه يقلعها من الأرض بفروعها وكان الامير عبد الوهاب فى القد مثل نخذ أبو الهزاهز الا أن قوة التقوى والايمان ماهى قليل فقال له قد أجبتك إلى ماتريد فافعل ماشئت فما لى عنك محيد فخففوا ماعليهم من اللباس وتقاربوا الى بعضهم بعض نخافت المسلمين على عبد الوهاب وقالوا أن الحديد يفرق بين الضعيف والشديد وهذا الصراع يزيد قوة الزند والباع ثم انهما تقاربا وتلاصقا وتعابصا وتلاكما وأراد أبو الهزاهز يقلع الامير من الارض فوجده كانه صخرة صما لايحول ولايزول ورأى منه مالارأى من غيره ولم يزالا كذلك إلى أن وقفت الشمس فى قبة الفلك وقد شخصت اليهما الاحداق وتطاولت الاعناق وقام الحرب بينهم على قدم وساق ونظروا العالم وإذا بشخص

محمول فى الهواء على زند الحامل كانه عامود فى الارض موضوع وهو يمشى به قليل قليل الى نحو عسكر المسلمين وكان الغبار لهما حاجب لم يعرفوا المحمول من الحامل ولم تزل الناس على مثل ذلك حتى ذهب الغبار وبان ماتحته للنظار واذا المحمول أبوالهزاهز والحامل الاسد الوثاب والبحر العباب والسيف القرضاب والليث الغلاب الامير الاجل عبدالوهاب وعجلوا المسلمين بالتكبير والتهليل والصلاة على البشير النذير ونظروا اسودان أبوالهزاهز الى المقدم عليهم وهو أسير فى قبضه الأمير فعظم عليهم وكبر لديهم وحملوا على الامير يريدوا خلاصه من يد قناصه فعجزوا عن خلاص أبوالهزاهز وصار الجبان والشجاع عن الخلاص عاجز وصاح ملك الروم صيحة كادت معاليقه أن تنفطر وأمر الجميع بالحمله فحملوا فى عالم لايحصى بعدد الرمل والحصى فكادت الارض بهم أن تميل وخيل للناس أنهم فى يوم الوعيد فصاحت الاميرة فى جوادها وقنعته بالصوت فطار بها فى الميدان وكانت أسبق الى ولدها من كل انسان ولحقوها الفرسان والاقران فقالت لهم احموا ظهرى من سودان أبو الهزاهز وأنا أكفيكم مؤنه عساكر الروم جميعا فقالوا سمعا وطاعة فحملوا الفرسان والعربان أصحاب النخوة العربية وتلقت الروم فاطمة العامريه وحملوا بنى سليم وأخذوا الميدان بالعرض وارتجت بهم الارض وتقطعت المعاطف وساروا بين سالم وتالف وفى الناس آمن وخائف وصار الدم من الاوداج ذالف وعملت الصوارم وقطعت الجماجم وصار الغبار كانه الغمائم وكلت من الجرى البهائم وكانت العزائم فكم من شجاع لنفسه عادم وعمت على القوم المصائب وبان الصادق من الكاذب واختلطت الكتائب بالكتائب والخبائث بالاطايب وبلغ العرق الى الذقون والشوارب وعملت القنا والقواضب ولعب فى الطائفتين السيف من كل جانب وأمسى المساء وانفصلت العسكرين من الميدان ونزلوا فى الخيام وجلس عبد الوهاب للكلام وأحضروا الطعام فجعل يأكل ويقدم لابو الهزاهز طيب اللحم وأبوالهزاهز يتعجب من سماحة عبد الوهاب وطيب نفسه وأبو محمد أيضا يقدم له أفخر الطعام وهو يأكل ويبلع حتى أكل شىء كثير من اللحم وطبقين حلاوة ثم أن أبو محمد قال للأمير لم لاتذكر له الإسلام فقال ولم ذلك فقال لعل أن يعرف الاسلام يشبع وإلا يأكل جميع اللحوم التى فى ملطيه فضحك الأمير من ذلك وقال من يبشرنى بأنه مسلم وأدعه يأكل من لحم أكتافى (قال الراوى) ياساده ياكرام وأبو الهزاهز ينظر الى عبد الوهاب ويتفكر فى شجاعته ثم قام الامير عبد الوهاب وقاموا الناس الى منامهم لانهم كانوا تعبانين مما قاسوا من قتال

ذلك اليوم وقام الامير الى ورده بعد ماصلى صلاة العشاء الاخيرة وصار يتلو شيئا من القرآن بعد سورة الفاتحة عقب كل ركعة وكلما قرأ آيه من كتاب الله فيها وعد أو وعيد يبكى إلى أن يغشى عليه هذا وأبو الهزاهز ينظر اليه وقال والله انه رجل صالح مقبل على الآخرة بوجهه وماهو مثل هذا الشيخ السوء الذى صلى على صلاة الموت وان من وقت ماصلى على مافلحت أبدا ولئن جمع الله بينى وبينه لابد من قتله لأنهم ماأسرونى إلا بسبب صلاته التى صلاها على وقضى الأمير تلك الليلة بالصلاة لله تعالى وأبصره أبو الهزاهز والأمير يصلى ويطيل السجود للملك المعبود وكان سيف الأمير معلق فى عامود فوسوس الشيطان الى أبو الهزاهز فوثب قائما وكان مقيدا من غير كتاف فأخذ السيف من العامود وامتضاه من غمده وهزه إلى أن سطع ولمع ودب الموت فى حافاته وتشعشع وشال يده بالسيف حتى بان سواد إبطيه وأراد أن يضرب الأمير وإذ بصوت مثل الرعد القاصف والريح العاصف وأخذ السيف منه وهو يقول ياعدو الله أماسمعت ماقال الله فى كتابه العزيز الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ويليق بنا أو يكبر منا أن يكون عبدنا فى خدمتنا ولا نحرسه بعين عنايتنا ورعايتنا ممن عاداه فرفع ابو الهزاهز رأسه ليرى من القائل وإذا بشخص واقف على رأس عبدالوهاب ورأسه عالما بعنان السماء ورجلاه فى تخوم الأرض السفلى وقد نشر عليه جناحان وبيده حربة تشعل نارا هذا وأبو الهزاهز صار حائر مما رأى وندم وقال والله ان لهذا منزلة عظيمة عند الله (قال الراوى) ثم ان الأمير انتهت صلاته ونظر السيف فى يمينه مشهر فوثب الأمير قائم على قدميه وقد ندم على إحسانه الذى أحسنه اليه وقال والله مابقى يخلص من يده ذلك الحسام حتى تقتل رجال وتحط أبطال وهم أن يقوم ويأتى بحسام آخر فناداه أيها الأمير المظفر ان الذى بيده العناية منع عنك الجنايه وكان لك كفايه فقال له الامير وما معنى هذا الكلام فقال أيها الأمير أنى لما هممت بقتلك فرأيت كذا وكذا والآن فإنى لى اليك حاجة وأريد منك قضاها فقال اطلب ماتريد وتكلم بما تشتهى ترانى سريع الجواب وفصيح الخطاب وأنا مبادر الى جميع ماتريد فقال ابو الهزاهز أحضر لى اصحابك وأيقظ جميع النوام من أحبابك فأيقظ الأمير والدته الأميرة ذات الهمة والأمير ابو محمد البطال وجميع سادات بنى كلاب فقالوا أيها الأمير ما وراك فقال الامير ان ابو الهزاهز دعاكم اليه فقالوا سمعا وطاعة وأتوا الى ابو الهزاهز وقالوا له ماتريد وماالذى أحضرتنا له وما معك من الخطاب لنرد لك الجواب فقال لهم بأفصح لسان أسألكم أن تسألوا

هذا الأمير العلى الشان العظيم البرهان أن يقبلني له من جملة الغلمان وأكون عنده على طول الزمان وأوقع بملك الروم الذل والهوان وأنا أشهد أن لا إله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله فصاح الأمير صوتا عاليا من شدة الفرح واتسع صدره وانشرح وكذلك المسلمين اهتزت فرحا ونادى على بعض غلمانه ان يحضر خلعة سنية كان اخذها من القسطنطونية وكانت من ملابس ملك الروم منويل وكان لا يلبسها الا فى الزينة وهى تأخذ بالبصر منسوجة بالذهب الأحمر مكللة بالدر والجوهر فجعلها على ابو الهزاهز البطل المناجز ففرح فرحا شديد ماعليه من مزيد وقال أيها الأمير أريد منك ثلاثة آلاف أسود من كل بطل أمجد عليهم صدور الزرد وفى أيديهم العمد فانا لى فى هذا تدبير فقال وماهو أيها الأمير فقال أريد أروح لأصحابي وأعلمهم بحسن فعالك وطيبة أعرافك وأحثهم على الرجوع الى دين الإسلام ومخالفة أهل الكفر والطغيان ونستغفر الله مما جرى وكان فإذا رجعوا الى دين الإسلام عدت إلى أصحابك أخلط سوداني بسودانك وأترك جميع السودان تصبح صيحة واحدة تهتز لها الأرض فى طولها والعرض فان سأل الملك منويل عن ذلك الأمر يقولوا خاص ابو الهزاهز وارمى نفسه من على الصور بعد ماقتل الامير عبد الوهاب وسقى أمه كاس الذهاب وإذا فتحت انا غدا ذلك البلد تخرجوا بالامير وأنتم متنكرين وتلبسوا غير لباسكم وأكون انا راكب عند الملك منويل وجميع السودان حوله دايره فإذا حملت أنا وسوداني تركب وتحمل أنت ايها الامير بمن معك (قال الراوى) فلما سمعوا الامراء من أبو الهزاهز ذلك الكلام ظنوا أنه خديعة ومحال إلا الأمير عبد الوهاب فانه قال لأصحابه لا تطيلوا الخطاب ولا تكثروا العتاب ودعوه حتى يعود الى ما قد ذكر فلا أعترض عليه فيما ذكر ولا على ما أمر فعند ذلك وثب أبو الهزاهز قائما على قدميه وأخذ من سودان عبد الوهاب ثلاثة آلاف وخرج والسودان من خلفه وسار بهم حتى صار بالقرب من عسكر الكفار وقال لهم اكمنوا هاهنا حتى امضى الى اصحابي وأحثهم إلى الإسلام فان أجابوا الى ذلك فلله الحمد والمنة وإن أغواهم الشيطان وطردوا عن باب الرحمن أعمل عملا أبطل به صفتهم وافرق جمعهم فوقفوا القوم وسار حتى وصل على أصحابه فانكروه وتواثبوا اليه ليعرفوه فكشف لهم عن سره وامره فارتفع منهم الصياح وزادت الافراح فقال لهم الزموا أنفسكم بالسكوت فقالوا له أخبرنا كيف كان خلاصك من أنياب العرب فقالوا ياقوم إنى سافرت جميع الاقطار فما رأيت قط مثل هذا الرجل الذى أسرنى فى سائر الاقطار ولا فى قوته ولا فى شجاعته ولا فى كرمه ولا فى مروءته ولا فى براعته

وهو مع هذا أحب الناس اليه السودان حتى يجاهد بهم فى سبيل الله وهو قوى فى الدين كثير الايمان تقى نقى سخى قد كمل الصلاح والمجاهدة والعبادة والصداقة الزائدة ولا يدخر لنفسه لا درهم ولا دينار وهو يعطى كل مايكسبه للسودان حتى انى كدت أن أرجع مسلما ولولا حاجة الروم لنا ماكنا إلا مثل الغنم أو من جملة الخدم ولقد رأيت إلى سودان هذا الأمير فرأيت عليهم الاقبية المنسوجة بالذهب الأحمر وفى أوساطهم المناطق المرصعة بالجوهر فماذا أنتم قائلون فاجابوه العقلاء من قومه لما سمعوا منه ذلك الكلام قالوا له اسمع لو اننا ملكنا سائر الأنام مابقى يطيب على قلوبنا إلا دين الاسلام ونحن بحكمك فاصنع ماشئت فشكرهم على ذلك وقال لهم اعلموا إنى ماجئت اليكم إلا وأنا مسلم وحديثى مع الأمير كذا وكذا وجرى لى من الأمر ماهو كذا وكذا ولقد أطلقنى وأنا جئتكم فارفعوا أصواتكم لتعلم الروم أنى خلصت فقالوا على ماذا عولت فأخبرهم بالقصة ثم رفعوا أصواتهم بالصياح وأقلبوا الدنيا بالافراح فانتبه الملك ولهان وقصدته البطارقة من كل مكان وقالوا ياملك سمعنا صياح فى عسكر السودان فقال امضوا وأتونى بالخبر اليقين فذهبوا ورجعوا وهم فرحين مستبشرين فقال يا ويلكم ماوراكم قالوا يا ملك الملك البشرى فقد ورد أبو الهزاهز وهو سالم قال أحق ماتقولون قالوا أى وحق الحواريون وقد تركناه على المجىء إلى حضرتك حتى يقضى واجب خدمتك وقد ذكر أن معه بشارة تجلب لك الفرح العظيم وما يقصها إلا عليك فبقى الملك على مقالى النار من أجل الانتظار وإذا بأبو الهزاهز أقبل على باب السرادق وترجل ولما وقعت عينيه على الملك وأشار إلى الأرض لاثما فنهض له الملك قائما وقال للترجمان هنيه بالسلامة ثم انه خلع عليه خلعة الكرامة وقال كيف كان خلاصك من هذه الأسباب فقال اعلم أيها الملك انى بارزت عبد الوهاب فرأيته محترزا مما بين يديه فما كان لى إلا أن سلمت روحى اليه حتى تم لى هذا الأمر عليه الا أنه فرح بأسرى وظن أنه أخذنى بقوته ودخل بى الى بلدته وقيد رجلى ولم يوكل بحفظى الا هو بنفسه فصبرت الى الليل وكسرت قيدى بما أعطانى الله من الحيل وصبرت الى أن نام الجميع تقدمت الى سيوف النوام وأخذت منها سيف وذبحته وذبحت كل من هناك وذات الهمه واردت أن أذبح الأشقر الازرق العينين الذى يسموه أبو محمد البطال الا انى قربته وقلت هذا فى ذبحه غاية المراد فهتف بى هاتف من الهواء يقول ياأبو الهزاهز وأنا اسمعه بحق المسيح لاتخلى هذا فى الحياة الدنيا فان هذا اشرهم واخبثهم وما للمسيح عدو غيره بين العباد وهو الذى أخرب البلاد وأكثر الفساد فلما سمعت ذلك من الهاتف ذبحته وأرحت النصرانية من شره بجملته هالك فقال الملك

وحق المسيح ماقصرت فيما فعلت ولقد أقمت دين النصرانية الى أبد الابد ماقام قائم وقعد ثم قام الملك من موضعه وأفرغ ثيابه عليه وأركبه إلى عسكره وجعلت البطارقه بأمر الملك تمشى بين يديه حتى دخل أبو الهزاهز الى مضربه وعادت البطارقة الى خيامها وقد أيقنت ببلوغ مرامها ثم خرج من وقته وساعته إلى جانب العسكر وسار حتى وصل إلى السودان الذين لعبد الوهاب وبشرهم بعودة سودانه إلى الإسلام فشكروا الله على ذلك الأنعام وعرفهم بما جرى له مع الملك وإنه قد تم عليه التدبير ولم يبق إلا النصر من الملك القدير ثم شقوا معه على عسكر أهل الصلبان واختلطوا بعضهم ببعض السودان ولما أصبح الصباح فلم تفتح أبواب ملطيه ذلك اليوم ولاخرج أحد من الأبطال فظن ملك الروم أن أبو الهزاهز قد صدق فى المقال فقال وحق مريم الدراعة إننى ماصدقت الا فى هذه الساعة ثم أمر الناس بالركوب فركبوا وزحفوا الى البلد وسار أبو الهزاهز ومعه السودان ولم ينكر عليه أحد هو وسودانه بموكب كبير لأن العسكر كثير ولم يزلو حتى أحدق هو وسودانه بموكب الملك واذا بباب ملطيه قد فتح وخرج بنى سليم الكاشفين الكرب والضيم ونظروا الروم فلم يروا عبد الوهاب ولا ذات الهمة فزادت أفراح لكفار وقالوا هذا الذى كنا نؤمله من المسيح طول الاعمار (قال الراوى) وكان لامير والاميرة تنكروا فى الناس وجعل الامير عمرو بن عبيد الله يصف بنى سليم حتى يبيضوا وجوههم عند الله وعند الناس فصاح ملك الروم وعبدة الصلبان عن بكرة أبيها وكان أبو الهزاهز قد أوصى السودان الذين معه وسودان الامير عبد الوهاب حملوا على بعضهم ببعض يطبقوا على الموكب الذى فيه الملك حاضر وقال لهم اياكم ينفلت منهم انسان وذلك الشيخ الخنزير وكان يعنى البترك الذى صلى عليه صلاة الموتى وقال احرصوا عليه حتى انتف لحيته وأصفح رقبته وأنظر عرضته وأروم بالصفع رقبته كما نصرنى وصلى على صلاة الموت من دون الجماعة فقالوا سودانه السمع والطاعة فلما حملت العساكر قال بسم الله أكبر وصاح بصوته الجهر فكبرت معه السودان وهم فى عشرين ألف من الابطال فما قولكم ياإخوانى فى عشرين ألف تزعق عن صوت واحد فى وسط العسكر فارتجوا فى بعضهم ببعض وضجت معهم الجبال وأجابوهم المسلمين بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير السراج المنير واشتهر الامير عبد الوهاب والاميره ذات الهمة وهم يكبروا لرب الارباب فلما نظر كلب الروم الى ذلك علم أنها حيلة قد تمت عليه وأبو الهزاهز قد خان عليه فأعطوا للمسلمين أقفيتهم وطلبوا الفرار

واستغنموا السودان نهب الخيام والأموال والأثقال وأخذوا من المكاسب مالاعين رأت ولا أذن سمعت ودخلوا إلى ملطيه بالأموال العظيمة وأنزلوا أبو الهزاهز فى دار غالية القيمة وقسمت الأموال على القوى والضعيف والكبير والصغير وفرقت العدد والسلاح وقعدوا الناس فى فرح باجتماع الاحباب بالأحباب (قال الراوى) وبينما هم كذلك وإذا بالبراج دخل على الأمير عمرو بن عبيد الله ومعه كتاب مخلق بالزعفران ففضه وقرأه وإذا فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فالحمد لله على خلاص الأمير الكريم الذاب عن الحريم والدين الناصر لدين رب العالمين وكان خلاصه سبب لخلاص المسلمين وأخذ بغداد من أيدى المشركين فى طول الأيام والسنين ساعة وقوفك على هذا الكتاب ارسل اعلمنا بأخبار ملطيه ان كانت خلصت من أيدى الروم الكلاب وكنا سمعنا أن مع منويل رجل شجاع مافى الارض من يقهره فى ميدان القراع وقد ارتد عن المسلمين وصار مع المشركين ومعه سبعة آلاف أسود من كل بطل أجدو قد بقى خاطرى من ذلك منكد وما أشغلنى عن كشف أخبار أهل الايمان إلا خارجى خرج من أهل خراسان أحرب بلاد الترك والعرب واحتوى على أرض السكاسك وبلاد الديلم وهو يعبد النار دون الملك الجبار خالق الليل والنهار وجريدة عسكره ستمائة ألف من سائر الاجناس وهو موصوف بالشدة والبأس سيما وهذه العساكر معه مقبله وأكثر عسكره مايقاتل إلا على الافيلة وقيل لى أن معه ثلاثة آلاف فيل يقاتل عليهم على كل فيل أربعين رجل وقد سمعت عن هذا الملعون أنه يحمل عامود حديد وزنه مائة رطل يقاتل به قتال شديد وقد بلغنى أنه غضب على فيل من الأفيال فضربه فى جنبه بيده دخلت فى فؤاده وعجلت منيته وانه مع ذلك لم يقنع بخراسان بل خرج يطلب بغداد من دون البلاد وهؤلاء ماهم مثل الكفار لأن الترك والاعجم والديلم لايصطلى لهم بنار وإن كان الأمير عبد الوهاب والأمير عمرو قد خلصوا من كلب الروم فليعجلوا بالسير الينا والقدوم علينا ولا يؤاخذنا الامير بهذا الأمر المعلوم فهو الذى لم يزل مجملا وعلينا مفضلا وهو عندنا بعد هذه النوبة أخ من الإخوان لامن جملة الغلمان وكذلك الأمير الحسن الفعال المليح الخصال أبو محمد البطال لاأخلانا الله من طلعته وبالله أقسم قد اشتقنا إلى محادثته ولذيذ مؤانسته وحسن تدبيره ومحادثته وهما يعلمان أن ماأحدا من المسلمين له أن يخالف أمامه لاجل القرابة التى بينه وبين إمام المتقين ورسول رب العالمين محمدا صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الراوى) ياسادة ياكرام

فلما قرؤوا الكتاب وعلموا بما فيه من الاخبار قال أبو محمد البطال مانحن قط بقيمنا نرجع إلى خدمة الخليفة ماطرح الليل النهار فلا يطمع نفسه بذلك لأننا مابقينا نخدمه إلا بشرط ما نريد منه غير خصمنا من دون كل إنسان ويبيح لنادمه فى أى موضع كان فقد هتك الله ستره وفش أمره بالستور التى وجدناها فى كنيسة سوفيا بمدينة القسطنطونية العظمى مرقوم عليها هذا ما عمله الشيخ النجيح الناصر لدين المسيح وهو القاضى عقبة ابن مصعب فقيه العرب فلا بد لنا من قتله ونسقيه كاس الردى وإلا ما نرجع إلى الطاعة أبدا وكان هذا الكلام لا يعجب بنى سليم ولحق الامير عمرو بن عبيد الله من الضيم ما لحقه وقال ياأبا محمد مابلغ من قدرك أن تخالف السلطان ولا تشاققه بهذا الشأن وحاشا الأمير الاجل خادم دولة بنى العباس أن يأتيه كتاب الرشيد وهو يدعوه بالاخ الشفوق ويمتنع ولو كان قتل له ألف قتيل سيما وهو فى أموالنا وأنفسنا محكما لأن الله سبحانه وتعالى يقول ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فقال الامير عبد الوهاب مانطق الامير عمرو إلا بالحق ولا تكلم إلا بالصدق ولا يمكننا أن نشاقق السلطان خليفة الزمان ومن الصواب أن نكتب له كتاب ونذكر ماجرى لنا مع أهل الكفر والطغيان وتخبره باسلام ابو الهزاهز وجميع من معه من السودان ونخلع على الفضل بن الربيع وان كان ما صنع فى حقنا إلا أقبح صنيع لأنه كان السبب فى أسرنا وأسر كل من معنا من المسلمين ذلك مانؤاخذه ولا نؤذيه ونرسل الخمس من الغنيمة مع ما أخذنا من بلد الروم من مال وحريم وجواهر وقناديل والستور فهى باقية عندنا أن يأتى جواب الكتاب بالانحدار وآخذهم معى فى صحبتى الى العراق فاذا علم الرشيد مافيها طلبت أنا عقبة من جميع الآفاق فقال البطال لا يفعل ذلك أبدا ولا يسمع فى عقبه كلام أحد فقال عبد الوهاب وإذا لم يفعل فأمر عقبة إلى الله ورسوله فأنه وعدنا بصلبه وقطع يده على باب الذهب فقال البطال اذا كان الامر على ما عرفت فدبر نفسك فانى لا أصحبك فانا قد كرهت الحياة فى رفقتك وكل يوم أقع فى بلية من تحت رأس القاضى عقبة بلاه الله بكل نكبة فقال الامير عمرو بن عبيد الله ياأبا محمد ونحن لا نبالى بغضبك ولا برضاك فلما سمع البطال ذلك الكلام زاد غيظه وقال ياعمرو وأين كانت هذه النخوة والتدبير وأنت تقاد إلى بلد الروم قود البعير فلما سمع عمرو ذلك غابت حواسه وقامت عيناه فى أم رأسه وأخذ المقرعة بيده وضربه بها ثلاث ضربات متتابعات فوثب الامير عبد الوهاب وأخذ المقرعة من عمرو وقال وحياتك ياأبا محمد لابد ما أمضى إلى الخليفه واخذه من بين

يديه وان هو سلمه باختياره وإلا اخذته غصبا ويقضى الله ما هو قاض فسكت الامير ابو محمد البطال على غيظ منه وكف عن الخصام وقال فى نفسه ما بقى لى مع هذا الرجل مقام ولكن سوف ماتشوف الامر على آخره وانظر باطنه وظاهره ثم أن الامير أحضر المال والجوار واللآلىء وجميع ماغنموه وأخرج الخمس إلى بيت مال المسلمين وكان مائة بغل محملة ذهب وفضه وآنية واثقال وديباج ثم قسم على الرجال الجوار والأموال وأغنى أبو الهزاهز وسودانه من الاموال وغيرها وأعطى لكل واحد منهما جارية وشيء كثير من الانعام وأمرهم أن يبنوا على ظاهر ملطية حصار ودور وقصور ففعلوا ذلك وبقيت مدينة وجعلوا فيها الحمامات وسائر الآلات وأجروا نهرا ما بين العمارات وجعلوا فيها السوق والمتسببين والتجار وبقيت أعمر من ملطية وأكثر خيرات وأصلح وجهز الفضل ابن الربيع حاجب الحجاب وأخرج معه الجوار والاموال وكتب إلى الخليفة يتذلل له فى المقال والخطاب ويقول أنا الخادم الآيل والذى يرسم به مولانا الامير فهو الممتثل والمملوك منتظر شريف كتابه وسرعة جوابه وسار الفضل ومعه مائة فارس من سادات بنى كلاب أرسلهم معه الامير لحمايته ورعايته وخرج الفضل يجد فى المسير حتى وصل إلى بغداد فخرجوا مماليك الدار وجعفر بن يحيى البرمكى وجميع الدولة والرفاق ولاقوا الفضل بالإكرام ودخل على الخليفة فنهض له قائما على الأقدام وهناه بالسلامة وأبدى له الاعتذار وأنه لم يشغلهم عنه إلا الكفار ثم سأله كيف كان خلاصه من تلك البلية فحدثه بحديثه وكيف فتح عبد الوهاب القسطنطونية هذا والرشيد يتعجب من هذه الامور ويقول ما عبد الوهاب إلا رجل مسعود وكيف وصل اليها وبلغ منها المقصود فقيل له هذا بتدبير البطال فقال الرشيد ما هذا بطال وإنما هو محتال وله حيل كثيرة ثم أخبره بما جرى فى ملطيه من الاسباب من حديث أبو الهزاهز وكيف أسره الامير عبد الوهاب فقال والله ما فى زماننا هذا مثل هذا الرجل المؤيد الأسعد وابو الهزاهز عنده فى ملطيه وسودانه اجمعين فقال يا أمير المؤمنين وقد بنى له ولأصحابه مدينة على ظاهر ملطيه ما بنت مثلها الروم ولا الأعراب وسموها باسم الامير عبد الوهاب ولما وصل كتابك أخذه الامير عبد الوهاب بقبول واكثر ابو محمد الفضول ولولا ابو محمد ما كان عبد الوهاب يفارق الخدمة للدولة العباسية وهذا كله من مكايدته لعقبه فقال الرشيد لقد صح عندى كلما قاله فيه البطال وهياج الكردى اخبرنى بشيء من فعله المذموم وأنه هو الذى دبر على حصن اربل حتى اخذوه

الروم فقال له الفضل وكان من المتعصبين لعقبة يا مولانا لو كان الذى يقال عن عقبة صحيح لكان ظهر امره وانكشف ستره فقال له اعلم انه ظن ان الدولة قد انقرضت منها الاشجار وما يعلم أن الله ما يخلى أمة نبيه من أنصار ولا بد لى ما أطلبه أين ما كان وأسلمه إلى هذين الرجلين وأبيض وجهى معهما فانى والله مستحى منهما ثم امر جعفر أن يكتب لهما المناشير بالتشريف للأمير عبد الوهاب وأرسل له المدح والثناء والشكر والدعاء واوعدهم بكل جميل وان يسلم الذى طلبوه ذليل حقير ويأمرهم بالانحدار إلى بغداد وأن يكون عمرو مع جملة الفرسان من الرفاق ويجعل ابو الهزاهز ايضا من جملة رفاقه لأن الخليفة اشتهى ان يراه فسارت النجابين حتى وصلوا إلى ملطيه مسرعين وضربت البوقات ودقت الكؤسات ونشرت الرايات وقرئت المناشير المطاربات ففرح الأمير بالخلع والثناء وجاءه كتاب سراً من بعض محبيه يذكر فيه ما جرى بين الفضل والخليفه من أجل عقبة الخنزير وقال الرشيد انه صح عنده انه من أهل الضلال فما اقع به إلا وأسلمه لعبد الوهاب وابو محمد البطال وأبيض وجهى عندهم بهذه الفعال ففرح بذلك الأمير واوقف عليه البطال فاعجبه ذلك الكلام وقد سلى عنه ما كان يجده من الغرام ثم أخذ الأهبة للمسير وكذلك البطال وسلموا أمرهم والأحوال للملك المتعال وأخذ الأمير عمرو من بنى سليم الف رجل واخذ عبد الوهاب من بنى كلاب الف رجل وقال لابو الهزاهز خذ الاهبة المسير فقال إلى أين تمشى ايها الامير فقال الى بغداد الى خليفة الزمان لاننا كلنا له خدم وغلمان فقال ابو الهزاهز ايها الامير نحن والله ما نعرف لنا خليفة سواك ولا نريد يأمر علينا وينهى سواك ولم لا تأخذ انت الخلافة بالسيف ونحن ننزل على كل من يعاديك الذل والحيف فضحك عبد الوهاب وقال له طب نفسا فما نحن عند الرشيد إلا فى المنزلة العلياء وليست الخلافة باليد القوية لانها ورثها من محمد المصطفى فلما سمع ابو الهزاهز هذا الكلام قال ها نحن بين يديك ثم رحل ابو الهزاهز وعبد الوهاب وابو محمد وعمرو بن عبيد الله وأخذ البطال معه الستور التى عليها اسم القاضى عقبة مكتوب والقناديل التى وجدوها فى كنيسة سوفيا وقد قطعوا الارض والبيداء وقد استخلف بعده امه على بنى كلاب وابو الهزاهز استخلف على باقى سودانه اسود كأنه قطعة فحم يقال له القعقاع وكان هائل المنظر جيد الخبر (قال الراوى) وان صاحب الخبر الذى فى ملطية كتب كتاب وارسله على جناح طير من الحمام يخبر بقدوم عبد الوهاب

إلى العراق ففرح الرشيد بذلك وحسب لهم الايام حتى وصلوا إلى تكريت ثم أنه أرسل لهم أرباب الدولة ليتلقوهم بالرحب والسعه وفى اوائل القوم جعفر البرمكى ومسرور وجوهر والاتراك والخدم ومماليك القصر والاشراف وزينت بغدادلقدوم الامير عبد الوهاب وطارت قلوب الناس فرحا ومرحا لقدومه وقالوا كلنا عتقاء سيفه نحن وأولادنا ونساؤنا واموالنا (قال الراوى) ودخل الامير يوم الخميس الى بغداد ودخلوا الامراء فى موقف يحير العباد ويكبت الاعداء والحساد ونشرت الاعلام وفيهم العلم الذى كان على رأس ملك الروم وقد محى الذى كان عليه من كلمة الكفر وكتب عليه لاإله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه الدعاء من جميع البشر والامير الى جانبه الايمن وأبو محمد الى جانبه الايسر وابو الهزاهز وسودانه وبلغ الى الرشيد دخوله الى بغداد فارسل ولديه الامين والمأمون فلما رأوا أهل بغداد الى ابو الهزاهز وكبر جثته وعظم هيكله وسواد لونه مع ما سمعوا شجاعته فسار بعضهم يقول لبعض ابو الهزاهز اشجع من عبد الوهاب وبعضهم يقول عبد الوهاب اشجع من ابو الهزاهز وتراهنوا بالدنانير لان أهل بغداد اهل خلاعة وكان جماعة متعصبين لعبد الوهاب فسألوا هل عبد الوهاب أسر ابو الهزاهز أم لا فاخبروهم أنه أسره فى حومة الميدان فسألوا بنى سليم فقالوا كذلك فصدقوهم فى الكلام وأخذوا اصحاب الرهن رهنهم ووصل الامير إلى الميدان هنالك لقاه خليفة الزمان وحوله الفقهاء والعلماء والغلمان ولما وقعت عين عبد الوهاب على الرشيد ترجل وترجلت معه الناس جميعا إلا ابو الهزاهز فانه لم يترجل الى الرشيد بل صاح ياصاحب العمامه الكبيرة والاودان الوسيعة لم لاتترجل لعبد الوهاب مثل ماترجل اليك وتفعل فى حقه مثل مافعل فى حقك فان كنت انت خليفة البيضان فهو خليفة السودان فصاح عليه الامير عمرو بن عبيد الله وقال له اسكت سكت حسك تخاطب خليفة الزمان بهذا الخطاب ترجل وقبل التراب فلما سمع كلامه انقلبت عيناه فى ام رأسه وهوى بيده إلى قائم سيفه وقال ويلك يا عمرو تحسبنى مثل الرجل الاشقر الازرق العينين أعنى البطال قصيح عليه وتضربه بالمقرعة بين الرجال فلابد لى ما أعلوك بهذا الحسام فانى لا أطيع لاخليفة ولا سلطان ولا ملك من ملوك الزمان إلا الامير عبد الوهاب الذى جاد على بروحى لما ان أسرنى فى الميدان فقال عمرو فى نفسه مليح وحق الرحمن نحن كنا بأسود واحد ولا بنخلص كيف وقد صار هذا وتلك السودان وفيهم كل واحد شيطان فلا بد

انى اعمل على تلافه وأسقيه كاس الردى لانه مجنون وما فى عينه من أحد فناداه الأمير عبد الوهاب يا أبا الهزاهز يا ولدى ما قال الأمير إلا الصواب فترجل أبو الهزاهز حياء من الأمير عبد الوهاب وهو ضامر الشر لعمرو بن عبيد الله وقبل الأرض ثم مشوا بين يدى الخليفة فى دست الخلافة حتى دخلوا القصر وجلس الخليفة فأذن لعبدالوهاب وعمرو بالجلوس والبطال أيضاً أجلسه بالقرب منه دون كل انسان وأما أبو الهزاهز فانه جلس من غير أن يأذن له بالجلوس ولا جلس إلا فى أعلى مكان فقال عبدالوهاب يا مولانا تؤاخذ أبو الهزاهز فانه تربية البر وتوصل إلى الروم وهو جاهل بالأمور وعلى كل حال لابد ما يضرب بين يدى مولاى بالحسام ويسقى أعداك كؤوس الانتقام فقال الرشيد كل ما يفعله فهو محمول فدعونا من هذا وهنا أمر آخر فقال عبد الوهاب وما هو يا أمير المؤمنين فقال صح عندكم ان عقبة كان فى عسكر المشركين فقال عبد الوهاب نعم ولما ولى عسكر الروم طلب لنفسه النجاة من حلول النقم فقال الرشيد قد وصل إلى هياج الكردى وأخبرنى بكل ما قلتم فيه فقال البطال الحمد لله يا أمير المؤمنين وانك وكل الناس يعلموا ما بينى وبين هياج من الخصام من تعصبه لعقبة وهنا شىء آخر يدل على ذلك وناوله الستور والقناديل من بعض غلمانه وعليها اسم عقبة الكفور فلما رآهم الرشيد قال فى أى مكان رأيتم هؤلاء قال يا مولانا رأيناهم فى كنيسة سوفيا لما فتحنا القسطنطونية فقال الرشيد ما بقى بعد هذا الأمر أمر أبدا فقالوا بنى سليم وعمرو عن كلمة واحدة يا أمير المؤمنين اعلم ان الغائب حجته معه حتى يحضر القاضى ويترحم عن نفسه فهم فى الكلام وإذا بالبراج قد دخل ومعه طير حمام تحت جناحه كتاب فتوصل ذلك الكتاب إلى خليفة الزمان وإذا فيه ان جرهم المجوسى قد وصل فى عسكر سيد الفيمان ومعه ثلثمائة فيل وعلى كل فيل أربعين مدرع وذكر انهم يصنعون سرمد بأربع وجوه من الخشب ويقف على كل جهة عشر رجال شاكة فى السلاح ومعهم المزاريق القصار والنشاب وغير ذلك من آلات الحرب وذلك السرير مسمر بالمسامير الحديد فى جسد الفيل وأيضاً ليس له عقود ولا لجام بل له خطاف من حديد فى عصى كبيرة فيضرب فى رأسه بتلك الخطاطيف فيروح فى رأس الفيل قدر أربع قراريط وأكثر ويسحبوا به ويميلوا يمينا وشمال وقت الحرب وفى خرطوم كل فيل سيف صقيل يضرب به يمينا وشمال وقت الحرب والقتال وقد ملك الأموال وأخرب البلاد وبقى بينه وبين بغداد اثنى عشر يوما لانه يسير سير الرفق

فان عسكره صقيل ومعه من العساكر ستمائة ألف مقاتل غير الفيالة وأربعين ألف راجل يرمون بالنبال وهم لا يعبروا على مكان إلا جعلوه خراب وهم يعبدون النار وعليهم غضب الجبار فلما وقف الرشيد على ذلك الكلام صعب عليه وقال والله ما هذا مثل العسكر الاول ثم أقبل على جعفر وقال له ما عندك من الرأى فى هذا الامر الذى ظهر قال يا مولانا وما عسى ان أقول وعندك صاحب الرأى والافعال أبو محمد البطال صاحب الأمر الخطير وصاحب المشورة والتدبير فقال عبد الوهاب وما يكون الجواب غير ضرب السيف القرضاب ومولانا يخرج فى عساكر العراق ويجمعهم من الضياع والرستاق وننفذ إلى ملطية يأتون الينا جميع بنى كلاب والسودان الانجاب ونسير اليهم قبل ان يطؤن العراق ونسقيهم كاسا دهاق ونستعين عليهم بالملك الخلاق فقال الرشيد رأيك سعيد افعل ما تريد فارسل الامير عبد الوهاب للاميرة والدته يخبرها بهذا الامر العظيم فى أول كتابه ان الفتن قد كثرت وان الخوارج قد ظهرت وعبدة النار بالكفر قد اشتهرت والى العراق قد طلبت والبلاد قد نهبت ولا ينبغى القعود عن دين الملك المعبود فاذا وقعتى على هذا الكتاب أيتها السيده العابده الاميره الزاهده اجمعى بنى كلاب كبيرها وصغيرها وغنيها وفقيرها وكذلك السودان لا يتخلف منهم انسان ولا تطرحى من يدك ذلك الكتاب حتى تكون رجلك فى الركاب فان الامور قد ضاقت والعساكر قد تبادرت وكذلك عمرو بن عبيد الله كتب الى بنى سليم كتاب ياخذون لانفسهم الاهاب ويقول لهم جملوا أنفسكم عند الخليفة وعند أهل بغداد بما تقدرون عليه من الثياب فان يوم دخولكم يوم عظيم لينظرون الناس بينكم وبين بنى كلاب ولا يتخلف منكم لا صغير ولا كبير وعولوا على المسير ولا يسبقكم عسكر الامير وسارت النجابه بالكتب ليل ونهار حتى وصلوا الى ملطيه وأوصلوا الكتب الى بنى سليم والى الاميره ذات الهمه وأخذوا فى صلاح حالهم ثلاثة أيام ومابقى لاحد حاجه إلا قضاها على التمام وسارت الكتائب والمواكب وكانت جريدتهم للأمير عبد الوهاب ستين ألف من بنى كلاب وبنى سليم ومن السودان عشرين ألف ويقدم الكل الاميرة ذات الهمه أم الاشبال وهى كانها النسر المعمر وساروا يقطعون الارض فى طولها والعرض وأخذوا على الطريق وأوصلوا السير الى آمد وقد شدت عزائمهم شدوخرج لهم من أمر الضيافات والعلوفات ولم تلبث الاميرة بل رحلت وإلى الموصل وصلت والدعاء يأخذها من كل مكان من

الرجال والنساء والعبيد والغلمان ولم تزل سائرة ليلا ونهار الى ان وصل الى الخليفة خبرها فأخرج لها ولديه الأمين والمأمون وزينت بغداد وكان يوم دخول الاميره أخير من يوم الاعياد ونثر عليها الذهب نثار وأخذها الدعاء من الكبار ومن الصغار ووصلت الى محل الخلافة والرشيد جالس فى دست مملكته فقام لها قائم على الاقدام وأشار اليها مسلما وقال كيف حالك أيتها الاميره فقالت يا أمير المؤمنين كيف حال من لا يخلع عنها الحديد لا صيف ولا شتاء ولا تبرد لها لوعه ومع ذلك لى من يؤذينى فى ولدى فى كل وقت وحين وأنا ما أقدر أأسى عليه ولا أمد يدى اليه ثم ان الله تعالى يمن بالسلامه على وعليه وما كل طريق يجد الانسان التوفيق من الندامه واخاف ان يتم على ولدى أمر من الامور فأهلك ولا أفرح من بعده وانكسار الناس لفقده (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما سمع الرشيد كلامها دمعت عيناه وقال لها من الذى يؤذيكى فى ولدك قالت أنت ياأمير المؤمنين تفعل به المرة بعد المره والكره بعد الكره وتترك عينى عليه باكيه وتسمع فيه كلام الاعداء وهذا البلاء الذى نحن فيه كله من عقبه لعنه الله وأنت تعلم يا أمير المؤمنين ما نحن فيه وما نحن عليه من صدق الكلام فى كل وقت وأوان وأنا أقسم بالذى رفع السبع الشداد وجعل الارض مهاد ونصب الجبال اوتاد وجعل البحار بعد ما كانت جماد وخلق لابن آدم قلب وفؤاد وألهمه إلى الهدى والارشاد وأسعده وأشقاه كما أراد أن عقبه ابن مصعب أكل لحم الخنزير وشرب الخمر العصير ويكفر بالملك القدير ويعتقد ان لله زوجة وولد ونحن نقول لا اله الا الله محمد رسول الله واحد أحد فرد صمد وكذلك الامير عبد الوهاب حلف كما حلفت وتقلد بالايمان كما تقلدت وكذلك ابو محمد البطال ونظر الأمير عمرو الى ذلك الامر وتلك الاقوال فقال قد بلغ الامر المنتهى وقد عرفت الناس ما بينكم من العداوة التى لا تزول والامور التى تحول فما تم عمرو كلامه حتى وثب من بين يدى الخليفة رجل طويل كانه فيل وصاح فى الامير عمرو وقال له اسكت أيها الامير عن هذا المقال ولا تخوضن مع الخائضين فى بحر الضلال ولا يداخلك الغضب فى طريق المحال وحق الملك المتعال أن عقبة بن مصعب كافر بذى القدرة والجلال فدع عنك الاقاويل الزائدة والحجج الباردة واذا به هياج الكردى صاحب حصن أربل ثم قال ياأمير المؤمنين انتم تعرفوا ما جرى بينى وبين البطال من الامور والاهوال على هذا الرجل المذكور شيخ الضلال

حتى رأيته بعينى عيان وهو من أهل الكفر والضلال فقال الرشيد وحق آبائى الطاهرين واتصالى بالائمة الزاهدين لو عرفت عقبة فى أى البلاد لاجتهدت فى حضوره إلى عندى وأقابل بينه وبين هياج الكردى وأخرج له هذه القناديل والستور التى عليها اسمه مشهور وأسلمه اليكم تفعلون به ماتريدون ولكن كيف السبيل إلى موضع ذلك الملعون فوثب الامير أبو محمد البطال وقال ياأمير المؤمنين لاتعرف حضوره إلا منى من بين العالمين ولو كان فى الأرض السابعة أو السماء الرابعة فقال الرشيد يا أبا محمد اترك الساعة هذا الامر فقد طال وقد مللنا من سماعه فى سائر الاوقات فبينما هم فى الكلام وإذا بالبراج داخل عليهم ومعه طائر بكتاب وهو من البصرة قد وصل فأخذ الرشيد الكتاب من تحت جناح الطائر وفكه وقرأه وإذا فيه أن جرهم الجرسى بقى بينه وبين البصرة ثلاثة أيام وهو لايبقى على شيخ ولا على غلام بل يهلك النساء والرجال ويذبح الاطفال وينهب الأموال فاشتغل قلب الرشيد من ذلك الحال ثم التفت إلى جعفر البرمكى وقال أرسل إلى هذا الملعون وقل يعود إلى بلاده ونحن نجريه على عوائده والاسباب ونكتب له المناشير ويحقن دماء المسلمين فامتثل جعفر لما أمره به الخليفة فى الامر الجسيم وكتب كتاب يقول فى أوله بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان البغى مصرعه وخيم وان السلطان من ترك طريق العدوان ومن أراد أن يقهر كلمة التوحيد أخذه الملك المجيد وقد صح أن من دحض الحق بالباطل فان عمره وملكه زايل وقد رأيت من الرأى أنك تعود إلى بلاد خراسان كان ولا يغرك الشيطان ويعدمك نفسك بالهوان ففى ملك الجر مايكفيك عن ملك العراق وتتخلى عن النفاق والشقاق ونحن نبعث لك الخلع والمناشير وتكون عندنا صاحب وأمير والسلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الاعلى وصدق بالآخرة والاولى فلما فرغ جعفر من الكتاب وأراد أن يقرأه وإذا بالخدم دخلوا على الخليفة وقالوا يامولانا وصل رسول من عند جرهم الجرسى فأمر بحضوره وكان الرسول من الديلم كانه طود من الاطواد أو من بقايا قوم عاد ومعه عشرة من الأبطال فى أيديهم الاعمدة والمقدم عليهم كانه برج مشيد يقال له شراكيل الملاكم مالكم أحد قط إلا وكان لروحه عادم وكان يلكم الفحل الجاموس فى وجهه يخسفه ويهز الرمح الاصم يقصفه ومن قوته يقبض على الأسود فى الغابات وهو آفة من الآفات وبلية من البليات فلما مثل بين يدى الرشيد أخذ بيده الوزير وطايبه وأجلسه إلى جانبه وقال الرشيد

أطلعنى مافى الكتاب من الخبر وإذا فيه مكتوب بالنار والنور والظل والحرور ونحن وأنتم نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أما بعد فانى كتبت هذا الكتاب إلى هارون الرشيد مخبرا له بما يكون من هلاك السادات والعبيد وأريد منك أن تنزع نفسك من الخلافة وهو المراد وتؤدى إلى الخراج فى كل عام وابنى لى جامع نجعله معبد والسلام على ذات الانوار (قال الراوى) يا سادة يا كرام فلما سمع الرشيد ذلك الكلام ضاقت عليه الارض بما رحبت وخيل له أن الدنيا انطبقت وقال لجعفر لا ترسل اليه رسول بل أعطيه الكتاب الذى كتبته ويرجع به إلى صاحبه حتى نسمع مايقول فقال الأمير عبد الوهاب يا مولانا وما فى ذلك الكتاب قال فيه مخاطبة بألطف خطاب اقرأ يا جعفر ما كتبت على عبد الوهاب فلما قرأه عليه وفهم معناه قامت فى أم رأسه عيناه وقام وقعد وأرغا وأزبد ثم انه تناول الكتاب ومزقه وقرط على أضراسه كانه مصاب وقال للبطال يا أبا محمد اكتب له كتاب على لسان مولانا السلطان زاده الله رفعة وامكان واذكر ماتريد من التخويف والتهديد فكتب البطال كتاب بما أعطاه الله من الفهم والعقل يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد فقد سمعنا ارعادك وابراقك وانك قد غرك شيطانك حتى طلبت محالك وسوف نلحمك برجال قد ألفوا الحرب والجلاد ولا يأخذهم فى الله لومة لائم وألفوا الهياج كما ألفت الديوك الدجاج وسيكون الجواب ماتراه لما تقرأه والسلام ثم قرأ الكتاب على الرشيد وعلى الامير عبد الوهاب وعلى سائر الأمراء والحجاب فأعجب الجماعة أتم الإعجاب وسر أمير المؤمنين بذلك الخطاب وطواه وإلى شراكيل الملاكم أعطاه فسمع أبو محمد شراكيل وهو يتكلم مع أصحابه بكلام فضحك البطال فقال عبد الوهاب مالى أراك تضحك يا أمير أبا محمد اذكره لى لايظن أمير المؤمنين انك تهزأ به فقال البطال أعوذ بالله من هذه الأمور ولكن هذا الرسول سمعته يقول بلسانهم لأصحابه وحق النار والنور لو أمرنى جرهم بقتل هؤلاء لقتلت كل من فى هذا المجلس وكنت أملك القصر بما فيه أسرع من تردد النفس إلى الجسد فقالوا له أصحابه نحن فى قله وهؤلاء فى كثره فقال شراكيل وحق دينى أن هؤلاء عندى مثل الاطفال الصغار وأقل مقدار لأنى ما ألكم الواحد منهم سوى فرد لكمه وقد خرجت روحه من بين جنبيه فلما سمعت كلامه ضحكت عليه فسمع أبو الهزاهز كلام البطال فانقلب سواده إلى بياض وقال يا أبا محمد قل له يلاكمنى فان رضى فهو الغرض وإنى وحق

المضطجع بيثرب ما السكه سوى فرد لكمه فى قفاه أطير بها أضراسه من جمجمة رأسه وأعدمه بها الحياة وأهد أساسه ويسكن بها ارماسه وتبكى عليه جميع ناسه ويوحش جلاسه ويتوب عن الملائكة من يراه فضحك الرشيد وكل من كان حاضر وقال يا أبا الهزاهز ما هو من الواجب قتله وهو فى دارى فقال يامولانا وإن ماقتلته وهو فى دارك قتلته لما يخرج من دارك وان اشترط على نفسه اللكام مايبقى علينا ولا عليك ملام فاسأله ياأبا محمد انه كان يلاكم فانى على لكامه عازم فقال البطال الديلمى بلسانه قد سمعت ماتقولون وهو كذا وكذا وأنت قد قلت لو أمرك صاحبك جرم لكنت بطشت بكل من هنا ونحن عندنا فرد رجل ان أردت لكما يلاكمك وإن أردت صراعا صارعك وكان هذا شراكيل كانه الفيل فى الهيكل والقد وقد ضربوا به المثل فى بلاد العجم فلما سمع كلام البطال فرح بذلك المقال وقال فى نفسه هؤلاء جاهلين بفعالى ولابد ما أوريهم شيء من أعمالى ثم وثب كانه بعير وخلع ثيابه من على بدن كانه العاج وفى وسطه كشبانه من ديباج وفى ذراعه ملج ذهب كانه خاخال ثم أنه أشار إلى البطال وقال يقوم منكم مائة رجل حتى تروا العجب فالتفت أبو محمد إلى أبو الهزاهز وإذا به قد وثب كانه بعير أسود وشق عليه من شراكيل كل الغيظ والحرد وقال قل لأصحابك يشهدون عليه فانى ما ألكمه إلا بارادته حتى لايكون على مولانا أمير المؤمنين شناعه فى قتل الرسول فقال الخليفة أنت تلاكمه فايش أوجب القتل فقال وحياتك يا مولاى ما الكمه غير لكمة واحدة إلا وقد فارقت روحه جسده فأخبر أبو محمد لما قال أبو الهزاهز هذا المقال فضحكوا الديالم لما يعرفوا من صاحبهم وقوته فى ذلك الفن هذا وأبو الهزاهز قد مشى إلى صوب شراكيل وهو كانه بعير من عظم خلقته ولم يخلع ثيابه بل شمركميه إلى حد مرفقيه وحسر عن ساعديه وهجم عليه غير مكترث به وتلاكما لكمتين لاغير فسمع لهما دوى كدوى الرعد القاصف وكان السابق بالضربة شراكيل لأن هذا من شغله فأدار أبو الهزاهز لها كتفه فوقعت فيه كانها حجر منجنيق وكان أبو الهزاهز له كتف كانه عدل ثبت وكان عليه لحم كانه سنام بعير ثم لكمه أبو الهزاهز فى صدره غامت يده فى بطن شراكيل فمات من وقته وساعته وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار واصفرت وجوه أصحابه فقال لهم البطال وأنتم تلاكموا فقالوا نحن رسل أتينا بكتاب ونأخذ رد الجواب فضحك البطال من هذا الخطاب وأعطاهم الكتاب وساروا من وقتهم وساعتهم (قال الراوى) هذا جرى هينا (وأما ماكان) من الأمير عقبة

الوهاب فانه قال ياخليفة رسول الله ماهذا الانتظار فقال ماذا نصنع قال تنادى فى العسكر بالرحيل و نرحل على أثر الرسول فما يشعروا بنا إلا ونحن قد هجمنا عليهم فأمر الخليفة النقباء فنادت فى الناس بالرحيل وقالوا كل من أكل من خبز السلطان فلا يخلى له شغل بعد ثلاثة أيام (قال الراوى) يا ساده ياكرام وبرز الخليفة من ظاهر بغداد وخرجوا العساكر وضربوا المضارب والخيام وفى ثالث الأيام تكاملت العساكر وأعرضت فكانوا ثلاثمائه ألف سوى عشرين الف أسود بصدور الزرد فكانهم قطع الجلمد وهم بالدروع والزرد وسار بهم الرشيد يقطع الأرض رفعا وخفض إلى أن بقى بينه وبين جرم مرحلة واحده ونزلوا على أرض يقال لها الهزو وكان جرم قد قدم بين يديه الأفيال فصاحت الافيلة صيحة عظيمة سمعت من مسيرة يوم فنفرت خيل عسكر الرشيد فقال الرشيد إنا لله وانا اليه راجعون ثم بات الرشيد فى موضعه الى أن أصبح الصباح ووقعت العين على العين تقابل الفريقين عندها نزل جرم بقية يومه وأمسى المساء والافيلة تزعق فتجفل خيل الرشيد فقال لخواصه ماذا يكون عملنا وهذا المجوسى فى خلق لاتحصى ولا تعد فقال البطال الرأى يا أمير المؤمنين أن نأخذ قوارير النفط ونضرب بها فى وجوههم ترجع الافيلة على اعقابها وبالله المستعان فقال الرشيد إن هذا الرأى سديد ثم باتوا إلى الصباح فركب جرم فى مواكبه وركب عسكره يمين ويسار وقلب وجناحين وقدمت الفيالة أفيالها وكذلك الرشيد ترتبت عساكره ميمنة وميسرة وقلب وجناحين فكان فى الميمنة الامير عبد الوهاب ووالدته وبنى كلاب وفى الميسرة الامير عمرو بن عبيد الله وبنى سليم وفى الجناح الأيمن أبو الهزاهز وسودانه وفى الجناح الايسر أبو محمد ووقف الخليفة فى القلب يحرض الناس على القتال وحملت العساكر على بعضها بعض وحمل جرم وأصحابه فلم تمنع ضرباته الدرع ولا الاتراس ولا كثرة اللباس (قال الراوى) يا سادة ياكرام وحملت عساكر العراق وفى أوائلهم أبو الهزاهز والأمير عبد الوهاب والأميرة ذات الهمة وضيغم وقشعم وقد أظهروا الضراب وعمل السيف فى الرقاب وولى الجبان يطلب الهراب وساق الأمير عبد الوهاب العجم سوق الاجناب تقطع بسيفه الاتراس وفرق اللباس وطير من الراس الانفاس وأما الاميرة ذات الهمة فانها قتلت كل فارس دعاس وكذلك جرم ومقدم عساكر الروم وتبعتهم كفعالهم عساكر الديلم وكان فيهم كل فارس عشمشم وعباد الوجود من الطائفتين عدم ونظروا إلى ثبات خيل الرشيد

وإلى عبد الوهاب وإلى من معه من الفرسان الصناديد فخاف جرهم على نفسه وصاح في الفيالة فتقدموا ثلاثمائة فيل وعليها الرجال الأبطال فضربوا بالكلاليب في رؤوسها والسيوف في خراطيمها ربطوها وبقتل أصحاب الرشيد أمروها فصاحوا وزعقوا زعقة واحدة فخيل للقوم أن السماء قد انطبقت على الأرض فرجعت الخيل على أعقابها ولم يثبت منهم واحد من الفرسان لأن الخيل ما تقبل على الأفيال وعدم الضوء وأظلم الجو وتقدم جرهم إلى أن صار قدام عسكر الرشيد وقد فرح الفرح الشديد وأما الخليفة فانه صعب عليه وكبر لديه وأيقن أن المنيه واصلة اليه وأيقن بزوال ملكه من يديه وجمع الأمراء وشكا لهم ما تم وماجرى وقال والله لقد أيقنت بخروج الملك من يدي وقد قل صبري وجلدي لأن فيل واحد ما لنا فيه كفاية ولا تدبير فكيف الحيلة وهم هؤلاء الجمع الكثير وجرهم الذي جاب لنا كل فيل في الدنيا والله تعالى يكفينا شره ويرد مكره فقال البطال يا مولاي كم قد جاء معك من النفط قال عشرين ألف قارورة فقال البطال علي بها فأحضرت بين يديه فالتفت البطال الى السودان وقال ما لهذا الأمر إلا أنتم وتكون هذه القوارير معكم تضربو بها وجوه الأفيلة والفرسان من خلفكم يضربون بالسيف فقالوا سمعا وطاعة وباتوا القوم على ذلك الترتيب وبات الرشيد وقد خف عنه بعض ما يجده ولما أصبح الصباح ركب جرهم المجوسي وقد انتظر الأمير عبد الوهاب أن الخليفة يظهر من السرادق فلم يظهر فأتى إلى السرادق وقال لجوهر الخادم ما بال أمير المؤمنين ما ركب فقال يامولاي والله مالي به علم ودخل إلى السرادق وعاد ورجع وهو مصفر اللون فقال له الأمير ما لك فقال يا مولاي ما لقيت على السرير احد فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم يا جوهر لا تخرج هذا الكلام من فيك أبدا ثم أن الأمير أدعا بعمرو بن عبيد الله وأطلعه على القصة فبقي الأمير في حيره وقد كتم أمره ولم يبح بسره لأحد واشتغل الأمير جرهم وصفت الصفوف وقد صاح جرهم في الناس ودقت كؤوساته وأقبلت الأفيلة كأنها الجبال وضربوها الرجال بالكلاليب البولاد في رؤوسهم وصاروا يميلوهم يمينا وشمالا ورأى الأمير عبد الوهاب إلى ذلك الامر فترجل وترجلت الأميرة وترجلت السودان ونادى الأمير بأعلى صوته يا آل حام يا أولاد الكرام افعلوا كفعلي بالكفرة اللئام ثم أن الأمير عبد الوهاب ضرب فيل بقارورة كانت في يده فعلقت في السرير فكانت مثل النار في الشموع وصاحت الأميرة وضربت فيل آخر

وكذلك فعل ضيغم وكذلك أخوه قشعم وتبعتهم السودان وقد حست الافيلة بالنار فهجمت على وجوهها واهلكت خيل عباد النار ولم تزل النار تعمل فى أجسادها إلى أن هلكت وصارت لحم أسود ولم يبق إلا دماها وحملت الخيل على الخيل وأرمى الأمير عبد الوهاب الابطال يمينا وشمال وسار يدعس فيهم دعس والتقى فى المعمعة بجرهم المجوسى وهو يسقى الناس كؤس الوبال فهاجمه الامير وقد علم أن ثبات العسكر به وضربه بالحسام على رأسه نزل السيف إلى حد أضراسه وبعده تقابلت الجيوش وبقى الجبان مدهوس والتقت الاميرة ذات الهمة بولدها عبد الوهاب وقد عاد من الميدان وهو مثل شقيقة الارجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وأما العجم والاتراك فانها لما نظرت إلى جرهم لما قتل خافت على نفوسها وأرواحها والقت السلاح وطلبت الأمان فأمنهم الامير عبد الوهاب وسيرهم إلى بلادهم وسير خمسة آلاف إلى سائر الطرقات وأمرهم أن يفتشوا على الرشيد فغابت الخيل أيام وعادت تخبر أن ما وقعت له على أثر ولا خبر فضاق صدر الامير وأمر الناس بالاقامة وصار كل يوم يدور فى الطرقات (قال الراوى) وفى يوم من بعض الايام ركب عبد الوهاب وأبو محمد البطال إلى البر على ما جرت به عادتهما يدورون بأعينهم فى الطرقات ولما أرادوا أن يعودوا وإذا بشبح يلوح اليهم فوقفوا حتى وصل اليهم وقال لهم يا وجوه العرب وأصحاب الحسب والنسب هل معكم قليل من الماء حتى أروى به الظمأ فقال البطال نعم وأخرج له قربة الماء ومن فرحة البادى أرمى نفسه من على ذلك النجيب فوقعت عمامته ورقع منها كتاب مطوى فأخذه البطال وفتحه وقرأه وإذا مختوم بختم الرشيد فأخذه وتقدم به إلى الامير عبد الوهاب وقال له يا أمير يهنيك خبر الرشيد وهذا خطه ولما قراه فرح وقال للنجاب من اين أتيت قال من بلاد بعيدة من بلاد السرو وهى خلف مكة بثلاثة أيام وهذا الكتاب من رجل يقال له أنه من السلالة العظمى فقال أبو محمد بعد أن قرأ ذلك الكتاب وصلت إلى مرادك ولكن ما سمعت ما اسم صاحب هذا الكتاب قال بلى يا مولاى إنه يقول إن اسمه الرشيد (قال الراوى) وكان سبب أسر الرشيد سبب عجيب وذلك انه كان فى بلاد السرو رجل يقال له الأشعث بن طومان وله أخ يقال له النعمان وكان الأشعث له ولد شجاع والنعمان له بنت تخجل الشمس حسنا وطباع وتزيد على البدر علوا وارتفاع وتفوق على النساء عقلا وقناع وقد نشأت هى وابن عمها نشوا أحسن مايكون وكان اسم الولد طارق

واسم البنت فتون ثم انهما نشآ وتربيا وألف كل واحد منهما صاحبه (قال الراوى) يا ساده يا كرام فلما بلغ طارق من العمر سبعة عشر عام طلع فارس عظيم وتمهر وتوفى والده وأقام له العزاء مدة ثم بعد ذلك خافته الشجعان والاقران فخطب فتون من أبيها وهو عمه فانعم له بها من خوفه منه وقطع عليه مهر ثقيل وطلب منازل العلا فطلب طارق البر والخلا يجيب عمه الى ما يريد فغدر به عمه بعد مضيه وزوجها الى غيره وأخذها الذى تزوج بها وقال ما أدخل بها الى عند والدتى فصادفهم طارق فى الطريق وسأل عن ذلك فاخبروه بالخبر فحمل على القوم فولوا الادبار بعد ما تقاتلوا مع طارق وأخذ منهم عشرين أسير من الرجال وكان قومه وعمه قريبين منه فاقبلوا مشايخ الحلة فسلم الغنائم والاسلاب الى قومه وعمه وأطلق الأسارى وقال لهم قد أوهبتكم أرواحكم فاخذه الدعاء من النساء والرجال وعاد يوصل عمه الى الحى وسمعوا باقى الرجال المتخلفين فى الحى فشكروه على ذلك ثم أن طارق اجتمع بمقدمين الرجال وقال أريد تخاطبوا عمى فى فتون لأنه غدرنى مرة بعد مرة وأنا أرمى روحى فى المهالك فقالوا سمعا وطاعة ثم ساروا الى عمه النعمان وكلموه فى حق طارق وقالوا له قد جئناك فى أمر طارق تزوجه بابنتك فتون فلم يقدر يأتى بحجة يحتج بها دون أن قال لهم يابنى عمى حاجتكم مقضيه وسوف أبلغكم الامنية غير أن فى الأمر شىء واحد قالوا وما هو أيها الامير قال قد علمتم أن طارق فقير من المال وان كان ولابد له أن يأتينى بشىء أفتخر به على العربان فقالوا وما تريد من طارق قال أريد أن يأتى بطرفه بنت الغطريف بن قيس ملك الحصون سيد بنى حمير لتخدم بنتى ليلة زفافها فلما سمعوا مقاله ظهر لهم جماله وقالوا والله انه رماه فى بحر عظيم وكان هذا الغطريف بن قيس سيد بنى حمير رجل مذكور تخاف العرب منه ومن شره وتحذر من مكره وكان رجل شديد البأس صعب المراس يقبض السباع بيده وكل من تعاصى عليه خلع فكه بيديه وهو أشر العرب خبثا قد أكل أموال الجبابرة وأذل رقاب الاكاسرة بسيوفه الباترة وطاحون حربه على قمم الابطال دائره وغاراته على أعدائه متواترة وأسود حربه فى وجوه ملوك العرب كاسرة وقد أصبحت الملوك من حوله ذو همم فاتره وتحت يده خمسة آلاف فارس مثل السباع الكاسره وله ابنة مثل القمر الزاهر والفلك السائر ومن حولها مائة جاريه مثل النجوم الزاهرة ولم يخطبها أحد من الناس خوفا من هيبة أبيها الذى قد ملا قلوب الناس فزعا ورعبا فلما سمعوا ذلك المقال عادوا على طارق

الكلام فقال طارق وذمة العرب لأمضين إلى قضاء حاجته قالوا سمعنا أنه يقول أن في ذلك شرف لفتون وتفتخر بذلك على بنات الملوك فلما سمع ذلك قال خذوا لي عليه العهد والميثاق حتى أمضي إلى تلك الديار والرستاق فصاروا يعزلوه ومن العطب يخوفوه فما سمع من مقالهم ولا عذلهم فساروهم معه إلى النعمان قالوا اعلم أنك قدرميت ابن أخيك في بحر ماله قرار فاعطيه يدك بما تختار على أنك لاتنكث به ولا تغدر أن هو سلم من المهالك فقال لا وذمة العرب وإلا نفيت عن ظهر أبي ولا بلغت مطلوبي عند ذلك طلع طارق وودع أمه وعمه وأهله وقومه ثم جاز على بنت عمه ورفع باب الخبا وقال يا بنت العم عليك مني السلام يا ترى إن كنت أعود أو أشرب كاس الحمام فقالت وعليك يا ابن العم السلام على ماذا عولت فاعاد عليها ما قال أبوها وطلبه فبكت وقالت والله هذا يوم الفراق لأنك والله يا ابن العم قد ألقيت نفسك في المهالك فقال يا ابنة العم لاتحسبيني باول من غدر به الزمان وخانته صروف الايام فان أنا سلمت بلغت آمالي والمرام وأوقفت طرفه بنت الفطريف على خباكي من بعض الخدام وان أنا عطبت فالملتقى يوم الزحام وأنشد :

ألا يا ابنة النعمان حبك قاتلي ... وقد زاد شوقي حين زادت بلابلي
وحملني عمي أمورا ثقيلة ... ولا قصده الانصاب مقاتلي
وقد هان عندي كل صعب أريده ... وخالفت فيكي ناصحي وعوازلي
ولا بد أن أمضي إلى أرض حمير ... وأطمع أن أحظى بما أنا آمل
فان سلمت روحي آتيتك سرعة ... وطرفة في حوزي وقبض أناملي
وان تكن الأخرى وأبطأت فاعلمي ... بان الرحا يا ابنة العم شاغلي

(قال الراوي) فبكت لما سمعت من ابن عمها ذلك وأجابته تقول هذه الأبيات :

يعز علي يا ابن العم أن تكن ... لأجلي رهينا في بلاد الارازل
فان أنت يا بن العم جئتنا سالما ... تسلمت مني ظبية في الغلايل
وان أنت بطلت المسير فانه ... صواب ولا ألوي على عذل عاذل

(قال الراوي) فبكا من قولها وسار ومعه عبد اسمه فلاح لجمل يقطع الأرض طولها والعرض حتى قرب من ديار الفطريف وتلك الحصون واطراف بني حمير وأشرف على الحي الذي فيه الفطريف بن قيس سيد بني حمير وسمع ضجيج الخلائق فقال له عبده فلاح اعلم يا مولاي أن الأمر عظيم والخطب جسيم فكيف الوصول

إلى ما تطلب فقال يا فلاح أريد منك أن تمضى وتدعى وتدخل فى زى سائل من فقراء العرب حتى نعرف البيت الذى فيه طرفه وتعود وتعلمنى فاذا هجم الليل بظلامه وضرب على الخافقين خيامه أسعى بروحى إلى أخذها وأتوصل إلى أمرها بالحيلة فقال له فلاح أنا آتيك بالخبر ثم مضى العبد إلى الحى ولبس ثوب خلق ودخل إلى البيوت وجعل يقصد كل بيت رفيع العماد حتى وصل إلى بيت الفطريف وسأل عن بيت الحريم فأرشد اليه فقرب منه وجعل ينظر اليه ويقول أنا رجل جار على الزمان ورمانى بعد العز والحرمان ولى أولاد قد أضربهم الجوع والبرد والخزلان وجعل يبكى ويستعطى فخرجت له الأولاد وجعلوا ينظرون اليه فرفع صوته بالنحيب والبكاء فخرجت طرفه عند سماع بكاه كأنها شمس ضاحية فى سماء صاحية وجعلت تسمع كلامه وقد عرف أنها طرفة بالصفة التى وصفت بها فقال لها أيتها الاميرة اعلمى أن لى بنت وقد زوجتها وهى فقيرة ليس لها شىء تستتر به وأريد لها شىء يسر قلبى وتنالين أجرها فقالت يا هذا انى ما أنا ذات بعل أتصرف فى ماله وأبذل يدى فى رحاله ولكن ما نخيب قصدك فكون فى الحى إلى أن يظلم البيداء ويلبس الليل من السواد رداه فانى سوف أخرج ببعض أترابى من العربيات ومع بعضهم شىء من الكسوة من خليع ثيابى وتأخذها بحيث لا يراك الفطريف أبى فانه يغار على من الطفل الصغير أن يرانى فقال لها أيها السيدة وفى أى النواحى أقيم حتى تأتينى الجارية بالكساء فقالت له أما رأيت الغدير القليل الجرى البعيد من الحجر نحن نأتى هناك فدعا لها ومضى كأنه يطوف حول البيوت وهو كانه الولهان حتى وصل الى الأمير طارق فأخبره بما جرى فطار قلبه فرحا فقال له عبده وعلى ماذا عولت يامولاى قال اصبر إلى الليل ثم اكمن قريب من الغدير فاذا اقبلت الجوار وهى معهن أهجم عليهن وآخذها فقال له عبده فلاح إن كنت عزمت على هذا فدعنى أهرب من وقتى وساعتى لأن النفير يقع بك لا محالة وتطلبك الخيل تحت ظلام الليل ويحل بى إذا كنت معك الويل فقال له طارق وقد ضحك عليه ويلك يا فلاح أتظن إنى أنهزم إذا جاءت الخيل ولو كان مثل السيل وإنما أسلم اليك طرفه وهى مكتوفة اليدين وأكر أنا على الفرسان وأفرقهم فى السهل والجبل فإذا عادت تلك الأمم سرنا نحن تحت حنادس الظلام فما يصبح الصباح إلا ونحن قد قطعنا أرضا بعيدة فقال يقول الناس فى الأمثال إن أردت أن تطاع فر بما يستطاع فان سلمت إلى طرفه أخاف أن ترفصنى بمداسها تصفعنى فقال يا ولد

الزنا فى الحرب ما أحلك وفى وعث الكرب ما أذلك فقال أيها الامير ها أنا سامع لك ومطيع وان قتلت فدمى فى رقبتك فقال طارق طب نفسا وقر عينا ماترى بؤسا ولا شينا وأقاما مكمنين إلى أن أقبل الليل فعندها ساروا البنات حتى وصلوا إلى الغدير وطرفه بينهن كانها غزال عطشان أو ظبي ولهان فعنـــدها وثب طارق عليها فتفرقت الجوارى من حواليها وكانت قد خرجت مع أترابها مع علمها أنه ما يقدم عليها أحد من العرب خوفا من أبيها لانه يأخذ بخفارات العرب جميعا كما ذكرنا فانقض عليها الامير طارق انقضاض الباشق وخطفها من على وجه الارض أسرع من البرق البارق وشدها من خلف ظهره وسار هو وعبده نجاح ورجعت النساء صارخات مولولات فنادت الرجال ما وراءكن قالوا أخذت الأميرة طرفه أسيرة خطفها رجل كانه العقاب (قال الراوى) يا سادة يا كرام فانقلب الحى بما فيه من صياح الرجال وهجمت الأبطال على خيولها وسحبت الحراير من خلفهن ذيولها وركب الغطريف على جواد خفيف جيد النسب وطىء المركب وأحدقوا به الليوث من كل جانب ولم يزالوا يجدوا فى السير من غير تقصير حتى لاح الفجر بصباحه وقد أدركوا طارق على ضامر سابق وحققت الحقائق وبان الكاذب من الصادق وبانت السيوف والطوارق فنادى فلاح يامولاى هذا الذى كنت أحذره وقد دهمك من العسكر بوادره ولحقك الغطريف بن القيس بعساكره وقد كنت شرحت لك باطن هذا الامر وظاهره فأرمى يا مولاى طرفة فى هذا الفلاه وخذ لى ولك النجاه فقال طارق ثكلتك أمك وعدموك قومك أسكت لا ملام إنما الذئب يفرح اذا كثرت الغنم فخذ الجاريه وتسلمها وانظر كيف افاق منهم القمم واترك وجودهم عـــدم واخضب بالدم بيض اللمم وستعلم يا عبد السوء من أثبت منا وأقدم ومن هو على الأمور مقدم (قال الراوى) يا سادة ياكرام ثم ألوى عنان جواده واستقبل القوم ونادى ما أبركه من يوم وأراد أن يحمل على القوم وإذا بالغطريف أشرف على طارق فرآه شخص واحد فزاد تعجبه لانه ظن أنه جيش عرمرم أو ملك مقدم فلما رآه واحد وهو صبي صغـــير السن قريب المهد فناداه الغطريف خلى الكريمة طرفه يا من نادى المنادى بارغام أنفه ودنو حتفه فمن أنت قل وأوجز قبل حلول المنية ووقوع الرزية فقال ماغير طارق ابن الأشعث وخطبت بنت عمى فتون ابنة النعمان فأبى أن يزوجنى إياها حتى تخدمها ابنتك وتقف على رأسها كريمتك فقال الغطريف خليها وانج بنفسك سالما فقال

طارق ان من دون ذلك ضرب يفك الحديد ويشيب الطفل الوليد ويفتت الجلاميد ويعجز عنه الفارس الصنديد فقال الغطريف فى نفسه والله هـذا عاشق ولا يجوز قتله ولا سفك دماه وقد حمله الهوى على ما ليس يهوى فقال يا غلام خذ طرفه فهى لك تحفة وتكون أنت وهى عندى فى أعز زلفه فقال له طارق وقد تبسم يا غطريف أما قولك خذ طرفه فأنا ما أريد إلا فتون وأما ظرفة فما إلى تركها من سبيل فلما سمع الغطريف ذلك زاد غيظه وصاح فيمن حوله ويلكم خذوه وبأسيافكم قطعوه وبالرماح خرقوه وتحت حوافر الخيل مزقوه فحملت على طارق الخيل وانحطت مثل السيل وكان قد سلم طرفه إلى عبده فلاح وعاد إلى الخيل مثل عودة الأسد الوقاح فتلقاهم بضرب الصفاح ويرى ما معهم من الرماح هذا والخيل تصدمه والرجال تطلبه وهو يبدد فوارسها ويقتل أشاوسها ويرد عوابسها إلى أن توقد الحصى وزاد الأمر وقل الصبر وعظم الكر والفر وفزع البطل وتنحر وتقدم الغطريف إلى أصحابه ونادى أذلكم الله بين العرب وأذل لحاكم ما أقل حماكم عن الحريم يا ويلكم هذا يجرى عليكم من فارس واحد وهو يعد من الصبيان فكيف لو كان فارس مغوار أو عسكر جرار فقال رجل من القوم وقد جاءت له طعنة فى فؤاده فوقع وكره الحياة والله يا غطريف ما أراك إلا تقدمنا وتتأخر وتقول كلام ما فيه شىء مفسر ولكن نريد منك أن تحمل أنت عليه وتنظر حربه وقتاله حتى تذوق ما ذقناه وتشرب ما شربناه وتبقى بعد ذلك تعذرنا فغضب الغطريف من سماع ذلك الكلام (قال الراوى) وقال لأصحابه ويلكم يا لئام غير كرام لمثلى يقال هذا الكلام وأنا بطل همام وأسد ضرغام لا أخاف الموت ولا أرهب الفوت وأنا قلة نزولى إلى الميدان ومحل الضرب والطعان إلا خوفا تعايرنى قبائل العرب من بعد منها ومن اقترب فلما سمعوا منه أصحابه ذلك الخطاب قالوا والله ما هذا إلا فارس ثابت وبطل مهاب ولا يحمل عليه إلا من هو أفرس منه فى الطعن والضراب فلما خاطبوه أصحابه بهذا الخطاب عماك معه نخوة جاهلية الاعراب وقام وقعد وأرغى وأزبد وقام الغطريف من وقته وساعته وحمل على طارق كأنه السهم الخارق بقلب أقوى من الصخر والجلمد وساعد قوى على قتال الأبطال معود وفى دون ساعة عرف كل واحد منهما صاحبه وإن طارق حمل على الغطريف واستلان جانبه وطعنه فى صدره أطلع السنان يلمع من ظهره فمال عن جواده وقد عدم رشاده وبعده ولت بنى حمير من بعد

الأقدام وقالوا والله من لقى هـذا الفارس إلا وهو من الحيـاة يائس ثم لوا الأدبار وركنوا الى الفرار وطلبوا الجميع الديار ونال طارق من أسر طرفه ما اختار وسار طالب أرض السرو وهو يقطع الليل والنهار الى أن أوسع فى البرارى والقفار وهو ينشد الأشعار .

ترى غـــلم النعمان أنى همامها   وضرغامها فى حضرها والبواديا
وانى أجيـد الضرب فى كل معرك   اذا انعردت أبطالها من طعانيـا
ولا ذنب لى الا لأنى امرؤ   رأيت سماح النعس أعلى المعاليا
والا هواى بابنة العم لم أكن   طرقت ديار الحمـــيريين غاريا
ولكن رأيت الحب يحمل للفتى   على العشق حتى لا يجيب المناديا

(قال الراوى) يا ساده ياكرام وسار وقـد بلغ مايختار وطرفه قد خافت على نفسها وذهب عقلها وعلمت أنه فارس البيداء وإن ناره لا تصطلا ولم يزل بها فى الوادى والقفار حتى قرب من الديار فلما أصبح الصباح وطلب المسـير وإذا بهودج واموال وعبيـد تضرب بالسيوف واماء تضرب بالدفوف وهودج عالى على باذله من الجمال وهو موشح بالحرير وعلى رأسه هلال من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجوهر وخمسين فارس مثـل الليوث العوابس وفى مقـدمة الفوارس فارس من العرب كانه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل مفتول السواعد واسـع المناكب كانه القضاء الغالب وتحته جواد مثل السرحان والقوم سائرين سير الافراح ولهم جلبية وصياح فلما رأى طارق إلى ذلك طار قلبه ولعب لبه وقال لعبده يافلاح انظر ماهذا العروس فإنى أريد أن آخذ من اسلاب هذا القوم ما يعيننى على الزفاف ومن فدية العروس مايقوم بى فى ولائم العرب فقال فلاح يامولاى قل من التعرض إلى فرسان الحجاز فقد حطت من الدماء ماكفاك فقال له يا ولد الزنا لا تراددنى فيما أقول فاقطع رأسك واخمد أنفاسك يا ويلك أما سمعت مجنون ليلى حيث يقول هذه :

ومدت عنقهـا ثم استمدت   على قطع الفيافى واستقرت
ولما أن رأتنى مستهام   بعيد الأهـل مشتاق لخنع

فكيف أنا وقد رأيت الهودج وقلبى تحمل مالا تحمله ركبان عالج فخذ لى الخبر وعود على الأثر فعندها سار العبد يقطع الفيافى والقفار (قال الراوى) هذا جرى ههنا واما ماكان من طارق فإنه تذكر ماجرى له فى ديار الغطاريف وتذكر فتوته

وحسن ذياك العيون فأن أنين وجده وكثرت أشواقه وقد تمنى أن يصل العبد بحقيقة الخبر اليه وقد زاد شوقه إلى فتون وحن إلى تلك العيون فبينما هو كذلك واذا بالعبد عاد مسرعا وهو يسعى بقوة واهتمام على وجه الأرض كأنه ذكر النعام وهو يصيح وينادي يا مولاى انظر وراك ومن بشره رماك فقال طارق دع عنك المحال فقال العبد أما تعرف صاحبة الهودج قال لاوذمة العرب فقال العبد يامولاى ما هذا إلا هودج ابنة عمك فتون وقد زفت على الخطاف بن بكر سيد بنى قحطان فلما سمع طارق من العبد ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وكان السبب فى ذلك أن النعمان لما خرج ابن أخيه طارق إلى ديار الغطريف أيقن أنه لا يرجع اليه أبدا وقال لابد أن يشرب كاس الردى وبعد مسيره بأيام وصل إلى عند النعمان شيوخ من بنى قحطان وخطبوا بنته لسيد بنى قحطان وكان اسمه الخطاف لايقاتل فى الحرب لابسيف ولا بمزراق وإنما كان إذا التقى بالفرسان يخطف الفارس من أعلى جواده ويضرب به الأرض فيرض عظامه رض وقد شاع ذكره واسمه الخطاف على ألسنة السفار والفرسان وكان إذا ركب على جواد من أعالى الخط تخط ابهاميه فى الأرض وكان أكثر العرب أموالا وأبخلهم نوالا واذا دعاه الانسان فى وليمة فرح وان طلب منه شيء وقع به الترح كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات :

أرى الخطاف يبغضنى لأنى وقفت ببابه عند الغـداء
فلو أنى علمت أخذت حذرى وما يغنى الحذار من القضاء
يغار على الرغيف اذا رآه كما غير الرجال على النساء

(قال الراوى) وكان السبب فى ذلك هو أن الفارس الموصوف لما خطب ابنة النعمان وبذل لها من الأموال وذلك أن النعمان قد عرف ما هو فيه من الشح والبخل والظلم وعرف أن مافى الأرض أشجع منه ولا اكثر مال منه ولا ابخل منه فأجابه الى ذلك فقالوا له قومه يا هذا الست كنت قد اخذت بيد ابن أخيك على زواجها له وان هذه الفعال التى انت تفعلها فعل اللئام الذين غير كرام فلم يلتفت الى قولهم وعذلوه فلم يلوى الى عذلهم وانه دخل على زوجته وقال لها قد زوجت ابنتى بالخطاف عين الفرسان فقالت له الست كنت قد زوجتها بابن اخيك طارق فخرج من عندها مغضب ولم يرد عليها جواب وقال للذين قد اتوا من عند الخطاف قد اجبته الى ما طلب وهو عندى اعز من خطب فردوا اليه واخبروه بخبر طارق لهم فقال انا اغتنم الفرصة ثم

سار الخطاف من يومه واخذ صحبته خمسمائة ناقة حمر الوبر وخمسين رأس من الخيل الجياد وألف رأس من الغنم ومائة ثوب من الديباج المعلم وأخذ فى صحبته خمسين فارس من الفرسان الجياد بسيوف حداد ورماح عداد وسواعد شداد وعول على أن كل من قام الى طارق فى حمايته عجل مصرعه وقرب منيته وسار الى أن وصل الى حى النعمان فخرج اليه ومعه جماعة الفرسان والتقاه وتسلم منه المال وجميع ذلك الأثاث وأخرج اليه الضيافات والعلوفات وتمت سائر الأحوال والأمور ونحرت النحور ورقوا المدام وقد ذبحت الأغنام وأخذوا فى الأكل والشرب واللهو ثلاثة ايام وبعد ذلك زوجها ابوها بالخطاف وتم الأمر وانتهى ولم يبق الا الزفاف واما فتون فصعب ذلك عليها وكبر لديها واكلت لحم زنديها وابدت تفجعها وعويلها وصارت تفعل ذلك حتى لتشفى غليلها فلما علم ابوها منها ذلك دخل عليها وضربها حتى ادماها وقال لها ويلكى يالخنا أنا طالب بكى اصلاح الحال وأنى تطلبي الفقر والاذلال ثم خرج من عندها وقد سكتت فتون وصبرت على ما نالها من تلك الغبون وفى ساعة الحال دخلوا عليها المواشط وأصحاب الفتون وقوسوا الحاجب وكحلوا منها العيون وانها كانت عن تلك الزينة فى غنى لأن الله عز وجل صورها فى أحسن صورة (قال الراوى) يا سادة يا كرام ولما ان فرغوا من تجهيزها من هذا الحال حملت فى الهودج فوق بازل من خواص الجمال وقد فاح من داخل الهودج المسك والعنبر والند والعود وبرق ما عليها من تلك الجواهر واللآلى وسارت وإلى جانبها المحامل وساروا كما ذكرنا والتقاهم الأمير طارق كما وصفنا فأخبره عبده كما ذكرنا فحمل على القوم شبه الأسد إذا عاين فريسته وصاح صوتاً أزعج به أوائلهم وأواخرهم وقال لهم خلوا عن الكريمة فتون وإلا وحق من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون أجعلكم كأمس مضى ماله عوضا فقالوا له ويلك من أنت حتى طمعت فى ذلك فقال أنا طارق ابن عم فتون قتيل هواها وأسير عيناها الذى قد أيتمتنى الفرقة واغتالتنى المحبة (قال الراوى) ثم برز اليه الخطاف إلى حومة الميدان وأخذ معه فى الضرب والطعان فوجد نفسه الخطاف يضرب فى حديد بارد فقال الخطاف ويلك يا طارق دع اللجاج فقال له طارق يا ويلك إذا كان الحبيب لى موافق فلا أبالى بعمى إن كان كاذباً أو صادقا فقال الخطاف وان الحبيب غير موافقا والا ها أنا وأنت نمضى اليها ونخليها تختار واحد منا فقال طارق رضيت بذلك فان فيه حقن الدماء ثم نادى

الخطاف ارفعوا السيف فرفع وقال الخطاف لقومه قد عزمنا على كذا وكذا فرضوا بما قال وصبروا الى أن اقبلت الرجال وساروا كلاهما حتى وصلوا الى الهودج وكانت فتون قد سمعت بذلك فسألت عن الحال فأخبروها أن ابن عمها طارق منعنا عن المسير وقد طمع فى أخذك سبيا فلما سمعت ذلك كاد ان يطير فؤادها فرحا ثم خافت على طارق من كثرة الجمع وأظهرت حزنا وبقت مثل الحبة على المقلة وكلما برز اليه فارس قتله ففرحت فتون وزاد له حبها وكثر عجبها فلما انكبت عليه الخيـــل جرت دموعها مثل السيل وما انكشفت الغبرة الا وقد قتل من الاقران عشرين فارسا فأقبل نحوها فارسين وهم لها طالبين ولما قارباها عرفت طارق فكادت أن ترمى روحها من الهودج فمنعها من ذلك الحياء فلما أن قربا نادى الخطاف بالمولدات

أن اعلموها بما جرى من الامر وأنا قد جعلنا الامر اليها فان أرادت

ابن عمها يتسلم زمام الناقة ويسير وما أكون قد حملت لها

لا قليل ولا كثير وإن أرادت أمير بنى قحطان

صاحب الامـــوال والانعام والرجال

والغلمان فينصرف عنها هـــذا

الشيطان

(تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادى عشر)